



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة1

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب و اللّغة العربية

رقم الإيداع :...................

رقم التسجيل:..................

البنية اللّغوية في القرآن الكريم من خلال العنوان والاعتراض و الفاصلة

-دراسة دلالية نصّية-

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللّغويات

إعـــداد الباحثـــة:

شهرزاد بن يونس

إشـــراف الأستاذة الدكتورة

آمنة بن مالك

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
أ.د. حسن كاتب	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة 1	رئيسا
أ.د. آمنة بن مالك	أستاذة التعليم العالي	جامعة قسنطينة 1	مشرفا ومقررا
أ.د.محمد لهلال	أستاذ التعليم العالي	جامعة المحمدية-المغرب	مشرفا مساعدا
أ.د. يحي بعيطيش	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة 1	عضوا مناقشا
أ.د. إبراهيم قلاتي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة 1	عضوا مناقشا
أ.د. سامي عبد الله أحمد الكناني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة	عضوا مناقشا
أ.د. بلقاسم ليبارير	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا مناقشا

السنـــــة الـــجامعية: 1433-1434هـ/2012-2013م

الإهداء

إلى أنا,,, إلى التي أتعبها السّفر في مدائن الألف قلم وقلم...
فنسيت عمرا شهرزاد...ألف ألف اعتذار....
إلى شمسي التي ذبلت قبل إشراقتي....دعائي لك بالرّحمة وفسيح الجنّات..
إلى العنوان القادم من حبر العطاء الدّائم...صبرا و تقديسا للحرف...والديّ وعائلتي...
إلى الجمل الرائعة المعترضة في حياتي ...
ابن باديس...أوّلا ...و أخيرا...
أستاذتي المشرفة تقديرا واحتراما.. الأستاذة الدكتورة يمينة بن مالك
أستاذي المشرف المساعد وفاء واحتراما.. الأستاذ الدكتور محمد لهلال
أساتذتي بقسم الآداب و اللغة العربية بجامعة قسنطينة ، وكلّ الأساتذة الطّيبين من كلّ الأقطار العربية.
صديقاتي من الألف إلى الياء...
طلبتي رغم شقاوتهم...
إلى الفاصلة المنسية التي عزفت على أوتارها ابتسامتي...أنت...دون اسم
إلى كل الغائبين في هذه الورقة، الحاضرين بين ثنايا البحث بابتساماتهم وتشجيعهم وعمق رؤيتهم...
إلى هؤلاء الذين أحبّوا شهرزاد...
وأحبّوا التشرّد على زوايا الحروف...
أهدي هذا الكتاب...


مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 28] والصلاة والسلام على الهادي الأمين، المبعوث بالحق المبين محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلقد شكّل النّص القرآني، ولا يزال، أحد أهمّ المدوّنات اللّغوية التي تحظى بالدراسة والبحث، وهذا نظرا لما يتميّز به من خصائص نظمية تجعل منه نصا يمتلك قدرات تواصلية فائقة تتّسع مع اتساع دلالاته، إنّه النّص الذي شغل ألباب الحكماء والدارسين من شتى المجالات فوقفوا أمامه وقفة دهشة واستكانة بغية الوصول إلى مراميه وأبعاده، فهو حبل الله المتين الذي لا تنقضي عجائبه، إنّه النّور الذي لا ينطفئ، والسرّ الذي لا ينجلي، ومن دخل عُبابه فلن يجد إلاّ كل لفظ جميل وعبارة متينة السّبك وحروف قوية الدلالة.

إنّ هذا النّظم العجيب كان منطلقي الأوّل لفاتحة دراستي هذه، التي وسمتها بـــ"البنية اللغوية في القرآن الكريم من خلال العنوان والاعتراض والفاصلة دراسة دلالية نصيّة"، وقد كان من دواعي اختياري لهذا الموضوع مجموعة من المسوّغات دفعتني إلى الإقدام على هذا المثلث اللغوي بالتّحليل والمناقشة من كلّ جوانبه ومستوياته، وأبسطها في الآتي:

1-تقديم قراءة لغوية جادّة للقرآن الكريم يتم فيها توثيق العلاقة بين المتنافرات -ظاهريا- لأجل البحث عن أدوات الربط بينها، حيث لم أجد من الدارسين القدماء منهم والمحدثين من حاول أن يفكّ لغز طبيعة العلاقة القائمة بين عناوين السور، والجمل المعترضة، والفواصل القرآنية على الرّغم من أنّهم وقفوا عند كلّ عنصر على حدة وأفاضوا القول فيه، وهذا هو الجديد الذي ميّز هذا البحث، وجعلنا نزداد إيمانا بالمبدأ القائل: «الذي لا يدرك جلّه لا يترك كلّه ».

2-تحديد آليات الترابط النّصي في القرآن الكريم في مستوييه الشكلي

والمعنوي من خلال وقفتي مع الثلاثية المذكورة أعلاه، وهذا تبعا لمتطلبات منهج الدراسة.

3-إثبات أهمية القراءة الكلّية للنّص القرآني، والبعد عن فكرة التجزيء التي كانت معتمدة عند الدارّسين، والتي ابتعدت عن الموضوعية في أغلب مناحيها.

4-سبب ذاتي يضاف إلى هذه الأسباب هو روعة بيان القرآن الكريم وعظمة تصويره وقوة ألفاظه، كل هذا شدّني شدًّا، وأشعل بداخلي وُدًّا، فوقعت أسيرة روعة خياله وتصويره، وتناسق آياته، لقد سحرني «وإنّ من البيان لسحرا»، فأفردت له العقل لعلّ وعسى يكون لي شفيعا يوم القيامة.

إنّ موضوعنا هذا يتسم بالجِدّة في ظل هذا التّصور، لأنّ الدّراسات السابقة لم تفكر بتاتا في الربط بين الثلاثية قيد الدراسة،على الرغم من وجود بعض الاجتهادات التي بحثت في كل موضوع على حدة، حيث التمست بعض الملامح المضيئة في أسماء السور القرآنية مثلا كرسالة الماجستير الموسومة بـــ"أسماء السور القرآنية جمع ودراسة وتحليل بجامعة آل البيت بالأردن سنة2002، حيث وقف الباحث "عبد الله بن سالم بن محمد الهنائي" عند جوانب نظرية أفرط القدماء في ذكرها كإشكالية الأسماء أهي توقيفية أم اجتهادية، ثم قدم دراسة إحصائية للسور ذات الاسم الواحد،وذات الاسمين، وذوات الثلاثة أسماء، وهكذا تدرج حتى العشرة إلا أن دراسته اتسمت بالتّنظير أكثر من التطبيق.

وتستوقف الباحث دراسة أكاديمية أخرى بجامعة الحاج لخضر بباتنة للسنة الجامعية 2008-2009 تحمل عنوان"أسماء السور في القرآن الكريم مقاربة لسانية سيميائية" للباحثة سليمة جلال، وإشراف الأستاذ الدكتور "بلقاسم ليبارير"، حيث طبقت المنهج السيميائي على سور قليلة وهي: الإخلاص، والفلق، والناس، والبقرة، ورغم جدية المحاولة فقد أفسدها التوجه النظري، والخلط المنهجي بين ما هو سيميائي وما هو تداولي.

أما في سياق البحث في الجملة الاعتراضية فقد كانت الدراسات قليلة -على

حد اجتهادي المتواضع– حيث وقفت على دراسة أكاديمية وحيدة مطبوعة بجامعة تيزي وزو وسمت بـــ "الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي– دراسة في ضوء النظرية التداولية" المنشورة سنة 2012 حيث طبقت الباحثة منهجها على مدونتين إحداهما الإشارات الإلاهية لأبي حيان التوحيدي، و ثانيهما مرايا متشظية لعبد الملك مرتاض، وقد أحسنت الباحثة في استخراج الوظائف التداولية للجمل المعترضة في المدوّنتين من خلال تتبع مسار التحول القائم، إلا أنّ هذه الدّراسة لم تخدمنا في مجالنا لأن الجمل المعترضة في القرآن أوسع مجالا، وأعمق دلالة.

وقد حاول هذا البحث تجميع بعض الطروحات التي طرقت باب الفواصل القرآنية، فوقف عند أطروحة الدكتوراه المقدمة في قسم اللغة العربية والدّراسات القرآنية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ،التي وسمت بـــ"بنية الإيقاع في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية" للسنة الجامعية2010–2011 للباحث "عبد الرّحيم عزّاب"، إشراف الأستاذ الدكتور "رابح دوب"، وهي دراسة جادّة ركّزت على الإيقاع القرآني ومكامنه وأماراته وأدواته الجمالية والدلالية والنفسية، ورغم هذا الاجتهاد فقد كانت تحليلات الباحث للفواصل القرآنية ضيّقة غير شاملة لكل الخطاب القرآني ،مما استدعانا للمزيد من التنقيب عن أنماط الفاصلة في القرآن الكريم وأوجهها الدلالية في بحثنا هذا ولكن ليس بالمنهج الأسلوبي بل بالمنهج النصي.

و في السياق نفسه اطّلعت الباحثة على دراسة جادّة للباحث المغربي "أحمد أبو زيد"، الذي تقدم بأطروحة دكتوراه وسمت بـــ "التّناسب في النظم القرآني" بجامعة محمد الخامس، الرباط سنة 1989–1990 التي عالج من خلالها الباحث مظاهر التناسب الدلالي والتركيبي وكذا الإيقاعي، إلا أن غايته لم تبلغ مداها في تحليل الفواصل القرآنية التي وقف عند بعضها، مما جعل بحثه لا يروي ظمأ دراستي هذه.

ويبقى كتاب الباحث "علي عبد الله حسين العنبكي" الذي يحمل عنوان: "البناء اللّغوي في الفواصل القرآنية" المنشور سنة 2011م، أكثر الدّراسات تعمّقا في باب الفاصلة القرآنية، حيث اختار الباحث عددا كبيرا من الفواصل محاولا دراسة تحويل أبنيتها، ودلالة هذه التّحويلات، كما وقف عند التّقديم والتأخير ودورهما التركيبي في اختيار هذه الفاصلة دون أخرى، وعرّج على البثّ في قضايا الحذف والزّيادة، وبعض الجوانب الصّوتية. ورغم هذا الجهد الذي يستحق التّقدير، فقد ألفيتُ الباحث قد خطا خطو القدماء، ولم يأت بجديد عدا بعض النّماذج التي حلّلها ولم تكن من مباحث الدّرس اللّغوي، لهذا أردت أن أتجاوز هذا الطّرح بتقديم الجديد في هذا الباب على كلّ المستويات اللّسانية.

وتأتي أهميّة الموضوع من خلال تحقيق الأهداف الآتية:

- بناء نظرية نصيّة لتحليل الخطاب القرآني تحليلا موضوعيا بعيدا عن الذّاتية.
- مراجعة وردّ بعض الطروحات التي ترى أنّ النّظم والبيان القرآني لا يتحققان إلا في التركيب ومعاني النّحو، أو ما أطلق عليه مفهوم (التركيب الجواري) واستبدالها بأطروحة العلاقات النّصية، التي لا تعتمد التّقارب المسافي منهجا في تحقيق الاتّساق والانسجام النًّصيين، وإنمّا تكون من خلال البحث عن العلاقات الغائبة في مستوى الشكل، والتي تجعل القرآن الكريم نسقا دلاليا واحدا لا يمكن فهم عناصره بمعزل عن بعضها بعضا رغم أنّها تبدو متباعدة للرّائي على مستوى سطح النّص.
- إيجاد مختلف العلاقات القائمة بين الوحدات اللّغوية في القرآن الكريم وتحليلها دلاليا ونصيا من أجل مقاربة ثنائية الأبعاد.
- بناء نظرية للعنونة في القرآن الكريم بعيدا عن تصوّرات القدماء من خلال استراتيجيات دلالية.
- الوقوف عند توزيع نوعي جديد للفواصل في الخطاب القرآني، و رصد

صوره المتعدّدة تبعا للمستويات اللّغوية.

- تعميق البحث الدلالي في الجمل الاعتراضية التي لم تلق حقها من الدراسة لا عند القدماء ولا عند المحدثين.

و لتحقيق هذه الأهداف انطلقت من إشكالية عامة هي: ما طبيعة العلاقة القائمة بين العنوان والاعتراض والفاصلة القرآنية؟ أهي علاقة اتصال أم علاقة انفصال ولماذا؟ وكي نفصل فيها القول أكثر كنا بحاجة إلى المزيد من الإشكاليات الجزئية منها: هل كانت أسماء السور القرآنية عناوين رئيسة أم عناوين جزئية فرعية؟ لماذا حافظت بعض السور على العنوان الواحد بينما تعددت تسميات سور أخرى في المقابل؟ وما طبيعة هذه العناوين؟ كما حاول البحث التعامل مع إشكالية ثانية مع الشق الثاني من الدّراسة وهو الاعتراض للبحث عن طبيعة البنية اللغوية للجمل المعترضة في الخطاب القرآني، وأي الأنماط كانت أكثر حضورا؟ ولماذا؟ ليتسع بعدها أفق الكشف عن الفاصلة القرآنية من خلال هذا التساؤل: لماذا توزعت الاختيارات الفاصلية بين الاسمية والفعلية؟ وما فعّاليتها الدلالية؟ وماهي الظواهر التركيبية الأكثر ورودا وما تأثير ذلك نصّيا ودلاليا؟

و تأسيسا لهذا البناء اعتمدتُ المنهج الذي أمسك بتلابيب البحث، و هو المنهج الوصفي، الذي وضعته منطلقا استراتيجيا لتفحّص العناصر اللّغوية، واستقرائها، و تحليلها والوصول إلى نتائج بعد ذلك يمكن تعميمها على كلّ النّص القرآني، كما استعنت أيضا بآليات الإحصاء الكمّي للمدّونة قيد الدراسة، وهذا في شكل جداول توضيحية، فضلا عن ذلك اعتماد الكثير من الخطاطات التي أسهمت بشكل لافت للنّظر في تيسير عملية التحليل، مع تمكيني عن طريق رصد التكرارات والتواترات من تحليل نتائج البحث في فصول الدراسة بطريقة موضوعية بعيدا عن الأحكام المسبقة، وبعيدا عن التعسّف. و قد آثرت في ذلك أن أستعين بجهدي الخاص في عملية الإحصاء حتى أبتعد عن من سبقني إلى هذا الإجراء، مع التّذكير في حالة الاستعانة بالدراسات التي أحصت الكثير من الظواهر اللّغوية، وقد تمثلت الوصف

من زاويتين الزاوية الدلالية والزاوية النّصية.

كما يجب أن أذكر بأنّني استفدت من نظرية الحقول الدّلالية في أكثر من موضع، حيث تيسّر لي تقسيم العناصر اللّغوية إلى مجالات مختلفة، وهذا جعل الجانب المنهجي يسير في سبيل التحكّم بخيوطه المتشعبة، دون أن أنسى استفادتي المباشرة من علم لغة النّص، فقد وقع اختياري عليه ليكون أداة لمعالجة العلاقات القائمة بين الثلاثية قيد الدراسة (العنوان، الاعتراض، الفاصلة القرآنية)، وهذا بالوقوف على مظاهر الاتّساق والانسجام النّصّيين في القرآن الكريم، وفق ما توفّر لنا من عناصر لغوية حققت ذلك، ولم أتقيّد بكلّ جوانب هذا المنهج عدا ما كان له استفادة مباشرة في دراستي من خلال خيط الانتقال من البنية إلى التداول إلى التلقي، وهذا بالوقوف على الجانبين الشكلي والسياقي.

وكأي بحث فإنني قد استندت إلى جملة من المصادر والمراجع التي أضاءت دروب هذه الدراسة، حيث عدت إلى أهم الدراسات التي وقفت مع موضوع البحث؛ ففي العنونة تطرق بعض المفسرين وعلماء القرآن إلى تعليل التسمية في السور القرآنية كما فعل البقاعي (ت885هـ) في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" حيث ذكر دلالات تسمية كل سورة رابطا ذلك بمقاصدها، ومثل ذلك كان مسار الفيروزآبادي (ت817هـ) قبله في كتابه "بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز"، كما عدت إلى تفسير"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري (ت310هـ)، إذ أفرد مبحثا للتسمية وسمه بـ"القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه"، والنّسفي(ت537هـ) في كتابه"التيسير في التفسير"حيث ذكر مائة اسم للقرآن.

كما لا أنسى الإشارات والتحليلات الدلالية لأسماء السور القرآنية التي بثها أبو حيان الأندلسي في تفسيره المتميّز"البحر المحيط" ،أو تلك المناقشات في "التحرير والتّنوير" للطاهر بن عاشور(ت1393 هـ).

كما لا يجب إغفال استفادتي الكبيرة من كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزّركشي(ت793هـ) الذي لم يبحث في التّسمية فقط بل درج إلى البحث في

الناحيتين التركيبية والدلالية للفاصلة القرآنية، وجهود السيوطي(ت911هـ) أيضا في "الإتقان في علوم القرآن"، وأشير أيضا إلى الدراسات الحديثة في مجال الفاصلة القرآنية مثل كتابي: "الفاصلة القرآنية، والفاصلة في القرآن"لعبد الفتاح لاشين، ومحمد الحسناوي على التوالي.

أما في سياق الدراسات النحوية التي وقفت مع الجمل الاعتراضية فهي إشارات خاطفة لم تتعمق في تحليلها، فاكتفيت بـــ"مغني اللبيب،لابن هشام الذي عقد بابا لها، يضاف إليه ما تقدم به المفسرون وعلماء القرآن من أمثال أبي حيان الأندلسي، الزمخشري، الطاهر بن عاشور، وغيرهم ممن تناول بعض التحليلات الدقيقة لبعض الجمل المعترضة وليس كلها.

واقتضت خطّة البحث تقسيمه إلى خمسة فصول مبدوءة بمقدمة وذيّلت بخاتمة ضمّت أهم النتائج التي توصّلت إليها الدّراسة.

خُصّ الفصل الأوّل بالجانب النّظري، فبما أنّ المصطلح يمثل أولى المنطلقات المنهجية في أي بناء معرفي في حقل العلوم اللّسانية والإنسانية عموما، فقد جعلته للضبط المفاهيمي للمصطلحات الثلاثة قيد الدّراسة (العنوان، الاعتراض، الفاصلة) حيث رأيت أنها تمثّل المفاتيح التي يحتاجها المتلقي لتوثيق علاقته مع النّص، ولم أشأ تحديد مفهوم البنية اللغوية لأنه معروف لدى أصحاب التخصص، لهذا قمت بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسة، حدّد المبحث الأول منها معنى العنوان لغة واصطلاحا، وكذا وظائفه، بينما جاء المبحث الثاني للوقوف على مفهوم الاعتراض بين البلاغيين والنحويين، وكذا المصطلحات الملتبسة به، وينسحب هذا على الفاصلة القرآنية، التي تطرقت من خلالها إلى المفهوم والأنواع، والمصطلحات المشابهة.

ولم يكن هذا البحث عرضا نظريا فحسب، بل كان للفصول الموالية الحصّة الأكبر لتقديم النمّاذج التطبيقية، وعدد هذه الفصول أربعة ، خُصّ الأول منها للعنونة في القرآن الكريم، وأما الثاني للاعتراض فيه، وأما الثالث للفواصل القرآنية، ليكون خاتمة الفصول مختصا بالوقوف على العلاقات التي تربط هذه الثلاثية بعضها

ببعض محققة التماسك النّصي بطرق شتى، إما عن طريق التكرار، أوعن طريق المصاحبة الشكلية، وهذا لأجل معرفة آليات الترابط النّصي في القرآن الكريم.

بدأت دراستي التطبيقية بالفصل الثاني الموسوم بـــ "العنوان في الخطاب القرآني مقاربة دلالية نصّية" ويتضمن مجموعة من المحاور،الأول منها كان إحصاء للعناوين الواردة في القرآن الكريم ثم إيراد أهم الأسماء التي عرفت بها السور القرآنية، ليتم تحليلها بعد ذلك وفق ما تقدم به القدماء من آراء، تشابهت أحيانا وتباينت أخرى، مما ساعدنا على تقديم رؤية دقيقة للبحث العنواني في السورة القرآنية.

وفي المبحث التالي من الفصل نفسه كانت لنا وقفة مع ــ"بنية العناوين في القرآن الكريم ومجالاتها الدلالية" حيث وقفت الدراسة عند أنماط العناوين عند الدّارسين المحدثين مقدمة نقدا موضوعيا لها مع إثبات عدم دقّتها في التقسيمات المقدّمة، واقترحت الباحثة حينئذ تصورا جديدا في تصنيف عناوين السور، حيث تم تقسيمها إلى أنماط وهي (أسماء الأعلام، الكون والطّبيعة، الأزمنة والمواقيت، الفواكه والأطعمة، حقل الرفوف المقطعة، حقل الأمكنة، حقل الجماعات والأقوام، حقل الأفعال، العبادات، خلق الإنسان، حقل المعاملات السياسية، حقل الملائكة، المعادن، الكتب السماوية، أوصاف الرسل ومعجزاتهم، وحقل المعاملات والأخلاق والأحكام، وحقل أدوات الكتابة) والغاية في ذلك تقديم دراسة تكون أكثر عمقا في مجال التحليل اللغوي لهذه العناوين.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى المبحث الموالي من هذا الفصل، وقد عنون بـــ"نظام العناوين في القرآن الكريم (علاقاتها الدلالية، وظائفها، وأبنيتها) ، وقد وقفت من خلاله على العلاقات الدلالية التي مثلت وسيلة من وسائل الرّبط النّصية التي تصنع شبكة من العلاقات التواصلية بين العناوين فذكرنا الترادف، والتقابل، والتضاد، والاشتمال والاشتراك مع تقديم أمثلة لكل منها، وفي الطرف الثاني من هذا المبحث تطرقت إلى وظائف العناوين وتشكيلها البنائي، حيث وقفت عند الوظيفة التعيينية

بوجه خاص، لأنّها تفرّق بين هذه العناوين داخل السور، وكذا الوظيفة الإبلاغية من حيث درجة التأثير التي تؤديها عناوين السور، لنقف أخيرا عند التشكيل الخارجي لها، فوجدناه يتسم بالبساطة، فهي مكوّنة من كلمة واحدة، كما اتّسمت بتنوع صنعها، وتنوعها بين الإفراد والجمع، وكذا التعريف والتّنكير.

وانتقل بي المقام بعد ذلك إلى الفصل الثالث، الحلقة المهمة في تشكيل هذه الدراسة، حيث وسمناه بـــ"الاعتراض في الخطاب القرآني –البنية والدلالية" في المبحث الأول منه تطرقت إلى أنماط الجمل الاعتراضية في القرآن الكريم، وقد وجدتها تنقسم إلى قسمين الجمل المصدّرة باسم والجمل المصدّرة بالفعل، ولكل منها أقسام تخصه، وأما في المبحث الثاني فقد تطرقت إلى المدارات الدلالية لهذه الجمل المعترضة في القرآن الكريم، من ذلك مدار الحجاج، مدار الإخبار، مدار التّوبيخ، مدار التنزيه، التعظيم، الاختصاص، والتحذير والتفسير والشرح، التوكيد.

أما الفصل الرّابع من الدراسة، فقد خصّصته للفواصل القرآنية، وهو يحمل عنوان "البنية اللغوية للفواصل القرآنية"، وقد قسمته إلى أربعة مباحث، في الأول منها وقفت عند البنية الصوتية للفواصل القرآنية من خلال قراءة في التحولات الدّلالية من خلال التشكيل الإيقاعي والنبري، والمقطعي، والتنغيمي، حيث حاولت تحديد الدلالات التابعة لهذه الأنظمة الفونولوجية.

وخصّصت الدراسة في المبحث الثاني من هذا الفصل للبنية الصرّفية، وقد قدّمت من خلالها صورة تقريبية للأبنية المشكّلة للفواصل القرآنية الموزعة في النّص القرآني، وهذا من خلال تتبّع مسار الفواصل الاسمية التي تضم المصادر، والمشتقات وأسماء الجموع وأسماء الأعلام، وكذا الفواصل الفعلية، سواء أكانت مضارعية أم ماضوية أم أمرية، أقف في الأخير مع الفواصل الحرفية، وقد وجدتها دائما تتصدّر بحرف جر.

ولتتبع تحولات الحركة الإعرابية والموقع الإعرابي للفواصل القرآنية وقفت مع المبحث الثالث من هذا الفصل الذي خصّ بالبحث في البنية التركيبية للفاصلة

فعرضنا إلى التغييرات التي تعتري الفواصل مع تبدّل الحركة، بحسب تأثرها بما يسبقها أو يلحقها وعلاقة ذلك بالجانب الدلالي، كما وقفنا عند الموقع الإعرابي لها، وانتقالها من موقع الحال إلى موقع الجملة الخبرية، أو المفعول به أو تلك الواقعة صفة، مع تقديم نماذج تحليلية مصاحبة لآيات قرآنية، كما تطرقنا إلى بعض الظواهر التركيبية مثل الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير وتأثير ذلك على دلالاتها.

ونظرا لأهمية التحليل الدّلالي في هذا الفصل، فقد جعلته آخر المباحث ووسمته بـــ"البنية الدّلالية للفاصلة القرآنية قراءة في الانتشار الدّلالي"، فوقفت عند جملة من الحقول الدّلالية، من ذلك الحواس (السمع، البصر، الذوق)، وحقل العقل والأفعال المعبّرة عنه هي (علم، عقل، فقه، ذكر، فكر)، حقل الحركة (جمع، سرح)، وغيرها من الحقول التي دلّت على الأوضاع (كركع، سجد، استوى)، أو الدلالية على الحالات مثل الشكر، الحزن، الفرح وهذا ضمن جداول إحصائية توضيحية، تعقبها تحليلات ومناقشات.

واختتم هذا البحث بالفصل الخامس المعنون بـــ"التشكيل النّصي للخطاب القرآني– قراءة في العلاقات النّصية"، وفيه حاولت استنطاق طبيعة العلاقات القائمة بين المثلث النّصي المدروس في الفصول السابقة، لهذا قسمته إلى ثلاثة مباحث؛ الأول منها حول عتبة العنوان والاعتراض التواصل والتّصادم، وثانيها علاقة العنوان بالفاصلة القرآنية الإيقاع والدلالة، ثم علاقة الاعتراض بالفاصلة.

و بعد هذا الطواف ذُيّل البحث أخيرا بخاتمة تضمنت النتائج المتوصّل إليها، وفيها من النتائج العامة والنتائج الخاصّة ما يجعل هذه الدراسة تنفتح على بحث جديد مولّدا لإشكالات لغوية سيحمل مشعلها الجيل القادم بإذن الله.

وبعد هذا لن أتحدّث الصّعوبات التي اعترضت طريقي، فبالعكس فإنّي أحمد المولى ﷻ الذي فتح عليّ برحلة علمية نحو المملكة المغربية لمدة سنة ضمن تربص طويل المدى، فاهتدى فكري لكثير من الثغرات التي كنت أحسبها كمالا، ورحلة أخرى إلى الأردن، حيث اطّلعت على رصيد علمي كبير في مكتبات المملكة، وكذا

استفادتي ولو قليلا من معين بعض الدراسات بمصر الشقيقة، وقد كانت لي كل هذه الاتصالات العلمية خارج الوطن إضاءة قوية لاستكمال جزئيات البحث.

إذن –وفي ضوء هذه الرّحلات العلمية– تسنّى لي الاطلاع على مادة علمية غزيرة في مجال البحث اللّساني عموما، وبالأخص في الدراسات القرآنية بكل توجهاتها، وكذلك ما حوته مكتباتنا الوطنية الجزائرية من دراسات دقيقة ورصينة، ومنه فقد كانت كثرة المصادر والمراجع بحرا جذبتني أمواجه، حيث زاد عبء مسؤوليتي في استيعاب كل جزئيات هذه الدراسات، سواء منها ما كان قديما أم تلك الدراسات المعاصرة في مجال البحوث النّصيّة خاصّة، ممّا صعّب عليّ وضع نقطة النّهاية؛ لأنّ البحث كان يتسع مع اتّساعها، وكان قلمي كالنّار التي تقول هل من مزيد؟ وكنت في ذلك لا أدّخر من هذه المصادر والمراجع جهدا في الفهم والاستيعاب والتعليق والتحليل، وبذلك جهودا مضنية قصد الأخذ عن أهمها وأقربها إلى موضوع الدّراسة.

وبعد، فإنّني لا أدّعي الكمال في هذا العمل المتواضع، إذ الكمال لله وحده عزّ وجل، فما كان فيه من صواب فهو لله، وما كان فيه من نقص فمردّه إليّ، وحسبي أنّي فخورة ببذل هذا الجهد جهادا في سبيل الله.

ولأنّ هذه الدّراسة قد أخذت من العمر سبع سنوات ، وهي قليلة في حرف من حروف القرآن الكريم فما بالكم بكلّ القرآن، فإنّي سائلة المولى عزّ وجل أن يأجرني وأستاذيَّ الفاضلين على القواعد العلمية التي أرسيت فيها ؛ حيث إني أتقدم بخالص الشّكر وعظيم الامتنان إلى مشرفتي المحترمة الأستاذة الدكتورة **"يمينة بن مالك "** على البذور العلمية الطيبة التي زرعتها بداخلي فأثمرت هذا العمل بما حظي به بحثي من إشراف كريم، وصبر جميل، وتوجيه مفيد، ونصح شديد حتى أينعت الثمرة.. وإلى مشرفي المساعد الأستاذ الدكتور **"محمد لهلال"** من المغرب الشقيق ،الذي منحني من علمه، وسديد رأيه، ودقة ملحوظه ما جعل الصّعب سهلا في غربتي، والبعيد قريبا بإرشاداته وتحفيزه. فجزاهما الله عنّي الجنّة، احتراما

وتقديرا.

كما أشكر اللّجنة العلمية المكوّنة من خيرة الأساتذة الذين سيقوّمون هنّات هذه الدّراسة ويعملون على إثرائها بملاحظاتهم وأفكارهم النّيّرة، التي سأتّخذها عنوانا لاستكمال طريقي العلمي إن شاء الله.

ومسك الختام،

لاَ تَعْجَبَنْ لرأسٍ كيفَ شَابَ أسًى   واعْجَبْ لأسودِ عيني كيفَ لَمْ يَشِبِ

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب فَهْما، وإدراكاً، أصِلُ بهما إلى مزيد من العلم والعلم، إنّه سبحانه نعم المولى ونعم النّصير، والحمد لله رب العالمين.

بقلم: شهرزاد بن يونس

في يوم قسنطينيّ ربيعيّ خريفي



إضاءات نظرية حول مصطلحات الأطروحة

مدخل

يعدّ البحث في البنية اللّغوية للقرآن الكريم من الموضوعات التي تناولتها الأقلام من زوايا متعدّدة عند القدماء من الدّارسين وعند المحدثين منهم، حيث راح كل مهتم بالخطاب القرآني يدلو دلوه في الخصائص اللّغوية لهذا النّص المتميّز، الذي كلّما توغّلنا في أعماقه كلّما زاد خفاء بنائه الكامل، وكلّما أثار مناهج متعددة تبحث في أساليب بيانه وتعبيره .

لقد علقت أفئدة المفسّرين والنّحويين والبلاغيين وغيرهم من الدّارسين بما جمع من روعة البيان في كل سياقاته، لهذا انشغلوا به كل من ناحية اهتمامه؛ فالمفسرون يتّبعون الألفاظ العربية والمعرّبة بالاستقصاء لتحديد الغريبة منها وغير الغريبة لأجل استجلاء دلالاتها، والنحويون يستقصون وجه الإعراب لآياته وكلماته، والبلاغيون يتتبعون بيانه وبديعه، ورجال الفكر يلتقطون ما فيه من إشارات فكرية ويحوّلون نتائجهم إلى مبادئ، ونظريات. وقد جاءت جميع هذه الدراسات لخدمة الإعجاز القرآني.

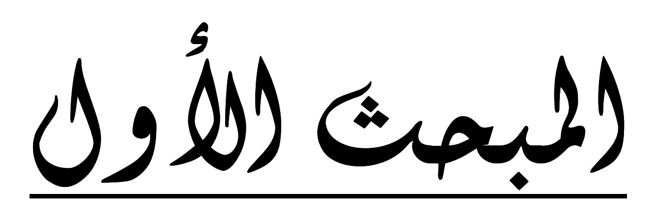
دراستنا هذه، ليست بعيدة عن الهدف العام، وهو البحث في خصائص البنية اللّغوية للنّص القرآني من خلال التّعرف على كلّ جوانبها، وعلاقة هذه الجوانب بعضها ببعض ولكن خلافا لكلّ تلك الاجتهادات قديمها وحديثها، أردنا في هذا البحث أن نؤسّس لنظرية لغوية قرآنية بعد أن أدركنا عجيب نظمه، وصلة ذلك بالمعنى، فاتّجه البحث بذلك نحو التنقيب عن مواطن التميّز في المبنى والمعنى .

وقد خصّصنا هذا الفصل الأول للشّق النظري، بالوقوف على التّحديد الدّقيق للمصطلحات قيد الدّراسة وهي (العنوان، والاعتراض، والفاصلة القرآنية)، وهذا حتى يكون للقارئ رافدا لفهم الدّراسة الإجرائية التي حوتها بقية فصول الأطروحة، وقد اقتضت المنهجية أن نقف أولا عند العنوان–وهو النّص الثّابت في القرآن الكريم– حيث تساءلنا عن مفهومه وعن المصطلحات المقاربة له، لنتمثّل تلك الفروق الدّقيقة القائمة بين اسم السورة والعنوان، وما سبب اختيارنا للمصطلح الثاني دون الأوّل، وما علاقته

بالاستهلال والنّص، ثم ماهي أنواعه ووظائفه؟

ولأجل المقاربة الموضوعية لتشكيل البنية اللّغوية للخطاب القرآني سنقف أيضا عند النّص الاعتراضي، باعتباره نصّا متحرّكا دلاليا، حيث سنتحدّث عن مفهوم الاعتراض لغة واصطلاحا، وعن أقسامه وعن المصطلحات التي تلتبس معه.

أمّا النّص الفاصليّ فالتعرّف عليه سيكون من خلال الإجابة عن جملة من الإشكاليات أهمها: كيف عُرِّفت الفاصلة القرآنية عند القدماء والمحدثين وماهي أقسامها؟ وما الفرق بينها وبين السّجع، والقافية، والتّعقيب؟ والغاية من هذه المقاربة النّظرية هو ضبط المصطلحات والمفاهيم ضبطا دقيقا كي يتيسّر للقارئ فهم الجوانب التّطبيقية من الأطروحة التي أخذت حيّز ثمانين 80 بالمائة من مجموع الدّراسة.



العنوان مفهومه وعلاقته بالمصطلحات

أولا-مفهوم العنوان لغة واصطلاحا

1-المفهوم اللّغوي:

شهدت المعاجم اللغوية قديمها وحديثها تعريفات كثيرة لكلمة "العنوان"، باعتباره عتبة نصّية كتابية لها أهميّتها في الدّراسات اللّغوية والأدبية على السواء، وقد تباينت دلالات الكلمة بحسب أصولها الاشتقاقية.

إن القارئ لمعجم العين يجد "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"(ت 175هـ) ضابطا لمادة الأصل على الشّكل الآتي: (عَنَوَ) بمعنى الإذلال والخضوع إذ يقول: «العاني أقرَّ بالعُنُوِّ والعناء وهما مصدران»[1] ثم يدلّل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[2]. فالشّاهد في الآية الكريمة هو الفعل(عنت) بمعنى خضعت النفوس لأوامر المولى عزّ وجل والتزمت بها، ويبدو أنّ الخليل لم يكتف بمادة اشتقاقية واحدة بل زاد عليها أصولا أخرى عندما قال: «والعنوان: عنوان الكتاب، وفيه ثلاث لغات: عَنْوَنْتُ، وعَنَنْتُ، وعيَّنْتُ، وعنوان الكتاب مشتق من المعنى، يقال»[3].إنّه باستقرائنا لهذه الأمثلة الواردة يمكننا الإشارة إلى أصول أخرى منها (ع ن و)،(ع ن ن)،(ع ي ن)، وهي جميعها تمثّل أصلا اشتقاقيا في لهجات عربية مختلفة.

كما يُلاحظ أنّ الخليل لم يضبط المصطلح بشكل دقيق، وهذا لأنّه اختتم مقولته بـــ (يقال)،مما يجعلنا نحكم عليه بعدم التّثبّت، كما يبدو أنّ مصطلح (العنوان) بالنّسبة إليه لا يُحتاج في تحديد مفهومه إلى مناقشة، فهو متداول للاستعمال معروف «كالاسم للشّيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدلّ به عليه، يحمل وسم كتابه... علامة ليست من الكتاب جعلت له، لكي تدل عليه...» [4]،و هذا يعني أنّ العنوان كان

---

[1]–الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبــراهيم الســامرائي، مؤسســة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988،ج2، ص252.

[2]– سورة طه، الآية: 111.

[3]– الفراهيدي :المصدر نفسه، ص253.

[4]–محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص15.

طرفا مهمّا في الإحالة على الكتب قديما، إذ يمثّل الوسيط الرّابط بين مؤلّف الكتاب وبين القارئ، فهو يعمل على تفعيل العلاقات الكائنة والممكنة بينهما، وييسّر عملية الاتّصال، فالعرب كانت تسمّي المنتوج الفكري، والأدبي، واللّغوي بما يَسِمُه من عناوين، فــ"الكشّاف" منسوب إلى صاحبه الزمخشري، وكتاب "الكامل" ينسب للمبرّد، و"الكتاب" لسيبويه، والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

و في مادة (عَنِيَ) يقول: «عناني الأمر يعنيني عناية فأنا مَعْنِيٌّ به، واعتنيتُ بأمره، وعَنتِ الأمورُ واعتَنَّتْ، أي نزلت ووقعت»[1] للدّلالة على العناية والاهتمام بالشّيء، أو بدلالة وقوع الحادثة وحصولها.

وليس بعيدا عن الأصلين (عَنَوَ) و(عَنِيَ) اللّذين تقدّم بهما "الخليل" في تحليله المعجمي، نجد **ابن دريد** (ت 321هــ) يركّز على المادة الاشتقاقية الأولى إذ يقول: «العَنْوُ والعُنُوُّ: مصدر عنَا يعْنُو عَنْوًا وعُنُوًّا، إذا ذلَّ؛ ومنه اشتقاق العنوة»[2] وخلافا للغات التي أدرجها الخليل يزيد عليها مرادفات أخرى في قوله: «وعَنْوَنْتُ الكتاب عُنْوَانا؛ وفي العنوان أربع لغات: يقال عَنْوَنْتُ الكتاب وعَلْوَنْتُهُ وعنَّنْتُهُ وعَلْيَنْتُهُ؛ ولم يعرف الأصمعي إلا واحدة»[3]،و هذه الاستعمالات جميعها تدخل في باب التّعدّد اللّهجي الذي كان شائعا آنذاك.

و نجد أنّ هذه الدّلالات المعجمية تزداد اتّساعا مع مفهوم "**ابن فارس**" (ت 395هــ) الذي يربط كلّ حرف من حروف الأصل بدلالة مختلفة عن نظيراتها في المادّة نفسها، دليل ذلك ما أورده في كتابه "المقاييس" في بابه المسمى (العين والنون وما يثلثهما) مُرجعا الأصل إلى مادة (عَنَى) وهذا في قوله: «العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دالٌّ على

---

[1]-الفراهيدي: المصدر السابق، ج2، ص253.

[2]-ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكــي، دار الملايــين، بيــروت، ط1، 1987، ص954-955.

[3]-المصدر نفسه، ج2، ص955.

خضوع وذُلٍّ، والثالث ظهور شيء وبروزه»[1]، حيث ينسب دلالة الكلمة إلى معاني اختلافية لا تزيد عن ثلاثة هي: القصد، والخضوع، والظهور والبروز، ويبدو أنّ الدلالة الأخيرة هي الأكثر قربا من مفهوم العنوان لأنّ من خصائصه بروزه في أعلى الكتاب أو النّص، بالإضافة إلى القصد الذي يتّصل بالمؤلّف، وغايته من اختيار هذا العنوان دون غيره.

وتتوزع الدّلالات بحسب الأصل اللّغوي الذي تنتمي إليه كلمة (عنوان)، وهذا ما أدلّنا عليه قوله أيضا في موضع آخر: «فالأول منه عَنَيْتُ بالأمر وبالحاجة... والأصل الثاني قولهم: عنا يعنُو، إذا خضع. والأسير عانٍ»[2]، فالأصل الذي اشتقت منهما هاتين الصّيغتين فيه تباين؛ إذ إن الأولى منهما مرتبطة بالأصل (ع ن ى) في حين ارتبطت الثانية بالمادّة اللغوية (ع ن و).

أما أصل اشتقاق كلمة (عنوان) فلم يوضحه ابن فارس في قوله: «والأصل الثالث: عُنْيانُ الكتاب، وعُنْوَانُهُنَّ وعُنْيَانُهُ، وتفسيره عندنا أنه البارز منه إذا خُتم»[3] وقد عبّر عن دلالة المصطلح بالظهور والبروز، وهو ليس الكلام ذاته الذي ذكره في كتابه "مجمل اللغة" قائلا: «عنا يعنو، إذا خضَع والعاني: الأسير(...) وعنوان الكتاب معروف، وعنَتِ الأرْضُ بنبَاتٍ حَسَنٍ، إذا أَنْبَتَتْ نَبَاتاً حَسَنا»[4].هذا يعني أنّ آراء ابن فارس كانت متضاربة في ضبط الأصل الاشتقاقيّ.

وتحتلّ المادّة اللّغوية (ع ن و) مكانة خاصّة في التّحليل الدّلالي لها عند **الفيروزآبادي** (ت 817 هــ) الذي أشار إلى أنّها تدلّ على معنيين؛ الأوّل منهما هو الخضوع في قوله:

---

[1]–ابن فارس، أبو الحسن أحمد: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج4، ص146.

[2]–المصدر نفسه، ج4، ص146.

[3]–المصدر نفسه، ج4، ص148.

[4]–ابن فارس، أبو الحسن أحمد: مجمل اللغة، تح: زهير عبد الحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986، ج3، ص630.

«عَنَوْتُ فيهم عُنُوّاً وعَناء : صرت أسيرا»[1]، أمّا الدلالة الثّانية فهي القاسم المشترك مع "ابن فارس" وهي الإبداء والظهور، ويتجلّى لنا من خلال قوله: «عَنَوْت الشّيء أبديته»[2]، ويقول في موقف آخر: «العُنْيَانُ: العُنْوَان. وقد أَعْنَاه وعَنّاه وعَنّنه»[3] عندما يحيلنا من خلال شروحاته على أشهر اللّغات المعروفة لمصطلح (العنوان)،ولكنّها أقلّ انتشارا.

أما **ابن منظور**(ت 711هـ) فلم يبتعد عن الدّلالات التي قدّمها الدّارسون قبله، فقد أرجع الأصل إلى مادّتين مختلفتين؛ أولاهما هي: (عَنَا) إذ يقول: «عَنْوَنْتُ للحقّ عُنُوًّا؛ خَضَعْتُ»[4]، فكلُّ من ذلّ واستكان فقد عَنَا، والدّلالة الثّانية هي الظهور، يقال: «عَنَت الأرض بالنّبات تَعْنُو عُنُوًّا وتعني أيضا وأَعْنَتْه: أَظْهَرَتْه»[5]، وهذا يخالف ما أقرّ به محمد فكري الجزار[6]، الذي رأى بأن ابن منظور ذكر (عَنَا) بأنها تحيل على معاني (القصد والإرادة) وهذا ما لم نجد له أثرا في اللسان.

والمادّة الثانية هي (ع ن ن) التي جاءت بمعنيين: الظهور والاعتراض، في قوله: «عنَّ الشَّيءُ يَعِنُّ ويَعُنُّ عنَناً وعُنُوناً: ظهر أمامك؛ وعَنَّ يعِنُّ عَنّاً وعُنُونًا واعْتَنَّ: اعترض وعَرَض»[7]. كما جعل من جهة ثانية لفظة العنوان مشتقة من المادّة اللّغوية (ع ن ن) وأشار إلى أنّ أصلها (عُنّانٌ) فلمّا كثرت النّونات قلبت إحداهما ياء، ومنه تجيء (عَنَّنَهُ) بمعنى (عَنْوَنَهُ) حيث يقول: «عنَنْتُ الكتاب وأَعْنَنْتُهُ لكذا، أي عَرَّضْته له

---

[1]–الفيروزآبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999 م، ج 4، ص415.

[2]–المصدر نفسه، ج4، ص 415.

[3]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]–ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تح: عبد اللّه علي الكبير، محمد أحمد حسب اللّه، هاشم محمد الشّاذلي، ج4، ص3144.

[5]–ابن منظور: المصدر نفسه، ج4، ص 3145– 3146.

[6]– ينظر: محمد فكري الجزار: المرجع السابق، ص16.

[7]–ابن منظور: المصدر السابق، ج4، ص3139.

وصرَفْته إليه»[1] ونراه في موطن آخر يرى أنّ مصطلح العنوان مشتق من المعنى فيقول: «وعُنْوَانُ الكتاب: مشتق فيما ذكروا من المعنى؛ وفيه لغات: عَنْوَنْتُ وعَنَّنْتُ عَنَّيْتُ وقال الأخْفش: عَنْوَنْتُ الكتاب، واعْنُهُ؛ وأنشد يونس:

فَطِنِ الكتابَ إذا أردْتَ جَوابَه *** واعْنُ الكتابَ لكَيْ يُسَرَّ ويُكْتَمَا

قال يعقوب: وسمعتُ من يقول أَطِنْ وأَعِنْ أي عَنْوِنْهُ واخْتِمْهُ»[2] .

فالشّاهد هنا هو (واعْنُ) أي ضع له عنوانا، وهو شبيه بــ(أَطِن) كلاهما تعني عنونه واخْتِمه. وأشار "ابن سيدة" بحسب ما أورده "ابن منظور" إلى أنّ من معانيه أيضا السّمة والأثر؛ فنقول عنونه أي وسمه بالعنوان، وفي جبهته عُنوانٌ من كثرة السّجود أي أثرٌ[3]، وهذا تناسب مع دلالة الظّهور والبروز المشار إليها سابقا.

وفي قراءة متمعّنة لما جاءت به دراسات المحدثين لتحديد الأصل الاشتقاقي لمصطلح "العنوان" يجد القارئ في "المعجم الوسيط" تأصيلا اشتقاقيا من مادة (عَنَّنَ) بتشديد عين الفعل، من ذلك ما ورد في النّص الآتي :«عَنَّنَ الكتاب: كتب عُنْوَانه. وعَنَّنَت المرأة شعرها: شَكَّلَتْ بعضه ببعض»[4] ؛ أي جعلته على شكل ضفيرة، وهذا يحيلنا على معنى الاتّصال والتّرابط المحكم، لأن (العنوان) هو آخر ما يكتب وهو حصيلة ترابط واتصال الجمل بعضها ببعض لبناء أفكار النص المترابطة أيضا.

و أمّا المادة الثانية التي اشتق منها العنوان، فترجع إلى الرباعي (عَنْوَنَ) وقد جاء في قول المجمع اللّغوي: «عَنْوَنَ الكِتَابَ عنْوَنَة، وعِنْوَانًا: كَتَبَ عُنْوَانُهُ (...) العِنوان: ما يُستدلّ به على غيره، ومنه: عِنْوَانُ الكتاب...» [5]. يؤكّد هذا التّحديد على

---

[1]– ابن منظور:المصدر السابق، مادّة (ع ن ن)، ص 3142.

[2]–المصدر نفسه، ج4، ص3147.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص 3147.

[4]– مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف خلف الله أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973، ص632.

[5]– المرجع نفسه، ص633.

الصّورة الخطّية لوضع العناوين من جهة، وعلى الاستدلال على النّص والتّعريف بمضمونه من جهة ثانية، لأنّ القارئ لن يفهم النص دون عنوان.

ثم نرى أصحاب هذا المعجم يتوسعون في إدراج الأصول الأخرى، ثم تبويبها وفق دلالتها المرتبطة بالأصل؛ (فعَناَ) يَعْنُو عُنُوًّا جاءت بمعنى الخضوع، أما (عَنَى) فبمعنى الظهور والقصد، يقال: «(عَنَى) به الأمر – عَنْيًا: نزل، وعَنَى الشيء: أبداه وأظهره. وعنى بالقول كذا، عَنْيًا، وعناية: أراده وقصده»[1] . أما مادة (عَنِيَ) فربطوها بالألم والمعاناة حين يقولون: «(عَنِيَ) عنًا، وعناءً: تعب وأصابته مشقَّةٌ. وعَنِيَ الرَّجُلُ: وقع في الأسْرِ. فهوَ عانٍ»[2]، بمعنى مأسور.

أمّا في الموسوعة الفرنسية "Larousse " فقد ورد تعريف العنوان (Titre) كالآتي: «هو تسجيل لبداية كتاب، أو كتابة ما، أو لتقسيمات هذا الكتاب، أو هذه الكتابة وهو يعيننا على معرفة الموضوع...» [3]، فالعنوان هو فاتحة النّص ودليله إلى المعنى، يتميّز بظهوره في أعلى الكتاب أو النّص، يتصل دائما بالموضوع الذي يحيل عليه.

وليس بعيدا عن هذا التّعريف، حُدّدت عتبة العنوان بأنّها تعبير يجسّد ويصوّر موضوعا في كتاب، كما جاء في " Le petit robert " كالآتي: «هو الاسم الذي يُعرَف به مؤَلَّف أدبي عن طريق مؤلِّفه، ويحمل على الأقلّ مضمونه بدقّة»[4]، وقد ارتبط بالنّصوص الأدبية التي يعرف بها أصحابها، كما قد يدلّ على اللّقب الشّرفي الذي يوسم به أحد الأفراد.

و جاء "العنوان" بمعنى الدّليل على الشيء، وعلامته المميزة، والصورة العاكسة لمضمونه، باعتباره شكلا من أشكال الإحالة كما في التعريف الآتي: «عنوان الكتاب:

---

[1]– مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ص633.

[2]–المرجع نفسه، ص633.

[3]-Grand larousse ensyclopédique (s-z), tone discieme, librairies larousse, paris, 1964.

[4]-Le petit nouveau robert : dictionnaire alphabétique et analogique de la langue francaise paul robert.edition 2009. P : 2564.

سمته وديباجته، وعنوان كل شيء: هو ما دلّك من ظاهره على باطنه»[1]. استنادا إلى ما سبق ذكره، تُظهر هذه المقولة أهمّية التّسمية في التّعريف بالنّصّ المسمّى وتجميله، مع تبيين صورة التناسب الدّلالي الذي يكون بين العنوان والنّص، وعليه تؤكّد على أهمية الرابط الوثيق بينهما؛ فالعنوان ينفصل عن نصّه خطّيا ولكنّه يتصل به دلاليا.

2/<u>المفهوم الاصطلاحي للعنوان</u>

أ/ <u>عند الدّارسين المحدثين</u>

مثّل "العنوان" أحد أهم العتبات المدروسة في علم العنونة (La Titrologie)، هذا العلم الذي أوْلى عناية خاصة للعناوين والخطابات المقدّماتية والبدايات التي يُفتتح بها، ومن ثمّة أصبح العنوان- بما يحتلّه من موقع نصّي- جذّابا وموضوعا مهمّا في مجالات متعدّدة أشهرها نظريات القراءة، وسميائيات النص، وجماليات التّلقي، وتنبّه إليه الباحثون في مجال علم السرد، والمنطق فأحاطوه بالعناية الفائقة.

لقد كان تأسيس هذا العلم على يد باحثين غربيين معاصرين، ساروا على درب تحليل العناوين وما صاحبها، نقف على رأس القائمة مع "**جيرار جنيت**" (Gérard Genette) الذي قال أنّ المقدّمات والعناوين والهوامش والإهداءات من النّصوص الموازية (Paratextes) التي ترافق النّص الأصلي، وتحيلنا عليه، وقد أفرد ما يقارب الخمسين صفحة للعناوين وحدها مناقشا أنواعها ووظائفها[2]، وهي دراسة منهجية دقيقة في أغلب مناحيها استثمرها الدارسون بعده، وأخذوا عنها أشهر المبادئ في بناء نظرياتهم حول العنونة.

ولأنّ "العنوان" عتبة قرائية مهمّة في الدّرس الحديث، فقد عرفت اهتماما كبيرا من طرف الأب الرّوحي لهذا العلم وهو " **ليو هوك**" (Leo-Hock) الذي يعرّف العنوان بقوله: «مجموعة من الدلائل اللسانية (...) يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل

---

[1]– إنعام فوّال عكّاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996، ص608.

[2] -Gérard genette: Seuils, Editions du Seuil : Paris ,1987, p54-97 .

تعيينه والإشارة إلى مضمونه الإجمالي ومن أجل جذب الجمهور المقصود»[1] ليقف من خلال تعريفه هذا عند الوظيفة التّأثيرية للعناوين باعتبار هذه الأخيرة من المكوّنات الاستراتيجية في الخطابات، التي تدخل في حوار مع المتلقّي فتتأتّى بذلك استجابته للقراءة والحوار الفكري المعرفي.

كما نجده قد انكبّ على الدّراسة التّفصيلية للعناوين في مستوياتها التركيبية المختلفة، مستقصيا العلاقات الجليّة الموجودة بين رموز العنوان، و"التّيمات" (thèmes) التي يحيل عليها[2]، كما حاول في دراسته التّطبيقية استقراء أنماط العناوين، فهي إما عناوين ذات ميسم مكاني، أو ذات ملمح زماني، أو عناوين ذات وظيفة ميتا تخييلية، قاصدا بها«العناوين التي تحدد نوع النّص المقروء»[3]، فالعنوان يمارس سلطة خاصة على القارئ وهنا تكمن أهميته في المساعدة على فك رموز النّص وغموضه كلّما استجاب أكثر إلى النّص الذي سيكون حافلا بدوره بجملة من الخصائص اللّسانية التي تجعله مؤثّرا، ليتحول العنوان بذلك إلى «حدث ثقافي–تواصلي يقع في اللغة وباللغة»[4] له أبعاده الدلالية في التّأثير على المتلقّي من خلال الحمولة اللّسانية والثّقافية التي يتضمنّها.

و انطلاقا من هذه الأهمية التي يحظى بها العنوان، فقد جعلت منه هذه الدّراسات الحديثة «مفتاحا في التّعامل مع النّص في بُعديه الدّلالي والرّمزي»[5] ممّا ييسّر للقارئ عملية تفكيك بنياته الدّلالية والتّركيبية، وذلك من خلال دخوله إلى «"العمل" من بوابة

---

[1]–جميل حمداوي: صورة العنوان في الرواية العربية . ينظر الرّابط الإلكتروني:
www. Diwanalarab.com/ spip.php ?article5406.

[2]–عبد المالك أشهبون: العنوان في الرّواية العربية، ألفا للدراسات والنّشر، ومحاكاة للدراسات والنّشر، دمشق، سورية، ط1، 2011م، ص17.

[3]-Leo Hoek :La marque du titre, Dispositifs sémiotique textuelle, Mouton, Paris, lahay , 1981, p:17 نقلا عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– خالد حسين حسين: في نظرية العنوان–مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، 2007، ص19.

[5]–عبد الرحمن طنكول: خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1978، ص135 نقلا عن : حافيظ اسماعيل علوي، المرجع السابق، ص98.

"العنوان" متأوّلا له، وموظّفا خَلْفِيته المعرفية في استنطاق دَوَالِّه الفقيرة عددا وقواعد تركيب وسياقا، وكثيرا ما كانت دلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه...» [1]. وعليه، فإن العنوان ضرورة من ضرورات النص، لأنّهما متلازمان كالاسم بالنسبة للمسمى «تماما مثل أسماء العلم وأسماء المواضع في علاقاتها بالأشخاص والمواضع التي تعيّنها»[2] وهذا لأن العنوان هو الكلمة التي يستدل بها على النص قبل قراءته. وفي هذا السّياق يقول "جيرار جنيت": «العنوان، معروف، إنّه "اسم" الكتاب، الذي يشترط فيه أن يحدّد بدقّة مضمونه دون تناقض»[3]، مؤكّدا من خلال تعريفه على أنّ خروج العنوان عن مجرى النّص الدّلاليّ يفقده خصوصيته الإحالية على نصّه، ويجعله عنصرا زائدا لا فائدة منه يمكن حذفه، أو تعديله، أو تبديله.

ثمّة تأكيد من خلال التعريفات السّابقة على أن العنوان لا يخرج عن كونه «المفتاح الإجرائي الذي يَمُدّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النّص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة»[4]. فلا يمكن فهم النص دون تدخّل مباشر للعنوان الذي سيحيلنا عليه بقرينة من قرائنه.

إنّ العنوان من خلال المفاهيم السّابقة اعتُبر قطعةً لغويةً مكتملة، له أهميته في فهم سياقات النّصوص لأنّه جزء مكمّل لها، كما اُعتبر نصّا قائما بذاته من شروطه أنّه: «مقطع لغويّ أقلّ من الجملة يمثّل نصّا أو عملا فنيا»[5]، بمعنى أنّه وسيلة من وسائل التّمييز، التي تعيّن النّص وتجعل منه وحدة متمايزة عن غيره من النّصوص.

كما اشتهر في هذا المجال "**شارل غريفال**" (Charles Grivel) الذي انتخب مائتي عنوانا روائيا جعلها موضوعا لدراسته، ثمّ حدّد وظائفها في ثلاث نقاط هي: تسمية

---

(1)–محمد فكري الجزار:المرجع السابق، ص19.

(2)– عبد القادر رحيم: علم العنونة دراسة تطبيقية، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص37–38.

(3)-Gérard Genette .Op.cit, p : 76.

(4)–جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، ***مجلة عالم الفكر***، الكويت، مج25، ع3، مارس 1997، ص90.

(5)–سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ص89.

النّص، وتعيين محتواه، ووضعه في الاعتبار[1]، ليؤكّد على الوظيفة التّواصلية التي يمكن أن تحقّقها العناوين من خلال التّعريف بنصوصها، وتبيين قيمتها، وتحديد مقاصدها.

ونظرا لهذه الأهمية فقد تَوجَّه بعض المُؤسّسين لعلم العَنْونة بدراسات مُعمّقة كما فعل " ليو هوك" «لأنّه قام بدراسة العنونة من منظور مفتوح يستند إلى العمق المنهجي والاطّلاع الكبير على اللّسانيات ونتائج السيموطيقا وتاريخ الكتاب والكتابة فقد رصد العنونة رصدا سيموطيقيا من خلال التّركيز على بُناها ودلالاتها ووظائفها»[2]،فكانت دراسته بذلك قد ركّزت على الجانب السيميائي للعناوين باعتبارها رموزا دالة وُضعت عن قصد، وفي هذا السياق يرى "بسّام قطّوس" أن العنوان نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، القارئ وحده من يقدر على فك هذه الشّفرات الرّامزة[3] وهذا لا يتحقّق إلاّ من خلال الإغراء الذي تمارسه العناوين عليه، فهي لافتة دلالية، ومدخل أَوَّلِيّ لابدّ منه لقراءة تفاصيل النّصوص على اختلافها. وإذا كان هذا حال المؤسّسين الغربيين لهذا العلم فكيف تراه ضبط مفهومه عند الدّارسين العرب؟

ب/ الاسم والعنوان عند الدّارسين العرب القدماء

إنّ رحلتنا في دراسات القدماء تجعلنا نقف عند توظيفهم لمصطلح (الاسم) بديلا عن مصطلح "العنوان"، فقد برزت بعض الاجتهادات الفردية في الإشارة إلى أهمية الأسماء، وتحديد دلالاتها، من هذه المحاولات ما قدّمه **ابن قتيبة** (ت278هــ) الذي عقد بابا في كتابه أدب الكاتب أسماه(باب أسماء أصول النّاس) حيث أعطى أمثلة لدلالات أسماء الناس، ثم صنفها إلى تسميات النبات، وأسماء الطير، والصّفات وغيرها.

فمن المسمّين بأسماء النبات (ثُمَامة) يقول عنه: «واحدة الثُّمام، وهي شجر

---

[1]-ينظر: عبد المالك أشهبون: المرجع السابق، ص18.

[2]-جميل حمداوي: صورة العنوان في الرواية العربية مقال نشر يوليو 2006م. متاح على الموقع الإلكتروني السابق.

[3]- بسام موسى قطّوس: سيمياء العنوان، طبع بدعم من وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، (د.ط)، 2001م، ص33.

ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص»[1]، ومن الأمثلة أيضا الشّخص المسمّى (هَمَسْ) فهو بمعنى القصير وهي صفة، و(جَرير) اسم للذكر بمعنى الحبل يكون في عنق الدّابة أو النّاقة ويكون مصنوعا من أدم، و(الأخْطَل) من الخطل وهو استرخاء الأذن، و(الطِّرْمَاح) بمعنى الطويل، والمرأة تسمّى (الرِّبَاب) أي السّحاب، و(نَوْفَل) بمعنى العطيّة، [2].و الأمثلة كثيرة في هذا الباب.

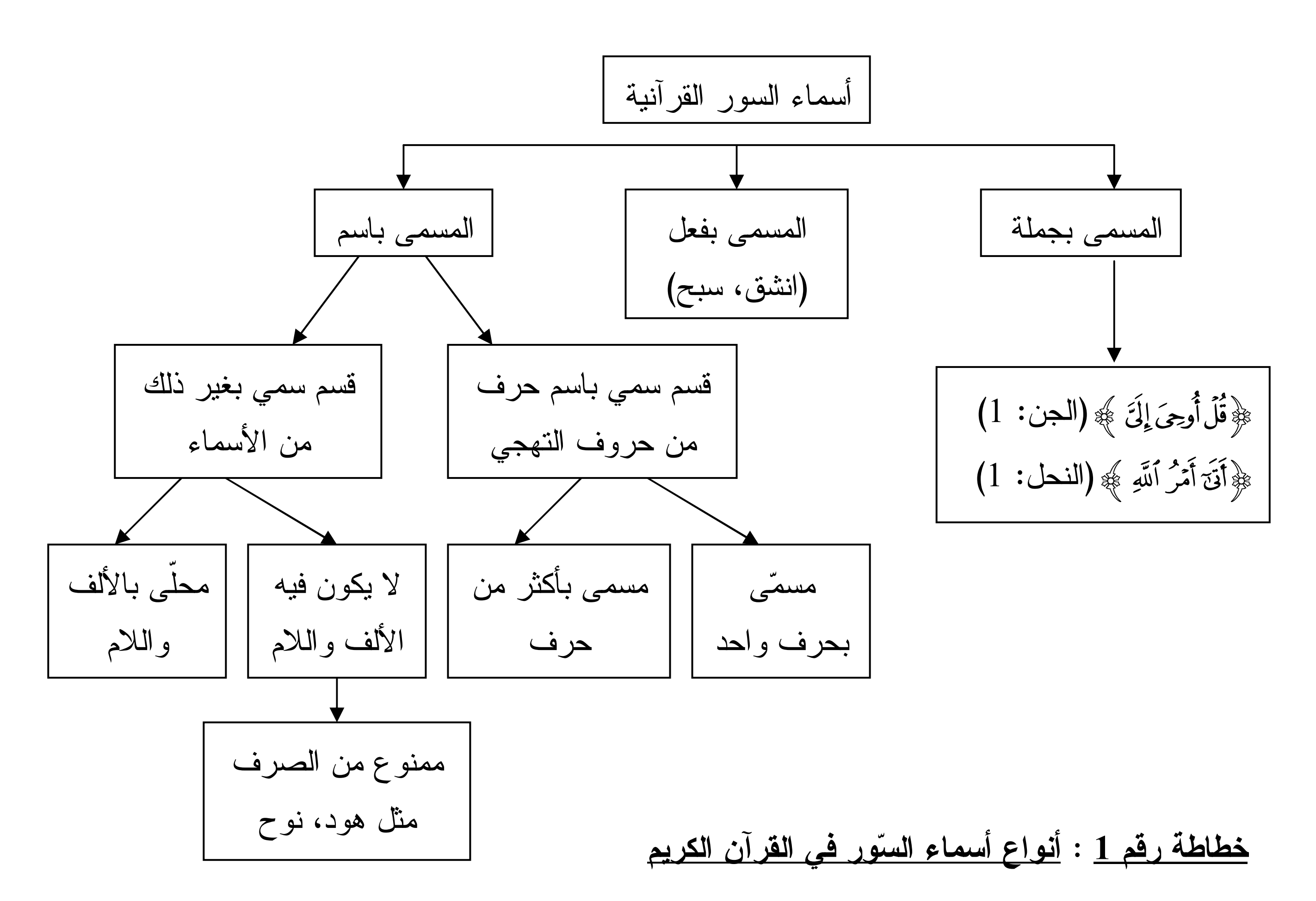
ويشير **ابن عصفور الإشبيلي** (ت669هـ) في شرحه الكبير لجمل الزّجاجي، إلى أسماء القبائل والأحياء والسّور والبلدان، محدّدا أصنافها، حيث يرى أنّ أسماء القبائل إمّا أن تكون منقولة من اسم أب أو أمّ، أو غير منقولة، مثل "مَعْد" و"تميم" في الأول، وسَدُوس وسلُول في النّوع الثّاني. أمّا أسماء الأماكن فتنقسم إلى قسمين: قسم بعلامة تأنيث، وقسم لا علامة فيه، والأهم في هذه الدراسة هو تقسيم السور القرآنية إلى ثلاثة أقسام: قسم مُسمّى بجملة، وقسم مُسمّى بفعل، وقسم مُسَمّى باسم[3]،مركّزا على الوظيفة النّحوية في عملية التّقسيم، ويمكن تلخيص هذا التّقسيم الثلاثي الأخير في الخطاطة الآتية:

---

[1]– ابن قتيبة الدّينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم:أدب الكاتب، شرح وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2009،ص56.

[2]– ينظر: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص57 وما بعدها.

[3]– ينظر: ابن عصفور الإشبيلي: شرح جمل الزّجاجي – الشّرح الكبير، تحقيق وضبط: أنس بريوي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج2، ص 147.



خطاطة رقم 1 : أنواع أسماء السّور في القرآن الكريم

إنّ قراءتنا لهذه الخطاطة تستوقفنا عند تقسيمات دقيقة جدّا لأنواع الأسماء التي عُرفت بها السور القرآنية؛ فالصّنف الأوّل هو المسمّى بجملة، لا يدخله إعراب، ومن خصائصه أنّه يُحكى كما في آيتي الجنّ والنّحل المفتتح بها.

أمّا المسمّى بفعل فقد أخفق ابن عصفور في تحديده؛ وهذا لأنّه أخلط بين عنوان السورة التي تُعرف به في المصحف، وبين اسمها الأكثر شهرة الذي قد يكون عبارة عن وحدات لسانية فعلية مثل (سبّح، انشقّ). كما نراه قد جانب الصّواب عند تفسيره للعناوين التي بُدئت بفعل مثل:(انشق)؛ فالفعل نظر إليه باعتباره اسما لأنّ به ألف الوصل، وهذا تفسير مردود لأنّ الاسم حتى عندما يستفتح بألف الوصل فهو لا يدلّ على الزمن كما هي حال الأفعال.

أمّا المسمّى باسم، فينقسم بدوره إلى قسمين؛ إمّا أن يكون حرفا من حروف

التّهجي، أو اسما ممنوعا من الصّرف، فأمّا الأوّل فنوعان:المسمّى بحرف واحد، والمسمّى بأكثر من حرف، كصاد، وقاف للأوّل منهما و(الم) و(طس) للثاني.

وأمّا النّوع الثّاني فهو المسمّى بغير ذلك من الأسماء، فقد يكون محلّى بالألف واللّام، وقد لا يكون محلّى فيعرف بالممنوع من الصّرف مثل: (يونس، هود، يوسف..)، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ "ابن سيدة" جعل كلمتي (يونس ويوسف) من باب الأسماء التي لا تنصرف، بينما (هود ونوح) فهما قد ينصرفان، وقد لا ينصرفان «فَإِنْ قُدِّرَتْ فيهما الإِضَافة فهما مُنْصَرِفان كقولك هذه هود وقرأت هودا ونظرت في هود لأنّك تريد هذه سورة هود وقَرأتُ سورة هود»[1]. إنّ تقييمنا لهذا التقسيم يجعلنا نسجّل إرباكا في عملية الضّبط، مما ينقص من موضوعية هذا الاجتهاد عدا ما جاء في باب الأسماء.

أما **الفيروزآبادي** (ت 817هـ) فيحدثنا عن وظيفة الأسماء فيقول: «اعلم أنّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، أو كماله في أمر من الأمور. أما ترى أنّ كثرة أسماء الأسد دلّت على كمال قوّته، وكثرةَ أسماء القيامة دلّت على كمال شدّته وصعوبته، وكثرة أسماء الدّاهية دلّت على شدّة نِكايتها. وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلّت على كمال جلال عظمته؛ وكذلك كثرة أسماء النّبي ﷺ دلّت على علوّ رتبته، وسموّ درجته. وكذلك كثرة أسماء القرآن دلّت على شرفه وفضيلته»[2]. هذه إشارة حكيمة من "الفيروزآبادي" إلى أهمّية الاسم ودوره في تعيين مسمّاه، ومن خصائصه أن يكون اسما واحدا لا متعدّدا، أمّا إن تعدّدت الأسماء للمسمّى فهذا من باب المبالغة، أو شرف المسمّى.

ويذكر **جلال الدّين السّيوطي**(ت911هـ) أنّ احتواء القرآن الكريم على أسماء الأشياء

---

[1]–ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النّحوي اللغوي الأندلسي: المخصّص، تقديم خليل إبراهيم جفّال، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996 م، ج5، ص 156.

[2]– الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلميـة، بيروت، لبنان، ج1، ص88.

والملائكة والكُنى والألقاب وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب، هو وجه من وجوه الإعجاز القرآني[1]، كما ذكر لنا تِعْدادا للأسماء الواردة في القرآن الكريم؛ فأسماء الأنبياء خمسة وعشرون اسما، وأما الكُنى فـ(أبو لهب)، ومن أسماء القبائل(يأجوج ومأجوج)، و(عاد وثمود، وقريش، ومدين، والروم)، وأما أسماء الكواكب فهي (الشمس، والقمر، والطارق، والشّعرى).

إن اهتمام العرب القدماء بهذه الأسماء، لَهو من باب أهمّيتها في تعيين مُسمَّياتها، فقد يكون المُسمَّى إنسانا، أو حيوانا، أو شيئا، لهذا يؤتى بالاسم لغرض وصفه أو الرَّفع من قيمته، أو تحقيره، وهذه ظاهرة نجدها في كل اللّغات الإنسانية على اختلافها، فاللّغة «تسلّط استراتيجية التّسمية على المُعطيات الحِسِّية فتتمفصل إلى حقول دلالية متمايزة: موجودات، أحداث، مجردات، علاقات»[2]، حيث يتم تخصيص هذه الفئات غير اللّسانية بفئات لسانية هي علامات لغوية تميّزها عن غيرها، وهذا وفقا لذلك التّمايز الذي نقف عنده في العالم المنظور.

ويقدّم الدّارسون القدماء أيضا بعض الإشارات في هذا الباب منوّهين بأهمّية الافتتاح أو الاستهلال الذي مثّل ديباجة مهمة في فاتحة النصوص بأنواعها وحتّى الكتب والمؤلّفات في شتّى العلوم. لقد انطلقت هذه الرّؤى مع الوعي بأهمية التّصدير، حيث نلمسه على سبيل المثال لا الحصر في "البيان والتّبيين" للجاحظ، وكتاب "الأغاني" للأصفهاني، وقد ظهر حينذاك مصطلح **الصّدر** للتدليل على أول الشيء وبدايته[3].

واستثمر **التّهانوي** (توفي بعد 1158 ه) أهمية العُنوان وخصائصه من خلال قراءاته، وتوصّل إلى أنّ العنوان كلّما كان أكثر إيجازا واختصارا للمعنى ازداد جمالية وفائدة، وقد أطلق عليه مصطلح (السِّمة)،التي عرّفها بقوله: «وهي عنوان الكتاب

---

[1]– ينظر: السيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د.ط)، 1969، ج1، ص 512.

[2]–خالد حسين حسين: المرجع السابق، ص22.

[3]– ينظر: يوسف الإدريسي: عتبات النّص، بحث في التّراث العربي والخطاب النّقدي المعاصر منشورات مقاربات، أسفي، المغرب، ط1، 2008، ص 20 وما بعدها.

ليكون عند الناظر إجمال ما يفصلّه الغرض»[1]. نجد في هذه المقولة إشارة ضمنية إلى أنّ كلّ كتاب يتضمّن فائدة مترتّبة عليه، وهي العلم الموجود به، والغرض الذي وُضع لأجله حتّى لا يكون تحصيله عبثا ومضيعة للجهد والوقت.

وشكّل العنوان أيضا بالإضافة إلى هذه الاهتمامات المختلفة موضوعا مهما في الدّراسات القرآنية، بدءا بالتّفكير في وضع اسم للقرآن الكريم،حيث عندما جمع أبو بكر ﷺ القرآن، قال السيوطي «إنّ ابن مسعود كان أوّل صحابيّ يسمّي القرآن (مُصحفا) بعد أن رفض تسميته بالإنجيل والسِّفر»[2]، وهي تسمية حبشية.

وقد عُرف القرآن بتسميات كثيرة في الكتاب المنزّل على الرّسول ﷺ، حيث وُسم بالكتاب، والفرقان، والتّنزيل، والذّكر، وقد اشتهر بالقرآن «وهو عنوان لم يسبق له مثال في أيّ لغة من اللّغات، إذ لم يرد أيّ نصّ من نصوص الكتب الدّينية السابقة يحمل هذا الاسم الكريم الذي أصبح عنوانا خاصّا بكتاب اللّه عزّ وجل»[3].كما سمّي "المُبين" لأنّه يُظهر الحقّ من الباطل، وذكر "السّيوطي" أنّه سمّي كتابا «لجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه»[4]، وأطلقت عليه تسمية (الكلام) «لأنّه مشتق من (الكَلْم) بمعنى التّأثير»[5]؛ وهذا لأنّه يؤثّر في متلقّيه ويقدّم له معلومات جديدة لم تكن حاضرة في ذهنه، كما أنّه يعلّمه أساليب الكلام البليغ، وطرق بناء وحداته اللّغوية.

أما الاهتمام بعناوين السور وأسمائها فقد كان من القضايا الحسّاسة، التي كرهها

---

[1]–التّهانوي الحنفي، محمد علي بن علي بن محمد : كشّاف اصطلاحات الفنون، وضّح حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، ص 17.

[2]–السيوطي، جلال الدّين : الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، وعناية مصطفى شيخ مصطفى،مؤسّسة الرّسالة ناشرون، ط1، 2011م، ص117.

[3]–محمد عويس: العنوان في الأدب العربي، النّشأة والتّطوّر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1988، ص 85.

[4]–السّيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص 115.

[5]–المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

العلماء، وعارضوها بشدّة في البداية، وهذا لأنّ السور كانت خالية من النّقط والشّكل، ومن أسماء السّور والفواصل في مصحف أبي بكر رضي الله عنه[1]، ثم سرعان ما غيّر العلماء نظرتهم فاستحبّوا عناوين السّور، وأباحوها وأصبحوا يكتبونها بماء الذّهب، ويزخرفونها، وينوّعون في خطوطها، ويلوّنونها[2] ومنذ ذلك الحين لم تفارق تلك العناوين السور القرآنية إلى يومنا هذا، بل أصبحت موضوعاتٍ للنّقاش عند علماء القرآن والمفسّرين، مثل الزّركشي[3] في كتابه "البرهان في علوم القرآن" الذي ضمّنه إشارات وتحليلات في وجه اختصاص كل سورة بما سمّيت به، مقدّما تفسيرات لكلّ تسمية.

وذكر **ابن حِجّة الحمويّ** (ت 837هـ) مصطلح "العنوان" في كتابه «خزانة الأدب» ثم عرّفه قائلا: «هذا النوع، أعني العنوان، هو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذمّ أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص مبالِغة»[4]. يؤشر الحموي من خلال مقولته على تحديد العنوان بأنّه عنصر تكميلي للنّص، فبعد تحديد غرض النص يمكن وضع عنوان يصفه ويعبّر عنه، كما اعتبر أهمية حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، إنّما هي ناتجة عن كونه أول ما يقرع الأسماع، إذ يؤثّر في المتلقي إما سلبا أو إيجابا؛ وهذا لا يكون إلا بالجاذبية التي يستشعرها قارئ العنوان الذي يحيل المتلقي على فهم دقائق الخطاب محتكما في ذلك إلى ذوقه.

2/ <u>العنوان عند الدّارسين العرب المحدثين</u>

بعد هؤلاء الدارسين ننتقل بالدّرس اللّساني إلى الباحثين العرب المحدثين الذين

---

[1]– ينظر: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1965، ص 84-85.

[2]– وقفنا على رؤية نماذج من المصاحف المذهّبة ضمن المخطوطات المحفوظة من القرن الرابع إلى ما بعده، الموجودة بالمكتبة الوطنية بالرّباط بالمملكة المغربية.

[3]– الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، ج1، ص270.

[4]–ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر علي: خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، بيروت، لبنـــان، ط1، 1987، ج2، ص301.

تعرضوا إلى العنوان تحليلا وتصنيفا، منهم **"محمد فكري الجزار"** في كتابه "العنوان وسميوطيقا الاتّصال الأدبي" الذي حدّد ماهية العنوان بقوله: «العنوان – نظرا لاستقلاله الوظيفي- مرسلة كاملة ومستقلّة في إنتاجيتها الدّلالية»[1]،وهذا لأنّ العنوان يتسم باستقلاليته، حيث نلتمس ذلك بغياب العلاقات التركيبية على محور الاختيار، ممّا يؤكّد على انفصال هذه العتبة النّصّية جزئيا عن النّص الذي تحيل عليه.

لقد أشار هذا الكاتب في مؤلّفه السابق الذّكر إلى جوانب نظرية مهمة تتصل بماهية العنوان في المفهومين اللّغوي والاصطلاحي، ثم ميّزه عن النص والتّناص[2]، مع وقفة إجرائية لتحليل بعض العناوين في المقالات الصّحفية الموجّهة بغرض الاتصال الإعلامي الجماهيري، ليصل إلى نتيجة هي تميّز هذه العتبات بأنّها عامّة، وعاجلة وعابرة[3]، وهذا لأنّها عناوين استهلاكية، تختلف عن العناوين الإبداعية كتلك التي تَسِمُ الخطابات الشّعرية أو الخطابات السّردية، التي وقف أيضا على تحليل نماذج منها، دون أن يقدّم تحليلات لعناوين السّور القرآنية.

وهكذا لم يعد العنوان ممثلا كظاهرة نصّية عابرة، بل أصبح عنصرا استراتيجيا من عناصر بناء النّص، فظهرت دراسات كثيرة، أغلبها تطبيقية عالجت العناوين من حيث وظائفها ومكوناتها الدلالية واللسانية، ونذكر على سبيل المثال في هذا المقام، "في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النّصية" للباحث السوري "**خالد حسين حسين**"، حيث قدّم لنا مقاربات لعتبة العنوان في الخطاب الشعري، والدرامي، والسردي.

وكذلك فعل الباحث "**عبد المالك أشهبون**" في دراسته الموسومة بـــ "العنوان في الرّواية العربية" حيث خصّص دراسته لقراءات معمّقة في روايات التّسلية، وطبيعة عناوين السرد التاريخي، والرّواية الرّومانسية، كما عالج فكرة العناوين الموجزة

---

[1]–محمد فكري الجزّار: المرجع السابق، ص 35.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص 15–35.

[3]–ينظر تفصيل ذلك: محمد فكري الجزار: المرجع السابق، 45 وما بعدها.

المختصرة مع نقيضاتها الطويلة في العصر الحديث. ويتتبع الباحث الجزائري **"عبد القادر رحيم"** المنهج السيميائي في معالجة العناوين، لأنّه الأقدر على فكّ الرموز من وجهة نظره، واستنباط الدّلالات، حيث اختار المدوّنات الشعرية لمصطفى محمد الغماري وحلّلها في كتابه "علم العنونة دراسة تطبيقية" ووقف عند بناها الصوتية، والصّرفية والتّركيبية.

إنّ هذه الدراسات جميعها تبحث في بلورة مفهوم "العنوان" وخصائصه وأنواعه باعتباره يقوم بلَمِّ «شتات النص المعبّر عنه ويلخّص كل ما ورد فيه من وقائع وأحداث وما تفاعل فيه من شخوص وأبطال في نطاق الزّمان والمكان أي داخل فضاء معين أو فضاءات مختلفة...» [1]، إنّه من خلال هذه الاستراتيجيات المقدّمة يصبح العنوان سمة كتابية، تتصل بالمكتوب دون المنطوق، ذلك أن المنطوق له من السّمات الخارجية ما يوضّح الرّسالة الشفوية، وهذا ما يفتقد عند الكتابة.

فنحن لسنا بحاجة إلى عناوين على المستوى الشّفوي في حين تبرز أهميتها على المستوى المكتوب مادامت قد اعتبرت دوالا على العمل، «فكلٌّ من "العنوان" و"عمله" مرسلة مكتملة ومستقلة»[2]؛ فالعمل والعنوان يتوازيان من خلال المنظور، فمثلما يمثّل العنوان علامة كاملة، فإنّ العمل هو الآخر يمثّل علامة كاملة أخرى، وإنّ هاتين العلامتين تسيران جنبا إلى جنب، حيث إنّ العلامة الأولى تبرز أهميتها أكثر كلّما استطاعت أن تكون صورة عاكسة للعلامة الثانية، كما أثبت **"جيرار جنيت"** ذلك وأشار إلى أنّ العنوان هو أحد المداخل الرئيسة للنّص، وهو عنصر من مجموع أسماه Le (paratexte) لتكون هذه العتبة من منظوره هي «المنطقة الوسطى (Indécise Zone) تقع بين النّص وخارج النّص»[3]، مؤكّدا على أهمّية النّص والسّياق في ربطهما بالعنوان الذي يعدّ قاسما مشتركا بينهما لا يُستغنى عنه.

---

[1]-جميل حمداوي: صورة العنوان في الرواية العربية، الموقع الإلكتروني السّابق .

[2]-محمد فكري الجزار: المرجع السابق، ص19.

[3]- Abdelhak Regam: Les marges du texte ou les franges de la fiction romanesque, Afrique orient ,1er Edition ,1989, p 7.

وحتى يتسنّى لنا ضبط المصطلح بدقّة أكثر علينا أن نقف عند تحديد الفروق أو الالتباسات القائمة بين مصطلح العنوان ومصطلحين آخرين ظهرا في مباحث القدماء وهما: اسم السورة والاستهلال.

ثانيا: علاقة العنوان باسم السورة والاستهلال

تجدر الإشارة بدءا إلى أن البحث في موضوع الاسم والمسمى والتّسمية من أكثر القضايا الفكرية نزاعا بين الأصوليين واللغويين والنحاة، وليس هدفنا هنا الخوض في هذه المسألة، وإنما تحديد نقاط التداخل بين الاسم والعنوان، وهذا يستدعي منّا الوقوف ولو سريعا عند أشهر المحطات في تحديد مفهوم الاسم على وجه الخصوص.

1/ مفهوم الاسم في الدّرس العربيّ القديم

اتّفق المعجميون أنّ "الاسم" لغويا قصد به العلامة أو الدّليل، وهو ما دل على مسمىّ، وأما التسمية فهي «وضع الاسم للمعنى، أو إعطاء اسم أو صفة لمسمّى معين، وجعل ذلك اللّفظ دالا على ذلك المعنى،أو جعل ذلك اللّفظ المعيّن معرّفا لماهية ذلك المسمّى»[1]، من خلال هذه المقولة يتبيّن لنا أنّ هناك قاسما مشتركا بين الاسم والعنوان؛ فهما يحددان ويعيّنان ويميّزان المسمّى أو المعنون على الرغم من وجود نقاط اختلاف بينهما.

ولعلّ مظاهر الاختلاف نجدها مجسّدة عند الأصوليين، الذين قالوا بالدلالة الوضعية أي تطابق دلالة اللفظ الوضعية مع مسمّاه – وهو ما خالفه " دي سوسير" فيما بعد عندما فصل بين الدال والمدلول بمقولة الاعتباطية[2] – لقد قسّموا الأسماء إلى خمسة أنواع؛ القسم الأول هو الألقاب والأعلام الموضوعة للتّمييز بين المسمّيات مثل: زيد،

---

[1]– وليد السُّراقبي: "التّداخل الدّلالي بين الاسم والمسمّى والتّسمية"، ***مجلة اللسان العربي***، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التّعريب، العدد 59، يونيو 2005، ص 192.

[2]– تنقسم الدلالة الوضعية عند الأصوليين إلى قسمين:**دلالة مطابقة** ويتوافق فيه اللفظ مع ما وضع له توافقا تاما مثل الإنسان والحيوان الناطق, أو **دلالة تضمن** أي أن يدلّ اللفظ على ما يقع ضمن المسمّى، فلفظة إنسان ذات دلالة ضمنية على(حيوان) فقط أو(ناطق) فقط.

والقسم الثاني هي الأسماء التي وضعت لإفادة بنية مخصوصة،كالإنسان والسبع، وقسم وضع لإفادة الجنس نحو العلم والإرادة، وأسماء موضوعة لإفادة أمر مرتبط بالمسمىّ،مثل الأب وفوق وتحت،أما القسم الأخير فمخصوص بالأسماء المشتقة كسارق ومسروق[1].

ولم يكن البحث في هذه الثلاثية(الاسم،المسمّى،التّسمية) حِكرا على علماء الأصول فحسب، بل نجد له إرهاصات عند الفقهاء الذين فرّقوا بينها دون أن يتعرضوا لمصطلح العنوان، ف**الغزالي**(ت 505هـ) على سبيل المثال لا الحصر يعرّف الاسم بأنّه «ما يشعر بمسمّى من غير إشارة إلى زمن محصّل»[2] وهو يلتقي في فكرته هذه مع علماء اللغة الذين يتفقون على أن تصنيف الكلم لا يخرج عن ثلاثة أقسام هي: الاسم والفعل والحرف، وقد خصّوا في ذلك الفعل بالزّمن باعتباره حدثا، وأسقطوه من الاسم. لقد أبعد اللغويون الزمن عن الاسم وأفرغوه منه،على الرغم من وجود نقاط اختلاف بينهم في ضبط الأصل الاشتقاقي الذي تعود إليه الكلمة أهو من السّمة أو من الوسم؟

ولعل الرّأي الذي يمكن الرّكون إليه في هذا المقام هو نظرة الكوفيين في مجال الدّراسات اللّغوية إلى أنّ الاسم مشتق من (الوَسم)، وبذلك لا تخرج دلالته عن كونه علامة على المسمّى، وبهذا تبوّأ "الاسم" مكانة في نظرياتهم اللّغوية من حيث الإعراب والبناء، ودوره الفاعل في التّركيب. وقد نوّه **ابن فارس** (ت395هـ)من جانب آخر إلى أنّ اشتقاق كلمة اسم من (سِمْوٌ) «و هو من العلوّ لأنّه تنويه، قال أبو عبيدة: الاسم: هو المسمَّى؛ وقال **الأخفش**(ت 211هـ) :إن شاء أن يكون المسمّى، وإن شاء غيره، وتصغيره سُمَيٌّ»[3]إذا قارنّا بين قول الأصوليين السّابق وقول "الأخفش" لمسنا فرقا بيّنا بينهما من حيث ضبطهما لدلالة المصطلح، فبينما يشير الأول منهما إلى فكرة المطابقة بين الشّيء أو المسمّى وبين الدّال الموضوع له، فإنّ الثّاني يرى أنّ هذه المطابقة غير

---

[1]– ينظر: وليد السُّراقبي :المرجع السابق، ص 197.

[2]–أبو حامد الغزالي: المنحول في أصول الفقه، تح: محمد حسن هيتو، (د.ط)، (د.ت)، ص79–80.

[3]–ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مجمل اللغة، المصدر السابق، مادة (سمو)، ص320.

قارّة مشيرا إلى فكرة الاعتباطية بين الدّال والمدلول، ودليله في ذلك تعدّد المسميات للشيء الواحد، وهو ما نراه صوابا.

ومع نفي الزّمنية عن الأسماء يجيء تعريف **السيّد الشريف الجرجاني** (ت816هـ) الذي نقله عن المازني فجاء تعريف الاسم بأنّه: «قول دالّ على المسمّى،غير مقتض لزمان من حيث هو اسم»[1]، والاسم كلمة تدلّ على معنى محدّد دلالة الإشارة، كما أنّ الأسماء تشير إلى مسمّياتها التي تُعرف بها دائما، ممّا يؤكّد فكرة التلازم المتحقّقة بين الاسم ومسمّاه، زد على ذلك إقصاء فكرة الزمن عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن رائد النّحاة **سيبويه** (ت180 هـ) من البصريين عرف تحديده لمصطلح "الاسم" اضطرابا مما جعل تعريفه له غير جامع ولا مانع، حيث نلتمس عدم الدّقة في ضبط المصطلح فيقول في باب علم ما الكلم من العربية: «فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل. فالاسم: رجل، وفرس، و(حائط)»[2]. فالاسم عنده علامة دالة على مسمًّى قد يكون إنسانا أو حيوانا أو شيئا، دون أن يفصّل ذلك.

واستند **المبرّد** (ت 286هـ) من ناحية ثانية في تحديده للمصطلح إلى المعنيين الشكلي والوظيفي؛ فأما الأول فقبوله حرف الجر، وأما الثّاني فوقوعه على مسمًّى نحو: رجل وفرس، أو ذهابه في الاسم إلى ما كان فاعلا[3]، ويراعي **ابن السّراج** (ت316هـ) المعنى الدلالي في تعريفه إذ يقول: «ما دلّ على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصا أو غير شخص»[4]. فكلّ ما دلّ على مسمّى ليس بفعل ويكون مرتبطا بزمن يعدّ اسما، وهو يدل على الإفراد عادة، كأسماء الأعلام مثلا: محمد،

---

[1]–الجرجاني، السّيد الشريف: التعريفات، تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ص 40.

[2]–سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004 م، ج1، ص 12.

[3]– ينظر :المبرد، أبو العباس: المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان،(د.ط)،ج1، ص3.

[4]–ابن السراج: الأصول، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص36.

إبراهيم، أو يدلّ على أسماء الأشياء مثل: كتاب، محطة، مسجد.

وعارض **ابن فارس** بعض التّعريفات التي جاءت في تحديد الاسم، وحاول ضبط مفهومه لاعتبار وظيفي من ذلك هذا التّعريف: «الاسم هو المحدّث عنه»[1]، حيث رأى أنّ (كيف) اسم ولا يجوز أن يُحدّث عنه، ثم يقسّم الأسماء بعد ذلك إلى أجناس بحسب مقولة أهل العلم في قوله: «الأسماء خمسة اسم فارق واسم مفارق واسم مشتق واسم مضاف واسم مُقْتَضٍ»[2]؛ ولم يقدّم صاحب هذه التقسيمات تعريفات دقيقة لها، وإنما اكتفى بالتمثيل لها فحسب، فأما *الفارق* فقصد به التَّفرقة بين الأجناس حيث قال: رجل وفرس، أما *المفارق* فهو الاسم القابل للتّغيير مع تغير عمر الإنسان نحو: طفل فهو يفارقه إذا كبر، وأما *المشتق* فهو القابل للتغير في صيغه مثل: كاتب مشتق من الكتابة، كما أدرج (كل/بعض) ضمن صنف *الاسم المضاف*، وجعل الصنف الأخير ضمن مسار دلالي؛ حينما أطلق عليه تسمية: *الاسم المقتضي* فقولنا :أخ وشريك وابن وخصم كلها تقتضي غيرها، لأنّ الشريك مقتض شريكا والأخ مقتض آخر،وهكذا.

نلاحظ من خلال هذه التّعريفات الاصطلاحية التي تقدّم بها النّحاة وجود اضطراب بيّن في تحديد مصطلح "الاسم"، والتّفرقة بينه وبين باقي أجزاء الكلام، ومن ثمّ لم يصل البحث اللغوي القديم إلى نتائج دقيقة تبلور مفهومه، عدا إطالتهم في الحديث عن علاماته، أو إقحام مصطلحات أخرى ضمن بابه كما فعل **ابن مالك** الذي أدخل ضمن مجال الاسم الأعلام، والمصادر، والمبهمات، والصفات[3]، وإذا كنّا نقبل بتصنيفه للأعلام والمبهمات ضمن باب الاسم، فإنّنا نخالفه في إدراجه للمصادر والأسماء ضمن الباب نفسه، لأنّ الاسم وحدة لسانية مخصوصة بفرد دون آخر، بينما الصّفة قد يشترك فيها أكثر من فرد واحد، وإنّنا نتّفق في هذا مع مذهب **أبي هلال العسكري** (ت400هـ) الذي فرّق بينهما على عدّة مستويات من خلال مقولته الآتية:

---

(1)–ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تـح: عمـر فـاروق الطّباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 83.

(2)–ابن فارس: الصاحبي في فقه اللّغة، المصدر نفسه، ص87.

(3)– ينظر: ابن مالك: التسهيل، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، 1972، ص3–4.

«كلّ صفة اسم، وليس كلّ اسم صفة»[1]؛ إذ يجعل كلّ صفة اسما وليس العكس، كما يشترط فيها الإفادة ولا يشترط فيه مثل قولهم: زيد الظريف، كما أن الصفة تابعة للاسم، ويقع الكذب والصدق في الصفة ولا يقع ذلك في الاسم، فالذي يقول للأسود أبيض على الصّفة كاذب، بينما من يقولها على الاسم غير كاذب.

أما **ابن مالك** (ت672هـ) فقد عقد بابا لاسم العلم بالتّعريف دون أن يقف مع باقي أصناف الاسم إذ يقول: «وهو المخصوص مطلقا غلبة أو تعليقا بمسمّى غير مقدّر الشّياع، أو الشّائع الجاري مجراه»[2] مُخرجا بذلك اسم الجنس والمضمرات. بينما يذهب **السّيوطي** (ت 911هـ) إلى القول بأن الاسم أصل الفعل والحرف على السّواء[3]، وهذا لأن الإفادة لا تكون إلا بوجود الاسم، كما أن الاسم يُخْبَر به ويُخْبَر عنه، والفعل لا يكون إلا مُخْبَرا به، والحرف لا يُخبر به ولا يُخبر عنه. وهو تعريف منطقي نقبل به لأنّنا نعتقد أنّ الإفادة شرط رئيس في الاسم، ودونه لا يمكننا فهم السياقات المختلفة، فالحدث في الفعل مثلا لا يتحقق دون حضور فاعل يقوم به، وهذا الفاعل هو اسم في النّهاية.

2/عتبة العنوان، رحلة البدايات في التّراث العربي

وفي مقابل هذه الاهتمامات المتشعّبة بالاسم ودلالاته وعلاماته، احتفت الدراسات اللّغوية العربية القديمة بدراسة النص الموازي (العنوان) ضمن بحوثهم التي ارتكزت أساسا في مجال البحث في أسماء السور، ويبدو أن مصطلح (العنوان) لم يظهر بصورة واضحة المعالم في هذه المباحث، التي سار أغلبها في فلك البلاغة، عدا منها ما خرج عن النّمطية من خلال عمليتي الجمع والتّصنيف، دون أن يجتهد أصحاب هذه

---

[1]– ينظر: العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الفروق اللغوية، تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، ص41.

[2]–ابن مالك، جمال الدّين محمد بن عبد الله بن عبد الله: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد شرح التسهيل، تح: محمد عبد القادر عطا، طارق فتحي السيّد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ج1، ص166.

[3]–السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النّحو، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ج1، ص66.

الدّراسات لتحليل علاقة هذا العنوان بمضامين السور في الخطاب القرآني ونستثني في ذلك ما جاء عرَضا.

إنَّ ما تقدم به "**البقاعي**"(ت 885هــ) على سبيل المثال في القرن التاسع الهجري كان جهدا مشكورا لأنّه أول من وظف مصطلح (العنوان) مرادفا لاسم السورة في قوله: *«اسم كل سورة مُترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه* ***عنوانه*** *الدال إجمالا على تفصيل ما فيه ...»* [1] وسبب هذا الترادف بين الكلمتين عند البقاعي مردّه إلى اشتراك اللفظين (اسم السورة والعنوان) في كونهما سمة دالّة على المُعَنوَن أو المُسمّى، كما أنّهما يدلان على مضمون النّص الذي يؤشّران عليه، كما وضّح لنا ضرورة تحقق العلاقة القائمة بين مضامين السور القرآنية وعناوينها.

وإذا كان البقاعي يورد "العنوان" بديلا موضوعيا لاسم السّورة، نجد السّيوطي في القرن العاشر يجعل منه مرادفا لمصطلح ثان هو "الاستهلال"، وذلك في معرض حديثه عن سبب تسمية سورة الفاتحة إذ يقول: «لأنها جمعت مقاصد القرآن، ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن، وأم الكتاب، والأساس. فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال»[2].

وعليه يمكننا أن نلخّص ما سبق ذكره في هذه المساواة المزدوجة:

العنوان= اسم السورة = الاستهلال.

بما أنّ كلّ هذه المصطلحات تدلّ على بداية كلّ شيء فقد جعلها "السّيوطي" متقاربة الدّلالة، فالاستهلال مثلا في مفهومه اللغوي يعني البداية، وقد حدّه الشّريف

---

[1]–البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1995، ج1، ص12.

[2]–السيوطي، جلال الدين: أسرار ترتيب القرآن (تناسق الدّرر في تناسب السور)، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة، تونس، 1983، ص 73.

الجرجاني (ت 816هـ) بقوله: «أن يكون من الولد ما يدل على حياته من بكاء أو تحريك عضو أوعين»[1]، وهذا للإشارة بأنّ الاستهلال يعبّر عن بداية كل شيء وفاتحته ومنطلقه، وهذا ينسحب على العنوان المعبّر أيضا عن بداية الكتاب أو السورة، كما ورد في القول السابق. فالفاتحة بحسب "البقاعيّ" عنوان لكلّ القرآن؛ لأنّ فيها الثّناء على اللّه، وفيها التّعبّد، وفيها الأمر والنّهي، وفيها الوعد والوعيد، وهذه المعاني جميعها تتصّل بأكثر المضامين حضورا في الخطاب القرآني الكلّي، ثمّ تتوزّع بعد ذلك تدريجيا في السّور القرآنية الأخرى فتتميّز كلّ سورة بعنوان مختلف يميّزها عن غيرها، ومن خصائص هذه العناوين أنّها توقيفية، وليست تواضعية، ولا وضعية، لها من سمات القداسة ما يبعدها عن كل تحريف أو إضافة أو حذف.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ مصطلحا آخر كان يسير بالموازاة مع هذه المصطلحات عند الباحثين من اللّغويين وعلماء القرآن والمفسرين، وهو "فواتح السور" الذي كثيرا ما كان يوظّف مرادفا لمصطلح "العنوان"، ونجد هذا التوجه قد ارتبط أساسا بالمشتغلين في حقل الدراسات القرآنية « إذ نسمعهم يقولون:" فواتح السّور" ويَعْنُون بها أوائل السور...» [2]، فقد كانت السورة القرآنية تسمّى بالوحدات اللّسانية التي تبتدئ بها، سواء أكانت اسما، أم حرفا أم فعلا.

فكثيرا ما وظفت الفواتح تسمية للسور القرآنية فيقولون (حم)، (ألم)، (كهيعص) للدلالة على السور المبدوءة بهذه الحروف المقطّعة، وإذا ما حاولنا إجراء مسح تقريبي لما أنجزه العقل اللغوي عند القدماء، فإننا نجد أن هؤلاء الباحثين قد أولوا أهمية قصوى لتسمية السور، واسترسلوا في البحث عن فك رموزها وبعث دلالاتها.

وقد أُلّفت في ذلك الكثير من الدراسات لعل أشهرها ما أورده السيوطي عن **ابن أبي الإصبع** أنه ألف كتابا وسمه بـــ «الخواطر السوانح في أسرار الفواتح» حيث يقرُّ

---

[1]– الجرجاني، السيد الشريف: المرجع السّابق، ص38.

[2]–عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، إفريقيا الشـرق، 2000، ص35.

أن سور القرآن الكريم قد افتتحت بعشرة أنواع من الكلام وهي: (الثناء عليه تعالى، حروف التّهجي في تسع وعشرين سورة، النداء، الجمل الخبرية، القسم في خمس عشرة سورة، الشرط في سبع سور، الأمر، الاستفهام في ستّ سور، الدعاء في ثلاث، التعليل في لإيلاف قريش)[1]، كما أنه أشار إلى أهمية حسن الابتداء لأنه من البلاغة، بحسب ما أورده أهل البيان، وجعلوه من بلاغة الكلام، وقصدوا به «أن يُتأنق في أول الكلام لأنه أوّل ما يقرع السمع، فإن كان محرّرا أقبل السّامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن»[2]، هذه تعدّ إشارة واضحة إلى جمالية تلقي الخطاب القرآني من خلال بداياته ومفتتح سوره. فكلّما كان الافتتاح بأعذب اللفظ وأبلغه وأفصحه، كلّما كان أقوى في النّفس، وأعمق في الفكر، وأصدق في التّأثير.

والملاحظ أن الحروف المقطعة التي تبدأ بها السور الكريمة، كثيرا ما عدّها القدماء مرادفا لأسماء السور، فالأخفش يقول في هذا الصدد:« وقرأ بعضهم "ص" و"ن" و"ق" بالفتح وجعلوها أسماء ليست بمكتملة وجعلوها أسماءً ليست بمتمكنة فألزموها حركة واحدة وجعلوها أسماء للسورة، فصارت أسماء مؤنثة»[3]. فهو يعلن انتماء هذه الحروف المقطّعة إلى الأسماء، كما يجعلها مؤنّثة تبعا لاتّصالها بلفظ (سورة) فنحن نقول: سورة صاد، وهو الاسم الذي تعرف به عادة.

ثم يعلّل لنا الوظيفة الإبلاغية التي جاءت لأجلها هذه الأسماء المؤنثة وهي وظيفة الفصل بين السور إذ يقول: «إنّه قد ابتدأ بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى. فجعل هذا علامة لانقطاع ما بينهما، وذلك موجود في كلام العرب..»[4]. هذه إشارة إلى أهمية الفصل بين السور القرآنية لأجل تسهيل عمليتي القراءة والحفظ عند متلقّي القرآن، وهذا عن طريق هذه الحروف التي تمثّل

---

[1]-ينظر: السيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص 625-626.

[2]-المصدر نفسه، ص626.

[3]-الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي: معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد. عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985، ص169.

[4]-المصدر نفسه، ص170.

وحدة لغوية فاصلة بين مضمون معيّن ومضمون آخر يخالفه في السورة الموالية.

ويسترسل السّيوطي في تحديد الرّابط القويّ بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال فيورد ما قاله **البيهقي** (ت458هـ) إذ يقول: «ومن الابتداء الحسن نوع أخصّ منه يسمّى: *براعة الاستهلال*، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله، و" العَلَم الأسنى" في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن، فإنّها مشتملة على جميع مقاصده»[1]. إنها إشارة بليغة إلى أنّ الاستهلال جزء من الابتداء، يتلازمان من حيث الحسن؛ فالابتداء قد يكون عنوانا أو مطلعا افتتاحيا لسورة قرآنية، بينما الاستهلال هو بداية السورة فحسب، ودليل ذلك سورة الفاتحة التي تمثّل مطلعا دقيقا للخطاب القرآني بما اشتملت عليه من موضوعات تتّصل بكلّ السور القرآنية لما فيها من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة، وأنواع البلاغة.

و في مناسبة أخرى نجد "السّيوطي" يصنّف العنوان ضمن أنواع البديع آخذا بفكرة تصنيف ابن أبي الإصبع لبدائع القرآن التي جعلها مائة نوع. وقد أورد التّعريف الآتي للعنوان: «هو أن يأخذ المتكلّم في غرض، فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدّمة وقصص سالفة»[2] حيث إن المتكلّم قبل أن يأخذ في غرض ما هو مطالب بتكملته بألفاظ هي عنوان لهذا الغرض، وهذا ضمن خطّ ترتيبي فالنّص أولا وعنوانه الذي يحيل عليه ثانيا.

تحيلنا المقولة السّابقة على العناوين التي تَسِمُ شتّى العلوم، ذلك أنّ العنوان عند ابن أبي الإصبع جملة مركّبة تركيبا صحيحا ومنطقيا تحيلنا على أحد العلوم المعروفة، من خلال الأمثلة القرآنية التي استدلّ بها بغية شرح فكرته الرّئيسة، ففي تفسيره للآية الكريمة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾[3] يحدّثنا عن خطاب السّخرية في هذه الآية الكريمة؛ ذلك أنّ الظّلّ غير موجود في الأشكال المثلّثة، وهذا لتحديد رؤوس زوايا

[1]–السيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص626.

[2]– ينظر: السيوطي: المصدر السابق، ص602.

[3]– سورة المرسلات، الآية: 30.

المثلّث، فأمر الله عزّ وجل أهل جهنّم إلى الانطلاق إلى هذا الظّل تهكّما بهم.

ويذهب **البيهقي** في كتابه (شعب الإيمان) إلى ذكر مصطلح (العنوان) –حسب ما ذكره السيوطي– وذلك في معرض حديثه عن قيمة سورة (اقرأ) معتبرا إياها «جديرة أن تسمىّ: عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله»[(1)]. فالعنوان عنده –وفق هذه الرؤيا– واحد لا يتعدد؛ إذ يمكننا تسمية كل القرآن بعنوان واحد يدلّ عليه هو(اقرأ)، فهو جملة فعلية تتميز بالاختصار، ولكنّها تتضمّن كلّ موضوعات القرآن الكريم، فهي كلمة واحدة ستخرج العالم من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان ونور الحقيقة والمعرفة، وعليه جاءت تسمية القرآن قرآنا لأنّه يحمل التّعاليم الإسلامية التي ترفع الإنسان عاليا بعقله، وبعلمه. ويبدو أن البيهقي في تعريفه هذا يسقط جميع العناوين الواردة في سور القرآن الكريم؛ إذ يمكننا جمعها تحت ظل فكرة القراءة بالفعل (اقرأ) ليكون عنوانا لكل السور.

وينتهي طوافنا في مباحث القدماء عند **المقريزي** (ت 845هـ) في كتابه *المواعظ*، الذي يقدّم لنا دراسة محكمة عند تقفّيه للنّصوص الموازية المصاحبة للكتاب، فيقف عند المفهوم الحديث للعتبة، وما تتضمنه من بيانات للنشر، وعناوين وإهداءات، وتوقيعات ومقدمات وملاحظات وغيرها... فلا يمكننا الوصول إلى عالم النص– من وجهة نظره– إلا عند الوقوف مع هذه المكونات الدّلالية التي تفتح أبوابه؛ لهذا نراه يدرج مصطلحا جديدا أطلق عليه تسمية الرؤوس الثمانية[(2)] مدرجا العنوان ضمنها إذ يقول: «اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهي الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أي صناعة هو وكم فيه من أجزاء وأي أنحاء التعاليم المستعملة فيه»[(3)]؛ فـ**الغرض** يتّصل بتحصيل العلم وفائدته من الكتاب، فإذا افتقد هذا الشّرط فلا فائدة منه، وأمّا **العنوان** فهو

[(1)]–السّيوطي: المصدر نفسه، ص627.

[(2)]–ينظر: المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987، ج1، ص3.

[(3)]–المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

أهمّ عتبة تتصل بـــ «تعريف العلم برسمه، أو بيان خاصّة من خواصّه»[1]، أمّا **المنفعة** فشبيهة بالغرض، وكان يفترض أن تحلّ محلّ المؤلّف مصنّف الكتاب، وترتبط **المرتبة** بموقع الكتاب بين العلوم، هل هو من الكتب النّفيسة الهادفة أم لا؟

كما نجد **التّهانوي** من جهة أخرى يؤكّد على أهمّية العلم الذي ينتمي إليه الكتاب أهو من العلوم الشّرعية أو غيرها، وتتصّل القِسمة ببيان أجزاء العلوم وأبوابه للتّيسير على المتلقي للنّص على فهم جزئياته. ويتّصل الرّأس الأخير بالمنهجية المعتمدة في التّعليم وهي تتحصّل بطريقين اثنين[2]:

- **التّكثير**: الانتقال من أعم إلى ما هو أخصّ منه، كتقسيم الجنس إلى أنواع، والنّوع إلى أصناف.
- **التّحليل:** الانتقال من الأخص إلى ما هو أعمّ منه.

يحيلنا الدّارس في مقولته السّابقة على بعض الهوامش النّصية أو ما يسمى عتبات النّص بالمصطلح الحديث، التي تعمل على إثارة المستمع أو القارئ من خلالها. و"العنوان" عنده هو وضع اسم للكتاب لأنّه علامة لسانية للتعريف بموضوع الكتاب، حيث يؤكّد على أهميته في استكشاف النّص، وهذا يتّفق مع رؤية المحدثين التي تنظر إليه باعتباره «علامة نصّية تسعى إلى الكشف عن ملامح المجهول المنتظر(النّص)، وتخلق جوّا من الألفة يستأنس بها القارئ قبل أن ينخرط في رحلة استكشاف النّص، والتّسلل إلى ردهاته الدّاخلية»[3]، بعبارة أخرى فالعتبة العنوانية تمثّل رسالة مشفّرة نصل من خلالها إلى زوايا النّصّ الخفية.

وإلى جانب هذه الملامح التّجديدية في مقاربة العنوان عند المقريزي، نؤكد أنّ ثمة تقارب بين هذه الطروحات وبين ما توصل إليه **الجاحظ** (ت 255 ه) في حيوانه قبل ذلك بقرون عندما تحدث عن (صناعة التأليف)، وأهميته، وشروطه. وبحث في الكتاب

---

[1]–التّهانوي: المرجع السابق، ص 17.

[2]–المرجع نفسه، ص18.

[3]–عبد المالك أشهبون: العنوان في الرّواية العربية، دار محاكاة للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 2011م، ص15.

الذي ميزه القدماء عن السِّفر والسِّجل، كما حدّثنا عن الخط وتنوعه، كما بيّن أهمية الكتب في فصل له عنونه بـــ (مدح الكتاب وفضائله) يقول فيه: «صامتٌ ما أسْكَتَّهُ، وبليغٌ ما استَنْطَقْتَهُ، ومن لك بمُسَامِرٍ لا يَبْتَدِيك في حال شُغلك، ويَرُوعك في أوقات نشاطك، ولا يَحُوجُك إلى التجمل له، والتذمم منه، ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غبا، ووُرُودَه خمسا، وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك»[1]. إنّ الجاحظ من خلال هذه الملاحظات التي أبداها، يكون من الذين كشفوا عن مضامين النصوص من خلال مكوّناتها، أوّلها هو الختم أو الخاتم، وثانيها هو العنوان، لأن الكتب قديما لا تطبع فلما طبعت وجب عنونتها، لتمييز عمل هذا الكاتب عن عمل ذلك الكاتب.

وقد اختير الاسم -من ناحية ثانية- مؤشّرا دلاليا مُهما في تحديد مضامين المسميات، فنجد له باعا كبيرا في مجال النشاط الصحفي ومراحله المختلفة، وقيمة التوقيعات بالأسماء وتحديد مكان كتابتها أعلى الصحف أو في ذيلها، بالإضافة إلى قيمتها الدلالية في بثّ الرسائل المشفرة، فعنوان الكتاب بهذا هو اسمه الدّال عليه، وهنا يشترك كل من الاسم والعنوان في خاصّية التّمييز بين المسمّيات.

نخلص ممّا سبق ذكره إلى أنّ مصطلحي (الاسم والعنوان) قد تمّ توظيفهما كلفظين متقاربين في المفهوم عند القدماء من اللغويين وعلماء القرآن، إلا أننا لا نرى ذلك حيث إنّ الاسم أكثر خصوصية من العنوان، وهو جزء منه باعتبار نمطه، أمّا العنوان فهو أشمل ويتميّز بالعموم،لأنّه علامة لغوية ذات تركيبات اختلافية؛ لأنه قد يكون اسما مفردا أو اسما مركّبا، كما أنّه قد يكون فعلا أو حرفا أو اسما، وهذا هو السّبب الذي دفعنا لإطلاق مصطلح "**العنوان**" على أسماء السور القرآنية، بديلا عن المصطلح الأشهر عند القدماء وهو "**اسم السّورة**"، وثمّة سبب آخر مردّه إلى أنّ "العنوان" ما لزم صورة واحدة عُرفت بها السورة القرآنية في المصحف الشّريف، وتمّ الاتّفاق عليها في عهد الرسول ﷺ، فإذا ما تعدّد أصبحت تسميات تعرف بها السّور،

[1]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن محبوب:الحيوان، تح: يحي الشامي، دار الهلال، ط1، 1990، ص39.

وسنأتي على تفصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

ثالثا: العنوان والنص؛ التداخل والاختلاف

عندما تحدث محمد فكري الجزّار في تعريفه السابق، أبرز قيمة كل من العنوان والعمل كمرسلة (Adresse) مكتملة ومستقلة[1]، فهو يحيلنا على الفصل بين هذين البناءين ليعبر عن تمايزهما واتصالهما في الآن ذاته. لقد جعل من العنوان بذلك عنصرا بنيويا داخليا في أي نص، ونظرا لأهميته البالغة في الانفتاح على دلالات النص من خلال وظائفه المتعددة؛ فقد اختلفت الرؤى في تبيان هذه العلاقة بينهما (العنوان –النص)، أو التّركيز على الفصل بينهما في مواطن أخرى، خصوصا وأننا نجد بعض معاجم المصطلحات تنظر إلى العنوان بأنه مقطع لغوي أقل من الجملة يمثّل نصا على اختلاف طبيعة هذه النّصوص.

وليس بعيدا عن هذا التصور نجد أن اللغوي الكبير "**هيلمسليف**" (Hjelmslev) ينظر إلى العنوان كعلامة ونصٍّ في الوقت نفسه، مرادفا بينهما «بحيث نجد أن كلمة واحدة مثل "نار" يمكن أن تكون علامة في مقابل عمل روائي ضخم مثلا، فكل منهما يمكن اعتباره "نصا" وذلك بفضل اكتماله واستقلاله بغض النظر عن أبعاده أو مدى طوله، بحيث يمكن أن يقال إن هذه الأبعاد تتوقف على التحليل ولا تمس في شيء تعريف الموضوع»[2].فسمة الطّول والقصر بين النّصوص لم تكن عنصرا مهما في هذا التّحليل، إنّما تركيز الباحث كان منصبّا على المعنى في التّفرقة بين المصطلحين؛ فكلّما كان المعنى مكتملا كلّما سمّيناه نصّا، سواء أ كان كلمة أو أكثر من كلمة.

إنّه من خلال هذا الطّرح المقدّم من طرف "هيلمسليف"، يصل "صلاح فضل" إلى تعريف مضبوط للنّص مفاده أنّه: «القول اللغوي المكتفي بذاته، والمكتمل في

---

[1]–ينظر: محمد فكري الجزار: المرجع السابق، ص19.

[2]–صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مكتبة لبنان ناشـــرون، ط1، 1996م، ص298.

دلالته»[1] وكل ما خرج عن حدود هذين الشرطين لا يعد نصّا؛ الشّرط الأوّل هو الاستقلالية المكانية، أي أن يُفصل بينه وبين كلام يسبقه ببياض .والشّرط الثّاني اكتماله دلاليا بحيث لا يكون بحاجة إلى إضافة تُحدّد معناه.

في حين تتجه بعض التّحليلات المعاصرة إلى ربط مصطلح النّص بالكتابة، يقول "بول ريكور": «لنطلق كلمة نصّ على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة»[2]. فكل خطاب اتصف بالشفوية إذن ليس بنص من منظوره، والسّمة الكتابية هي الأهم عنده.

نجد من جانب آخر بعض الدّارسين في المقابل ربطوا العنوان بالقارئ فجعلوا منه إكراها أدبيا، على القارئ تقبله دونما تعديل، وهي إشارة إلى ضرورة فصل العنوان عن النّص واستقلاليته باعتباره نصا مصغرا قائما بذاته، له أبعاده وزواياه المتنقلة داخل النص الأكبر.

وبعيدا عن هذين التوجّهين نجد من الباحثين من يركز على موقعية هذا النص المُصغّر، ويجعل من وظيفته الابتدائية ملمحا لا بد منه لولوج عوالم فنية معينة كما قالت بذلك الباحثة آمنة بلّعلى، معرّفة "العنوان" بأنّه «توقيع يتقدم النص، ويؤشر على احتمالات متعددة»[3].لعلّ هذه الاحتمالات التي قصدتها الباحثة لا تعدو أن تكون تعدّد القراءات التي نجدها عند متلقّي النّص، فهو وحده من يفتح باب الدّلالة ويوسّعه وفق السياقات التي يضعها لفهم النّص وتأويله.

أمّا "جيرار جنيت" فيحدثنا عن العنوان أحادي الدلالة مبرزا وظائفه، إذ يقول: «العنوان هو مجموع العلامات اللسانية التي تعيِّن وتدل على المضمون الشامل وتجذب

---

(1)-المرجع نفسه، ص299.

(2)-المرجع نفسه، ص304.

(3)-آمنة بلّعلى: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص254.

جمهورا معينا»[1]. بمعنى أن من شروط العنوان أن يكون مغناطيسيا له سلطته على المتلقي بتحقق الوظيفة التّأثيرية، يشده إليه، فيغوص فيه، وينفتح على دلالته، فيكون بهذا «مرجعا يتضمن بداخله العلامة والرّمز، وتكثيف المعنى...» [2]. إن هذا المعنى المستتر هو الذي يجذب القارئ وهنا يمكننا أن نشارك "ليو هوك" مفهومه السّابق للعنوان حينما يؤكّد على أنه يشكل تساؤلا، ويُخلّف انتظارا.

ولأن تموقع العنوان كبداية له أهميته فهو ينحصر دائما في واجهة النّص كعلامة لغوية «لتؤدّي مجموعة وظائف تخص أنطولوجية النص، ومحتواه، وتداوله في إطار سوسيو – ثقافي خاص بالمكتوب»[3]. إنه يمثل بذلك نقطة عبور بين هذه التسمية التي تعرِّف النص، وتكشف عن مكنوناته، وبين القارئ الذي تصل إليه كعلامة تواصلية، وعلامة ثقافية تُنجز قصد التواصل.

تبعا لهذا فإن هذه العلامات يمكن ملاحظتها بقوّة في عناوين الأعمال السردية خاصّة، التي يُنظر إليها باعتبارها « غواية لا تقدم لنا شيئا بقدر ما تفاجئنا وتفتننا»[4]، وقد أخذت حصة الأسد عند الدّارسين بتحليلاتهم؛ إذ أصبح العنوان في هذه المدوّنات يُشكّل عصيانا على النّص، ولونا من ألوان التّمرد عليه بتوظيف عناوين زئبقية قادرة على استفزاز المطّلع عليها، والتّأثير فيه.

نخلص من خلال هذه التّعريفات إلى أنّ النّص مصطلح عام يضم العنوان وما دلّ عليه، في حين نجد دراسات أخرى تخالف هذا التصور، كالتّعريف الذي تقدم به "**رولان بارث**" إذ يرى بأنه «نسيج من الكلمات المنطوقة في التأليف والمنسّقة بحيث

---

[1]– المرجع نفسه، ص275.

[2]–شعيب حليفي: <<النص الموازي للرواية –استراتييجة العنوان>>، ***مجلة الكرمل***، ع16، 1992، ص24.

[3]–خالد حسين حسين: "القصة القصيرة وظاهرة العنونة خطاب العناوين في سردية زكريا تامر نموذجا للقراءة" *مجلة الموقف الأدبي*، دمشق، العدد 22،ص 206.

[4]–شعيب حليفي: المرجع السابق، ص30.

تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا»[1]، وتتفق جل هذه الدراسات على أنّ النّص مستقلّ عن العنوان لأن هذا الأخير «شكلُ الكلام أو بنيتُه الثابتة والخطاب التّفاعليّ والمتحرك منه، ويدخل فيه الجانب اللّغوي وغير اللّغوي، والنّص يرتبط بالكتابة والشكل الثابت للكلام، إنه شكل تجريدي لا يقصد به شخص أو مكان أو فعل أو زمان، يُدرس عادة في إطار قواعد اللّغة والمعاجم اللّغوية»[2]. وعلى هذا الاعتبار يكون العنوان علامة مستقلة بذاتها، يمكن أن نطلق عليها مصطلح "النص المصغّر" كقيمة لغوية فحسب دونما توسيع لهذا المفهوم.

لقد أضحى العنوان إذن في دراسة المحدثين «حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي النّصي. وأصبح بالإمكان أن نتحدث عن شعرية للعنوان كحديثنا عن شعرية النّصوص المعروضة بعد العنوان»[3]، وهذا كان سببا للتّمهيد إلى فتح الباب على مصراعيه للدخول إلى عوالم العنونة كاستراتيجية ضرورية لفهم النّص .

أمّا في البحوث العربية فقد كان لترجمته شأو آخر؛ إذ نجد "سعيد يقطين" يترجمه بالمُناصّات، و"محمد بنيس" يضع تعريفا له مع المحافظة على المضمون السابق فاصلا بذلك "النّص" عن "العنوان" المختلف عنه إذ يقول معرّفا (العنوان) بأنّه: «العناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن، تتصل به اتصالا يجعلها تتداخل معه إلى حدّ تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالا يسمح للداخل النّصي، كبنية وبناء، أن يشتغل وينتج دلاليته»[4]. إنّ العنوان– من هذا المنظور– هو وحدة لسانية تستقلّ بنفسها عن النّص، إذ تتموقع خارجه أحيانا وداخله

---

[1]–رولان بارث: نظرية النص، تر: محمد خيري البقاعي، ***مجلة العرب والفكر العالمي***، بيروت، 1988، ص89 نقلا عن محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص44.

[2]–محمود عكاشة: المرجع السابق، ص45.

[3]–رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1998م، ص110.

[4]–جميل حمداوي: لماذا النص الموازي؟ ينظر الرابط الإلكتروني: http: / www. Al- mannah. com

أحايين أخرى، مشيرا بذلك إلى العنوان الرّئيس والعناوين الفرعية، وهذه العناوين تتقاطع مع نصّها دلاليا ولكنّها تختلف عنه شكليا بانفصالها عنه مسافة.

ومن التّرجمات أيضا «المحيط الخارجي» تقدم بها " فريد الزاهي"، كما يستعمل "عبد الرحيم العلام" مصطلح «الموازيات» ويجعل العنوان ضمنها، هذا عن المحدثين، أما "خير الدين البقاعي" من التراثيين العرب فيوظف مصطلح «الملحقات النّصية» وقد اعتبرها "الحمداوي" ترجمة جيدة ودقيقة «لأنّ النّص الموازي عبارة عن عتبات وملحقات تحيط بالنص من الداخل أو من الخارج»[1]، وعلى هذا نستنتج من التّعريفات السّابقة بأنّ العنوان جزء مكمّل للنّص، وليس كُلاًّ قائما بذاته، وهو عتبة مهمّة في مكوّناته ومحدِّدة لأفق تلقيه وتأويله كذلك.

إنّ هذه المفاهيم الحديثة على اختلافها تؤسّس لنظرية النّص من جهة، ولكنّها تفتقر إلى عناصر التّشجيع نحو السّير في طريق الموضوعية من جهة ثانية، وهذه الإسهامات تلتقي في بعض جوانبها مع ما تقدم به القدماء؛ إذ اهتم كل منهما بالعنوان كاستراتيجية في التّحليل، ولكن رغم ذلك نلمس اختلافا بين طبيعة النّصوص المدروسة بين الاتجاهين فبينما توجه القدماء نحو الدراسة التحليلية لأسماء السور، وتعاملوا مع الخطاب القرآني، نجد في الاتجاه المعاكس الغربيين يركّزون على النّصوص الشّعرية والنّثرية على السواء.

ولا شكّ أنّ العرب تراعي في كثير من المسمّيات أخذ أسمائها «من نادر أو مُسْتَغْرَب يكون في الشّيء من خلق أو صفة تخصّه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمّى، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن»[2]. مع وجوب التّأكيد على أنّ القصائد القديمة لم تكن تُعَنْوَن، إنّما تُعرف بحرف رويّها وهذا بسبب رواية الشعر وسماعه مشافهة «فالشاعر ينشد قصيدته إنشادا، وفي هذا الإنشاد إعلام وعنونة ذاتية

---

[1]– المرجع نفسه.

[2]–صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص

غير مباشرة»[1] يلتمسها المتلقي، نمثّل لذلك بأشعار الشنفرى (ت525م) التي لقيت انتشارا بسبب لاميته المشهورة والتي مطلعها من الطويل:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُم *** فإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُم لَأَميَلُ [2]

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنّ المُحْدَثين قد حاولوا الاهتمام بظاهرة العنونة مع بداية الوعي بالجنس الأدبي، وذلك من خلال الاهتمام بمكونّين رئيسيين في عناوين المحكيات؛ طول العنوان من جهة، وظاهرة تسجيعه من جهة ثانية[*]، وركزت في جوانب أخرى على طبيعة العناوين من حيث اتصالها بالإرث التراكمي القديم، ومن خلال اتّصالها بأفكار طاغية .

ولم يتأخّر البحث النّقدي في شعرنا القديم عن هذه المجابهة، فقد كانت الدّواوين الشّعرية تُسمى بأصحابها كــ"المفضّليات"، "الأصمعيات"، حيث إنّها كانت تجمع جملة من الشّعراء تحت عنوان واحد، ويندر –في هذا السياق– أن نجد عنوانا واحدا لعمل شاعر واحد كما هو حال المعرّي الذي كان أكثر الشعراء تنويعا لعناوين دواوينه، بالإضافة إلى المدوّنات الشّاملة للأشعار مثل "الحماسات"، وكتاب الجمهرة، التي تميّزت عن غيرها «بالتصنيف العددي للقصائد إلى سبع طبقات في كل طبقة سبع قصائد، وبتسمية القصائد بناء على الموضوع أو الغرض أو الشهرة...»[3]،وهذه طريقة من طرق التّبويب إلى حقول دلالية بحيث يكون لكلّ حقل منها عنوانه الدّال عليه بحسب غرض النّصّ إن كان غزلا، أو هجاء، أو مدحا...،أو يكون التّصنيف بحسب موضوع القصيدة، أو بحسب أكثر الشّعر شهرة.

أما مجال السّرديات فقد كان حريصا على العنونة، إذ عدّت عند الدارسين عتبة

---

[1]–محمد عويس: العنوان في الأدب العربي النشأة والتطوّر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1988م، ص 49.

[2]–يوسف شكري فرحات: ديوان الصّعاليك (الشّنفرى، عروة بن الورد، تأبّط شرّا،ا لسُليك بن السُلكة)، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2004م، ص 38.

[*]– شعيب حليفي: المرجع السابق، ص30.

[3]–رشيد يحياوي: المرجع السابق، ص26 وما بعدها.

النص الأولى التي تواجه المتلقي، وتفتح له أبواب أفق الانتظار الذي سيبني معنى المتن ويحدد هوية النص، إن العنوان عندهم هو «نص سابق يبسط ظلاله على النص، ويحدد هويته...» [1]، وهو بذلك فاتحة نصية تساعد المتلقي على التأويل، إذ يظهر بين النصين (العنوان –المتن) تأثير وتأثر «إذ يضعنا العنوان ضمن قنوات وأفهام احتمالية تظل تمارس تأثيرها في موقفنا من النّص، وتسوق القارئ إلى احتمالات تأويلية دون غيرها، لا يستطيع أن يتجاوزها إلا بعد أن تدخل تأثيرات المتن (النص الثاني)، حيث تبدأ في داخل المتلقي عملية تفاعل وصراع وانزياحات مفهومية وتنتصر فيها إدراكات وتأويلات على غيرها، وتتراجع تأويلات واحتمالات لمصالح غيرها من خلال تفاعل متبادل يظل فيه العنوان مرسلا لأضوائه التي زودنا بها في البداية،...» [2]. يستوقفنا هذا النّصّ عند العملية التّفاعلية التي يكون أبطالها(العنوان، النّص، القارئ)؛ فأهمّية العنوان تتمثّل في التّأثير على المتلقّي في تأويل المتن النّصّي من خلال توجيهه إلى قناعات معيّنة، وأهمية النّص تكمن في انفتاحه اللّامحدود على الاحتمالات الدّلالية، وأمّا حضور القارئ فيتجلّى من خلال إبدال أفكاره بأفكار جديدة، أو بإحداث بعض التّغييرات على مستوى وُجهات النّظر السّابقة، وعليه فالعلاقة بين هذه العناصر الثلاثة جدّ وطيدة لا يمكن فصمها.

يستقطبنا في الاتجاه نفسه ما قال به المحدثون الغربيون فقد أولى "جيرار جينيت" العنوان عناية كبيرة، وجعله نصا موازيا ينضوي تحت النص الأكبر، ورأى أن العنوان (النص الموازي) هو ما يصنع به النص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، إنّه واحد من العتبات البصرية واللّغوية التي تفرض وجودها في اللّقاء الأوّل والمباشر مع الكتاب أو النّص، وهي: العنوان الأساسي، والعنوان الفرعي والعناوين الداخلية، والمقدمات، والملخصات، والذيول، والتنبيهات والتوطئة والتقديم، والإهداءات،

---

(1)–ابن حميد رضا: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، ***مجلة فصول***، مج (51)، ع2، 1996، ص100، نقلا عن سامح الرواشدة: منازل الحكاية، دراسات في الرواية العربية، دار الشروق، عمان، ط1، 2006م، ص134.

(2)–سامح الرواشدة: المرجع السابق، ص134-135.

والخاتمة، وغيرها.

رابعا- العنوان والتّلميح

من خلال قراءتنا للموروث العربي وقفنا عند مقولة **لصفي الدين الحليّ** في كتابه "نتائج الألمعية" يفرق فيها بين مصطلحين اثنين هما العنوان والتّلميح إذ يقول بأنّ «التلميح يقع من النثر خاصة في النّظم والنّثر بينما العنوان من النّظم والنّثر في النظم خاصة»[1]. إنّه من خلال هذه المقولة يفرق الباحث بين التّلميح والعنوان إذ جعل الأوّل وسما يعرف به النّثر، وجعل الثّاني وسما على مسمّى الشعر، والتّلميح مشتق من المادة اللغوية "لمح" بمعنى اللّمعان الذي يظهر بسرعة لهذا يقال: «لمح البرق والنجم: لمع من بعيد»[2]، أي ظهر مضاء بقوّة وسرعة، وهو أسرع من لمح البصر.

ولعل "**صفي الدين الحلي**" لمح مقاربة دلالية بين العنوان الدّال على الوضوح والظهور بسرعة، لهذا جعلهما وسما على المسمّى، وأرجع الفارق فقط إلى نوعية النّص؛ فإن كان شعرا نسميه بالعنوان، وإن كان نثرا نسميه بالتّلميح.

---

[1]- إنعام فوال عكّاوي : المرجع السابق، ص 609.

[2]- الزّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار النّفائس، بيروت، ط1، 2009، ص535.

خامسا: أنواع العناوين

اتفق الدّارسون في مجال العنونة على أنّ "العنوان" ينقسم إلى عدّة أقسام حسب ما أورده الباحث عبد القادر رحيم ومنها الآتي:

1-العنوان الحقيقي:(Le Titre Principale) هو ما يحتل واجهة الكتاب، ويبرزه صاحبه لمواجهة المتلقي، ويسمى «العنوان الحقيقي أو الأساسي، أو الأصلي»[1]. فيتميز بذلك عن غيره من العناوين التي توضع لكتاب ما، مثل مقدمة ابن خلدون، أو الكتاب لسيبويه.

2-العنوان المزيّف:(Faux Titre) يمثل هذا العنوان صورة عاكسة ومطابقة للعنوان الحقيقي، الذي يظهر على غلاف الكتاب، فهو إعادة وتكرار للعنوان السابق، قد يماثله تماما، وقد يُختصر «ويعزى إليه مهمة استخلاف العنوان الحقيقي إن ضاعت صفحة الغلاف»[2]، وهو ظاهرة نجدها في كل الكتب.ومن وجهة نظرنا فهذه التسمية القائمة على التزييف ليست منطقية، لأنه لا يزيّف العنوان الحقيقي، إنما يكرّره لهذا كان الأحرى أن يسمى العنوان المطابق.

3-**العنوان الفرعي: (Sous Titre)** يسمى هذا القسم الثالث من العناوين بالعنوان الثانوي أو الثاني[3]، وهذا نجده خاصة في الكتب القديمة، التي تحمل عنوانا حقيقيا، ثم عنوانا إضافيا يكون مفسّرا وشارحا لمضمون العنوان الأول، لهذا اعتبرت هذه العتبة المضافة شكلا من أشكال تتمة المعنى. نمثل لذلك بمقدمة ابن خلدون التي يتبع عنوانها مباشرة عنوان فرعيا طويلا جدا هو (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، فهذا العنوان جاء مقدمة تحليلية توضح معنى ومفهوم العنوان الأصلي وهو المقدمة.

4-العنوان التّجاري: نلتمس هذا النوع من العناوين في الإعلانات التجارية

---

(1)-محمد الهادي العطوي: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، ***مجلة عالم الفكر***، ص475.

(2)-عبد القادر رحيم : علم العنونة دراسة تطبيقية،المرجع السابق، ص50.

(3)-ينظر: محمد الهادي العطوي: المرجع السابق، ص475.

وعناوين الصحف والمجلات مثل (النهار، الخبر، الجمهورية، مجلة آفاق، مجلة عالم المعرفة...) إذ «يقوم أساسا على وظيفة الإغراء لما تحمله هذه الوظيفة من أبعاد تجارية»[1]، وهذا الصنف من العناوين استهلاكي بالدرجة الأولى، لهذا يعتمد على أسلوب التأثير في المتلقي كي يقتني السلعة، أو يقرأ الصحيفة أو المجلة.

سادسا: وظائف العنوان

سبق أن ألمحنا من خلال تعريفات "العنوان" السّابقة إلى أنّ له أكثر من وظيفة، فبحسب علاقته بالنص تكون وظيفته؛ تارة محددا لموضوع نصه، وتارة واصفا له، وأحيانا مغريا بدوالّه، وذو أبعاد جمالية في مرات أخر، لهذا كانت أكثر الوظائف تدور في هذه الحلقة مادام يمثل علامة بصرية تمارس سلطتها على المتلقي، وتؤثر فيه، وتوجّهه، بل قد تتجاوز ذلك إلى التّشويش عليه في بعض الأحايين، وهذا لأنّه لا يكون دائما صورة عاكسة للنّص. ويمكن تلخيص الوظائف وفق ما توصّل إليه الدارسون لعلم العنونة، كل من وجهة نظره.

1-الوظيفة التَّعيينية: (La Fonction De Désignation)

يطلق عليها أيضا تسمية الوظيفة التمييزية عند "**غلودنشتين**" (Glodenstein) وهي أشهر الوظائف، تقوم أساس على تسمية النص وتحديد معالمه كي يتميز ويختلف عن نصوص أخرى، فلولا العنوان لما تحدد مسمّى النص، فهو ملفوظ قائم بذاته يحيلنا على النص، الغاية منه التفرقة بين المؤلّفات والأعمال الفنية[2]، فهذه وظيفة عامّة تشترك فيها كلّ العناوين، إذ إنّ كل عنوان هو ملفوظ يفرق بين مؤلّفات الكتّاب، كما يفرّق بين عناوين الكتب العلمية منها والأدبية، والفلسفية، وغيرها.و يمكن تحقيق هذه الوظيفة مباشرة مع أوّل اتّصال بين المتلقّي والعنوان، وهذا لأنّ الأخير هو «أوّل شيفرة رمزية يلتقي بها القارئ... بوصفه نصّا أوّليا يشير، أو يخبر، أو يوحي بما

---

[1]–عبد القادر رحيم: المرجع السابق، ص52.

[2]– ينظر: بسام قطوس: المرجع السابق، ص50. ينظر أيضا: عبد المالك أشهبون: المرجع السابق، ص19.

سيأتي»[1].فوظيفة العنوان إذن إمّا أن تكون إشارة إلى النّص، أو إخبارا عن موضوع ما يكون مجهولا لدى متلقّيه، أو إيحاء بشيء خفيّ يجهله القارئ.

2-<u>الوظيفة الوصفية</u>:(La Fonction Déscriptive)

تكون العلاقة بين هذه الوظيفة واللّفظ علاقة قوية، فهي التي تقدّم لنا زوايا من النص تكون مجهولة لدى المتلقي فتضيء بذلك مضمون النص، «وهي وظيفة براجماتية محضة، إذ يسعى العنوان عبرها إلى تحقيق أكبر مردودية ممكنة»[2] من خلال تقديم صورة معرفية وتثقيفية وفكرية عن النص المعنون. وهي حسب جيرار جنيت [3] وظيفة مهمة جدا في العملية التواصلية، ولا يمكن الاستغناء عنها.

3-<u>الوظيفة الإغرائية</u>:(La Fonction Deductive)

ونعني بها الجاذبية التي يتمتع بها العنوان، فيتوسّع مجال تأثيره على القارئ، فهي وظيفة إشهارية، تعمل على إقناع المتلقي واستدراجه، واستمالته إلى القراءة.

وهذه المهمة لن تكون مقصورة على الكاتب فحسب، بل النّاشر أيضا عليه أن يمارس فنّ الإبهار من خلال تقنية الإخراج، وهذا لإعطاء النص جاذبية مؤثرة، وهو مسلك أغلب المبدعين[4]، فهو شبيه بالبطاقة الإشهارية التي تغويك وتمارس عليك تنويما مغناطيسيا لأنّه بالعنوان «يستثير المرسِلُ نفسية المتلقي بُغية استمالته لقراءة النص، بطريقة إغرائية تثير فيه غريزة القراءة»[5]؛ وهذا يكون عن طريق التّأثير البصري بدءا، ثم التّأثير الفكري ختاما، وهذا يكون إما إيجابا أو سلبا، إما بالتّحفيز المُمارَس على المتلقي، وإمّا بتنفيره من العنوان والمدوّنة على السواء، ولكن التحفيز هو الأكثر حضورا دائما.

---

[1]-بسّام قطّوس: المرجع السّابق، ص53.

[2]-عبد القادر رحيم: المرجع السابق، ص56.

[3]- G.Genette: Op.cit, p:73.

[4]-ينظر: عبد القادر رحيم: المرجع السابق، ص58.

[5]-المرجع نفسه، ص59.

4-<u>الوظيفة الدلالية الضمنية المصاحبة</u>:(Fonction Connotative Attachée)

تعتمد هذه الوظيفة على لغة النص الموظفة في العنوان، أهي بسيطة مباشرة، ام تلميحية إيحائية غير مباشرة. وهذه الأخيرة تأتي «مصاحبة للوظيفة الوصفية وتحمل بعضا من توجّهات المؤلّف في نصّه»[1]، يمكننا ان نعتبرها بذلك وظيفة توجيهية مادامت في الأخير ستجعل المتلقي يؤمن بالأفكار المبثوثة في النص من خلال عتبة العنوان التي أحالتنا عليه.

ويشير الباحث (J.P.Glodenstein) إلى وظائف أخرى، ولكن في الحقيقة هي اختلاف في التسمية فقط عن ما تقدم به **(جنيت)** في الوظائف السابقة حيث لخصها عبد المالك أشهبون[2] في الآتي:

*<u>**وظيفة فتح الشهيّة**</u>:**(Apéritive)** وهي تطابق الإغرائية، لأنها تركّز على استماله القارئ.

*<u>**وظيفة تلخيصية**</u>:**(Abréviative)** لم تُذكر عند جنيت، قُصد بها أن العنوان يلخّص النص، أو يعطي صورة مصغّرة عن محتواه دون أن يكشف عنه كليّة، وهذه الوظيفة فيها من معنى الاختزال، لأنّ المعاني الواردة في النّص إنّما تختزل في العنوان الذي يعكسها كلّية، أو يعكس جزءا منها.

*<u>**وظيفة تمييزية**</u>: **(Distinctive)** تميز النّص عن الأعمال الأخرى وتحدّد جنسه.

هذه هي أشهر الوظائف المعروفة، فقط نلاحظ بعض الاختلافات بين الدّارسين في تسمياتها . نمثّل لذلك بـــ "رولان بارث" **(Barthes)** عند إدراجه <u>لوظيفة الوسم</u>: وهي التعيينية المذكورة سابقا، و<u>وظيفة فتح الشّهية</u> القائمة على التشويق والإثارة[3] لأن النص الأدبي من منظوره ما هو إلا سلعة تمارس إغواءها للاقتناء.

---

(1)-عبد القادر رحيم: المرجع السابق، ص57.

(2)- ينظر: عبد المالك أشهبون: المرجع السابق، ص20-21.

(3)-المرجع نفسه، ص21.

أما خالد حسين حسين[1] فقد قدّم لنا جملة من الوظائف المنبثقة عن الدورة الخطابية عند رومان جاكسبون، هذا لأن العنوان مرسَلة قائمة على ثلاثية الكاتب، القارئ، النص، فهو الذي يبني العلاقة القائمة بينها، ومن ثم تتحقق الوظائف على هذا الشكل:

1-الكاتب ← العنوان: الوظيفة القصدية

2-العنوان ← القارئ: الوظيفة التأثيرية

3-القارئ ← العنوان: الوظيفة التفكيكية.

4-العنوان ← النص: الوظيفة الأنطلوجية + الوظيفة الإحالية

5-العنوان ← العنوان: الوظيفة الشعرية

فأما الوظيفة الأولى (القصدية) فترتبط عند جاكبسون بالتعبيرية أو الانفعالية التي تحدد قصد المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، أما الوظيفة الثانية «فهذه الوظيفة تجسّد الضغط الذي يمارسه "العنوان" –بوصفه نصا وصورة– على القارئ»[2] لتحدد العلاقة بين النّص والقارئ، أما التفكيكية فتحيلنا على أن النص والعنوان كلاهما قابل للتفكيك.

أما الإحالية فهي مرتبطة بالعنوان الذي يهب النص هويته، لنصل إلى الوظيفة الجمالية وطبيعة اللغة الموظفة من خلال الوظيفة الشّعرية.

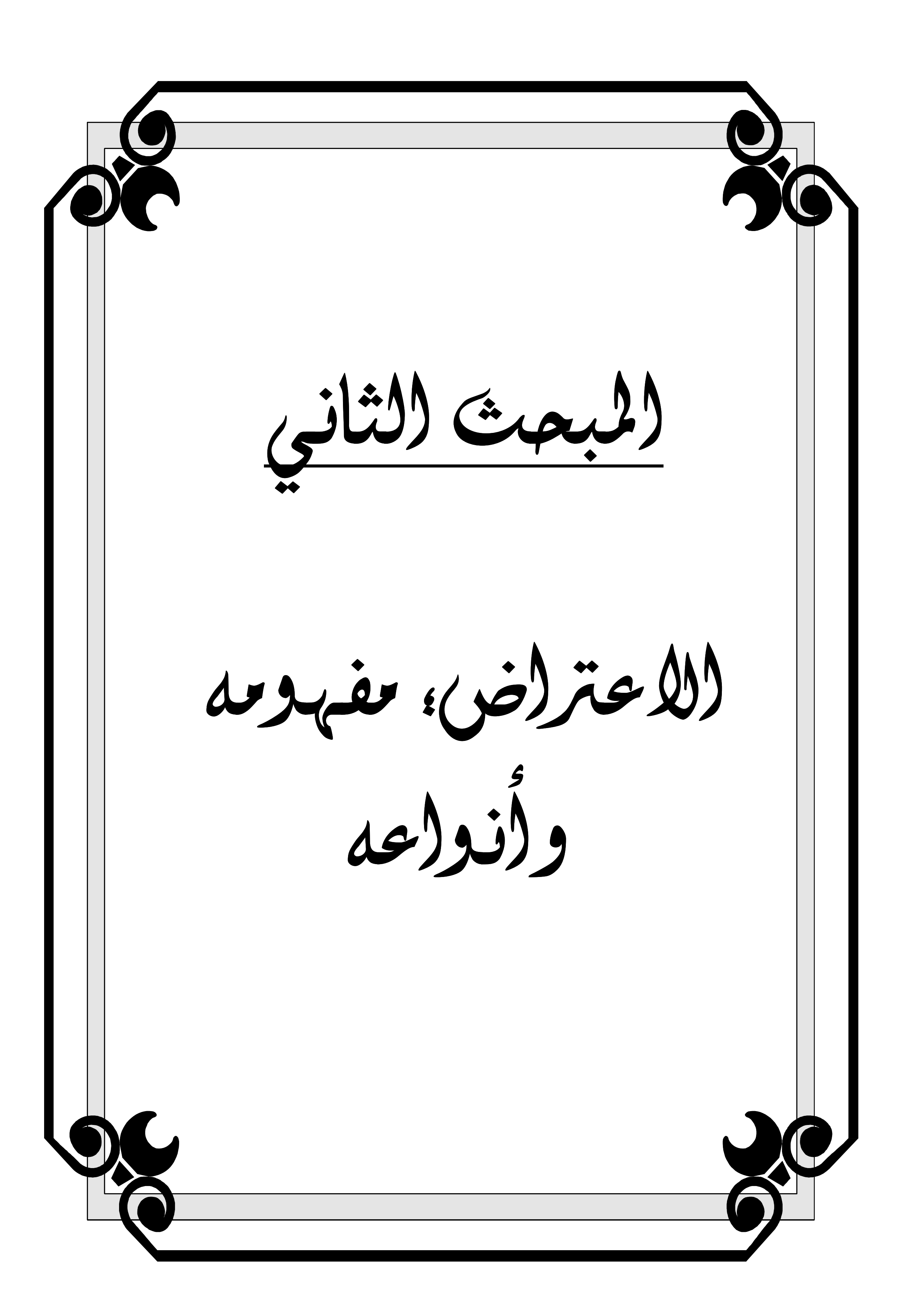
ولكنّه رغم استرسال الدّارسين في هذه الوظائف، فإنّ للعنوان دائما أربع وظائف أساسية هي: الإغراء، والإيحاء، والوصف، والتعيين؛ فالعنوان يمثل علامة بصرية تواجه المتلقي وتستوقفه وتمارس فاعليتها في أسره والتأثير عليه وتوجيه فهمه؛ لأنّه «الجملة الأولى التي تواجه القراءة والسواد الأول الذي يقلص مساحة البياض فوق النص"»[3]. وهذه الجملة ذات وظيفة تنبيهية تسهم في خلق علاقة مباشرة بين العنوان ومتلقّيه.

---

[1]– ينظر: خالد حسين حسين: المرجع السابق، ص98.

[2]–المرجع نفسه، ص101.

[3]–سامح الرواشدة: "تقنيات التشكيل البصري في الشعر العربي"، ***مؤتة للبحوث والدراسات***، مج12/ ع2/ 1997/ ص506. نقلا عن: سامح الرواشدة، منازل الحكاية، ص135.



المبحث الثاني

الاعتراض، مفهومه وأنواعه

أولا: مفهوم الاعتراض لغة واصطلاحا

1-الاعتراض لغة:

إنّ الوقوف عند الحقل المفهوميّ لمصطلح "الاعتراض" يعدّ منطلقا لمعرفة راسخة في مجهودات اللّغويين الذين تباينت آراؤهم؛ فعلى الرّغم من اتّفاقها بأنّ كلمة (الاعتراض) تعني المنع، إلّا أنّ من اللّغويين من قدّم دلالات أخرى ابتعدت عن هذا المعنى، فالخليل بن أحمد مثلا يقدم شرحا وافيا لهذه المادة اللّغوية **(عرض)** في باب **(العين والضاد والراء معهما)** قائلا: «واعترض له بسهم، أي: أقبل قبلهُ فرماه من غير أن يستعدّ له فقتله»[1]، بمعنى غدر به.

وهذا يختلف عن ما قال به **الرازي**(ت604ه): «(اعترض) الشيء، صار (عارضا) كالخشبة المعترضة في النّهر يقال (اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه»[2]، بمعنى وقف حائلا وحاجزا بين شيئين متّصلين ببعضهما البعض، والعارض يطلق على الحاجز المحسوس.

يؤكد **ابن فارس** من جهة ثانية ارتباط مصطلح "الاعتراض" بالمعنويات وليس بالمحسوسات فحسب، لهذا جعله موصولا بمضمون "الكلام" فقال: «ومن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام، ولا يكون هذا المعترض إلا مفيدا»[3]، وقد بيّن الدّارس هنا البعد السياقي وتأثيره في بناء الخطاب دلاليا من خلال الكلمات المعترضة، أو الجمل المعترض بها التي يشترط فيها الإفادة.

ويتفرّد ابن فارس في "مجمله" بدلالات أخرى تبتعد عمّا ذكر آنفا إذ يقول: «اعترضت الشيء تكلّفته. واعترضتُ: أعطي من أقبل وأدبر. واعترض فلان

---

[1]–الفراهيدي، الخليل بن أحمد: المصدر السابق، ص271.

[2]–الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تح: محمود خاطر بك، دار الفكر، بيروت،(د.ط)، 1981، ص425.

[3]–ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، المصدر السابق، ص245.

عرضي، إذا وقع فيه»[1]. فالاعتراض عنده ذو أبعاد ثلاثة ؛ التّكلّف، العطاء، الشّتم، وهذه الدّلالات لم يشر إليها اللغويون قبله.

وأما " **الصّغاني**"(ت 650ه)- ومن خلال ما أورده الزّبيدي- فقد عبّر عن ارتباط مفهوم الاعتراض بالأشياء المحسوسة، وهذا لأنّ الأصل فيه الطريق المسلوك إذا اعترض فيه بناء أو غيره، كالجذع أو الجبل، منع السّابلة من سلوكه، فوضع الاعتراض موضع المنع لهذا المعنى، وهو مطاوع **العَرْض**، يقال عرضته فاعترض[2]. أما ابن منظور (ت711هـ) في اللّسان يورد ما يلي: «... يقال اعْتَرَضْتُ على الدّابة إذا كنتُ وَقْتَ العَرْضِ راكِباً.. »[3]، «و العرب تقول: عَرَضَ لي الشَّيْءُ وأَعْرَضَ وتَعَرَّض واعْتَرَضَ بمعنى واحد»[4]. وهذا يعني كلّ مانع يمنع بلوغ الهدف.

ويتوسع **الزبيدي** (ت1205هـ) في "تاج العروس" وذلك بحسب متعلّقات هذا البناء اللّغوي بالتّركيب الذي يكون فيه، حيث تُحدّد دلالات كلمة (عَرَضَ) بحسب السّياق الذي تكون فيه فيقول: «عرضَ (الشيءَ له) عرضًا: (أظهره له)، وأبرزه إليه. وعرض (عليه) أمر كذا (أراه إيّاه) ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[5]»[6]. فالمعنى هنا هو الظهور والبروز.

أما عند المحدثين فقد اتفقت دلالة اللفظة مع ما ذهب إليه في المعجم الوسيط فقد دلّت المادة على الظهور مثلما قال بذلك الزبيدي، حيث يقال: «عرَضَ الشيء يعرضُ

---

[1]-ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، م1986، ج3، ص659 .

[2]-الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيّد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،ج 18، 2007، ص217.

[3]-ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1، 2005، مادة(ع ر ض)،ص601.

[4]-ابن منظور: المصدر نفسه، ج4، ص609.

[5]-سورة البقرة، الآية: 31.

[6]-الزبيدي: المصدر السابق، ص202-203.

عِرضًا وعُروضًا: ظهر وأشرف...» [1].و عليه نخلص إلى القول بأنّ الاعتراض جاء بمعنى الظهور، لأنّ المعترِض يكون بارزا وواضحا للعيان دائما، وهـذا يتّفـق مـع التّعريف اللّغوي للعنوان الذي أدرجناه في المبحث السابق، كما جاءت الكلمـة بدلالـة مادّية بمعنى المنع، لأنّ الشيء المُعْتَرِض يمنع النّاس من المرور، وقد يجـيء اللّفـظ بمعنى الغدر والشّتم، أو التّكلّف والعطاء.

2-**الاعتراض اصطلاحا**:

مثّل الاعتراض محطة مُهمّة في مباحث اللّغويين العرب، النحويون منهم والبلاغيون على السواء؛ وهذا لأنّ الجملة المعترضة من سنن العرب في كلامها، يؤتى بها للإيضاح أو لتقوية المعنى، ولأنّ الاعتراض أكثر الموضوعات ارتباطا بالنحو والبلاغة فقد كان له شأو كبير في مسار التحليل الاصطلاحي عند الفريقين، ولهذا سنقف هنا لنتعرف على أشهر المفاهيم .

أ-**الاعتراض عند النحويين**:

ممّا لا شكّ فيه أن مصطلح "الاعتراض" كان من أكثر المباحث اهتماما لدى النّحويين، خاصة عند تقسيمهم المشهور للجملة، إذ يجعلونها صنفان؛ صنف له محل من الإعراب وصنف لا محل له من الإعراب.

فأما الصّنف الأوّل فيضمّ الجمل التي يمكن أن تؤوّل بمفرد، وتأخذ تلك الجملة إعراب ذلك المفرد. وقد اختلف النّحاة في عدد الجمل التي لها محل من الإعراب، وفيما يلي ذكر أشهرها: الجملة الواقعة خبرا، والواقعة حالا، والواقعة مفعولا، والواقعة مضافا إليه، والواقعة بعد الفاء أو إذا جوابا لشرط جازم، والتابعة لمفرد، والتابعة لجملة لها محل من الإعراب [2]. أمّا ابن هشام فجعل منها الآتي: الواقعة خبرا، الواقعة حالا، المحكية بالقول نحو:(قال : إنّي عبد اللّه)، والمضاف إليها، الواقعة بعد الفاء وإذا لشرط

---

[1]– مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ج2، ص593.

[2]– ينظر: السيوطي، جلال الدّين: الأشباه والنظائر في النّحو، تح: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللّغـة العربية بدمشق، ج2، ص ص16، 21.

جازم، التّابعة لمفرد، التّابعة لجملة لها محلّ، وزاد الجملة المستثناة مثل (إلّا من تولّى)، والجملة المسند إليها[1].

وتعدّ الجملة الاعتراضية من الصّنف الثاني الذي أطلق عليه مصطلح: الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ وهي الجمل التي لا تحل محل المفرد، ولا تُؤول به. وقد رأى السّيوطي(ت911ه) أنّ المُعتَرِض منها ما جاء بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتحسينا، وهي لا تحلّ محلّ المفرد، ولا تقع في موضع رفع أو نصب أو جرّ. ولعلّ أشهرها الجملة الابتدائية، الجملة المستأنفة، الجملة التفسيرية، جملة جواب القسم، الجملة الواقعة جوابا لشرط غير جازم، أو جازم، ولم تقترن بالفاء، ولا بـــ "إذا" الفجائية. الجملة الواقعة صلة لاسم أو حرف، والجملة التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب.

و رغم هذه الاجتهادات فهذه الجملة المعترضة لم تحظ ببحوث مفصّلة ودقيقة إلّا عند قلّة من اللّغويين المتخصّصين في مجال النّحو خاصّة أمثال: ابن جنّي، وابن فارس، وابن هشام والسّيوطيّ.

و لعلّ أوّل إشكالية نشير إليها في هذا الباب هي عدم الدّقة في ضبط المصطلح، وهذا قد سبّب خللا منهجيا في التّعامل مع هذا الموضوع، إذ ظهرت بالموازاة مصطلحات أخرى تلتقي مع الاعتراض في قَطْعِ التّركيب دلاليا ونحويا بين متلازمين، من ذلك مصطلح "الفصل" عند البصريين، الذي نجد له مقابلا عند الكوفيين هو مصطلح (العماد)، وهو يعني عند البصريين «وضع ضمائر الرّفع المنفصلة بين المبتدأ وخبره بشرط أن يكون المبتدأ والخبر معرفتين أو يكونا مقاربين للمعرفتين»[2]، أما تسمية (العماد) فمردها إلى أنّه يُعتمد عليه في الفائدة.

يبدو من خلال هذا القول أنّ مقولة الفصل والبون ما بين شيئين عنصر رئيس في تحديد مصطلح (الفصل)، وكذا (الاعتراض)، وهو ما يبيّن لنا أنّ المصطلحين

---

[1]–ينظر: السيوطي : الأشباه والنّظائر، ج2، ص37–39.

[2]–ابن عصفور (ت669هـ): شرح جمل الزجاجي، تح: صاحب أبو جناح، (د.ط)، (د.ت)، ص65.

مترادفين إلاّ أنّ وجه الخلاف بينهما يكمن في إفراد الأول وتركيب الثاني؛ فأغلب النّحويين يقرّون أن هذه الضمائر الموضوعة بين المبتدأ وخبره هي عبارة عن حروف بينما جعلها الخليل «أسماء لا تنتقل عن الاسمية ولا موضع لها من الإعراب»[1]، وهذا يجعلنا نفسّر كلام الخليل تفسيرا يحيلنا على الاعتراض من باب أن الحروف فقط هي المعنية بتسمية الفصل.

واختُلف في ضمير الفصل بين الكوفيين والبصريين؛ «ذهب الكوفيون إلى أنّ ما يُفصل به بين النّعت والخبر يسمى عِمادا، وله موضع من الإعراب، وذهب بعضهم إلى أنّ حكمه حكم ما قبله، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما بعده. وذهب البصريون إلى أنّه يُسمّى "فصلا" لأنّه يفصل بين النّعت والخبر إذا كان الخبر مضارعا لنعت الاسم ليخرج من معنى النعت كقولك "زيد هو العاقل" ولا موضع له من الإعراب»[2].تؤشّر هذه المقولة على الخلاف القائم بين مدرستَيْ الكوفة والبصرة؛ الخلاف الأوّل يرتبط بالتّسمية، فما كان (عمادا) عند الكوفة هو (فصل) عند الفريق الثّاني، وأمّا الخلاف الثّاني فيتّصل بوظيفة هذه الوحدة اللغوية داخل السّياق، فهي ذات موضع من الإعراب عند الفريق الأوّل، وهي ليست كذلك عند الفريق الثّاني.

يُثبت رأي البصريين رائد النّحاة "سيبويه"، فقد كانت له إشارة في مجال "الفصل" إذ يقدم بابا في الضمائر المنفصلة تحت تسمية "باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلا"، ثم يوضّح بعض القواعد التي يجب أن تنتهجها في سياقات مختلفة، مؤكدا على أنّها لا تؤثر إعرابيا على ما بعدها إذ يقول: «واعلم أنّ فصلا لا يغيّر ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يذكر، وذلك نحو قولك: حسبت زيدا **هو** خيرا منك...»[3]، وهو يشير هنا إلى الجانب الإعرابي الذي لا يتأثّر بهذه الزّيادة، ففصل كلمتيْ (زيدًا وخيرًا) بالضّمير(هو) لم يؤثّر في تركيب الجملة، وكذا الوظيفة الإعرابية

---

[1]–ابن عصفور الإشبيلي: شرح جمل الزّجاجي، المصدر السابق، ص65.

[2]–الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت 577هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، ج2، ص706.

[3]–سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988،ج2، ص390.

لهما، ممّا يؤكّد زيادة الضمير المنفصل.

وقد أورد بعض الأمثلة القرآنية في هذا السياق موضحا عدم تأثير المضمر فيما بعده من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾[1]، فالضمير (أنا) في هذا السياق هو الفصل والصفة في الآن ذاته، فهنا يمكننا الاستغناء عن هذه الضمائر، ما دامت العلاقة القائمة بين ما هو سابق وما هو لاحق لا تنفصم، فهي زائدة لا تأثير لها نحويا في الجملة.

فدليل البصريين هنا هو حَمْل هذا الضّمير للدلالة على الفصل دون غيرها من الدلالات، وهو سبب إيثارهم لهذه التسمية، وقد شبهوه بكاف الخطاب في (ذلك وتلك) التي لا حظ لها من الإعراب، وكذا (ما) التي تجيء للتّوكيد.

ومما أوردناه ندرك أنّ الجملة الاعتراضية تلتقي مع الفصل في كونهما لا محل لهما من الإعراب، إلاّ أن من اللغويين من خالف هذا التوجه وقال بالوجه الإعرابي، كما فعل **المبرّد** (ت 285هـ) في القرن الثالث الهجري في باب له وسم بـ: (من مسائل كان وأخواتها)، إذ يجعل للفصل موقعا إعرابيا إذ يقول: «وتقول: كان زيد هو العاقل، تجعل (هو) ابتداء، والعاقل خبره»[2]، ومرّة أخرى يسقط الموقع لاعتبار أنّ الضمير في بعض الحالات قد يكون زائدا إذ يقول: «وإن شئت قلت: كان زيدٌ العاقل»[3]. فحذف الضّمير أو إبقاؤه لا يغيّر شيئا. ونرى أنّ هذا يختلف عن مسار الاعتراض الذي لا يمكن إسقاطه لأنّ من خصوصياته أن يكون مفيدا عكس الضّمير المفصول من السّياق الذي لا تُشترط فيه الإفادة.

و تبقى هذه الاجتهادات ناقصة لأنّها لم تؤسّس للمصطلح، بينما توجد دراسات أخرى قدّمت الكثير من ذلك المفهوم الاصطلاحي للاعتراض الذي تقدم به "ابن جني" في "الخصائص"، إذ يقول عنه أنّه سمة مشتركة بين كل أنواع الكتابات: «اعلم أنّ هذا

[1]– سورة الكهف، الآية: 39.

[2]–المبرّد، أبو العباس محمد بن يريد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ج4، ص103.

[3]–المصدر نفسه، ج4، ص103.

القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن، وفصيح الشّعر، ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم، أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل (فيه) بغيره، إلاّ شاذا أو متأوّلا»[1] قد أدرك ابن جنّي من خلال مقولته بأن الجملة الاعتراضية تأتي في أثناء الكلام، إلا أنّ ما سواها من الكلام فهو من باب الشذوذ،و هو ما يحدث مع الضمائر المنفصلة التي قد تكون زائدة ودون فائدة دلالية تُرجى.

و بمجيء **الزّركشي**(ت794هـ) نراه يعقد بابا في الاعتراض،وقد أدرج جملة من التّعريفات منها ما تقدّم به قدامة بن جعفر، معرّفا إيّاه بأنّه « يكون فاصلا بين الكلام والكَلاَمين لنكتة»[2].أي لغاية محدّدة يريدها الكاتب أو المتكلّم. أمّا النّحاة فقد اعتبروه «جملة صغرى تتخلّل جملة كبرى على جهة التّأكيد»[3] دون ان يؤشّر على هؤلاء النّحاة أو يذكر أسماءهم.

و يمكننا أنّ نعقّب على هذا بأنّ الجملة المعترضة تفصل بين متلازمين، وهو الشرط المتحقق في الفصل أيضا نمثّل له بقولنا: (كان محمد هو المجتهد)، بإضافة (هو) بين اسم كان وخبرها، وهما من العناصر اللّغوية المتّصلة التي يصعب فصلها، ولعلّ الفارق الملاحظ هنا هو أنّ هذين المتلازمين في أغلب الأحيان يكونان مفردين مع الفصل، بينما قد يكونان مفردين أو جملتين متصلتين معنى مع الاعتراض، ويساندنا هذا الطرح ابن هشام الأنصاري الذي أكد من جهة ثانية على أهمية الاعتراض في تقوية الكلام، وهي الوظيفة التي قد تسند لضمير الفصل في ثنايا الكلام .

ولا يفوّت **"المبّرد"** توسّعه في هذه المسألة، فيحدثنا عن مواطن زيادة الضمائر فيقول: «ولا تكون زائدة إلا بين اسمين لا يُستغنى أحدهما عن الآخر؛ نحو اسم كان

---

[1]–ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، باب الاعتراض، ص335

[2]–الزركشي، بدر الدّين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ج3، ص56.

[3]– الزّركشي: المصدر نفسه، ج3، الصّفحة نفسها.

وخبرها، ومفعولي ظننت وعلمت وما أشبه ذلك، والابتداء والخبر، وباب (إنّ)»[1]، ثم يدرج أمثلة في هذا السياق من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾[2]

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾[3]

﴿ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[4]

إنّه يحدّثنا بذلك عن زيادة الضّمائر(هم، نحن، هو) الواردة في الآيات الكريمة، وهي مفصولة دلاليا عن المتلازمات التي وردت في وسطها، وهذا خلاف بَيِّنٌ بيْن الفصل والاعتراض، لأنّ الثاني مقرون بدلالات تربطه بالجملتين السابقة واللّاحقة له على التّوالي.

ويُفرد "ابن جنّي" للاعتراض بابا في الخصائص[5]، ورأى أنّه من أساليب العرب في كلامها، كثير وحسن، يدلّ على فصاحة المتكلّم وقوّة نفْسِه، وامتداد نفَسِه، وقدّم أمثلة من الشّعر العربي، ومن القرآن الكريم في ذلك، وعدّه من طرق الفصل بين المتلازمين في الجملة الواحدة، وبين الجملة والجملة، إلا أنّه في تحليل الأمثلة التي استشهد بها لم يبحث في وظيفة الاعتراض، بل ركّز فقط على الجانب النّحوي لها؛ مؤكّدا أنّ هذه الجمل لا محلّ لها من الإعراب.

ولم تقترن تسمية الاعتراض بالجملة فحسب، بل ارتبطت هذه التّسمية بالحروف أيضا، فكثيرا ما ورد عن النحويين ما يسمى باللام المعترضة وهي لام التوكيد[*] وغيرها من اللاّمات (الطلبية، العلة (التعليل)، الغاية، الفارقة...)، وقد رأى منير سلطان أنّ الفصل في الكلام أبلغ من الوصل، والاعتراض جزء منه، وقد جعل للفصل

---

[1]–المبرد: المصدر السابق، ج4، ص104.

[2]– سورة الزخرف، الآية :76.

[3]– سورة الأعراف، الآية:113.

[4]– سورة المزمل، الآية :20.

[5] – ينظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: المصدر السّابق، ج1، ص335، 341.

[*]–ينظر: منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، ص187.

أدوات منها(ضمير الفصل، طرح الواو، الاستثناء المنقطع، والجملة المعترضة، وقد أرجع بلاغة هذا النّمط اللّغويّ إلى التّفسير، والإيجاز، والإيضاح.

وإلى مثل ذلك تتبع **"ابن وهب"** في كتابه "البرهان في وجوه البيان" في باب له وسمه بـــ"في القطع والعطف" مفهوم الاعتراض، حيث يرادف كلمة القطع بالاعتراض كما أورده منير سلطان إذ يقول: «مما قطع الكلام فيه وأخذ في فن آخر من القول ثم عطف عليه بتمام القول الأوّل، قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾[1]. ثم قطع وأخذ في كلام آخر، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [2]﴾»[3]. ثم تتبع الآية بعد الجملة الاعتراضية المذكورة بقوله:﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

ويورد **ابن هشام** (ت761هـ) مصطلح "الفصل" مرادفا للاعتراض في" مغني اللّبيب"، عندما يطرق باب تحليل بعض الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، فمن الأمثلة التي أوردها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[5]. يقول فيها: «فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدّر تقديره: فماذا قال لهم؟ ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها»[6].ويسميها الجملة المنقطعة عمّا قبلها، ويعني بذلك انقطاعها دلاليا عن السياق الوارد قبلها؛ إذ يورد أمثلة في هذا المقام، من ذلك قوله: «ومنه الاعتراض بجملة الفعل الماضي في نحو: «زيدٌ

---

[1]– سورة المائدة، الآية :3.

[2]– سورة المائدة، الآية :3.

[3]–منير سلطان: المرجع السابق، ص190 –191.

[4]– سورة المائدة، الآية:3

[5]– سورة الذاريات، الآية: 24–25.

[6]–ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصـــرية، بيروت، 1991،ج2، ص441.

أظنُ قائمٌ»، وبجملة الاختصاص في نحو قوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث»[1]. فكلمة (أظن) اعتراض بين المبتدأ وخبره وهما متلازمان، وأمّا الاعتراض الثّاني ففي قوله ﷺ (معشر الأنبياء) وهو اختصاص وضّح أنّ التوريث يكون عند كلّ النّاس عدا الأنبياء فلا يورّثون.

كما نراه يتحدث عن الاعتراض بالحرف مثل "كان" الزائدة، وبين ما أصله المبتدأ والخبر، وبين الشرط وجوابه، بين القسم وجوابه، بين الصفة والموصوف، بين الموصول والصلة، بين الجار والمجرور، أي بين كل متلازمين لا يمكن الفصل بينهما، ثم يؤكد على أن وظيفته البلاغية الرئيسة هي «المبادرة بإبلاغ السامع معنى لولا إبلاغه إيّاه في حينه لورد على الكلام بدونه مالا يَرِدُ عليه بوجوده»[2].وهي إشارة ضمنية إلى أنّ للجملة الاعتراضية وظيفة داخل السّياق ما كانت لتكون بإسقاطها منه.

وتركيزا على هذه الوظيفة، نجد أنّ من الباحثين من جعل الاعتراض من الظواهر التّركيبية التي تعرف بلغة النقد الأسلوبي (عدولا) فهي «تمثل مغايرة للنمط المألوف في تركيب الجملة؛ ممّا يجعلها قادرة على لفت انتباه المتلقي؛ إذ يصادف خروجها ومغايرة عمّا اعتاده من هيئة تركيبية يكاد مجيء الجمل يطّرد عليها»[3]، ويقول في موطن آخر «ويتّصل الاعتراض بالتأثير الذي تتركه المغايرة في التركيب على الدلالة؛ إذ يعتمد على تحويل أحد عناصر التركيب عن منزلته وإقحامه بين عناصر من خواصها الترابط والتسلسل وهو ما ينجم عنه تحريك للمفردات على نحو أفقي»[4]، وهذا التحريك يمثل نقطة خلخلة تؤثر على خلد وذهن المتلقي مما ينبهه إلى توجيه عنايته بالدلالة المحددة المقصودة من وراء القول، وبهذا يمكن أن نقول أنّ هذا

---

[1]– ابن هشام: المصدر نفسه، ج2، ص447. الحديث الشّريف رواه النَّسائي، أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب: السُّنن الكبرى، تح: عبد الغفّار سليمان البنداري، وسيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1411هـ–1991م)،ج5،ص66.

[2]– ابن هشام :المصدر نفسه، ج2، ص115.

[3]– طارق شلبي: دراسات في لغة النّص، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007، ص120.

[4]– طارق شلبي :المرجع السّابق، ص124.

المعترِض لا يكون إلاّ مفيدا، لأنّ لا قيمة للنّص المعترض دون وظيفة تتصل به تحسينا للكلام أو إيضاحا، أو تعديلا لفكرة سابقة.

ويوضّح لنا " **الكفوي**" (ت1094ه) أغراض الاعتراض زيادة على ما قيل سابقا في الآتي: «وجوّز وقوع الاعتراض فرقة في آخر الكلام، لكن كلّهم اتّفقوا على اشتراط أن لا يكون لها محلّ من الإعراب ؛ والنّكتة فيه إفادة التّقوية أو التّشديد أو التّحسين أو التّنبيه أو الاهتمام أو التّنزيه أو الدّعاء أو المطابقة أو الاستعطاف أو بيان السّبب لأمر فيه غرابة أو غير ذلك»[1] . فالتّقوية هي أن تؤكّد الجملة أمرا قد ذكر سابقا وهي أشهر الوظائف المنوطة بها بمعيّة التّشديد، وقد وضّح الزركشي الفرق بين المصطلحين(التأكيد/التشديد) من خلال مقولة للشّيخ عزّ الدّين في أماليه، جاء فيها: «الجملة المعترضة تارة تكون مؤكّدة، وتارة تكون مشدّدة؛ لأنّها إمّا ألّا تدلّ على معنى زائد على ما دلّ عليه الكلام بل دلّت عليه فقط، فهي مؤكّدة. وإمّا أن تدلّ عليه وعلى معنى زائد، فهي مشدّدة»[2]. أمّا بقية الأغراض الأخرى فمنها ما يركّز على التركيب الجماليّ للنّص المعترض كالتّحسين، فهذا الاعتراض يشبه المحسنات البديعية التي تزيد الكلام جمالية وتأثيرا، ومنها ما يرتكز على الجانب الموضوعي الذي يصبّ في مجرى الدّعاء أو الاستعطاف، أو التّنزيه، وهذا بحسب السياقات المختلفة التي تَرد فيها.

أمّا المحدثون من الدارسين فقد جعلوا من الاعتراض ظاهرة أسلوبية ولونا من ألوان العدول، وهذا ما عبّر عنه تمام حسان إذ يقول: «ولا يكون الاعتراض إلاّ بجملة وهي لكونها معترضة غريبة عن سياق الكلام لا ينسب إليها محل من الإعراب لكونها لم تحل محل أحد مفردات السياق الأصلي»[3].وهذه نظرة مبنية على الوظيفة النّحوية للجملة دون وظيفتها الدّلالية.

---

[1]–الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، إعداد: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص145.

[2]–الزركشي: المصدر السابق، ج3، ص56.

[3]–تمّام حسان: البيان في روائع القرآن–دراسة لغوية وأسلوبية للنّص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ج2، ص115.

ب-الاعتراض عند البلاغيين:

جعل البلاغيون الاعتراض أسلوبا من أساليب التعبير، وأولوه عناية خاصة من حيث تعريفه، أو تبيان طاقاته الجمالية في النصوص عموما. ولعلّ فاتحة هذه الاهتمامات تعود إلى الزّركشي، الذي جعل منه أسلوبا من أساليب التّوكيد في العربية؛ أي أنّ هذا الاعتراض لا يأتي اعتباطا إنما يجيء لوظيفة محدّدة.

فأبو **هلال العسكري** (ت395هـ) في القرن الرّابع مثلا يؤكد على الوظيفة الدّلالية للمعترَض به قائلا في تحديد مفهومه: «وهو اعتراض كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمّه»[(1)].فهو الّذي يقطع الكلام الذي يفترض تتمّته.

ويشير **القزويني**(ت 739ه) في التلخيص إلى قيمة الجملة الاعتراضية، فهي جملة مؤكّدة للجملة الأولى، وجعلها من باب كمال الاتّصال، وقد وقف عند تحليل آيات من الذّكر الحكيم ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: 2]، فرأى أنّ الذي يتوهّم أو يشكّك في تمام هداية هذا الكتاب قد تمّ الرّد عليه بجملة(لا ريب فيه)«تأكيدا لسابقه من كلام، ونفيا لذلك التّوهّم، فوَزَان هذا التّأكيد وَزَان (نفسُه) في نحو قولي: (جاءني زيدٌ نَفْسُه) دفعا لتوهّم يقع فيه السّامع »[(2)]. وهذا لأنّ الكتاب كامل الهداية، بينما بقيّة الكتب السّماوية تتفاوت درجات كمالها لما شابها من تغيير وتبديل.

ومن المصطلحات البديلة عن "الاعتراض" ما جاء به علي الجرجاني وهو(الحشو) معرِّفا إياه بقوله: «أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى رفع الإيهام»[(3)]. إنّ هذا التّعريف

[(1)]-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين : الكتابة والشّعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،1986م، (د.ط)، ص394.

[(2)]-القزويني، جلال الدين محمد عبد الرحمن: شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح محمّد هاشم دويدري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1982م، ص94.

[(3)]-الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، تح: محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص46.

يصبّ في مجرى واحد وهو الاتّفاق على تحديد الطبيعة النّحوية للاعتراض باعتباره جملة لا محل لها من الإعراب، فهي وسيط فاصل بين متلازمين لا يحسن قطع ترابطهما الدّلاليّ والنّحويّ، كما يشير إلى كثرة وظائفه، ولكنّه استثنى في ذلك رفع الإيهام، ذلك لأنّ مثل هذه الجمل لا يكتنفها الغموض.

وعن إمكانية حذف الجملة الاعتراضية في السياق أشار "الرّازي" في القرن السادس الهجري أنّه أمر مشروع، وهذا أثناء بسطه لمفاهيمه حول هذه الظاهرة اللّغوية أثناء حديثه عن وجوه الفصاحة، فبعد أن يحدثنا عن المقابلة والمطابقة، والمزاوجة، يضبط لنا تعريف الاعتراض في الآتي: «أن يدرج في الكلام ما يتمّ الغرض دونه»[1]، رافضا بذلك قيمته البلاغية والإبلاغية في الكلام مادام لا يؤثر فيه لا زيادة ولا نقصانا.

ولا يفارق **"الطّيبي"** (ت743هـ) سياق التعريفات المقدمة آنفا، إذ نراه يُفْرِد فصلا في اعتراض جملة بين جملة في باب التقديم والتأخير، إذ يعرّفه بقوله: «وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كَلاَمَيْن متّصلين معنى بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب ومرجعه إلى التأكيد»[2]، وهو من خلال تعريفه هذا يلتقي مع "ابن جنّي" في الحديث عن وظيفة التوكيد التي تختص بها الجمل الاعتراضية دون غيرها من الجمل.

كما أنّ "الطيبي" يطلق عليه تسمية (الحشو المليح) في مقولة أخرى إذ يقول: «ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة مع أنّ مجيئه مجيء مالا يُترقب، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب، وإذا كانت كذلك يسمى حشوا مليحا»[3].و هذه إشارة منه إلى أنّ النّص الاعتراضي كلام زائد، لا يؤثّر على دلالة النّص، ولكنّه ليس قبيحا فقد وُصف بالحسن لأنّه ذو غاية تحسينية جمالية من خصائصه الفجائية التي

---

[1]–الرازي، فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985، ص287.

[2]–الطيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله: التبيان في البيان، دار البلاغة، بيروت، ط1، 1991، ص287.

[3]–المرجع نفسه، ص240–241.

تؤثّر في المتلقّي إيجابا.

و إذا كان "الطّيبي" قد آثر الحسن صفة للحشو فإنّ ابن سنان الخفّاجي(ت466ه) قبله قد اختار مصطلح "الحشو" فقط، وفيه يقول: «وأصل الحشو أن يكون المقصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الرّويّ إن كان الكلام منظوما، وقصد السّجع وتأليف الفصول إن كان منثورا...»[1]، فالاعتراض عنده هو الحشو، وهو يوجد في الشّعر كما يوجد في النّثر، يفيد دائما فائدة مختارة، وهذا هو المحمود عنده وعدا ذلك فهو من الكلام المذموم، الغاية منه في الشّعر هي كمال الوزن وصلاح الإيقاع، من ذلك قول أبي الطّيّب المتنبّي من الطّويل:

وتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّب *** يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا – وحَاشَاكَ – فَانِيَا[2]

فابن سنان الخفّاجي يرى أنّ (حاشاك) هنا لفظة زيدت بغرض كمال الوزن، لأنّ إسقاطها من الشّطر الثّاني، وقولنا: (يرى كلّ ما فيها فانيا) لا يُفسد المعنى، فهو كلام صحيح وتام، وإنّما جيء بالحشو من باب الحفاظ على وزن البيت الشّعري.

ويجب أن ننوّه هنا إلى أنّ مصطلح الاعتراض لم يلق ترحيبا من طرف بعض البلاغيين، فممّا أورده الزّركشي في هذا المجال إشارته إلى أنّ الأكثرين ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله، ويسمونه التأكيد، حتى لا يكون زائدا في النّص، إنّما يحمل دلالة قد تكون التّأكيد أو غيره، فهم ينزّهون كلام الله تعالى من كل زيادة أو حشو، لأنّه معجز وبليغ.

---

(1)– الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان: سرُّ الفصاحة، تح: علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1932م، ص138.

(2) – هذا البيت الشّعري من قصيدة << كفى بك داء>>، ينظر: ديوان المتنبّي، أبو الطّيّب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصّمد، المستقبل العربي، ص308.

ثانيا/ الاعتراض والالتباس المصطلحي

إنّ أهمّ مشكلة تواجهنا في تحديد مصطلح " الاعتراض" هي التّعدّد المصطلحيّ الذي لم يجعل المصطلح قارا في استعماله بل جعله ملتبسا بغيره من المصطلحات. ورغم ذلك فإن مفسري القرآن الكريم، وفي مقدّمتهم الزمخشري، ودارسي علوم القرآن وفي مقدمتهم الزّركشي قد أحسنا التواصل مع هذا المصطلح، نظرا لبحثهم المستفيض في الكشف عن الجوانب البلاغية والأسلوبية التي حققتها جملة الاعتراض في تركيب النّص القرآني.

فــ**الزّمخشري**(ت 528ه) مثلا يجعل من شروط الاعتراض وجود حرف العطف (الواو) «قال الطيبي: سئل الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [1]، أهو اعتراض؟ قال: لا، لأنّ من شروط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوه، وأما بالفاء فلا»[2].فالواو إذن عنصر ضروري وأداة هامّة من أدوات الجمل المعترضة، التي لا يكون الاعتراض إلاّ بها.

وإذا كان الرّابط النّحوي له قيمته عند الزّمخشري، فإنّ للوظيفة الدّلالية قيمتها أيضا عند **"الحموي"**، الذي يعرّف الاعتراض بقوله: «هو عبارة عن جملة تعترض الكَلاَمَيْن تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم»[3]، فهو من خلال رؤيته هذه ينفي فكرة (الحشو)أو زيادة الكلام، التي ذكرت سابقا من طرف بعض الباحثين، ويؤكد الوظيفة الدلالية للجملة الاعتراضية فهي لم توجد اعتباطا إنّما تتعدّد وظيفتها بتعدّد سياقاتها.

لهذا نجد أن الحموي يفرق بين المصطلحين (الاعتراض- الحشو) من ذلك قوله: «ومنهم من سماه الحشو، وقالوا في المقبول منه: حشو اللوزينج، وليس بصحيح،

---

[1]–سورة المدثر، الآية: 55.

[2]–الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت 528هــ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4، ص48.

[3]–الحموي, تقي الدين أبي بكر علي: خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام عشيتو، دار الهلال، بيــروت، ط1، ج1، 1987، ص280.

والفرق بينهما ظاهر، وهو أنّ الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم، والحشو إنمّا يأتي لإقامة الوزن لا غير»[1]، مخالفا بذلك التسمية التي تقدم بها الجرجاني وكذا ابن هشام. وابن سنان الخفاجي الذي جعل وظيفته الرّئيسة اصطلاح الوزن وتناسب القوافي، ويصح المعنى دونه لو سقط من الكلام.

وأدخله "**السّكاكي**" (ت626هـ) ضمن سياق المحسّنات المعنوية، وأطلق عليه مصطلح " التّقرير والتّأكيد" [2]، وقد كان "**ابن الأثير**" (ت637هـ) من أبرز من قلّلوا من قيمة الاعتراض، وهوّنوا من شأنه، فقد جعل وجوده في الكلام كخروجه منه، فالمعنى عنده لا يتأثّر بالاعتراض وجودا أو عدما، ولذلك عرّفه فقال: «كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب، لو أسقط لبقي الأول على حاله»[3]. وذكر **علي بن معصوم المدني** (1120هـ) عدة مصطلحات له، ولكنه عقد فصلا خاصا، وقال إنّه: «متى خلا عن نكتة سمي حشوا، فلا يعد حينئذ من البديع، بل هو من المستهجن»[4]؛ أي أنّ الاعتراض عنصر متحرّك في النّص؛ فكلّما كان مفرغا من وظيفة بلاغية أو تحسينية أو دلالية في سياقه كلّما كان حذفه خير من بقائه.

أما في دراسة المحدثين فقد تباينت تعريفاته، رغم أنها تلتقي في الكثير من جزئيات التعريف، لعلّ أشهرها ما تقدم به تمام حسان «والمقصود اعتراض مجرى النمط التركيبي بما يحول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالا تتحقق به مطالب التضام النحوي فيما بينها والجملة المعترضة في كل أحوالها أجنبية عن مجرى السياق النّحوي فلا صلة لها بغيرها ولا محل لها من الإعراب وإنمّا هي تعبير عن خاطر طارئ من دعاء أو قسم أو قيد بشرط أو نفي أو أمر أو نهي أو تنبيه إلى ما

---

[1]– الحموي: المصدر السّابق، ج1، ص280.

[2]– ينظر : السّكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعـيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1987، ص268–269.

[3]–ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص172.

[4]–المدني، علي صدر الدين الحلي: أنوار الربيع في أنواع البديع، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص52، وص136.

يريد المتكلم أن يلفت إليه انتباه السامع»[1].تؤكّد هذه المقولة على أجنبية الجملة الاعتراضية، فهي ليست جزءا عمدة في التّركيب ولا تحتلّ محلاّ إعرابيا فيه، وهي ليست عمدة الكلام إنّما دخيلة عليه رغم أنّ لها وظيفة، المتكلّم وحده من يضعها؛ لهذا فهي قد تكون دعاء، أو تنبيها، أو قسما، أو أمرا بحسب الهدف الذي وضعه المتكلّم من خلال إضافتها إلى السّياق.

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ الاعتراض ضرورة بلاغية ولغوية يحسن توظيفها في الكلام، فهو من خصائص السياق، كما أنّه من مقتضيات النظم، ومن متطلبات المقام، من وظائفه تأكيد الكلام، أو التّنبيه على أمر مجهول لدى متلقّيه، أو تقديم معلومة يجهلها المتلقّي.

ومن المصطلحات التي تلتبس مع الاعتراض أيضا الجملة الحالية والجملة الاستئنافية، والالتفات، وهي المظاهر اللغوية التي سنقف معها في الآتي من الدّراسة.

1-<u>الفرق بين الجملة المعترضة والجملة الحالية:</u>

رأى أغلب الدارسين أن (الجملة المعترضة) كثيرا ما تشتبه بالجملة الحالية، لهذا نراهم يفرقون بينهما من خلال إدراك الوظائف المعنوية، أو فروق شكلية بينهما، ولعل ابن هشام كان أكثر هؤلاء الذين فرقوا بين النموذجين التركيبين، وقد ركّز في تفرقته بين النّموذجين على أربعة نقاط رئيسة ويمكن تلخيصها في الآتي[2]:

أوّلا: الجملة المعترضة قد تكون غير خبرية، كالأمرية، والدّعائية، والقسمية والاستفهامية.

ثانيا: يجوز تصديرها بدليل استقبال كالتّنفيس و"لن" مثلا.

ثالثا: يجوز اقترانها بالفاء مثل قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3].

---

[1]-تمّام حسان: البيان في روائع القرآن، المرجع السّابق، ج1، ص115-116.

[2]-ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، المصدر السابق، ص441.

[3]-سورة الرحمن، الآية: 63.

رابعا: يجوز اقترانها بالواو

وهذه الاختلافات التي قال بها "ابن هشام" تركّز على البناء الشّكلي للجملة الاعتراضية من خلال علاقاتها بما يسبقها من الكلام وما يلحقه دون الوقوف عند الجانب الدّلاليّ، وهو الأهمّ في تحديد طبيعة الجملة إن كانت اعتراضية أم حالية، ذلك أنّ التّقاطع الشّكلي بين هذه الأنماط الجُمَلية أمر وارد دائما، والسّياق وحده ما يعمل على تحديد الدّقائق اللّغوية بينها. والاعتراض الحقيقيّ «ما جاء بين ركنين أساسيين مجيئا لا يصحّ فيه تأخيره مع بقاء دلالته»[1]، وأيّ تغيير على المستوى التّقديم أو التّأخير يؤدّي إلى تغيير دلاليّ بالضّرورة . ونشير هنا إلى أنّ الكلام السّابق لابن هشام مردود؛ والسبب في ذلك أنّ الجملة المعترضة تكون غير خبرية في أغلب الأحيان والنّماذج الاستشهادية التي سنقدّمها في الفصل الثّالث من هذا البحث أكبر دليل على ذلك.

كما أنّ الجمل الاعتراضية الواردة في القرآن الكريم قلّما اقترنت بالواو والفاء، وأمّا عن اتّصالها بدليل استقبال فهو أمر نادر أيضا.

ويمكننا أن نصل ممّا سبق ذكره إلى الملاحظات الآتية:

1-إن الجملة الحالية من الجمل التي لها محل من الإعراب، فهي تقع موقع المفرد وتنوب عنه في إعرابه، في حين أن الجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب.

2-إنّ الجملة الحالية خالية من أدوات الاستقبال، في حين قد أجاز النحاة أن تتصدر الجملة الاعتراضية بدليل استقبال، مثل: (السين، سوف، لن، لا).

3- اشترط النّحاة أن تكون الجملة الحالية خبرية، في حين نراهم يجوزون أن تكون الجملة الاعتراضية إنشائية، أو طلبية أو تعجبية.

---

[1]- حسني عبد الجليل: إعراب النّص- دراسة في إعراب الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، دار الصّحوة، القاهرة، ط1، 2010م، ص85.

4-جواز اقتران الجملة الاعتراضية بالفاء، وامتناع ذلك في الحالية، كقوله تعالى: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] [2].

5- لجملة الحال دلالات، وأغراض بلاغية، تختلف عن دلالات وأغراض الجملة الاعتراضية منها:

- جملة الحال تبين هيئة صاحب الحال من ذلك قوله تعالى:﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾[3]، فجملة (وهم نائمون) مبيّنة لهيئة أولئك القوم العائد عليهم ضمير الغيبة.

- تأتي لتقييد الفعل نحو قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[4]. جاءت جملة (وأنتم سكارى) لتقييد النّهي عند قرب الصلاة بحالة محددة، وهي كونهم سكارى، فإذا زال القيد بطل النّهي.

-توكيد معنى الجملة الأساسية، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [5]. فجملة الحال (وهم معرضون): ليست قيدا لفعل التولية، وليست مبيّنة لهيئة فاعله، لأنّ التولية تتضمّن معنى الإعراض، وإنمّا جاءت تأكيدا وتحقيقا لمعنى الفعل (تولوا)، إلى غير ذلك من الدلالات والأغراض التي تختلف عن دلالات وأغراض الجملة المعترضة.

2-بين الجملة المعترضة والجملة المستأنفة:

خلط بعض النّحاة بين مفهوم الاعتراض، ومفهوم الاستئناف، من ذلك مثلا ما

---

[1]- سورة الرحمن، الآية : 62-64.

[2]-التفتازاني (سعد الدين): المطول على التلخيص، ص833. ينظر الرّابط الإلكتروني:
http:// pulpit. Alwatanvoice.com/content. 48092. html.

[3]- سورة الأعراف، الآية : 97.

[4]- سورة النساء، الآية : 43.

[5]- سورة التوبة، الآية: 76.

ذكره الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، من أن جملة (ونحن له مسلمون) حال من فاعل (نعبد)، أو من مفعوله، لرجوع الهاء إليه في له، ويجوز أن تكون معطوفة على نعبد، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة[2]، ويمكننا تلخيص أهم الفوارق القائمة بين الجملتين على الرغم من أنهما متشابهتان في كونهما لا محلَّ لهما من الإعراب في الآتي:

1-الجملة الاستئنافية منقطعة عما قبلها صناعيا (أي: غير متعلقة بها باتباع، أو إخبار، أو وصفية)[3]، لاستئناف كلام جديد، فهي لا بد أن يكون قبلها كلام تام. أما الجملة المعترضة: فهي التي تقع بين شيئين متطالبيْن، أي يطلب أحدهما الآخر، كالتي تقع بين المبتدأ والخبر، أو بين ما أصله المبتدأ، أو ما أصله الخبر، أو بين الفعل ومعموله، أو بين الموصوف وصفته، أو بين المعطوف والمعطوف عليه، أو بين الشرط وجوابه، أو بين القسم والمقسم عليه، أو بين جملتين بينهما علاقة سببية، أو تفسير أو بيان.

2-تختلف دلالات جملة الاستئناف ومعانيها الوظيفية عن دلالات الجملة المعترضة، وتتلخص في الآتي:

*التعليل: وذلك إذا كانت جملة الاستئناف تبيّن الكلام السابق، أو توجه وجه الفائدة منه.

*التأكيد والتحقيق: أن تأتي الجملة الاستئناف مؤكدة لمضمون الكلام المتقدم عليها.

*التعقيب على الكلام السابق بالمدح أو الذّم: نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(1)-سورة البقرة، الآية: 133.

(2)-الزمخشري: الكشّاف، المصدر السّابق، ج1، ص194.

(3)-محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية، ص127-128.

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[1].

فجملة (نِعْمَ أجر العاملين)، استئناف سبق لمدح ما تضمنته الكلام السابق من جزاء المؤمنين.

*تتميم المعنى بما يوافق مقتضى حال السامع: وذلك إذا كان ما قبل الاستئناف يستدعي تساؤل السامع، فتأتي جملة الاستئناف جوابا لذلك السؤال المفترض نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

3- بين الاعتراض والالتفات:

يمثل الالتفات أحد الظواهر الخاصة بالتّحوّل الأسلوبي، تعدّدت تسمياتها ومصطلحاتها، فهو يسمّى (العدول)، ويسمى (التلوّن)، ويسمى (الانصراف)، وغيرها. دلّت مادته اللغوية في المعاجم العربية على «التحوّل أو الانحراف عن المألوف من القيم والأوضاع أو أنماط السلوك»[3]، وهو ما تقدمت به المعاجم العربية، فمادة (لفت) في لسان العرب جاءت بهذا المعنى –أي الانحراف– إذ يقول صاحب اللسان: «لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا، والتّلفت أكثر منه، وتلفّت إلى الشيء والتلفت إليه: صرف وجهه إليه»[4]، و«لفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه، ومنه الالتفات»[5].بمعنى غيّرتُ رأيه بإقناعه بالعدول عنه إلى الاقتناع برأيي.

وإذا ما عرجنا إلى تحديد مصطلح الاعتراض عند بعض النقاد، ألفيناه يلتبس مع مصطلحات أخرى. فهو الالتفات عند **ابن رشيق** (ت 463هـ) إذ يقول: «باب الالتفات: وهو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك، حكاه قدامة، وسبيله: أن يكون الشاعر آخذا في معنى، فيعرض له غيره، فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به،

---

[1]–سورة العنكبوت، الآية: 58.

[2]–سورة الشعراء، الآيتان: 23–24.

[3]–حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص11.

[4]–ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج1، ص812.

[5]–المصدر نفسه، ج1، ص812.

ثم يعود إلى الأول من غير أن يخلَّ بالثاني في شيء، بل يكون مما يشتد الأول...»[1]. وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات، قاصدا به الانتقال من فكرة إلى فكرة ثانية، ثمّ العودة إلى الفكرة الأولى، فيكون بمثابة الاستدراك على القول الأوّل.

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أنّ هذا المصطلح على كثرة تردده في موروثنا البلاغي والنّقدي، قد لقي تباينا كبيرا في الطرح الدّلالي له؛ ففي كتاب "مجاز القرآن" **لأبي عبيدة** (ت 210هـ) مثلا يجعل منه نمطا من أنماط التّعبير في المجاز، فيحدثنا عن مجاز الحذف والاختصار، ومنه مجاز ما جاء لفظة الواحد ووقع على الجميع أو العكس وهو الذي يسمى التفاتا.

يقول أبو عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع، قال: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[2]، في موضع "أطفالا" وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [3]،وقال: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾[4]، في موضع: ظُهَرَاءُ»[5]. ويقول في موضع آخر: «ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للشاهد، قال: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [6]، مجازه: آلم هذا القرآن»[7]. وهذا تتبع ألوان هذه الظاهرة الأسلوبية تتبعا دقيقا.

أما "**الفراء** "(ت207هـ) فقد تتبّع النّهج ذاته الذي سار عليه معاصره أبو عبيدة في تحليله اللّغوي، ففي كتابه "معاني القرآن" يطرق باب هذه الظاهرة بالمنحى ذاته ويسوق أمثلة حولها، وغيرهما من الباحثين الذين توسعوا في هذه الظاهرة وأولوها

---

[1]–ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 2007، ج1، ص636.

[2]–سورة غافر، الآية: 67.

[3]–سورة الحجرات، الآية: 9.

[4]–سورة الحاقة، الآية: 17.

[5]–أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص9.

[6]–سورة البقرة، الآيتان: 1–2.

[7]–المرجع نفسه، ص11.

عناية خاصة، في مواطن متعددة من كتابه، إذ يرى أنّه جائز في العربية «أن يخبر عن الواحد بمذهب الجمع؛ كما تقول في الكلام: خرج فلانٌ في السفن، وإنمّا خرج في سفينة واحدة، وخرج على البغال، وإنمّا ركب بغلا واحدا... وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾[1]، وإذا ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [2]، ومعناهما والله أعلم واحد: وذلك جائز فيما لم يقصد فيه قصدُ واحدٍ بعينه»[3] . أما مصطلح "الالتفات" فلم يظهر بهذه الصورة الواضحة إلّا على يد **ابن المعتز** في كتابه "البديع" الذي تجاوز مصطلح المجاز –عند الذين جعلوه جزءا منه– وتجاوز إهمال المصطلح عند الذين لم يضبطوه، وهذا في معرض حديثه عن محاسن الكلام، إذ جعله أوّلها، وقد عرّفه بقوله: «هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصرافُ عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، قال الله تعالى ثناؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [4]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[5]. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[5]. ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [6]. وهذه إشارة منه إلى أنّ الالتفات عمدته الضّمائر التي ينتقل بينها المتكلّم، ويستبدل الغائب منها بالمخاطب، بغية إبعاد الملل عن المتلقّي، أو هو العدول من فكرة إلى أخرى وهذا مشهور في القرآن الكريم، وهو من الأساليب العربية الأكثر شهرة.

يرى "**حسن طبل**" أن ابن المعتز قد ضيّق من مفهوم الالتفات لأنّه مرتبط بجانب الانتقال في الضمائر وحسب ما أطلق عليه تسمية "التنويع بين الضمائر"، أو هو أكثر توسّعا إذا ما عبّر عن «الانصراف من معنى على معنى»[7]. وأمّا "**قدامة بن جعفر**"

---

[1]–سورة الروم، الآية: 33.

[2]–سورة الزمر، الآية: 8.

[3]–الفرّاء، أبو بكر يحيى بن زياد: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ج1، ص210.

[4]–سورة يونس، الآية: 22.

[5]–سورة إبراهيم، الآية: 19.

[6]–سورة إبراهيم، الآية: 21.

[7]–حسن طبل: المرجع السابق، ص17.

(ت337هـ) فنراه يتحدث عن الاعتراض في كتابه "نقد الشعر"، ويجعله من نعوت المعاني ثم يعرّفه بقوله: «هو أن يكون الشّاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شكٌّ فيه، أو ظنٌّ بأن رادًّا يرُدُّ عليه قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا على ما قدمه، فإمّا أن يؤكده أو يذكر سببه، أو يحلّ الشك فيه...»[1]، فالتأكيد هنا من باب الاعتراض.

وقال "**الحاتمي**" عن الالتفات "وقد سماه قوم الاعتراض"، ويرى الجمهور أنّ الالتفات يتحقق في الكلام بإخراجه من أحد طرق التعبير الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغيبة.

أما "**ابن وهب**" فقد أطلق عليه تسمية (الصَّرف) وقال: «وأمّا الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة»[2]، وسماه الصنعاني الاعتراض أيضا، لكنّه عرّفه تعريف الالتفات، بقوله: «وهو الانصراف عن الإخبار إلى المخاطبة، وعن المخاطبة إلى الإخبار»[3].فهنا ينفرد الالتفات بخصوصية الانتقال بين الضّمائر الدّالة على المخاطَب مثل:(أنت، أنتِ، أنتما، أنتنّ)، والضّمائر الدّالّة على المتكلّم المُخبِر بالحدث، وهذا يكون بطريقة تناوبية تُبعد الملل عن المتلقّي، وهذا ليس من خصائص الاعتراض.

وكذلك خلط "**ابن رشيق**" (ت463هـ) بين مصطلحي الالتفات والاعتراض إذ يقول عن الالتفات: «وهو الاعتراض عند قوم»[4]، ثم يضيف الصّنعاني بحسب ما أوردته الباحثة إنعام فوّال قائلا: «وقيل الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الأوّل، ثم يعود إليه فيتمّه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة

---

[1]–قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص167.

[2]–إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996، ص209.

[3]–إنعام فوّال عكاوي: المرجع نفسه، ص209.

[4]–ابن رشيق القيرواني: المصدر السّابق، ج2، ص54.

وزيادة حسنة»[1]، وهذا التعريف الثاني يقابل الاعتراض «وقد تبيّن الزمخشري أن العرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه. ويرى السّكاكي أن الالتفات قد ينتقل بالصيغة من الماضي المضارع، وذكره مرة أخرى في البديع»[2].

وعرّف **بن أبي الإصبع المصري** الالتفات وذكر الفرق بينه وبين الاحتراس بقوله: «والفرق بين الاحتراس والالتفات، أنّ الاعتراض والانفصال يكونان في الاحتراس في بيت واحد وفي بيتين، وفي آية وفي آيتين، والالتفات لا يكونان فيه إلاّ في بيت واحد وآية واحدة»[3].

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنّ حسن طبل[*] قد أشار إلى أنّ الخلط والاضطراب الواقع في تحديد هذا المصطلح قد ظهر بين ثلاثة اتجاهات رئيسية:

1–الاتجاه الأول: وهو الاتجاه الذي جعل مصطلح الالتفات مرادفا لمصطلح الاعتراض وغيره من المصطلحات البلاغية، ويتزعم هذا الاتجاه كل من قدامة بن جعفر، الحاتمي (ت388هـ) وأبو هلال العسكري (ت395هـ)، والثعالبي (ت430هـ)، وحازم القرطاجني (ت684هـ)، وهذا الاتجاه هو الذي يهمنا ههنا لنحدد الفارق القائم بين المصطلحين.

والالتفات عند الحاتمي وأبي طاهر البغدادي ورد بمعنى الاعتراض، يقول **الحاتمي** في تعريفه: «أن يكون الشاعر آخذا في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتم الأول، ثم يعود إليه فيتممه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في حسنه»[4].أي أنّ الالتفات خروج من سياق إلى آخر زيادة في جمالية الخطاب، ويكون

---

[1]–إنعام فوال: المرجع السابق، ص209.

[2]–إنعام فوّال العكاوي: المرجع السابق، ص209.

[3]–المرجع نفسه، ص209–210.

[*]–ينظر: حسن طبل: المرجع السابق، ص18–22.

[4]–المرجع نفسه، ص18.

هذا بطريقين: عن طريق تغيير الأسلوب، وعن طريق تغيير الفكرة من باب العدول عن الأصل.

وجعل **حازم القرطاجني** الالتفات لونا من ألوان الانعطاف بالكلام، وعبّر عن الصورة الالتفاتية بقوله هي: «أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض، وأن ينعطف من إحداهما إلى الأخرى انعطافا لطيفا من غير واسطة تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة التحوّل»[1]. قاصدا به الانتقال من معنى إلى معنى أو من غرض إلى غرض.

أما "**العسكري**" فجعله ضربان: «**فواحد** أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنّه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدّم ذكره به... **والضرب الآخر** أن يكون الشاعر آخذا في معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أو رادّا يردّ قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدّمه، فإمّا أن يؤكّده، أو يذكر سببه، أو يزيل الشكل عنه»[2]، توجّهنا هذه المقولة إلى صنفين من أصناف الالتفات؛ فأما أوّلهما فهو التّكرار، حيث يعبّر الكاتب عن الفكرة نفسها بطريقين مختلفين، وأمّا تعريف الضرب الثاني فهو أقرب إلى الاعتراض فهو كلّ كلام زائد جاء لغاية يقدّمها الشّاعر للمتلقّي كي يفهم مقصده بدقّة.

2-الاتجاه الثاني: واتسع فيه مصطلح الالتفات، فشمل بالإضافة إلى ظاهرة التحول الأسلوبي ظواهر بلاغية أخرى، ولعلّ ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) في كتابه العمدة كان رائدا في هذا الباب «فالالتفات عنده يشمل التنويع بين الضمائر والانتقال معنى إلى معنى، كما يشمل معاني الاعتراض والرجوع والتتميم أو (الاحتراس) والاستدراك كما هي عند الكثير من البلاغيين»[3].

3-الاتجاه الثالث: وقد تزعم هؤلاء مرحلة استقرار المصطلح بدلالته على

---

[1]-القرطاجنّي، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تح: محمد الحبيب بن الخوجة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط3، 1984، ص314-315.

[2]-العسكري: الصناعتين، المرجع السابق، ص392.

[3]- ينظر مثلا: مفتاح العلوم، ص180-181. الإيضاح، ص364.

التحوّل الأسلوبي الذي أدركه الأسلوبيون، ويعود هذا الضبط إلى الزمخشري في الكشاف، وتبعه الكثير من المفسرين منهم ابن الأثير، الزركشي، العلوي، السيوطي، السكاكي...

4-<u>بين الاعتراض والتذييل:</u>

جاء مفهوم التذييل كمصطلح عند البلاغيين، الذين اعتبروه لونا من ألوان التأكيد الذي يعيد المعنى ذاته المشار إليه في الجملة السابقة، قال عنه السّيوطي: «أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على معنى الأولى؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لا يفهمه، ويتقرر عند من فهمه؛ نحو: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [1]»[2]، وهذا يشبه ما نصّ عليه المحدثون، من تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى، تأكيدا للجملة الأولى، ليتأكّد بذلك الاختلاف بين المصطلحين (التذييل والاعتراض) ذلك أن التذييل يقع دائما في آخر الكلام، في حين يتوسط الاعتراض الجمل، فيكون بين متصلين لفظا أو معنى، ضف إلى ذلك أن أغراض كلّ منهما يختلف عن الآخر، فإذا ما كان التذييل مرتبطا بوظيفة التأكيد دائما، فإن الاعتراض قد يجيء مخصوصا بهذه الوظيفة، وقد يتعداها إلى وظائف أخرى مخالفة.

ولعلّ التعريف الذي تقدم به "الطّيبي" يزيد من شساعة الالتباس بين المصطلحين إذ يعرف التذييل بقوله: «وهو أن يقطع الكلام بما يشمل على معناه توكيد لا محل له»[3] فالجملة المعترضة هي التي لا محلّ لها من الإعراب، وهنا نلاحظ أن الجملة التي تكون تذييلا ترتبط دوما بالكلامَيْن السابق واللاحق لها- خلافا لما قال به السيوطي من أنّ التّذييل يتموقع في نهاية الجملة- فتبدو كأنّها جزءا من الكلام نفسه، في حين نجد أن الجملة المعترضة نادرا ما تقع توكيدا، وإنما هي في أغلب الأحيان منفصلة عما سبقها وما لحقها من النّاحية الإعرابية، كما أنّ معناها قد يكسر أفق انتظار

---

(1)-سورة سبأ، الآية: 17.

(2)-السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، القسم الأول، (د.ط)، 1969، ص368.

(3)-الطيبي: المرجع السابق، ص233.

القارئ أو المتلقي، ويجعله يبتعد عن الموضوع المحور الذي كان الكلام حوله، وقد تتصل بسياقها وتزيده قوّة من ناحية ثانية عندما تتعدّد وظائفها.

ونظرا لأهمية "التذييل" في الكلام نجد أن أبا هلال العسكري يُفْرد له فصلا في كتابه الصناعتين إذ يعرّفه بقوله: «هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد، عند من فهمه»[(1)]، فجعله بذلك من الظواهر البلاغية المتميّزة، لأنّ المعنى يزداد به انشراحا، والمقصد يزداد به اتضاحا.

أما الاعتراض عند العسكري فلم يتوسع فيه توسعا معمقا، وإنما اكتفى بتقديم هذا التعريف الدّقيق، «هو اعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمه»[(2)]، ليبيّن بذلك الفرق بين المصطلحين على مستوى الترابط الدّلالي في الكلام، أو عدم الترابط ومن ثمّ انفصاله عن السّياق.

ثالثا: أنواع الاعتراض:

يقسّم الرّازي الاعتراض إلى ثلاثة أقسام (مذموم، ووسط، ولطيف)، فالمذموم ما كان بين صدر البيت وعجزه، والوسط يأتي رابطا بين الكلام السابق واللاحق، وأما الأكثر أهمية منها هو اللطيف وقد ميّزه بقوله: «الذي يكسو المعنى جمالا»[(3)]، وهذا الأخير هو الذي قال عنه ابن الأثير «مالا يأتي في الكلام إلاّ لفائدة، وهو جار مجرى التوكيد، وقد استشهد لهذا القسم بآيات من القرآن الكريم، وأبيات من جيّد الشعر، وأبان عن الغرض البلاغي للاعتراض فيها، ثانيهما: وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة...» [(4)].

وعدا هذا التقسيم لم نجد تقسيمات أخرى تجعل من الاعتراض زمرا دلالية، وسيأتي التقسيم الذي توصلنا إليه في هذه الدراسة لاحقا في فصول هذا البحث.

---

(1)–العسكري، أبو هلال بن عبد الله بن سهل: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،(د.ط)، 1986م، ص373.

(2)–العسكري: المصدر نفسه، ص394.

(3)–الرازي فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985، ص287.

(4)–ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص47.

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية – المفهوم والأنواع

أولا-المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للفاصلة القرآنية

1-المفهوم اللّغوي:

الفاصلة مشتقة من المادة اللّغوية (ف ص ل): بمعنى «فصلتُ الشيء فَصْلا»[1]، أي: أبعدت الشّيء عن الشّيء وقطعت علاقتهما. ذكر الخليل (ت175هـــ) مادة (فصل) ضمن مبدأ التّقاليب، إذ حدّد دلالتها بقوله: «بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد، موضع المفصل، وبين كل فصلين وصلٌ، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، واسم ذلك القضاء فيصلٌ»[2] وشرح الزمخشري(ت538ه) «الفاصل بين: الحقّ والباطل. وهذا أمر فيصل أي: مقطع للخصومات»[3]. أي بمعنى التّفريق بين شيئين متضادّين.

و جاء في لسان العرب: «الفصل بوْنُ ما بين الشَّيْئَيْنِ. والفَصْلُ من الجسد: موضع المفصل، وبين كلّ فصلين وصل...» [4]. يحيلنا التّعريف على الفرق ما بين شيئين مختلفين، أو بين متشابهين، نمثّل لذلك بقوله تعالى: «﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾[5]، أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازى كل بعمل وبما يتفضّل الله به على عبده المسلم»[6]، «وقوله عز وجل: ﴿بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ﴾[7]، له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني في فصّلناه، بيّناه»[8].وهنا نلتمس دلالتين؛ الأولى أنّ (فصل) (فصل) بمعنى فرّق بين الأعمال الخيّرة والأعمال الشّرّيرة. أمّا (فصّل) بالتّشديد على الصّاد فبمعنى بَيَّنَ ووَضَّحَ.

---

[1]–ابن منظور : المصدر السابق، ج6، ص598.

[2]–الخليل: المرجع السابق، مادة (ف ص ل)، ص126.

[3]–ينظر: الزّمخشري، جار اللّه محمود بن عمر :أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم وشوقي المعرّي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998،ص 619.

[4]– ابن منظور: المصدر السابق، ج6، ص599.

[5]–سورة الصافات، الآية: 21. سورة المرسلات، الآية: 38.

[6]–ابن منظور:المصدر نفسه، ج6، ص601.

[7]–سورة الأعراف، الآية: 52.

[8]– ابن منظور:المصدر نفسه، ج6، ص601.

و يشير " ابن فارس" إلى معنى تجريديّ متّصل بالزّمن وفق ما جاء في قوله تعالى« ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[1]، بين كلّ آيتين فصلٌ تمضي هذه، وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة، وقيل مفصّلات مبيّنات»[2]؛ أي هنالك مسافة زمنية بين الآية والآية لغاية الاستراحة؛ حيث نبدأ بقراءة هذه، ثم نُنهيها لنبدأ آية ثانية وهكذا.

ثمّ يقدّم دلالة ثانية في قوله: « والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصّل النّظم وعقد مفصّل أي جعل بين كلّ لؤلؤتين خرزة»[3].فهذا يعني أنّ أنّ الفاصلة متّصلة بقطع الكلام وفصله كلّما تحقق المعنى، لأنّها مرتبطة بالكلام قبلها دلاليا.

أما كلمة "الفاصلة" عند الخليل فهي في حكم القافية في الشّعر، فلا تخرج عن المفهوم الذي قدّمه الأزهري قائلا: «و الفاصلة في العروض: أن يجمع ثلاثة أحرف متحرّكة والرابع ساكن مثل: فَعلُنْ، وقال: اجتمعت أربعة أحرفٍ متحركة فهي الفاضلة –بالضاد المعجمة– مثل: فَعَلَهُنَّ»[4]. ويضاف إلى هذا ما تقدّم به الزبيدي إذ يقول: «الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصل القضاء بين الخلق، ذكره الزجاجي... وكلام فصل: بيّن ظاهر، يفصل بين الحق والباطل»[5].فهو يؤكّد الدلالة السّابقة وهي التفريق بين قيمتين أخلاقيتين إحداهما إيجابية والثّانية سلبية، كما يضيف دلالة ثانية وهي الحكم العادل عندما يجعل كلمة (فاصل) صفة من صفاته عزّ وجل.

وتجيء (فصل) بمعنى خرج وهو ما أضافه "ابن منظور" من دلالة للكلمة مستدلا بما جاء في الحديث النبوي الشريف إذ يقول: «وفصل من النّاحية أي خرج. وفي الحديث عن أبي مالك الأشعري قال ﷺ: «من فصل في سبيل الله فمات أو قتل

---

[1]–سورة الأعراف، الآية: 133.

[2]–ابن فارس: مجمل اللغة، المصدر السابق، ج3، ص722.

[3]– المصدر نفسه، ج6، ص599.

[4]–الفراهيدي: المصدر السابق، ج، ص127.

[5]–الزبيدي محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصطفى حجازي، ط1، الأميرية، القاهرة، 1988، ص231.

فهو شهيد، أي خرج من منزله وبلده»[1].بمعنى انتقل من مكان إلى مكان آخر.

وجاء في المعجم الوسيط ما مفاده أنّ هذا المصطلح موجود في علوم أخرى: «والفاصلة العلامة في حساب الكسور العشرية تكتب بين الكسر والعدد»[2].بمعنى أنّها الخط الفاصل بين الرقم المدوّن في الأعلى والرّقم المدوّن في أسفله.

ولم تدرج الفاصلة –رغم هذا– ضمن المباحث اللغوية في القرآن الكريم للدلالة على آخر الآية فحسب، بل إننا نجدها في العروض جزءا من التفعيلة وقد تكون صغرى أو كبرى. كما نراها في السّجع الكلمة الأخيرة من كل فقرة، أو الكتابة (Comma, Virgule)، علامة تدل على وقف قصير»[3].وهذا الوقف القصير يقترب من الوقف القرآني الذي نجدة بين انتهاء آية والبدء في أخرى.

ويرى "الرازي" ورود مصطلح الفاصلة في الحديث النبوي الشريف: «من أنفق نفقة فاصلة فله من الأجر كذا»، «فتفسيره أنها التي فصلت بين إيمانه وكفره»[4]، للدلالة على التّمييز بين نقيضين، هما طريق الإيمان وطريق الضلالة.

2/ الفاصلة اصطلاحا:

تدخل "الفاصلة" ضمن المباحث اللغوية التي تعالج نظم القرآن، وتبحث في موسيقاه، ليس من منظور علائقي فحسب، وإنمّا من منظور إيقاعي أيضا. وقد ذكرت المادة اللغوية (فصل) في مواطن عدّة في النّص الحكيم، ولعلّ أشهرها قوله تعالى:

---

[1]– ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص3422. روي الحديث في سنن أبي داود، كتاب الجهاد،باب من مات غازيا، الحديث رقم [2499].

[2]–مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ج2، ص691.

[3]– ينظر:إميل يعقوب، ميّ شيخاني: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ص290.

[4]–الرازي: مختار الصحاح، المرجع السابق، ص505. ملاحظة: بعد استقصائنا وبحثنا عن هذا الحديث النبوي الشريف لم نجده بلفظ الفاصلة، إنّما الفاضلة، ونصّه كالآتي: «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مائة..» ينظر: سنن البيهقي كتاب الجنائز.

﴿بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ﴾ [1]، وقوله أيضا في السورة نفسها: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [2].

وإننا في هذا المقام نشير إلى أن هناك فرقا بين مصطلحين لطالما وظفا مترادفين وهما التفصيل والتقسيم، وقد ذكر العسكري البون بينهما بقوله: «أنّ في التفصيل معنى البيان عن كل قسم بما يزيد عن ذكره فقط، والتقسيم يفتح المعنى والتفصيل يتم بيانه»[3].

والفاصلة هي «حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[4] عند الرماني(ت 384) فقد كان مهتمّا في ذلك بجانبين مهمّين ؛الجانب الصّوتي، والجانب الدّلاليّ، فهي سلسلة صوتية تتشابه مع سلسلة أخرى في آية أخرى، وهي ذات بعد دلاليّ لأنّها تتصّل بالكلام الذي يسبقها. ويتفق معه الباقلاني(ت403هـ) في تحديد المصطلح على ثنائية التشاكل والإفهام؛ لأنّ التشاكل متصل بالجانب الشكلي للفواصل القرآنية القائمة على التشابه أحيانا والتّباين أخرى، وعلى الجانب الثاني وهو طرف الدلالة الذي يجب حضوره أثناء السياق، وهو ما يبيّنه تعريف هذا الأخير بقوله: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني»[5]، فالاتفاق بين التّعريفين يؤكّد على أنّ المشابهة الصّوتية بين الفواصل هو عمادها، والغاية الدّلالية منها هو مسارها،ولا يجب النّظر إليها بمعزل عنهما.

---

[1]-سورة الأعراف، الآية: 52.

[2]-سورة الأعراف، الآية: 133.

[3]-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الفروق اللغوية، دار زاهر القدسي، تحقيق: جسام الدين القدسي، ص44.

[4]- النّكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1968، ص97 .

[5]-الباقلاني، أبو بكر محمّد بن الطّيّب: إعجاز القرآن، تح: عماد الدّين أحمد حيدر، مؤسّسة الكتب الثّقافية،ط1، 1991م، ص 270.

و يرى "الزّركشي" أهمية هذه الفواصل القرآنية في بناء الخطاب القرآني إيقاعيا، وقد علّل سبب تسميتها فاصلة «لأنّه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أنّ آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها»[1].بمعنى أنّها تفصل بين الآية السّابقة والآية التي تليها. وأمّا "الزّرقاني" فيقول عنها: «طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن الكريم»[2]،إذ يؤكّد على الخاصيّة الصّوتية للفاصلة القرآنية، فهي مشكّلة من جزءين؛ أحدهما المطلع ويتميّز باختلافه عن بقيّة الفواصل، وثانيهما المقطع الصّوتي الأخير الذي تذيّل بهذه الفاصلة ويكون قاسما مشتركا بين مجموعة فواصل داخل السّورة، وهو الذي يبني الإيقاع الصّوتيّ لها مثل: الواو والنون، والياء والنّون، والياء والميم.

ويقدّم لنا "السّيوطي" بابا حول الفواصل معرّفا إياها بقوله: «كلمة آخر الآية»[3]، وهو تعريف أكثر دقّة من تعريف "الدّاني" الذي قال عنها: «كلمة آخر الجملة»، لانّ كلمة (الجملة) هنا لا تعبّر تعبيرا دقيقا عن المفهوم المرتبط بالنّصّ القرآني، بل تتوسّع لتتشمل جملة، البيت الشّعري، والنّصّ النثري، والمثل، والمقامة، وغيرها من الفنون القولية، بينما الأصوب هو ارتباط الفاصلة بآخر الآية الكريمة، تقع عند الاستراحة بالخطاب، وهي الطريقة التي تجعل النّص القرآني مختلفا عن بقيّة النّصوص.

وعند المفسّرين نجد التفاتة عند "الطّاهر بن عاشور" الذي حدّثنا عن ماهية الفاصلة، وآليات اشتغالها إذ يقول: «والذي استخلصته أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل قي أواخر حروفها، أو تتقارب،مع تماثل أو تقارب صيغ النّطق بها، وتكرر في السور تكرارا يؤذن بأنّ تماثلها أو تقاربها مقصود من النّظم في آيات كثيرة متماثلة تكثر وتقل»[4]؛ يؤكد المفسّر في هذا المقام على قيمة الإيقاع والانسجام الصوتي بين الفواصل القرآنية الذي يكون أساسه المشابهة بين البنى المقطعية، وكذا المماثلة بين

[1]–الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 54.

[2]–الزّرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1988، ج1، ص339.

[3]–السيوطي: المصدر السابق، ص609.

[4]–محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984، ج1، ص 75 .

الصوامت والصوائت التي تدخل في بناء الفواصل.

إنّ أهمية مصطلح الفاصلة هي التي دفعت باللغويين وعلماء القرآن والمفسّرين إلى تتبع مساره في بحوثهم، وقد قدّموا له تعريفات متباينة، كما حاولوا إبراز وظيفته في السياقات المختلفة، إذ ركّز بعضهم على أهمية الوظيفة الإيقاعية أحيانا، وركز آخرون على الوظيفة التأثيرية على القارئ، التي تتأتّى بحسن السبك والتنظيم من خلال البثّ الدلالي. ونخلص ممّا تقدّم قوله إلى الآتي:

- الفاصلة القرآنية هي آخر كلمة في الآية.
- يشترط تقاربا صوتيا بين الفواصل القرآنية مع انسجام في أوزانها.
- لها وظيفة جمالية هي تحسين الكلام.
- لها وظيفة دلالية من خلال ارتباطها بالكلام الذي يسبقها.
- لها وظيفة طبوغرافية في الفصل بين الآيات القرآنية.

ويمكننا تحديد مصطلح الفاصلة إذا أدركنا الفروق البيّنة بينه وبين مصطلحات أخرى كثيرا ما التبست معه مفهوميا، وهو ما سنوضحه في العناصر الموالية.

ثانيا – في الفاصلة والسّجع

استخدم مصطلح الفاصلة في عدة من علوم العربية؛ في النحو، والعروض وفي منهجية الكتابة (علامات الترقيم)، وفي علوم القرآن، وهو مجال هذه الدراسة، ولكن ما يلاحظ عموما هو التباس مصطلح "الفاصلة"، بمصطلح السجع،و نستثني في ذلك الجاحظ (ت 255هـ) وأبو هلال العسكري مثلا، فكلاهما أقرّ بوقوع السّجع في النّثر، فالجاحظ وقف مع "السجع" في كتابه "البيان والتبيين" في بابه الموسوم "في الأسجاع في الكلام" قاصدا به اللفظ الأخير الذي نجده في الجمل النّثرية، موردا جملة من القصص والأقوال التي جاءت أغلبها منتهية بكلمات تناسقت حروفها وانسجمت كما في قولهم: «وقالوا: من صادق الكتاب أغنوه، ومن عاداهم أفقروه»[1].فكلمتا(أغنوه/أفقروه) وُجد

---

[1]–الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: البيان والتبيين، تقديم: علي أبو ملحم، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988، ص239.

بينهما تناسق في مدّ الواو وانتهاء الكلمتين بالهاء.

وذهب "أبو هلال العسكري" مذهب الجاحظ مساندا فكرته، فذكر جملة من الأحاديث النبّوية الشريفة، ثم أقرّ بتضمينها للسجع المستحسن، بعيدا عن التكلف والتعسف من ذلك قوله ﷺ: «أيها الناس؛ أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام»[1]؛ فكلمات (السّلام، الطّعام، الأرحام، نيام، سلام) كلها مسجوعة وتنتهي بحرف الميم القاسم المشترك بينها الذي سبغ على الحديث إيقاعا موسيقيا تطرب إليه الآذان وترتاح إليه النّفوس.

وإضافة إلى السّجع، يحدثنا أيضا عن ظاهرة التناسق الصّوتي في القرآن، ونلمسها خاصة في ظاهرة الازدواج في القرآن الكريم فيقول: «...وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلا عمّا تزاوج في الفواصل منه»[2].ويبدو أنّ العسكري هنا لا يفرق بين مصطلح الفاصلة والسجع، في حين نجده يورد تعريفا دقيقا للتفصيل كما مرّ معنا في التعريف اللغوي، ولكن الملاحظة الغالبة على هذه الدراسات أنها جميعا تؤكد أهمية الفضاء المكاني للفاصلة في الآيات القرآنية، وهو تموقعها في آخر الآية، ولهذا عرّفت بأنها: «تلك النهاية التي تذيّل الآيات القرآنية»[3].

أما ابن سنان الخفاجي(ت466هـ) فيرى غير ذلك، إذ نراه يفرّق بين مصطلحي الفاصلة والسجع في "سر الفصاحة" إذ يرى أن السّجع محمود إذا كان سهلا متيسّرا بلا كلفة [4]،فأما إن لم يتحقق فيه هذا الشّرط فهو مذموم . وهو لا يرى إشكالا في تسمية الفواصل القرآنية بالسّجع وهذا لأنّهما يتقاطعان، رافضا رأي "الرّماني" القائل بأنّ الفواصل بلاغة والسّجع عيب. وفي هذا السّياق يقول: «والفواصل على ضربين

---

[1]–رواه التّرمذيّ، محمد بن عيسى أبو عيسى: الجامع الصّحيح سنن التّرمذي، تح: أحمد شاكر، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان،ج4،الحديث رقم[2485]، ص 652.

[2]–العسكري: الصّناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصـرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1986، ص260.

[3]–بكري شيخ أمين: التعبير الفنّي في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط4، 1989، ص203.

[4]– ينظر: الخفّاجي: المصدر السّابق، ص163.

؛ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل»[1] الصنّف الأول منهما أطلق عليه تسمية المتماثل، وثانيهما المتقارب، وكلاهما من الكلام الحسن، حيث يشترك المصطلحان من حيث التّماثل الصّوتيّ ويختلفان إذا تحقق التّقابل الصّوتي الذي يعني به التقارب في صفة الصّوت أو مخرجه من جهة، والتّشابه القائم بين الصّيّغ الصّرفية بين الفواصل من جهة ثانية، في حين ترتبط الملاءمة اللفظية والمعنوية بالفاصلة دون السجع.

وتستمر موجة نفي السجع عن القرآن الكريم مع "الباقلاني" الذي أنشأ فصلا عنونه بـــ"نفي السجع عن القرآن"، ولكنّه أثناء تحليلاته اللغوية لآيات النّص الحكيم، نراه يقع في مغالطة وهي توظيف مصطلح السجع مرادفا للفاصلة ونلمس هذا جليّا عندما تحدّث عن التقديم والتأخير في الآيتين الكريمتين في قوله تعالى: ﴿هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[2]، وقوله تعالى في موضع آخر ﴿هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [3]، قائلا: «وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكلّ على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام، ولمّا كان السجع قيل في موضع: ﴿هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[4]، لما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون، قيل: ﴿هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ »[5].

ثمّ سرعان ما استقلت الفاصلة بتعريفاتها الخاصة التي تميّزها عن السجع، من ذلك التعريف الذي تقدم به الرُّماني (ت 384هــ) إذ يعقد لها بابا وسمه بـــ"الفواصل" محدّدا لمفهومها وقد مرّ معنا سابقا. وقد ركّز تحليله على عنصر المشابهة الصوتية في آخر الفواصل، ثم يحدّد الفرق بينها وبين السجع، فيقول بأن المعاني تابعة للأسجاع،

---

[1]–المصدر السّابق، ص165.

[2]–سورة طه، الآية: 70.

[3]–سورة الأعراف، الآية: 122.

[4]–سورة طه، الآية: 70.

[5]–الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، المرجع السابق، ص83.

في حين أن الفواصل تابعة للمعاني.

ونجد للفراء من النحويين وعلماء القرآن يقدّم إشارات بديعة في كتابه "معاني القرآن" تبحث في الفواصل وتركيبها وأنواعها. ولا يكمن التقاطع بينهما في هذه النقطة فحسب، بل تتجاوزها إلى الجانب الإيقاعي، ولعل أهم ميزة تميّزها عن السجع هو أن الفاصلة تقوم بدور الإحكام «فترتبط بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية إضافة إلى ترنيمها الموسيقي الواضح، فهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين في الشّكل والمضمون»[1]، وهذا ما سبق الإشارة إليه من طرف الرماني الذي يقر بأن السجع يقوم على طابع شكلي محظ من خلال تتبع التكرير الصوتي بين الجمل، مما يبعث على التكلف في إدراج المعاني، في حين تراعى الفواصل المعنى، ولا غرو إن تميّزت بالمغايرة والتنويع، وتمثلت فيها ظاهرة الإيقاع الذي تستحسنه الآذان من خلال ما تتركب منه الفواصل من المقاطع.

ثالثا : في الفاصلة والوقف

نجد أنّ بعض الدارسين قد ركزّوا في تحديدهم لمفهوم مصطلح الفاصلة على "الآية" باعتبارها المؤشر المساعد على معرفتها من خلال الوقف، فما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم أنّ مصطلح الفاصلة كان معروفا في عهد الرسول صلعم، وخاصة في أثناء القراءة للنص الحكيم، يؤيّد هذا ما جاء على لسانهم: «فما ثبت أن النبي ﷺ وقف عليه دائما تحقّقنا أنّه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنّه ليس فاصله، وما وقف عليه مرّة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو الاستراحة...»[2]. فالقاسم المشترك بحسب هذا القول بين الفاصلة والوقف هو إمكانية التوقف والاستراحة عند تواصل الكلام.

ولأنّ الوقف ذو علاقة وطيدة بالفاصلة، فإن الدراسات الحديثة تجعله لونا من

---

[1]–أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآني في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1994، ص309.

[2]–الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص341–342.

ألوانها، وقد عرّف بأنّه: «قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما»[1]، وإسكانه الصريح هو مذهب أكثر القراء والنحويين، وهناك من قال بأنواع له ـــ:«الإشمام، وهو: ضم الشفتين بعد الإسكان، والرّوم، وهو أن تروم التحريك والتضعيف»[2].وهذه الآليات الصّوتية ضرورية لنهاية الكلام في الوقف، وهي ليست كذلك في الفاصلة.

وهذا ما أشار إليه المحدثون في دراساتهم الصّوتية، فكمال بشر من المحدثين مثلا يربط الفاصلة بمصطلحات ثلاثة هي: الوقفة Stop، والسكتة Pause، والاستراحة وأخذ النّفس، ويعرّفها بقوله: «مجموعة من الظواهر الصوتية التي تشكل ظواهر أخرى –كالنّبر والتنغيم– تلوينا خاصا بالمنطوق، يحدّد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته»[3]، إذا يجعله من المصطلحات العامة التي يتوقف عندها لأجل الاستراحة.

وهنالك من الدّارسين المحدثين من يجعل الوقف أو المفصّل (Juncture) فونيما من الفونيمات فوق التركيبة أو السمات التعبيرية (Prosodic Features) مشابها في ذلك النبر والتّنغيم وغيرهما. فهو عبارة عن سكتة خفيفة بين الكلمات أو المقاطع في صوت كلامي، الغاية منه الدلالة على مكان انتهاء مقطع ما وبداية آخر، وهذا قاسم مشترك بينه وبين الفاصلة القرآنية التي تُعلمنا بانتهاء آية قرآنية وبداية أخرى.

رابعا :في الفاصلة والقافية:

إذا كانت القافية هي المؤسسة الموسيقية للنّص الشعري، فقد التبست كثيرا بمصطلح الفاصلة؛ ذلك أن القدماء لم يفرقوا بين الإيقاع الموزون الذي يختص به الشعر، والإيقاع غير الموزون الذي تتفرد به الفاصلة، ونظرا لهذا الإشكال نجد من اللغويين من حاول أن يميط لثام الاختلاف بينهما لسبب رئيس مفاده أن الفاصلة «أخصّ

---

[1]–عبد الكريم إبراهيم عوض صالح: الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006، ص17.

[2]–الخوارزمي، القاسم بن الحسين (ت617هـ): شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، تح: عبد الرحمان بن سليمان العثيمني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص217.

[3]–كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، ص553.

في الاصطلاح، إذ كلّ قافية فاصلة، ولا عكس»[1]، كما وضح ذلك الزركشي (ت794هـ) رغم أنهما تتشابهان من حيث التنظيم الزمني في الصياغة الإيقاعية، وهذا ما دفعه للربط بينهما في تعريف ثان: «كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع»[2]، إنّ تواتر الفواصل والقوافي في خواتيم الآيات والأبيات الشعرية على التّوالي، هو السبب الرئيس الذي جعل الفواصل «تجري مجرى القوافي، لاجتماعها في أنّ الفاصلة آخر الآية، كما أنّ القافية آخر البيت»[3].فهما تلتقيان من حيث موقعهما في خاتمة الكلام.

و نجد من المحدثين من وقف لحل هذا الإشكال للتفريق بينهما، فتمام حسان يعرّف تقفية الشعر بقوله: «تطابق خواتيم الآيات من الناحية الصوتية»[4]، ليؤشر على ترداد عنصر الروي في كل أبيات القصيدة، والالتزام بها عنصر مهم في عمود الشعر، ولكن الفواصل تخرج عن حدود هذه المطابقة الصوتية في القرآن الكريم، ويمكننا أن نلخّص هذه الفروق في النقاط الآتية[*]:

1-تعتمد أصوات الرّوي في الشعر على عنصر المطابقة، في حين لا تلتزم الفاصلة بهذا الشرط، إذ تتنوع أنماط أصواتها وهذا ما سنفصل فيه القول في الفصول الموالية.

2-تعتمد الفواصل على عنصر المفارقة في الصيغة والبناء، في حين تلتزم القافية بالتكرارية للصيغة في وحداتها الأدائية.

3-الفاصلة تكون دائما مكمّلا دلاليا لما سبقها واستثناء تكون عنصرا مكملا لها

---

(1)-الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيـــروت، دار المعرفة، ط2، 1972م، ج2، ص58.

(2)-الزركشي: المصدر السابق، ج2، ص53

(3)- أبو علي الفارسي (ت377هـ): الحجة للقراء السبعة، تح: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج2، ص285.

(4)- تمام حسان: البيان في روائع القرآن -دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، المرجع السابق، ج1، ص192.

(*)- ينظر هذه الفروق: تمام حسان: المرجع نفسه، ص192 وما بعدها.

«ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا من العلماء، لأنّ الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر، وجب سلب القافية أيضا لأنها منه، وكما يمتنع استعمال القافية فيه، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، إذ أنها صفة لكتاب الله تعالى لا تتعداه»[1]، في حين تكون القافية عنصرا إضافيا خاصة في الشعر الحر، أو الشعر المنثور.

وتبقى الفاصلة في الخطاب القرآني أهم المكونات الدلالية والجمالية فيه، لأنّها كقيمة صوتية ذات وظيفة إيجابية تراعى في كل آيات النّص الحكيم، إذ تخضع في ذلك إلى تأليف اختياري يمتد عبر خيوط صوتية موحدة، ثم سرعان ما تتوزّع تدريجيا عند خواتيم الآيات، فلا يجد القارئ نفسه إلاّ ممارسا لــ«الانتقال من فاصلة ذات جرس معيّن إلى أخرى ذات جرس مخالف»[2]. وكأنّ ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها، بحيث لو حذفت لاختلّ المعنى في الآية، فما يسبقها يتّصل بها دلاليا دائما، ولو سكت عنها القارئ يمكن للسامع أن يتخيّر من اللفظ ما يتناسب والمعنى.

لهذه الأسباب مجتمعة نجد من البلاغيين من نوّه بالقيمة الموسيقية للفاصلة الذي يرجع أساسا إلى التواصل الصوتي بين الحروف المؤسسة لها وهذا لا يتجلى إلاّ من خلال «الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده»[3]، كلّ هذا ضمن سياق نظمي متميّز، إذ يجب أن يراعى تقديم والتأخير في كثير من المواطن للحفاظ على المعنى وعلى الإيقاع البنائي الكلّي أيضا، لهذا فالفاصلة كما عبّر عنها سليمان عشراتي «برزت في كينونة خطابية فريدة النّوع والمحتدّ الأسلوبي، وتقوم أيضا على الطابع الخلويّ المفتوح...» [4].فهو يؤكّد على قابلية الفواصل للتعدّد الدّلاليّ والتّعدّد التّشكيلي، ممّا يجعلها مفتوحة على كلّ الآفاق.

---

[1]– عبد الفتاح لاشين: الفاصلة القرآنية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982، ص ص6–7.

[2]–عبد الرؤوف مخلوف: من قضايا اللغة والنّقد والأدب، مكتبة الفلاح، بيروت، ط1، 1981، ص153.

[3]–عشراتي، سليمان: الخطاب القرآني وأدبية القراءة والتلقــي، ***مجلــة تجليــات الحداثــة***، ع4، يونيــو، 1996، ص168.

[4]–الزّركشي: المصدر السابق،ج2، ص53–54.

خامسا: في الفاصلة ورؤوس الآي

وإذا كان هذا هو شأن الفاصلة مع القافية، فهناك معالجة تحليلية أخرى تقدم بها أبو عمرو الدّاني (ت444هـ) الذي فرّق بين مصطلحين اثنين؛ الفواصل ورؤوس الآية فيقول: «أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس أي وغيرها»[1]، جاعلا من الوقف عنصرا رئيسا للتفريق بين المصطلحين.

ومن اللغويين من وضع اللفظين(الفاصلة ورأس الآية) موضع الترادف كما فعل ابن يعيش(ت 643هـ) في تحديده للمصطلح الأول قائلا: «المراد بالفواصل رؤوس الآي ومقاطع الكلام»[2].

أمّا "أحمد الياسوف" كان من الباحثين المحدثين الذين علّقوا على قول الدّاني، مؤكدا في الآن ذاته على أهمية الوقف في تبيان وضبط الفواصل كما أشرنا آنفا فيقول: «ومما يفاد من نظرة أبي عمرو الدّاني أنّ الوقوف على رأس الجملة لتحديد الفاصلة يعد مظهرا آخر لتمكن الكلمات من أماكنها»[3]، مبرزا في ذلك العلاقة الوثيقة بين الفاصلة والوقف التي ألمعنا إليها سابقا.

ثم يواصل تحليله بذكر أهمية الترنيم في رؤوس الآي عند الوقف، ثم يبرّر توجهه هذا من خلال تطبيقه على آية الكرسي فيقول معلّقا: «فنحن في هذه الآية إزاء تسع فواصل «القيوم، نوم، الأرض، بإذنهم، خلفهم، شاء، الأرض، حفظهما، العظيم» فالمدّ الجميل ذو الحركات الستّ في كلمة القيّوم، ويتبعه جمال الوقوف عند "نوم"، مع إطالة الإحساس بالواو قبل التركيز على الميم، وكذلك كلمة "الأرض"، ثم يأتي الوقوف عند "بإذنه"، حيث تشبع كسرة الهاء، فتحدث في الأذن تطريبا، وكذلك (خلفهم) ثم المدّ الجميل يكون في شاء، لينسجم مع سكون الميم الشّفوية، وكذلك المدّ في "حفظهما"

---

[1]–الزركشي: المصدر السابق، ص54.

[2]–ابن يعيش: شرح المفصل: ج9، ص78.

[3]–أحمد ياسوف: المرجع السابق، ص324.

ينسجم مع الوقوف على الضاد "الأرض" ثم يأتي منك الختام في المدّ الذي يسبق الميم "العظيم" وهي الفاصلة التي تعارف عليها الدارسون»[1]. هذا يعني أنّ هناك تمهيدات صوتية موقوف عندها في الكلمات القرآنية قصد الوصول إلى خاتمة الآية وهي الفاصلة.

وعليه، من خلال هذا التحليل الدقيق، يمكننا أن نوضح الفارق بين "الفاصلة"، و"رأس الآية"، ذلك أن الفاصلة هي الكلمة الأخيرة التي تذيّل بها آيات النّص الحكيم، في حين تمتد فيه رؤوس الآي في ثناياها، وعليه يمكننا اعتبارها فواصل جزئية تساعد في إبراز جمالية الفواصل النهائية أو الختامية، من خلال تكرار بعض الأصوات داخل هذه الأبنية اللغوية المكونة للآية.

إنّ أهم ملاحظة يمكننا إدراجها هنا هي أنّ التعريف المتفق عليه بخصوص مصطلح الفاصلة بحاجة إلى إعادة نظر جديدة، ونعني بهذا قولهم «هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السّجع، وتقع الفاصلة عند الاستراحة من الخطاب، لتحسين الكلام بها...»[2]، فإذا تعلق الأمر بوظيفتها الجمالية فهو مشروع أما إذا كان الأمر مرتبطا (بالاستراحة) نشير إلى أنّ الوقف لا يكون دوما في نهاية الآيات، وإنما قد يحصل في أواسطها.

ويشاطر "عبد الكريم الخطيب" "أحمد ياسوف" هذه الفكرة عندما علّق على قول "الباقلاني" الذي عرّف الفاصلة بقوله: «حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»[3]، قائلا: «هي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية، وهذا يحتاج إلى أن تكون الفواصل جملا مستقلة تؤدي معنى تاما مستقلا بدلالته مثل: "والله غفور رحيم" ولكن هناك كثير من الفواصل ليست على تلك الصفة، وإنما قد تكون من التعريفات

---

[1]–أحمد ياسوف، المرجع السّابق، ص325.

[2]–المرجع نفسه، ص309.

[3]–الباقلاني: المرجع السابق، ص270.

الحديثة للفاصلة «تلك النهاية التي تذّيل الآيات القرآنية»[1]. وتركز هذه المفاهيم في جلّها على الجانبين الموسيقي والدلالي في الفواصل، نستنتجه من هذا التعريف: «إنّ الفاصلة القرآنية وهي تحمل شحنتين في آن واحد: شحنة من الوقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمّم للآية»[2]، وهذا من خلال ما تتميز به من سلاسة في النظم وتمكنها الصوتي، مع المحافظة على المعنى بحيث لا يتغير ولا ينفصل عنه.

إن هذه التعريفات المتباينة بين اللغويين والبلاغيين في تحديد المصطلح لَمؤشر واضح على صعوبة تحديده وتعريفه، ونرجع صعوبة هذا الإشكال إلى «تنوع أشكال الفاصلة القرآنية وتعدد صورها، فقد تكون كلمة، وقد تكون مقطعا من كلمة، وقد تكون جملة»[3]، مما يفتح الباب واسعا أمام إمكانية تبنّي تعريف جامع مانع لها. ولكن كل هذا لا يبعدنا عن القول بقيمة الفاصلة في بلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه، ذلك أنها عنصر يؤدّي وظيفتين رئيستين فهو تارة متمم للمعنى، وتارة تناسب شكلي وصوتي يميّز هذا النّص عن غيره من الشعر والنثر.

إنّ الفاصلة القرآنية قد تكون آية قائمة بنفسها مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [4] وقد تكون جزءا من آية مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [5]... فالطارق والثاقب، فواصل لآيات، وهي بمنزلة الجزء من الكلّ لا يمكن فصلها.

---

[1]–بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشرق، بيروت، ط4، 1980، ص203.

[2]–بكري شيخ أمين: المرجع السابق، ص203.

[3]–أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن –دراسة في النّظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1992، ص350.

[4]–سورة الضحى، الآية: 1.

[5]–سورة الطارق، الآية: 1–3.

سادسا : في الفاصلة والتعقيب

يلتبس مصطلح *الفاصلة* بمصطلح *التّعقيب* من جهة أخرى عند بعض الدّارسين، وهذا نظرا لموقعهما المتشابه في خاتمة الآيات،فضلا عن سمتهما الإيقاعية، فالناظر في التعريف الآتي يدرك مدى التّقارب الحاصل بين المصطلحين، فقد عُرّف المقطع بأنّه «ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها (أي الآيات)، وتذيّل به الآية زيادة في البيان، ومحافظة على وحدة الإيقاع»[1]، إلا أنّه في حقيقة الأمر هو جملة مكتملة البناء، والفاصلة جزء منه، وعليه فإنّ التّعقيب بهذه المواصفات يمثّل «سمة بارزة من سمات الأسلوب القرآني، وأحد أوجه الإعجاز الجمالي فيه، ذلك لأنّها تجمع بين الوظائف المعنوية الدلالية، بالإضافة إلى تحقيقها وظيفة جمالية لأنّها تمهّد بجلاء لمقرّرات التناسب الإيقاعي في نهاية الآيات»[2]. ولتأكيد أهميّة الوظيفة المعنوية للتعقيب نقف مع قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[3] حيث وقعت هذه الجملة في إحدى آيات سورة المؤمنون بعد أن فسّرت طريقة الخلق في الآيات الثلاثة التي تسبقها،فاكتمل المعنى الإجمالي بهذا الكلام المعقّب به، بينما الفاصلة في الآية هي كلمة(الخالقين).

ومن هنا يكون التعقيب–ويسمّى أيضا التّعقيبة– هو أكثر طولا من الفاصلة، وهي إحدى المتمّمات المشروطة في بنائه «فالعلاقة بينهما هي علاقة العام والخاص، إذ لابدّ من وجود فاصلة لكلّ آية وليس شرطا وجود تعقيبة لكلّ آية،فالفاصلة القرآنية أكثر عددا بلا جدال من التّعقيبات»[4].

---

(1)– أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص91.

(2)– أسامة عبد العزيز جاب الله: أسلوب التّعقيب القرآني مقاربة جمالية، دار مكتبة الإسراء، ط1، 2009، ص11.

(3)– سورة المؤمنون، الآية: 15.

(4)– المرجع نفسه، ص12.

سابعا :أقسام الفواصل:

اتفق البلاغيون، والمفسرون على أن الفواصل ثلاثة أقسام باعتبار الوزن:

1-**المتوازي:** «أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف الرويّ، كقوله تعالى في نعيم أهل الجنة: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤)﴾ [1]»[2].

2-**المطرّف:** ويسمى المعطوف أيضا: «وهو ما اتفق في حروف الرّوي لا في الوزن، نحو قوله عز وجل: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾[3]» [4].

3-**المتوازن:** «أن يراعى في مقاطع الوزن فقط»[5]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾ [6].

وهناك أقسام أخرى أشار إليها محمد الحسناوي ارتبطت بأجزاء من الفاصلة:

***بحسب حرف الرويّ:**

1-**الفواصل المتماثلة:** (المتجانسة) أو ذات المناسبة التامة وهي التي تماثلت حروفها رويها: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢)﴾ [7].

2- **الفواصل المتقاربة**: ذات المناسبة غير التامة وسميت كذلك الازدواج، وهي «التي تقاربت حروف رويها، كتقارب الميم والنّون:﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[8]» [9].

(1)- سورة الغاشية، الآيتان: 13-14

(2)- عبد الفتاح لاشين: الفاصلة القرآنية، المرجع السّابق، ص19.

(3)- سورة نوح، الآيتان: 13- 14

(4)- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2، 2000، ص149.

(5)- عبد الفتاح لاشين: المرجع السابق، ص19.

(6)- سورة الغاشية، الآيتان: 15-16

(7)- المرجع نفسه، ص145.

(8)-سورة الفاتحة، الآيتان: 3-4.

[1].

وقد أشار الحسناوي إلى أنّ الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية في حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية.

***بحسب مقدارها من الآية:** «من الفواصل ما هو آية كاملة، وما هو بعض آية، وهذا النوع الثاني هو النوع الغالب المطرد»[2].

***الفواصل بحسب طول الفقرة:**

لم نجد مبّررا علميا لهذه التسمية التي تقدم بها محمد الحسناوي؛ ذلك أنّه لم يضبط لنا ما معنى كلمة "فقرة"؟، فإذا كان المقصود بها المعنى المتداول وهو مجموعة من التراكيب تجتمع حول فكرة محددة، فإن السؤال المطروح ههنا هو: هل السورة القرآنية ككل تسمى فقرة؟ أم أن الآيات هي التي نعتها بهذا المصطلح؟

بحسب التصنيف المقدم من طرفه لأقسام الفواصل، فإنّ مصطلح الفقرة يرادف مصطلح الآية، وهذا لا يجوز، لأن النص الحكيم عرف بهذا المصطلح ولا يمكن تجاوزه، ويتبيّن لنا هذا التحليل من الصّنف الذي نعته "بالقصير" وهو من وجهة نظره ما كان على لفظ واحد، أو عدد من الحروف، كقوله تعالى: (الم) البقرة، (حم) المؤمن، الزخرف، (طسم) الشعراء، القصص، الرحمن، الحاقة... [3].

ويضيف إلى هذا النوع صنفا أطلق عليه تسمية "المتوسط"، وهو ما جاء في آيات سورة النجم، قال تعالى:﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [4].

***الفواصل بحسب مقدارها من الآية:**

---

[1]–محمد الحسناوي: المرجع السابق، ص146–147.
[2]–محمد الحسناوي: المرجع السابق، ص155.
[3]–المرجع نفسه، ص151.
[4]–سورة النجم، الآيات: 1–4.

قسم آخر يضيفه الحسناوي، فمن الفواصل ما كان آية كاملة، ومنها ما كان بعض آية، وهذا النوع الأوّل هو الذي تدخل ضمنه فواتح السور، وأما الشكل الثاني فما كان كلمة وهو الذي اصطلح عليه سابقا مصطلح (القصير)، أما ما اصطلح عليه (المتوسط) فهي الفاصلة التي تكون جزء من الآية، وعادة ما يرتبط دلاليا بما قبله، وقد مثّل له في النوع السابق بسورة (النّجم) وقد يكون هذا الصّنف تعقيبا على آية سابقة أو تلخيصا لمضمونها أو توكيدا لمعناها، وقد أدرج أمثلة في ذلك.

*<u>الفاصلة بحسب الصغر والكبر</u>:

يقسّم الجرجاني الفواصل إلى قسمين رئيسين: «الفاصلة الصغرى: وهي ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو بلغا ويدركم»[1]، والفاصلة الكبرى: وهي أربع متحركات بعدها ساكن نحو بلغكم ويعدكم، وهذه التقسيمات تشابه التقسيمات التي تقدم بها علماء العروض في تفعيلات البحور الشعرية، ودورانها الثابت أو المتغير، على مستوى الزحافات والعلل، وقد عرّف الخليل الفاصلة في العروض بقوله: «أن يجتمع ثلاثة أحرف متحركة والرابع ساكن مثل فَعَلَتْ، قال: فإن اجتمعت أربعة أحرف متحركة فهي الفاضلة بالضاد المعجمة، مثل فَعلتُنْ»[2]، وبالتالي فقد وظّف مصطلحين مختلفين هما: (الفاصلة، والفاضلة)، الخلاف بينهما في التركيب الصوتي لهما.

وللفيروز آبادي من القرن التاسع (ت817) وجهة نظر في الطبيعة الصوتية للفواصل، إذ نراه يقسمها إلى قسمين بحسب الحرف الأخير لها إذ يقول: «وأمّا فواصل الآيات ومقاطعها فعلى نوعين: إما على حرف كطه؛ فإنّ فواصل آياتها على الألف، وك (اقتربت) فإن مقاطع آياتها على الرّاء، وإمّا على حرفين كالفاتحة، فإنّها بالميم والنّون: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ فإنها بالباء والدال»[3]. فتقسيمه هذا مبني

---

[1]–الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، ضبط وفهرسة عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القــاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص180.

[2]–ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص601.

[3]–الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النّجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج1، د.ط، ص70.

على المفارقة بين حرف الروي عندما يكون صامتا واحدا في أواخر الآيات، كما هي حال سورة القمر التي تنتهي بالراء، وقد يكون حرف الرّوي مزدوجا كالواو والنون أو الياء والنون التي تذيل في أواخر السور الطوال على وجه الخصوص كالبقرة مثلا.

ولأنّ للفاصلة أثرها الخاص في نسق الكلام، واعتدال المقاطع يصنّف لنا الحسناوي نوعا أسماه الفاصلة الداخلية إلاّ أنّه لم يوضح دلالتها، عدا ما يتجلّى لنا من تسميتها بأنّها تقع في وسط الآية، وهي تعد فرع عن أصل هو الفاصلة، وقد قسمها إلى فواصل متماثلة ومتقاربة وغير متماثلة ولا متقاربة.

وقد عدّها في ذلك «ظاهرة من ظواهر القرائن والفقرات الطويلة، لأنّها تقوم مقام المرتكزات والمحطّات النّفسية معنى وموسيقى»[1].

نختم دراستنا المصطلحية مع نظرة المحدثين، حيث يوجد من بينهم من خلط بين مصطلحي الفاصلة والتذييل وهو ما حدث مع الاعتراض وقد فصلنا فيه القول في المبحث السابق. يقول أحمد مختار عمر على لسان تمام حسان: «والملاحظ أنّ هناك انسجاما وتآلفا بين مضمون الآية ومضمون التذييل، فليس في القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب وتذييلها إلى المغفرة والرحمة، وليس فيه من آية تتضمّن رضوانا من الله ينتهي تذييلها بالوعيد وشدّة العقاب»[2]. يبدو أنّ تمّام حسن قد وقع في إشكالية ضبط المصطلح؛ فالتّذييل عنده هو الفاصلة القرآنية، وهذا لأنّه يؤكّد بأنّ التّذييل عنصر متمّم للمعنى، يوظّف لغاية دلالية بالدّرجة الأولى، حضوره أمر ضروريّ للصّياغة النّهائية للآية القرآنية، وهذه شروط الفاصلة لأنّها تتمّم المعنى أيضا، كما أنّ التّذييل في أصل وضعه كلام زائد كما قال عنه الخفّاجي: «العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه»[3]. فهو لم يحدّد الفرق الكامن بينهما والمتمثّل في أنّ التّذييل يكون جملة، بينما الفاصلة لا تكون إلّا كلمة.

والآن بعد أن طوينا صفحة الجانب النّظريّ من هذه الدّراسة، وضبطنا مفاهيم

---

[1]–محمد الحسناوي: المرجع السابق، ص159.

[2]–أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى (دراسة في البنية والدّلالة)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1997، ص

[3]– الخفاجي: المصدر السّابق، ص207.

أهمّ مصطلحاتها، سننتقل إلى تحليل هذه المصطلحات تحليلا دلاليا نصّيا من خلال مدوّنتنا القرآنية فيما تبقّى من الفصول التّطبيقية.



العنوان في الخطاب القرآني

مقاربة دلالية نصّية



يقول الجاحظ:

«إنَّ لابْتِدَاءِ الكِتَابِ فتْنَةً وعجَبًا»

مدخل

لقد خطا اللّغويون والمفسّرون قديما وحديثا خطوات عملاقة في مجال التّسمية من خلال وقوفهم على مضمون السّور القرآنية وعلاقته باسم السورة، فالنّص القرآني يتألف من سور مختلفة «لكل منها اسم خاص، أُخذ مما عالجته السورة من المعاني، أو ما تحدّثت عنه من إنسان، وحيوان، أو غيرهما أو من بعض كلماتها»[1]، وقد تمّ لنا توضيح ذلك في الجانب النّظري من البحث، حيث أشارت أغلب هذه الدّراسات إلى أنّ هذه الأسماء موضوعة بالرواية فـــ «السورة طائفة من القرآن مؤلفة من ثلاث آيات فأكثر لها اسم يعرف بطريق الرواية»[2]، تتناقله الأجيال دون تحريف أو تبديل أو حذف أو تغيير.

ولم تكن هذه الاجتهادات عند القدماء قد وقفت مع أسماء السّور فحسب، بل نراها تبحث في أسباب تسمية (القرآن) بهذا الاصطلاح، وشرح الأسماء التي عُرف بها، فقد « روعي في تسميته (قرآنا) كونه متلوّا بالألسن، كما روعي في تسميته (كتابا) كونه مدوّنا بالأقلام، فكلتا التّسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه»[3]، كما عُرف بتسميات أخرى. ولكنّ هؤلاء الدّارسين اختلفوا في عدد أسمائه حتى قاربت المائة؛ وأقلّها كان أربعة أسماء لا غير، وهي المذكورة في القرآن ذكرها "**الماوردي**" (ت 450هــ) وهي:(القرآن، الفرقان، الذّكر، الكتاب) وقد قدّم تحليلا دلاليا لها[4]، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على أن التّعدد الاسمي كان له حضور في مباحثهم، إلّا أنّهم لم يتوّسّعوا فيه بالشّكل المطلوب إنّما ورد في بعض متفرّقات مؤلّفاتهم وتصانيفهم.

و ليس بعيدا عن هذا التّصور فإن الدارسين المحدثين من جهة ثانية- وعلى

---

[1]- بكري الشيخ أمين: التّعبير الفّني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط4، 1980، ص209.

[2]- المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، ط3، 1971، ج1، ص23.

[3]- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم –نظريات جديدة في القرآن، دار العلم، (د.ط)، (د.ت)، ص12.

[4]- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب: النكت والعيون تفسير الماوردي، تح: خضر محمد خضر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج1، ص34. ينظر : موقع المجلات الجزائرية (www. Revue.dz)

رأسهم بكري الشيخ أمين- يصنّفون السور القرآنية بحسب مضامينها، إذ يوجهّون عناوينها إلى حقل معين، فهو مثلا جعلها ضمن قسمين رئيسين هما: «قسم تكوّن من موضوع واحد، وهو غالب في السور القصيرة، كسورة النّبأ، والنّازعات، والانشقاق، والفيل، وقريش وغيرها، وقسم تكوّن من موضوعات شتّى – وهو القسم الغالب على السور- كالبقرة، وآل عمران، والمائدة، وغيرها»[1]، إلاّ أنّ دراستنا هذه ستخرج عن حدود هذه التقسيمات لتقدّم تصوّرا جديدا لأكثر الحقول الدّلالية شيوعا لأسماء السّور وعلاقتها بالسور التي تحيل عليها.

ولا يفوتنا في هذا المقام إلّا الإشارة إلى أنّ البحث في المضامين كان هاجس الدارسين المحدثين الذين طرقوا باب التناسب بين مطلع السور وخواتيمها [2]، خصوصا عند من تبنّى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، كما فعل "عبد الله دراز" في "النبأ العظيم"، أو "محمد الغزالي" في كتاب "المحاور الخمسة للقرآن الكريم"، وكذا "سيّد قطب" في ظلال القرآن وغيرهم "[3]. وحتّى " تمّام حسان" الذي قدّم تصوّرا جادّا في هذا الباب ظلّت دراسته ناقصة؛ فعلى الرّغم من تعرّضه إلى الهيكل البنيوي لبعض سور القرآن من مثل: (الفرقان، القصص، الشعراء، النمل) مصنّفا آياتها بحسب المضمون الذي ورد فيها، ومقدّما تسمية لكل زمرة منها، فسورة **"القصص"** مثلا رتّبت آياتها على النحو الآتي (آيات الميلاد، آيات المبعث، آيات العقاب، آيات التصديق) ثم حدّد مقاصد كل منها[4]، فهو لم يُشِر إلى أسباب التّسمية، أو علاقة العنوان بهذه المضامين، وهو الخلل المنهجيّ الذي درج عليه معظم الباحثين إن لم نقل جلّهم.

ستتقاطع دراستنا هذه مع بعض ما جاء في مصنّفات القدماء أحيانا، أو ما أقرّه المحدثون، وستُخالف البعض الآخر لأنّ مجالها هو صور التّماسك العُنوانيّ في القرآن

---

[1]–بكري الشيخ أمين: المرجع السّابق، ص209.

[2]–أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن –دراسة في النّظم المعنوي والصّوتي، 1992، ص41 وما بعدها.

[3]– ينظر تفصيل ذلك في: أحمد رحماني: التّفسير الموضوعي نظريا وتطبيقيا، منشورات جامعة باتنة، 1998، ص32 وما بعدها.

[4]– تمام حسان: البيان في روائع القرآن، المرجع السابق، ج2، ص417 وما بعدها.

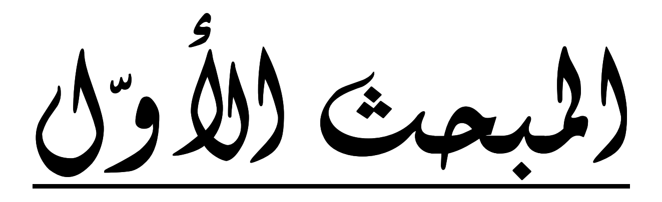
الكريم من خلال تلك العلاقات الدّلالية والنّصّية الدّاخلية بين العناصر الخارجية وهي أسماء السور، وربطها بداخل النّصّوص التي تحيل عليها.

إنّ الربط بين النّصّ وعنوانه يساعدنا على معرفة النّظام الكلّي للخطاب؛ ومختلف عناصر التّماسك المتحقّقة من خلال تعدّد أسماء السّور أحيانا، وحفاظ بعضها على عنوان واحد إذ «شكّلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية على فكرة محورية في السورة، وإشارات من طرف خفي إلى حدث جسيم فيها، بل تجاوزت دائرة إيجاد العنوان إلى تعدديّة العناوين؛ فالزّهراوان هما البقرة وآل عمران؛ والتّوبة هي نفسها سورتا المقشقشة والفاضحة، وسورة محمّد هي نفسها سورة القتال»[1]، وأغلب السور القرآنية تحمل أكثر من اسم واحد.

وهذه الازدواجية بين التّفرّد بعنوان واحد في بعض السور القرآنية، والتعدّد في التّسميات في سور أخرى جعلنا نتساءل لماذا هذا التّنويع؟ خصوصا وأنّ هؤلاء الدّارسين رغم جهودهم المعتبرة في بسط مادة المضامين لم يؤسّسوا لمنهج تحليلي نصّي دقيق، يُرجى من ورائه تحديد طبيعة هذه الموضوعات وعلاقتها بالعناوين، وهذا ما فتح علينا باب التساؤل ما علاقة العنوان بمضمون السورة؟ وما علاقة تعدّد التّسمية بالعناوين؟ ولماذا تتعدد أسماء سور قرآنية بينما تحافظ سور أخرى على عنوان واحد؟ وماهي أكثر الحقول الدّلالية حضورا؟ وماهي أكثر العلاقات الدّلالية انتشارا بين العناوين؟ ولماذا ؟ وأسئلة أخرى ستفرض نفسها خلال جزئيات الدّراسة.

---

[1]– عبد الرحمن حسين: العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم. مُتاح على الرابط الإلكتروني:
(http:// www . Islamoline. net)



عناوين السّور في القرآن الكريم بين الوحدة والتّعدد الاسمي

يُشكّل هذا المبحث مقدّمة تفصيلية نبسط من خلالها الطّبيعة العنوانية للسور القرآنية من خلال وجهات النظر المختلفة للقدماء بخاصّة، وهذا لأهمّية العنوان باعتباره وحدة اتّصالية متميّزة وجودا ودلالة، لهذا كان موضوعا للمشتغلين على الخطاب القرآني وقد آثرنا اختصارها في هذا الجدول الإحصائي الذي يميّز بين نوعين من السور؛ قسم تتفرّد فيه السور القرآنية بعنوان وحيد، وقسم ثانٍ يحيلنا على زمرة السور ذات العنوان الواحد متعدد التسميات، حيث ستكون لنا قراءة تحليلية لهذه المجاورة الاسمية الواردة في سور الخطاب القرآني، نوضحها في الجدول الآتي:

جدول رقم (1): عناوين السور عند المفسرين واللغويين

عنوان السورة كما ورد في المصحف	رقم السورة في المصحف	رقم السورة بحسب ترتيب النزول	أسماؤها عند المفسرين واللغويين
الفاتحة	1	5	الحمد لله، فاتحة الكتاب، الواقية، الشافية، السّبع المثاني، أم القرآن، أم الكتاب، الكافية، أساس القرآن، الكنز، الوافية، الرقيّة، الحمد، الشكر، الدّعاء، الصلاة، النّور، تعليم المسألة، المناجاة، التفويض، الواجبة.
البقرة	2	87	فسطاط القرآن، الزّهراء، سنام القرآن.
آل عمران	3	89	الزّهراء، التّاج.
النساء	4	92	النساء الكبرى
المائدة	5	112	العقود، التكميل، الإكمال، الإتمام، الأحبار، المُنقذة، المائدة.
الأنعام	6	55	الحجّة
الأعراف	7	39	الميثاق، الميقات، ألمص
الأنفال	8	88	الجهاد، بدر
التوبة	9	113	براءة، الفاضحة، البَحُوث، المبعثرة، المنفّرة، المثيرة، الحفّارة، المخزية، المهلكة، المشرِّدة،

			المدمدمة، الحافرة، العذاب، المنكّلة، المقشقشة.
يونس	10	51	يونس
هود	11	52	هود
يوسف	12	53	يوسف
الرّعد	13	96	الرّعد
إبراهيم	14	72	إبراهيم
الحجر	15	54	الحِجر
النّحل	16	70	النّحل
الإسراء	17	50	سبحان، بني إسرائيل
الكهف	18	69	الكهف
مريم	19	44	كهيعص
طه	20	45	موسى، الكليم
الأنبياء	21	73	الأنبياء، الذّكر
الحج	22	103	الحج
المؤمنون	23	74	المؤمنون
النّور	24	102	النّور
الفرقان	25	42	الفرقان
الشعراء	26	47	طسم، الجامعة
النّمل	27	48	سليمان
القصص	28	49	القصص
العنكبوت	29	85	العنكبوت
الرّوم	30	84	الرّوم
لقمان	31	57	لقمان
السّجدة	32	75	سجدة لقمان، المضاجع، ألم
الأحزاب	33	90	الأحزاب
سبأ	34	58	سبأ
فاطر	35	43	الملائكة

يس	36	41	قلب القرآن، حبيب النجار، الدافعة، القاضية، المُعمّة، القلب.
الصّافات	37	56	الصّافات
ص	38	38	داود
الزّمر	39	59	الغرف، تنزيل
غافر	40	60	الطَّوْل، المؤمن، حم
فصّلت	41	61	السّجدة، حم السجدة، المصابيح، الأقوات، التّسبيح، سجدة المؤمن.
الشورى	42	62	حم عسق
الزّخرف	43	63	الزّخرف
الدّخان	44	64	الدّخان
الجاثية	45	65	الشريعة، الدّهر
الأحقاف	46	66	الأحقاف
محمّد ﷺ	47	95	محمد، القتال، الذين كفروا
الفتح	48	111	الفتح
الحجرات	49	106	الحجرات
ق	50	34	الباسقات
الذّاريات	51	67	الذّاريات
الطّور	52	76	الطّور
النّجم	53	23	النّجم
القمر	54	37	اقتربت
الرّحمن	55	97	عروس القرآن
الواقعة	56	46	الواقعة
الحديد	57	94	الحديد
المجادلة	58	105	المجادلة
الحشر	59	101	بني النّضير
الممتحنة	60	91	الصّف، الحواريين، عيسى، الامتحان.
الصف	61	109	الصّف، الحواريين.

الجمعة	62	110	الجمعة
المنافقون	63	104	المنافقون
التغابن	64	108	التغابن
الطلاق	65	99	النساء القصرى، النّساء الصّغرى
التحريم	66	107	سورة النبي ﷺ، التحرّم
الملك	67	77	تبارك، المانعة، الواقية، المنجية، الدّافعة، الشافعة، المجادلة، المخلّصة.
القلم	68	02	ن، الخُلق
الحاقّة	69	78	السّلسلة
المعارج	70	79	سأل، الواقع، ذي المعارج
نوح	71	71	نوح
الجنّ	72	40	قل أوحى
المزمّل	73	03	المزمّل
المدّثّر	74	04	المدّثّر
القيامة	75	31	القيامة
الإنسان	76	98	هل أتى، الدّهر، الأمشاج
المرسلات	77	33	المرسلات
النّبأ	78	80	عمّ، التّساؤل، المعصرات
النّازعات	79	81	السّاهرة، الطّامة
عبس	80	24	الصّاخة، الباخّة، السّفرة، الأعمى
التّكوير	81	07	الشّمس، كوّرت،
الانفطار	82	82	انفطرت
المطفّفين	83	86	المطفّفين
الانشقاق	84	83	انشقّت
البروج	85	27	البروج
الطّارق	86	36	الطّارق
الأعلى	87	08	سبّح، السّفرة
الغاشية	88	68	الغاشية

الفجر	89	10	الفجر
البلد	90	35	العقبة، لا أقسم
الشمس	91	26	الشمس
اللّيل	92	09	اللّيل
الضحى	93	11	الضحى
الشرح	94	12	الانشراح، ألم نشرح
التّين	95	28	والتّين
العلق	96	1	اقرأ
القدْر	97	25	القدر
البيّنة	98	100	لم يكن، القيامة، الانفكاك، البريّة، القيّمة، لم يكن الذين كفروا
الزّلزلة	99	93	الزّلزلة
العاديات	100	14	العاديات
القارعة	101	30	القارعة
التّكاثر	102	16	التكاثر، المَقْبُرَة
العصر	103	13	والعصر
الهمزة	104	32	الحطمة
الفيل	105	19	الفيل
قريش	106	29	قريش
الماعون	107	17	أرأيت الذي، الدّين، التكذيب، اليتيم
الكوثر	108	15	النّحر
الكافرون	109	18	الدّين، المقشقشة، الإخلاص
النّصر	110	114	التّوديع، الفتح
المسد	111	06	تبّتْ، أبو لهب
الإخلاص	112	22	الأساس،قل هو الله أحد، التوحيد، التفريد، التجريد، النّجاة، الولاية، نسبه الرّب، المعرفة، الجمال، المقشقشة، المعوّذة، الصّمد، المانعة، المحضرة، المنفّرة، البراءة، المذّكرة، الشافية، النور.

الفلق	113	20	الفلق،المعوّذة
النّاس	114	21	النّاس، المعوّذة

من خلال الجدول أعلاه تمّ ملاحظة تقارب في التّقسيم الثنائي الذي أدرجناه من حيث عدد السور في كل قسم، حيث تحدد الفارق بينهما بعشر سور؛ فقد بلغت السور التي تعددت تسمياتها واحدا وستين (61) سورة، بينما حدّد عدد السور التي وردت بعنوان واحد بثلاثة وخمسين (53) سورة.

إنّه قبل أن نقف مع هذه الثّنائية التّقسيمية علينا أن نشير بدءا إلى أنّ العنوان في الخطاب القرآني لم يكن مستحبا في أوّل عهده، وذلك لأنّ المصاحف العثمانية «لم تكن منقّطة، ولا مشْكَلة، ولا مُحزّبة، ولا مُعشّرة، ولا مخمّسة، ولم تكن مُعنونة»[1]، ولكن اسم السورة بعد هذه المرحلة أضحى جزءا لا يتجزّأ منها، بها تُعرف، وما اسمها إلا صورة من صور موضوع مستغرب ورد بها، أو موضوع مكرّر ميّزها، ويؤيّد هذا ما قاله محمد عويس: «أسماء السور، أي عنواناتها ثابتة بالتّوقيف من الأحاديث والآثار، وأنّ هذه العنوانات تستند إلى إشارات ودلالات بعينها في سياق السور، وهذا يعدّ علامة بارزة في صياغة بنية العنوان» [2]. وحتى نقترب أكثر من هذه العناوين والأسماء سنحاول التّعرف عليها من خلال اجتهادات القدماء، وسنتطرق إلى أسمائها وتشكيلاتها الدّلالية في الآتي من الدراسة.

أولا: السور متعددة الأسماء في الخطاب القرآني

سورة الفاتحة: يقول أبو السعود (ت 951هـ): «الفاتحة في الأصل أوّل ما من شأنه أن يفتح كالكتاب والثّوب أطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكلّ ثم أطلقت على أوّل كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التّدريجي حصولا والسطور والأوراق التدريجية قراءة وعدّا، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أو هي مصدر

[1]– عبد القادر رحيم : المرجع السّابق، ص65.

[2]–محمد عويس: العنوان في الأدب العربي، المرجع السّابق، ص 90.

بمعنى الفتح أطلقت على المفعول باسم المصدر إشعارا بأصالته كأنّه نفس الفتح»[1]، وقد قال الشّوكاني بما قال به أبو السعود فيقول: «...فسميت هذه السورة "فاتحة الكتاب" لكونه افتتح بها، إذ هي أوّل ما يكتبه الكاتب في المصحف، وأوّل ما يتلوه التّالي من الكتاب العزيز، وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن»[2].يُسلّط الضوء في هذين التّعريفين على عنوان السورة (الفاتحة) الذي أرجعت دلالته إلى حسن الاستهلال وجماليته في الدّخول إلى تفاصيل القرآن الكريم، فهذه السورة هي مفتاح الدّخول التّدريجيّ إلى تعاليمه، والسبب في ذلك لأنها تشتمل على جميع الأحكام والمعاملات، والقوانين التشريعية لهذا الخطاب.

وتعددت تسميات هذه السورة بين الباحثين، ولعلّ السيوطي قد ذكر أربعة منها ممّا أورده من أقوال رويت عن الرسول ﷺ، فمما حكاه عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ أسماها: «"الحمد لله رب العالمين"، أم القرآن، وأم الكتاب، والسور المثاني»[3]، كما أنّه أشار إلى تسمية (أساس القرآن) في الرواية التي أخرجها الثعلبي من الشّعبي: «أنّ رجلا شكا إليه وجع الخاصرة فقال: عليك بأساس القرآن قال: وما أساس القرآن؟ قال فاتحة الكتاب»[4]، وجاء في موضع آخر تسميتها بفاتحة الكتاب في قولهﷺ: «من قرأ فاتحة الكتاب فكأنّما قرأ التوراة، والإنجيل، والزّبور، والفرقان»[5]. وهذا تشريف لهذه السورة التي تقابل أربعة كتب سماوية نزلت على الأنبياء والرّسل، لما فيها من خصوصيات العقيدة، والتشريع، والعبادة والمعاملة.

المشهور من أسماء هذه السورة إذن هو "الحمد"، و"فاتحة الكتاب"، كما اعتبرت

---

[1]–أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: تفسير أبي السّعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1990، ج1، ص7.

[2]–الشّوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدّراية من علم التفسير)، تح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ج1، ص15.

[3]–السّيوطي،جلال الدين: الدّر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، 1983، ط1، ج1، ص12.

[4]–المصدر نفسه، ج1، ص12.

[5]–المصدر نفسه، ج1، ص12.

"أمّ القرآن"، والأمّ اشتهرت عند العرب بإطلاقها على أصل الشّيء،فيقال أمّ الإنسان لأنها أصله الذي خرج منه،ولهذا سميت مكة بأم القرى لأنها أصل القرى،وقد وردت لفظة الأم مقرونة بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[2]، والمقصود بذلك هو اللّوح المحفوظ الذي نقل منه القرآن،وأما السبب الثاني لهذه التسمية هو تضمينها لكلّيات القرآن إجمالا [3].فهي بمثابة نصّ مختزل لكل أحكام الخطاب القرآني فهي: «عتبة لقراءة القرآن وفهمه، وآياتها المعدودة بمثابة إشارات إلى معارف وقضايا كثيرة، فهي تقدم الجزء(النّواة)، وتحتفظ للمجتهد المُؤَوِّل باكتشاف الفروع وتشييد معاني النّص الأكبر والموسع، أو إنشاء افتراضات وحدوس عنه»[4]؛ وهي إشارة إلى أنّ هذه السورة الكريمة قد تضمّنت أهم المحاور التي جاء لأجلها القرآن، من ذلك علوم الأصول، وعلم النبوءات، ومعرفة المعاد، والتّوحيد، والعبادات والسلوك الإنساني، وعلم القصص، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يسميها (أم الكتاب وأم القرآن)، لأنها تحتضن جلّ المعاني القرآنية، وتحمل من رأفة ورحمة المولى عز وجلّ بعباده ما يجعلها كالأم حنانا على أولادها.

وقد أضيفت إلى هذه التّسميات (الواقية والشافية) عند "الكلبي" في القرن 8هـ[5]. ثم يورد البقاعي من القرن التاسع (ت 885هـ) تسميات أخرى تضاف إلى التسميات السابقة الذكر في قوله: «فالفاتحة اسمها أم الكتاب والأساس والمثاني والكنز،

---

(1)–سورة الزخرف،الآية: 4 .

(2)–سورة الرّعد، الآية:39.

(3)–ينظر: الطوفي، سليمان بن عبد القوي (ت 716 هـ): رسالة إيضاح البيان عن معنى أمّ القرآن، تح: علي حسين البواب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط، 2000، ص13.

(4)–محمد بازي: العنوان في الثّقافة العربية، التّشكيل ومسالك التّأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون– بيروت، منشورات الاختلاف– الجزائر، دار الأمان– الرّباط، ط1، 2012، ص37.

(5)–الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي: كتاب التّسهيل لعلوم التنّزيل، تح: محمد عبد المنعم اليونسي، إبراهيم عطوة عوض، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ج1، ص55.

والشافية والكافية والوافية والواقية والرقية والحمد والشّكر والدعاء والصّلاة؛ فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفيّ كاف لكل مُراد وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به، وهي أمّ كل خير، وأساس كل معروف، ولا يعتدّ بها إلاّ إذا ثنّيت فكانت دائمة التّكرار...» [1]. نخلص من هذه المقولة إلى أنّ تسميات هذه السّورة ترتبط بثلاثة حقول مختلفة؛ الحقل الأوّل منها هو الدّلالة على الصّلاة وما يتصّل بها، وعُبّر عنه بــ(الدّعاء، الصّلاة، الحمد، الشّكر) ومردّه إلى أنّ الصلاة لا تقوم إلّا على فاتحة القرآن فهي لا تصحّ دونها، وحقل يدلّ على الشفاء والتعافي من الأمراض والأدواء ويتصل بتسميات (الشافية، الكافية، الوافية، الواقية، الرّقية) فهي السورة التي تُشفي الإنسان ممّا يصيبه من أمراض نفسية وجسدية، وحقل ثالث عماده الخير؛ لأنّ السورة هي أساس الخير، وكنزه وأمّه، وسمّيت المثاني لتكرارها في الصّلوات المكتوبة.

أما "ابن تيمية" (ت 728هــ) فقد أضاف إلها تسمية (الواجبة)، وهذا لأنّ الصّلاة لا تكون إلّا بها في قوله: «وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية وهي الواجبة في الصلوات لا صلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها ويكفي غيرها عنها»[2]، لقد أدرج لهذه السورة سبعة أسماء لكلّ اسم مبرّره الخاص، فأمّا المثاني فلأنّها تثنّى في كل ركعة ، واستثنيت لهذه الأمّة دون الأمم[3]، ورادفت القرآن الكريم لأنّها تتضمن أغلب أحكامه، أما تسميتها الشّفاء، لأنّ العليل يشفى بقراءة السورة.

ويجيئنا "أبو حيان الأندلسي" (ت754هــ) بأسماء جديدة لسورة الفاتحة منها:

---

[1]–البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص12.

[2]–ابن تيمية، تقي الدين: التفسير الكبير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص299.

[3]–ينظر : القرطبي، أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص112.

«النور، وسورة الصّلاة، وسورة تعليم المسألة، وسورة المناجاة، وسورة التفويض»[1]. فالنور لأنّها الشّمعة الوضّاءة لحياة الإنسان إن تمسّك بتعاليمها، وهي سورة المناجاة، لأنّ فيها الدّعاء بأعظم أسمائه تعالى (الرّحمن ،الرّحيم)، وسورة التّفويض لأنّ من آمن بما فيها يكون قد فوّض أمره لله ﷻ. وما هذه التّسميات إلّا دليل على تنوّع الموضوعات الواردة بها.

إنّ مجيء سورة الفاتحة بكل هذه المتعددات الاسمية يستوقفنا أمام التساؤل الآتي: أيّ هذه الأسماء نعدّه عنوانا وأيّها نعدّه من باب التسميات الواصفة؟ لقد شاع في الاستعمال لكل من الفعل والاسم، أن الأول منهما(الفعل) يدل على الحدوث والتّجدد، وأنّ الثّاني (الاسم) يدلّ على الثّبوت والاستقرار، ولقد وظفهما القرآن الكريم توظيفا دقيقا في سياقات متعددة.

فكلمة [الفاتحة] اسم مفرد معرّف، مشتق، جاء للدلالة على بداية كل شيء كما ورد في تعريفي أبي السعود والشوكاني، لكونها افتتح بها، فهي أول ما يكتب وما يُتلى. إلاّ أنّ هذه البداية ليست ضمن سياق مضبوط إذا ما اعتبرناها فاتحة لكل شيء، مما «يحرّر "المستقبِل" وآليات تقبّله العنوان، بشكل يفجّر ظاهر دلالته مُدخلا إيّاه في سياق تفاعلي تناصّي ومؤطرا هذه التفاعلية التّناصيّة بدائرة تأويلية»[2]. ذلك لأنّ من دلالات الفتح: «نقيض الإغلاق؛ فَتَحَهُ يفْتَحُه فَتْحًا وافْتَتَحَهُ وفَتَّحَهُ فانْفَتَحَ وتَفَتَّحَ»[3]، ومنه سمّيت فواتح السّور، لأنّها أوّل ما يفتتح بها.

ومما ورد في لسان العرب أيضا أن «فواتح القرآن: أوائل السور، الواحدة فاتحة»[4]، فهل هذا يعني أنّ (الفاتحة) هي من أسماء السور؟ لعلّ الإجابة تكون بالإيجاب عند بعض الدّارسين الذين قالوا بأنّ تسميتها بذلك إنمّا يعود إلى أنّها يبدأ

---

(1)–أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 1983، ط2، ج1، ص32.

(2)–محمد فكري الجزّار: المرجع السابق، ص29.

(3)–ابن منظور: المصدر السابق، ج2، ص313.

(4)–المصدر نفسه، ج2، ص315.

بكتابتها في المصاحف (الشوكاني). أما الماوردي فقد قال: «سميّت بذلك لتقدمها وتأخر ما سواها تبعا لها...» [1]. أي لأنّها جاءت على رأس جميع السّور القرآنية.

وبما أن ترتيب هذه السورة وغيرها توقيفي عن الرسول ﷺ كما أخبر به جبريل عليه السلام عن ربّه[2]، فإنّ موقعها هذا في افتتاح المصحف لا شائبة فيه، حتى أنّ علماء القرآن يفاجئوننا بعدم تصنيف سورة الفاتحة في تقسيمهم الشائع؛ إذ يقسم العلماء سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هي: الطوال، المئون، المثاني، المفصل «**فالطوَل:** سبع سور هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة الأنفال مع التوبة وقيل يونس. **والمئون:** ما تزيد آياتها على مائة آية أو تقاربها، **والمثاني:** تلي المئين في عدد آياتها وسميّت مثاني لأنها تُثنى –أي تكرر– في التلاوة أكثر من غيرها. **والمفصل:** أقسامه ثلاثة، وفي تحديد كل منها أقوال لعلّ أصوبها أن يقال:1- طوال المفصل من الحجرات إلى البروج، 2-أواسط المفصل، من الطارق إلى البينة وقصار المفصل، من الزلزلة إلى الناس»[3] .فأمام هذا التقسيم نستغرب إهمال سورة الفاتحة وإغفالها من التّصنيف، فضلا عن كون أقسام المفصل غير دقيقة، فسورة (القدر) مثلا مكونة من خمس آيات، فلماذا توضع مع أواسط المفصل؟ و(الشرح) من ثماني آيات فقط وصنفت هنا أيضا، وهذا يجعل التقسيم التّجزيئي الأخير يجانب الصّواب لهذا نقترح تسميتها بالمفصّل فحسب. والسؤال المطروح هنا: هل إبعاد الفاتحة مردّه لكونها أمُّ الكتاب؟ أم لأنها عنوان للقرآن فاعتبرت عنصرا حياديا يخرج عن مجال التّصنيف؟

التّرجيح عندنا أنّها من قصار (المفصّل) إذا نظرنا إليها من حيث عددُ آياتها،

---

[1]–يراجع القول في الموقع الإلكتروني: http:// Fouqara. Free.fr/ar/Vb/vienctopic. Plp ? F= 6 α t = 140

[2]–اختُلف في ترتيب سور القرآن الكريم على ثلاثة أقوال معروفة: الأول أن ترتيبها توقيفي والثاني أن ترتيبها كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم. والثالث أن بعضها توقيفي والبعض الآخر باجتهاد من الصحابة. والقول الأول هو الراجح لأنّ هذا الترتيب هو الذي تقدم به عثمان ووافقه عليه الصحابة. انظر: بحوث منهجية في علوم القرآن، موسى إبراهيم الإبراهيمي، دار عمّار، ص58.

[3]–الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص336–345.

وهي من المثاني لأن الرّسول ﷺ أسماها السبع المثاني، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي بلغ عدد آياتها سبعا دون السور القصار الأخرى التي تأرجحت بين الثلاث آيات وأربع وخمس وست، مثل الكوثر والإخلاص والفلق والنّاس على التّوالي، وهذا بسبب تكرارها عند بداية كل صلاة.

-**سورة البقرة:** سورة من أعظم سور القرآن الكريم،عنوانها الذي اشتهرت به هو البقرة، قال فيها الرسول ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه»[1]، لم تكثر تسمياتها، فقد ورد فيها ثلاثة أسماء؛ فأما الأوّل فهو (فسطاط القرآن) ذكره السيوطي، وقد علل سبب تسميتها بـــ«أنّ سورة البقرة أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال»[2]، أما عن تسمية (الزّهراء) فيرجع إلى أنّها تزهر وتنير طريق المرء إلى الجنّة. فمما يروى عن الباهلي أن الرسول ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: سورة البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنّهما غبابتان، أو كأنّهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صوانّ يحاجان عن صاحبهما. اقرؤوا سورة البقرة. فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها بطلة»[3].فهي السّورة التي يرتفع بها الإنسان من دركات النفاق والكفر إلى درجات الإيمان واليقين، فتحفظه في الدّنيا من شرور الجنّ والإنس والشّياطين ، وتحفظه في الآخرة من لهيب النّيران، لهذا يحثّنا الرّسول ﷺ على قراءتها ومداومة ذلك لما فيها من كثير الفضل وعظيم الأجر.

وفي سياق آخر جاء تحليل تسمية الزّهراء من طرف البقاعي إذ يعلل ذلك بقوله: «وسميّت بالزّهراء لإنارتها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والآخرة، ولإيجابها إسفار الوجوه في يوم الجزاء لمن آمن بالغيب ولم يكن في شك مريب فيحاط بينه وبين

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة، حديث رقم [4722]، انظر أيضا كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا،حديث رقم [3786].

[2]-السيوطي، جلال الدين: الدرّ المنثور، المصدر السابق، ج1، ص82.

[3]- رواه مسلم في صحيحه ، الحديث رقم [1874].

ما يشتهي»[1]. وعن هذه التسمية نجد قوله ﷺ: «...تعلّموا سورة البقرة وآل عمران فإنّهما الزّهراوان»[2].فهي الزّهرة التي تعبق بضروب الإيمان فتكون هادية لنور الحق.

أما عن التّسمية الثالثة فهي (سَنَامُ القرآن)، فمما أخرجه أبو يعلى وابن حيان والطبراني والبيهقي في الشّعب عن سهل بن سعد الساعدي قال: «قال رسول الله ﷺ إنّ لكل شيء سناما، وإنّ سنام القرآن سورة البقرة، وإنّ لكل شيء لبابا وإنّ لُباب القرآن المفصّل »[3].و السّنام يدلّ على العلوّ ورفعة الشّأن لهذا اختير عنوانا لهذه السورة. وتسمّى (فُسْطَاط القرآن) لعِظمها[4]، ولما جُمع فيها من أحكام تشريعية لم تُذكر في غيرها.

-**<u>سورة آل عمران</u>**: من أشهر أسمائها سورة التّاج، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: «لكلّ شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة، لكل شيء تاج وتاج القرآن سورة آل عمران»[5]. وأما عن تسمية الزهراء، فقد ذكر البقاعي تحليلها عند حديثه عن سورة البقرة وعن علاقة هذه التسمية بالنور والإضاءة، وللعلماء في تسميتهما بالزّهراوين ثلاثة أقوال:

- النّيّرتان وهذا « لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما»[6].
- يترتّب عنهما نور يوم القيامة.
- لأنّهما اشتركتا في تضمين اسم اللّه الأعظم.

ونرى أنّها سمّيت بالزّهراء لاجتماع كلّ هذه الأسباب؛ لأنها نور الإنسان إلى

---

(1)–البقاعي: المصدر السابق، ج1، ص24.

(2)–أخرجه الدّارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة وآل عمران،الحديث رقم [3391]، ينظر أيضا مستدرك الحاكم، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضائل سورة البقرة، الحديث رقم [2057].

(3)–أخرجه الدّارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، الحديث رقم [3377].

(4)–ينظر: السيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص 122.

(5)– البقاعي: المصدر السابق، ج1، ص24.

(6)– القرطبي : المصدر السابق، ج4، ص3.

الجنّة، ولأنّها تتضمّن اسمه الأعظم، ولأنّها تزهر حياة المرء في الدّارين حفظا من الأذى في دنياه، ورفعة في أجره وجزائه بالجنّة في آخرته.

-**سورة النساء**: "النساء" من أشهر عناوينها، قال عنها البقاعي: «ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النّساء سميّت النساء لذلك»[1]. وتعود أسباب هذه التّسمية أيضا إلى أنّ جلّ الموضوعات الموجودة في هذه السورة تدور أحداثها حول «أحكام نكاح النّساء وحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، فإنّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثم خلق حواء منه...»[2].فكلّ هذه الأحكام تتصل بالرّجل كما المرأة ،ولكن الخطاب القرآني آثر المرأة بهذه السورة لأنّها محور الوجود الإنساني، ولولاها لما كان الرّجل، لهذا أراد تعريفها بحقوقها وواجباتها كي تقدّم لنا أجيالا قوية في أخلاقها، وقوية في عطائها الذي يخدم الإنسانية جمعاء، ومن ثمَّ استحقّت السورة أن تُعرف بالنّساء.

ولم تكن تسمية (النساء) مفردة فحسب بل أضيفت لها صفة (الكبرى) عند بعض الدارسين فنُعتت "بالنساء الكبرى" – كما هي عند الفيروز آبادي – ولكنّها لم ترد عن زوج الرسول ﷺ إلا بتسمية واحدة فممّا جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلاّ وأنا عنده»[3].وهذا يعني أنّ هذه التّسمية لم تكن مشهورة في عهد الرّسول ﷺ استُحدثت بعده لتمييزها عن سورة الطلاق التي عُرفت بالنساء الصّغرى.

سورة المائدة: المائدة أشهر تسمياتها التي وردت في كتب السنّة وكتب التفسير، ويعود سبب التّسمية إلى ورود قصة المائدة التي سألها الحواريون عن عيسى عليه السلام[*].

---

[1]– البقاعي: المصدر السابق، ج2، ص204.

[2]–أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص60.

[3]– محمد الطّاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ج4، ص211.

[*]–ينظر مثلا: الفيروز آبادي: بصائر ذوي التّمييز،المصدر السابق، ج1، ص178–179.

وبالإضافة إلى هذه التسمية هناك تسميات أخرى من ذلك سورة العقود «إذ وقع اللفظ في أوّلها، وتسمى أيضا المنقذة. ففي أحكام ابن الفرس: روي عن النبي ﷺ قال: «سورة المائدة تدعى في ملكوت السماوات المنقذة». قال: أي أنّها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب»[1]. ولأنّ لهذه السورة قيمتها العقائدية والتشريعية، فقد كانت السورة التي أوصانا الرسول ﷺ في حجة الوداع بالالتزام بمضامينها إذ قال: «يا أيّها النّاس إنّ سورة المائدة من آخر ما نزل، فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها»[2] وهذا دليل على أنّ السورة لها عنوان واحد معروف عند الناس في عهد الرسول الكريم عليه أزكى الصّلوات والتّسليم، وهو المائدة، وعدا ذلك فهي أسماء عرفت بها واشتهرت بعده.

أما تسميتها بــ(الأحبار) فأرجعها الفيروزآبادي لاشتمالها على ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾[3] [4]، بالإضافة إلى تسمياتها الثلاث (التكميل والإكمال والإتمام) التي ذكرها السيوطي وعلّل ذلك بأنّها تضمنّت بيان تمام الشرائع، ومكمّلات الدّين والوفاء بعهود الرّسل، وما أخذ على الأمة ونهاية الدين[5]ويأتي تعليل بقية الأسماء مرتبطا بمضمونها ذلك «لأنّها تضمنّت بيان الشرائع وما أخذ على الأمة من المواثيق، وبها تم الدّين، فهي سورة التكميل، وفيها تحريم الصيّد على المُحرم، وعقوبة المعتدين من السرّاق والمحاربين، وإحلال الطيّبات..»[6]. وهي جميعا تتناسب وهذه الموضوعات.

سورة الأنعام: هي سورة أنزلت دفعة واحدة، وهي مكّية، عرفت هذه السورة بتسمية "الأنعام" عنوانا لها، وقد ارتبطت بخلق الأجرام، والنور والظلمة وغيرها، أما

---

[1]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص69.انظر أيضا : القرطبي: المصدر السابق، ج6، ص30.

[2]– القرطبي: المصدر السابق، ج6، ص 30

[3]–سورة المائدة، الآية: 44.

[4]–الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز، المصدر السابق، ج1، ص179.

[5]–السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص77.

[6]–أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص60.

تسميتها الثانية فقليلة التوظيف وهي (الحجّة)؛ وقد أرجع الفيروز آبادي سبب تسميّتها بذلك لأنّها مقصورة على ذكر حجّة النبوّة، وكذا تكرار هذه الكلمة يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[1]، فعنوانها إذن متصل بذكر الأنعام في الآيتين التاليتين فنجد: (الضّأن، الماعز، الإبل، البقر).

سورة الأعراف: جاء ذكر "الأعراف" في هذه السورة للتّعبير عن الجنّة والنّار. وقد أضاف "الفيروز آبادي" تسميتين اثنتين وهما: (الميقات والميثاق) وقد علّل سبب تسميتها بذلك لذكرهما في السورة، ولكنّ الذّكر في حدّ ذاته لا يعدّ مسوغا موضوعيا لتسميتها، من وجهة نظرنا، لأنّ السورة حافلة بمصطلحات كثيرة كانت تستوجب التسمية بها، أمّا "الأعراف" فهو العنوان الأشهر بين المفسّرين، وقد سمّيت به لوروده في قوله تعالى: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾[2]، والأعراف هي «أعراف السور؛ وهي شرفة»[3] بمعنى المكان العالي الذي يشرف على غيره ، عبّر في السورة عن المكان العالي الذي يشرف أو يطلّ عليه صاحبه من أعلى إلى أسفل.

ويضيف أبو السعود تسمية مخالفة وهي فاتحة من فواتح السور وهي (ألمص) وقام بتحليل لها بقوله: «إما مسرود على نمط التّعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب، وإما اسم للسورة فمحلّه الرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف والتقدير من حيث إنّه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث أنّه مسمى بالسورة»[4]. وعلّة التّسمية في ذلك هو افتتاحها به.

سورة الأنفال: أغلب الدارسين يعللون التّسمية بافتتاح السورة بها، أو تكرارها،

---

[1]– سورة الأنعام، الآية: 142.

[2]– سورة الأعراف، الآية: 46

[3]– القرطبي: المصدر السابق، ج7، ص 211.

[4]– أبو السعود: المصدر السابق، ج3، ص209.

أما تسميتها "الجهاد" فقد ذكر البقاعي هذه التسمية ولم يعلل لها ولم يوضح معناها[1]. أما تسميتها ببدر فقد شرح الفيروز آبادي ذلك بأن أغلب أحداثها أو معظمها في ذكر حرب بدر وما جرى فيها[2]. كما أطلقوا عليها سورة الغنائم، لما فيها من اقتسام للغنائم.

أما الصعيدي فقد قال بأن أشهر أسمائها (الأنفال): «سميت بهذه التسمية لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[3]، والأنفال هي الغنائم»[4]، ويضيف أبو السعود «النّفل الغنيمة سميّت به لأنّها عطيّة من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يُعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم»[5].وقد ورد في سبب نزول هذه السورة ثلاثة أقوال ذكرها ابن تيمية (ت728هـ)، لعلّ أشهرها أنّ الرسول ﷺ قال يوم بدر: «من قتل قتيلا فله كذا وكذا وأسر أسيرا فله كذا وكذا»، وهذا أكبر دليل على أنّ الأنفال في الغنائم[6].والأنفال جمع جمع نَفْل مُحركا –كما عبّر عن ذلك الشوكاني– وهو الغنيمة، ومنه قول عنترة:

إنّا إذا احْمَرَّ الوَغَى نُرْوِي القَنَا ونَعِفُّ عند مَقَاسَمِ الأنفال[7]

فالأنفال بمعنى الغنائم. وأصل النّفل: الزّيادة، وسميّت الغنيمة به لأنّها زيادة فيما أحلّ الله لهذه الأمّة مما كان محرما على غيرهم، أو لأنّها زيادة على ما يحصل

---

(1)– البقاعي: المصدر السابق، ج1، ص181.

(2)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص222.

(3)–سورة الأنفال، الآية: 1.

(4)–الصّعيدي، عبد المتعال: النظم الفنّي في القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ص121.

(5)–أبو السعود: المصدر السابق، ج4، ص2.

(6)–ابن تيمية، تقي الدين: التفسير الكبير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، (د.ط)، (د.ت)، ص333–334.

(7)– ديوان عنترة بن شدّاد: شرح: الخطيب التّبريزي، تقديم وضبط وفهرسة: مجيد طرّاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م، ص118.

للمجاهد من أجر الجهاد[1]. قيل (النّفل) اليمين، وقيل نبات معروف أيضا[2].

سورة التّوبة: عنوانها التّوبة، ذكر لهذه السورة مسميات كثيرة، لعلّ أشهرها براءة، والفاضحة، وقد علّل الفيروز آبادي تسمياتها الثلاثة بسبب افتتاحها بلفظ براءة، وكثرة ذكر التوبة فيها، وأما الفاضحة فلأن المنافقين افتضحوا عند نزولها. وأسماها القرطبي براءة[3]، وهي مشتقة من برئت من الشّيء، إذا أزلته عن نفسك، وقطعته عنك[4].بمعنى الشّفاء من الضغائن والأحقاد والكفر، وتعويضها بمحبة الخير للآخرين، وحلاوة الإيمان.

وأضاف لها البقاعي تسميات أخرى ذكرها في القول الآتي: «وتسميتها ببراءة واضح أيضا فيما ذكر من مقصودها، وكذا الفاضحة لأنّ من افتضح كان أهلا للبراءة منه، والبَحُوث لأنّه لا يُبحث إلاّ عن حال البغض والمُبعثرة والمُنفِّرة والمثيرة والحفّارة، والمخزية، والمهلكة والمشردة والمدمدمة والمنكلة... وسورة العذاب أيضا واضحة في مقصودها، وكذا المقشقشة لأنهم قالوا: إنّ معناه المبرئة من النّفاق، من تَقَشْقَشَتْ قُرُوحه –إذا تقشرت للبُرء...» [5]، نلاحظ من خلال هذه المقولة أنّ كلّ هذه التّسميات مرتبطة أساسا بالعذاب الذي سيحِلّ بالمنافقين والكافرين، لأنّ مآلهم التّشريد والتّنكيل، والإهلاك، وهي في الآن ذاته تحمل صورة عكسية للنعيم الذي سيحِلّ بالمؤمنين من خلال التّسميتين(براءة/المقشقشة)؛ فالاسم الأوّل مرتبط بتبريئهم من الشِّرك، وهي الدّلالة ذاتها في وصف السورة بالمقشقشة، فهي تتصل بتبرئة المؤمن وتنظيفه من النّفاق.

وسمّيت "بَحُوثا" لأنّها تبحث نفاق المنافقين، وأما العذاب فلما فيها من انعقاد الكفار، وحافرة لأنّها تتولّى حفر قلوب أهل النّفاق.أما تسميتها بالمنفّرة، والمثيرة والحافرة، والمخزية، والفاضحة، والمنكّلة والمشردة والمدمدمة فقد علّله أبو السعود

---

[1]– الشوكاني: المصدر السابق، ج2، ص321.

[2]– ينظر: القرطبي، المصدر السابق، ج7، ص361.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص61.

[4]– ينظر: القرطبي، المصدر السابق، ج8، ص63.

[5]–البقاعي: المصدر السابق، ج3، ص255. ينظر أيضا: الشوكاني: المصدر السّابق، ج2، ص423.

بقوله: «لما فيها من ذكر التّوبة ومن التبرئة من النّفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الأسماء يقضي بأنّها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الأنفال»[1].

وتجيء تسميتها ب "التوبة" بحسب ما ذكره الصّعيدي، هو توبة الله على النبي محمد ﷺ والمهاجرين الأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة في ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[2] من السورة نفسها[3]. وسمّيت الحافرة؛ لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين كما قال بذلك السّيوطي[4]؛ فهي السورة التي وقفت على أخطاء المنافقين وفضحتهم في الدّنيا كي يكونوا عِبرة لغيرهم ، لهذا سمّيت(الفاضحة) أيضا، و(المثيرة) تسمية أخرى اتّصلت بما حملته من أخبار عن هذه الفئة من المجتمع.

<u>سورة الإسراء</u>: أشهر تسمياتها (الإسراء) من سرى سريتُ مسْرًى وسُرًى، وأسريتُ إسراء. وتعود هذه التّسمية إلى مفتتح السورة، ويشير هذا العنوان «إلى حدث الإسراء الضخم بكل معانيه الروحية والتعبدية، وعنوانها الثاني (بني إسرائيل) يشير إلى استشراف مستقبلي نابض بالحياة وسيّال بقوة العرض وفخامة الأسلوب بمصير اليهود ونهاياتهم المأساوية»[5]، أما تسميتها الثالثة (سبحان) فقد اتفق المفسرون على أن

---

(1)–أبو السعود: المصدر السابق، ج4، ص39.

(2)– سورة التوبة، الآيتان: 117–118.

(3)– الصعيدي: المرجع السابق، ص127.

(4)–السيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص123.

(5)–عبد الرحمن حسين: العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم، الموقع الإلكتروني.
http:// www. Islamonline. net

هذه التسمية سببها مفتتح السورة بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1] ونلاحظ هنا أن اسم السورة الموضوع جاء مقابلا ومرادفا لمفتتح السورة. و«"سبحان" اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل(...) ومعناه التّنزيه والبراءة للّه عزّ وجل من كل نقص»[2]. ومما رواه البخاري «في فضائل القرآن وغيره عن ابن مسعود ﷺ قال: بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول، وهنّ من تلادي»[3].أي من السور المعجزات التي تقدّم نماذج من الشّخصيات الصّالحة التي ستكون نموذجا إنسانيا خيّرا يكون قدوة للأجيال.

إن هذه التّسمية ارتبطت بحادثة الإسراء والمعراج من خلال وصف الرحلة اللّيلية للرسول ﷺ إلى الدرجات التي لم يبلغها البشر؛ فهي الهديّة الإلاهية للتّرويح على قلب نبيّنا عمّا أصابه من الغمّ والأسى، وهي ذات قيمة تربوية وتعليمية تُجسّد رسالة التعليم بالمشاهدة من خلال معاينة السماوات العلا، حيث شاهد مشاهد القدرة والعظمة الإلهية، وهو ما يطمئنه على مستقبل دعوته وينصره ومن اتّبعه إلى يوم الدّين.

سورة مريم: تسميتها مريم هو الأشهر لهذه السورة، وأما التسمية الثانية فهي متعلقة بحروفها المقطعة "كهيعص" شرحها الزمخشري بقوله: «أي: هذا المتلقّ من القرآن ذكر رحمة ربّك»[4]. و هو تفسير عام لا يقدّم صورة توضيحية عن معاني الكلمة. وحتى الآن لم يتوصّل الباحثون إلى نتائج دقيقة حول هذه الحروف المقطّعة، وهي جانب حيّ من جوانب الإعجاز القرآني.

يشير المفسرون إلى أن مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام، اتصفت بأخلاق

---

(1)– سورة الإسراء، الآية: 1.

(2)–القرطبي: المصدر السابق، ج10، ص204.

(3)–البقاعي: المصدر السابق، ج4، ص327.

(4)–الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ط)، 2000، ج3، ص3.

الكشاف ،المصدر السابق،ج3، ص3.

حميدة، من بيت طاهر في بني إسرائيل، ولدتها أمها محررة لخدمة مسجد بيت المقدس، كانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة، كفلها زوج أختها زكريا نبي بني إسرائيل، وهي البتول أم عيسى عليه السلام الذي كان أحد المعجزات من البشر الذين يولدون دون أب[1]. وتسميتها الثانية هي (كهيعص) وذلك لابتدائها وافتتاحها بها كما ذكر الفيروز آبادي[2]. وإنّنا نميل إلى هذا الرّأي الأخير بأنّها كلمات افتتاحية إعجازية، وظيفتها التّنبيه إلى أنّه توجد بهذه السورة قصّة معجزة وجب الوقوف عندها، وهذا ينطبق على معجِزة(البقرة) في افتتاح السورة المسماة بها بالحروف المقطّعة(الم).

سورة طه: عنوان السورة المشهور هو(طه)، كما عرفت باسم ثان وهو (كهيعص) اختلفت القراءات في وضع حركات هذه الحروف المقطعة فقرئت بين فتح وكسر، وبفتحهما، وبكسرهما، بفتح الأولى وإسكان الثانية وكلها لغات. وقد انقسم المفسرون في دلالة الكلمة إلى فريقين:

الفريق الأول: جعلها من حروف التهجي، فمما أورده الرّازي(ت604هـ) عن الثّعلبي «قال الثعلبي طا شجرة طوبى والهاء الهاوية فكأنّه أقسم بالجنّة والنار»[3]، أو أن للطاء طهارة والهاء هدايتهم.

القول الثاني: جعلها من الكلمات المفيدة ذات الدلالة وذلك على وجهين:

بمعنى (يا رجل) واختلفوا إن كانت بالنبطية أو السريانية أو الحبشية، أو لغة عك كما ذكر صاحب الكشاف. وهناك رأي ثان جعل دلالة الكلمة مرتبطة بطريقة تهجد الرسول عليه السلام. فقد روي أنه «كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معا فكان الأصل طَأْ فقلبت همزته هاءً كما قالوا هياك في إياك، وهرقت

---

[1]–ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص444.

[2]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص305.

[3]–الرازي، محمد فخر الدين : تفسير الفخر الرازي المسمى التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981، ج22، ص3.

في أرقت»[1].

ذكر الزّمخشري أنّ هذه اللفظة يمكن اعتبارها ابتداء كلام فحسب إذا ما جعلت (طه) تعديدا لأسماء الحروف، والحالة الثانية تكون اسما للسورة «احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ، و"القرآن" ظاهر وقع موقع الضمير لأنّها قرآن، وأن يكون جوابا لها وهي قسم»[2]، ويشير "البروسوي" (ت1137 هـ) إلى أن المفسّرين اختلفوا فيه أكثر مما في غيره من المقطعات، فقال بعضهم هو اسم القرآن أو اسم السورة أو اسم الله أو مفتاح الاسم الطاهر والهادي.

ونحن نرجّح أنّه اسم من أسماء رسول الله ﷺ مثل(أحمد) و(يس) وغير ها من الأسماء التي عُرف بها ، ودليلنا في ذلك قوله: «أنا محمد وأنا أحمد والفاتح والقاسم والحاشر والعاقب والماحي وطه ويس»[3]، وزاد عليه القرطبي أنّه اسم من أسماء الله تعالى، وقَسَمٌ أقسم به[4]، وفي سياق التسمية يضيف لها "الفيروز آبادي" تسمية سورة "موسى" وذلك لاشتمالها على قصته مفصلة[5]. وأما تسميتها بسورة (الكليم) فهذه صفة لموسى عليه السلام.

سورة الأنبياء: سميت هذه السورة باسم عام يدخل تحته زمرة من الرسل والأنبياء الذين سبقوا الرسول محمد ﷺ، جاءت اللفظة مرادفة "للرسل" في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[6]، فسّرها الزمخشري بقوله: «سلى رسول الله ﷺ عن استهزائهم به بأنه له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه يحيق بهم، كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم

---

(1)–المصدر السابق، ج22، ص3.

(2)– الزمخشري: المصدر السابق، ج3، ص50.

(3)– البروسوي، إسماعيل حقّي: روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ط)، ج5، ص361.

(4)– ينظر: القرطبي: المصدر السابق،ج11،ص 166.

(5)– الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص311.

(6)– سورة الأنبياء، الآية: 41.

السلام ما فعلوا»[1]، وذكر الرازي أنها سميت بهذه التسمية نظرا لما ورد من أخبار الأنبياء حيث وقف مع قصص هؤلاء الأنبياء وما قدّموه لأقوامهم من تضحيات[*] مثاله قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ،ومن أشهر القصص الواردة: قصة موسى عليه السلام وإبراهيم، قصة لوط، قصّة نوح، قصة داود وسليمان، قصة أيوب، ثم قصة الصابرين (إسماعيل، إدريس، ذا الكفل)، قصة زكريا، مريم. وعليه فقد كانت تسميتها متناسبة مع مضمون السّورة.

سورة الشّعراء: ذكر المولى عز وجل من أمر الشعراء ما جعل سورة تسمى باسمهم؛ ففي أواخرها تمّ الحديث عن صنفين: صنف من الغاوين وهم المنبوذين لخروج كلامهم عن كل صواب، وصنف محبوب وتقيّ يقدّم رسائله للمجتمع لأجل تطوّره، لهذا نجد المولى عزّ وجلّ: «استثنى الشعراء المؤمنين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة، والزهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة، ومالا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم»[3]، وتعود التسمية في النهاية إلى أهمّية هذا الصّنف الإنسانيّ في حمل مشعل الدّعوة الإسلامية بعد الرسل والتّابعين والصّالحين، لهذا اختيروا أن يكونوا عمادا تقوم عليهم الأمم، وما تشريفهم بتسمية سورة قرآنية باسمهم إلا دليل على ذلك.

كما نجدها تسمى (طسم) لافتتاحها بهذه الحروف المقطعة، وهذا ما أثبته القرطبي بحديث ورد عن ابن عباس أنّ النّبي صلعم قال: «أُعطيت السّورة التي تذكر فيها البقرة من الذّكر الأوّل وأعطيت (طه) و(طسم) من ألواح موسى»[4].و هذا تبيين

---

[1]–الزّمخشري: المصدر السابق، ج3، ص118.

[*]–فسّر الرازي (اقترب) تفسيرا دقيقا، انظر: المصدر السابق، ج22، ص139.

[2]–سورة الأنبياء، الآية: 48.

[3]–الزمخشري: المصدر السابق، ج3، ص344–345.

[4]–القرطبي: المصدر السابق، ج13، ص 87.

لمكانتها.

<u>سورة النمل</u>: سميت بهذه التسمية لأنّ (النّمل) ذكر فيها في إثر سرد قصة سليمان وحديثه إليها مصداقا لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[1] ونظرا لعظمة هذا الحدث اختير أن يكون وسما وسمة للسورة[2]، لأنّ فيه فضل الله تعالى على داود وسليمان بتعليمهما منطق الطّير، وسائر الحيوان[3]، إنّها ذلك التواصل المتميّز بين عالمين؛ عالم إنساني بقوّته وجبروته، وعالم حيواني بعجمته وبساطته.

وذكر البرسوي أنها تسمى بحرفيها المقطّعين (طس) ثم قدم لها تعليلات مختلفة يقول في ذلك: «يشير بطائه إلى طاء طيْب قلوب مُحبيه وبالسين إلى سر بينه وبين قلوب محبيه لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل....»[4]. ويبقى هذا التفسير لا يخلو من عمومية، فقد نقول أنّ الطاء بمعنى الطّائر أو بمعنى الطّهارة، ونأتي بقاموس لكلمات تبتدئ بالطاء، فهل هذا سيكون صحيحا؟ المؤكّد أنّه سيكون كلاما عاما لا يخضع لمقياس منطقي. وإنّنا نرجّح كونها كلمات افتتاحية غايتها التّنبيه إلى معجزة تكلّم النّمل لا غير.

<u>سورة السّجدة</u>: ذكر لها الفيروز آبادي ثلاثة أسماء، تتصل جميعها بأنواع السّجود هي: «سورة السجدة، لاشتمالها على سجدة التلاوة، والثاني سجدة لقمان، للتمييز عن حم السجدة، الثالث المضاجع: لقوله:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾[5]»[6]، إنها السورة التي تقدّم لنا تصويرا دقيقا لهيئة المؤمنين في تواصلهم مع الله تعالى، هذه

---

[1]–سورة النمل، الآية: 18.

[2]–الفيروزآبادي: المصدر السابق، ج1، ص348.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]–البرسوي: المصدر السابق، ج6، ص318.

[5]–سورة السجدة، الآية: 16.

[6]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص373.

الفئة التي تسجد محبّة وخشية لله، إن هذه الآيات ترسم لنا « صورة المضاجع في الليل تدعو الجُنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام، ولكن هذه الجنوب لا تستجيب (...) لأنّ لها شغلا عن المضاجع الليلية والرقاد اللذيذ... شغلا بربها. شغلا بالوقوف في حضرته. وبالتوجه إليه في خشية وفي طمع يتنازعها الخوف والرجاء»[1] .ولم تجئ لفظة المضاجع اسما للسورة إلا لأنّها جاءت مجازا .

سورة فاطر: اشتهرت باسمين اثنين «سورة فاطر لما في أولها (فاطر) وسورة الملائكة لقوله: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[2]»[3]، فكلمة (فاطر) هنا إنما جاءت للتذكير بحمد الله عز وجل على صفتيه الخلق والإبداع «فهو منشئ هذه الخلائق الهائلة التي نرى بعضها من فوقنا ومن تحتنا حيث كنا، والتي لا نعرف إلاّ القليل عن أصغرها وأقربها إلينا»[4]، هو خلق للسماوات والأرض، خلق للإنسان، وخلق للكون، كل هذه المضامين المضامين عبرت عنها السورة لتؤسس لمبدأ القدرة الإلهية، وفكرة الإنشاء والخلق.

سورة يس: لعلّ أشهر تسمية عرفت بها هذه السورة هي "قلب القرآن" أو "القلب"، فممّا رواه الترمذي عن أنس ﷺ قوله ﷺ: «إنّ لكل شيء قلب وإنّ قلب القرآن يس من قرأها فكأنّما قرأ القرآن عشر مرات»[5]، فقد وصفها الرسول ﷺ بأنها قلب القرآن لما فيها من أعمدة القرآن، من تشريع وعقيدة، وروي أيضا عن الرسول ﷺ تسميتها بيس في قوله: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه اللّه غفر له في تلك اللّيلة»[6].وهذا تأكيد على قيمة هذه السورة القرآنية، وفضلها عند المولى

---

(1)–المصدر نفسه، ص386.

(2)–سورة فاطر، الآية: 1.

(3)– سيد قطب: في ظلال القرآن، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط7 ،الجزء الثّاني والعشرون، ص664.

(4)–سيد قطب: المصدر السابق، ج22، ص666.

(5)– سنن الدّارمي : كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس، الحديث رقم [3416].

(6)– ابن كثير،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، ج5، ص598.ينظر أيضا سنن الدّارمي، حديث رقم [3417].

روي عن الصحابة الكرام أن كلمة (يس) «بمعنى (يا إنسان) وقال سعيد بن جبير: هو كذلك في لغة الحبشة، وقال مالك عن زيد بن أسلم: هو اسم من أسماء الله تعالى»[1]. ومن أسمائها أيضا : الدّافعة، والقاضية، والمُعمّة؛ فهي تدفع البلاء والشّر، وهي تقضي بالحقّ وتدلّ عليه، وهي التي تعمّ كلّ أصناف الخيرات.

سورة ص: أكدّ المفسرون أنّ هذه التّسمية للحرف المقطّع جاءت لتحمل واحدا من هذه الدّلالات: أنّ الله صادق، وصدق محمد ﷺ، وصاد محمد قلوب الخلق واستمالها[2] فقد آثر البقاعي بهذا أن هذا الحرف المقطّع، إنّما هو صفة من صفات الخالق واسم من أسمائه في لفظ (صادق)، وهي صفة نبيّه ﷺ أيضا.

وسميت أيضا سورة (داود) «لاشتمالها على مقصد قصّة داود في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[3]»[4]. ونرجّح ما قلناه سابقا بخصوص الحروف المقطّعة.

سورة الزّمر: صحّت هذه التسمية عن الرّسول ﷺ فمما جاء على لسان أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزّمر»[5]، وقد وردت هذه اللفظة في الآية الواحدة والسبعون من السورة شرح ابن كثير كلمة الزمر بمعنى جماعة بعد جماعة[6]، وهذا لأنّ فيها حدّدت زمرة الخيّرين وزمرة الشّرّيرين.

أما الاسم الثاني الذي اشتهرت به هذه السورة الكريمة هو "الغُرف" وهو مصداقا

---

[1]– ابن كثير: المصدر نفسه، ج5، ص600.

[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص412.

– ملاحظة: الحروف المقطعة في القرآن جمعت في قولهم (نص حكيم قاطع له سر)، 14 حرفا + المكرر منها.

[3]–سورة ص، الآية: 17.

[4]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص399.

[5]–ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص77. انظر أيضا: الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج24، ص311.

[6]–ابن كثير، المصدر نفسه، ج6، ص113.

لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾[1] ، وقد شرح البقاعي هذه الصورة بقوله: «إشارة إلى حكمه سبحانه في الفريقين أهل الظلل النّارية والغرف النّورية، تسمية للشيء بأشرف جزئية، فالقول فيها كالقول في الزّمر سواء»[2]، وذكر لها أيضا تسمية ثانية وهي (التنزيل) لمن تأمل آيتها، وحقق عبارتها وإشارتها[3]. أما إشارته للفظة (الزّمر) فقد علّل تسميتها بقوله: «لأنّها إشارة إلى أنّه أنزل كلا من المحشورين داره المعدّة له بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقته أعمالهم عدلا منه سبحانه في أهل النّار، وفضلا على الأبرار»[4]. «والزُّمر –بضم ففتح– جمع زُمْرة –بضم فسكون– أي الجماعة، وقد وردت بصيغة الجمع فحسب في القرآن الكريم مرتين في سورة الزّمر، كما سميّت "الغُرَف" لما فيها من قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾[5]»[6].

<u>سورة غافر</u>: عُرفت هذه السورة بعنوانها (غافر) واشتهرت بتسمية سورة المؤمن عند ابن كثير والطاهر بن عاشور وغيرهما، فمما روي عن هذا الأخير قوله ﷺ: «روى التّرمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم المؤمن إلى "إليه المصير"، وآية الكرسي حين يصبح حُفظ بهما» ووجه التّسمية أنها ذكرت فيها قصّة مؤمن آل فرعون ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح [7] كما نلمس لهذه السورة تسمية ثانية وهي "الطّوْل" لقوله تعالى: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾[8]، ويشير الفيروز آبادي

---

[1]–سورة الزّمر، الآية: 20.

[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص412.

[3]–المصدر نفسه، ج6، ص412.

[4]– البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص412.

[5]–سورة الزمر، الآية: 20.

[6]–أحمد ماهر البقري،: تأملات في سورة الزّمر، دار الهدى، القاهرة، 1987، (د.ط)، ص7.

[7]–الطّاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج24، ص75.

[8]–سورة غافر، الآية: 3.

آبادي إلى أنّها تسمى (حم) لابتدائها بها[1]، والأشهر في الأسماء تسمية (غافر) وهي صفة للخالق جلّ وعلا ذلك، تدلّ على مطلق رحمته مهما عظمت ذنوب هذا الإنسان، فهو يغفر الذّنوب ويكفّرها لمن يشاء.

سورة فُصِّلت: جاءت هذه السورة بتسمية مخالفة لبقية الأسماء، ذلك أنها لم ترد اسما وإنمّا فعلا بُني للمجهول ورد في الآية الثالثة من السورة، حيث يقول عز وجل: ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، وفصّلت هنا بمعنى «بُيّنت معانيه وأحكمت أحكامه»[3]، فهو مفصّل المعاني، واضح الألفاظ، وبمعيّة هذا الاسم نجد تسميتها ب "السجدة"، وفيما قاله البقاعي عن تسميتها بفُصِّلت «بالإشارة إلى ما في هذه الآية المذكورة فيها هذه الكلمة من الكتاب المفصّل لقوم يعلمون.

و(السّجدة) هو اسمها الثّاني الذي يرجع إلى ما في آيتها «من الطّاعة له بالسجود الذي هو أقرب مقرب من الملك الدّيان»[4]، وقُرنت بالمؤمن، فقيل عنها "سجدة "سجدة المؤمن" كما أطلق عليها هذه التسمية "الكوّاشي" في "التبصرة" كما ذكر ذلك محمد الطاهر بن عاشور على لسانه إذ يقول:« ووجه هذه التّسمية قصد تمييزها عن سورة "ألم السجدة" المسماة "سورة المضاجع" فأضافوا هذه إلى السورة التي قبلها وهي "سورة المؤمن"، كما ميّزوا "سورة المضاجع" باسم "سجدة لقمان" لأنّها واقعة بعد "سورة لقمان"»[5]، أو تسمى سورة (المصابيح) لورود هذا اللفظ في السورة الكريمة، وكذا سورة (الأقوات) لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾[6]. ونجد للبقاعي تصورا آخر إذ يطلق عليها تسمية "التسبيح" [7]،لأنّه المدخل الأول للإيمان.

---

[1]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص409.

[2]–سورة فصلت، الآية: 3.

[3]–ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص158.

[4]–البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص545.

[5]–الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج24، ص228.

[6]–سورة فصلت، الآية: 10.

[7]–البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص545.

سورة الشورى: هذا عنوان السورة الذي جاء مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]، جاءت تسمية هذه السورة وهو الشائع المعروف عنها، إلاّ أن من المفسرين من حاول تقديم تعليل دلالي لها كما هو شأن البقاعي الذي قال عن الحروف المقطعة التي ابتدأت بها السورة وسميّت بها (حم عسق): «هذه الحروف يجوز أن تكون إشارة إلى كلمات منتظمة من كلام عظيم يشير إلى أنّ معنى هذا الجمع يجوز أن يقال: «حكمة محمّد علت وعمّت فعفّت سقام القلوب»[2].ويبقى هذا التفسير غير معلل، قائم على نظرة ذاتية، لا تحتكم إلى أيّة مبرّرات منطقية، فيمكننا أن نفسرها جوازا مثلا: حمدا لله منّة وشكرا على نعم الله تعالى، الذي سقانا خيرا وقدّره لنا.

وهذا الكلام طبعا سيبقى قاب قوسين أو أدنى من الحقيقة، ولن يتجاوز عتبة الاجتهاد مادامت هذه الأحرف الهجائية بقيت مبهمة في السياق القرآني، ولم يقدم لنا القرآن إضاءات حولها حتى يجعلها رسالة إعجازية تبقى قائمة أبد الدّهر.

سورة الجاثية: سميّت بهذا الاسم لأنّه ورد في قوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾[3]، جَاثِيَةً ﴾[3]، فسّر "ابن كثير" هذه الآية من خلال الوضعية التي ستكون عليها الأمم يوم القيامة؛ أي أنّ كل أمة تجلس وتجثو «على ركبها من الشدّة والعظمة، ويقال إنّ هذا بمعنى إذا جيء بجهنّم فإنّها تزفر زفرة، لا يبقى أحد إلاّ جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول: «نفسي نفسي نفسي! لا أسألك اليوم إلاّ نفسي»[4].أما تسميتها "بالدّهر" فما حكاه إلاّ الكرماني في "العجائب" حسب ما أورده "ابن كثير"، تضاف إليها تسمية "الشريعة" مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾[5].

---

[1]–سورة الشورى، الآية: 38.

[2]–المصدر نفسه، ج6، ص594.

[3]–سورة الجاثية، الآية: 28.

[4]–ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص270، 271.

[5]– سورة الجاثية، الآية: 18.

سورة محمد ﷺ: قال البقاعي: «واسمها محمد واضح في ذلك لأنّ الجهاد كمال خُلقه عليه أفضل الصلاة والسلام»[1]، وورد من أسمائها أيضا "سورة القتال"، وكذا سورة "الذين كفروا" كما أعرب عن ذلك البقاعي بقوله: «وعلى ذلك دلّ اسمها "الذين كفروا" لأنّ من المعلوم أنّ من صدّك عن سبيلك قاتلته وأنّك إن لم تقتله كنت مثله»[2].وهذا لما فيها من ضروب القتال بين المشركين والمؤمنين.

سورة ق: رفض "ابن كثير" أن يكون حرف القاف هنا اسم جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف فيما روي عن السلف[3]. وقد رجّح سبب تسميتها بذلك إلى أنها ابتدئت بالقسم بهذا الحرف المقطّع، ونرى "البقاعي" يورد لها تسمية ثانية وهي "الباسقات" دون تقديم مبرر لذلك.

أما الشّوكاني فقد قدّم تبريرات عدة لتسمية السورة بالاسم الأول (ق) إذ يقول: «قال المفسرون: هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد والسماء مقبّبة عليه، وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (...) وقيل هو اسم من أسماء الله أقسم به، وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن، وقال الشعبي: فاتحة السورة»[4].وما هذا الاختلاف في ضبط حقيقة هذا الحرف إلّا دليل على إعجازه.

سورة القمر: جاء في المصحف الشريف هذا الاسم، وهو الأكثر تداولا عند أكثر المفسرين نظرا لأنّ السورة تدور في فلك قصّ حكاية شقّ القمر التي ظهرت في عهده، فهذه المعجزة الرّبانية لها قيمتها التي تجعل منه محورا لسورة بأكملها «وذلك مفيد بأنّ القمر له بروز ومشاهد كل يوم، له حركة ونظام دقيق وحوادث يعجز العقل عن إدراكها، فكان هذا القمر معجزة من المعجزات الكونية، وفيه دلالة على تسخير هذا

---

(1)–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص148.

(2)–المصدر نفسه، ج7، ص148.

(3)–ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص395، 396.

(4)–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص87.

القمر لخدمة رسول الله ﷺ وآية له ﷺ[1].فهو من عظيم خَلْق الله في هذا الكون.

أما تسميتها الثانية فهي "اقتربت"، وقد عنونت بذلك لما «تضمنته من الاقتراب والساعة والقمر، وكانت تسميتها بالقمر أشهر لدلالته بسرعة سيره وكثرة تقلّبه على الاقتراب المنجّم به النّجم بالإشارة لا بالعبارة، ولم تُسمّ بالانشقاق لأنّه إذا أطلق انصرف إلى الاسم، فالسّماء أحقّ به»[2].يحيلنا القول على أنّ هذه التّسمية الأخيرة مردّها إلى حدثين متّصلين بعضهما ببعض، إن حدث الأوّل منهما، فسيأتي الثّاني منهما مباشرة، فأمّا الأوّل فانشقاق القمر، وأمّا الثّاني فهو قيام السّاعة، وهما مقترنان. وقد بدأ الخطاب القرآنيّ بالسّاعة قبل انشقاق القمر، حتى يقول للنّاس أنّ زمن قيامها قد أوشك على الحصول، وعلى المرء أن يهيّء نفسه لهذا اليوم العظيم.

<u>سورة الرحمن</u>: قال "البرسوي" شارحا لدلالة هذا العنوان: «والرحمة في الحقيقة العفُّ والحنوّ أعني الميل الرّوحاني ومنه الرّحم لانعطافها الحسّي على ما فيها وأريد بها بالنسبة إلى الله تعالى إرادة الخير أو الإنعام»[3].يصف لنا صاحب النّص دلالتين اثنتين؛ إحداهما إنسانية تتصل بالحنان والعطف على الآخرين، بينما اتّصال هذا الوصف بالذّات الإلاهية يحيلنا على الدّلالة الثّانية وهي الإنعام على عباده من الخيرات دونما انقطاع.

ويزيد على هذا التفسير "الميداني" تحليلا صرفيا لكلمة العنوان إذ يقول: «الرّحمن صفة مشبهة مأخوذة من الرّحمة وهي مبنية على وزن (فعْلان) للمبالغة، قالوا وهي خاصّة بالله تعالى، فلا تستعمل في وصف غيره، فأشبهت أن تكون علما، ومعنى الرحمة في المخلوق رقة في القلب ولكن هذا المعنى لا يليق بالخالق سبحانه، فهي صفة من صفات الخالق تستلزم الإنعام والإحسان، أو المراد منها بالنّسبة إليه

---

[1]–الجابري، سيف بن رشاد: أسماء السور القرآنية، دلالات وإشارات، ص107.

[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص339.

[3]–البرسوي : المصدر السابق، ج9، ص288.

الإنعام والإحسان»[1].ويشرح الإمام الغزالي لفظة الرحمن بأنّه: «العطوف على العباد بالإيجاد أولا وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيا والإسعاد بالآخرة ثالثا والإنعام بالنّظر إلى وجه الكريم رابعا»[2]. فهي بمعنى هداية رأفة المولى عزّ وجلّ بعباده.

و من أشهر تسمياتها "عروس القرآن" «لأنّها الحاوية لما فيه من حلي وحُلل، وجواهر وكلل، والعروس بجميع النّعم والجمال، والبهجة من نوعها والكمال»[3]. قد يتساءل متسائل، إذا كان لفظ الرحمن قد ورد في سورة مريم ستّ عشرة 16 مرّة ولم يرد في سورة الرحمن إلا مرة واحدة، فلماذا اختصت سورة الرحمن بهذا الاسم؟ والإجابة عن هذا التساؤل تكمن في أنّ سورة الرّحمن هي السورة الوحيدة بين سور القرآن التي وردت فيها هذه الصّفة آية مستقلة، تعبيرا عن عظمته تعالى وهي الآية التي بنيت عليها معظم فواصل السورة، وليس الأمر أمر انتهاء بالنون فحسب، بل النون المسبوقة بألف المدّ ممّا يسمح بالتنغيم والترديد.

هذا بالإضافة إلى تسوير سورة الرحمن بصفتين ملائمتين لمضمون السورة مختصتين بالذات الإلهية وهما الرّحمن في بدايتها، وذو الجلال والإكرام في نهايتها [4].

<u>**سورة الحشر**</u>: ذكر لها البقاعي تسميتين مشهورتين: الحشر وبني النّضير، يقول: «سميّت بالحشر وببني النّضير لأنّه سبحانه وتعالى حشرهم بقدرته من المدينة الشريفة إلى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم وغيرهم من اليهود الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض الحشر لقهر هذا النبي الكريم لأهل الكتاب المدّعين لأنّهم أفضل النّاس وأنّهم مؤيدون بما لهم من الدّين الذي أصله قويم»[5].وهذه إشارة إلى أهمّية يوم الحشر ومكانه.

---

[1]–الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة: سورة الرّعد – دراسة أدبية ولغوية وفكرية، دار عكاظ، الرّياض، ط2، 1983، ص33.

[2]–البرسوي: المصدر السابق، ج9، ص288.

[3]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص371.

[4]–أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى– دراسة في البنية والدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1997، ص139.

[5]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص509.

سورة الممتحَنة: هذا العنوان هو الأكثر توظيفا في البحث اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم، ولكن هناك تسميات أخرى عرفت بها السورة من ذلك: الصفّ، والحواريين، وعيسى، يقول الفيروز آبادي في ذلك: «ولها اسمان سورة الصّف، لقوله: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾ [1]، وسورة الحواريين، لقوله: ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[2]، وقيل تسمى عيسى»[3]، والتسمية الأخيرة ارتبطت بورود جزء من قصة عيسى عليه السلام في نهاية السورة.

ويضيف إليها الشريف الرّضيّ تسمية رابعة وهي (الامتحان)[4] .وقد شرح ابن حجر،حسب ما أورده الشريف الرّضي، أنّ سبب عنونة السورة بـــ(الممتحنة) بقوله: «المشهور في هذه التسمية أنّها بفتح الحاء وقد تكسر فعلى الأوّل هي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها وعلى الثاني هي صفة السورة كما قيل لبراءة الفاضحة»[5].هذا يعني أنّ عنوان السّورة يحتمل قراءتين: إحداهما بصيغة اسم الفاعل (المُمتَحِنة)، للدلالة على السورة ووصفها بهذا الوصف لما فيها من امتحان، وقد تجيء الكلمة بصيغة اسم المفعول(الممْتَحَنة) فهي تدلّ على المرأة التي امتحنها المولى عزّ وجل ليرى مدى صبرها، وليقدّم حكايتها درسا للمؤمنات.

سورة الصّف: يبدو أن المفسّرين قد وقعوا في خلط التسمية المتعلقة بهذه السورة والسورة التي سبقتها (الممتحنة)، ذلك أنّ تسمية (الصف) قد سبق وأن أطلقها الفيروز آبادي على السورة الأولى، وكذا تسمية (الحواريين) التي خالفه فيها البقاعي ووصف بها هذه السورة.

سورة الطلاق: عنوان السورة هو الطّلاق، ولم تعرف إلّا بتسمية ثانية هي سورة

---

[1]–سورة الصف، الآية: 4.

[2]–سورة الصف، الآية: 14.

[3]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص462.

[4]–الشريف الرّضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: علي محمود مقلّد، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، 1986م، ص313.

[5]-http:// Fouqara. Free. Fr/ar/ vb/ Vien Topic. Php= 6t= 140ينظر الموقع الإلكتروني

"النساء القصرى"، يقول الباقلاني معللا سبب التّسميتين: «ليكون الفراق على نحو التواصل والتلاق، واسمها الطلاق أجمع ما يكون لذلك، فلذا سميّت به، وكذا سورة النساء القصرى لأنّ العدل في الطلاق بعض مطلق العدل الذي هو محطّ مقصود سورة النساء»[1]. والطّلاق أبغض الحلال عند الله، به ترتفع النفوس عن المشاحنة والكره والاحتقار إلى مصافّ الهدوء والسّكينة بعد أن خبا هذا السكن والسّكون في الحياة الزّوجية.

سورة التّحريم: أطلق البقاعي على هذه السورة تسمية سورة النبيّ ﷺ[2]، ويرجع ذلك إلى أنها تعرضت إلى فصول من حياة الرسول الكريم، داخل أسرته، من خلال علاقته بزوجاته، وفيما بينهن، وانعكاس ذلك على حياته وحياة الأمة الإسلامية جمعاء[3]، أما الفيروز آبادي فقال عنها: «سميّت سورة التحريم والتحرّم، لمفتتحه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4] »[5].

سورة المُلك: كان النبي ﷺ يحب هذه السورة لكثرة علومها فقال: «وددت لو كانت هذه السورة في صدر كل مسلم»[6]، و"المُلك "هو الاسم الأكثر شهرة في كتب التفسير والحديث، وقد آثر البقاعي تسميات أخرى فقال: «واسمها الملك واضح في ذلك لأن الملك محلّ الخضوع من كل من يرى الملك وكذا تبارك لأنّ من كان كذلك كان له تمام الثبات والبقاء، وكان له من كل شيء كمال الخضوع والاتقاء، وكذا اسمها المانعة والواقية والمنجية لأنّ الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة، ومن لزمها نجا ممّا يخاف ومنع من كلّ هول ووقيّ من كلّ محذور»[7].وقد خالف الفيروز آبادي هذه

---

[1]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص23.

[2]–المصدر نفسه، ج8، ص43.

[3]–سيد قطب: المصدر السابق، ج27، ص3610.

[4]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص471.

[5]–المصدر نفسه، ج2، ص471.

[6]–أخرجه الحاكم، ج1، ص565. الطبراني في الكبير، ص11616.

[7]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص62.

التسمية بتقديمه تسميات أخرى بديلة من ذلك الدّافعة، لأنها تدفع بلاء الدّنيا وعذاب الآخرة من قارئها، وأما الشافعة لأنها تشفع لقارئها في القيامة، كما تسمى أيضا المجادلة (بكسر الدال)، لأنّها تجادل منكرا ونكيرا، فتناظرهما كيلا يؤذيا قرائها، أما تسميتها بالمخلّصة فلأنها تخاصم زبانية جهنّم؛ لئلا يكون لهم يد على قارئها .

سورة القلم: أشهر أسمائها: "القلم" و"ن"، يقول ابن عربي في هذا باحثا في دلالة التسميتين: «"ن" هو النفس الكلّية و"القلم" هو العقل الكلّي، والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها، والثاني من باب التشبيه»[1]، وجاء تحليل البقاعي اللفظي للحرف المقطع (ن) وتسمية (القلم) كالآتي: «وحاصلة أنّ النّون مبيّن محيط في بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره وكما تحيط الدّواة بمدادها بآية ما دلّ عليه بمخرجه وصفاته، واستقرّ الكلام الواقع فيها وفي المعاني التي اشتركت في لفظه، وأما القلم فإبانته للمعارف أمر لا يُنكر»[2]، فالقلم إذن سورة استثمرت الرّباط الوثيق بين معنى الكلمة الحقيقي إذ تحمل من معاني التّوضيح والإبانة ما يجعل منها قابلة للمناقشة.

ويزيد على هذا التحليل ما قدمه "ابن تيمية" مفسّرا تسمية "القلم" بقوله: «أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون، فإنّ القلم به يكون الكتاب السّاطر للكلام: المتضمن للأمر والنهي والإرادة، والعلم المحيط بكل شيء، فالأقسام وقع بقلم التقدير ومسطورة، فتضمن أمرين عظيمين تناسب المُقسم عليه»[3][*].ويضيف "ابن تيمية" تسمية أخرى هي سورة "الخُلُقْ" مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4]، إذ يقول: «هي سورة الخُلق الذي هو جماع الدّين الذي بعث الله به محمّدا ﷺ...»[5].ويبقى القلم رغم

---

[1]– ابن عربي:المصدر السّابق، ج2، ص683.

[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص89.

[3]– ابن تيمية: المصدر السابق، ج6، ص83.

[*]–ينظر هاتين التسميتين (ن، القلم) في بصائر ذوي التميز: ج1، ص476.

[4]– سورة القلم، الآية: 4.

[5]–ابن تيمية: المصدر السابق، ج6، ص83.

هذه التّسمية الأخيرة هو الشائع، نظرا لأهميّته باعتباره «هو أساس العلم الذي قامت به الحضارات على مختلف أنواعها، وسارت نحو النّهضة والقوة التي استمدت قوتها من قوة اسم السورة (القلم) مما يدل على أنّ الأسماء ذات تأثير في الآيات والسورة لأنّ الأسماء هي الرابط بينها...»[1]. فكانت أهمية اسم السورة ذات دلالة عظيمة بما تضمّنته من موضوعات لها صلة بمقدار العلم في حياة الإنسان، فبالقلم تنشأ العلوم، وبالقراءة والوعي يتحقّق التّطوّر، لهذا كان للقلم حقّه في أن يكون عنوان سورة قرآنية.

سورة الحاقّة: "الحاقة" هي التسمية الأشهر، فسّرها ابن عربي بقوله هي: «السّاعة الواجبة الوقوع، التي لا ريب فيها أن أريد بها القيامة الصّغرى...»[2]، ويقول عنها الشوكاني «الحاقة هي القيامة، لأنّ الأمر يحقّ فيها، وهي تحقُ في نفسها من غير شك (...) فالقيامة حاقّة لأنّها تحاقُ كل محاقٍّ في دين الله بالباطل وتخصم كل مخاصم»[3]. فهي السّورة التي تحكي هلاك الأقوام السّابقين، وتذكر النّفخة في الصّور، وتحدّثنا عن أهوال القيامة، وحال السّعداء والأشقياء يوم الحساب.

وقال في تفسيرها الكسائي: «الحاقّة يوم الحقّ، وقيل سميّت بذلك لأنّ كل إنسان فيها حقيق بأنّ يُجزى بعمله، وقيل سميّت بذلك لأنّها أحقّت لقوم النّار، وأحقّت لقوم الجنّة»[4] ، وأما تسميتها الأخرى التي قال بها الفيروز آبادي فهي "السلسلة" إذ يقول: «ولها اسمان: الحاقة، لمفتتحها، وسورة السلسلة، لقوله:﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾[5]»[6].

سورة المعارج: يقول الفيروز آبادي: «للسورة ثلاثة أسماء: الأولى: سأل،

---

[1]–الجابري: المرجع السابق، ص418.

[2]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص689.

[3]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص346.

[4]–المصدر نفسه، ج5، ص346.

[5]– سورة الحاقة، الآية: 32.

[6]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص478.

لمفتتحها، والثاني الواقع؛ لقوله "بعذاب واقع"، الثالث "ذي المعارج»[1]. وقد فسّر ابن عربي المعارج بأنها المصاعد التي يتم فيها الانتقال من مرتبة إلى أخرى إذ يقول: «وهي مراتب التّرقّي من مقام الطّبائع إلى مقام المعادن بالاعتدال»[2]،إنّ نظرته هذه فيها من الصوفية ما يجعل المعارج تشبه المقامات في عملية التنقّل من مرتبة إلى أخرى. وقال الشوكاني بمقولة ابن عربي محللا: «ذي المعارج أي ذي الدّرجات التي تصعد فيها الملائكة، وقال الكلبي: هي السماوات، وسمّاها معارج لأنّ الملائكة تعرج فيها، وقيل المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق، وقيل المعارج العظمة، وقيل هي الغرف»[3].والقول الأشهر أنها الدّرجات.

سورة الجنّ: اشتقت هذه الكلمة من الفعل جنّ، «يقال جنّه الليل وأجنّه وجنّ عليه فجنّه ستره»[4]، وتسمية (الجنّ) هي الأشهر لهذه السورة وأطلق عليها "البقاعي" تسمية "قل أوحي"[5]، لأنها ابتدئت بهذه الجملة التي تتحدث عن رهط من الجن، عددهم عددهم تسعة أو سبعة استمعوا لقراءة الرسول ﷺ[6]. وخالفه "الزمخشري" في عددهم فقال: «جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل كانوا من الشّيصبان، وهم أكثر الجنّ عددا وعامة جنود إبليس منهم»[7].و مهما اختلف في عدد هذه الكائنات فإنّ الأكيد الأكيد أنّ جنسهم مخالف لجنس الإنسان في التّركيبة الجسمية والعقلية والنّفسية على السّواء.

سورة الإنسان: سميت هذه السورة بلفظ العموم ليراد بها الخصوص وهو آدم

---

[1]–المصدر السابق، ج2، ص480.

[2]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص697.

[3]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص358.

[4]–الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) ،أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص98.

[5]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص180.

[6]–البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: تفسير البغوي المسمّى معالم التّنزيل، تح: خالد عبد الرحمن العك، مروان مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط2، م1987، ص401.

[7]–الزمخشري، جاد الله محمود بن عمر (ت 528هـ): المصدر السابق،ج4، ص623.

عليه السلام الذي بقي أربعين سنة وهو من طين بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح، كما حكاها البغوي (ت516ه)[1]، وقد خالف "ابن كثير" هذا التخريج، رابطا لفظة الإنسان بكل مخلوق على وجه هذه البسيطة[*]، أي جنس بني آدم دونما استثناء كما ذكره الزمخشري[2].و نميل إلى رأي الزّمخشري ومن ذهب مذهبه ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[3]، حيث وجّه الخطاب إلى عموم الناس، مبيّنا بداية الخلق في الآية الأولى، ومتحدّثا عن خاتمة هذا الإنسان الذي سينقسم إلى فئتين في الآية الثانية؛ فئة مسرورة في الجنة بشكرها،وفئة كافرة في النّار مغضوب عليها.

ومن أسمائها أيضا "هل أتى" لمفتتحها، وكذا أطلق عليها الفيروز آبادي[4] سورة (الدّهر) امتثالا لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[5]، وذكر البقاعي تسمية "الأمشاج" لورودها فيها.

سورة النّبأ: اشتهرت تسمية "النبأ" لمفتتحها، قال مجاهد النّبأ هو القرآن وقال قتادة هو البعث[6]، وذكر ابن كثير «﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾[7]، أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النّبأ العظيم، يعني الخبر الهائل المفضع الباهر...»[8]، وقال ابن عربي «النبأ العظيم هو القيامة الكبرى»[9].وهو الشّائع في تسميتها.

---

(1)–البغوي: المصدر السابق، ج2، ص480.

(*)–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص177.

(2)–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص665.

(3)– سورة الإنسان، الآيتان: 2-3.

(4)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص493.

(5)– سورة الإنسان، الآيتان: 1–2.

(6)–البغوي: المصدر السابق، ج4، ص436.

(7)– سورة النبأ، الآيتان: 1–2.

(8)–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص195.

(9)–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص755.

وسُمّيت هذه السورة (عمّ) لأنها ابتدأت به "عمّ يتساءلون"، كما أطلق عليها أيضا سورة "التساؤل"، وسورة "المعصرات" يقول في ذلك الطّاهر بن عاشور: «وتسمى "سورة التساؤل" لوقوع "يتساءلون" في أولها، وتسمّى سورة المعصرات، لقوله تعالى فيها: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾[1]»[2].فكل الأسماء الواردة هي في الأصل ألفاظ وردت في آيات السورة.

سورة النازعات: ينسب عنوان هذه السورة إلى "النازعات" وهي الملائكة التي تنزع أرواح المؤمنين بلطف ولِين، كما ذكر ذلك الشّوكاني إذ يقول: «وهي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم كما ينزع النّازع في القوس فيبلغ به غاية المدّ، وكذا المراد بالنّاشطات، والسابحات والسابقات والمدبّرات: يعني الملائكة»[3].وهو ما قال به أغلب المفسرين. وهي من السّور التي تقدّم نموذجا حيّا من نماذج يوم القيامة، بهول هذا اليوم ، وفزعه، وتصوير حقيقة الآخرة بعظمتها وهيبتها.

ويشير "محمد الطاهر بن عاشور" إلى تسميتين أخريين هما: "الساهرة" و"الطامة" لأنّ هذين اللفظين قد وقعا فيها ولم يقعا في غيرها من السور بحسب ما قاله سعد الله والخفاجي[4]. وقد ذكر هذه الأسماء مجتمعة البقاعي في قوله: «واسمها النازعات واضح في ذلك المرام، إذ تأمل القسم وجوابه المعلوم الأئمة الأعلام، وكذا الساهرة والطّامة...»[5].فالسّاهرة، هي الأرض البيضاء اللّامعة[6]، وهي أرض المحشر التي يشوبها الغموض إلى يومنا هذا، والطّامّة هي الحدث العظيم الذي يصيب النّاس بالفزع فلا يقدرون عليه، وهذا يتناسب وموضوع السّورة الذي يدور في حقل تصوير الحركات المتسارعة التي ستحدث في مثل هذا اليوم.

---

[1]– سورة النبأ، الآية: 6.

[2]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص5.

[3]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص462.

[4]– ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: المصدر السابق، ج30، ص59.

[5]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص308.

[6]– ينظر : سيد قطب: المرجع السابق، ج30، ص 442.

سورة عبس: جاء في التفّاسير أن العنوان (عبس) بمعنى كَلَحَ وجهه وتولى[1]. وهو الاسم الشائع، ومن أسمائها أيضا سورة السَّفَرَة وسورة الأعمى[2]. « قال ابن عباس ومجاهد: كتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، وأحدهم سافر، يقال: سفرت أي كتبت. ومنه قيل للكتاب: سِفْرٌ وجمعه أسفار.

وقال آخرون: هم الرسل من الملائكة وأحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم»[3]. وذكر لها البقاعي تسميتين مخالفتين وهما: الصّاقّة والباخّة، يقول: «وكذا الصّاقة النّافخة بشرّها وشررها والباخّة»[4].بمعنى النافخة بالنّار، والمهلكة بها.

سورة التّكوير: تسمّى سورة الشّمس لأنّ مضمون السورة يدور في هذا الفلك وأطلق عليها أيضا تسمية "كوّرت" و"التكوير" نظرا لمفتتحها. ذكر ابن عاشور أنّه لم يثبت عن النبي ﷺ أنّه سمّاها تسمية صريحة، وفي حديث الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»[5]، لأنّهما تقدّمان صورة واقعية مفصّلة عن هذا اليوم العظيم.

سورة الانفطار: سميّت بهذا الاسم لمفتتحها، وسميت أيضا "انفطرت"[6]. وهذا لورود هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾.

سورة الانشقاق: لمفتتحها وتسمى أيضا سورة "انشقّت"، سمّيت بهذا لورود الكلمة فيها في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾.

---

(1)–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص475. ينظر أيضا: البغوي: المصدر السابق، ج4، ص446.

(2)–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص101.

(3)–البغوي: المصدر السابق، ج4، ص447.

(4)–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص323.

(5)–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص139.

(6)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص505.

<u>سورة الأعلى</u>: جاءت لفظة "الأعلى" «على وزن أفعل التفضيل، مثل الأكرم، والأكبر، والأجمل، ولهذا قال النبي ﷺ لما قال أبو سفيان: «أعلُ هُبَل، أعلُ هُبل» فقال النبي ﷺ: «ألا تجيبونه؟»، فقالوا: وما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجل». وهو ما مذكور بأداة التعريف "الأعلى" مثل «وربك الأكرم»[1]، ويقول ابن عربي في السياق ذاته «اسمه الأعلى والأعظم، هو الذات مع جميع الصّفات»[2]، وقد وردت تسميتها في السنّة سورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[3] ويروى أن عائشة رضي الله عنها كانت تسميها (سبّح)[4]. وهي أوّل كلمة تستفتح بها السّورة.

أما تسميتها بـــ"سبّح" فيرجع أساسا إلى ذكر التسبيح فيها وهذا لأنّ «الأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كلّ عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له، فإنّ التسبيح يقتضي التّنزيه والتّعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده»[5].كما سمّيت سورة "السفرة "أيضا. "أيضا.

<u>سورة البلد</u>:

سمّيت بهذا العنوان لمفتتحها، وسميّت أيضا بسورة "العقبة" وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[6]، فسّر ابن عربي لفظ البلد هاهنا بقوله: «أقسم بالبلد الحرام الحرام الذي هو البلد القدسي، النازل به الرسول ﷺ وهو الأفق الأعلى»[7]، أما (العقبة) (العقبة) فقد شرحها الشريف الرّضي بقوله: «وفسّر تعالى المراد بالعقبة هنا فقال: ﴿

---

[1]–ابن تيمية: المصدر السابق، ج6، ص129.
[2]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص795.
[3]–سورة الأعلى، الآية: 1.
[4]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص271.
[5]–ابن تيمية: المصدر السابق، ج6، ص142.
[6]–سورة البلد، الآية: 11.
[7]–ابن عربي : المصدر السابق، ج2، ص797.

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، فشبّه تعالى هذا الفعل لو فعله الإنسان باقتحام العقبة أي صعودها وقطعها لأن الإنسان ينجو بذلك كالنّاجي من الطريق الشاق إذا اقتحم عقبته وتجاوز مخافته»[2].

سورة الشرح: اشتهرت بتسمياتها الثلاثية "الشرح، الانشراح، ألم نشرح" وذلك لمفتتحها كما أشار أغلب المفسرين[3] لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[4]، وقد فسّر فسّر ابن كثير الشرح ها هنا بالنور «أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا»[5]، وفسرها "البغوي" قوله: «ألم نفتح ونوسع ونليّن لك قلبك بالإيمان والنبّوة والعلم والحكمة»[6]، وزاد عليهما الزّمخشري في تفسيره بقوله: «أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضّيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل»[7]، ورأى السيوطي أن هذه السورة «هي شديدة الاتصال بسورة الضحى، لتناسبها في الجمل، ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما»[8].وإنّنا نخالفهم الرّأي في هذا المذهب؛ وهذا لأنّ موضوع السّورتين مختلف بينهما، فبينما تصوّر سورة الشّرح ظاهرة شقّ صدر الرسول ﷺ، وملء قلبه بالإيمان، فإنّ سورة الضّحى تصوّر تلك النّعم الكثيرة التي أنعمها عليه، ويقدّم له رسالة تعليمية في التّعامل مع النّاس، ودفعهم لاعتناق الإسلام بالحسنى.

سورة العلق: أول سورة نزلت على الرسول ﷺ، اشتهرت في عهد الصحابة والتابعين باسم "اقرأ باسم ربك" روي في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها «أول

---

[1]–سورة البلد، الآيتان: 13-14.

[2]–الشريف الرضي: المصدر السابق، ص356.

[3]–ينظر مثلا : الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص407. الشريف الرضي: المصدر السابق، ص357.

[4]–سورة الشرح، الآية: 1.

[5]–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص318.

[6]–البغوي: المصدر السابق، ج4، ص501.

[7]–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص770.

[8]–السيوطي: المصدر السابق، ص152.

سورة نزلت في القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[1]»[2]، وسميّت "اقرأ" بالإضافة إلى العلق، يقول البقاعي: «وتسمى "اقرأ" وكل من اسميها دالّ على ذلك لأنّ المربّي يجب شكره، ويحرم غاية التحريم كفره، على أنّ "اقرأ" يشير إلى الأمر، و"العلق" يشير إلى الخلق، و"اقرأ" يدل على البداية وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النّهاية وهي النّجاة يوم الديّن باللازم، والعلق يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام، لأنّ من عرف أنّه مخلوق من دم عرف أنّ خالقه قادر على إعادته من تراب، فإنّ التراب أقبل للحياة من الدّم، ومن صدق بالإعادة عمل لها، وخصّ العلق لأنّه مركّب الحياة...» [3]، فلولا العلقة ما كانت المضغة، ولولا المضغة وما كانت العظام، ولولا العظام ما كان خلق الإنسان، وقد جعله في أحسن تقويم.

<u>سورة البيّنة</u>: يقول البغوي في كلمة البيّنة: «لفظة مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجّة الواضحة، يعني محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان»[4]، يضاف إلى هذا الاسم أسماء أخرى اشتهرت بها منها (لم يكن، القيامة،القيّمة، الانفكاك، البرية)، وذكرها الرسول ﷺ بـــ "لم يكن الذين كفروا" «فمما روي عن الرسول ﷺ أنّه قال لأبَيْ بن كعب «إنّ الله أمرنّي أن أقرأ عليكم "لم يكن الذين كفروا" قال: وسماني لك؟ قال: نعم. فبكى...» [5]. فمردّ التسمية الأولى (لم يكن) إنمّا لمفتتح السورة بهذه الكلمة، وأما تسميتها بالقيامة فلا مبرّر له، وسورة الانفكاك لورود كلمة منفكين فيها «وانفكاك الشيء من الشيء، أن يزالهُ بعد التحامه به، كالعظم إذا انفك من مفصله، والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلاّ عند مجيء البيّنة»[6]. بمعنى الدّليل والبرهان الذي سيقنعهم بالحجّة الدّامغة فيخرجون

---

[1]–سورة العلق، الآية: 1.

[2]–ابن عاشور، محمد الطاهر : المصدر السابق، ج30، ص433.

[3]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص488.

[4]–البغوي: المصدر السابق، ج4، ص513.

[5]– ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص467.

[6]–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص782.

عن ضلالتهم إلى نور الحق.

وشرح "البقاعي" تسميتها بالقيامة في قوله: «وعلى ذلك دلّ من أسمائها "الذين كفروا" و"المنفكين" بتأمل الآية في انقسام النّاس إلى أهل الشقاوة وأهل الهداية، وكذا القيامة بانقسام أهل الدعوة فيها بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة»[1].

__سورة العصر__: عنوانها الذي اشتهرت به هو(العصر) «قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: إنها سورة لو لم يُنزَل إلى النّاس إلاّ هي لكفتهم»[2]، وأما التسميّة الثانية فكانت بإضافة الواو للقسم "والعصر" «أقسم سبحانه بالعصر وهو الدّهر، لما فيه من العبر من جهة مرور اللّيل والنّهار على تقدير الأدوار وتعاقب الظلام والضياء، فإنّ في ذلك دلالة بيّنة على الصّانع عز وجل وعلى توحيده»[3]، وعبّر ابن عربي عن الدّهر في السياق نفسه «بامتداد بقاء الزّمان وما فيه»[4]، والعصر هو آخر ساعة من النّهار، عند تصوّب الشمس إلى الغروب[5]، وهو آية من آيات الله عز وجل، وجل، التي أكرم بها عباده.

أما ابن كثير فقد قال بأنّ (العصر) هو «الزّمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر»[6]، وأشار البغوي قائلا: « وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنّهار، يقال لهما العصران»[7].إنّ المتأمل لهذه التّسمية الثانية إنّه ليجد قسما بصلاة العصر، لأهميتها وفضلها فمن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله، وغاية

---

[1]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص495.

[2]–المصدر نفسه، ج8، ص521.

[3]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص620.

[4]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص851.

[5]– مقاتل ابن سليمان، أبو الحسن (ت 150هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج3، ص516.

[6]–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص366.

[7]–البغوي: المصدر السابق، ج4، ص522.

السورة هو بيان خسران الكفّار والفجّار، وذكر سعادة المؤمنين حسب ما ذكره الفيروزآبادي[1]، وهكذا نقف على عدّة دلالات لها، نرجّح ما ذهب إليه "ابن كثير" بأنّها تعني مطلق الزمن، وهذا لأنّ مضمون السورة يسير في هذا السّياق.

سورة الهُمَزَة: جاءت هذه السورة لتعطينا وصفا لفئة غير خيّرة من النّاس تتصف بالغيبة، وهي منبوذة في القرآن، لهذا كانت شهرتها "الهمزة" وتعني «الطَّعَّان المغتاب الذي إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه»[2]، جاء في تفسير ابن كثير ما مفاده «الهمّاز بالقول واللّماز بالفعل يعني يزدري النّاس وينتقص بهم»[3]، وذكر الفيروز آبادي تسمية (الحطمة) لذكرها في السورة[4].إنّ المفردة القرآنية الموظّفة هنا(الحطمة) جاءت للدّلالة على تحطّم المبادئ والأخلاق الحميدة ، وتعويضها بتلك الرّديئة غير المستحبّة من طرف المنافقين، لأنّ المغتاب فاقد للاحترام لهذا يغتاب غيره ويمسُّ بشرفهم، وهذا منهيٌ عنه في الإسلام لأنّه جاء بمكارم الأخلاق.

سورة الماعون:سمّيت بعدّة تسميات منها(أ رأيت الذي، الدّين، التّكذيب، اليتيم)، فأمّا عنوانها الذي عُرفت به فهو (الماعون) ؛ أما ما تبقى من الأسماء فمرتبط بما ذكر فيها من كلمات وتعابير، ومقصود السورة يدور في فلك «الشّكاية من الجافين على الأيتام والمساكين، وذمّ المقصّرين والمُرائين، وما نعى نفع المعونة عن الخيرات والمساكين»[5]. يسميها الزّمخشري (أرأيت) وهي من السور التي تدعو إلى رحمة اليتامى وإعطائهم الخير مما أعطانا الله، قال عنها الزّمخشري: «وإنّها جديرة بأن يستدلّ بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين»[6] وهذا لأنّها تعطينا صورة منبوذة منبوذة للجشع، وعدم بذل طعام المسكين، الذي يعدّ من الحقوق الواجبة بالصّدقة

---

[1]– ينظر: الفيروزآبادي: المصدر السابق، ج 1، ص542.

[2]– مقاتل ابن سليمان: المصدر السابق، ج3، ص517.

[3]–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص367.

[4]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص543.

[5]–المصدر نفسه، ج1، ص546.

[6]–الزّمخشري: المصدر السابق،ج4، ص289.

وبالزّكاة.

سورة الكوثر: قال ابن عربي: «هو نهر في الجنّة من شرب منه لم يظمأ أبدا»[(1)]، وقد ورد في حديث لرسول الله ﷺ عندما سأله الصحابة عن سبب ضحكه، فقرأ عليهم سورة الكوثر، ثم شرح اللفظة بقوله: «فإنّه نهر وعدنيه ربّي فيه خير كثير هو حوض تردُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: ربّ إنّه منّي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك»[(2)]، وهو أكثر أنهار الجنّة خيرا.

وتسمى هذه السورة الكريمة "بالنّحر" يقول البقاعي: «وتسمى النّحر مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون، واسمها الكوثر واضح في ذلك، وكذا النّحر لأنّه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب»[(3)]. وقيل أيضا النحر هي صلاة الفجر،و قيل النّحر بمنًى، وقيل صلاة العيد والتّضحية[(4)]، والمعنى أنّ الرسول ﷺ قد أعطي من الخير الكثير الذي لا أوّل له ولا آخر.

سورة الكافرون: عرفت بهذا الاسم عند أغلب المفسّرين، والمخاطبون هنا بهذا الوصف هم كفرة مخصوصون علم الله أنهم أبدا لن يؤمنوا، وقد ستروا نور الحقّ بظلمة أنفسهم، سميّت كذلك بسورة "الدّين" لما اشتلمت عليه من تكرار لهذه اللفظة، وفصل دين المسلمين عن دين الكافرين، وذكر لها الفيروز آبادي تسمية ثالثة وهي المقشقشة «قال أبو عبيدة: سورتان من القرآن يقال لهما المقشقشتان: "قل هو الله" و"قل يا أيها الكافرون" تقشقشان الذنوب كما يُقشقش الهناء الجَرَبْ»[(5)].بمعنى تشفيان الإنسان الإنسان من الأمراض النّفسية ، وترفعانه إلى مصافّ الملائكة بعد أن تُخلّصه من ذنوبه.

[(1)]–ابن عربي: المصدر السابق، ج8، ص521.

[(2)]–البغوي: المصدر السابق، ج4، ص533.

[(3)]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص747.

[(4)]–الزّمخشري: المصدر السّابق، ج4، ص291.

[(5)]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص548.

<u>سورة النّصر</u>:سميّت بهذه التسمية لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[1]، والنّصر «الفتح المطلق الذي لا فتح وراءه»[2]، والنصر هو «العون، مأخوذ من قولهم: قد نصر الغيث الأرض: إذا أعان على نباتها ومنع من قحطها»[3].وهي هنا بمعنى الفتح العظيم والفوز.

ذُكر لها تسمية (الفتح) «وهي معنونة في جامع الترمذي "سورة الفتح" لوقوع هذا اللفظ فيها فيكون هذا الاسم مشتركا بينها وبين سورة ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾[4]،.. وعن ابن مسعود أنّها تسمى سورة "التوديع" في الإتقان لما فيها من الإيماء إلى وداعه ﷺ»[5]، فسّرها "البقاعي" [6]بأنّها أيام التشريق من سنة حجّة الوداع.

<u>سورة المسد</u>: المسد هو «الذي فتل من الحبال فتلا شديدا، من ليف كان أو جلد، أو غيرهما (...) ورجل ممسود الخلق مجدوله»[7]، سميّت بالمسد وهو أشهر أسمائها، كما سميّت، (تبّت)، و(أبو لهب)، وذلك لورود هذه الكلمات فيها.

<u>سورة الإخلاص</u>: ذكر لهذه السورة الكريمة الكثير من التسميات تدور أغلبها في مجال التذكير بفضلها، أو الإحاطة بمضمونها، أطلق عليها الرسول ﷺ ثلث القرآن عندما خاطب أصحابه يوما: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق عليهم وقالوا: أيّنا يطيق ذلك؟ فقال الله الواحد الصّمد ثلث القرآن»[8]، وذكر لها البقاعي ثلاث ثلاث تسميات هي: «الأساس، والمقشقشة، وقل هو الله أحد»، بالإضافة إلى الإخلاص يقول: «وكذا الأساس والمقشقشة، قال في القاموس: المقشقشتان الكافرون والإخلاص

---

[1]–سورة النصر، الآية: 1.

[2]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص869.

[3]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص646.

[4]–سورة الفتح، الآية: 1.

[5]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص587.

[6]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص559.

[7]–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص816.

[8]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص654.

أي المبرّئتان من النّفاق والشّرك كما يقشقش الهناء الجرب، الهناء: القطران...» [1]. بمعنى تشفي صاحبها من كلّ العِلل.

أما "الفيروز آبادي" فيقول جاعلا لها عشرين اسما منها المذكورة سابقا: «ولها عشرون اسما: سورة التوحيد، وسورة التفريد، وسورة التجريد، وسورة الإخلاص، وسورة النّجاة، وسورة الولاية، السابع نسبة الرّب،الثامن سورة المعرفة، التاسع سورة الجمال، العاشر المقشقشة ، الحادي عشرة: المعوذة، الثاني عشرة سورة الصمد، الثالث عشر الأساس، الرابع عشر المانعة، الخامس عشر المحضرة؛ لأنّ الملائكة تحضر لاستماعها من القارئ، السادس عشر المنفرّة، لأنّها تنفّر الشيطان، السابع عشر البراءة، أي من النّفاق، الثامن عشر المذكرة، التاسع عشر الشافية، العشرون سورة النّور، لما في الخبر: إنّ لكل شيء نورا، ونور القرآن (قل هو الله أحمد)» [2].

إلاّ أنّ أشهر هذه التسميات هو "الإخلاص" الذي عبّر عنه ابن عربي إذ يقول: «الإخلاص تمحيص الحقيقة الأحدية عن شائبة الكثرة. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»، لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة»[3].

ولها تسمية أخرى كثيرا ما اشتهرت في عهد النبي محمد ﷺ، وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتها "قل هو الله أحد".

سورة الفلق: الفلق من أسماء الزمان وهو "الصبح"[4]، و«الفلق بمعنى مفعول، كالقبض بمعنى المقبوض فكل ما فلقه الربُّ فهو فلق، قال الحسن: الفلق كل ما انفلق من شيء، كالصبّح والحب والنّوى، قال الزجاج: «وإذا تأملت الخلق بأن لك أنّ أكثره

---

[1]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص575.

[2]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص553.

[3]–ابن عربي: تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ج2، ص869.

[4]–ابن قتيبة: المصدر السابق، ص543.

عن انفلاق كالأرض بالنبات والسحاب بالمطر»[1]. أما الشوكاني فيقول: «الفلق الصبح، يقال هو أبين من فلق الصبّح، وسميّ فلقا لأنّه يفلق عنه الليل»[2]. ويشرح ابن باديس كلمة الفلق بمعنى الفجر فيقول : " الفجر بمعناه العرفي هو تشقق الظلمة عن النّور،فإنّ الليل يكون مجتمع الظلمات مسدول الأوراق.فإذا جاء الصبح حصل الانفلاق"[3] وقد اشتهرت هذه السورة بالمعوّذة لأنّ الإنسان يتعوّذ بها من أذى الحساد والسحر، عرفت بالمشقشقة أيضا كما هي حال سورتي الإخلاص والنَاس.

سورة الناس: تقدمّ في سورة الفلق أنّها وسورة النّاس تسميان "المعوذتين" والمشقشقتين بتقديم الشينين على القافين، بينما ذكر "الزّمخشري" و"القرطبي" أنهما تسميان المقشقشتين بتقديم القافين على الشينين، وعنونها ابن عطيّة في المحرّر الوجيز سورة "المعوذة الثانية" بإضافة سورة إلى المعوذّة من إضافة الموصوف إلى الصّفة، وعنونهما الترمذي "المعوذتين"، وعنونها البخاري في صحيحه «سورة قل أعوذ بربّ النّاس" ونشير ههنا إلى أنّ تسمية المقشقشة قد أطلقت على سورة التوبة أيضا وقد سبق[4]، لنا تفسير معناها في ذلك الموقع.

ثانيا: السّور المفردة ذات العنوان الواحد:

بلغ عدد السور التي عرفت بعنوان واحد فحسب اثنتين وخمسين سورة كما ذكرنا سابقا، والقاسم المشترك بينها هو أنّها تتضمن موضوعا محوريا يميّز كل سورة عن غيرها من السور، وسنقف عندها في الآتي:

سورة يونس:سميت يونس لأنها تضمنت قصة سيدنا يونس عليه السلام، الذي دعا قومه لدين الحق فخالفوه لبضع سنين،فكاد العذاب أن يهلكهم مصداقا لقوله تعالى:

---

[1]–ابن تيمية: التفسير الكبير، ج7، ص562.

[2]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص659.

[3]–ابن باديس، عبد الحميد: تفسير ابن باديس، أو مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبير، مراجعة: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرّشيد للكتاب والقرآن،الجزائر،ط1، 2009،ج2،ص350.

[4]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص631.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1].

سورة هود: اتّسمت هذه السورة القرآنية بتضمينها لعدد من قصص الأنبياء،إلا أن عنوانها حمل اسم أحدهم دون غيره وهو (هود) عليه السلام،وهذا في افتتاحية قصته مع قومه من ذلك الآية الكريمة: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾[2].

سورة يوسف: لقد خالفت هذه السورة التعدد المضموني الذي عرفته بعض السور القرآنية لتتفرّد بالحديث عن سيّدنا يوسف عليه السلام، وهذا هو السبب الرّئيس لتفردها بهذا العنوان، حيث إنّ السورة مضمنة لقصّته كاملة منذ أن كان طفلا إلى أن استوى عوده، مع تصوير لتلك المكيدة التي كيدت له وعاناها في حياته بسبب غيرة إخوته،ثم تشاء الأقدار مرة أخرى أن تجمعه بعائلته ليستكمل رحلته في الدّعوة إلى الدين الحق.

سورة الرّعد:عنونت هذه السورة بآية من آيات الرّحمن،ودليل من أدلّة قدرته وعظيم خلقه،تجسّد ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾[3]، وقد أشار ابن عباس أنّ كلمة البرق هنا تدل على الماء إذ يقول: «كنّى بالبرق عن الماء،لما كان المطر يقاربه غالبا، وذلك من باب إطلاق الشيء مجازا على ما يقاربه غالبا»[4].

سورة إبراهيم: سميت بهذا العنوان لأنّ قصة سيدنا إبراهيم كانت واردة بتفاصيلها فيها. حيث تسرد لنا السورة إرساء النبي إبراهيم لقواعد البلد الحرام، ودعوته إلى نبذ الأصنام التي عبدتها قريش أسوة بآبائهم، كما هي سورة الرحمة التي رحم بها المولى

---

[1]–سورة يونس، الآية: 98.

[2]–سورة هود، الآية: 50.

[3]–سورة الرّعد، الآية: 12.

[4]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص365.

عز وجل نبيّه، لهذا كثر دعاء إبراهيم عليه السلام فكان «صلاة شكر وحمد لله،يرفعها إبراهيم لربه،على النّعمة التي أنعم بها عليه،إذ وهب له الولد بعد أن كبر»[1].

سورة الحجر : يحدثنا عنوان هذه السورة عن أصحاب الحجر الذين كذّبوا المرسلين كما فعل الذين من قبلهم. مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2].

سورة النّحل يفتتح الحديث عن النّحل في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[3]. للحديث عن معجزة هذا الكائن الذي يخرج شرابا فيه شفاء من الأدواء. كما أنّه كائن يمتثل إلى أوامر المولى ﷻ «وهو إذن من الخالق جلّ وعلا،للنحل أن ينطلق على طبيعته، وأن يسير على ما توجهه إليه غريزته،حيث لا تتصادم هذه الغريزة، بشيء غريب يدخل عليها من إرادة أو تفكير»[4]، فهي مأمورة على السير في طريق مستقيم لا يتجه نحو الانحراف عن الفطرة التي فطر عليها.

سورة الكهف: مما جاء في تفسير البرسوي أنّ الكهف «الغار الواسع في الجبل فإن لم يكن واسعا فغار»[5]، ويبدو أن العناوين ها هنا ليست إيحائية وإنما مباشرة تسقط المضمون الموجود في السورة على العنوان مباشرة، فأي وظيفة تراها حققتها هذه العناوين، الكهف سورة عيّنت باسم واحد يدلّ عليها وهذا ما أشار إليه أغلب الدارسين[6]، والسؤال ههنا، لماذا عنونت بقصة الكهف دون غيرها، مع أنها ضمنت لقصص أخرى مثل قصة الجنتين، قصة آدم وإبليس وقصة موسى مع العبد الصالح،

---

[1]–عبد الكريم الخطيب:التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي،القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج13، ص195.

[2]–سورة الحجر، الآية: 80.

[3]–سورة النّحل، الآية: 68.

[4]–عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق،ج14،ص324.

[5]–البرسوي، إسماعيل حقي: المصدر السابق، ص218.

[6]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص323.

وقصة ذي القرنين، هل هذا لأنها الأولى ولماذا لم تسمّ سورة القصص؟هل أنّ القصص مرتبط دوما بالأنبياء دون غيرهم من الصالحين؟

الإجابة عن هذا التساؤل لا تخرج عن كون العنوان «عبارة عن رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مستنّة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة أو الما وراء لغوية، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال»[1].إنّ قصة أهل الكهف أكثر القصص أهمية من حيث مضمونها العقائدي، وما فاتحتها إلاّ تواصل مباشر مع قصة الفتية الذين هاجروا نحو الله، تاركين عقيدتهم السابقة، وهو ما دأبت عليه بقية القصص التي تعبّر عن فكرة حسن التوكل على الله في سياق ما آل إليه مصير الفتية ومعجزة استيقاظهم بعد نومهم ثم عودتهم إلى المنام، فهي الأحق أن تكون عنوانا للسورة وهنا نتساءل ما الدافع الذي جعل المفسرين يقرون بعنوان واحد وليس بتسميات متعدّدة كما فعلوا مع بقية السور، إذ يمكن أن نسميها مثلا سورة ذي الجنتين، أو موسى والعبد الصالح.

كما أنّ قداسة المكان "الكهف" جعلته يذكر ستّ مرّات، بحيث «لا ترتبط أهمية الكهف باحتوائه للفتية، وإيوائه لهم طيلة ثلاثة قرون فحسب، إنّما تظهر أهمّيته أكثر عندما يجسّد الفكرة التي تحملها السّورة بأكملها، من هنا تظهر أهمية اختيار اسم الكهف عنوانا للسورة التي تهدف إبلاغ المتلقي بزوال زينة الحياة الدّنيا..»[2] لهذا اختير عنوانا وحيدا دون غيره من العناوين.

<u>سورة الحج</u>: سميت هذه السورة بهذه الفريضة من باب تعظيمه[3]، وذلك لورود لفظة الحج في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ

---

[1]-مجلة عالم الفكر، م25، ع03، يناير، 1997، ص100.

[2]-يادكار لطيف الشهرزوري: جماليات التّلقي في السّرد القرآني، دار الزّمان للطباعة والنّشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص204.

[3]-ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص632.

﴿كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]، فسّرها ابن كثير بمعنى ناد في النّاس بالحج، داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه[2]، والخطاب هنا موجّه لإبراهيم عليه السلام. وعلى الرغم من أن هذه السورة قد زخرت بموضوعات مختلفة ارتبط بعضها بمكة، كلّما كان الموقف موقف توحيد، وتخويف من اقتراب الساعة ومشاهد يوم القيامة، وارتبط الآخر بالمدينة كما هو أمر آيات الإذن بالقتال مثلا الذي لم يكن إلاّ بعد الهجرة، إلا أنّ أهمية هذه الفريضة جعلت السورة تتخذها عنوانا لها.«فالحجّ موسم ومؤتمر، الحج موسم تجارة وموسم عبادة، والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعاون »[3]. وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدّنيا والآخرة كما تلتقي فيها المعاملات والعبادات، وعلى الإنسان أن يقدّسها لأنّها متّصلة بمكّة المكرّمة، العنوان الوحيد لكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

سورة المؤمنون: يقول سيّد قطب عن هذه التسمية بأنّها تدل عليها وتحدّد موضوعها «فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله –صلوات الله عليهم– من لدن نوح –عليه السلام– إلى محمد خاتم الرسل والنبيّين، وشبهات المكذّبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل بربّهم، فيهلك المكذبين، وينجي المؤمنين...» [4].

سورة النور: قال بعض العلماء أنّ سبب تسميتها بهذا الاسم إنمّا يرجع إلى آية النور الموجودة فيها في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5]، هذا على مستوى الظاهر، أما في السياق المضمون فإنّ النّور في هذه السورة يذكر «بآثاره ومظاهره في

[1]–سورة الحج، الآية: 27.

[2]–السامرائي، إسماعيل إبراهيم علي: سورة النّور دراسة وتحليل، دار عمار للنشر، عمان، ط1، 2003، ص24.

[3]–سيد قطب: في ظلال القرآن، ط6، ج17، ص593.

[4]–المصدر نفسه، ج18، ص6.

[5]–سورة النور، الآية: 35.

القلوب والأرواح؛ ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة»[1]، وهنا نتساءل لماذا النّور؟ وأجاب ابن كثير عن هذا السّؤال بما معناه أنّه الكواكب التي تنير درب الإنسان منها النجوم والشمس والقمر [2].

سورة الفرقان: سميت بهذا الاسم لأنّه ذكر في فاتحتها «والفرقان: مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمّى به القرآن لفصله بين الحق والباطل. أو لأنّه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا، مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال»[3]. كما أنّه يفرق بين الهدى والضلال، والغيّ والرّشاد والحلال والحرام[4].

سورة القصص: سميّت بالقصص لأنها تعرض لقصة جملة من الأنبياء، فكيان السورة يقوم: «على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه –قوم موسى– في الختام.. الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان (...) والقصة الثانية تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم»[5].

سورة العنكبوت: سميّت بهذا الاسم لما ورد في الآية الواحدة والأربعين من مثل «ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه...»[6].

سورة الروم: ذكر الله في كتابه العزيز هذه السورة ليبسط القول عن هؤلاء القوم الذين سيغلبون مستقبلا في بضع سنين والروم –كما ذكر البرسوي: «تارة يقال للصنّف المعروف وتارة لجمع (رومي) كفارسي وفرس وهم بنوا روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم –عليه السلام– والروم الأول منهم بنوا رولم بن يونان بن يافث بن

---

[1]–ينظر مثلا: الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص297.

[2]–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص100.

[3]–الزمخشري: المصدر السابق، ج3، ص493–494.

[4]–المصدر السابق، ج3، ص262.

[5]–سيد قطب: المصدر السابق، ج20، ص317–318.

[6]–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص325.

نوح عليه السلام»[1].

سورة لقمان: سميّت هذه السورة باسم واحد فحسب، نسبة إلى ذلك الرجل الصالح الذي يسمى لقمان والذي روي أنّه «كان اسم ابنه، "أنعم" وقال الكلبي: "أسكم" وقيل: كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال بهما حتى أسلما»[2].

سورة الأحزاب: أخذ النّص القرآني بعدين دلاليين في هذه السورة وهو وجه تسميتها، يرتبط أولهما بالبعد الإيجابي الذي جسدته الدّعوة المحمدية، وبعد سلبي تمثله فئة الكافرين بهذه الدعوة. وهذا جوهر من جواهر البيان القرآني عندما يجمع بين صورتين متضادتين؛ صورة النّداء الذي افتتحت به السورة القرآنية(يا أيّها النّبي) «على سبيل التّشريف والتّكرمة، والتّنويه بمحلّه وفضيلته»[3]، وصورة ثانية للمشركين الذين نزلت فيهم السورة تحذيرا للرسول صلعم من كيدهم، وتنبيها له على عداوتهم، وهذا لتميّزهم بالنّفاق إذ قال القرآن على لسانهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[4]. فمصطلح (الأحزاب) يدل على الكثرة رغم أنّ تفاصيل السورة تحيلنا على نموذجين إنسانيين؛ أحدهما كافر، والآخر مؤمن، وإنّنا نرجع سبب هذا العدول من الاثنين إلى الجماعة، هو تعدد سبل الكفر وتشعبها.

سورة سبأ:

سبق الخطاب القرآني أن أورد قصة سبأ والملكة بلقيس في سورة النّمل، وقد سميت السورة باسم تلك المدائن عندما ذكرت في هذه الآيات موعظة لقريش، إذ تتعلق مناسبتها بردع الاقتتال الذي حدث لقوم هذه الملكة على واديهم، فتركت ملكها ثم عادت بذكائها وفطنتها فبنت سدا ما بين جبلين، ثم أمرت باثني عشر مخرجا بعدد أنهارهم، فخرج الماء بالسوية بينهم. ولكن كفران النّعمة مآله العقاب، وهو ما حدث لهم عندما

---

[1]–البرسوي: المصدر السابق، ج7، ص4.

[2]–الزمخشري: المصدر السابق، ج3، ص493–494.

[3]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص206.

[4]–سورة الأحزاب ، الآية: 12.

سلّط عليهم العذاب، ولا شفاعة لهم عند المليك المقتدر.

إنّها الرّسالة الرّبانية التي وجّهت لكفاّر قريش من خلال حكاية السدّ، وهذا كي يتّعظوا ويؤمنوا بما أقرّه المولى عزّ وجلّ في قوله: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠﴾[1]. وقد تفرّدت هذه السورة القرآنية بهذا العنوان لما فيه من قيم فكرية وأخلاقية، وأبعاد عقلانية في تنظيم الدّول والحفاظ على استقرارها من جهة، ثم العمل على الحفاظ على الشريعة الإسلامية من جهة ثانية.

سورة الصافات: يشير أغلب المفسرين إلى أنّ سبب التّسمية مرتبط بافتتاحية السورة بهذه الكلمة، وهو الاسم الوحيد المتّفق عليه في كتب التفسير وكتب السنّة وفي المصحف أيضا «الصّافات أي الجماعات من الملائكة والمصليّن والمجاهدين المكملين أنفسهم بالاصطفاف في الطّاعة، فهو صفة لموصوف محذوف مؤنث اللفظ، وعدل أن يقول "الصافّين" القاصر على الذكور الغفلاء يشمل الجماعات من الملائكة والجنّ والإنس والطيّر والوحش وغيرها...»[2]، ويذهب الطّاهر بن عاشور إلى أن هذا الوصف مرتبط بالملائكة دون غيرهم[3].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكلمة قد وردت صفة في سورة الملك ولكن ليس للملائكة وإنّما للطيّر مع العلم أن سورة الملك قد نزلت بعد سورة الصّافات، ولهذا كان وجه الترجيح عند المفسّرين أنهم الملائكة «فهم الصّافون للعبادة صفّا والزّاجرون النّاس عن المعاصي والتّالون لآيات الله والمبلّغون لأوامره»[4].

ونلاحظ أن التشكيل الصوتي للفظين اللّذين عبّر فيهما عن هاتين الحركتين يرسم المشهد رسما دقيقا، كأنّه عدسة ترصد فيلما متحرّكا، فاللفظة الأولى: "صافات" بوزن اسم فاعل، للدلالة على أنّها الحالة الغالبة، أي باسطات أجنحتهنّ عند الطيّران، وهي

---

[1]– سورة سبأ، الآية: 30.

[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص290.

[3]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج23، ص81.

[4]– محمد عزة دروزه: التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، م1962، ج4، ص248.

بما يحققه المدّ اللازم المثقّل ومقداره ست حركات، ترسم حركة انسيابية للطائر حين يبسط جناحيه، وينساب في الفضاء عدّة لحظات، قبل أن يقبضهما، واللفظة الثانية "ويقبضن" أي: يدنين أجنحتهن من جنوبهنّ بشكل متتابع للازدياد من تحريك الهواء، للاستمرار في الطيران، وهي بتتابع حركاتها ترسم صورة القبض العارضة للأجنحة[1].

وتقدم الدراسات الحديثة تحليلا مقاربا لهذه التسمية معلّلة ارتباطها بالاسم كالآتي: «جيء في وصف الطيّر بــ"صافات"، بصيغة الاسم، لأنّ الصّف أكثر أحوالهم عند الطيران، فناسبه الاسم الدّال على الثّبات، وجيء في وصفهنّ بالقبض بصيغة المضارع لدلالة الفعل على التجدد، أي: ويجدّد في قبض أجنحتهّن في خلال الطيّران للاستعانة بقبض الأجنحة على زيادة التّحرك عندما يُحسِسْن بتغلّب جاذبية الأرض على حركات الطيّران»[2].

سورة الزخرف: سميت كذلك لورود هذه الكلمة بقوله تعالى: ﴿ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

سورة الدخان: كذلك لقوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[4]، جاءت فيه السورة مسماة بما ورد في الآية العاشرة من السورة برسالة وعيد وجهت للكفار الذين يهزأون بآيات الكتاب أولا ثم توعدتهم ثانيا باليوم الذي ينتشر فيه من جانب السماء دخّان عظيم يملأ الجو ويغشى الناس ويشعر الكفار يومئذ بما هو واقع عليهم من عذاب الله الأليم، فيلجأون إليه لكشفه عنهم ويعلنون بأنهم مؤمنون [5].

---

[1]–خالد قاسم ، بن دومي: دلالات الظّاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث إربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2006، ص228.

[2]– ابن دومي: المرجع السابق، ص229.

[3]– سورة الزخرف، الآية: 35.

[4]– سورة الدخان، الآية: 10.

[5]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص114.

سورة الأحقاف: يقول البقاعي: «وعلى ذلك دلّت تسميتها بالأحقاف الدّالة على هدوء الرّيح وسكون الجو بما دلّت عليه قصة هود عليه الصلاة والسلام من التّوحيد وإنذارهم بالعذاب دنيا وأخرى، ومن إهلاكهم وعدم إغناء ما عبدوه عنهم ولا يصح تسميتها بهود ولا تسمية هود بالأحقاف لما ذكر بالمقصود بكل منهما»[1].

سورة الفتح: لقوله تعالى في بداية السورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[2]، ارتبطت هذه التسمية بالفتوحات الإسلامية وقد «اختلف في تعيين هذا الفتح، فقال الأكثر هو صلح الحديبية، والصلح قد يسمّى فتحا ... وقيل فتح مكّة، أو فتح خيبر»[3]، وقد كانت هذه السورة من أحب السور إلى قلب رسول الله ﷺ حيث قال: «لقد أنزلت عليّ سورة أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا ...﴾ »[4].

سورة الذاريات: ربط الشوكاني اشتقاق الكلمة بقوله: «يقال ذرت الرّيح التراب تذروه ذروًا، وأذرته تذريه ذريًا، أقسم الله سبحانه بالرّياح التي تذري التّراب...» [5]، يقول البقاعي: «واسمها الذاريات ظاهر في ذلك بملاحظة جواب القسم لشدة الارتباط كالآية الواحدة وإن كان خمسا، والتعبير عن الرّياح بالذاريات أتمّ إشارة إلى ذلك، فإنّ تكذيبهم بالوعيد لكونهم لا يشعرون بشيء من أسبابه وإن كانت موجودة معهم كما أن ما يأتي من السحاب من الرحمة والنّقمة أسبابه موجودة، وهي الرّياح وإن كانوا لا يرونها، والرّيح من شأنها الذّرء وهو التفريق، فإذا أراد الله جمعت فكان ما أراد»[6].

وتشير دراسة أخرى إلى أنّ الذّاريات «كناية عن الرّياح التي تذرو التراب أي

---

[1]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص55.

[2]–سورة الفتح، الآية: 1.

[3]–محمد عزة دروزة: المرجع السّابق،ج5، ص240.

[4]–إبراهيم حسن: التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب، 1985، ص675.

[5]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص101.

[6]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص269.

تثيره وتحركه»[1].فمحور السورة هو الرّياح.

سورة الواقعة: قال الغزالي في هذه السورة «والواقعة من أسماء شتّى ليوم القيامة مثل الحاقة والقارعة والساعة، ومعالم هذه السورة واضحة، فهي تبدأ بحديث وجيز عن انتهاء العالم وبدء الحساب، ثم تذكر صنوف النّاس بعد البعث...»[2]، يقرّ أغلب الدارسين أنها سميّت كذلك لمفتتحها ويقول البرسوي هي: «من أسماء القيامة كالصّاخة والطّامة والأزفة»[3]. وكلمة الواقعة «وصف للحادث الخطير، وهنا كناية عن يوم القيامة»[4].

سورة الحديد: أجمع المفسرون أنّ هذا الاسم مردّه إلى الآية الكريمة التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[5] ،إذ يعد الحديد من أهم المعادن التي التي ذكرت في القرآن الكريم، والحديد كلمة «تشير مباشرة إلى القوة المادية التي تكمن وراءها النهضة القوية على حسب طبيعة كل نهضة مقصودة ما بين عتاد وعدّة...»[6]، وعدّة...»[6]، فما الحديد إلّا معدن من المعادن يمثل وسيلة من وسائل القوة، كما فيه منافع أخرى للناس.

سورة المجادلة: لقوله تعالى: ﴿تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[7] ، يقول البقاعي: «وعلى ذلك دلّت تسميتها بالمجادلة بأوّل قصتها وآخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية»[8]، والمرأة

---

[1]–محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص166. نقلا عن أحمد رحماني: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، منشورات جامعة باتنة، 1998، ص35.

[2]–البرسوي : المصدر السابق، ج9، ص288.

[3]–الجابري، سيف بن راشد: أسماء السورة القرآنية دلالات وإشارات، ط1، 2002، ص393.

[4]–محمد عزة دروزة: التفسير الحديث، ج5، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962، ج5، ص290.

[5]– سورة الحديد، الآية:25.

[6]– محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ج3، ص100.

[7]–سورة المجادلة، الآية: 1.

[8]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص477.

المقصودة ها هنا هي خولة بنت ثعلبة التي جاء في الأثر أن عمر بن الخطاب قد توقف حيث استوقفته بينما كان يسير مع الناس وتحدث وأصغى إليها، وعندما سأله رجال قريش عن هذه العجوز قال: «هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عنّي إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها»[1].

<u>سورة الجمعة</u>: سارت التّسمية هنا ضمن بعد دلالي اتفق عليه عامة المفسّرين، ذلك أنّ هذا اليوم هو يوم المسلمين الذي يتميّز عن سائر الأيام بعبادة "صلاة الجمعة" يقول البقاعي: «واسمها الجمعة أنسب شيء فيها لهذا المقصد(...) وهو الجمعة التي اسمها مبيّن للمراد منها من فرضية الاجتماع فيها وإيجاب الإقبال عليها وهو التّجرد عن غيرها والانقطاع لما وقع من فريضة الاجتماع فيها وإيجاب الإقبال عليها»[2].

<u>سورة المنافقون</u>: أقرّ ابن عربي بأنّ سبب التّسمية إنمّا مرتبط بـــ« أنّهم آمنوا بالله بحسب بقية الفطرة، والاستعداد (ثم كفروا) أي، ستروا ذلك النور بحجب الرّذائل، وصفات نفوسهم»[3]، وهذه السورة جاءت جملة شديدة على هذه الفئة البشرية التي لا تبطن ما تظهر ذلك أن المنافق «يدخل في الإسلام بلفظ ويخرج منه بالعقد»[4].

<u>سورة التغابن</u>: اتفق المفسرون على أنّ هذه التّسمية إنمّا مرتبطة ببداية السورة بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾[5]، رأى الشوكاني أن التغابن من أسماء يوم القيامة[6]، القيامة[6]، في حين روى السيوطي ما يلي: «قيل في معناه: إنّ الإنسان يأتي يوم القيامة، وقد جمع مالا، ولم يعمل فيه خيرا، فأخذه وارثه بسهولة، من غير مشقّة في

---

[1]–ابن قتيبة: المصدر السابق، ص721.

[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج7، ص590.

[3]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص648.

[4]–ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هــ): تفسير غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1978، ص29.

[5]–سورة التغابن، الآية: 9.

[6]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص295.

جمعه، فأنفقه في وجوه الخير، فالجامع مُحاسب معذّبٌ مع تعبه في جمعه، والوارث منعّم مثاب، مع سهولة وصوله إليه، وذلك هو التّغابن»[1].

<u>سورة نوح</u>: سميّت نسبة إلى نوح –عليه السلام– أرجع الفيروز آبادي التّسمية إلى مفتتحها ومختتمها، أما البقاعي فقد قال فيها: «وتسميها بنوح –عليه السلام– أدلّ ما فيهما على ذلك، فإنّ أمره في إهلاك قومه بسبب تكذيبهم له في ذلك مشهور ومقصوص في غير ما موضع»[2].

<u>سورة المزمل</u>: سميّت أيضا لمفتتحها أي: «المتزمّل في ثوبه وذلك على سبيل الاستعارة كناية عن المقصّر المتهاون بالأمر وتعريضا به، والزّميل الضّعيف»[3]؛ بمعنى الالتفاف بالثوب.

<u>سورة المدثر</u>: لافتتاحها بها «أصله المتدثّر فأدغم وهو المتدرّع دثاره، يقال دثّرته فتدثّر، والدّثار ما يتدثّر به»[4]، «المدثر: المتدثّر أي المتلفف بدثاره أو غطائه»[5] ؛ أي أحكم غطاؤه فلا يظهر منه شيء.

<u>سورة القيامة</u>: قيل سميّت بهذه التّسمية لقوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [6] «جمع بين القيامة والنّفس اللّوامة في القسم بهما تعظيما لشأنهما، وتناسبا بينهما»[7].

<u>سورة المرسلات</u>: لمفتتحها قال جمهور المفسّرين هي الرّياح، وقيل هي الملائكة، وبه قال مقاتل وأبو صالح والكلبي، وقيل هم الأنبياء»[8].

---

[1]–السيوطي: المرجع السابق، ص140.
[2]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص162.
[3]–الراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المصدر السابق، ص215.
[4]–الراغب الأصفهاني: المصدر السابق، ص165.
[5]–محمد عزة دروزة: المصدر السابق، ج1، ص90.
[6]–سورة القيامة، الآية: 1.
[7]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص377.
[8]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص441.

سورة المطفّفين: يؤكد ابن عربي أن هذه التّسمية ارتبطت بمفتتح السورة، ودلالتها تعبير عن «الباخسين حقوق الناس في الكيل، والوزن»[1]، قال عنها سيد قطب أنها جاءت لتصوير قطاع من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه في مكة، إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب، وهز المشاعر وتوجيهها إلى هذا الحدث الجديد في حياة العرب والإنسانية جمعاء[2]، وسورة المطففين «اسم حمل معنى التعامل التعامل الأخلاقي في الأخذ والعطاء فدلّت محتويات السورة على اسمها الذي أشار إلى دلالات الأسماء في الأخلاق والتي من أهم مرتكزاتها التعامل بين الناس في الأخذ والعطاء سواء عن طريق التجارة والقروض أو غيرهما»[3]، ولأسماء السورة القرآنية دلالات وإشارات، فالتّطفيف هنا يمثل ظاهرة اجتماعية وأخلاقية سيئة وضع عنوانا لها لأجل أهمية علاجه من جهة، إذ ارتبطت بالموزون والتكييل، ولأجل ارتباطه بسياق الحقوق والواجبات بين المتعاملين التي تخضع لشروط تحكمها من جهة ثانية، وهذا بهدف السّير الحسن لمسار العلاقات الإنسانية.

سورة البروج: سميت لمفتتحها، قال السيوطي عن البروج والطارق «هما متآخيتان فقُرنتا، وقُدّمت الأولى لطولها، وذُكرا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء، ولهذا ورد في الحديث ذكر السماوات مرادا بها السور الأربع، كما قيل المسبحات»[4]. وهذه السور هي (الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق).

«البرج: من البروج وهو الارتفاع والبروز؛ ثم صار يطلق على القصر العالي وعلى القلاع والحصون، وتطلق على المدارات السماوية التي يدور فيها القمر أو الشمس أو الكواكب السيارة على ما كان معروفا في وقت نزول القرآن»[5]، ويبدو أن هذه السورة كانت من السور المحبوبة لرسول الله ﷺ فقد أدرج الطاهر بن عاشور:

---

[1]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص777.

[2]–سيد قطب، في ضلال القرآن، ج6، ص3854.

[3]–ينظر:محمد عزة دروزة: التفسير الحديث، ج1، ص90. والجابري،المرجع السابق، ص525.

[4]–السيوطي: المصدر السابق، ص149.

[5]–محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ج1، ص251.

«أنّ الرسول ﷺ أمر أن يقرأ في العشاء بالسماوات، أي السماء ذات البروج والسماء والطارق فجمعهما جمع سماء وهذا يدل على أنّ اسم السورتين: سورة السماء ذات البروج، وسورة السماء والطارق»[1].وهذا يدلّل على أنّ السّورتين تنتميان إلى حقل دلاليّ واحد، لأنّهما تبدآن بالقسم بالسماء، وهي إحدى عجائب هذا الكون.

سورة الطارق: سميت لمفتتحها كما أورد الطاهر بن عاشور[2]، وقد أقسم الله بالسماء والطارق، يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفي بالنّهار (...)، قال الفراء: «الطارق النّجم لأنّه يطلع بالليل، وما أتاك ليلا فهو طارق»[3]، وهنا اختلف الدّارسان في تحديد دلالة الكلمة من حيث عموم رأي الطاهر بن عاشور، وتخصيص الفرّاء، ومن خلال ما توصّلت إليه الدّراسات العلمية الحديثة في علم الفلك فإنّ رأي الفرّاء هو الأقرب إلى الّصّحة، لأنّ الطّارق هو نجم واحد، وليس مجموعة نجوم.

سورة الغاشية: قال عنها ابن عربي أنها «الدّاهية التي تغشى النّاس بشدائدها، أي القيامة الكبرى، التي تغشى الذوات وتفنيها بنور التجلّي الذاتي، فينكشف الناس يوم إذا غشيت على من غشيته، منقسمين أشقياء وسعداء»[4]، وقيل: «الغاشية النّار تغشى وجود الكفار»[5]، أما البقاعي فقال عنها أن مقصودها إنما جاء شرحا لما في آخر (سبح) من تنزيه للمولى عز وجل [6]. ونميل إلى الرّأي القائل بأنّها النّار، وذلك لأنّ السورة تفرّدت بالحديث عن الدار الآخرة وتأكيد حصولها والتي تبدأ بالغاشية هذه النّار التي تغشى الكافرين.

سورة الفجر: سميّت لمفتتحها، قال البقاعي: «وأدلّ ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النّهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات

---

[1]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص257.
[2]–المصدر السابق، ج30، ص236.
[3]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص521.
[4]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص799.
[5]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص536.
[6]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص404.

وانبعاث النّيام من الموت الأصغر»[1].والفجر ميقات زمنيّ فارق بين ظلمة اللّيل وضياء النّهار، تنطلق معه أولى الصّلوات المكتوبة، وتبدأ معه الحياة.

سورة الشمس: سمّيت لمفتتحها، عبّر عنها ابن عربي بقوله: «أقسم بشمس الروح وضوئها المنتشر في البدن الساطع على النّفس»[2].جاء تفسير ابن عربي صوفيا، وعدّ الشمس روحا تلقي بأشعتها على ظلمة الجسد ، فيخرج من عالم إلى عالم أجمل. ونخالفه الرّأي في هذا الطّرح ، لأنّ الشّمس في السورة جاءت بمعناها الحقيقي وهو الكوكب الحارق ، النّيّر الذي يضيء في النّهار، فتستمتع الكائنات بدفئها، وتخرج الأرض زرعها فيستفيد منها الإنسان في حياته، وهي مسخّرة لإسعاده.

سورة الليل:قال ابن عربي: «أقسم بليل ظلمة إذا ستر نور الرّوح»[3].

سورة الضّحى: لمفتتحها، قال ابن عربي: «أقسم بالنّور والظلمة الصّفة القارة على حالها، اللّذين هما أصل الوجود الإنساني»[4].هذه صورة أخرى من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مشهد حركة الأرض وتعاقب اللّيل والنّهار، وما الضّحى إلاّ بداية لإشراقة النّهار، فيه معيشة الإنسان ، وكدحه ، وعمله.

سورة التين: تشير الدراسات إلى أنّ "التين" و"الزيتون" جبلان بالشام، يقال لهما «"طور تينا، وطور زيتا" بالسرّيانية، سميّا بالتين والزيتون: لأنهما ينبتانهما»[5]، بينما ترى فئة أخرى بأنّهما من المنتوجات الزّراعية التي يحتاجه الإنسان، وهي ذات قيمة غذائية فعّالة لنمو جسم الإنسان نموّا صحّيا.

سورة القدر: قال عن هذه السورة "ابن قتيبة" أنها سميت ليلة القدر بهذه التسمية بمعنى «ليلة الحكم. كأنّه يقدّر فيها الأشياء»[6]، وقد قيل أنها سميّت بهذه التسمية «لأنّ الله سبحانه يقدّر فيها ما شاء من أمره إلى السّنة القابلة، وقيل إنها سمّيت بذلك لعظيم

---

(1)–المصدر نفسه، ج8، ص413.

(2)–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص811.

(3)– المصدر نفسه، ج2، ص815.

(4)–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص819.

(5)–ابن قتيبة: المصدر السابق، ص532.

(6)–المصدر نفسه، ص534.

قدرها وشرفها»[1]، وقيل سمّيت به لتكرار لفظ (القدر)،وهي اللّيلة التي نزل بها القرآن، فيها ينزل الملائكة ويسلّمون على المؤمنين من أهل الأرض حتّى مطلع الفجر.

سورة الزلزلة: سمّيت بهذه التّسمية لأنها تصور ذلك اليوم العظيم الذي لا ينفع فيه لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم تزلزل الأرض زلزالها وتخرج الأرض أثقالها، ويتساءل الإنسان ما لها؟ ذلك هو يوم القيامة الذي سيكون فيه الحساب. وأرجعت تسميتها بهذا الاسم إلى مفتتحها .

سورة العاديات: «العاديات جمع عادية، وهي الجارية بسرعة، من العدو: وهو المشي بسرعة، فأبدلت الواو ياء لكسر ما قبلها كالغازيات من الغزو...»[2]، والعاديات هي: «الخيل والضبْحُ: صوت حلوقها إذا عدت وكان عليّ ﷺ يقول: «هي الإبل تذهب إلى وقعة بدر»[3]. ولكن الأكثر شهرة هي الخيل، لأنّ عدوها أسرع من الإبل.

سورة القارعة: قال ابن عربي هي: «الدّاهية التي تقرع الناس وتهلكهم، وهي إمّا القيامة الكبرى، أو الصغرى»[4]. وهو كلام مقبول لأنّ السورة تحكي عن أهوال يوم القيامة.

سورة التكاثر: قال الرّسول ﷺ عن فضلها: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر»[5]، فالرسول ﷺ هنا قد أسماها بمبتدئها لا بالرجوع إلى عنوانها عنوانها المعروف(التّكاثر) ، وقد قال ابن عربي عن دلالة تسميتها أنها جميع «اللّذات الحسّيّة، والخيالية الفانية، من نعيم الحياة الدنيا»[6]، وهذا كلام مقبول مادامت السّورة تقدّم تشكيلة من المظاهر الدّالّة على الفناء الإنسانيّ في الملذّات التي ستجعل خاتمته خسران الدّنيا والآخرة.

---

[1]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص593.

[2]–المصدر نفسه، ج5، ص606.

[3]–ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، ص535.

[4]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص843.

[5]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص615.

[6]–ابن عربي: المصدر السابق، ج2، ص847.

سورة الفيل: نسبة إلى أصحاب "الفيل" هذا الحيوان الذي جيء به قصد تهديم الكعبة المشرّفة فحماها المولى عز وجل ببعث طير أبابيل قضت على المشركين.

سورة قريش: وذلك لذكر قريش فيها «وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة بإظهار شرفهم في الدّارين»[1].وهذا لأنّهم قوم الرسول الكريم، الذين ذكرت أُلْفتهم فيها كما قال الفيروزآبادي[2] .

---

[1]–البقاعي: المصدر السابق، ج8، ص533.

[2]–الفيروزآبادي: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، المصدر السابق،ج1، ص545.

المبحث الثاني

العناوين في القرآن الكريم ومجالاتها الدلالية

مدخل:

انطلاقا من أنّ العنوان يمثل وحدة لغوية معرفية وثيقة بالنّص من اليسير إدراكها عند أول وهلة، فإنّ سياق هذا المبحث يدور في فلك تحديد الحقول الدّلالية المختلفة للعناوين الواردة في الخطاب القرآني، وهذا بعد أن وقفنا في المبحث السابق عند تصنيف دقيق للسور التي عُرفت بعنوان واحد، وتلك التي تعدّدت تسمياتها، بدءا بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس، كما سيحاول من ناحية أخرى تقصّي وتحديد طبيعة دلالات العناوين، وتحديد طبيعة العلاقات الدلالية التي تربط بعضها ببعض، ولمعرفة العلاقة القائمة بين العنوان ونصّه .

أوّلا: من التّسمية إلى العنونة:

بدءا قبل أن نقف عند الحقول العنوانية التي مثّلت مداخل وعتبات لافتتاحية السور القرآنية، علينا أن نوضّح نقطة مهمّة بخصوص الاختيارات الاسمية التي كانت تسِم السور، والتي أقرّها اللغويون والمفسّرون والبلاغيون على اختلافها، فقد توصلنا إلى أنها كانت متّصلة بشكل مباشر بجملة من الشّروط التي يجب تحقّقها عند تحليل العناوين ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

-أن تكون التّسمية صفة من الصّفات، التي توصف بها السورة، وعليه فهي اسم واصف لها.

-أن تكون التّسمية ذات علاقة مباشرة بمضمون السورة مثل: مريم، الكهف، البقرة.

-أن تكون التّسمية ذات ارتباط مباشر بلفظ تكرّر عدّة مرات في السورة، وعليه سميت به.

إنّنا من خلال هذا التحليل سنقف عند مبررات وعلاقات أخرى لم يذكرها القدماء من الدّارسين، وسنحاول إضاءة بعض الزّوايا التي لم ينتبهوا إليها رغم اجتهاداتهم المتواصلة في هذا الحقل من الدراسات القرآنية، مجالنا إذن هو البثّ في خصوصية الأسماء المتفق عليها، والتي جاءت توقيفا من الرّسول ﷺ فأطلقنا عليها مصطلح

(العنوان)، وهي التي يقرأها النّاس في المصاحف وقد قيّدت منذ أزمنة طويلة، وسنطلق مصطلح (اسم السورة) على تلك التّسميات التي هي من باب الاجتهاد من طرف الصّحابة والتابعين؛ ومن استنباط بعض العلماء المتأخرين.

سننطلق إذن في هذه الدّراسة من "العنوان" باعتباره مركز الثّقل و«انشغالا لا يغفل عنه دارس، وعتبة أمٍّ في رؤية الخطاب»[1]، وحتى تتعمق الرّؤية أيضا نحن بحاجة إلى معرفة خصائصه ودلالاته ما دام يمثل «رسالة لغوية تعرِّف بتلك الهويّة وتحدّد مضمونها، وتجذب بالقارئ إليها، وتغريه بقراءتها، وهو الظّاهر الذي يدلّ على باطن النّص ومحتواه»[2].فالعنوان هو أوّل تأشير على النّصّ يكون لنا مفتاحا لمعرفة خبايا وآفاق النّص.

وبما أنّ عناوين السور المقيّدة في المصاحف الشّريفة تقوم على استراتيجية الإيجاز والتنويع الدّلالي بعيدا عن الطّول والتركيب، فقد مثّلت معبرا للنّص والسور القرآنية؛ إذ مثل العنوان في ذلك «خطابا معنونا (Intitulant)، وسمة (Marque) النّص –لأنّه يسم ويوسم في الآن نفسه– فإنّه يعبّر بمثابة الحالة المدنية للنّص»[3]،وهذا لأنّ جزءا من النّص أو جلّه يمكن استخلاصه من هذا الخطاب المصغّر، لنتعرف بعدها على القوانين التي تحكم النّص من خلال عناوينه.

---

[1]–أحمد مدّاس: لسانيات النّص –نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري–، جدار الكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ط1، ص40.

[2]–رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث –دراسة في المنجز النّصي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص116–117.

[3]–عبد النبي ذاكر: عتبات الكتابة –مقاربة لميثاق المحكي الرّحلي العربي، دار وليلي، أكادير، المغرب، ط1، 1998، ص13.

ثانيا-أنماط العناوين عند بعض الدّارسين المحدثين

لم نجد في دراسات المحدثين وجهودهم عملا دقيقا حاول استقصاء أنماط العناوين وحقولها الدّلالية في الخطاب القرآني؛ إنمّا اتّسمت أعمالهم بتكرار ومطابقة بعض الرؤى التي تقدّم بها الدارسون في القديم، وهو مؤشر على أنّ البحث في عناوين السور لم يلق الاهتمام الكافي، إلاّ أنّ هذا لا ينفي جدّية بعض الدراسات المعاصرة التي حاولت تصنيف العناوين وفق معايير معيّنة، إلاّ أنّها رغم جوانبها المحمودة تفتقد إلى الدّقة العلمية، وجانبتها الموضوعية في بعض المواطن كما ابتعد أصحابها عن الرؤية المنهجية عندما ضيّقت بالسيّر خلف ما توصل إليه الباحثون القدماء في مجال التّسمية.

سنعرض بعض النّماذج منها لتقييمها، والانطلاق منها ثمّ تجاوزها. نمثل لذلك بكتاب المنظار الهندسي للقرآن الكريم لصاحبه خالد فائق العبيدي، الذي قسّم أسماء السور إلى أحد عشر نمطا، حيث برّر تسميّة السور بهذه العناوين بظهورها في موقع معيّن من السّورة، يدور أكثرها في أوّل أو وسط أو خاتمة الآية الأولى من السورة، وقد يتعداها إلى الآية الثانية أو الثالثة، وربّما قد يصل إلى الآية الأخيرة من السورة[1]، إلاّ أنّ هذا الاختيار في التبويب هو اختيار غير صائب، إذ نردّ عليه باسم موسى عليه السلام الذي لم يحظ اسمه بأنّ يكون عنوانا لأيّ سورة قرآنية على الرغم من ظهور اسمه مكررا في عدّة سور، كما أن قصته مبثوثة في أغلب المواطن من السور الكريمة.

ويمكن تلخيص ما ذهب إليه الباحث في الجدول الآتي:

[1]-ينظر: خالد فائق العبيدي: المنظار الهندسي للقرآن الكريم، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط3، 2009، ص115 وما بعدها.

الجدول رقم (2): مبررات التسمية عند خالد فائق العبيدي

مبررات التّسمية	بعض النماذج من السور	عدد السور	مبررات التّسمية	بعض النماذج من السور	عدد السور
ورود الاسم في فاتحة السورة	العصر القارعة العاديات الضحى	16	كلمة وسطية في ثاني آية في السورة	النبأ النساء الحشر محمدﷺ	04
وروده في آخر أول آية في السورة	النّاس الفلق الكافرون	24	كلمة وسطية في ثالث آية في السورة	فصلت النساء	02
في آخر الآية الثانية في السورة	الحاقّة الرّوم	02	ورود اسم السورة مرة واحدة فيها	سبأ فاطر الزخرف	09
في آخر آية في السورة	الناس الماعون	02	ورود اسم السورة مرتين	الأعراف القصص العنكبوت المجادلة	04
في آخر ثالث آية في السورة	المعارج الحاقة	02	ورود اسم السورة ثلاث مرات	الأحزاب الواقعة	02
كلمة وسطية في أول آية في السورة	النصر الهمزة الجن	19			

الملاحظ من هذا الجدول أن عدد السور المدروسة هو ستّ وثمانون سورة، والسؤال هنا ماذا عن السور غير المذكورة هل افتقد فيها التكرار فأقصيت من المجموع؟ كما أنّ تصنيف بعض السور في خانتين، أو ضمن زمرتين أمر يدعو إلى الالتباس، ويشكك في مصداقيّة الدّقة التي كان يجب الالتزام بها في التصنيف، فكيف أن تدرج سورة الحاقة الصنف الثالث وفي الصنّف الخامس في الآن ذاته؟ وكذا بالنسبة لسورة النساء، فقد وردت في النّمطين السابع والثامن على التّوالي: وتظهر سورة النّاس

في الصنّف الثاني والرّابع على التوالي، وهذا من الناحية المنطقية مرفوض ويحتاج إلى إعادة نظر، حتى تكون الدّراسة أكثر شمولية وأيسر استيعابا من القارئ.

أمّا الدراسة الثانية التي تقدم بها الباحث آدم بمبا في كتابه: «أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته معجم موسوعي ميسّر»، فقد التزمت الدقة إلى حدّ بعيد، حيث وفّق صاحبها في تقسيم عناوين السّور إلى حقول كبرى وعددها ثلاثة هي: (الاعتقاد والعبادة، في الظواهر الكونية والطبيعية، في الظواهر الاجتماعية والعقارية)، إلاّ أنّنا نرى أنّه لم يوفّق في التقسيمات الجزئية لهذه الحقول، كأن يجعل أسماء الله الحسنى ضمن حقل الاعتقاد والعبادة، وهو ما رأينا له تصنيفا مخالفا في دراستنا.

وعلى الرغم من هذا، فقد وفق الباحث في نظرته العامة لمضامين السور وعناوينها من حيث إن الخطاب القرآني يدعو إلى التأمل في مخلوقات والنّظر إليها والاعتبار بها وهذا سياقه «شمول نظرة القرآن إلى الكون حيث يحتلّ كل مخلوق فيه محلا خاصا، ويحظى باهتمام وميزان دقيق من لدن خالقه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء»[1]، ويمكن تلخيص نظرة الباحث في الجدول الموالي:

الجدول رقم (3): تصنيف السور عند آدم بامبا

الصنف الأول في الاعتقاد والعبادة	الصنف الثاني في الظواهر الكونية والطبيعية	الصنّف الثالث في الظواهر الاجتماعية والحضارية
1-أسماء تشير إلى المغيّبات وقيام الساعة والقيامة: الأعراف، الإسراء، الجاثية، الحشر، التّغابن، الحاقة، المعارج، القيامة، النبأ، الغاشية، القدر، القارعة الكوثر.	**1-مظاهر الطبيعة المختلفة:** الرّعد، الزّخرف، الدّخان، الطور، النّجم، القمر، المعارج، المرسلات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، اللّيل، الضحى، الفلق. **2-وقائع طبيعية مهولة عن**	**1-الأمم والأقوال:** آل عمران، الحجر، يس، بني إسرائيل، الروم، الأحقاف، قريش. **2-فئات اجتماعية:** (النساء، المؤمنون، الشعراء، الأحزاب، الزّمر، المنافقون، الكافرون، المطففين، النّاس).

[1]-آدم بمبا: أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته -معجم موسوعيّ ميسّر، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 2009، ص ص99-100.

2-العبادة وسائلها وفروعها: التوبة، الحج، الفرقان، السّجدة، الجمعة، القدر، الإخلاص. 3-أسماء الله الحسنى وصفاته العليا: النّور، فاطر، غافر، الرحمن، الملك، الأعلى، وفواتح السور لمن يفسرها على أنها أسماء الله. 4-الحروف المقطعة: طه، يس، ص، ق.	فناء الكون وقيام الساعة: الدّخان، الواقعة، الحاقّة، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الغاشية، الزلزلة، القارعة. 3-الأحياء والدّواب: البقرة، الأنعام، العنكبوت، النحل، النّمل، الفيل.	3-شخصيات: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، مريم، لقمان، محمد ﷺ، نوح. 4-أفعال ووقائع اجتماعية: الأنفال، الشعراء، القصص، الشورى، المجادلة، الممتحنة، الصّف، الطلاق، التحريم، عبس، الهمزة، التكاثر. 5-مظاهر التمدن وظواهر حضارية عمرانية: المائدة، الحديد، الحجرات، القلم، المزمّل، المدثر، الماعون، البلد، المسد.

إن هذين الجهدين من الدّراسات الحديثة يحتاجان إلى تعميق النّظر في تبويب العناوين واستخلاص دلالاتها قريبا من بعض الزوايا الإيجابية الموجودة في الإرث اللّغوي عند القدماء، هؤلاء الذين نظروا إلى السورة القرآنية نظرة شمولية باعتبارها في الأصل مجموعة موضوعات جزئية تلاحمت لبناء الموضوع العام فيها، فالمفسّرون مثلا أقرّوا بترتيب الموضوعات وتلاصقها ضمن تنظيم معيّن حتّى خلصوا إلى أنّ هذا الخطاب «مبنيّ بطريقة محبوكة جدا، وأنّ الموضوع الرئيسي للسورة يتفرّع إلى موضوعات، وأنّ هذه الموضوعات تتلخّص كلما تقدّمنا في قراءة النّص»[1] لهذا نجد القدماء من المفسرين ركزّوا على فكرة إدراج جملة من المبرّرات للتّسمية ذكرناها سابقا، أضاف إليها الطّاهر بن عاشور عنصرين اثنين هما:

-لذكر في السورة كان أوفى.

-الاشتراك في الوصف يعدّد التّسمية.

---

[1]-خلود العمّوش: الخطاب القرآني – دراسة في العلاقة بين النّص والسياق، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن/ عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص256.

يقول في هذا المقام: «واعلم أنّ أسماء السور، إمّا أن تكون بأوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد، وإما أنّ تكون بالإضافة لشيء اختصت بذكره نحو سورة لقمان وسورة يوسف، وسورة البقرة، وإمّا بالإضافة لما كان ذكره فيها أوفى نحو سورة هود وسورة إبراهيم، وإمّا بالإضافة لكلمات تقع في السّورة نحو سورة براءة، وسورة حم عسق، وسورة حم السجدة، كما سمّاها بعض السلف، وسورة فاطر، وقد سمّوا مجموع السّور المفتتحة بكلمة حم (آل حم)، وربّما سمّوا السورتين بوصف واحد، فقد سمّوا سورة الكافرون وسورة الإخلاص المقشقشتين»[1].

لقد حاول الطّاهر بن عاشور أن يشير إلى بعض الأنماط الدّلالية التي يمكن تصنيف زمرة من السّور ضمن مجالاتها لتمييز مجموعة دون أخرى، إذ وضح فكرة الاشتراك اللفظي في التّسمية في الجزء الأخير من مقولته: «وقد سمّوا مجموع...» حيث يمكن لمجموعة من السور أو سورتين فقط أن تطلق عليها التّسمية نفسها، كما هي الحال في الحواميم لكل السور المبدوءة بـــ(حم)، والمقشقشتين لسورتي الكافرون والإخلاص، ليكون بذلك قد نوّه بأهمية معالجة العلاقات الدّلالية للعناوين بطريق غير مباشر في تحليله.

وفي ضوء ما تقدّم من بعض الآراء التي بحثت في أنماط السور القرآنية من قدماء ومحدثين، ستحاول الدّراسة أن تقدم تبويبا تراه دقيقا ومفصّلا حول أهم الأنماط الواردة في الخطاب القرآني مع تبيان مفصّل للعلاقات الدّلالية القائمة بين هذه العناوين.

---

(1)–ابن عاشور، محمد الطّاهر: تفسير التّحرير والتّنوير، دار سحنون للنّشر، تونس،(د.ط)، 1997، ج1، ص91.

ثالثا: العناوين في الخطاب القرآني؛ حقولها ودلالاتها

سار الخطاب القرآني في وضع عناوين السور ضمن مجالات دلالية متعددة، وهذا لغرض تمييزي ييسر على مستقبليه فهم معانيه المختلفة، كما عبّر عن ذلك "الطاهر بن عاشور" بقوله: «وفائدة التّسمية أن تكون بما يميّز السورة عن غيرها»[1]، لأنّ العنوان هو الفكرة التي تلخّص النّص، كما جاء في جهود الدارسين اللسانيين المحدثين، وعبّر عنها جون كوهين قائلا أن العنوان مظهر من مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي «فالنّص إذا كان بأفكاره المبعثرة، مسندا، فإنّ العنوان، مسند إليه، فهو الموضوع العام، بينما الخطاب النّصي، يشكل أجزاء العنوان، الذي هو بمثابة فكرة عامّة أو محورية، أو بمثابة نصّ كلّى»[2].وهذا لأنّ العنوان يعمل على بناء الفكرة العامة التي يتأسس عليها النّص، حيث إنّها قد تكون عبارة عن شخصية صالحة تقدّم نموذجا للتّقليد والمحاكاة، أو ميقاتا زمنيا مهمّا وجب الاهتمام به وهكذا.

إنّ هذا الطّرح عند "كوهين" تمثّلته جهود "الزّرقاني " في مباحثه القرآنية، حينما تحدث عن ذلك الرّبط المنطقي بين الآيات المكيّة والآيات المدنية داخل السورة الواحدة، دون إحساس القارئ بأي تفكك أو خلل دلالي، لهذا شبّه القرآن بقوله: «سلسلة واحدة محكمة متصلة الحلقات، أو عقدا رائعا أخاذا منتظم الحبّات، أو قانون رصينا مترابط المبادئ والغايات»[3]، وطبيعي والحالة هذه أن تكون العناوين محكمة في وضعها، منسجمة في ترتيبها، متّصلة في دلالتها، فهي علامات لسانية تمييزية مهّمة في تحديد النّصوص ومضامينها، كما تغري القارئ وتدفعه إلى التطلّع إلى مضامين النّص.

من هنا نتساءل ما طبيعة العناوين التي حدّدت مضامين السور القرآنية؟ وما هي دلالاتها؟ هذا ما سنتعرّف عليه من خلال الحقول الدّلالية المستنبطة.

---

[1]–ابن عاشور، محمد الطّاهر: المصدر السابق، ج1، ص90.

[2]–جميل حمداوي: " السيميوطيقا والعنونة "، المرجع السابق، ص97.

[3]–الزّرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1988، ج1، ص217.

الحقل الأول: أسماء الأعلام

أكثر الأسماء حضورا في عناوين السور القرآنية أسماء الأعلام العربية والأعجمية، وهذا طبيعي ما دام الخطاب القرآني مرسل إلى كافّة النّاس عن طريق الرّسل والأنبياء فكان لأسمائهم ولأسماء بعض الصّالحين والصّالحات من النّاس مكانهم في عتبة الدّخول إلى النّص، عددها عشرة أسماء، جلها للأنبياء والرّسل واستثني منها اسمان جاءا لصالحين، رجل يدعى لقمان الحكيم، وامرأة تدعى مريم، أما باقي الأنبياء فهم: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، طه، يس، محمد ﷺ، نوح، آل عمران.

من الألفاظ الأعجمية نجد لفظة (يونس) وهي تعريب للفظة (يونا) العبرية في العهد القديم من (Ienas) (يوناس)، وجاءت في ترجمات الأناجيل العربية (يونان) واشتهرت عند العرب (يونس) بكسر النّون، إلاّ أنّ القرآن الكريم عرّبها فحوّلت إلى (يونس) بضم النّون[1]، وهذا منعا لشبهة فهمها إنّها من الأنس والإيناس، وهذا عدولا من القرآن عن الصّيغتين السابقتين المعروفتين وهما (يُفْعل) اليونانية و(يُفعِل) السريالية.

وانفردت السورة التي تحدثت عن قصص بعض الأنبياء كنوح وموسى بهذا العنوان دون غيره، لما ذكر فيها من قصّة النبي يونس، وقد اعتبر الفيروز آبادي هذه اللفظة هي من الأسماء الأعجمية الممنوعة من الصّرف، عُرفت بثلاث لغات؛ بضمّ نونها، وكسرها وضمّها، كما قال أنّه لفظ: «مشتق وزنه (يُفعل) من آنس يونس إيناسا بمعنى أبصر، قال الله تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [2]، وقيل من الأنس ضد الوحشة، سمّي به لأنسه بطاعة الله، أو لأنّه أبصر رشده في العبادة»[3].وقد سميت السورة بهذه التّسمية، لأنّها انفردت بذكر قصّة قوم يونس الذين أكرمهم المولى عز

[1]–رؤوف أبو سعدة: العلم الأعجمي في القرآن مفسّرا بالقرآن، دار الهلال، المغرب، 1993، ج2، ص185.

[2]–سورة القصص، الآية: 29.

[3]–الفيروز آبادي، المصدر السابق،ج6، ص53.

وجل، إذ أنهم آمنوا بعد أن توعّدهم رسولهم بنزول العذاب فعفا الله عنهم[1]، وقد حظي النّبي يونس عليه السلام بتكريم من النبي محمد ﷺ، فمما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «لا تفضلّوني على يونس بن متّى»[2]، وفي مقام آخر يقول: «من قال أنا خيرٌ من يونس بن متّى فقد كذب»[3]، فهذه شهادة لهذا النّبي بأنّه كان من المكرمين عند المولى عز وجل، لهذا يستحق أن يحظى بأنّ تسمى سورة باسمه.

أما كلمة (يوسف) فهي كلمة معرّبة، عُرفت بكسر السّين في التوراة، بينما يضمها القرآن كما في (يونس)، وردت اللفظة سبعا وعشرين مرة؛ واحدة في الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، وفي آية أخرى من سورة غافر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[5]، أما ما تبقى من تكرار لهذا الاسم وهو (25) خمس وعشرون ورد في سورة غيرهما، وقد سميّت باسمه.

تثلّث لفظة (يوسف) بالحركات الثلاث على السين نظرا لتعدد اللّغات الناطقة بالاسم (يوسُف، يوسِفْ، يوسَف)، وهو اسم أعجميّ غير منصرف لعلّتين، العلمية والعجمة، وقيل أنّه لفظ «مشتق من الأسف، فيوسِفْ بكسر السين يُفعِلُ من آسَفَ إذا أحزن وأهمّ وأغضبَ، لأنّه آسف أباه بفراقه. ويوسَفُ بفتح السّين لأنّ إخوته حزّنوه بفراق أبيه، وقيل: أصله بأسفُ بفتح الياء والسّين، (يَفْعَل) من الأسفِ، لأنّه أسِفَ في

---

[1]–الدّوسري، منيرة محمد ناصر: أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط2، 1429هـ، ص203.

[2]–أخرجه البخاري برواية: "لا يقولنّ أحد أنّي خير من يونس بن متّى».

[3]–أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه في الفتح الكبير.

[4]–سورة الأنعام:الآية 84.

[5]–سورة غافر:الآية 34.

الغربة والمِلكة»[1].

في حين سُمي (نوح) بآدم الثاني وشيخ المرسلين، وهو أوّل نبيّ أرسل إلى قوم كذّبوه فأصابهم عذاب استأصلهم من الدّنيا حتى لم تبق لهم باقية، ولا نسل على وجه الأرض، إذ كانوا عبدة أصنام، ولا يعبدون الله، ويستهزئون بما جاء به نبيّهم[2]. كلمة (نوح) كلمة معرّبة عن (نُو–وَحْ) (Noah) المكوّنة من مقطعين في العبرية، من معانيها التلبّث، الدّعة والسكون، الراحة والاسترواح والتّنعُم[3]، إلاّ أنّ هناك رأي ثان يرى أنّ الكلمة عربية مشتقّة من النّوح «فقيل له نوحا لأنّه أقبل على نفسه باللّوم وناح عليها»[4]، إلاّ أنّ هذا الرأي رفضه أبو حيان لتسليمه بأعجمية الكلمة.

وقد وردت لفظة (نوح) كثيرا في القرآن الكريم من ذلك سورة النساء، والأعراف، والتوبة، ويونس، وهود، وإبراهيم، والإسراء ومريم، والحج وغيرها، إلاّ أنها لم تسمّ باسمه، وقد اختير هذا الاسم عنوانا في هذه السورة لاشتمالها على تفاصيل دعوته وأدعيته[5]، كما سميّت به لذكره فيها قصة قومه في مفتتحها ومختتمها[6]، مصداقا لقوله لقوله تعالى في فاتحة السورة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[7].

ومن الصّالحين الذين ذكروا في القرآن الكريم وسمّيت بهم سورة بأكملها الرجل الصالح (لقمان)، هذا الحكيم الذي كان لسانه يلهج بما طاب من العبر والحكم والمواعظ التي تكون عبرة لمن يعتبر ويبحث عن رضا المولى عزّ وجل من المؤمنين، هو اسم

---

(1)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج6، ص46.

(2)–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص332.

(3)–رؤوف أبو سعدة، المرجع السابق،ج1، ص232.

(4)–الفيروز آبادي:المصدر السابق، ج6، ص26.

(5)–المُهايمي، علي: تفسير تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، مطبعة بولاق، القاهرة، القاهرة، ج2، ص

(6)–الدّوسري: المرجع السابق، ص451.

(7)–سورة نوح،الآية: 01.

عبراني، وقيل سرياني، وهو أعجمي نسب لإحدى اللغتين، ممنوع من الصّرف، لم يكن نبيا إنمّا كان رجلا صالحا «خيّر بين الحكمة والنّبوة فاختار الحكمة على النّبوة»[1]، ورد اسمه في موضعين من التنزيل، وقد سميت سورة لقمان باسمه لاشتمالها على قصته.

(هود) الشائع في هذا الاسم أنّه عربيّ من هاد إذا رجع فهو هائد، والجمع هودٌ، وهو أيضا اسم جنس لليهود «وأضيفت سورة هود إليه لاشتمال على خطاب الله تعالى إيّاه بقوله: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾»[2]. هذا عن الرّأي الأول، بينما يرى الرأي الثاني أنّ اللفظ أعجمي كنوح ولوط ممنوع من الصّرف.

ولم تحمل هذه السورة إلاّ اسما واحدا هو (هود) عرفت به دون غيره من أسماء الأنبياء المذكورين فيها مثل: نوح، صالح، لوط، شعيب، موسى وهارون.

وقد جاء الاسم على لسان الرسول الكريم، فمما رواه ابن عباس قال: «قال أبو بكر ﵁: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات و(عمّ يتساءلون)، و(إذا الشمس كوّرت)» [3]، وقد أشار المفسرون إلى أنّ السورة قد سميّت باسمه لتكرار اسمه فيها خمس مرّات، ولأنّ ما حُكي من أحداث عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها.

كما شرّف المولى عز وجل النّساء بجعل لفظة (مريم) عنوانا لسورة من سور الخطاب القرآني، وهي اسم أعجمي غير متصرّف لأسباب ثلاثة: العُجمة والعَلمية والتأنيث، وقد فُسّر تفسيرين؛ فإمّا أنّه اشتقاق عربيٌّ بمعنى" مرّت ورامت"، أي استخرجت طاعة الله، وطلبت مرضاة الله، أما معنى الاسم في العبرانية فقد فسّر بخادمة الله، وقيل أمة الله، وقيل المحرّرة[4].

---

[1]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج6، ص90.

[2]–المصدر نفسه، ج6، ص96.

[3]–أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة الواقعة)، حديث رقم (3308)، (ج5/402).

[4]– ينظر: الفيروزآبادي: المصدر السابق، ج6، ص109.

عرفت هذه السورة باسمين فقط، الأوّل منهما هو (مريم)، وثانيهما (كهيعص)، والاسم الأول أكثر شهرة، وذلك لاشتمالها على قصّتها كاملة مفصّلة، ومما أعطاها الله من كرامات، كإعطائها الرّزق، وإنجابها دون أن يمسّها إنس، ثم إنطاق الوليد وهو طفل في المهد، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام.وردت في هذه السورة ثلاث مرات، ولكنها وردت في سورة أخرى من القرآن الكريم أيضا[1].

واختلف الدّارسون في لفظة (إبراهيم) التي جاءت عنوانا أيضا، حيث إنّها اعتبرت اسما جامدا غير مشتق عند بعض الدّارسين، وعدّها آخرون اسما أعجميا وفيه لغات منها: «إِبراهَامُ، إبراهُوم، إبْرَاهَمُ، وإبْرَاهِمُ، وأبْرَهَمُ، وإبْرَهم. جمعه إباريه وأبارهةٌ وبَرَاهيمٌ وبراهمةٌ... وتصغيره بُرَيْهٌ»[2].

وقد ورد اسم (إبراهيم) تسعا وستين (69) مرّة في القرآن الكريم، جاء في سورة إبراهيم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[3].

وقد سمّيت السورة باسمه «لتضمنّها قصّة إسكانه ولده إسماعيل بواد غير ذي زرع، وشكره لله تعالى على ما أنعم عليه من الولدين إسماعيل وإسحاق»[4]، ولأنّ الرسول ﷺ هو أشرف المرسلين نراه يحظى أيضا بتسمية سورة باسمه لمقامه وعلو قدره، فسمّي بهذا الاسم في هذه السورة على الرّغم من أنّ له أسماء أخرى، فممّا رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله تعالى أسماني في القرآن سبعة أسماء: محمّد وأحمد وطه، ويس والمزمّل وعبد الله»[5].

---

[1]-ينظر: على سبيل المثال، سورة البقرة (87، 253)، سورة آل عمران آية رقم (36، 37، 42، 45)، سورة النساء آية (156- 171)، المائدة الآيات: (17، 46، 72، 112، 116)، الحديد (27)، التحريم (12) وغيرها.

[2]-ينظر: الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج6، ص32.

[3]-سورة إبراهيم، الآية: 35.

[4]-الدّوسري: المصدر السابق، ص215.

[5]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص5.

ووجه تسميتها بهذا الاسم هو ورود لفظة (محمد) ﷺ في الآية الثانية منها وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾[1]، رغم ورود الاسم في سورة آل عمران متأخّرا في الآية الرابعة والأربعين بعد المائة. وفي سياق تسميتها يقول المُهايمي: «سميّت به لما فيها من أنّ الإيمان بما نزّل على محمّد ﷺ متفرقا، عظم من الإيمان بما نزل مجموعا على سائر الأنبياء (عليهم السلام) وهو من أعظم مقاصد القرآن»[2].

الحقل الثاني: الكون والطبيعة

ارتبط الخطاب القرآني بما تجلّى في هذا الكون من مخلوقات أبدعها المولى عز وجل، وحيّرت الإنسان في رحلته الاستكشافية له، لهذا نراه يقدّس بعض المظاهر الطبيعية فيجعلها عناوين للسور، لأنّ الإنسان يمكن لإيمانه أن يزيد كلما كشف عن مكنونات وعظمة المخلوقات فيه، ولأنّ هذا الأخير تراءت له تلك التّغيرات الكونية فنراه يحار أمامها، ويجتهد قصد فهمها، فعبد بعضها، ولكنه سرعان ما أيقن أن هذه الظواهر آيلة للزوال وأنّ الخالق هو الأعظم.

ومن أشهر المظاهر الكونية والطبيعية التي جاءت عناوين للسور عشرة وهي: (الرّعد، النّور، الذاريات، النّجم، القمر، البروج، الطارق، الشمس، المرسلات، الدّخان)، البعض منها أقسم بها المولى عز وجل تعظيما لها من جهة، وتحسيسا لإمكانية زوالها من جهة ثانية، وهي وسائل وظّفها الخطاب القرآني لتيسير التواصل مع الأقوام الذين يؤمنون بكل ما هو محسوس تدرجا لإدراك المجّردات، وقد علّل الزّرقاني هذا القسم بقوله: «ولا ريب أنّ القسم بالأشياء الحسيّة، يدلّ على تأثر القرآن بالبيئة في مكة، لأنّ القوم فيها كانوا أمّيين، لا تعدو مداركهم حدود الحسيّات، أما بعد الهجرة واتصال محمد ﷺ بأهل المدينة، وهم قوم مثقّفون مستنيرون، فقد تأثر القرآن

---

(1)– سورة محمد، الآية: 2.

(2)–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص276.

بهذا الوسط الرّاقي، وخلا من تلك الأيمان الحسيّة الدّالة على البساطة والسّذاجة»[1].

يقسم المولى –عز وجل– إذن بأشياء عدّدها، ونعم أبدعها، ليرفع من شأنها، كالشمس والقمر والكواكب، والنجم، والطارق، وهذا من باب التعظيم ، وهو مذهب الزّركشي والسيوطي والطبرسي، وأشّر الرّازي في السياق نفسه إلى أنّ الله تعالى ينبّــه عباده دائما بأنّ يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمّنة للمنافع العظيمة، حتى يتحصل الشكر عليها بعد تأمل خصائصها ومنافعها[2]، وهي آيات دالة على الخالق، لهذا نجد فريقا من المفسرين أعربوا عن فائدة هذا القسم، وقالوا أنّه لا يتعدّى الاهتمام بتوحيد الخالق عندما يقدم لنا في فواتح السور ما يتضمنه الكون من بدائع صنعه، وهي طريقة استدلالية لا مناص منها للتذكير بعظمة المخلوقات، فمما أقسم به من الأفلاك مثلا: (البروج، الطارق، الشمس، القمر، النّجم)، وما أقسم به من الهواء والرّيا: المرسلات، الذاريات والدخان، ومن مظاهر الطبيعة: الرّعد، والنّور.

فالقمر مثلا أحد الكواكب المذكورة في القرآن الكريم، التي لم يقسم به في سورة القمر إنما في سورة الشمس، بدأ به في أول آية في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[3]، جاء هذا العنوان إيذانا بتصوير مظاهر اقتراب الساعة وانقضاء الدّنيا، فقد سأل أهل مكّة آية من آيات الإعجاز، فأراهم المولى عز وّجل حالة انشقاق القمر فبهتوا وعرفوا مصداقية الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ ، وقد أثبت العلم الحديث أنّها وقعت فعلا، كما أنّ « انشقاق القمر آية كونية يوجّه القرآن الكريم قلوب العباد للنّظر، لأنّ الخوارق الحيّة قد تدهش القلب البشري في طفولته قبل أن يتهيأ لإدراك الآيات الكونية القائمة الدّائمة التّأثير بإيقاعها الثابت الهادي إلى الفطرة السليمة»[4].

وكان حظ النّجم أيضا وافرا من الاهتمام في الخطاب القرآني، إذ سميّت سورة

---

[1]–الزّرقاني: المصدر السابق، ج1، ص221.

[2]–ينظر: مفاتيح الغيب، ج31، ص171.

[3]– سورة القمر، الآية: 1.

[4]–الجابري، المرجع السابق، ص107.

باسمه، وتعليل التّسمية هو افتتاح السورة بقسم الله عز وجل بالنّجم في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[1] أما اتخاذ لفظة (الدخان) عنوانا لسورة قرآنية إنما كان من باب الدّعوة إلى الاستعداد والانتباه للميعاد، لأنّه حدث يهزّ القلوب والعقول معا، شرح أبو عبيدة وابن قتيبة الدّخان في الآية بمعنى «الغبار الذي يتصاعد من الأرض من جرّاء الجفاف، وأنّ الغبار يسميه العرب دخانا وهو الغبار الذي تثيره الرّياح من الأرض الشديدة الجفاف»[2]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾[3]، وقد عني بهذا الدّخان ما أصاب المشركين من الجوع والقحط بمكة بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

<u>الحقل الثالث: الأزمنة والمواقيت</u>

الفجر، اللّيل، الضحى، العصر، الفلق، القدر، الجمعة، سبعة أزمنة ومواقيت وردت في الخطاب القرآني عناوين للسور القرآنية، فالزّمن ليس بعدا كامنا ثابتا، إنمّا يتّسم بالتّغير والتجّديد يوما بعد يوم، وهذا يتناسب مع طبيعة العبادات التي حدّدت بمواقيت معلومة على الإنسان احترامها وتقديرها تقديرا صحيحا.

فالعصر ميقات زمني، وهو وقت الأصيل إلى غروب الشّمس، فيه الدّلالة على تصفية النّهار، وقد سميّت صلاة العصر لوقوعها في هذا الوقت من النّهار، وكذلك سميت سائر أوقات الصّلوات بأوقاتها[4].

أما الضّحى فهو وقت أيضا قال عنه الزّمخشري: «هو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقي شعاعها»[5]، وهو عكس (الليل) الذي جاء عنوانا في إحدى السور

---

[1]– سورة النجم، الآية: 1.

[2]–الجابري، المرجع السابق، ص161.

[3]– سورة الدّخان، الآية: 10.

[4]–عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ج1، ص75.

[5]–الزّمخشري: الكشاف، ج4، ص263.

القرآنية، دالا على زمن الظّلام في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾[1]، فالضحى صورة من صور الضياء تعكس النّهار، الذي سرعان ما يتلاشى ويختفي نور شمسه عند قدوم اللّيل، فهو يواري كل شيء بظلامه، ويحوّله من حالة الظهور والإبانة والوضوح إلى حالة الخفاء وعدم التّجلّي، وهذه المقابلة بين الضدّين لها قيمتها الحضورية في توسيع مجال رؤية الإنسان لهذا الكون ومعرفة خصائصه التكوينية، ومفارقاته الإعجازية في الإشراق.

وإذا كانت هذه المواقيت معلومة للنّاس، فإنّ الخطاب القرآني يفاجئنا بميقات زمني مجهول تحت عنوان (سورة القدر)؛ هذه السورة التي تحكي كيفية نزول القرآن وميقات نزوله، إلاّ أنّ هذا المقدار الزّمني أخفي ولم يتم تحديده فليلة القدر ميقات اتفق المفسّرون أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها[2].

وإذا كان القدر ليلة، والليل مجموعه ليال، فإنّ "الفلق، والفجر، والضّحى" مواقيت نهارية تتدرج بتدرج مهام الإنسان الحياتية، لكل وقت منها واجباته وحقوقه، ووقت العصر هو أقصر فترة زمنية بين الليل والنّهار أقسم بها المولى عز وجل لأنّه «الزّمان الذي [تقع][*] فيه حركات بني آدم من خير وشرّ»[3].

أما لفظ الجمعة فقد ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4]، دلالة الكلمة على «الاجتماع فيها وإيجاب الإقبال عليها»[5]، لأنّها تجمع الناس للصلاة، وتوحد صفوفهم

---

[1]– سورة الليل، الآية: 1.

[2]–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص273.

[*]–وردت في الأصل" يقع"، وقد قمنا بتصحيحها.

[3]–ابن كثير: المصدر السابق, ج4، ص547.

[4]– سورة الجمعة: الآية 09.

[5]–الجابري: المرجع السابق, ص436.

وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشّمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنّة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد»[1].

الحقل الرابع: الفواكه والأطعمة

لم يقسم المولى عز وجل إلاّ بفاكهة واحدة جاءت عنوانا لسورة قرآنية من السور القصار وهي "التّين"، لقد اختصت شجرة التّين المثمرة بهذه الفاكهة دون غيرها من الشّجر، «عرفه الفينيقيون فاستعملوه كغذاء ودواء، فصنعوا منه لزقات تشفي من البثور، واستعمله الفراعنة علاجا لآلام المعدّة،...»[2].

وقد أقسم المولى عز وجل بهذه الشجرة مع شجرة الزّيتون لمنافعهما وأهميتهما في الحياة الإنسانية، فقد رُوي أنّه أهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه «كلوا فلو قلت إنّ فاكهة نزلت من الجنّة لقلت هذه، لأنّ فاكهة الجنّة بلا عجم فكلوهما فإنّها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»[3].

الحقل الخامس: الحروف المقطّعة

شكّلت الحروف المقطّعة في القرآن الكريم نسيجا عنوانيا إعجازيا جاء على رأس السورة القرآنية؛ ورد أربع مرات وهي (طه، يس، ق، ص)، لكل من هذه العناوين دلالة تميّزها.

كنّا قد أشرنا سابقا إلى أنّ الفاتحة النّصّية (ق) فقد فسّرها المفسرون عدّة تفسيرات، منها أنّها جاءت بمعنى اسم جبل يدعى(قاف) يحيط بالعالم كما عبّر عن ذلك الألوسي والفراء والرّازي وهناك من رأى أنّ الكلمة جاءت بمعنى (قف) وهو فعل أمر موجّه للرسول ﷺ من ذلك ما نقله القرطبي عن أبي بكر الوراق بمعنى: قف عند أمرنا

---

[1]–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص 104.

[2]–الجابري: المرجع السابق، ص216.

[3]–الزّمخشري: المصدر السابق، ج4، ص268.

ونهينا ولا تعدّهما. كما قيل: «القاف من التّقوّف وهو تتبّع الأثر»[1]، و"القائف" هو الذي يعرف الآثار ويتتبع الأثر، فإذا سلّمنا بهذا المعنى فهذا سيكون مرتبطا لا محالة بتقفي أحكام القرآن وتعاليمه.

في حين فسّرت لفظة (طه) عدّة تفسيرات؛ نقل السيّوطي أنّ اللّفظة بمعنى الأمر كما في (قاف)، حيث إنها فسّرت بمعنى «طأ الأرض أو طمئن، فيكون فعل الأمر والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة من الهمزة»[2]، وهذا تماشيا مع الرّواية التي تقول أنّ الرسول ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية[3]، وهو ما قاله ابن الجوزي (ت597هـ) في زاد المسير.

ورأى الزّمخشري ممّا نقله عن الحسن البصري أنّ النبي ﷺ كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، فأمر أن يطأ بقدميه معا، فأصل الكلمة (طأ) فقلبت همزته هاء[4].

وقد اختلف الدّارسون في دلالاتها، فمنهم من رأى أنها بمعنى (يا رجل) واختلفوا في لغتها أهي نبطية، أو بلسان عكّ، أو بالسريانية أو الحبشية.

وذهب فريق ثان إلى أنها حروف من أسماء؛ قد تكون اسما من أسماء الله الحسنى بمعنى اللّطيف الهادي، أو بمعنى طيّب طاهر والهاء بمعنى هادي، والثالث بمعنى (طأ) وقد سبق الحديث عنه، أما الرأي الرابع فاعتبر اللّفظ قسم أقسم الله به وهو من أسمائه رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[5].

---

(1)–أبو القاسم عمر راجح: الفيوضات الرّبانية في كشف الأسرار القرآنية، تفسير حروف أوائل السور القرآنية، دار السادة الصّوفية، القاهرة، (د.ط)، ص64.

(2)–السيوطي: الإتقان، ج2، ص13.

(3)–هذه الرواية الأولى أما الرواية الثانية تقول أن الرسول ﷺ لما نزل عليه القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام، فاتهمته قريش بأنّ القرآن نزل عليه ليشقى، والرواية الثالثة تروى أن أبا جهل ورجلين معه قالا له: إنّك لتشقى بترك ديننا. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط3، 1983، ج5، ص ص268–269.

(4)–ينظر: الكشاف، ج4، ص528.

(5)–ينظر: ابن الجوزي: المصدر السّابق، ج 5، ص269–270.

ونفى أبو عبيدة أن يكون (طه) اسما إذ يقول: «لا ينبغي أن يكون اسما لأنّ آخره ساكن، أجري مجرى "الم، الر، المص، كهيعص"، سواكن، كأنهنّ حروف التّهجّي، ولو كان هذا النّحو اسما لجرى فيه الإعراب»[1].

كما فسّرها النّسفي بمعنى (يا إنسان) وقال أنّ الكلمة إمّا أن تكون بالسريانية أو القبطية، وخالفه آخرون أنها بالنّبطية، وقد حاول حسين نصّار من المحدثين أن يقدّم خلاصة لما قال به القدماء في هذا السياق، ورأى أن (طه)، وكذلك لفظة (يس) أنّ الكلمتين تامتان وليستا من الحروف المقطّعة، وبديهي أن تكون هذه الكلمات موجودة في إحدى هذه اللّغات، إمّا السامية الشمالية (العبرية، السريانية، النّبطية) أو السامية الجنوبية (الحبشية، اللهجات اليمنية)، أو توجد في اللغات غير السامية مثل اليونانية، والقبطية متوصّلا إلى الآتي: «وإذا صحّ هذا استوى أن يكون معناهما يا فلان، أو يا إنسان، أو يا رجل، فالمؤدّى واحد، والمراد به رسولنا ﷺ ومن ثمّ جاء التّفسير بــ" يا حبيبي"»[2].

إنّ حسين نصّار بمقولته هذه يضيف رأيا خامسا إلى الآراء السابقة الذكر في تحديد دلالة الكلمة وهي أنّها اسم من أسمائه ﷺ، وهي ترادف لفظة (يس) أيضا، وقد ذكر هذا الرّأي الفيروز آبادي، واعتبرها من الأسماء المائة للرّسول الكريم وقد ذكرها الخطاب القرآني في ثنايا السور[3]. أمّا عن سبب تسمية هذه السّورة بهذا الاسم، فمردّه إلى افتتاح السورة بها «و(طه) هو اسم من أسمائه الشريفة عليه الصلاة والسلام، ولهذا بدأت السورة بملاطفته بالنّداء؛ فقال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾[4]. والنداء غايته التّنبيه.

وإذا كنّا نقبل هذه الآراء لانعدام الوثائق الإثباتية الملموسة، فهذا لأنّ السّند يكون

---

[1]–أبو عبيد: مجاز القرآن، ج2، ص15 (الحواشي).

[2]–حسين نصّار: فواتح سور القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص104.

[3]–ينظر: الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج6، ص11 وما بعدها.

[4]–الدّوسري، منيرة محمد ناصر: المرجع السابق، ص245.

صحيحا في أغلب روايته، فإننا نرفض الرأي الأخير الذي تقدم به أحد المحدثين في أواخر 1999م، والذي قال فيه صاحبه أن هذه الألفاظ ليست حروفا إنمّا هي كلمات أخذت عن الهيروغليفية (المصرية القديمة)، وقد هوجم هذا الطّرح بأنّ القرآن نزل بلسان عربّي مبيّن، وأنّ هذه اللغة لم يعرفها إلاّ يوسف وموسى فقط من الأنبياء، أما عداهما فلم يكن أحد منهم عارفا بها، وهذا يبطل ادعاء "سعد عبد المطلب لعدل" صاحب كتاب "الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم"[1].

وذكر المفسرون من جهة أخرى أن لفظة (يس) ترادف (طه) لأنهما تدلاّن على (يا إنسان) في لغة طيء[2]، وقيل معناها (يا رجل)، و(يا محمد)، وقال: سعيد بن جبير وغيره: هو اسم من أسماء محمد ﷺ دليله:﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[3]،ومنه قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾[4]، وقد حدثنا الرسول ﷺ عن فضل هذه السورة الكريمة في أكثر من مناسبة من ذلك قوله ﷺ: «إنّ لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات»[5].

وجاءت كلمة (ص) عنوانا لهذه السورة المسمّاة به، وهي السورة الثالثة التي بدأت بحرف من حيث التّنزيل بعد سورتي القلم وقاف، وقد ذكر هذا الحرف بحسب الزّمخشري على سبيل التحدّي والتّنبيه على الإعجاز كما مرّ في أوّل الكتاب. وروي القرطبي عن عكرمه: سأل نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس بن (ص) فقال: «كان بحرا بمكّة وكان عليه عرش الرحمن، إذ لا ليل ولا نهار»[6]. بينما نجد رواية أخرى ترى أنّ صاد بمعنى النّحاس[7]، ومنه تصنع قدور النّحاس، يؤيده قول حسّان بن ثابت:

---

(1)–حسين نصار: المرجع السابق، ص ص158–159.

(2)–الزمخشري: المصدر السابق، ج3، ص313.

(3)–سورة يس، الآية: 03.

(4)–سورة الصافات، الآية: 130.

(5)–أخرجه الدّارمي في سننه كتاب فضائل القرآن، أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، باب (ما جاء في فضل يس)، حديث رقم (3416) (ج2/ص548).

(6)–ينظر: السيوطي: الإتقان، ج2، ص14. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدّين السيد محمود (ت1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص161.

(7)–أبو القاسم عمر راجح: المرجع السابق، ص 74.

رأيت قدور الصّاد حول بيوتنا   قبائل سُحماً في المَجلَة صُيَّما

الحقل السادس: الأمكنة

تجاوبا مع الأزمنة المذكورة آنفا، يواصل القرآن الكريم وضع عناوين سوره في اتجاه مكانّي أيضا، حيث ذكر الطور وسبأ، والحُجرات، والبلد، والكهف، فسورة الكهف مثلا من السور التي عرفت باسم واحد، وهو المكان الذي لجأ إليه أصحابه الذين اعتبروا من ذوي الكرامات، فارّين من الشّرك متوجهين إلى الله، فأكرمهم المولى عزّ وجل بإنامتهم ثم إيقاظهم بعد قرون معجزة لله في خلقه وتكريما لعباده المؤمنين.

الكهف هو اسمها المشهورة به من خلال قوله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجال»[1]، وتشير أغلب الدراسات إلى أنّ التسمية مردّها إلى ذكر قصّة أهل الكهف مفصّلة في هذه السورة، وذلك لأنها حملت بالإضافة إلى عنوانها اسم الكرامات «لأنّ الله سخّر الكائنات في خدمة أوليائه فقد سخّر لهم الكهف وسخّر لهم الشمس، وكان ذلك بأمره سبحانه وتعالى، ومن هنا نعرف قيمة الطّاعة والعبادة وأهمية الولاية ونتائجها على ملتزم الطّاعة، وكل ما حدث لهم آية دلّت على تكريمهم بسبب طاعتهم»[2].

أما سورة (الحِجر) فهي دليل أمكنه أيضا، والحِجْر (اسم ديار ثمود بوادي القرى، بين المدينة والشام وهم قوم صالح النبي عليه الصلاة والسلام»[3]، وقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم لأنّ قوم ثمود كانوا يسكنون (الحِجر)، وهم قوم أشداء ينحتون الجبال ليسكنوها، إلى أن جاءتهم الصّيحة فقضت عليهم لتكذيبهم للرسل، وقد وردت قصتهم في هذه السورة عبرة لمن يعتبر في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[4] [4] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1].

---

[1]–حديث نبوي شريف: رواه مسلم في صحيحه، ج1، ص55، رقم809.

[2]–الجابري: أسماء السور القرآنية، ص133.

[3]–الدّوسري: المرجع السابق، ص ص217–218.

[4]–سورة الحجر، الآية: 80.

وقد ورد لفظ (الحِجر) في غير هذه السورة مرتين، ولكن بدلالات أخرى، من ذلك ما جاء في سورة الأنعام في قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾[2]، بمعنى (حرام ممنوع)، والثانية بمعنى (العقل) كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾[3].

وليس بعيدا عن ديار ثمود، يسمي المولى عزّ وجل سورة من سوره بسورة (الأحقاف) نسبة إلى مساكن عاد الذين أهلكهم الله بطغيانهم وجبروتهم وقد كانت مساكنهم باليمن، وقد جاء هذا اللفظ في هذه السورة دون غيرها في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾[4].

والأحقاف «جمع حِقْفٍ، وهو ما اعوجّ من الرّمل واستطال»[5]، وهي من السور المكية التي تطرقت لقضايا الشريعة والعقيدة والدعوة إلى التوحيد ونفي الشرط، وفسّرت الأحقاف في اللسان بمعنى الرّمال الواقعة باليمن وقد كانت عاد تنزل بها[6].

كما جاءت اللفظة بمعنى «هدوء الرّيح وسكون الجو»[7]، نقلا عن الفيروز آبادي إلاّ أننا لم نجد في كتاب بصائر ذوي التّمييز أيّ إشارة لهذه الدّلالة، عدا أنّه قال أنّها سمّيت بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾. وهي الآية التي ورد بها هذا الاسم[8].

ولا تزال خريطة الأمكنة تتوّسع في عناوين الخطاب القرآني، إذ نجد سورة

---

(1)–سورة الحجر، الآية: 84.

(2)–سورة الأنعام،الآية :138.

(3)–سورة الفجر، الآية:5.

(4)–سورة الأحقاف، الآية: 21.

(5)–الدّوسري: المرجع السابق، ص352.

(6)–ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ق ف)، ج9، ص52.

(7)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص428.

(8)–ذكر هذه المقولة الجابري: أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات، ص343، وقد جانب في ذلك الصّحة لأنّنا لم نجد لها إشارة نهائيا في سياق الكتاب. وهذا دليل على عدم الالتزام بالأمانة العلمية.

(سبأ)، وسبأ «أرض باليمن مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام»[1]. وقيل في لسان العرب أنّها اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس باليمن[2].

أما الطّور فهو اسم مكان أيضا، ويعني الجبل في كلام العرب، وقد سميّت السورة بهذا الاسم لافتتاحها بقسم المولى عز وجل في قوله: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[3].
﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[3].

و(البلد) موضع أيضا ذكره القرآن الكريم عتبة لعنوان سورة قرآنية، قصد به (مكة)، حيث اشتملت السورة على تعظيم البلد الحرام والرسول الأمين في قوله تعالى في مفتتح السورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، وهو الاسم الوحيد الذي عرفت به هذه السورة، قال عنه ابن عاشور: «وهي تسمية إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهي مكة»[4].

أما سورة "الحُجُرات" فلم تعرف بغير هذا الاسم، جاء في اللسان «الحُجْرة من البيوت، وردت التّسمية في بعض أقوال الصّحابة ﷺ، فعن ابن عباس ﷺ قال: «نزلت سورة الحجرات بالمدينة»[5]، فالحجرة مكان لم تحدد سماته التكوينية أهو مرتفع، أم منخفض، وهذا يتجاوب ونزول السورة بالمدينة، خلافا للأحقاف التي عبّرت عن الطابع الصحراوي بصيغة مباشرة.

وجاءت (الإسراء) أخيرا للدلالة على الفضاء الشاغر والانتقال من الأرض نحو الأعلى في ارتفاع مذهل ثم العودة إلى الأرض، وهذا لافتتاحها بذكر قصّة إسراء المصطفى ﷺ من مكة إلى القدس.

يقول تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا

---

[1]–ينظر: معجم البلدان، ج3، ص181.

[2]–ينظر: لسان العرب، ج1، مادة (س ب أ)، (ج1/ص94).

[3]–سورة الطور:الآيتان 1–2.

[4]– الطّاهر بن عاشور:التحرير والتّنوير: ج30، ص345.

[5]–السيوطي: الدرّ المصون، ج7، ص546.

ﭐلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[1]، والإسراء معناه السير ليلا، وهو مصدر الفعل (أسرى)، يقال: أسريت وسريت إذا سرت ليلا[2]، وقد وصفت لنا السورة من خلال تفردها بهذا الاسم مظهرا من مظاهر التكريم الإلهي لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.و يمكننا القول أنّ هذا العنوان تشترك فيه الإحداثيتان: الزّمان والمكان، وهذا لأنّه يحدّد لنا زمن الإسراء والانتقال من جهة، كما يحدّد لنا مسار الانتقال من نقطة مكانية إلى نقطة أخرى.

الحقل السابع: أسماء الله الحسنى وصفاته وملكه

وردت أربعة ألفاظ جاءت وصفا أو اسما لله عزّ وجل عنونت بها سور الخطاب القرآني، من ذلك (فاطر، غافر، الرحمن، الأعلى)، وقد سميّت بهذه التّسمية «لافتتاحها بهذا الوصف لله (عز وجل) الدال على الخلق والإبداع للكون العظيم، والمنبئ على عظمة الخالق (عز وجل) وقدرته الباهرة»[3]، جاء في لسان العرب «فطر الله الخلق يخطرهم: خلقهم وبدأهم، والفطرة: الابتداء والاختراع»[4]، وفي التنزيل العزيز قوله: «الحمد لله فاطر السماوات والأرض»[5]، كما وردت لفظة (فاطر) في خمس مواضع أخرى من القرآن الكريم[6].

أما سورة (غافر) فقد اشتهرت بهذا الاسم وعنون بها في المصاحف وكتب السنّة، وهذا اللفظ صفة للمولى عز وجل وردت في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[7]، فمعظم مقصود السورة يدور في فلك «المنّة

---

[1]–سورة الإسراء،الآية :1.

[2]–لسان العرب، مادة (س ر ي)، ج14، ص381.

[3]–الدّوسري: المرجع السابق، ص301.

[4]–لسان العرب، ج5، ص56.

[5]–سورة فاطر، الآية1.

[6]–سورة الأنعام: الآية14، يوسف: 101، إبراهيم: 10، الزّمر: 46، الشورى: 11.

[7]–سورة غافر، الآية: 3.

على الخلق بالغفران، وقبول التوبة»[1]، وهذه السورة هي أولى السور الحواميم.

في حين سمّيت سورة (الرحمن) بهذا الاسم، لأنّها افتتحت باسم من أسماء الله الحسنى وهو الرحمن، قال المهايمي «سميت به، لأنّها مملوءة بذكر الآلاء الجليلة وهي راجعة إلى هذا الاسم»[2].ويتجلى ذلك في أنّ الله تعالى يعلّم القرآن، ويخلق الأكوان، وله النّعم الكثيرة على الإنسان.

أما لفظة (الأعلى) فقد فسّرت بمعنى الأشرف، أورد لها الفيروز آبادي خمسة معاني، جاءت في هذا السياق بمعنى «علوّ الحق في العظمة والكبرياء»[3].

كما نسب المفسرون عنوان سورتين لله عز وجل أيضا، وهما سورتا الملك والنّور، فأمّا سورة الملك فقد مجّدت المولى عز وجل في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[4]، فهو المهيمن والخالق والموجد لكل الكائنات، قال المهايمي: «سميّت «سميّت به لاشتمالها على كثير ممّا ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة والإحياء والإماتة واختيار أعمال النّاس والغلبة والغفران...» [5].

في حين جاءت سورة (النّور) عنوانا للحديث عن وصف عظمة الله تعالى وبدائع مصنوعاته وما فيها من منن على النّاس، وقد ورد هذا الاسم في قوله ﷺ: «علّموا رجالكم سورة المائدة وعلّموا نساءكم سورة النور»[6]، وقد سميّت بهذا الاسم لتكرار وروده سبع مرّات في مثل قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[7]، ونختم بقول المهايمي: «سميت بها لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلاهي بالتمثيل

---

[1]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص409.

[2]–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص311. (ت835هـ).

[3]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص156.

[4]–سورة الملك، الآية: 1.

[5]–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص353.

[6]–أخرجه البيهقي في الشعب، باب في تعظيم القرآن، فصل (في فضائل السور والآيات)، حديث رقم (2428)، ج2، ص469.

[7]–سورة النور، الآية: 35.

المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الإنسان، مع مقدّماتها»[1].

الحقل الثامن: أسماء يوم القيامة واليوم الآخر

كثيرة هي أسماء يوم القيامة ومظاهر يوم الآخر الواقعة عنوانا لسورة من سور القرآن، وهذا يتناسب مع عظمة هذا اليوم وأهميته في الانتقال بين الدارين، الدار الدنيا والدّار العليا، من ذلك نجد لفظ (القيامة) وهو اسم الشهرة الأكثر ورودا، اشتق هذا اللفظ من الفعل قام يقوم، والمصدر منه (قيام) «والقيامة هو فعل يكون من جميع الخلائق دفعة واحدة. فلذلك أدخل فيه الهاء، فقيل: يوم القيامة، ولم يُقل: يوم القيام»[2]، وهذا التّفسير الذي قال به الرّازي (ت 322هـ) يؤكّد أنّ الكلمة عربية أصيلة، وليست دخيلة، جاءت لتبين هول يوم القيامة، وإثبات البعث، وهيبة هذا اليوم العظيم.

أما لفظ (الواقعة) فهي أيضا اسم من أسماء القيامة، مشتقة من الفعل (وقع) وقوعا بمعنى سقط، وهي اسم فاعل بمعنى «النّازلة من صروف الدّهر»[3]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾[4]، وقد سمّيت بهذا الاسم علنا على على لسان النبي ﷺ، وذلك ممّا رواه ابن عباس رضي الله عنهماقال: «قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت»[5].

وجاء في الحاقّة قولهم أنّها مشتقّة من (ح ق ق) «وهي الحاقة، لأنّ فيها الثواب

---

[1]–المهايمي: المصدر السابق،ج2، ص62.

[2]–الرّازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان: الزّينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق: عبد الله، سلوم السامرائي، تعليق: حسين بن فيض الله الهمداني، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص227.

[3]–الدّوسري: المرجع السابق، ص389.

[4]–سورة الواقعة، الآيتان:1–2.

[5]–الترمذي: جامع كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة الواقعة) (ج5/ص402)، حديث رقم [3308] والحاكم في في المستدرك كتاب التفسير (تفسير سورة هود) (ج334/2)، حديث رقم [3314].

وحواقّ الأمر، الحقّة والحاقّة واحد»[1]، وهو ما أقره الفرّاء في معاني القرآن[2]، أمّا الزّجاج فيقول: «الساعة والقيامة سميّت حاقّة، لأنّها تحقّ كلّ إنسان بعمله من خير وشر»[3]، سميت بهذا الاسم لتكرارها، وعدم وقوعها في غير هذه السورة من سور القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾[4].

كما جاءت تسمية أخرى في القرآن الكريم بمعنى يوم البعث، وهي لفظة (التغابن) فـــ«التغابن: أن يغبن القوم بعضهم بعضا، ويوم التّغابن: يوم البعث، وقيل سمّي بذلك، لأنّ أهل الجنّة يغبن فيه أهل النّار بما يصير إليه أهل الجنّة من النّعيم ويلقى فيه أهل النّار من العذاب الجحيم....» [5]، وهي التسمية الوحيدة التي عرفت به، وقد سميت بها بها لوقوع لفظ التّغابن الذي ورد كناية عن غبن الكافر وخسارته للدنيا والآخرة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[6].

وقد قيل في معنى (التّغابن) «إنّ الإنسان يأتي يوم القيامة، وقد جمع مالا، ولم يعمل فيه خيرا، فأخذه وارثه بسهولة، من غير مشقة في جمعه، فأنفقه في وجوه الخير، فالجامع محاسب معذّب مع تعبه في جمعه، والوارث منعّم مُثاب، مع سهوله إليه. وذلك هو التغابن»[7].

أما لفظة (الحشر) فهي عنوان سورة لم تبتعد عن دلالة الجمع في سورة التغابن لأنّ الكلمة في اللّغة بمعنى: «حشرهم يحشرهم حشرا: جمعهم، ومنه يوم المحشر،

---

[1]–محمد فؤاد عبد الباقي: معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري، دار الحديث، 1950، (د.ط)، ص68.

[2]–ينظر :معاني القرآن، ج3، ص179.

[3]–الزجاج: معاني القرآن، ج5، ص213.

[4]–سورة الحاقة، الآيات: 1-3.

[5]–الدوسري: المرجع السابق، ص419.

[6]–سورة التغابن، الآية: 9.

[7]–السيوطي، جلال الدين: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1983، ص ص139-140.

والحشر: جمع النّاس يوم القيامة، والمحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم»[1]، وعليه، فالحشر بمعنى الجلاء، ويوم الحشر هو يوم يجمع فيه النّاس[2].

وارتبط لفظ "الغاشية" بالنّار تارة وبالقيامة أخرى، فقد جاء في لسان العرب: «الغاشية: القيامة، لأنّها تغشى الخلق بأفزاعها، وقيل: الغاشية النار، لأنّها تغشى وجوه الكفار، وغشاء كل شيء: ما تغشّاه»[3]، ومقصود هذه السورة «التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحقّين للمثوبة...» [4].

أما (القارعة) فهي السورة التي وصفت فيها أهوال يوم القيامة وشدائدها، من حالة البشر، إلى حالة الطبيعة، والقارعة في اللغة من (القرع) وهو الضرب «والقارعة النّازلة، الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم»[5]، لم تعرف إلاّ بهذا الاسم الذي وسمها، وهذا لظهور اللفظ ثلاث مرّات شبيها بلفظ الحاقه الوارد في مفتتح السورة، كقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾[6]، إنّها اسم من اسماء اسماء يوم القيامة، وسمّيت بها، لأنّها تقرع القلوب بهولها[7].

وجاءت لفظة (الجاثية) عنوانا وهي اسم فاعل من جثا يجثو ويجثي جُثْوًا وجُثِيا: جلس على ركبته، وقد اختصت هذه اللفظة بهذه التّسمية دون غيرها لأنّها لم تذكر في غير هذا الموضع، عدا ورود كلمة (جِثِيا) فاصلة في سورة مريم مرتين، في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا

---

[1]–ابن منظور: اللسان، ج4، ص190.
[2]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص468.
[3]–ينظر: لسان العرب، مادة (غ ش ي)، ج15، ص126.
[4]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص516.
[5]–الدوسري: المصدر السابق، ص547.
[6]–سورة القارعة، الآيات: 1-3.
[7]–ينظر: الدوسري: المرجع نفسه، ص548.

وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وقد سميّت بهذا الاسم للأهوال التي يلقاها النّاس يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق من الفزع على الرُّكب في انتظار الحساب، وهي في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]،أما المهايمي فيرى أنّها سمّيت بها «لتصمّن آياتها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة لأجل اجتماع الأمم جماعة إلى الله تعالى، وفصله بينهم يوم القيامة»[3].

وليس بعيدا عن هذه الأجواء، نجد سورة (الزلزلة) التي جاءت لـــ«بيان أحوال يوم القيامة وأهوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل»[4]، وقد سميت بهذا الاسم لافتتاحها بالأخبار عن حدوث الزلزال قبل يوم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[5]، بمعنى الحركة الشديدة القوية للأرض فاتحة لبداية يوم القيامة.

وتجئ مظاهر أخرى لهذا اليوم في عناوين متتالية هي (التكوير، الانفطار الانشقاق)، لتقدم صورة متكاملة لمواصفات يوم القيامة؛ وبيان أحوالها، فالشمس كوّرت، والسماء انفطرت، وكذا السماء انشقّت؛ فهي صور مختلفة لما يحدث لعالم الأرض والسماء يوم القيامة فنجحت هذه السور الثلاث في مخاطبة المشاهد، فهي دعوة للتأمل في هذا الحدث العظيم بكل ملابساته والتغيرات الحادثة فيه، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحر والأرض والسماء، والأنعام والإنسان.

فإذا كان "التّكوير" بمعنى ذهاب ضوء الشمس واضمحلالها، فإنّ "الانفطار" يعني الانشقاق، وهو الاسم الذي عرفت به هذه الأخيرة مع سورة تلتها مطلعها

---

[1]–سورة مريم، الآيات: 68–72.

[2]–سورة الجاثية، الآية 28.

[3]–المهايمي: المرجع السابق، ج2، ص265.

[4]–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص535.

[5]–سورة الزلزلة، الآية: 1.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [1]، بمعنى تصدّعت وانفطرت[2]، والانشقاق مصدر الفعل (انشقّ)، الصدع البائن، وجمعه شقوق، وشقّ النّبت يشقّ شقوقا: وذلك في أوّل ما تتفطّر عنه الأرض[3].

وقد ذكرت هذه السور معا في حديث مروي عن ابن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رأي عين فليقرأ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ .

ولقد وردت لفظة (الدّخان) في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾[4]، وقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم نظرا لذلك الدّخان الذي يتهيّأ لقريش من شدة الجوع والجهد فيحسبون السماء ستمطر، عندما دعا عليهم الرسول ﷺ بسنين كسنين يوسف. بينما رأى آخرون أنّه من أمارات الساعة، وأنّه لم يظهر بعد[5].

واختلف المفسرون في شرح كلمة (النبأ)، وهو العنوان الذي ارتأينا إدخاله ضمن هذا الحقل، إذ فسّرت اللّفظة بمعنى (الخبر العظيم) عند أهل التأويل، وهذا الخبر هو القرآن الكريم، وهناك من رأى أنّه (يوم البعث) [6]، أي البعث بعد الموت، وهو ما نميل إليه وقد استقيناه من الآية الكريمة التي ورد فيها اللفظ، وهي قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤﴾، لأنّ يوم القيامة حاصل لا مفرّ منه، وقد عبّر الألوسي عن هذه الفكرة عندما اعتبر هذا النّبأ عظيم الشأن قد ظهر «أثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة

---

(1)–سورة الانشقاق، الآية:1.

(2)–القرطبي:المصدر السابق ج19، ص269.

(3)–ابن منظور: المصدر السابق، ج10، ص182.

(4)–سورة الدخان،الآية: 10.

(5)–ابن كثير: المصدر السابق،ج6، ص246–247.

(6)–الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت 310هــ): جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1980، ج30، ص ص2–3.

المستفهمين فإنّ إيراده على طريقة الاستفهام من علاّم الغيوب للتنبيه على أنّه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأنّ يعني بمعرفته ويسأل عنه»[1].

ولا يبتعد بنا المقام عن صور الآخرة والجزاء في سورة (الكوثر) إذ يقول عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[2]، اتفق المفسرون أغلبهم، فقيل عنه هو نهر في الجنّة، واختلفوا في أوصافه ولونه وطعمه، وهناك من المفسرين من قال أنّه الخير الكثير الذي أعطاه الله عزّ وجل للرسول ﷺ[3]، وحيثما كان الرأي الأقرب في الصّحة، فإنّ المتفق عليه أن (الكوثر) عنوان هذه السورة مظهر من مظاهر الجزاء التي ترتبط بالجنّة واليوم الآخر، جاء عنوانا للعطاء المستحق لخير الخلق، وتعظيم الرسول ﷺ الذي أهدي إليه دون النّاس كافّة نظرا لمكانته الخاصّة عند المولة عزّ وجل.

والأصح في تفسيره أنّه نهر في الجنّة بحسب ما روي عن الرسول ﷺ عن طريق أحمد ومسلم: قوله: «هل تدرون ما الكوثر» قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قل هو نهر أعطانيه ربّي في الجنّة عليه خير كثير ترد عليه أمّتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب»[4]. وهو من أعظم الأنهار وأصفاها،وأكثرها حلاوة في الجنة لا يشرب منه إلا الذين أتوا الله بقلب سليم.

أما سورة (المسد) فقد سميّت بهذا الاسم لورود اللفظة في آخر السورة، إذ يقول عز وجل: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ﴾، فسّر الألوسي هذه اللفظة بما مسد أي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف، أو من لحاء الشجر[5]، وهذا تحقيرا لزوجة أبي لهب وهو عقاب لها ولزوجها، لأنّهما سبّبا للرسول ﷺ الكثير من الأذى، وقد وظّف المسد من

---

[1]–الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المصدر السابق، ج30، ص3.

[2]–سورة الكوثر،الآية: 1.

[3]–الطّبري: المصدر السابق، ج30، ص207–208. ينظر أيضا: الألوسي: المصدر نفسه، ج30، ص244.

[4]–رواه مسلم في صحيحه.

[5]–الألوسي: المصدر السابق، ج30، ص264.

باب المجاز وصفا للحالة السيّئة التي ستكون عليها هذه الضّالة، وإنّنا نوافق صاحب الكشاف إلى احتمال «أن يكون المعنى أنها في نار جهنّم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النّار من شجرة الزّقوم أو من الضّريع»[1]، وهذا هو استحقاقها في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن هذا المسد بهذه الأهمية من حيث العقاب ما كان ليكون عنوانا للسورة.

<u>الحقل التاسع: الحيوانات</u>

لم يقتصر الخطاب القرآني في عناوينه على الطبيعة، والأخلاق، والأمكنة والأزمنة، وأسماء الأعلام، وأسماء القيامة والعبادات فحسب، إنمّا جعل الحيوانات أيضا عنوانا لبعض السور، فذكرت البقرة، والأنعام، والنحل والعنكبوت والنّمل والفيل والعاديات، وتوزّعت عبر خطّ العناوين كلّ منها يحمل عظمة من عظمات الخالق عز وجل.

إنّ ظاهرة العناوين في حقل الحيوان تجعل القارئ يتساءل، هل تشكل هذه العناوين يحمل دلالات ظاهرة فقط، أم لها دلالات عميقة بما تحمله من طاقة ترميزية ذات أبعاد متعددة؟ وهكذا يشتغل العنوان «كأنّه دليل يُلمعُ إلى معنى خفي، أو معنى مفرد للمطّلعين، أو معنى ثان ينضاف إلى المعنى السطحي»[2]، الإجابة عن هذا التساؤل يمكن الوصول إليها من خلال تعمقنا في دلالة هذه التّسميات.

"البقرة" ثاني سور القرآن، عرفت بهذه التّسمية في المروي عن الرسول ﷺ، فقد ورد في الصّحيحين عن ابن مسعود ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآتيين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[3]، وقد انفردت هذه السورة بهذه التّسمية لانفرادها بذكر

---

[1]–الألوسي: المصدر السابق، ج30، ص264.

[2]–مايكل رفاتير: دلائلية الشعر، تر: محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الّرباط، ط1، 1997، ص:164–165.

[3]–أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (فضل البقرة) حديث رقم [5009] [422/6]، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة)، حديث رقم [807]، [256]، (ج2/ ص554–555).

قصّة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية، وقد خالفوا أمر موسى، ثم عملوا به بعد استكبار، فبعد أن ضرب القتيل ببعضها، فأحياه الله بإذنه، وأخبر بالقاتل، فهذه آية من آياته تعالى عن طريق البقرة، لأنّ مدار السورة الإيمان بالبعث الذي جسّدته وقاله البقاعي في درره[1].

أما (الأنعام) فقد جمعت في هذه التّسمية مجموعة من الأنعام أو الحيوانات التي يستفيد منها الإنسان في حياته، وهي مشتقّة من «النّعيمُ: واحد الأنعام، وهي المال الرّاعية، أو المال السائم، وقيل: النّعم: الإبل والشاء، يذكر ويؤنّث، والجمع: أنعام، وقيل: النّعيم الإبل خاصّة، والأنعام: الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل»[2].

وقد أرجع المفسرون تسمية هذه السورة بهذا الاسم، لأنها السورة التي عرضت لذكر الأنعام على تفصيل الكريم في خس عشرة آية. وهي التّسمية التي عرفت بها، ولم تعرف لها عناوين غيرها، عدا ما ذكره الفيروز آبادي من أنها تسمّى (الحجّة) لأنها مقصورة على حجّة النّبوّة، أمّا تسميتها الأنعام فراجع لتكرار هذا اللفظ فيها.

و(الأنعام) من السور القرآنية التي تعاملت وذكرت جملة من المحاور الأساسية على رأسها علاقة الإنسان بخالقه، ثم بجنسه من البشر، ثم بالكون عامة، والأنعام خاصّة، حتى إنّ من الدّارسين المحدثين من نوّه إلى وجود علاقة وثيقة بين عنوان السورة وبين عقيدة القرآن، وشريعته إذ يقول: «إذن فهناك علاقة لا محالة بين الأنعام والتّشريع، كذلك كونه كتاب عقيدة يحتّم وجود علاقة بين الأنعام والعقيدة، أيضا كون القرآن جاء لتغيير واقع معيّن؛ لأنّه كتب تنظيما للمعاملات بين النّاس فلا بدّ أن تكون هناك علاقة بين الواقع السائد وبين هذه الأنعام»[3].وهذا لأنّ الأنعام من الحيوانات المسخّرة لخدمة الإنسان، إمّا بذبحها وأكل حلالها وترك حرامها، وإمّا بالاستفادة منها

---

[1]–البقاعي: نظم الدرر، ج1، ص55.

[2]–ينظر: مادة (ن ع م) في الصّحاح (ج5/ص2043)، لسان العرب (ج1/585).

[3]–البطاشي، خليل بن ياسر: الترابط النّصي في ضوء التحليل اللّساني للخطاب دار جرير، عمّان، للأردن، ط1، 2009، ص229.

من خلال أوبارها وجلودها، وهي من نعم وخيرات الدّنيا على الإنسان.

وأما سورة (النّحل) فسميّت بهذا الاسم «لما فيها من عجائب ذكر النّحل التي تشير إلى عجيب صنع الخالق»[1]، وقد ذكرت النحل في هذه السورة فحسب في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [2]، فهذا الحيوان نعمة للإنسان بما يقدّم من عسل فيه شفاء للنّاس.

وهكذا ينتفع الإنسان بهذه الحيوانات الحكيمة مثلها مثل "العنكبوت" و"النّمل" التّي سميّت بها سور أخرى، فالنّمل سميّت به لاشتمالها على قصّة النّملة التي نصحت بقيّة النّمل بالدخول إلى مساكنهم حتى لا يحّطمنّهم سليمان ﷺ وجنوده « ففهم سليمان الذي علّمه الله منطق الطّير والدّواب كلامها، وتبسّم ضاحكا من قولها، وشكر الله على ما أنعم به عليه»[3]، وهذا في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[4]. وأمّا " العنكبوت" فهو النعمة التي أبعدت الأذى عن الرّسول ﷺ كما أنّ القرآن أسقط الحيوانات التي تؤذي الإنسان فلم يذكرها عنوانا للسّور رغم ذكره لبعضها في ثناياها كما هي الحال مع الذئب المذكور في سورة يوسف ، وكلب أهل الكهف، وهدهد سليمان ﷺ، والحمير والقسورة وغيرها، وهذا إنّما يدلّ على تشريف ما ينفع الإنسان، وعدم الاهتمام بما قد يسبّب له ضررا.

الحقل العاشر: الجماعات والأقوام

إنّ تصنيف وتبويب العناوين في الخطاب القرآني أحالنا على حقل الأقوام والجماعات، حيث اختلفت هذه الأخيرة من حيث كياناتها المختلفة، ومن حيث نسج علاقات فيما بينها، ومن الملفوظات التي تدخل في هذا الباب نجد: (الرّوم، قريش،

---

[1]–الدوسري: المرجع السابق، ص221.

[2]–سورة النحل، 68.

[3]–الدوسري: المرجع السابق، ص271.

[4]–سورة النّمل، الآية: 18.

الناس، الشعراء، النساء، المنافقون، الكافرون، المؤمنون، المطففين، الجن، الأعراف، الزّمر،آل عمران) بمعدّل اثنى عشرة سورة من مجموع السور,

تحدثت سورة (النساء) عن أحكام الأسرة الصغرى وأحكام المجتمع الإسلامي، ثم تناولت وأكدّت على أحكام المرأة زوجة وبنتا، وبيّنت حقوقها من الميراث والمهر، وعن المحرمات من النّساء وحقوق الزوجة على زوجها، فكل مضمون السورة لم يتجاوز الحديث عن المرأة وكيفية إصلاحها وجعلها عنصرا فاعلا في المجتمعات لهذا سميّت بها، حيث افتتحت بذكر النّساء، وقد عرفت بهذا الاسم وعنونت به في المصاحف وكتب التفسير والسنّة.

وقد تلت هذه السورة سورة (الأعراف)، والأعراف في اللّغة جمع عُرْف، وهو كلّ علٍ مرتفع[1]، قال الزّجاج في معاني القرآن «الأعراف أعالي السّور»[2]، وكل مرتفع عند العرب سمّى عرفا، والأعراف: هو السور الذي بيّن الجنّة والنّار كما ذكره المفسرون[3]، وهذا الاسم هو الذي اشتهرت به هذه السورة، لأنّ هذا اللفظ لم يرد في غيرها في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾[4].

بعد هذا نجد سورة (المؤمنون) التي ذكرت قصّة الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين من ذلك: نوح وهود، وموسى ومريم وابنها عيسى، إنّه الفريق السعيد على هذه الأرض، وقد وردت تسميتها في عهد الرسول ﷺ، ما رواه عبد الله بن السّائب قال: «صلّى لنا النّبي ﷺ الصبّح بمكّة فاستفتح سورة المؤمنون حتى جاء ذكر موسى

---

[1]– ابن منظور :لسان العرب، مادة (عرف)، ج9، ص241.

[2]–الزجاج: معاني القرآن، ج2، ص342.

[3]–ينظر: الطبري، ج5، ص497. القرطبي، ج3، ص212. ابن كثير، ج2، ص246. انظر أيضا: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القسم الأوّل، 1969، ج1، ص534.

[4]–سورة الأعراف، الآية: 46.

وهارون أو ذكر عيسى، أخذت النبي ﷺ سعلة فركع»[1].

أما (الشعراء) فهي السورة التي سمّي بها طائفة من النّاس يقولون الشّعر، وقد أشارت السورة إلى قضية هامة وهي أنّ القرآن الكريم منزه أن يكون من أقوال الشعراء أو من أقوال الشياطين ردّا على الكافرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[2]، وقد تفردت السورة بهذا العنوان، لأنّها تفردت بذكر لفظة الشعراء في آخر السورة. قال المهايمي: «سميّت هذه السورة بها، لاختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء، لأنّ الشاعر، إن كان كاذبا فهو رئيس الغواة لا يتصور منه الهداية، وإن كان صادقا لا يتصوّر منه الافتراء على الله تعالى، وهذا من أعظم مقاصد القرآن.» [3]

أما سورة (الروم) فهو اسم سورة أخرى من سور القرآن التي ذكر فيها قوم يسمّون (الرّوم)، وقد افتتحت بهؤلاء القوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[4]، وقد ذكرت هذه اللفظة في هذه السورة دون غيرها، وهي من السور التي أنبأت وأخبرت بالمغيّبات وهذا من معجزات الرسول ﷺ، قال (المُهايمي): «سميّت بهذا الاسم لاشتمال قصّتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما بعد شرخ يسير، فتبطل شماتة أعدائهم وتدل على أن عاقبة الأمر لهم، وهذا من أعظم مقاصد القرآن»[5].

في حين ابتدأت سورة (المنافقون) بإيراد صفاتهم، واستغرقت في تبيين أسوئها منها الكذب، وادعاء الإيمان، والحلف باليمين الفاجرة، وجبنهم وضعفهم وتآمرهم على النبي ﷺ، وقد سميّت بهذا الاسم، لأنّ أغلب السورة تتناول مواقف المنافقين من المؤمنين ومن الدعوة المحمديّة، وتجاوزهم لحدود الله، وعليه فعنوان السورة تتناسب

---

[1]–أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب (القرآن في الصبح)، حديث رقم [455]، ج1، ص336. والبخاري، كتاب الآذان، باب (الجمع بين السورتين في اللغة)، ج1، ص233.

[2]–سورة الشعراء، الآيات: 224–226.

[3]–ينظر: تفسير المهايمي، ج2، ص87.

[4]–سورة الروم، الآية: 2.

[5]–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص135.

مع موضوعها من خلال (لفظة واحدة) هي (المنافقون)، وقد أسهمت من ناحية أخرى في تهيئة القارئ وتوجيهه نحو النّص.

إنّ هذه الفئة من النّاس لهم أحوال متقلبة غير مشروعة، فلهذا جاء «مقصدها كمال التّحذير ممّا يُسلب الإيمان من الأعمال الباطلة والترهيب، مما يقدح في الإسلام من الأحوال الظاهرة، بمخالفة الفعل للقول، فإنّه نفاق في الجملة فيوشك أن يُجرّ إلى كمال النّفاق فيخرج من الدّين ويدخل في الهاوية...» [1].

وهذه دعوة مضمنة لصدق الأعمال وصدق الأقوال وصدق الأخلاق للفوز بالجنّة ودار النّعيم، والابتعاد عن صفات هذه الفئة التي توعدها الله بالعذاب لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون، في حين وعد المؤمنين التشريف والعزة والتبجيل، من هنا يلاحظ المتلقّي لهذا الخطاب أن القرآن قد وفّى في إيصال الرسالة الخطيرة لهؤلاء القوم من خلال اختياره الدّقيق لهذا العنوان، وتعريفه بهم، فكان ذلك مطابقا لمقولته ﷺ عندما شرح ضمان المنافق في قوله: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُئتمن خان»[2].

أما (آل عمران) فهو اسم العائلة التي لقّبت بهذا اللقب، وقد عنونت بها هذه السورة لشرفها، لأنّ فيها الكثير من الصّالحين، ومنها جاء النبي عيسى عليه السلام، قال أبو حيان (ت 747هـ) «(عمران) اسم أعجمي ممنوع الصّرف للعلمية والعجمية»[3]، وأشهر أفراد هذه الأسرة المذكورين في السورة؛ أم مريم وهي (جنّة بنت فاقوذ) التي دعت الله أن يهبها ولدا وهي قد بلغت الكبر، فاستجاب الله لها، وقد أسعدها ذلك فجعلته هدية لله يخدمه، إذ يقول القرآن على لسانها؛ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى

---

[1]–الجابري، سيف بن راشد: المرجع السابق، ص353.

[2]–أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج1، ص186ط.

[3]–أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوّض، بمشاركة زكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النّجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ج2، ص450.

بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾[1]، و نجد زكريا، ويحي، وما ورد عن أخبارهما، أما بقية المنتمين إلى هذه العائلة، مريم التي أحصنت فرجها ووهبت حياتها في خدمة الدّين، وقد أهداها المولى عزّ وجل ذرية صالحة جسّدت في شخص عيسى عليه السلام، ومنه فقد استحقّت هذه العائلة للتشريف بذكرها عنوانا لهذه السور.

أما تركيب هذا العنوان فهو مشتق من كلمتين(آل) و(عمران)؛ فأما الشطر الأول من الاسم يشير اللغويون إلى أنّه مقلوب من "الأهل"، ويصغّر على" أُهَيْل"، إلّا أنّه خصّ بالإضافة في الأعلام كقولنا: آل غزة، يعني أهل غزة، وآل البيت يعني أهل البيت، وكلمة (آل) عند العرب تختص بالأشهر والأشرف[2]. ويشير صاحب اللسان إلى أنّ كلمة عمران تدور اشتقاقاتها في فلك الدلالة على العبادة، فيقال مثلا: عَمَر ربّه عبده، وإنّه لعامِرٌ لربّه بمعنى عابد، وتركته يعمّر ربّه يعني يعبده بالصيام والصّلاة[3]. فآل عمران هي العائلة المتعبدة الدّاعية للدين الحق، تعبيرا عن قوة إيمانها، وثباتها في دعوتها إلى الله، مكوّنة نسيجا اجتماعيا متفردا بصبره وورعه ليكون قدوة الأجيال من بعده.

فئة أخرى جاءت عنوانا للسورة وهي (الأنبياء)، حيث تناولت قصص بعض الرُّسل، من هؤلاء (إبراهيم، إسحاق، يعقوب، لوط، نوح، داود، سليمان، أيوب، وإسماعيل وإدريس، وذي الكفل، وذي النون، وموسى، وهارون، وزكريا، وعيسى).

ووجه تسميتها بهذا الاسم لتضمنّها الحديث عن جهاد الأنبياء والمرسلين في سبيل نشر الدّين مع أقوامهم الوثنيين، حيث ذكر فيها ستّة عشر نبيّا في استعراض سريع يطول أحيانا ويقصر أحيانا، وعلى الرغم من وجود سورة أخرى وهي (الأنعام) قد ذكر فيها أسماء ثمانية عشر نبيّا[4]، فقد أرجع الطّاهر بن عاشور سبب تسميتها إلى

---

[1]– سورة آل عمران، الآية :35.

[2]– ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص98.

[3]– ينظر: ابن منظور :المصدر السابق،ج4،ص601.

[4]–ينظر: سورة الأنعام، الآيات 83-86.

كون الأنبياء نزلت قبل سورة الأنعام، لهذا كانت الأجدر بهذه التّسمية[1].

بالنّسبة لسورة (القصص) فقد استفاضت في ذكر أخبار أمم سابقة، مشيرة إلى التحوّلات الحاصلة في ذلك الزّمان في كل الجوانب، وأثر ذلك على نفوس المسلمين الذين يعتنقون هذا الدّين أفواجا، ولم تعرف هذه السورة غير هذا الاسم، وهذا لورود اللفظ في مفتتح السورة إذ يقول عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ [2]، وقد قصد به الذكر الحكيم قصص موسى الذي قصّه على شعيب عليهما السلام والعبرة منها، و(القصّة) هي الخبر وهو القصص، وقصّ عليّ خبره: أورده، والقصص الخبر المقصوص، والقِصص بكسر القاف: «جمع القصّة التي تكتب والقصّة: الأمر والحديث»[3].وهذا باعتبار القصّة نقل حيٌّ للحدث دون تزييف، تحمل الدّعوة إلى التوحيد، والإيمان بالقرآن، وتنهى عن الشِّرك والضّلال.

أمّا (الزّمر) فقد ضمّتها الدراسة إلى هذا الحقل؛ لأنّ دلالة الكلمة تعنى الجماعة، فالزّمر: «جمع زُمره: والزُّمرة: الفوج من النّاس والجماعة من النّاس. وقيل: الجماعة في تفرقه، والزّمر: الجماعات»[4]، وقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم، لأنّ الله ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنّة، وزمرة الأشقياء من أهل النار[5]، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [6]، وفي قوله أيضا: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [7]، وقد اختصت هذه السورة دون غيرها بهذا العنوان في عتبة الدخول إلى الخطاب القرآنيّ، وفي ثناياها أيضا.

هذه مجموعة من الفئات الإنسانية، التي اختلفت مشاربها، وطبائعها في هذا الكون،

---

[1]–الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج17، ص5.

[2]–سورة القصص، الآية :25.

[3]–ابن منظور: المصدر السابق، مادة (ق ص ص)، ج7، ص74.

[4]–المصدر السابق، مادة (زمر)، ج4، ص329.

[5]–الدوسري: المرجع السابق، ص317.

[6]–سورة الزمر، الآية: 71.

[7]–سورة الزمر، الآية: 73.

ونجد الخطاب القرآني أيضا يخرج عن مجال الإنسان إلى مجال قوم آخرين يختلفون عنه تكوينا، ولكنهم يشبهونه من حيث مطالبتهم بالدخول إلى الإسلام، فيؤمن منهم من يؤمن ويكفر من يكفر،إنّه العالم غير المنظور من الكائنات يسمّون (الجن)، وقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم «لاشتمالها على ذكر أحوالهم وأقوالهم، وعلاقتهم بالإنس، ورميهم بالشهب لاستراقهم السمع إلى غير ذلك من حديث الجنّ العجيب»[(1)]، وهذا في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ [(2)]، كما قال المهايمي: «سمّيت بها لاشتمالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الإيمان، وتقبيح الكفر، مع كون أقوالهم أشدّ تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم إيّاهم»[(3)]. أمّا ما تبقّى من السُّور في هذا الحقل: (قريش، النّاس، الكافرون)، وهي من السور القصار التي تحدثت عن فئات بشرية مختلفة، لكل منها خصائصها التي تميّزها عن غيرها من البشر.

(الكافرون) سميت بهذا الاسم لأنها وردّت في قوله تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[(4)]، والكفر نقيض الإيمان، وكفر بالنّعمة بمعنى جحدها وسترها، ورجل ورجل كافر أي: جاحد، وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وكلّ من ستر شيئا فقد كفره، ولذلك سمّي الزّارع كافر لستره البذر بالتّراب»[(5)]، فمدار الكافر ستره للحق ونوره، يجري وراء ظلمة الشهوات، مفسد للدارين بجهله وتكبّره، فهي سورة التوحيد والبراءة من الشّرك، وضعت القدر الفاصل بين الكفرة والمؤمنين، فاستحقّت أن تكون عنوانا للسورة.

أمّا (قريش) فهو الاسم والعنوان المشهور لهذه السورة، وهذا بورود اللّفظة في مطلعها إذ يقول تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾[(6)]، ومعنى هذه الآية يتصل بالنّعم الجليلة

---

(1)–الدّوسري: المرجع السابق، ص453.

(2)–سورة الجنّ، الآية01:.

(3)–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص368.

(4)–سورة الكافرون، الآية01:.

(5)–ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص144.

(6)–سورة قريش، الآية: 01.

التي أنعمها المولى عز وجل على أهل مكة، بما أغناهم به، وما أنعم به عليهم من استقرار وطمأنينة، وقد فسّر ابن كثير (لإيلاف) بمعنى ائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين أو المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرّحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصّيف إلى الشام، ثم يعودون إلى بلدهم آمنين[1]، بعد أن يتحصّلوا الغنائم والرّبح الوفير عن طريق التّجارة، وقد شرّفوا بالذّكر لأنّهم من قوم الرسول ﷺ.

ونختم هذه الزّمرة بسورة (النّاس)، وهي آخر سورة في القرآن الكريم من حيث ترتيبها، وقد سميّت بهذه التّسمية لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ونظرا لتكرارها فيها خمس مرّات.

الحقل الحادي عشر: حقل الأفعال

ورد من العناوين في الخطاب القرآني ما عبّر عن الأفعال، وهذا تعظيما لها، فمن السور التي تدور في الفلك سورة (عبس)، هذا الفعل الماضي التي تصدر السورة، ونظرا لأهميته جاءت السورة في عتاب الرسول ﷺ على ما حدث مع ابن أم مكتوم الأعمى، حيث تجهّم وجه الرسول الكريم، وقطب ما بين عينيه في وجه هذا الأعمى؛ ولأنّ القرآن عادل فقد وجّه العتاب إلى النبّي بصورة غير مباشرة تعظيما له في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾[2]، ومنه جاءت تسمية السورة.

أما السورة الثانية في هذا المقام فهي سورة (فُصّلت) حيث بُدأت بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[3]، وفصّلت بمعنى بُيّنت كما جاء في لسان العرب لابن منظور، حيث ذكرت مفصلاّت بمعنى مبيّنات[4].

الحقل الثاني عشر: العبادات

---

[1]–ينظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص882.

[2]–سورة عبس، الآيتان: 1–2.

[3]–سورة فصّلت، الآية: 3.

[4]–ابن منظور: المرجع السابق، ج11، ص524.

من أشهر العبادات التي جاءت عنوانا للسورة القرآنية اثنتان: (الحج، والسجدة)؛ فالسورة الأولى جاءت نداء للنّاس جميعا ليتجهوا إلى تقوى الله من خلال فريضة الحج، ومنافعه وحرماته وشعائره، ومناسكه، وذبائحه، وهذا لتعريف المسلمين والمؤمنين بأهمية زيارة مكّة المكرمة لأجل هذا الغرض، والأجر العظيم المصاحب له، وهذا بداية من قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [1]، ومنه فقد سميت هذه السورة به لاشتمالها «على أصل وجوبه، والمقصود من أركانه وهو الطواف، إذ الإحرام نيّة، والوقوف بعرفات من استعداده، والسعي تتمته، والحلق خروج عنه»[2].

وأما سورة (السجدة)، ففيها من أوصاف المؤمنين، الذين يخرون سجّدا للمولى عز وجل، ويسبحونه عند سماعهم آيات الذكر الحكيم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3]، قال المهايمي في هذا المقام، «سميّت بها، لأنّ آية السجدة فيها، تدل على أنّ يعارض في كلامه ويشكره على كمال هدايته...» [4]، وقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم لاشتمالها على سجدة التلاوة[5]، وهي آية من آيات الإذعان للمولى عز وجل، والوقوف بين يديه دعاء واستغفارا واستئناسا.

الحقل الثالث عشر: خلق الإنسان

وردت في الخطاب القرآني ثلاثة سور تتحدث عن الإنسان وخلقه، وتكاثره، وهي: (الإنسان، العلق، التكاثر)، فالإنسان لفظة جاءت على وزن فِعْلان، وجمعه أناسين، غير أنّ هذا الجمع الأصلي غير مستعمل، وغيّر جمعه بأناس وأَنَسْ وآنُسْ،

---

(1)–سورة الحج: الآية: 27-28.

(2)–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص40.

(3)–سورة السجدة، الآية: 15.

(4)–المصدر نفسه، ج2، ص149.

(5)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج1، ص373.

و"الإنس" جمع جنس، والنّاس تخفيف الأناس، حذفت الهمزة طلبا للخفّة، و"الأنيس" أيضا بمعنى الإنسان[1]. والإنسان هو أشرف خلق اللّه الذين كُرّموا بخلقهم في أحسن تقويم، وشرّفهم بالرّسالة المحمّدية.

قال الفيروز آبادي في بصائر ذوي التّمييز: «سمّي به؛ لأنّه يأنس ويؤنَس به، وقيل: للإنسان أنسَانِ: أنسٌ بالحقّ، وجسمه يأنس بالخلْق»[2]، فالسورة كلها تتحدث عن مبدأ خلق الإنسان وتزويده بطاقات السمع والبصر، وقد سميّت بهذا الاسم لأنّ السورة افتتحت بذكر الإنسان وخلقه من عدم، ثم زاده من فضله بالخيرات، يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[3].

ثم يجيء الخطاب القرآني إلى تفصيل الخلق في سورة (العلق)، حيث يوضح لنا مرحلة من مراحل تكوين هذا الإنسان في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[4]، يقال: «علق بالشيء علقا: نشب فيه، والعلق: الدّم ما كان، وقيل: هو الدّم الجامد الغليظ»[5]، قال القرطبي: «العَلَقة: قطعة من دم رطب، سميّت بذلك، لأنّها تعلق تعلق لرطوبتها بما تمرّ عليه، فإذا جفّت لم تكن علقة»[6]، والعلقة وردت عدة مرات في في القرآن الكريم[7]، بينما تفردت هذه السورة بالعلق تعظيما لهذه المرحلة من تكوين الإنسان، والتي فصّلت مع بقية الأطوار الأخرى في سورة أخرى.

أما (التّكاثر) فهو عنوان سورة أخرى تصب دلالتها في المجرى نفسه سياق آخر، حيث تتحدّث السورة عن التشاغل بالمال والأموال والأولاد دون الاهتمام بالآخرة ودار

---

(1)–الفيروز آبادي: المصدر السابق، ج2، ص31.

(2)–المصدر نفسه، ج2، ص31.

(3)–سورة الإنسان، الآية: 1.

(4)–سورة العلق، الآيتان: 1–2.

(5)– ابن منظور:المصدر السابق، مادة (ع ل ق)، ج10، ص261.

(6)–ينظر: القرطبي، المصدر السّابق، ج20، ص119.

(7)– ينظر: سورة الحج: الآية 5، المؤمنون: 14، غافر: 67، والقيامة: 38.

الميعاد، والتكاثر من الكثرة يتصل بتعدد الأولاد، وهذه من خصائص الإنسان.

الحقل الرابع عشر: المعاملات السياسية والغزوات

سجّل الخطاب القرآني مجموعة من العناوين عتبات للدلالة على أسماء الغزوات أو ما يحدث فيها أو بعدها من مظاهر، وقضايا تهمّ الأمة الإسلامية، وقد حرص الخطاب القرآني على توضيحها، وبيان أهميتها، من ذلك نجد: (الأنفال، الأحزاب، الشورى، الفتح، الممتحنة، الصّف، والنّصر).

فسورة (الأنفال) كانت السورة التي نزلت في قصّة (بدر) أوّل غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، واختلفوا في تقسيمها، وأصابهم نزاع حولها، فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [1]، وقد سميّت بهذا الاسم لكونها مفتتحة بها ومكرّرة فيها، والأنفال جمع نفل «وهي الغنيمة والهبة، يقال: نفّلتُ فلانا تنفيلا: أعطيته نَفْلا وغَنمًا»[2]، والنّافلة في كلام العرب: الزّيادة على الواجب، وسميّت الغنيمة نَفْلا؛ لأنّها زيادة في الخير الذي يصاحب الفوز في الغزوات. ولم يَرِد في سورة القرآن هذا الاسم إلاّ في هذه السورة، وقد احتل موقعا هندسيا ابتدائيا شبيها في ذلك ببقية السور القرآنية التي يكون فيها عنوان السورة في الآية الأولى من بدايتها.

ومن حقل هذا المنعطف السياسي في حياة المسلمين، يتصدّر إحدى السور القرآنية عنوان (الأحزاب) والحزب «جماعة النّاس، والجمع أحزاب، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب: جنود الكفّار... تظاهروا على حرب النبي ﷺ وهم قريش وغطفان وبني قريظة»[3]، وقد أراد هؤلاء غزو المسلمين في المدينة فردّ الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال[4]، يجسّده قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا

[1] – سورة الأنفال: الآية1.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص670.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص308.

[4]– الدّوسري: المرجع السابق، ص ص294–295.

وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾[1] ولم تعرف سورة الأحزاب غير هذا الاسم، سميّت به «لأنّ قصّتها معجزة لرسول الله ﷺ متضمّنة لنصر، بالرّيح والملائكة، بحيث كفى الله المؤمنين المنافقين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن»[2]، وقد وردت هذه اللّفظة في سورة عدّة من القرآن الكريم[3]، ولكنها لم تسمّ بهذا الاسم، لأنها تناولت فترة زمنية عصيبة مرّت على المسلمين الذين افتقدوا إلى القدرة العسكرية والاقتصادية، ومع ذلك أقاموا الدولة الإسلامية الحديثة التي وضعت القواعد لإرساء منهج مدروس في تنظيم العلاقات الداخلية والخارجية.

ومن (الأحزاب) ينتقل بنا الخطاب السياسي إلى عنوان قريب منه وهو (الشورى) التي جاءت الآية مضمّنة للكلمة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[4]، لقد أطلقت هذه التّسمية على هذه السورة لبيان مكانتها وقيمتها كمقصد جديد من مقاصد الشريعة الإسلامية، فهي «في منهاج الشريعة أساس العلاقات الدّاخلية بين أفراد المجتمع وجماعاته وطبقاته»[5]. و(الشورى) مصدر (شاور)، نقول: «شاورته في الأمر واستشرته واستشاره: طلب منه المشورة، وأشار عليه بالرّأي: إذا ما وجّه الرّأي...» [6]، وهذا كان حال المسلمين في أوّل عهدهم بالرسالة المحمّدية؛ حيث كانوا يتشاورون فيما بينهم ولا ينفردون بالرأي[7]، فتجتمع قلوبهم بذلك، ويستقيم حالهم وهذا عكس المجتمعات المعاصرة.

أما سورة (الفتح) فقد عنونت باسم البشارة التي وجهت للرسول ﷺ بالفتح الأعظم

---

[1]– سورة الأحزاب، الآية: 22.

[2]–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص152.

[3]–ينظر: هود: 17، الرعد: 36، مريم: 37، ص: 11–13، غافر: 5–30، الزخرف: 65.

[4]–سورة الشورى، الآية: 38.

[5]–الجابري: المرجع السابق، ص545.

[6]–ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش ور)، ج4، ص437.

[7]–الشوكاني: المصدر السابق، ج4، ص74.

وانتشار الإسلام بعد فتح مكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[1]، فقال عنها ﷺ: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحبُّ إليّ من الدّنيا جميعا»[2]، وهذا لما فيها من الفرح والبهجة والاستبشار خيرا بفتح مكّة وهذا سينزل السكينة في قلوب المسلمين ويبعد عنهم حزنهم، ولم يعرف لهذه السورة اسم آخر غيره. وقد ورد لفظ الفتح في بعض سور القرآن كسورة ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[3]، و﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾[4] ، و﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾[5] ، و﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[6] ، و﴿ مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [7]، و و ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [8]، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[9] فهذا الاسم من المعاني الجليلة «يدعو للنهضة والتّقدم وقهر الأعداء ورفع راية الحقّ واضمحلال الباطل، وتقدم جند الله في الآفاق وتثبيت الأقدام وتمكن الدّين، والتّقدم به إلى أنحاء الدّنيا للاستخلاف فيها وسيادتها»[10].فالفتح هو البداية التي انطلقت منها بوادر النّجاح والفلاح اللّذين أسّسا فكرة تمجيد الانتصار وتتبّع خطوات نصرة الدّين الإسلاميّ.

---

[1]–سورة الفتح، الآية: 01.

[2]–رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، ص1785.

وروي برواية ثانية يقول فيها ﷺ: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس» البخاري: كتاب فضال القرآن، باب فضل سورة الفتح، ، ج6، ص422 حديث رقم [5012].

[3]–سورة النساء، آية: 141،

[4]–سورة المائدة، الآية: 52.

[5]–سورة الأنفال، الآية: 19.

[6]–سورة السجدة ، الآية: (28، 29).

[7]–سورة الحديد، الآية: 10.

[8]–سورة الصّف، الآية: 13.

[9]–سورة النّصر ، الآية: 1.

[10]–الجابري: المرجع السابق، ص384.

مفتاح آخر من مفاتيح الدّخول إلى النّص القرآني هو سورة (الممتحِنة)، وقد روي هذا اللفظ بكسر الحاء وفتحها «فمن كسرها جعلها بمعنى المختبِرة، فتكون صفة للسورة حيث أضيف إليها الفعل مجازا (...) ومن قال في هذه السورة: الممتحَنة بفتح الحاء – فإنّه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط»[1]، التي التي أسلمت بمكة وبايعت رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى المدينة، فلما جاء أخواها الوليد وعمارة يطلبانها أبي رسول الله ﷺ أن يردّها عليهما.

لقد جاء عنوان السورة بهذا من الفعل امتحنته، بمعنى اختبرته، وهذا الاختيار يدخل في مجال تسيير الدولة الإسلامية، لأن الرسول ﷺ هو الحاكم، وهو صاحب الرأي الذي يخشى على عباده المؤمنين من الأذى، فيحفظهم ويحميهم، وتزيد مسؤوليته عليهم.

من هنا قام العنوان بوظيفة الاحتواء لمدلول النّص؛ إذ يتواصل مع القارئ من خلال القصّة التي افتتحت بها السورة القرآنية؛ فقد وردت آيات يذكر فيها امتحان إيمان النّساء اللاتي يأتين من مكة إلى المدينة مهاجرات، طالبات للدّين الجديد، مضحيّات في سبيله، وهذا وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾ إلى قوله ﴿ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾[2]، فوصفت تلك الآية بالممتحنة، لأنها شرّعت الامتحان وجعلته مقدّسا [3]، وسيصبح هذا الأخير فيما بعد عنوانا لصلاح الأمّة الإسلامية من خلال الابتلاء الذي يعيشه الإنسان الصّالح في حياته.

ومن السّور التي دعت إلى الجهاد في مجال المعاملات السياسية، واعتبرته تجارة رابحة على المؤمنين أن يبذلوا فيها النّفس والنّفيس بغية انتصارهم في الدارين، نجد سورة تحمل عنوان (الصّف)، وهو مفرد جمعه صفوف يعني «السّطر المستوي من كلّ شيء معروف، وصففت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم في الحرب صفّا، ويقال: صفّ

[1]–الدوسري: المرجع السابق، ص404.

[2]–سورة الممتحنة:الآية 01.

[3]–الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج28، ص122.

الجيش يصفُّه صفًّا، فهو مصاف إذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدوّ»[1]، وقد سمّيت بهذه التّسمية لوقوع لفظة (صف) فيها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[2]، والصفٌّ هنا هو صفّ القتال الذي يجعل المؤمنين كلاًّ متكاملا لا ينفصل بعضه عن بعض، إنّه شرط رئيس من شروط الالتحام التي تزيد في قوتهم وتدفعهم قدما نحو النّصر.

أما سورة (النّصر) فهي أيضا من السور التي تنتمي إلى هذا الحقل، والنّصر لفظة مشتقة من «نصر المظلوم ينصره: أعانه على عدوّه وشرّ منه، والنُّصرة: حسن المعونة، والاستنصار: استمداد النّصر»[3]، وقد حملت هذه السورة البشرى للرسول ﷺ بفتح مكة، ودخول النّاس إلى الإسلام أفواجا، وهو الاسم التّوقيفي الذي عرفت به مع أسمائها الاجتهادية الأخرى، وقد سميّت بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[4].

ويمكن للمتصفّح لهذه العناوين أن يضيف إليها سورة (التوبة)، ما دامت قد عرضت إلى حدث عظيم، وهو توبة الله تعالى على الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبّوك، وفيهم قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5]، وقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم لكثرة ورود لفظ (التوبة) ومشتقاتها في السورة، من ذلك قوله تعال: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[6]، وقوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ

---

[1]ـابن منظور: المصدر السابق، مادة (ص ف ف)، ج9، ص194.

[2]ـسورة الصّف، الآية: 4.

[3]ـتاج العروس، مادة (ن ص ر)، ج14، ص223.

[4]ـسورة النصر، الآية01 .

[5]ـسورة التوبة، الآية: 118.

[6]ـسورة التوبة،الآية: 03.

ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]، وغيرها من الآيات[2].

الحقل الخامس عشر: الملائكة

من العناوين التي جاءت وصفا للملائكة (الصافات، النّازعات، المعارج) فالصّافات اسم فاعل للفعل صفّ، ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ ، الواردة في مفتتح السورة تعني الملائكة مصطفون في السماء يسبحون الله تعالى[3]، قال المهايمي «سميّت بها لاشتمال الآية التي هي فيها على صفات الملائكة تنفي إلهية الملائكة من الجهات الموهمة لها فيهم فينتفي بذلك إلهية ما دونهم فيدل على توحيد الله وهو من أعظم مقاصد القرآن»[4].

أما سورة (النّازعات) فقد افتتحت بالقسم بالملائكة الأبرار التي تنزع الأرواح من الأجساد لإثبات البعث[5]. والنّازعات: اسم فاعل من الفعل نزع بمعنى اقتلع، قال الفراء: «تنزع الأنفس من صور الكفّار»، وهي السورة الوحيدة المسّماة بهذا الاسم؛ لأنّ هؤلاء الملائكة هم الذين ينزعون أرواح بني آدم عن أجسادهم.

في حين سمّيت سورة المعارج بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[6]، والمعارج من عرج في الدّرجة والسلّم، يعرج يعرج عروجا أي: ارتقى[7]، فالملائكة ترتفع وتعلو وتصعد نحو السماء، وهذه الصّفة لم تذكر في غير هذه السورة.

الحقل السادس عشر: المعادن

---

(1)–سورة التوبة،الآية: 05.

(2)–ينظر أيضا الآيات: 27، 74، 102، 117، 104، 112.

(3)–ابن منظور: لسان العرب، مادة (ص ف ف)، ج9، 194.

(4)–المهايمي: المرجع السابق، ج2، ص191.

(5)–الدّوسري: المصدر السّابق، ص476.

(6)–المعارج: الآية 04.

(7)–ابن منظور: المصدر السابق، مادة (ع ر ج)، ج2، ص321.

معدن وحيد ذكر في القرآن الكريم ارتبط بالحياة الدّنيا وكان عتبة افتتاحية لسورة قرآنية، وهي سورة (الحديد)، والحديد معروف بأنّه رمز للقوة والشدّة، ينتفع به الإنسان في شتى عناصر الحياة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، يستفاد منه عسكريا واقتصاديا، ورد هذا اللفظ في وسط السورة وليس في مفتتحها كما مرّ معنا في كثير من السور القرآنية، «ولأنّ الحديد الذي ذكر في هذه السورة هو حديد السلاح الذي هو من نعم الله التي يحصل بها النّفع والتأييد والدّفاع عن الدّين»[1]، فقد أضحى مادة للقوة والعظمة لمن استخدمه استخداما موضوعيا، ولم يتهور في توظيفه.

وقد سميّت به هذه السّورة لقيمته الكبرى في الجهاد، كما يقول المهايمي: «سميّت به، لأنّه ناصر الله ولرسوله في الجهاد، فنزل منزلة الآيات النّاصرة لله ورسوله، على أنّه سبب لإقامة العدل كالقرآن، وأيضا أنّه جامع للمنافع»[2]، ولم تحمل هذه السورة اسما غير هذا، وهي سورة تنتمي إلى المسبّحات.

أمّا السورة الثانية التي عنونت باسم معدن أيضا هي (الزّخرف) حيث ارتبط هذا المعدن بالجزاء في الآخرة، فسّر هذا اللّفظ بمعنى الذّهب، وهو الهدية التي تقدم لمن ﷻ وأدخلهم الجنّة، ففي هذه السورة ورد اللّفظ بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾[3]، فسّرها ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم بمعنى الذّهب[4]، وقد جاء عنوانا للسورة رفعة له وتعظيما لقيمته المعنوية التي تتمثل في سعادة المؤمنين بهذا العطاء الرّباني.

الحقل السابع عشر: الكتب السماوية

لم يرد من الكتب السماوية عنوانا في الخطاب القرآني غير سورتي (الفرقان

---

[1]–الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج27، ص353.

[2]–لسان العرب: مادة (ف ر ق)، ج10، ص302.

[3]–سورة الزّخرف: 34–35.

[4]–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص226. انظر أيضا: الشنقيطي، المختار أحمد محمود، الترجمان والدّليل لآيات التنزيل، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2001، ص109.

والبيّنة) أولاهما سميّت "الفرقان"، وقد اختصّ القرآن بهذه التّسمية دون الكتب السماوية الأخرى لرفعه شأنه وعلوّ مكانته، ولفظة (الفرقان) هو اسمه الثاني المشهور به، عُرفت له عدّة دلالات قال ابن منظور: «كل ما فُرق به بين الحقّ والباطل فهو فرقان» أي أنّه فارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام لأنّ نزوله كان متفرّقا أنزله في نيف وعشرين سنة ودليله قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا ﴾[1]، وهذه خاصية ميّزت القرآن دون غيره، لأنّ بقية الكتب نزلت دفعة واحدة أي جملة واحدة.

وقيل الفرقان هو النّجاة، وذلك لأنّ الخلق وجدوا النّجاة من الظلمات بحملهم لهذا الكتاب[2]، وقد سميّت بهذا الاسم لأنّها ضُمّنت لفظ القرآن في أوّلها مصداقا لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]، أمّا السّورة الثانية التي وصف بها (الكتاب) هي (البيّنة) والبيّنة هي الحجّة والبرهان، وهو الاسم الذي اشتهرت به السورة لورود هذا اللفظ في مفتتحها لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[4]، وقد جاءت بمعنى: الحجّة، وهو القرآن المنزّل على محمد ﷺ.

الحقل الثامن عشر: أوصاف الرّسل ومعجزاتهم

يدخل في هذا الحقل السور الآتية: (المزّمل، المدثر، الشّرح، المائدة)، وصف الرّسول ﷺ بوصفين هما المزّمل والمدثر، ونسب إليه شرح الصّدر، فأمّا في سورة المزمّل فقد أُمر الرسول ﷺ بما يأتي[5]:

1-قيام ثلث الليل ونصفه أو ثلثيه.

---

[1]-الإسراء، الآية: 106.

[2]-الدوسري: المرجع السابق، ص31.

[3]- سورة الفرقان، الآية: 1.

[4]- سورة البيّنة، الآية: 01 .

[5]-الدوسري: المرجع السابق، ص455.

2-قراءة القرآن بتؤدة وتمهل.

3-ذكر ربّه ليلا ونهارا بالتحميد والتّسبيح والصّلاة.

4-التّوكل على الله والاعتماد عليه.

5-الصّبر على ما يقوم الكفار، وهجرهم هجرا جميلا.

6-إيتاء الزكاة والدّوام على الاستغفار.

والمزمّل لفظ أصله المتزمّل، وقد أدغمت التّاء في الزاي لقربها منها في المخرج، والمتزمل اسم فاعل بمعنى المُتَلَفِّفُ من الفعل (تزمّل) بمعنى تلفّف «يقال تزمّل فلان إذا تلفّف بثيابه»[1]. أي غطّى نفسه جيّدا بالصّوف أو غيره من الأقمشة.

وقد سميّت هذه السّورة بهذا الاسم، لأنها تتحدّث عن النبي ﷺ في بداية عهده مع الوحي، حيث أمره المولى عز وجل بترك التّزمل والبدء في دعوة النّاس إلى دين الحق ورسالة ربّه عز وجل، قال المهايمي: «سميّت به لدلالته على عظم أمر الوحي، لأنّه أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمّل»[2]، وقد روي في فضل هذه السّورة عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ يا أيها المزمّل دفع العسر في الدّنيا والآخرة»[3]. والسّؤال المطروح لماذا؟ إنّ قراءة هذه السورة الكريمة تعلّم الإنسان كيف يصبر، وكيف يجلّد نفسه من مصاعب الحياة، وتعلّمه كيف يحمل رسائله الخالدة وهي الحفاظ على دينه، وعلى قيمه ومبادئه اقتداء بخير خلق الله الرسول الكريم، لهذا كان أجر المتصبّر دفع العسر عنه لأنّ لديه اليقين بأنّ اللّه تعالى معه دائما وأبدا.

أما سورة (المدثّر) فقد ابتدأت السورة بتكريم النّبي ﷺ والأمر بإبلاغ الدعوة، وهذه الكلمة التي جاءت عنوانا أصلها متدثّر أدغمت التاء في الدّال وشدّدت. يقال: «تدثّر

[1]-ابن منظور: اللسان، مادة (ز م ل)، ج11، ص311.

[2]-المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص371.

[3]-أخرجه الواحدي، ج4، ص371. والزمخشري، الكشّاف ،ج4، ص156.

بالثّوب: اشتمل به داخلا فيه، والدّثار: الثوب الذي يستد فأبه»[1]، فالكلمة تحمل معنى التلفّف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[2]، قال عنها الفرّاء: «يعني المتدثّر بثيابه إذا نام، وقد تدثّر، أي: تلفّف في الدّثار»[3]، وقد سميّت بهذه التّسمية لأنّها افتتحت بالآية المذكورة آنفا.

وبعد التّزمّل والتدثّر يجيء شرح الصدر، في سورة سميت في المصاحف وبعض كتب التفسير(الشرح)، وهو مصدر الفعل الواقع في أولها عند قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [4]، وهذا خطاب موّجه للرسول الكريم ﷺ نظرا لعناية المولى عز وجل به، ولطفه حيث رفع عنه الهمّ والغمّ، وجعل له بعد العسر يسرا، يقول ابن منظور في تفسير الكلمة «شرح الله صدره لقبول الخير بشرحه شرحا فانشرح: وسعه لقبول الحقّ فاتّسع»[5].

أمّا في مجال المعجزات التي جاءت بها الرّسل، نجد سورة عنونت بــ (المائدة) تكريما وتعظيما لها، إذ ذكرت في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[6]، وحكايتها أن الحواريين طلبوا من عيسى عليه السلام أن يطلب من ربّه أن نزّل عليه مائدة من السّماء حجّة كي يوقدوا الله ويعبدوه، وتأكيدا على عظمة الخالق. وسميت بهذا الاسم للحادثة التي ذكرت فيها، ولم ترد في غيرها من السور، وقد عرفت بهذا الاسم في عهد الرسول ﷺ، «أما أنّها آخر سورة نزلت، فما وجدتهم فيها من حلال فاستحلّوه، وما

---

[1]–ابن منظور: لسان العرب، مادة (دثار)، ج4، ص276.

[2]–المدثر: الآية 01.

[3]–الفراء: معاني القرآن، ج3، ص200.

[4]– سورة الشرح، الآية: 1.

[5]–ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش ر ح)، ج3، ص497.

[6]– سورة المائدة: الآية 112.

وجدتم من حرام فحرّموه»[1]. وقد أشار المُهايميّ إلى أنّها «سميّت بها لأنّ قصّتها أعجب ما ذكر فيها، لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن، وعنف شديد على من كفر»[2]، فالدليل المّادي الملموس هو المطلوب في هذه المعجزة، لأجل أن يزداد الحواريون يقينا، وتقوى الطمأنينة في قلوبهم، والجديد في هذه المعجزة أنها سماوية من الله عز وجل وليست لبشر كما هي باقي المعجزات.

الحقل التاسع عشر: المعاملات والأخلاق والأحكام

إنّ العلاقة الوثيقة بين الدّين الإسلامي والمعاملات، جعلت القول المأثور: «الدّين المعاملة»[3]، رمزا لعبقرية المسلم ودليلا لصموده أمام الشيطان ، وأمام أعدائه، والنّفس الأمّارة بالسوء، وكل الشبهات المؤديّة إلى النّار.

ولأنّ المعاملة قد تكون إيجابية، وقد تكون سلبية بحسب أخلاق صاحبها، فقد وجدنا العناوين الواردة تحت هذا الحقل تنقسم إلى قسمين:

1-الأخلاق والمعاملات العامة:

أ-**المعاملات والأخلاق الإيجابية**: وقد ظهرت في سورتين، سورة الإخلاص وسورة الفاتحة، فأما سورة (الإخلاص) فتتحدّث عن وحدانية الله عز وجل، وإبطال فكرة أن يكون والدا، أو أن يولد له مولود، ردّا على المشركين والنّصارى.

والإخلاص مصدر الفعل (خلص)، و«(خَلَصَ) الشيء بالفتح، يخلص خلوصا وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلِم»[4]، والمخلص هو الموقّر لله عز وجل دون غيره، لهذا فإنّ الإخلاص هو التوحيد، وقد تفرّدت هذه السورة بهذا الاسم «لأنّها تتناول الحديث عن إخلاص العبادة لله عز وجل وتوحيده، وتنزيهه عن كل نقص

---

(1)-أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم [25535]، ج6، ص213. وأبو عبيد في فضائله، باب (فضل المائدة والأنعام)، ص128.

(2)-المهايمي: المصدر السابق، ج1، ص177.

(3)-ثبت أن هذا قولا مأثورا وليس حديثا نبويا شريفا ونسب خطأ للرسولﷺ.

(4)-ينظر: اللسان، مادّة (خ ل ص)، ج7، ص27.

وشرك»[1].قال الفيروز آبادي في تفسيرها: «(قل هو الله أحد) سمّيت سورة الإخلاص، لأنّها خالص التوحيد، وسبب خلاص أهله»[2].والإخلاص خلق عظيم لا يتحلّى به إلّا من كانت رحلته إلى اللّه صادقة بالتّوحيد، ويكون الإيمان أساسها والصبر طريقها إلى الجنّة.

في حين مثّلت سورة الفاتحة جزءا هاما من الخطاب القرآني، حيث تضمنّت جميع علوم القرآن ومقاصده؛ فقد شملت الثناء على الله، وتنزيهه عن النقائص، وإثبات الألوهية، وإثبات البعث والجزاء، سميّت فاتحة الكتاب لأنّ «فاتحة كلّ شيء: أوّله ومبتدؤه: جمع: فواتح»[3]، فدلالة الكلمة الأصلية هي «أوّل ما من شأنه أن يفتتح به، ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، فالفاتحة وصفٌ وُصِفَ به مبدأ القرآن وعومل معاملة الأسماء الجنسية، ثم أضيف إلى الكتاب ثم صار هذا المركب علما بالغلبة على هذه السورة»[4].

وقد ذهب بعض العلماء والمفسّرين إلى أنّها سميّت بهذا الاسم، لأنّ بها تفتح قراءة القرآن، وكذا كتابته في المصحف خطّا، وإلى هذا الرأي ذهب الطبري، والقرطبي، والماوردي، والبغوي في تفاسيرهم، والسيوطي في الإتقان. وقد أدرجنا ضمن هذا الحقل لأنّ فيها الكثير من الأخلاق والمعاملات الحميدة التي يتحلّى بها المسلم، كالحمد لله، والشهادة بربوبيته والإيمان بها، والرّضا برحمته، له العبادة والملك والاستعانة، يدعوه الإنسان للهداية والهناء الأبدي، وهذا أمر يخصُّ هذه السورة دون غيرها.

<u>**ب-المعاملات والأخلاق السلبية**</u>: تدور في سياق هذا الحقل العناوين الآتية: (الهمزة، المطّففين، الماعون)؛ هذه السور من خلال عناوينها حملت دلالة على ذمّ بعض الأخلاق والتعاملات الإنسانية السلبية التي تدعو إلى الانصراف عن الإسلام والرّجوع

(1)– الدّوسري: المرجع السابق، ص585.
(2)–الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز، ج2، ص173.
(3)– الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص298.
(4)–ينظر: التحرير والتنوير: ج1، ص32.

إلى الشرك. «و(الهُمَزة): هو الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه، واللّمز في الاستقبال، والهمّاز: العيّابون في الغيب، واللّماز المغتابون بالحضرة»[1]، والدّيانة الإسلامية السّمحاء تنبذ مثل هذه الأخلاقيات السّلبية، وتحتقر من يتخلّق بها، وتدعوه إلى التّخلّي عنها.

وقد سميّت السورة بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾[2]؛ ذمّا لكل من يغتاب النّاس ويطعن فيهم، ويأكل لحمهم، وقد افتتحت السورة (بالويل) وهذا أعظم ذمّ تسجله بدايات السّور، كما هي الحال في السورة الثانية من السور التي تذم الأخلاق الشنيعة وهي سورة "المطّففين"، حيث افتتحت بقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾[3]؛ فهو تهديد بالويل والهلاك وتصوير لجزائهم المشؤوم، و"المطففين" اسم فاعل للفعل طفف (...) والتّطفف: البخس في الكيل والوزن ونقص المكيال»[4]، وقد قال المهايمي في هذا السياق: «سميّت به دلالة على من أخلّ بأعظم حقوق الحقّ من الإيمان به وبآياته ورسله»[5].وقد جاءت هذه السورة الكريمة كي تعلن الحرب على هذه الفئة من النّاس التي تخدع الآخرين ، وتأخذ حقّهم، مادامت لا تكيل بمكيال العدل.

و ليس بعيدا عن السّياق السابق وجدنا من السور أيضا سورة (الماعون) تصوّر لنا فئة أخرى من النّاس، من أخلاقها البُخل، فإذا كانت سورة (المطفّفين) فيها «تنبيه على أنّ أصل الآفات الخلق السّيء وهو حبّ الدّنيا الموقع في جمع الأموال من غير وجهها ولو بأخسّ الوجوه»[6]؛ فإنّ سورة (الماعون) جاءت تصويرا لفئة من النّاس يعتدون على الضعفاء ويحتقرون المساكين، إنهم المنافقون المذمومون الذين يغفلون عن صلاتهم، ويمنعون إطعام الفقراء والمساكين لبخلهم وفظاعة أعمالهم.

---

(1)–ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص426.

(2)– سورة الهمزة: الآية 01.

(3)– سورة المطففين، الآية: 01.

(4)–الدّوسري: المرجع السابق، ص491.

(5)–المهايمي: المصدر السابق، ج2، ص392.

(6)–البقاعي: نظم الدرر، ج21، ص311.

ويطلق مصطلح (الماعون) على الإعانة بالمال، وقيل يمنعون الزكاة... ويطلق أيضا على ما يستعان به على عمل البيت من آنية وآلات طبخ ونحو ذلك[1].هذا عن الأخلاق والمعاملات الإنسانية في عمومها، أما إذا أردنا أن نضيّق من مساحتها، وجدنا بعض السور القرآنية التي حملت عناوين لعلاقات أسرية.

2-<u>الأخلاق والمعاملات الخاصة</u>

مثّلت هذا الباب العناوين الآتية (الطلاق، التحريم، المجادلة)، وهي عناوين تدخل ضمن نطاق التشريع الإسلامي.

فأما سورة (الطلاق) فسمّيت بهذا لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾[2]، ففي هذه السورة الكريمة أثيرت قضية من قضايا المجتمع عموما والمجتمع الإسلامي خصوصا، لتتبّع أدقّ تفاصيل العلاقة الزّوجية، لحماية الأسرة من الشتات والضياع، فقد سميّت هذه السورة بهذا الاسم لتضمّنها أحكام الطلاّق وما يعقبه من العِدّة، والإرضاع والإنفاق والإسكان، على الرّغم من أنّ هذه الظاهرة حلال، كما قال الرسول ﷺ: «إنّ أبغض الحلال إلى الله الطّلاق»[3]، قال عنها المهايمي: «سميّت به لبيانها كيفية الطّلاق السّني وما يترتّب عليه من العدّة والنّفقة والسّكنى»[4].وهو أمر يتعلّق بقانون الأسرة، وكيفيات الحفاظ عليها، وهو آخر حلّ يلجأ إليه الأزواج بعد الفراق، لهذا يسمّى "أبغض الحلال".

وقد رتّبت سورة (التّحريم) في المصحف بعد سورة الطّلاق مباشرة، وهذا لأنّها تحمل عتابا لبعض أزواج النبّي لإفشائهنّ السرّ، وقد همّ بتطليقهن، فالتطليق وارد فيها أيضا، وقد سميّت بهذا الاسم لتحريم النبيّ ﷺ شيئا على نفسه، وافتتاح السورة بعتابه

---

[1]–ينظر: ابن كثير، ج4، ص886. والتحرير والتنوير، ج30، ص68.

[2]– سورة الطّلاق، الآية: 01.

[3]–البيهقي: المصدر السابق، ج7، ص322. وأخرجه ابن داود، ج2، ص255.

[4]–المهايمي: المصدر السابق ج2، ص347.

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [1].

في حين جاءت سورة (المجادلة) لتقدم حكما في كفارة الظهار، لأنّها حكت عن قصة (المجادلة) التي ظاهر منها زوجها، وقد رويت السورة بفتح الدال وبكسرها، يدور مضمونها في أحكام ظهار الزّوج من زوجته وما يترتب عليه، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [2]، والمجادلة بمعنى المناظرة والمخاصمة، مصدر الفعل جادله: أي خاصمه ورجلٌ جَدلٌ إذا كان أقوى في الخصام، والاسم: الجدل، وهو شدّة الخصومة[3].

الحقل العشرون: أدوات الكتابة

من الآيات العظيمة التي أقسم بها المولى عز وجل، وجعلها عنوانا لإحدى سوره، لفظة (القلم)، وهذا في مفتتح قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [4]، حيث يقسم الله تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، تكتب بها أنواع العلوم ويسطّر بها المنثور والمنظوم من الكلام[5]، والسورة بذلك تنوّه بأهميته، وأن استخدامه يرمز إلى العلم والمعرفة، ودعوة ربّانية لتشجيع الكتابة والقراءة لأنّ عليهما تقوم الأسس القوية للأمم.

جدول رقم (4): العناوين وحقولها الدلالية في القرآن الكريم

اسم الحقل	عناوين السور	اسم الحقل	عناوين السور
1-حقل أسماء الأعلام	إبراهيم-يونس-هود -يوسف-محمد ﷺ، نوح، مريم، لقمان.	2-حقل الكون والطبيعة	الرّعد، الذاريات، النّجم، القمر، البروج، الطارق، الشمس،

---

[1]-سورة التحريم،الآية: 01.

[2]-سورة المجادلة،الآية 01.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، مادة (ج د ل)، ج11، ص105.

[4]- سورة القلم، الآية: 01.

[5]-الجابري: المرجع السابق، ص411.

			المرسلات.
3-حقل الأزمنة والمواقيت	الفجر، اللّيل، الضّحى، العصر، الفلق، القدر، الجمعة.	4-حقل الأطعمة والفواكه.	التّين.
5-حقل الحروف المقطّعة	ص، يس، ق، طه	6-حقل الأمكنة.	الحجر، الكهف، الأحقاف، الطور، سبأ، الحجرات، البلد، الإسراء.
7-حقل أسماء الله الحسنى وصفاته وملكه	فاطر، غافر، الرحمن، الأعلى، الملك، النّور	8-حقل أسماء يوم القيامة واليوم الآخر	القيامة، الواقعة، التّغابن، الحاقّة، القارعة، الغاشية، الجاثية، الحشر، النّبأ، التكوير، الانفطار، الزلزلة، الانشقاق، المسد، الكوثر، الدّخان.
9-حقل الحيوان	البقرة، الأنعام، النّحل، العنكبوت، النّمل، الفيل، العاديات.	10-حقل الأقوام والجماعات.	الروم، قريش، النّاس، الشعراء، النساء، المنافقون، الكافرون، المؤمنون، الجنّ، آل عمران، الزمر، الأعراف، القصص، الأنبياء.
11-حقل الأفعال	عبس، فصّلت	12-حقل العبادات	الحج، السّجدة.
13-حقل خلق الإنسان	الإنسان، العلق، التّكاثر	14-حقل السياسة والغزوات.	الأنفال، الأحزاب، الشورى، الفتح، الصّف، النصر، التوبة، الممتحنة.
15-حقل الملائكة	الصفات، النّازعات، المعارج.	16-حقل المعادن.	الحديد، الزخرف.
17-حقل الكتب السماوية	الفرقان، البيّنة	18-حقل أوصاف الرسل ومعجزاتهم	المزمّل، المدثر، الشرح، المائدة.
19-حقل المعاملات والأخلاق والأحكام.	الهمزة، المطفّفين، الماعون، الإخلاص، الفاتحة، المجادلة، الطلاق، التحريم.	20-حقل أدوات الكتابة.	القلم.

المبحث الثالث:

العناوين في القرآن الكريم ،علاقاتها الدلالية، وظائفها، وخصائصها

مدخل

بعد أن تناولنا في المبحث السابق أنواع الحقول الدّلالية، التي اجتمعت تحتها العناوين في الخطاب القرآني، وبعد أن تمّ تحليلها ومعرفة دلالتها، آن لنا في هذا المبحث أن نقف عند أهم العلاقات الدلالية القائمة بينها، باعتبارها أدوات للرّبط تتنوّع بتنوّع العناوين التي أسهمت في خلق التماسك النّصي بين عناصر الخطاب، وسنحاول في ذلك أن نبتعد عن تقسيم المفسرين واللغويين للسور القرآنية، وذلك إمّا بسبب مكان نزولها، فقسموها إلى قسمين؛ المكّي والمدني[*]، أو بحسب طول السورة أو قصرها فقسموها إلى أربعة أقسام (السبّع الطّوّل، المثاني، المئون المفصّل)؛ فالسبّع الطّول هي آل عمران، البقرة، النساء، المائدة، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الأنعام، والأعراف، وهناك من أضاف إليها سورة يونس، أو جمع بين (التوبة والأنفال) باعتبارهما سورة واحدة، أما المئون فهي السورة التي تبلغ المائة أو تزيد بقليل، أما المفصّل فهي السور القصار تفصل بين الحقّ والباطل، تبدأ بسورة محمد ﷺ وتنتهي إلى سورة الناس.

كما سنحاول بالموازاة أن نقف عند أهم الوظائف التي حققتها هذه العناوين في تواصلها مع المتلقي، وكذا التعرّض إلى أنماط أبنيتها لمعرفة صورتها الصرفية والنحوية والدلالية على السواء.

---

[*]-جعلوا السور المكية 86 سورة، والمدنية 28 سورة، ووضعوا لكل منها خصائص تميّزها، فبينما تتميّز الأولى بالقصر، وكثرة الفواصل وجرسها المتناسق وتوجيه خطابها لعامة النّاس، والأساليب التقريرية الموظفة فيها تتناسب وموضوعاتها التي تتناول قضايا التّوحيد والإيمان والرّد على المشركين؛ بينما تنتمي الفئة الثانية من السور إلى المدنية، وهي طويلة إذا ما قورنت بسابقتها، وتتناول قضايا التنظيم الاجتماعي والسياسي، مع تقرير الشرائع والأحكام، مع توجيه الخطاب إلى الذين آمنوا. انظر بالتفصيل: بمبا: المرجع السابق، ص 70 وما بعدها.

أولا: العلاقات الدلالية بين العناوين

1-علاقة الترادف:

مثّل الترادف ظاهرة دلالية، ووسيلة من وسائل الربّط النّصية التي تصنع شبكة من العلاقات الدّلالية التي تشكل محورا بنائيا في التواصل بين السور القرآنية، فدخول الباحث إلى مجال «صفات الرسل ومعجزاتهم مثلا يجد من العناوين ما تقوم بينها هذه العلاقة القائمة على المشابهة بين اللفظين من حيث المعنى، ويضم هذا المترادفين: (المزمّل- المدّثر)، فكلا اللّفظتين هما اسم فاعل، تدلّان على معنى التّغطية والالتفاف بالغطاء، وقد مرّ معنا تحديد دلالة [التلفّف] [1].

فالمزّمل مأخوذ من «زمّل الشّي: أخفاه... وتزمّل وازملّ وازدمل بثوبه: تلفّف»[2]. والمعنى ذاته في (المدّثر) المأخوذة من (دثّره) بمعنى غطّاه بالدّثار، فهو متدثّر[3]. و«المدّثّر؛ يعني المتدثّر بثيابه إذا نام والمعنيّ بهذا الخطاب هو الرسول ﷺ، لهذا ورد في الحديث «كان إذا نزل عليه الوحي يقول دثّروني دثّروني؛ أي غطّوني بما أدْفَأُ به»[4]، وعليه فإنّ المدّثر نفسه، كالمزمّل نفسه كلاهما يدور في حقل التغطية والإخفاء من شدّة وطأة الوحي على الرسول ﷺ.

من العناوين أيضا التي تحققت من خلالها علاقة الترادف نجد (الانفطار، الانشقاق)، وهي من السور القرآنية التي ارتبطت بالسماء من حيث وصفُها، وهي من المصادر الواقعة عنوانا، والتي وصفت نهاية العالم بانشقاق السماء وانفطارها وزوالها باعتبارها مظهرا من مظاهر الآخرة، فـ"الانفطار" من فطر الشّيء بمعنى شقّهُ، فقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[5]، معناه انشقت، وفي الحديث «قام رسول الله ﷺ حتى

---

[1]-ينظر مثلا: السّمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت756هـ): الدّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج10، ص509.

[2]-المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط38، 2000، ص306.

[3]-المرجع نفسه، ص206.

[4]-ابن منظور: لسان العرب المحيط،ج1، مادة (د ث ر)، ص946.

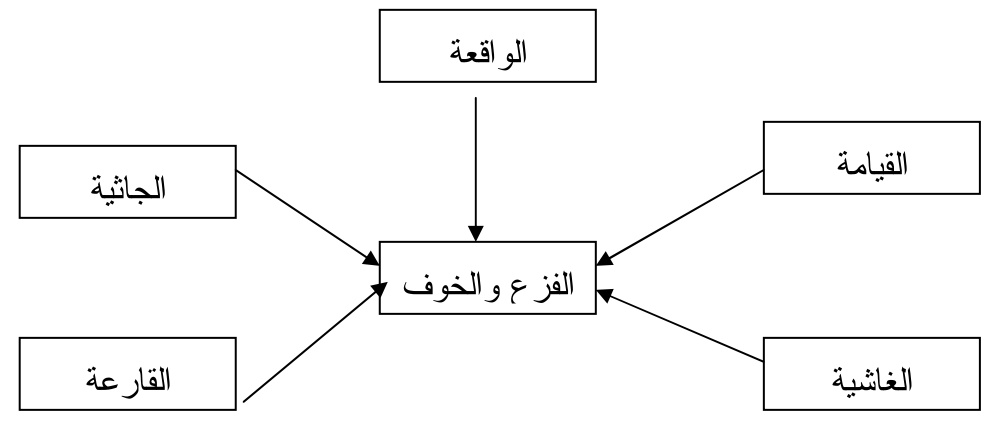
[5]-سورة الانفطار، الآية: 1.

تفطّرت قدماه أي انشقتا»[1].أما الانشقاق فهو مشتق من (شقق)، ويحمل معنى الصّدع البائن في كل شيء، ومنه انشقت السماء إذا تصدّعت وانفطرت.

فالعلاقة القائمة إذن بين "التدثّر" و"التّزمل" هي علاقة ترادف وذلك لتحقق التضمن من الجانبين، وفي هذا يقول أحمد مختار عمر: «يكون (أ) و(ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب)، و(ب) يتضمّن (أ)» [2]. وهما ينتميان للحقل المعجمي نفسه.

من الترادف الجزئي المتحقق بين العناوين أيضا، ما جاء بين لفظتي "الغاشية و"القيامة"؛ فالغاشية اسم من أسماء القيامة، وذلك لأنّها تغشى النّاس بأفزاعها ومخاوفها، وهو السياق الّدلالي نفسه الذي نجده في السورة المعنونة "بالجاثية" حيث سميّت بهذا الاسم «للأهوال التي بلقاها النّاس يوم الحساب، حيث يجثو الخلائق من الفزع على الرّكب في انتظار الحساب»[3].

وتبعا لهذا يكون الترادف بين هذه الكلمات الثلاثة جزئيا، حيث تشترك جميعا في مسألة الفزع والخوف الذي ينتاب النّاس في هذا اليوم العظيم، ثم تختلف في جزئياتها الدلالية الأخرى، مع الإشارة إلى أن هناك سورتان قرآنيتان أخريان تتقاطعان مع السور السابقة وتشتركان معها في مظهري الفزع والخوف ،الذي يزلزل نفوس الخلائق في ذلك اليوم, وهما الواقعة والقارعة كما هو مبين في الخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 2: الترادف الجزئي بين العناوين

---

[1]–ابن منظور: المصدر السابق، ج2، مادة (ف ط ر)، ص1108.

[2]–أحمد مختار عمر: علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2006، ص98.

[3]–الدّوسري: المصدر السابق، ص348.

2-علاقة التّقابل:

وظّف الخطاب القرآني التقابل بين بعض العناوين وسيلة من وسائل الرّبط بينها، وُجد خاصة بين العناوين التي تعيّن الكائنات الموجودة في هذا الكون، وترسم دائرتها التّكوينية، وأهم خصائصها التي تميّزها عن غيرها من الكائنات الأخرى.

في هذا السياق وجدنا التقابل بين الاسمين: (النّاس- الجنّ)، والغرض في هذا هو تحقيق للوظيفة الإعلامية الموجّهة للمتلقّي، فلفظة النّاس جمع للإنسان الذي أصله (إنسيانْ) من الإنس. والإنس جنس له خصائصه التي تميّزه عن الجنس الثّاني الذي يسمّى (الجن)، وهو لفظ مشتق من (ج ن ن)، نقول «جنّ الشيّء يجُنُّهُ جنّا: ستره، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك»[1].

إنّ هذا التقابل بين الفئتين يرتكز أصلا على معطيات الاختلاف بينهما، فمكوّنات النّاس غير مكوّنات الإنسان، إلاّ أنّ هناك قاسما مشتركا بينهما وهو العبادة؛ فكلّ منهما مخلوق لعبادة الله، فالجنُّ يعادلون البشر في التّكاليف الشرعية «باعتبار الإنسان والجنّ المخلوقين العاقلين المكلّفين بعبادة الله سبحانه»[2]، فالتقابل بينهما حاصل على مستوى المادة التي خلق منهما هذان الجنسان من ناحية (الطين- النار)، وبين حالتي (الاستقرار، اللاّ استقرار) التي يعشها كلّ منهما بين الإيمان والكفر.

ويتجلّى لنا هذا التصوّر الأخير في سورة النّاس حيث مضمونها يدور حول ذلك الصراع بين الخير والشر، صراع بين الجنّة والنّار،وهي الفكرة نفسها التي جاءت في سورة الجن.

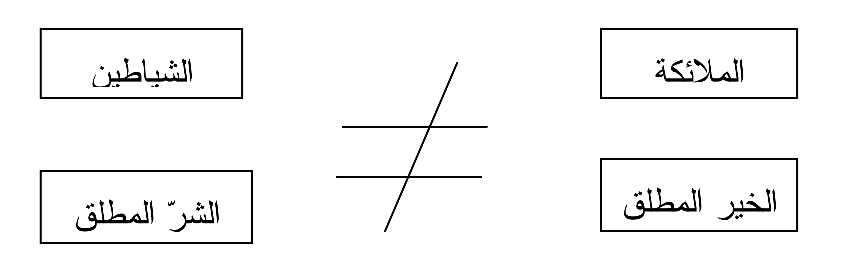
تمتد وظيفة التقابل إذن في هذين العنوانين لوصف نموذجين من المخلوقات تختلف في الكثير من العناصر، ولكنها تتشابه من ناحية أخرى، والاختلاف هو النقطة التي تحققه وتوسّع من مجاله الرّغبة في تحقيق التوازن بين الكائنين، والدور الأول

(1)-ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص515.

(2)-آدم بمبا: المرجع السابق، ص102.

والأخير في هذا هو للعنوان إذ يمثل علامة لسانية ساعدت على تحديد النّص والدلالة على محتواه وتعريف الجمهور بقراءته كما يرى ليوهوك[1].

ويقابلنا في عناوين السور القرآنية من ناحية ثانية نوع من التقابل المضمّن –إن صحّت تسميته– ونعني به أن ترد جملة عناوين تنتمي إلى حقل واحد، ولا نجد لها ما يقابلها في السور القرآنية عدا ما ورد في الآيات. وهذا النّوع يشبه التّضاد ؛ لأنّ العلاقة بين العنصرين تكون منعدمة؛ ففي حقل الملائكة وجدنا (الصّافات، النازعات، والمعارج)، ولكننا لم نجد حقلا مقابلا من العناوين توصف فيه الشياطين، فيكون السبب إذن هو رفعة مقام الملائكة بذكرها، وخسّة مقام الشياطين بإسقاطها، رغم أنّ الشياطين قد ذكرت في أغلب السور القرآنية، فمن حيث وظيفة كل منهما وجدنا التقابل بين صيغتين مختلفتين نوضحّها في الخطاطة الآتية:



<u>الخطاطة رقم 3 : ظاهرة التقابل بين العناوين</u>

قال أبو عبيدة: «إنّ الشّيطان اسم لكل عارم من الجنّ والإنس، والشيطان مخلوق خبيث لا يراه الإنسان، يغري بالفساد والشّر»[2]، وهذا سبب واضح لعدم ذكره في سورة تخصّه، ما دام نقطة اشتراك بين الإنس والجن، كما أنّه محتقر لا ترفع مكانته بتسمية سورة باسمه، فعمره طويل ممتدّ لأنّه يمثّل قوّة الشرّ في الكون، وهي لا تنتهي ولا تنقضي إلاّ بانتهاء الإنسان والجن، وهو مصداق قوله تعالى في سورة الأعراف:

---

(1)-Seuils : Genette, P73.

(2)–أحمد الشرباصي: من أدب القرآن، دار المعارف، مصر،(د.ت)، (د.ط)، ص184.

﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾، أما عن الملائكة وعلاقتهم بالجن فهما يلتقيان في تحديد المعنى اللغوي لهما، أو من باب المجاز أيضا؛ فالملائكة جنٌّ لأنهم مستترون، أما المجاز فتجلّى في قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾، يقصد من هذه الآية أنّ الجن يعبدون الملائكة، فكذبوا هذا القول في سورة سبأ[1].

3-علاقة التّضاد:

من خلال توزيعنا للعناوين في المبحث السابق، توقفنا عند حقل الجماعات والأقوام وصفاتهم، وتحدثنا عن ثلاث فئات تنتمي إلى هذا الحقل وهي: (المؤمنون، الكافرون، المنافقون)، وقد لاحظنا أن هذه النّماذج البشرية تختلف عن بعضها البعض، وهذا ما أوجب حضور علاقة التضاد بينها[*].

تجلّى لنا التضاد الحاد، أو ما يسمى بالتّضاد غير المتدرّج (Nongradable) بين العنوانين (المؤمنون، الكافرون) حيث تكون اللفظة الأولى نقيضا للفظة الثانية بمعنى «أنّ نفي أحد عضوي التّقابل يعني الاعتراف بالآخر»[2].

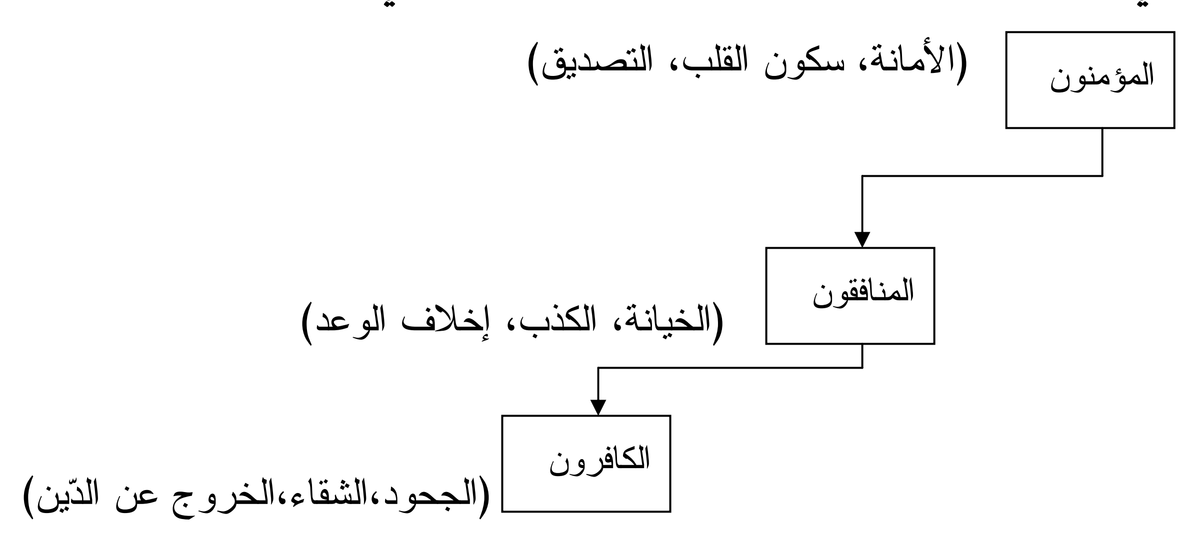
بينما سنقف أيضا على نوع ثان من التضاد، يطلق عليه الدارسون مصطلح (التضاد المتدرج) (Gradable) بين هذين العُنوانين وسورة أخرى تدعى (المنافقون) حيث ينتقل بنا المقام من النقيض إلى النقيض؛ أي من الإيمان إلى الكفر عبر جسر النّفاق، وهذا عن طريق إسقاط جملة من تفاصيل الشخصية الإيمانية، وعليه سيتم الانتقال من درجة أعلى نحو الدرك عبر سلمّ تدرّجي تُلخصه الخطاطة الموالية:

---

(1)-ينظر: سبأ: 40-41.

(*)-ملاحظة: سنأخذ بالمفهوم الحديث للتضاد في هذه الدراسة؛ أي التعامل مع اللفظين اللذين يختلفان نطقا، ويتضادان في المعنى، وسنسقط المفهوم القديم الذي ينظر إلى اللفظ المستعمل في معنيين متضادّين. للتوسع ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص191 وما بعدها.

(2)-المرجع نفسه، ص102.



الخطاطة رقم (4) : ظاهرة التضاد بين العناوين

من خلال هذه الخطاطة يمكننا أن نستجيب لذلك الانفصال الدلالي القائم بين هذه العناوين في الاتجاهين؛ من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى عبر التدرج الخاص بالتضاد، فالمؤمن كما عرّفه الشريف الجرجاني (ت816هـ) هو «المصدّق بالله ورسوله وبما جاء به»[1]، وفصّل ابن فارس القول فيه (ت395هـ) بقوله: «(أمن) الهمزة والميم والنّون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب؛ والآخر التصديق»[2]؛ وعليه فإنّه من مميّزات المؤمن أن يكون ساكنا، أمينا، مصدّقا بما جاء به الرسول ﷺ.

أما بفقدان هذه الخصائص الإنسانية وكسب الإنسان بديلا عنها لمعطيات أخرى تحوّل إلى منافق بتنازله عن المبادئ والقيم السابقة.

فالمنافق سمّي منافقا لأنّه يظهر عكس ما يبطن؛ بمعنى يسرُّ الكفر ويظهر الإسلام مستهزئا ومتكبّرا، لذا قال عن المنافقين المولى عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ

---

(1)–الشريف الجرجاني، علي بن محمّد السيّد: التعريفات، تح: عبد المنعم حنفي، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1991، د.ط، ص224.

(2)–ابن فارس أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، مصر، 1981، ج1، ص133.

ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾[1]، وذلك لأنّ المنافق يكون خائنا، كاذبا، مخلفا لوعده كما مرّ معنا في حديث الرسول ﷺ، فهذه الخصائص البديلة تجعل المؤمن ينحدر في إيمانه، ويفقد الكثير من الجوانب الإيجابية التي كان يفترض التحلّي بها، ليزداد في مرحلة الانتقال نحو الأسفل حتى يصبح كافرا؛ فيظهر إيمانه بلسانه، ولكنه يكتم الكفر في قلبه، ليتحوّل إلى كافر.

والكفر مأخوذ من «كفر الرجّل كفرا، وكفرانا: لم يؤمن بالوحدانية، أو النّبوّة، أو الشريعة، أو بثلاثتها»[2]، مما سبق نصل إلى نتيجة مؤدّاها أن التضاد الحاد قائم بين المؤمنين والكافرين، بينما التضاد التدرجي يكون بينهما وبين العنوان (المنافقون)، لقد كانت هذه العلاقة صورة عاكسة لفكرة الانتقال من الأفضل إلى الأسوء، أو إلى النقيض، الذي عبّر عنه العنوان الأخير(المنافقون)، الذي تسير دلالته من النزول من حالة الإيجاب تدرجا نحو حالة السلب، فتحقق الارتباط بين العناوين عن طريق علاقة الانفصال العنواني وعلاقة الاتصال الدلالية.

4-<u>علاقة الاشتمال:</u>

عرّف أحمد مختار عمر الاشتمال بقوله: «هو تضمن من طرف واحد»[3]، حيث يكون أحدهما مشتملا للطرف الثاني، ولم نجد حضورا لهذه العلاقة إلاّ في سورة واحدة هي (الأنبياء)، التي ترتبط دلاليا بعناوين السور التي عنونت بأسماء الأنبياء ؛ مثل السور الآتية: (إبراهيم، هود، يونس، يوسف، طه، يس...).

وقبل أن نشرح هذه العلاقة علينا أن نوضح ما معنى لفظة النّبي، اشتقت اللفظة من «نبأ الرّجل نبئًا: أخبر»[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

---

[1]– سورة النّساء، الآية: 145.

[2]–سعدي أبو جيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1988م، ص

[3]–أحمد مختار عمر: المرجع السابق، ص99.

[4]–سعدي أبو حبيب: المرجع السابق، ص345.

﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾[1]. والنّبيء هو المخبر عن الله عز وجل، وقد أبدلت الهمزة ياء، وأدغمت فيقال: النبيُّ، وجمعهُ أنبياء وأنبئاء.

السؤال المطروح هنا هل تحققت علاقة الاشتمال فعلا بين هذا العنوان العام وتلك العناوين الخاصّة، أي بين ما يسمى الكلمة الغطاء (Cover Word) والكلمات التي تدخل ضمنها؟ من المؤكد أنّ الإجابة عن هذا السؤال مسارها الإيجاب، وتعليل ذلك أنّ هذه الأعلام الواردة عناوين للسور كلها أسماء للأنبياء الذين حكموا أقوامهم في فترات مختلفة وأماكن مختلفة أيضا؛ فإبراهيم هو الملقّب بالخليل والمكنّى بأبي الأنبياء عليه السلام، يقول المؤرخون أنه ولد ببابل جنوب العراق، واسمه علم أعجمي[2] لأنّه خرج عن أوزان الأسماء العربية، وقارب الألفاظ الأعجمية، ورأى بعض العلماء أنّه علَم سرياني أو علَم عبري الأصل بمعنى الأب الرحيم[3]. وهكذا تكون بقية الأعلام أسماء للأنبياء, فهود عليه السلام ذكر في سورة هود خمس مرات ومرة واحدة في كل من الأعراف والشعراء في الآيتين ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[4]على التّوالي.

ودليل نبوّته قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴾[5]، وقومه هم عاد يعيشون في أرض الأحقاف، شمال حضرموت، وقد أهلكهم الله لكفرهم[6]. وقصّة النّبي يوسف عليه السلام معروفة، حيث أسقطه إخوته في بئر بأرض بيت المقدس, وبعد بيعه بمصر حيث حياته الحافلة

---

(1)– سورة الحجر: الآية 49–50.

(2)- ينظر : سيبويه، ج3، ص235. الكامل للمبرد, ص 1227.

(3)– انظر:عبد العظيم فتحي خليل:الأعلام الممنوعة من الصّرف في القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1, 2004,ص 51 وما بعدها.

(4)– سورة الأعراف، الآية 65، سورة الشعراء: الآية 124.

(5)– سورة هود: الآية 50.

(6)– انظر: شوقي أبو خليل: أطلس القرآن أماكن، أقوام، أعلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط10، 2009، ص 29.

بالمصاعب أكرمه الله بالحكم والاستقرار. ومثل ذلك حكاية النبي يونس عليه السلام مع قومه الذين آمنوا به خلافا لبقية أقوام الأنبياء، حيث يقول عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

5-علاقة الاشتراك:

قد تشترك بعض العناوين في القرآن الكريم في بعض الصّفات الماديّة أو المعنويّة الجامعة لها، فتدرج ضمن ما يسمى علاقة الاشتراك. ويتضح هذا أكثر عندما يطلق الاسم الواحد على مجموعة من السّور لوجود نقاط تقاطع بينها، وهي كالآتي:

أ-الزّهراوان: اسم توقيفي ورد على لسان الرسول ﷺ، عُرفت به سورتان هما: البقرة وآل عمران، وقد ورد هذا العنوان في الحديث النبوّي الشريف: «تعلّموا البقرة وآل عمران فإنّهما هما الزّهراوان»[2]، والمقصود بهذا اللفظ دلالتهما على النّور والإضاءة، أي: (المنيرتان المضيئتان) [3].

وقد فسّر القرطبي في وجه التّسمية[4] أن للعلماء في تسمية (البقرة أو آل عمران) بالزهراوين ثلاثة أقوال:

الأولى: أنهما النّيّرتان، مأخوذ من الزهّر والزّهرة، لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي: من معانيهما.

الثّاني: لما يترتّب على قراءتهما من النّور التّام يوم القيامة.

الثالث: سميّتا بذلك لأنّهما اشتركتا فيما تضمنّه اسم الله الأعظم، كما ذكره أبو داود وغيره.

---

[1]-سورة يونس: الآية 98.

[2]-صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، (ح: 804).

[3]-ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص332.

[4]-القرطبي: التفسير، ج4، ص3.

وجاء في حديث آخر للرسول ﷺ: «اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران»[1]، وأضاف القاسمي أن سبب تسمية (آل عمران) بالزّهراء «أنّها سميّت بذلك، لأنّها كشفت ما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام»[2].

فالقاسم المشترك بين السورتين أنّهما سميتا"الزهراوان" لنورهما، أو لهداية قارئهما، أو لتضمنها اسم الله الأعظم، وهذا إنما يدّل على «وجود معنى مركزّي للفظ تدور حوله عدّة معان فرعية أو هامشية»[3]، وهو المفهوم الذي اعتمدناه في تحديد العلاقة بين العنوانين المختلفين في انتمائهما إلى حقل واحد، وتشابههما في التّسمية المشتركة، وهذا يبعد تلك المفاهيم التي تعرّف الاشتراك، أو المشترك اللّفظي بأنّه: «اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر»[4]، فلفظ (الزّهراء) تحمل من المعاني ما يجعلها ذات دلالة مركزية تتقاطع مع الدلالتين المذكورتين (الضياء، الهداية).

ب-<u>المُقَشْقِشَتَان</u>: وصفت بهذا الوصف سورتان في القرآن الكريم، وهما الإخلاص والكافرون، وقد أشار إلى هذا الاسم المشترك المفسرون منهم الزّمخشري في الكشاف، والطبرسي في تفسيره، والبقاعي في نظمه[5]. ومعنى هذا الاسم مشتق من الفعل (قشقش) بمعنى البرء من المرض، وقد سميّت هاتين السورتين بهذا الاسم لأنهما تبرئان قارئها والعامل بها من الشرك.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الاسم كان اجتهاديا ولم يرد عن النبي ﷺ، وإنمّا أشار إليه المفسرون فحسب، فمنهم من عدّه اسما للسورة كما فعل السيوطي[6]، وأشار إليها مفسرون آخرون كالألوسي[7]، وابن الجوزي[1]، وتفرّد السّمين الحلبي بإضافة سورة

---

[1]–أخرجه الترمذي في 42، كتاب ثواب القرآن، ومسلم، 809.

[2]–القاسمي: محاسن التّأويل، ج4، ص74.

[3]–أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص163.

[4]–السيوطي: المزهر، ج1، ص369.

[5]–ينظر: الكشاف: ج4، ص243. الطبرسي: ج30، ص271. نظم الدّرر، ج22، ص344.

[6]–ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص176.

[7]–ينظر: روح المعاني، ج30، ص249.

التوبة إليهما، لأنّه رأى بأنّ هذه السورة «تُبرئ المؤمن، فتنظّفه من النّفاق»[2]، وعليه فهي تقوم بالوظيفة نفسها التي أسندت للسورتين السابقتين.

جـ-__المعوّذتان__: هذا اسم توقيفي عرفت به كلّ من سورتي الفلق والنّاس، مشتق من (عوذ): عاذ به يعوذ عوذا وعياذا ومعاذا: لاذ به ولجأ إليه واعتصم، وعذت بفلان، واستعذت به: أي لجأت إليه. والعوذة والمعاذة والتعويذ: الرّقية يرقى بها الإنسان من فزع أو جنون لأنّه يعاذ بها[3].

ويعود سبب التّسمية بهذا العنوان المشترك إلى افتتاح كلّ منهما بلفظ: (قل أعوذ)؛ وهذه ميزة عُرفت بها هاتين السورتين دون غيرها،وهذا من خلال كلام رسول الله ﷺ والصحابة الكرام «فعن ابن عابس الجهني رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال له: يا أبا عباس ألا أخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾[4] و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[5] هما المعوّذتان»[6]. فهاتان السورتان هي بمثابة رقية لمن يقرأهما تبعد عنه الشر حيثما ولّى.

وقد عنون بهذا العنوان بعض المفسّرين في تفاسيرهم كما فعل ابن كثير[7]، والشنقيطي[8]، وقد سمّاها ابن عطيّة، والثعالبي في تفسيرهما بالإفراد، أي سورة (المعوّذة الأولى) وسورة الناس (سورة المعوّذة الثانية).

وعن تسميتهما بهذا الاسم يقول السيوطي: «هاتان السورتان نزلتا معًا، كما في الدّلائل للبيهقي. لذلك قرنتا، مع ما اشتركتا فيه التّسمية بالمعوّذتين، ومن الافتتاح (بقل

---

[1]-ينظر: ابن الجوزي: ج9، ص252.

[2]-السمين الحلبي: المصدر السابق، ج1، ص227.

[3]-لسان العرب: مادة (ع وذ)، ج3، ص498.

[4]-سورة الفلق، الآية: 1.

[5]-سورة الناس، الآية: 1.

[6]-أخرجه النسائي، كتاب الاستعاذة، حديث رقم (5432)، (ج8/ص202).

[7]-ينظر: المصدر السابق، ج4، ص912.

[8]-ينظر: المرجع السابق، ج9، ص627.

أعوذ)، وعقّب بهما سورة الإخلاص، لأنّ الثلاثة سميّت في الحديث بالمعوّذات، وبالقوافل»[1]؛ ويبدو أن ما ذهب إليه السيوطي له سنده الموضوعي، ويتجلّى هذا في الحديث المرويّ عن عقبه بن عامر ﷺ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوّذات في دبر كلّ صلاة»[2]، فقد ذكر اللّفظ بصيغة الجمع، وهذا دليل على أنّ مجال التّسمية يتسع لسورة ثالثة كي تنسب إليها العنونة السابقة الذّكر.

د-**المسبّحات:** وصفت بهذا الوصف تلك السور القرآنية التي ذكر فيها لفظ السماء، وقد أسندت التّسمية خصوصا إلى سورتي (الانشقاق، الانفطار) إلاّ أن السيوطي أضاف إليها (البروج والطارق)؛ حيث يقول عن هاتين الأخيرتين: «هما متآخيتان فقرنتا، وقدّمت الأولى لطولها، وذُكرا بعد الانشقاق للمواخاة في الافتتاح بذكر السّماء، ولهذا ورد في الحديث ذكر السماوات مرارا بهذه السور الأربع»[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ سياق تسمية هذه السور يتقارب من حيث مضمونه الدّلالي، ولكن مثنى مثنى، حيث لاحظنا أن كلاّ من (الانفطار والانشقاق) تدلاّن على حدوث صدع وتفطّر وانشقاق في السماء وهذا لون من ألوان الترادف الداخلي الذي التمسناه داخل هذا الحقل. أما انتقالنا إلى الثّنائي الثاني (البروج، الطارق) وجدناهما تنتميان إلى الحقل العام للمشترك وهو (المُسبِّحات)، ولكنها في الوقت نفسه تحتفظ بعلاقة الترادف بينهما؛ لأنّ (البروج) تعني «الكواكب السيّارة في أثناء سيرها»[4]، أما لفظة (الطارق) فتعني الآتي ليلا، وفي الآية بمعنى النّجم الثّاقب «سمّي بذلك لأنّه إنمّا يُرى باللّيل، ويختفي بالنّهار»[5]، فالنجوم من الكواكب السيارة وعليه فهي تترادف مع البروج.

هـ-**الحواميم (ذوات حاميم):** أطلقت هذه التّسمية على سور ابتدأت ب،(حم)،

---

(1)-السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص161.

(2)-أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب (في الاستشفاء)، ج2، ص86، حديث رقم [1523].

(3)-السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص149.

(4)-الدّوسري: المرجع السابق، ص498.

(5)-سعدي أبو جيب: المرجع السابق، ص228.

والمعنيات بهذا الوصف هي: (غافر، فصّلت، الشورى، الزخرف، الدّخان، الجاثية، الأحقاف). وسنرى هذه البداية مفصلة في الجدول الآتي:

جدول رقم (5): الحواميم

السورة	الآية الأولى من السورة
غافر	﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾
فصّلت	﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾
الشورى	﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾
الزّخرف	﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾
الدّخان	﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾
الجاثية	﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾
الأحقاف	﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾

عدد الحواميم سبعة، وهي من الأسماء التوقيفية التي عرفت بها، فقد انفرد الفيروز آبادي بإطلاق هذه التّسمية على سورة غافر، إذ عنونها بـــ "حم الأولى"[(1)] إلاّ أنّه لم يستند إلى حديث يبرر هذه التّسمية. بينما ورد في فضل هذه السورة حديثا وردت فيه تسمية (ذوات حاميم)، وهو الحديث الذي جاء عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات (ألر)،

[(1)]–ينظر: الفيروز آبادي, المصدر السابق، ج1، ص409.

فقال: كبرت سنّي واشتدّ قلبي وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم...» [1]، وبقي الرّجل على هذه الحال، حتى أمره الرسول ﷺ بقراءة ثلاث سور من المسبّحات، وعندما طلب من الرسول ﷺ أن يقرئه سورة جامعة، أشار عليه بسورة الزلزلة.

أما سورة (فصّلت) فقد كانت تسمى (حم السجدة)، فمما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «نزلت حم السجدة» بمكّة[2]، ومثله سورة الشورى التي كانت تسمى (حم عسق) وبها عنون بعض المفسّرين كالطّبري[3]، والزّمخشري[4].

وتسمّى سورة الزخرف (حم الزخرف)، وهي مقولة ابن عباس في قوله: «نزلت بمكة سورة (حم الزخرف)، وهذا الاسم اجتهادي من السلف ولم يرد بلفظه عن الرّسول ﷺ.

وفي مقابل هذا نجد (حم الدّخان) هو الاسم التوقيفي الذي سميّت به سورة الدّخان، وهذا قد ورد في حديث للرسول ﷺ، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الدّخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»[5].

إنّ القاسم المشترك بين هذه السور المذكورة، وسورتي (الجاثية، والأحقاف) هو (حم) التي افتتحت بها، وسميّت بها أيضا مع إضافة عنوان السورة لها. فالجاثية تسمى (حم الجاثية) وهو من أسمائها الاجتهادية الذي ورد عن ابن عباس إذ قال: «أنزلت بمكّة سورة (حم الجاثية)» [6]، وبهذا الاسم عنون لها النيسابوري في الوسيط[7]، والحاكم في المستدرك[8].

---

[1]–أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب (تحزيب القرآن)، حديث رقم (1399)، ج2، ص57.

[2]–أورده السيوطي في الدّرر، ج7، ص308، وعزاه لابن مردويه.

[3]–ينظر: الطّبري: المصدر السّابق، ج11، ص127.

[4]–ينظر: الزّمخشري ، المصدر السّابق، ج3، ص396.

[5]–أخرجه التّرمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، باب (ما جاء في فضل سورة الدخان)، حديث رقم (2893)، ج5، ص163.

[6]–أورده السيوطي في الدرّ المنثور، ج7، ص422.

[7]–ينظر: النّيسابوري، المصدر السابق، ج2، ص490.

[8]–السيوطي: الدّر المنثور، ج7، ص433.

وبمثل هذه التّسمية نجد سورة الأحقاف تسمى (حم الأحقاف)؛ فقد وردت تسمية السورة بإضافة (حم) إلى اسمها، وهو ما أقرّه كلام بعض الصّحابة، فعن ابن عباس قال: «نزلت بمكة سورة (حم) الأحقاف»[1].

و- **ذوات الر**: تميّزت بعض السور القرآنية بميزة مشتركة تتمثل في افتتاحها (الر) كقاسم مشترك في الآية الأولى وذلك في السور الآتية: (يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر)، وهذه الآيات ندرجها متسلسلة كالآتي:

-﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾

-﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

-﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾

-﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾

-﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾

اسم هذه السور إذن هو ذوات "الر"، وهذا اللفظ قد جاء على لسان الرسول ﷺ، فمما روي عن عبد الله بن عمرو قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: «أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات "الر"...»[2]، ولم تكن هذه الكلمة المفتتح بها هي القاسم المشترك فحسب، بل تبدأ أيضا بآيات تتقاطع في موضوعها المبتدأ به وهو عن وصف الكتاب ووظيفته، وهذا إشارة وتنبيه إلى إعجاز القرآن، والتنويه بشأنه، والامتنان بأنّ جُعل بلسان العرب[3].ضف إلى ذلك أنّ هذه السور تشترك في أنّ عناوينها جاءت أسماء لأنبياء ونستثني في ذلك سورة الحِجر.

وقد اختلف في تحديد دلالة (الر) وهي ثلاثة حروف من حروف المعجم؛ فمن

---

[1]–الأنفال والتوبة تسميان القرينتان؛ لأنّه لا يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرّحيم.

[2]–حديث حسن، أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب (تخريب القرآن)، حديث رقم [1399]، ج2، ص57. ص57. والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم [721]، ص216–217.

[3]–الدوسري: المرجع السابق، ص214.

المفسرين من قال أنّها بمعنى (أنا الله أرى)[1]، وفسّرت (أنا الله الرحمن)، ومنها أنّه يتركب منها ومن حم ومن نون [الرحمن]، فالراء بعض حروف الرحمة مفرقة[2]. وهذا هو السر الذي جعل هذه السور تسمى بهذه التسمية (ذوات الر)، لما في هذه التّسمية من تعظيم لهذه الحروف، وقد أتبعها بتعظيم للقرآن الكريم الذي وصف بالحكمة في سورة يونس، وأحكمت آياته ثم فصّلت في سورة هود، حيث قال أبو حيان (ت745هـ) إن «الإحكام صفة ذاتية، والتفصيل: إنمّا هو بحسب من يفصّل له، والكتاب أجمعه محكم مفصل، والإحكام الذي هو ضد النّسخ، والتفصيل الذي هو خلاف الإجمال، إنمّا يقالان مع ذكرناه باشتراك...»[3].

ويوصف القرآن بأنّه (مبين) في سورتي يوسف والحجر لتبيينه الفرق بين الحلال والحرام، والحدود والأحكام، أو من جهة جودة اللسان العربي وبيانه[4]، وتفردت سورة إبراهيم بوصف القرآن بأنّه نور وهداية وليس ظلمة، وهذا فيه كناية عن الكفر والظلم بالنسبة للظلمات، والهداية بالنسبة للنور، وعليه فإنّ حضور هذه الحروف المقطعة بمعية وصف الكتاب في بداية السور هو المؤشر على تسميتها بهذا الاسم.

ز-القرينتان: عرفت سورتان من القرآن الكريم بهذا الاسم المشترك هما: التّوبة والأنفال، وقد أشار القرطبي إلى العلاقة الثّنائية التي تجمع بين السورتين بقوله: «وكانت تدعيان القرينتين، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى للوصف الذي لزمهما من الاقتران ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي»[5]، وهذا مردّه أساسا إلى الاختلاف القائم بين الدّارسين من زاويتين؛ حيث يرى الفريق الأول أنّ السورتين متّصلتان، بينما يرى الفريق الثاني انفصالهما.

---

[1]-ينظر :البغوي: المصدر السابق، ج2، ص342. القرطبي، ج8، ص194.

[2]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق ج5، ص125.

[3]-المصدر نفسه، ج5، ص201.

[4]-ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص279.

[5]-القرطبي: المصدر السابق،ج8،ص 93.

ثانيا: وظائف العناوين وخصائصها في الخطاب القرآني

1-وظائف العناوين:

تختلف وظائف العناوين باختلاف مجالات تخصّص المعرفة الإنسانية التي تنتمي إليها، ففي حقل الصحافة مثلا تطغى الوظيفة الإيحائية من خلال دقة واختصار تداول العناوين، وذلك بمساعدة جملة من التقنيات كاللّون، والحيّز والغرافيك، وتتصل العناوين السينمائية بالوظيفة الإغرائية من خلال الملصق (Affiche) الذي يوضع في الواجهة باعتباره عنوانا بصريا، وقد تتحقق الوظيفتان الإشارية والوصفية في عناوين القصائد الشعرية، أو في العناوين الروائية، وهذه الوظائف هي التي قال بها جيرار جنيت، بينما جعلها يوسف الإدريسي ثلاثة فقط وهي وظيفة التّسمية، هدفها التمييز بين هذا العنوان وذاك ولها علاقة مباشرة بالنّص: «إذ يعيّن العنوان النّص اللاحق له ويميّزه عن سواه»[1]؛ وفي هذا السياق يرى جيرار جنيت أن للوظيفة الإشارية، أو ما أطلق عليه جاكبسون (الإفهامية) [2] دور فاعل في التأثير على المتلقي؛ ثم وضح ذلك بقوله أن العنوان يجب أن يكون كاشفا للنّص وحاجبا له في الآن ذاته إذ يقول: «ما ينبغي للعنوان أن يكون مثل وجبة، فكلّما قال القليل عن المضمون، كلما كان ذا قيمة»[3].

تتحدّد العلاقة بين المرسل والمرسل إليه من خلال الرسالة العنوانية، فكلما كان العنوان عاكسا لمضمونه، ولو بقدر قليل، كلما زاد النّص إيغالا في ضمير المخاطب ولو مثلنا لذلك في الخطاب القرآني وجدنا حسّا إغرائيا في بعض العناوين، كما هي الحال في العناوين التي تحققت فيها علاقة الاشتراك؛ ف،(ذوات الر) تنتمي إلى حقل أسماء الأعلام –يستثنى الحجر لانتمائه لحقل الأمكنة- وتشترك في هذا العنوان المغري، فالسائل يتساءل لم سميّت بهذا الاسم؟ وسرعان ما تتحقق الإجابة بتحقق الوظيفة الإغرائية، حيث يوجّه القارئ إلى حيث تتمركز دلائلية النّص، وهي الوظيفة

---

[1]–الإدريسي، يوسف: عتبات النّص- بحث في التراث العربي والخطاب النّقدي المعاصر، منشورات مقاربات، آسفي، المملكة المغربية، ط1، 2008، ص51-52.

[2]–تسمى الوظيفة التقييمية عند شارل غريفال، وذريعية عند ليوهوك، وتحريضه عند كلود دوشيه.

[3]-G.Genette : Seuils, Op.cit, P87.

التي قال عنها (كومبريبي) (Joseph Besa Camprubi) أنّها «تترك أثرها في القارئ من خلال غزوه وفتح شهيته، وتوجيه فضوله نحو النّص»[1].

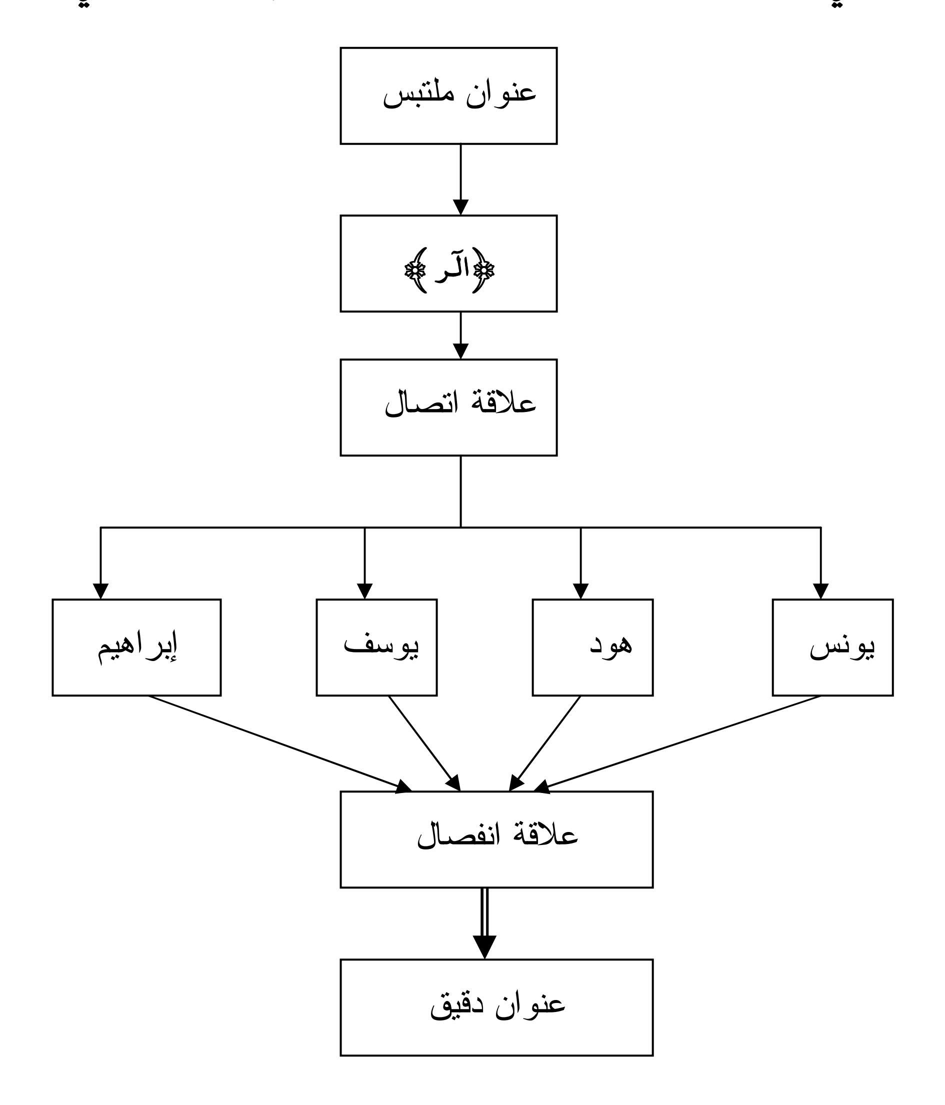
دلائلية النّص ومحوره في الآيات السابقة هو (الر)، إنّه الوحدة المعجمية المشتركة بين هذه السور التي تتصل بالتقديم والافتتاح المشترك، مما يجعل القارئ تلتبس عليه الصورة، فيبحث عن مخرج عنواني آخر للتواصل معها فيجد عناوين مثل: (يونس، هود، يوسف، إبراهيم)، هذا الانتقال من العنوان المشترك الملتبس إلى العنوان الدقيق المميّز، يجعل القارئ ينتقل من وظيفة الإغراء إلى وظيفة التّمييز، أو التعيين، لأنّها «تحديد لهوية النّص وتبدو إلزامية، ولكن دون أن تنفصل عن الوظائف الأخرى»[2].

إنّه انتقال من عالمين مختلفين، هذا سيخلق بالضرورة تشويشا للأفكار وليس تثبيتا لها كما يرى إيكو (Eco)[3]، وذلك لأنّ أفق انتظار المتلقي قد كسر بسبب هذا الانتقال من العنوان الدقيق الذي يصور جزئية من النّص وهي الركن الأساسي فيه، إلى العنوان الأكثر اتساعا والذي يمثل الصورة المشتركة للسورة القرآنية، ولعلّ السبب الرئيس في هذا التّحول تحقيق التأثير على المتلقي الذي يجب أن يكون عنصرا إيجابيا في التفاعل مع العناوين الرّئيسة للسورة وهي المدوّنة في المصاحف، والعناوين المرادفة لها توقيفا أو اجتهادا باختلاف علاقاته الدلالية.

تبعا لهذا تحدث حالتان متعارضتان؛ الاتّصال والانفصال، يمكن توضيحها من خلال الخطاطة الآتي:

---

(1)-Joseph Besa Camrubi: Les Fonctions du texte, Press Universitaires de Limoges, 2002, P8.
(2)-G.genette :op.cit , P83.
(3)-Ibid, P95.



الخطاطة رقم 5 : علاقتي الاتصال والانفصال في "ذوات الر"

2- خصائص العناوين في الخطاب القرآني

تتكشف جمالية النّص القرآني كلما تمعّن في بنيّة عناوين سوره، التي توزعت وفق أنماط دلالية مختلفة –كما مرّ معنا في المبحث السّابق– أو وفق تشكيل تركيبي معيّن مما سنكشف النقاب عنه في هذه الدراسة.

فبما أنّ العنوان يمثل المفتاح الكاشف للنص، فقد اتّسم ببعض الخصائص اللغوية التي جعلت العناوين تتداخل في بعضها أحيانا، وتتنافر أحايين أخرى عندما يتفرّد هذا

العنوان عن ذاك، وبعد القراءة الفاحصة لهذه العناوين، توصلنا إلى الملاحظات الآتية:

أ-**البساطة والإيجاز:** اتّفقت عناوين السور القرآنية من حيث تركيبها البنائي، حيث جاءت جميعا عناوين بسيطة مكونة من كلمة واحدة، إلاّ أنّها في الأصل عبارة عن تراكيب إسنادية محذوفة الصدر، ويتجلى هذا في إعراب هذه السور، حيث يقدر الكلام المحذوف بـــ(هذا) أو (هذه).أهم خاصّية تميّزها إيجاز عناوينها لفظيا مع تكثيف المعنى.

لقد أشار سيبويه إلى هذه المسألة، إذ نراه يحلل بناء سورة هود بقوله: «تقول: "هذه هود" إذا أردت أن تحذف (سورة) من قولك: "هذه سورة هود" فيصير هذا كقولك [هذه تميم]» [(1)]، وهي الحالة نفسها مع باقي السور القرآنية عندما يتم حذف لفظ (السورة)، من ذلك قول العرب "هذه الرحمن" ولا يكون هذا أبدا إلاّ وأنت تريد "سورة الرحمن"[(2)].

والحذف ظاهرة معمول بها في كلام العرب بغرض الإيجاز، وتقليص الجهد، وهو «ظاهرة من الظواهر النّحوية المتعلقة بتأويل الإعراب وتوجيه المعنى، ويرتبط بالعمد في الجملة العربية وبالفضلات أيضا»[(3)]، إلاّ أنّه يشترط وجود دليل يدل على المحذوف حتى يتيّسر التأويل كما نبّه إلى ذلك ابن جنّي في قوله: «قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب بمعرفته...» [(4)].

ب-**التّنوع في الصّيغة:**

مثّلت العناوين في سورة القرآن الكريم سلسلة من الأنماط التعبيرية تنتمي إلى أنماط لغوية مختلفة، فتارة تكون اسما، وتارة تكون فعلا، وهذا يحيلنا على القراءة

[(1)]-سيبويه: الكتاب، ج3، ص256.

[(2)]-ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص257.

[(3)]-سالم، ثناء: دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة، دار الصّحوة، الرّياض، ط1، 2008، ص20.

[(4)]-ابن جنّي: الخصائص، ج2، ص360.

الواعية لهذه النّصوص القصيرة الموجزة، والتي يحمل كل منها اتساعا دلاليا يتناسب والسورة المعنوية به، ليصبح القرآن الكريم في مجمله عبارة أو مثابة نسيج متواصل من الفضاءات اللغوية التي تنتقل بنا من سورة إلى أخرى انتقالا ترتيبا تعاقبيا وفق الترتيب المعروف للسور في المصحف.

وبهذه الصورة تمّ لنا إحصاء فئتين من العناوين؛ فئة الأفعال، وفئة الأسماء(*) فأما الأفعال فلم ترد إلاّ في سورتين قرآنيتين وهما (عبس وفصّلت)، حيث اتسم العنوان الأوّل بتقدير الفاعل، وهو حديث مقترن بزمن قد مضى وولّى، جاء موجزا مكوّنا من الفاعل (المجهول) وحدث العبوس من جهة ثانية، ومثل ذلك في (فُصّلت) حيث بني الفعل للمجهول لأجل إسقاط الفاعل، وفتح أفق التساؤل عن القارئ بغية خلق تواصل بين النّص وعنوانه، وبين العنوان وقارئه لتحقيق الشراكة بينهما.

إنّ هذا اللّون من الإضمار للشخصية على مستوى العناوين، لم يكن اعتباطا إنّما كان لغاية دلالية تدفع بالقارئ إلى البحث عن المعني بهذين الحدثين (العبوس-التفصيل)، إنّه صورة من صور البتر الفنّي التي تساعد القارئ على كشف هذه المجاهيل والعودة إلى النّص القرآني لمعرفتها، وذلك لأنّ «هذا المكوّن الإضماري يخرج القارئ من فضاء التّلقّي السلبي الساكن، نحو آفاق جديدة رحبة ينظم فيها إلى فضاء النّص كمشارك في تفسيرية وتجلية مكامنه (...) وبهذه التّقنية يحدّد قارئه النّموذجي، حيث أظهر جزءا من الشّخصية ينوب عنها، وهو صفاتها وأفعالها وتحرّكها دون أن يومئ إلى اسمها»[1]، ففعل (العبوس) كان تصرفا للرسول ﷺ، وهو تصرّف منهي عنه، لم يشأ القرآن الكريم توبيخ رسوله الكريم تعظيما له، فلم يخاطبه بأسلوب مباشر، إنما ألمع إليه فحسب.

(*)-تجدر الإشارة إلى أننا صنّفنا الحروف المقطعة، أو حروف الهجاء ضمن قسم الأسماء، لأنّها جاءت أسماء لشخصية الرسول ﷺ (طه، يس)، أو لأنّها تسميات أو صفات مثل (ص، ق).

(1)-شارف مزاري: مستويات السّرد الإعجازي في القصة القرآنية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2001، ص90.

وكذا فعل مع لفظة (فصّلت) التي جاءت عنوانا أيضا، ولا يمكن تحديد وقوع هذا الفعل إلاّ بعد تصفح الآية التي ابتدأت بها السورة، حيث يرتبط التفصيل بالآيات القرآن التي اعتراها هذا الحدث من طرف فاعل مجهول، سرعان ما يُكشف عنه بالقراءة المتأنّية لهذا الخطاب وهو القادر على كل شيء المولى عز وجل.

أما النّمط الثاني الذي انتمت إليه هذه العناوين هو صنف الأسماء، إلاّ أنّ هذه الأسماء قد تكون اسم علم، أو وصفا اشتقاقيا، أو مصدرا، وهذا ما نوضحه في الجدول الآتي:

جدول رقم (6): أنماط العناوين

العنوان الحرفي	العنوان المصدري	العنوان الاشتقاقي	العنوان العلمي	العنوان العام
نماذج من أنماط الاسم في عناوين السور				
ص، ق، طه، يس	النّصر، الإخلاص، الإسراء، الفتح، التحريم، الشرح، الحشر، الانفطار، الانشقاق، التكاثر...	المؤمنون، الكافرون، المنافقون، الممتحنة، المجادلة، الواقعة، الغاشية...	إبراهيم، يونس، هود، يوسف، مريم، لقمان، محمد ﷺ، نوح...	الفجر، الليل، الضحى، العصر، الفلق، المائدة، التين، الحجر، الطور، سبأ...

نلتمس من خلال هذا الجدول شيوعا للأحداث المجّردة من الزّمان؛ حيث تجلّت في صور متنوعة منها ما جاء في صورة حروف مقطعة كما في (ص، ق، طه، يس) وهي رمزية لأسماء اختصرت في صوت واحد كما في (قاف وصاد)، أو أسماء عُرف بها الرّسول ﷺ كما تشير أغلب التفاسير كما في (يس وطه).

أما المصادر فكان لها حضورها أيضا، حيث وردت ألفاظ غنية بالحدث، فقيرة من الزّمن جاءت عناوين للسور القرآنية، كالنّصر، والإخلاص، والإسراء، والتحريم،

والانفطار.. وهي جميعها أحداث ممتدة منذ خلق الله هذه الأرض إلى منتهاها، حدوثها إجباري لا خيار فيه.

في حين ظهرت عناوين أخرى تنتمي إلى صنف العناوين الاشتقاقية، ونعني بها تلك التي تكون اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو أفعل للتفضيل، جمعت بين الزمن والحدث، فالمؤمن مثلا اسم فاعل، دلّ على مسمّى غير مقترن بزمان محدّد، فهو مؤمن في الحاضر والماضي والمستقبل، للدلالة على ديمومة الحدث وعدم انتهائه.

أما ما جاء على صيغة اسم المفعول فقد ارتبط بمن وقع عليه الفعل، كما في سورة (الممتحنة) التي قرنت بالمرأة التي امتحنها المولى عز وجل في علاقتها الزّوجية، واختبرها فنجحت في الاختبار.

وجاءت لفظة (الأعلى) عنوانا لسورة قرآنية وهي اسم تفضيل، عبرت عن دلالة نقيض الأسفل، جمع عُلى، جاءت صفة ثابتة للمولى عز وجل، فهو تفضيل له على كل المخلوقات فهو الأكثر علوًّا من كل من يتظاهر بهذه الصفة، وفيها من إسقاط الصفة على المولى عز وجل فحسب.

أما ما تبقّى من الأسماء، فهي إمّا أن تكون اسم عَلَمٍ، أو اسما عاما؛ فمن النوع الأول نجد أسماء الأعلام للأنبياء والصّالحين، أو نجد للنوع الثاني أسماء للأزمنة، أو للفاكهة (التّين)، أو للأمكنة وغيرها.

جـ-التنوع بين الإفراد والجمع:

ومن الملاحظات التي تمّ تسجيلها أيضا في سياق العناوين أنّها توزعت بين مجالين؛ مجال العناوين التي جاءت بالإفراد، ومجال العناوين التي جاءت جمعا، فأما مجال العناوين في النمط الثاني فهو قليل إذا ما قورن بشساعة النمط الأول نوضحه في الجدول الآتي:

جدول رقم (7): العنوان بين الإفراد والجمع

العناوين التي جاءت بالإفراد	العناوين التي جاءت بصيغة الجمع
الفاتحة، البقرة، المائدة، التوبة، يونس، هـود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجـر، الإسـراء، الكهف، مريم، طه، الحج، النـور، الفرقـان، العنكبوت، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يـس، ص، غافر، الشـورى، الزخـرف، الـدّخان، الجاثية، محمد، الفـتح، ق، الطـور، الـنّجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديـد، المجادلـة، الحشر، الصفّ، الجمعة، التّغـابن، الطـلاق، التحريم، الملك، القلم، الحاقّة، نوح، المزمـل، المدثر، القيامة، الإنسـان، النبـأ، التكـوير، الانفطار، الانشقاق، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، البيّنة، الزلزلة، القارعة، التكاثر، الهمزة، العصـر، الفيـل، المسـد، الماعون، الكوثر، النّصر، المسد، الإخلاص، الفلق، الممتحنة.	النساء، الأنعام، الأعراف، الأنفال، النحل، الأنبياء، المؤمنـون، الشـعراء، النّمـل، القصص، الرّوم، الأحـزاب، الصـافات، الأحقاف، الحجرات، الذّاريات، آل عمران، المنافقون، المعارج، الجـن، المرسـلات، النّازعات، المطّففين، البروج، العاديـات، الكافرون، النّاس، الزّمر.

من خلال هذا الجدول تمّ لنا إحصاء خمسة وثمانين (84) عنوانا في القرآن الكريم جاء بصيغة الإفراد، وهي نسبة عالية إذا قارنّاها بنظيرتها الخاصة بصيغة الجمع، التي لم تتجاوز ثمانية وعشرين (28) عنوانا، بالنسبة للصنف الأول نراه يتوزّع بين التذكير والتأنيث، حيث تم إحصاء خمسة وستين عنوانا مذكرا، وعشرين عنوانا مؤنثا، وهذا نراه يتوزع بحسب طبيعة العناوين الواردة في الخطاب القرآني؛ فالقيامة مؤنثة وقد تبعتها في ذلك كل أسماء القيامة من مثل (القارعة، الحاقة، الواقعة، الجاثية، الغاشية) وغيرها، أما الجمع فقد ارتبط بجموع الملائكة في (الصافات، النّازعات، المعارج)، أو

صورة من صور الطبيعة كــ(المرسلات، الذاريات) للرياح، وهكذا...

د-**التّنوع بين التّعريف والتّنكير**:

جاءت أكثر العناوين في القرآن الكريم معرّفة بالألف واللام (الــ)، وسبب انتشارها هو دلالتها على معيّن، لهذا عرّفه النّحاة بأنّه «إشارة إلى معهود ذهني أو خارجي أو حضوري»[1]، حيث يكون هذا المعهود معلوما للمتلقي، يتيسر له من خلاله الولوج إلى عالم النّص.

بلغ عدد العناوين المعرّفة بالألف واللاّم ستة وتسعين (96) عنوانا، ومنها ما جاء اسم علم ليس بحاجة إلى (الألف واللاّم) للتفريق بالاسم المضمّن للعلمية، وكذا بالنسبة لأسماء الله الحسنى أو صفاته، فهي معرّفة، ونستثنى أيضا في هذا السياق من العناوين ما جاء بصيغة فعلية مثل (عبس، فصّلت).

وختاما يمكننا القول أنّ العناوين في القرآن الكريم مؤسّسة دلالية نصّية هي عماد هذا الخطاب؛ منها تبدأ رحلة الكشف عن مضامين سوره، وعندها تنتهي العلاقات الدّلالية القائمة بينها، ومع تنوّع الحقول الدّلالية لهذه العناوين تزداد القناعة بأنّ هذا النّصّ هو دستور إنسانيّ يقف مع كلّ الدقائق في الحياتين الدّنيا والآخرة؛ إنّه يبعد الملل عن متلقّيه من خلال حسن اختيار عتبة الدّخول إلى العقل والقلب، ثمّ يحوّل قارئه بعد ذلك إلى متفحّصٍ ومنقّب عن دلالات ومضامين هذا الخطاب من خلال شبكة من طرائق الإقناع أو التسلية أو الدّعاء، أو التّنزيه كي يزيد من بلاغة التوصيل المعرفيّ الذي يضعه في قالب لغوي يسمّى الجمل الاعتراضية، وهو عتبتنا الموالية في هذا البحث.

---

[1]-السيوطي: معترك الأقران، ج3، ص591.



الاعتراض في الخطاب القرآني

-البنية والدّلالة-



المبحث الأول

أنماط الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم

مدخل

إنّ القراءة النّصّية للخطاب القرآنيّ تستوجب علينا أن نقف عند الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم، هذه الأخيرة التي تمثّل حلقة مهمّة من حلقات البناء النّصّي، وهذا لما لها من وقع دلالي وبلاغي في توصيل الرّسالة بعمق إلى المتلقي، فهي جزء من النّص لا يمكن الاستغناء عنه وإن بدا الأمر غير ذلك عند بعض اللّغويين[1]. إنّها جملة مكتملة تتخلّل تركيب جملة تامة المعنى لا تتشابك علاقاتها إلا بوجود الاعتراض، وهنا ستكون هذه الجملة الوسيط التي تربط بين متلازمين بمثابة قرينة ربط بين أجزاء التّركيب، يحتاجها المتكلّم لمزيد من الفائدة.

لقد تتبّعت هذه الدّراسة مواطن تواجد هذه الجمل الاعتراضية وكيفيات توظيفها في الخطاب القرآني؛ فبعد إحصائها تمّ تقسيمها إلى أنماط لم يقل بها القدماء، ولم يقف عندها الدّرس اللّسانيّ الحديث، حيث اتّخذنا المعيارين النحويّ والدّلاليّ سبيلا للكشف عن خصوصية بناء هذه الجمل، وأكثر دلالاتها حضورا في السّياقات القرآنية المختلفة وسنوردها في الآتي:

أولا: الجملة الاسمية:

يلحظ القارئ من خلال قراءة متأنّية للتراكيب القرآنية تكرار الجمل الاسمية بين متلازمين؛ وهذا لإفادة الثّبات و عدم التّغيّر، وهو الشّائع في هذا النّمط حيث لكلّ جملة منها فاعليتها في الإشارة إلى المعاني النّفسية أو الحسّية، التي يدور في فلكها مضمون الآيات، وقد اختلفت هذه الجمل بالألفاظ التي صُدّرت بها لهذا جعلناه مقياسا للتّقسيم.

1-النمط الأول: الجملة الاسمية المصدّرة بلفظ الجلالة

اختلفت النّماذج الجملية التي وقعت جملة معترضة في الخطاب القرآني، فبعضها

---

[1]-نقصد في هذا القزويني (ت739هـ) الذي يرى أن الجملة الاعتراضية غير معوّل عليها في الإفادة. ينظر: المصدر السابق، ج1، ص209.

يصدّر باسم، وبعضها يصدّر بفعل، والآخر منها يتصدّر بحرف.

فمن النّماذج التي جاءت فيها هذه الجملة مصدرة باسم، ابتداؤها بلفظ الجلالة "الله" مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرِۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [1]، حيث وقعت هذه الجملة بين الشرط وجوابه، ومثله قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [2].حملت الجملة المعترضة الأولى في سورة النحل دلالتين مختلفتين، فأمّا الدلالة الأولى فهي التأكيد على المعرفة الإلاهية المطلقة لكل ما جاء في كتابه، وخاصة النّاسخ والمنسوخ، وأما الرسالة الثانية فموجّهة للكافرين وفيها توبيخ لهم لوصفهم الرسول ﷺ بالافتراء، وقد جعلها الزركشي جوابا لاستفهامهم عن دعواهم بعد جملة الشرط، فجاءت جوابا للشرط[3]، ومثل هذا النّوع من الاعتراض قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[4]، فالجملة الاسمية المثبتة ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معترضة بين جملتين متصلتين دلاليا،و ليستا منفصلتين كما أشار أحد الدارسين[5]،كما أنّها ليست دعاء كما أشار إلى ذلك إبراهيم أنيس[6] إنما جاءت وسيطا بين بداية المثل القرآني وخاتمته، مصوّرة حيرة المنافقين في أمر دينهم ومعاناتهم.

ومن النماذج القرآنية التي تسير في السياق نفسه، حيث ورد الاعتراض بين جملتين متعاطفتين، ما نجده في قصّة بني إسرائيل إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

---

(1)- سورة النحل: الآية 101.

(2)- سورة النساء، الآية: 135.

(3)- ينظر: الطويبخي، طلال يحيى: الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب في القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، (د.ط)، ص115. ينظر: أيضا البرهان، ج3، ص59.

(4)- سورة البقرة، الآية: 19-20.

(5)- ينظر: الطويبخي، المرجع نفسه، ص120.

(6)- ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص324.

﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾[1]، فهذه الجملة المعترضة ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ «مشعرة بأنّ التدارؤ لا يجدي شيئا، إذ إن الله تعالى مظهر ما كُتم من أمر القتيل»[2]، وقد صدّرت الجملة بلفظ الجلالة في موقع المبتدأ كما في الأمثلة السابقة.

تجيء جملة ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ في سياق آخر جملة معترضة بين القسم وجوابه، وردت في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [3]، وهي جملة ندائية وعنصر هام في إقامة بناء النص القرآني،ولولاها لاختل التّوازن الدلالي.

وتعود بنا السياقات القرآنية إلى صيغة (لفظ الجلالة + صيغة التفضيل) وهذا ضمن الآية القرآنية في سورة آل عمران حكاية عن مريم يقول تعالى فيها: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[4]، فالجملة المعترضة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ جاءت اسمية لتمكين السامع من ثبوت الوضع من جهة، ولتعظيم هذا المولود ثانيا مهما كان جنسه، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّنا تبنّينا فكرة أنّ الاعتراض هنا هو بجملة واحدة كما أقرّ به أبو حيّان، وليس بجملتين كما رجّح كلّ من الزمخشري وكذا ابن هشام[5]، والملاحظ أنّ الخطاب القرآني القرآني قد وظّف اسم التفضيل بعد لفظ الجلالة، وهذا من باب التفضيل المطلق للمعرفة الرّبانية، وكذا من باب تفضيل هذه الأنثى المولودة التي سيكون لها شأن مع وليدها.

<u>النّمط الثاني: الجملة الاسمية المصدّرة بإن وأخواتها</u>

افتتح الخطاب القرآني الجملة الاعتراضية بـــ(كأن) في بعض المواقف، وذلك

---

(1)– سورة البقرة، الآيتان: 72-73.

(2)– الطويبخي: المرجع السابق، ص117.

(3)– سورة الأنعام: الآية 23.

(4)–سورة آل عمران: الآية 36.

(5)–للتفصيل ينظر: الكشاف، ج1، ص425-426. ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص439. والبحر المحيط، ج2، ص440.

بين متلازمين وهما مقول القول والقول، كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1].

هذه الجملة الاعتراضية الواردة في هذه الآية الكريمة جاءت من كلامه تعالى[2]، حيث قاطع المولى عز وجل المنافقين «لينبّه المسلمين على تلك المودّة الكاذبة التي انمحت آثارها عند أول موقف تكشف فيه عن الدّخائل وتفتضح فيه السرائر»[3].

ومثل هذا ترد الجملة المعترضة بين ما أصله المبتدأ والخبر، وهو الجملة الاسمية المؤكدة بـــ (أنّ) من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾[4]، نلاحظ أنّ الآية الثانية (أولئك لهم جنات...) جاءت خبرا لـــ (إنّ)، وقد جاءت الجملة الاسمية المؤكدة بين اسمها وخبرها لبيان ثبات الأجر وعظمته، فهو خير الجزاء، وتعدّ (إنّ) من مؤكدات الجملة الاسمية وهي أقوى من اللام، فهي تجيء تارة للتبيين وأخرى للتعليل، ومرات أخر للتأكيد وهي أظهر الوظائف المتفق عليها لدى البلاغيين.

أما في سورة الواقعة فقد جاء الاعتراض مزدوجا في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[5]، ظهر في هذه الآية الكريمة اعتراضان؛ أحدهما بين الموصوف وصفته في الآية التاسعة والسبعين، بين الموصوف وهو (قسم) وصفته (عظيم) بجملة (لو تعلمون)، وهو ليس مجالنا في هذا النّمط؛ بينما يهمّنا الاعتراض الواقع بين القسم وجوابه وهو جملة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ جملة مؤكدة (بإن) واللاّم وهذا تعظيما للمقسم به والمقسم عليه على السواء.

---

(1)- سورة النساء: الآية72.

(2)- الألوسي: المصدر السابق، ج2، ص127.

(3)- الطويبخي: المرجع السابق، ص116.

(4)- سورة الكهف: الآيتان 30-31.

(5)- سورة الواقعة: الآيات75-77.

ومن النمّاذج الفاصلية المصدّرة (بإن) في سياق التّابع ومتبوعه، قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾[1]، صدّرت الجملة المعترضة ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ (بإن) واسمها بغرض التأكيد بأنّ فرعون وهامان كانا من القوم الظالمين والخاطئين[2]. وهذا التّأكيد مستمرّ يبدأ في القرون الماضية، ويستمرّ إلى الآن، ثمّ إلى المستقبل، وهذا فيه تحقير و توبيخ لهاتين الشّخصيتين الظالمتين.

وأحيانا قد تجيء الجملة الاسمية معترضة بين الموصوف وصفته، وهذا كثير في كلام العرب، من ذلك قوله تعال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾[3]. لقد جاءت الجمل المعترضة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾، جملة للتوكيد؛ حيث صدّرت بأنّ المؤكّدة واسمها لفظ الجلالة، كما اقترن خبرها باللاّم، وقدّم متعلّق الخبر عليه، وهذا لتوصيل الرسالة إلى المؤمنين بأقصر طريق، حيث وجّه إليهم الوعد بالنّصر، وتأكيد ذلك، لأنّها أوّل آية يؤذن فيها لهم بالقتال، وقد وظّف هذا الأسلوب التأكيدي من باب تثبيت عزيمتهم، وإبعاد خوفهم من مواجهة أعداء الدّين الجديد.

جملة اعتراضية أخرى من سورة مريم صدّرت (بإن)، وهي جملة اسمية معترضة بين المبدل والمبدل منه في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾[4]، شرح الزّمخشري هذه الجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ بأنّها قد وقعت بين المبدل منه (إبراهيم) وبدله (إذ قال)، نحو قولك:ناديت زيدا- ونعم الرّجل-

---

[1]- سورة القصص:الآيتان 8-9.

[2]- الزمخشري: الكشاف، ج3، ص167.

[3]- سورة الحج: الآيتان 39-40.

[4]- سورة مريم:الآيتان 41-42.

أخَالُك[1].

وقد تأتي الجملة الاسمية المعترضة مفتتحة ب(إنَّ) مع (ما) الكافّة، لتصبح (إنمّا) لبيان حكم شرعي، كوقوع آية مصاريف الزكاة لمن تجب في سياق الحديث عن ذمّ المنافقين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾[2]، فقد جاءت الآية المعترضة بعد هاتين الآيتين مباشرة إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

فالملاحظ إذن أنّ الجملة المعترضة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ هي جملة مؤكدة بأسلوب القصر (إنمّا)، جاءت لتقدم حكما شرعيا حول الزكاة، وقد توسّطت هذه الآية الآيات المتحدثة عن الطامعين من المنافقين في أموال مستحقيها.

وظّف أيضا الخطاب القرآني أسلوب التوكيد مصدّرا بإنّ في الجملة المعترضة الواردة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾[4]، فجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ اعتراض صدّر ب(إنَّ) وتبعه اسمها وخبرها، فالاسم هو لفظ الجلالة وخبرها الجملة الفعلية، و قد اختير هذا الحرف المشبّه بالفعل دون (أنّ) وهذا للفارق بين الحرفين رغم أنّ وظيفتهما تأكيد مضمون الجملة وتحقّقه، حيث تستقل الجملة مع إنّ المكسورة بفائدتها، ولا تحتاج إلى إضافات توضّح المعنى كما هي حال جملة (أنّ)[5]، وعليه يكون شكل

---

[1]-ينظر: الزّمخشري :الكشاف، ج2، ص510.

[2]-سورة التوبة، الآيتان: 58-59.

[3]-سورة التوبة، الآية: 60.

[4]-سورة البقرة، الآيتان: 222-223.

[5]-ينظر:الزّمخشري: المفصّل في صنعة الإعراب، تبويب علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال،(د.ط)، 2003م، ص390-391.

النّمط:

إنّ + الاسم + الخبر

ومن هذا الباب نجد قوله تعــالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [1]، فالجملة المعترضة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ افتتحت بـــ(لكنّ) وهي منوطة بوظيفة التأكيد مثل (إنّ) كما قال بذلك الزّركشي و وافقه ابن عصفور، «وهي أن يثبت لما بعدها حكم يخالف ما قبلها»[2] جــاءت مــن الــنّمط الآتـي:

لكنّ + اسمها + خبرها

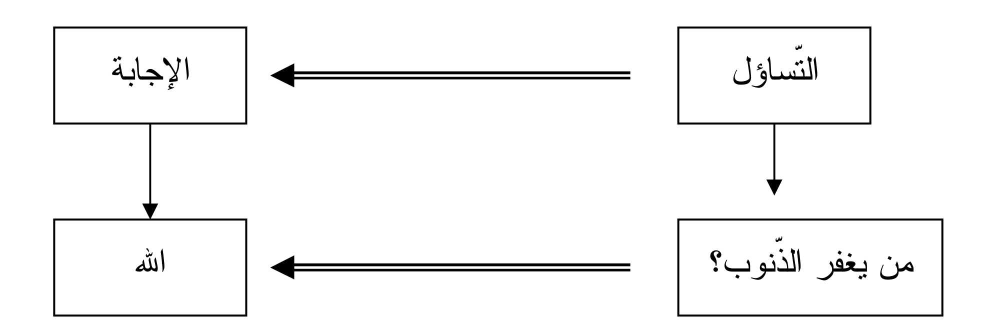
<u>النمط الثالث: الابتداء باسم استفهام</u>

تتعدد أشكال البدء في الجمل الاعتراضية، فتارة تبتدئ باسم وتارة بفعل، ولكنها قد تخرج عن هذين العنصرين إلى اسم استفهام، وهذه وسيلة أخرى من وسائل الرّبط بين المتعاطفين، فنجد الآية تجتمع جملها اثنتين اثنتين، وتزيد عليها بجملة استفهامية تتوسطها، لتزيد في قوة الإيقاع الدّلالي فيها، نمثّل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3]، نلاحظ أنّ هذه الجملة المعترضة﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جملة استفهام تحوّلت إلى النّفي دلاليا[4]؛ لأنّها تحمل صورتين متناقضتين هما (الاستفهام والإجابة)؛ إذ يمكن شطرها إلى شطرين الأول منهما (من يغفر الذنوب؟)،

[1]– سورة إبراهيم: الآية 11.
[2]– الزركشي : المصدر السابق، ج2، ص 408.
[3]– سورة آل عمران، الآية: 135.
[4]–ابن هشام: مغني اللبيب، المصدر السابق، ج2، ص443.

والشطر الثاني: (الله).

لقد تمّ الاستثناء بلفظ الجلالة كإجابة منطقية مردّها أنّ المغفرة لا تكون إلاّ من المولى عز وجل وهذا على وجه الإطلاق وليس على الوجه النّسبي،وقد تحقق هذا بإضافة (إلاّ) التي استثنت المولى عزّ وجل بالمغفرة نفيا لهذه الصفة عن غيره، ولهذا يسمّى الغفور، ويسمّى الغفّار. ويمكن توضيح تركيب الجملة في هذه الخطاطة:



الخطاطة رقم6: الاعتراض الاستفهامي

يمكننا القول إذن إنّ الاستفهام يمثل أحد العناصر البنائية في الجملة المعترضة، وهو من طلب الفهم، كما أنّ الاستخبار من طلب الخبر، ووظيفته في هذه الآية الكريمة لا تخرج عن تثبيت حقيقة إلهية هي أنّ المغفرة عنصر ثابت، ووصف لا يطلق إلاّ على الله عز وجل، لأنّ العلم بالشيء يتحقق بعد الصّيغة الاستفهامية دائما. وقد علل "الزّركشي" دور الاستفهام في تثبيت المعلومات وتقريرها بقوله أن الله تعالى «لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهم ليقرّرهم ويذكّرهم أنّهم علموا حقّ ذلك الشيء»[1]، ومن ثمّ يجيء بغرض تقرير حقيقة، وإنكارا لادّعاء المُخَاطَب.

إنّه بتأمل نماذج من الجمل الاعتراضية في القرآن، سجلنا وقوع الجملة

[1]– الزّركشي: المصدر السابق، ج2، ص327.

المعترضة بين الموصوف وصفته، وهي بصيغة الاستفهام حيث تفتتح بـــ(بأيّ) كما جاء ذلك في سورة الرّحمن؛ حيث وردت «فبأي آلاء ربّكما تكذّبان واحدا وثلاثين مرة، وقع بعضها معترضا كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [1]، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [2]. وهو من باب الاستفهام الذي يُنكر على المشركين عدم اهتمامهم بمخلوقات اللّه الدّالة على عظمة خلقه، وهذا بتقديم صور بليغة من صور الإعجاز. فالجملة الاستفهامية المعترضة تبدو منتظمة مع الآيتين السّابقة واللّاحقة له، وهذا في نسق تتابعي يصعب قطعه، او العدول عنه.

وفي السورة نفسها نجد اعتراضا بين المُبْدَلِ والمُبْدَلِ منه في شكل استفهامي كما مرّ هنا في الآيتين السابقتين كقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[3]، فلفظ (حور) بدل من خيرات وما بينهما معترض.

<u>النّمط الرابع: الابتداء بالضمائر</u>

ورد في القرآن الكريم نموذج آخر لابتداء الجمل الاعتراضية، حيث تفتتح بضمير منفصل، وتكون الجملة المعترضة بين المبتدأ الذي يرد اسما موصولا وبين خبره بغرض التوكيد، مثال هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [4]، فهذه الجملة ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ جاءت تأكيدا لما قبلها، وقد صُدّرت بضمير الغائب (هو) الذي يحيلنا على (ما نزّل على محمد ﷺ) وهو ضرب من ضروب التعويض التي يلجأ إليها الخطاب القرآني قصد تأكيد الخبر المقدم للرسالة.

---

(1)- سورة الرحمن، الآية: 46-48.

(2)-سورة الرحمن، الآية: 62-64.

(3)-سورة الرحمن، الآية: 70-72.

(4)-سورة محمد، الآية: 02.

ومنه أيضا الافتتاح بضمير المخاطَب المفرد (أنتَ) في سورة البلد في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [1]، فالجملة المعترضة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ فيها وعد بفتح مكّة تتميما للتّسلية والتنفيس[2] عن الرسول ﷺ بما كابده من عناء وألم في دعوته.إنّه الوعد بالمستقبل المضيء بالفرج بعد الشّدّة، واستشراف للعودة إلى الأوطان بعد شقاء الاغتراب.

أمّا الضمير (الذين) فقد كان فاتحة للجملة المعترضة الواردة في سورة إبـــراهيم، حيث يقول تعــالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾[3]، حيث جاء الاعتــراض بــين المبتدأ وخبره، والمعنى «أنّهم من الكثرة بحيث لا يعلم عــددهم إلاّ الله»[4]، وفسّــرت أيضا بأنه لا يعرف نسبهم إلا الله[5]، وقيل لكثرتهم. وقد فسّر الرّازي الجملة المعترضة على قولين[6].

- الأول: لا يعلم مقاديرهم إلا الله
- الثّاني: المراد ذكر أقوام ما بلغنا أخبارهم أصلا كذّبوا رسلا لم نعرفهم أصلا، ولا يعلمهم إلا الله، وقد رجّح الرأي الثّاني وعلّله بنفي العلــم بهــم، وذلــك يقتضي نفي العلم بذواتهم لمجهوليتها.

النّمط الخامس: الابتداء (بلا) النّافية للجنس

يتحول القرآن من الأنماط السابقة الذّكر إلى نمط آخر يتم الافتتاح فيه بـــ (لا) النّافية للجنس من باب التّنويع في أنماط الجمل المعترضة من جهة، ومن باب

---

(1)-سورة البلد، الآيات: 1-3.

(2)-الزمخشري: الكشّاف، المصدر السابق، ج4، ص255.

(3)-سورة إبراهيم، الآية: 9.

(4)-الزمخشري: المصدر نفسه، ج2، ص368.

(5)-ينظر: القرطبي: المصدر السابق،ج9، ص 344.

(6)-ينظر: الرّازي : المصدر السابق،ج19، ص89-90.

اختصاص هذا العنصر بالنّكرات لشمولها ومبالغتها في النّفي من جهة ثانية[1].

ومن الأمثلة في هذا السياق قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، حيث افتتحت الجملة المعترضة بلا النافية للجنس واسمها، الواقعة بين المبتدأ وخبره، والقصد منها استغراق نفي الشك عن مصدر التنزيل، وتأكيد ثبوت هذا التنزيل من المولى عز وجل، وقد جاء مثله في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [3]، فهذا الكتاب منزّل لا شك فيه مصدره واضح هو الله جلّ جلاله، ووظيفته واضحة وهي أنّه جاء هداية للعالمين عامة وللمتّقين بصفة خاصّة.

ونلتمس اختلافا في تحديد موطن الاعتراض في هذه الجملة تبعا لموضع الوقف؛ فمن الدّارسين من رأى أنّ الوقف يكون في (لا ريب) وهي الجملة المعترض بها، ومنهم من يرى أنّها(لا ريب فيه) لأنّ الوقف يكون في (فيه)، وهنا سيقف القارئ مع دلالتين مختلفتين للآية الكريمة، وهذا باختلاف تعليق الجار والمجرور «فعلى القراءة الأولى يكون الكتاب نفسه هدى، وفي الثّانية لا يكون الكتاب نفسه هدى، بل يكون فيه هدى»[4]، وإننا نرجّح القراءة الأولى "لا ريب فيه" هي الموقوف عندها، هي اعتراض يحمل دلالة نفي الرّيب على سبيل الاستغراق كما عبّر عن ذلك "الزّمخشري"، وهذا بدلالة نفي الشّك عنه، وإثبات أنّ الكتاب حق وصدق لا باطل فيه، وليس كذبا كما ادّعى المشركون[5]، بل هو هدى للمتّقين كما وصفه المولى عزّ وجل.

وذهب كل من "الخليل بن أحمد" و"ابن الأنباري" في تحليل هذه الجملة الاعتراضية بحسب ما ذكره ابن الجوزي(ت 597هـ) إلى أنّ ظاهرها النّفي ومعناها

(1)–ابن يعيش: شرح ابن يعيش، ج1، ص105.

(2)–سورة السجدة، الآية: 2.

(3)–سورة البقرة، الآيتان: 1–2

(4)– محمد نور الدين المنجد: اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، دار الفكر، دمشق،(د.ط)،2010، ص87.

(5)– ينظر: الزمخشري: المصدر السابق، ج1، ص113–114.

النّهي، وتقديرها: لا ينبغي لأحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه[1]. وهو رأي مقبول يمكن الرّكون إليه لأنّ الجملة تحمل دلالتين متقابلتين؛ فنفي الشك عنه يحمل النهي الضمني عن التّشكيك فيه.

ولا تزال جملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ معترضة في سورة قرآنية أخرى، وهي سورة يونس؛ حيث وردت الجملة الاسمية بين الجملة الأصلية و متعلّقاتها من الجار والمجرور كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وهذا نفيا للشك من الكتاب الكريم كما مرّ في الأمثلة السابقة.

وفي السياق ذاته نجد قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾[3]، حيث جاءت الجملة المعترضة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ مصدرة بـــ(لا) النافية للجنس، وهذا نفيا لتعدد الآلهة التي يدعو إليها المشركون، وقد تحقق الاستغراق بنفي عبادة غير الله، وإثبات التوحيد له فحسب.

النّمط السادس: الافتتاح باسم الإشارة:

يحرص القرآن الكريم على تحديد المشار إليه بتوظيف "أسماء الإشارة" حتى يجعل من الخطاب وحدة متكاملة تتّصل أجزاؤها اتّصالا وثيقا، فيحيل هذا العنصر على ذاك في شبكة من العلاقات النحوية والدّلالية التي تجمع بين العرض الفنّيّ الجماليّ والغرض الدّيني. نمثل لهذا النوع من الافتتاح بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4].

نلاحظ أنّ الجملة الاسمية ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قل افتتحت باسم الإشارة (تلك) من

---

[1]- ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرّحمان بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التّفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1984م، ج1، ص23.

[2]- سورة يونس، الآية: 37.

[3]- سورة آل عمران، الآيات: 1-3.

[4]-سورة البقرة، الآية: 111.

باب تحقير الأماني التي قال بها الكافرون، وقد جاءت معترضة بين جملتين مستقلّتين[1] «فكأنها جواب للسؤال الذي بعدها (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)، ولعلّ دلالة الاستبعاد في هذه الجملة واضحة، إذ لا برهان لهم سوى الأماني، ولا تُغني الأماني عن الحق شيئا»[2].ومن هذا الباب نجد اسم الإشارة (أولئك) الدّال على الجمع فاتحة ابتدائية للجملة المعترضة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [3]،وقع الاعتراض في هذه الآية الكريمة بين الجملة الأصلية وبين المفعول لأجله (فضلا)، «وهذا التوجيه توجيه الصّنعة النّحوية، لأنّ المفعول لأجله لا يمكن أن يكون من الفعل المفهوم من قوله: (الرّاشدون)، لأنّ من شرط المفعول له أن يتّحد مع عامله في الفاعل، وهذا الفاعل مختلف، وكذلك يستبعد أن تقدر للمفعول له فعلا محذوفا، فلم يبق إلاّ الحكم باعتراض هذه الجملة ويكون العامل قوله: حبّب إليكم الإيمان وكرّه إليكم الكفر»[4] . وهذه إشارة بليغة إلى العلاقات السّياقية و دورها في الرّبط بين أجزاء الكلام، وعلى هذا يكون دور الجملة المعترضة هو الدّلالة على معنى إضافي، زائد عن المعنى الأوّل.

النّمط السابع: الافتتاح بالاسم

جاء الاعتراض بالاسم في آية من آيات الأحكام لقوله تعالى: ﴿بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [5]، فقد جاءت جملة (أباؤكم وأبناؤكم) معترضة بين (من بعد وصيّة) والاسم المنصوب (وصية) الغرض منه «تجهيل السامع المتثاقل من الوصيّة بموطن النّفع له»[6]، ونمطها

---

[1]-ينظر:ا لزّمخشري: الكشاف، ج1، ص304-305، و أبو حيّان الأندلسي:البحر المحيط، ج1، ص350.

[2]-الطوّيبخي: المرجع السّابق، ص121.

[3]-سورة الحجرات، الآيتان: 7-8.

[4]- الطويبخي: المصدر نفسه، ص120. ينظر أيضا: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص237.

[5]- سورة النساء، الآية: 11.

[6]- الطويبخي: المصدر نفسه، ص119.

ونمطها جاء وفق الشكل الآتي:

اسم1 + حرف عطف + اسم2

وقد تكون الجملة المعترضة مصدّرة باسم هو مفعول به مقدم على معمول كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [1]، فجملة (والحقّ أقول) معترضة بين القسم وجوابه (لأملأن)، وقد قدّم المعمول للاختصاص.

وعليه يجيء النّمط بالشكل الآتي:

اسم (مفعول به) + فعل مضارع

النّمط الثامن: الابتداء بالجار والمجرور

سعيا للكشف عمّا بينها من تضامّ وقفت دراستنا عند نماذج جُمَلية تختلف عمّا سبق من أمثلة، فقد ترد الجملة الاسمية المعترضة في القرآن الكريم مبتدئة بجار ومجرور يتفاعلان لضمّ أجزاء الجملة ممّا سيؤدّي إلى ملأ فراغات تتخلّل النّص، وهذا قد يتحقّق بغرض الاختصاص مثلا كأن يُقدّم الخبر على المبتدأ بتنظيم عكسي للقاعدة التي تقول أنّ المبتدأ قبل الخبر، كما في جملة ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾[2]، فالمبتدأ (الأمر) أخر، وقدّم عليه الخبر لإفادة حصر تسيير الأمور بيد الله تعالى دون الخلق.

ومن النّمط نفسه نجد الجملة﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ وهذا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ

---

[1]- سورة ص، الآيتان: 84-85.

[2]-سورة الروم، الآيتان:1-4.

ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[1]، فالجملة المعترضة حصرت السوء في هوية الأعراب دون غيرهم، لهذا ابتدئ بــ(عليهم) الجار والمجرور ليزيد الخطاب في حدّة الإشكال المطروح.

النّمط التاسع: الجملة المصدرية

ورد في الخطاب القرآني مصدر من المصادر التي لا تستعمل أفعالها[2] وهو: لفظة (سبحانه)، التي وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه، والقصد منه تنزيه المولى عز وجل وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴾[3].

النمط العاشر: الابتداء بلا وما النّافيتين:

قد تجيء الجملة المعترضة مفتتحة بالنهي، وهذا للتنبيه على أمر يستوجب تركه، نلمس هذا في آية نهى فيها المولى عزّ وجل الأزواج عن انتقاص المهور إلا أنّ تختلع المرأة، فاعترض بها عند تشريع الطلاق وتبيان أحكامه، وهذا في قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ﴾[4]، فالآية الكريمة «ولا يحلّ» جاءت معترضة صدّت بلا الناهية متلوة بالفعل المضارع، للدلالة على استمرارية هذا الحكم الشرعي دون آنيته.

وشهدت آية أخرى من آيات الذّكر الحكيم وجود جملة اعتراضية تبتدئ ب(ما) النافية،ويليها جار ومجرور كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾[5]، جملة معترضة

---

[1]-سورة التوبة، الآية: 98.

[2]-سيبويه:الكتاب، ج1، ص322.

[3]-سورة النحل، الآية: 57.

[4]-سورة البقرة: الآيتان 229-230.

[5]-سورة عبس، الآية: 7.

بين ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [1] و﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ [2]، رأى الطّاهر بن عاشور هنا أنّ الواو اعتراضية، وعليك خبر مقدّم، والمبتدأ (ألاّ يزّكّى) «والمعنى: عدم تزكّيه ليس محمولا عليك، أي لست مؤاخذا بعدم اهتدائه حتى تزيد من الحرص على ترغيبه في الإيمان ما لم يكلّفك اللّه به. وهذا رفق من اللّه برسوله ﷺ» [3].

ثانيا: الجملة الفعلية

وظّف الخطاب القرآني كلاّ من الجمل الاسمية والفعلية للاعتراض، مستفيدا من قيمها الجمالية في إثراء الموضوعات التي يتناولها، فهما وجهان للنّمط اللّغوي الاعتراضي لا يمكن الاستغناء عن أحدهما في بناء الخطاب، وإذا كنّا قد حدّدنا الأنماط الاسمية الرئيسة في الآيات القرآنية في العنصر السابق، فإنّ السؤال المطروح هنا، ماهي أنماط الجملة الاعتراضية الفعلية الموظّفة في القرآن الكريم؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قمنا بتوزيعها وفق الأنماط الآتية:

النّمط الأوّل: الاعتراض بالجملة الفعلية الأمرية

يتفق الدّارسون على أنّ الجملة الفعلية تتصدّر دائما بفعل، لإفادة حدث مخصوص في زمن محدّد، كالماضي والمضارع، أو تفيد الاستمرار و التّجديد بتوظيف القرائن الدّالّة على ذلك ، وتتعدّد صورها بحسب متطلّبات السّياق؛ فقد تكون فعلا تاما مع فاعله أو نائبه، أو فعلا ناقصا مع اسمه أو خبره وهكذا.

الاعتراض بالجمل المصدّرة بالأمر هي واحدة من هذه الصّور، ومن أمثلتها مجيء الآية الكريمة في سورة (ص) مضمّنة للفعل المضارع المقترن بلام الأمر بين المبتدأ والخبر هي (فليذوقوه)، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [4]،

---

[1]-سورة عبس، الآية: 5.

[2]-سورة عبس، الآية: 8.

[3]-ابن عاشور، محمد الطّاهر: تفسير التّحرير والتّنوير، مؤسسة التّاريخ، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت)، ج30، ص 95-96.

[4]-سورة ص، الآية: 57.

«وقد مكّنت هذه الجملة بصورتها الاستعارية المعنى الحسّي للعذاب المفهوم من دلالة الجملة الأصلية»[1]، ومنه فقد جاء تركيب الجملة على الشكل الآتي:

فاء الاعتراض + لام الأمر + الفعل المضارع

وفي مواقف أخرى من القرآن الكريم يجيء الاعتراض بفعل الأمر مباشرة كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾[2]، فالجملة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ معترضة بين الحال وصاحبه[3]، وقد عبّرت عن مطلق المعرفة الإلهية بالقضاء والقدر، وهي مكوّنة من فعل أمر مع إنّ واسمها وخبرها على الشكل الآتي:

فعل الأمر + إن واسمها وخبرها

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾[4]، فجملة (قل إن الهدى هدى الله) معترضة بين الجملة الأصلية ومتعلقاتها (أن يؤتى) [5] للدلالة على تأكيد الهدى من المولى عز وجل ودفع الرؤى الذي يرى عكس ذلك، والجملة كما في أمثال السابق مكوّنة من فعل الأمر (قل) مضافا إليه إن واسمها وخبرها.

ومن قبيل هذه السياقات قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن

---

[1]- الطّويبخي: المرجع السابق، ص127.

[2]- سورة آل عمران، الآية: 154.

[3]- الزّمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج1، ص473.

[4]- سورة آل عمران، الآية:73.

[5]- ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج1، ص222. والزّمخشري: الكشّاف، ج1، ص437.

كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴿١٤٤﴾﴾[1]، لقد جاءت الجملة المعترضة (قل أ الذكرين حرم أم الأنثيين...) مفتتحة بفعل الأمر (قل) كما مرّ معنا في الأمثلة السابقة بغرض الاستفهام الإنكاري، إنكارا على الذين حرّموا أشياء لم يحرّمها المولى عزّ وجل، حيث وقعت هذه الجملة بين المعدودات بغرض التنبيه على خطأ هؤلاء الذين ادّعوا التّحريم.

كما يظهر الافتتاح بـــ(قل) أيضا في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[2]، فجملة (وقل ربّ أعوذ) تدخل في حقل الاستعاذة من همزات الشيطان ودليل اعتراضها أن جاءت بعدها (حتى) وهي متعلقة بـــ(يصفون) في الآية التي تسبقها.

وجاءت الجملة مصدرة بالأمر (فاسألوا) في سياق سورة النّحل، إذ يقول عز وجل: فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]،وهذا بين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾، ثم قطع الكلام بالاعتراض ليستكمل في الآية الموالية: ﴿ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

فنمط هذه الآية هي:

فعل أمر + فاعل + مفعول به + مضاف

النّمط الثاني: الاعتراض بالجملة الفعلية الماضوية

تتفاعل الأزمنة في الخطاب القرآني بتفاعل الأحداث فيه؛ فهو جزء لا يتجزأ من منظومته السّردية؛ حيث لم يعد زمنا ماضيا فحسب، أو زمنا حاضرا مستقبلا إنمّا تعدّاها إلى الزمن المفتوح، الممتدّ المطلق مثل الوجود، لهذا فإنّ الظاهرة الزّمنية في

[1]-سورة الأنعام، الآيتان: 143-144.

[2]-سورة المؤمنون، الآيات: 96-99.

[3]-سورة النحل، الآية:43.

القرآن الكريم ظاهرة قائمة بذاتها «فهو في تعامله مع الأفعال -بمستوياتها الثلاثة- لا يخضعها لزمنيتها النّحوية بل يتجاوزها إلى مستوى دلالي أوسع، يتمثل في إعادة خلق وتشكيل القصدية الزمنية»[1]، في سياق الآيات القرآنية.

من خلال الجمل الاعتراضية الواردة في القرآن الكريم، أحالنا سياقها على الابتداء بالزّمن النّحوي الماضوي في عدّة مواضع من آياته، حيث أحالتنا معاينة هذه النّماذج إلى الزّمن الاستشرافي في عالم المستقبل، وهذا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ ﴾ [2]، حيث وقعت الجملة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) معترضة بين اسم إنّ وخبرها، لتبين هذه الصّفة الحميدة وهي الإنفاق، وقد جاء هذا الاعتراض بمنزلة الصّفة[3]، وقد عبّر الفعل (أقرضوا) في هذا السياق عن دلالة الفعل على الاستمرار، لأنّ الجملة تحكي حالة بشرية مستمرّة الوقوع.

وليس بعيدا عن هذا المجرى نجد قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [4]، حيث وردت جملة في الآية السابقة، وقد عدلت عن دلالتها على المضيّ إلى دلالتها على مطلق (الزّمل)، لأنّ هذا الاعتراض وصف القرآن بغاية الحسن ونهاية الكمال، لأنّ الإنزال تمّ بعلم الله وإرادته.

ونلاحظ أن هذين الفعلين المفتتح بهما في الآيتين (أقرضوا- أنزله) قد جاءا مثبتين مجردين من الزّوائد.

أما في سياقات قرآنية أخرى نصادف جملا اعتراضية تفتتح بـــ(قد) متبوعة بالفعل (علم) في صيغته الماضوية، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا

---

[1]-شارف مزاري: مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص113.

[2]-سورة الحديد، الآية: 18.

[3]-الفرّاء: معاني القرآن، المصدر السابق، ص200.

[4]-سورة النساء، الآية: 166.

لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1]، وهو اعتراض بين القسم وجوابه، فائدته إثبات الجراءة من السرقة.

وجاءت جملة (قد علمنا) معترضة في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[2]، فالبناء التّركيبي (قد علمنا ما فرضنا عليهم) جاءت بصيغة المضي للدلالة على مطلق الزمن، لأنّ المعرفة الإلهية غير منتهية، وقد جاء الفعل الماضي فيها تاما مثبتا مؤكّدا «وقد أكّدت الجملة بحرف التحقيق، لأنّها وردت في بيان مصلحة المتحقق علمها عند الله، في اختصاص البشر عالمة بأحكام معينة في النّكاح، واستثناء الرّسول من ذلك»[3].

وقد يحدث أن يكون الفعل الماضي منفيا كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴾[4]، فجملة (وما أنسانيه...) معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، بقصد بيان العذر والعلّة لوقوع النّسيان[5].

يتجسد لنا سياق آخر للنفي في الجملة المعترضة عند ابتدائها بـــ(ليس) وهو فعل ماض جامد وناقص، يأتي بدلالة النّفي كما في قوله تعالى: ﴿ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[6]، فالفعل ليس في الجملة المعترضة يفيد النّفي في الأزمنّة الثلاث، ومعنى الاعتراض

---

[1]-سورة يوسف، الآية: 73.

[2]-سورة الأحزاب، الآية: 50.

[3]-الطوبيخي: المرجع السابق،ص123.

[4]- سورة الكهف: الآية63.

[5]-الزّمخشري: الكشاف: ج2، ص492.

[6]-سورة آل عمران، الآيتان: 127-128.

يصبُّ في حقل تخصيص الرسول ﷺ بالتبليغ والإنذار، بينما ما تبقى من أمور الحياتين الدّنيا والآخرة، فهي جميعا بيد الله وقضائه وقدره دون الخلق قاطبة.

في سياق آخر من الخطاب القرآني نجد الاعتراض يجيء للتنبيه على أمر مهم ليحيل القارئ إليه موضحا فكرة ما بالغة الأهمية، كما في سورة يوسف إذ يقول تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِن يَسْرِقْ ﴾[1]، لقد جاءت الجملة المعترضة (كذلك كدنا ليوسف) محققة للتفاعل بين الآية السابقة والآية اللاحقة لها، وقد صدّرت بـــ(كذلك) لتأكيد هذه الحقيقة، وهي أنّ مشيئة الله عز وجل هي التي تسير نواميس هذا العالم، وتتصرف في أقدار البشر، ولو كانوا من الأنبياء، أو من أقاربهم كما في هذه السورة.

ومن الجمل الاعتراضية الواقعة في الخطاب القرآني مصدّرة بالفعل الماضي قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ في سياق التفسير والإجمال، من خلال ما بني على تخصيص أحد المذكورين[2]، حيث يقول عز وجل: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[3]، فجملتا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ و﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ جاءتا معترضتين في هذه الآية تبيانا لمقام الأم، وتذكيرا بحق تشريفها وتكريمها لما تتلقاه من متاعب إثر ولادة الولد وكذا عند تربيته.

ورد في القرآن الكريم أيضا ما يسمى بالاعتراض المركب[4]، أسماه القدماء اعتراض في اعتراض[5]، والمقصود به ورود جملة معترضة أو أكثر داخل الجملة المعترضة في حدّ ذاتها أي الأصلية، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

(1)-سورة يوسف، الآيتان: 76-77.

(2)-الطويبخي: المرجع السابق، ص134.

(3)- سورة لقمان: الآية 14.

(4)-أطلق هذه التسمية الطويبخي: المرجع السابق، ص137.

(5)-ينظر: الكشاف، 58/4، والبحر المحيط، 440/2، والبرهان في علوم القرآن: 62/3.

وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، فالجملة المعترضة هي ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ وهو الاعتراض الأصلي بين "وقيل يا أرض أبلعي" وبين "وقيل بعدا"، وهو اعتراض يوحي بقدرة الله عز وجل في إنطاق الجماد، فشُخصّت الجمادات وتحركت، ورضخت لأوامر الله عز وجل.

فالحركة الزّمنية ممتدة في الماضي مع حركية هذه الأفعال الماضوية المبنية للمجهول من باب فاعلها؛ لهذا جاءت الجملة المعترضة مصدّرة بالفعل (غيض)، وهذا الفعل مشتق من (غاض) نقول: «غاض يغيض غيضا ومغاضا الماء: نقص أو غار أو نضّب»[2]، ومنه فقد تشكل هذا النّمط من:

الفعل الماضي المبني للمجهول + نائب الفاعل

ودلالة هذا الجمع بين مجهولية الفاعل وتعويضه بالنّائب له، إنمّا يجيء من باب تحريك الثابت، وتشخيص الذي لا ينتمي إلى عالم الإنسان، وهو الطريق نحو تعظيم هذه المخلوقات الكونية، وبث خيوط الحياة فيها، أما عن وجود اعتراض داخل هذه الجملة المعترضة فقد تمثل في جملة (وقضي الأمر) الواقعة بين (وغيض الماء)، وبين (استوت على الجوديّ)، قد تخللته للدلالة «على تمام تحقيق الأمر الإلهي بإهلاك الكافرين»[3].

ويستمر الزّمن الماضوي في الجملة المعترضة من ذلك ما جاء في آيتين من المائدة، إذ يقول عز وجل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[4]، وقوله أيضا:

---

[1]– سورة هود: الآية 44.

[2]–المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط38، 2000م، ص564.

[3]–الطويبخي: المرجع السابق، ص139.

[4]–سورة المائدة: الآية23.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1].

نلاحظ أن هاتين الجملتين المعترضتين قد صدّرتا بفعلين ماضيين، أحدهما بني للمعلوم وهو (أنعم)، وثانيهما بُني للمجهول وهو (غلّت)، وقد جاءا مرتين ضمن جملتين فعليتين وفق النّمطين الآتيين:

النّمط 1: فعل ماضي + فاعل (لفظ الجلالة)

النمط 2: فعل ماضي مبني للمجهول + نائب فاعل

ولا تزال صيغة الماضي واردة في جملة اعتراضية أخرى، ولكن صدّر هذا النّمط بالفعل الماضي الناقص المسبوق بـــ(ما) النافية، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

ومن الأمثلة الاعتراضية التي جاءت فيها الجملة مصدّرة أيضا ب،(كان) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]، حيث جاءت الجملة مشكلة في النّمط الآتي:

كان + اسمها + خبرها

[1]- سورة المائدة:الآية 64.

[2]- سورة يونس:الآية 13.

[3]- سورة هود: الآية 07.

النّمط الثالث: الجملة المضارعية

الشائع لدى الدّارسين أنّ صيغة (يفعل) تردّد زمانيا بين الحال والاستقبال[1]، وإن ذهبت في الاستعمال مذاهب أخرى، وذلك بفضل سياق النّص، والأدوات التي تضاف إلى هذه الصّيغة.

ورد في هذا الفعل في القرآن الكريم في بعض الآيات القرآنية المعترضة حيث تصدر به هذه الجمل، في مواضع عدة من هذا النّص، مثال ذلك جملة «ونفصّل الآيات لقوم يعلمون» الواقعة في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾[2].

نلاحظ أنّ الآية جاءت في سياق العطف بين جملتين متعاطفتين، وهي مركبة من فعل + فاعل + مفعول به على الشكل الآتي:

فعل مضارع (نفصل) + (نحن) ضمير مستقر + مفعول به

لقد جاء هذا الفعل المضارع في هذه الجملة مبنيا للمعلوم، ونره في جمل اعتراضية أخرى يبنى للمجهول كما جاء بين جملتين منفصلتين في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾[3]. فجملة ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ جاءت معترضة في سياق حكاية حال الكافرين[4]، لأنّ الجملة التي قبلها والتي بعدها تحكيان حال الكافرين في الدنيا، وقد جاءت هذه الجملة التي بينهما بصيغة المضارع لأنها ارتبطت بزمن استقبالي ما دامت تحكي عن الآخرة.

[1]-إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، 1966، ص24.

[2]-سورة التوبة: الآيتان 11-12.

[3]-سورة هود: الآية 20.

[4]-الزّمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج2، ص234.

كما نجد حضورا للأفعال الناقصة في صيغة المضارع أيضا، كورودها مسبوقة بـــ(لا) النّاهية، وذلك في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، فجملة (فلا يكن في صدرك حرج منه) معترضة بين الفعل (أنزل) ومتعلّقة (لتنذر به)[2].

ومثله أيضا الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾[3]. وقد تمّ تحليلها في مباحث سابقة.

وقد تجيء الجملة المعترضة مضارعية مسبوقة بـــ(أو لم) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾[4]، فجملة (أو لم يعلم) جاءت معترضة لبيان مغزى القصة[5]، كما جيء به الاستفهام الإنكاري الموجّه للمجرمين قبل إتمام القصة معترضا بها أثناء السرد، وعليه فقد حققت هذه الجملة الترابط بين جزئي الخطاب، فتحققت بذلك أهداف تركيبية ومعنوية لا يشعر خلالها القارئ بالانقطاع عن سير الأحداث.

وترسخ آية قرآنية أخرى معاني الرّفق بالنّفس وتفسير المعطيات سابقة عندما تفتتح بفعل مضارع مسبوق بـــ(لا النافية)، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾[6].

فقد وقعت هذه الجملة معترضة، وهي مقصورة بالنّفي والاستثناء، وشبيه بها

---

(1)–سورة الأعراف:الآية 02.

(2)–معاني القرآن: الفراء، المصدر السابق، ج1، ص270.

(3)–ينظر: تحليل هذه الآية في نمط الابتداء بلا النّاهية.

(4)–سورة القصص، الآية: 78–79.

(5)–الطويبخي: المرجع السابق، ص133.

(6)–سورة الأنعام:الآية 152.

قوله تعالى:﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [1]، فجملة ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ جاءت معترضة بين متعاطفين، وقصرت بالنّفي والاستثناء كسابقتها تأكيدا للدعوة في القسط في الأوزان، دون زيادة أو نقصان، وقد اختلف نمطها عن النّمط السابق رغم تشابه الجملتين في بنائها التركيبي من حيث تكرار وحداتها اللغوية، مما يحقق التّماسك النّصي بين أجزاء الآيات، ثم التماسك النّصي بين السورتين (البقرة /الأنعام).

فجملتا ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[2]، و﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[3] جاءت وفق النّمطين المتتاليين:

النمط1: لاالنافية + فعل مضارع مبني للمجهول + نائب فاعل

النمط 2: لا النافية + فعل مضارع معلوم + مفعول به

وقد عبّرتا عن التوجيهات الربانية لحسم فكرتي؛ الرّفق بالنفس، والرّفق بالميزان والحكمة من عدم المبالغة في التكليف إذا كان المكلّف له طاقة محدودة، فبقدر طاقته يكون التكليف، وهي إشارة ضمنية إلى عظمة الخالق، وضعف المخلوقين.

ونجد من هذا القبيل أيضا قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4]، فجملة (لا نكلف نكلف نفسا) معترضة بين المبتدأ أو الخبر وهي من النّمط الثاني؛ وهي تفسير إلى أن ثواب الإنسان بالجنّة لا يكون إلاّ بما يقدمه من عمل، وعلى قدر الأعمال يكون الجزاء.

---

[1]-سورة الأعراف، الآية: 42.

[2]-سورة البقرة، الآية: 233.

[3]-سورة المؤمنون، الآية: 62.

[4]-سورة البقرة، الآية: 233.

ولا يبتعد بنا المقام عن سياق النّفي، فقد ترد جملة الفعل المضارع منفية نفي تأكيد في سياق التركيب الشرطي، وهذا النفي يكون ب(لن) في مقامات التحدّي والتعجيز وهذا في قوله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾[1]. فالجملة المعترضة هي (لن تفعلوا) ونمطها:

لن + فعل مضارع + فاعل

ففي هذه الجملة تأكيد لنفي الفعل نفيا مطلقا، وهذا لأنّ الجملة «مصدّرة بأداة التأكيد التي قد ترقى إلى مستوى التأييد، والتي تكون الدلالة المستقبلية فيها أصيلة»[2]، من خلال تصدّرها بالفعل المضارع الذي جيء به لهذا الغرض.

وعند معاينة هذه الأمثلة الاعتراضية يتبيّن أن الطابع الفعلي في سياق الزمن المستمر هو السائد فيها، وهذا التوجيه يمكن أن يستتشف بوضوح في آية قرآنية أخرى يقول فيها تعالى: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3]، ونمط الآية على الشكل الآتي:

فعل مضارع + أن + قد + جملة فعلية ماضوية

[1]-سورة البقرة:الآية 24.

[2]-البقري، أحمد ماهر: أساليب النفي في القرآن، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص118.

[3]-سورة المائدة، الآية: 115.

المبحث الثاني

المدارات الدّلالية للجمل الاعتراضية في الخطاب القرآني

مدخل

المشهور في هذا الباب أنّ الجمل الاعتراضية في الخطاب القرآني مؤسسة دلالية تنقسم إلى جملة من المقامات، كل مقام له سياقه داخل الآية القرآنية، فالجملة المعترضة قد تكون صورة حجاجية مجالها الإقناع، وتارة يكون بُعدها السخرية بغرض التحذير أو التخويف، وقد تتعدّى هذه الدلالات ليكون غرضها الأساسي هو الإبلاغ، أو التوقع تارة أخرى. من خلال ترتيبنا وإحصائنا لهذه التلوينات الدَّلالية، توصل بنا التنقيب والبحث إلى الآتي:

1-مدار الحجاج:

لقد مثلت الجملة الاعتراضية في الخطاب القرآني نمطا حجاجيا متميزا، وأسلوبا إقناعيا له سلطته على القارئ في مواطن كثيرة؛ إذ جاءت هذه الجمل الإقناعية برهانا لاستمالة المتلقي، وعلية فقد اكتسب بالتالي سمات وخصائص النص التي قال وأقر بها (رونو بينوا) في حجاجه ضمن النقاط الآتية[1]:

أ-**القصد المعلن:** يسميه اللسانيون الوظيفة الإيحائية (Conative)، وهو شكل من أشكال التواصل، وهو توظيف عناصر لغوية أو غير لغوية لإحداث أثر ما في المتلقي من اجل إقناعه بفكرة معينة.

ب-**التناغم:** هو ذلك التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات انفعالية أو غيرها، تجعل النّص يصل بيسر لمتلقيّه.

جـ-**الاستدلال:** بما أنّ النّص الحجاجي قائم على البرهنة، فإنّ بناءه يكون على نظام معيّن تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة.

وتكمن حيوية هذه التجربة الحجاجية في القرآن الكريم من خلال تعدد الأصوات (Dialogisme) في الآيات القرآنية نظرا لتعدد الشخصيات من جهة، واختلاف

---

[1]-سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة- بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد/ جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص ص26-27.

مستوياتها، ونظرا لطبيعة المُرسل إليه (كافر، مؤمن، منافق)، الذي يتغيّر بتغيّر المحيط وطبيعة الموضوع الموجّه، خصوصا إذا علمنا أنّ «من وجوه الحجاج في القرآن حكاية أقوال الخصوم أو موافقتهم في الجملة الأصلية والرّد عليها بواسطة الاعتراض، على نحو تبدو معه الجملة الاعتراضية داخلة مع الجملة الأصلية في تقابل، ويؤدّي هذا التقابل تركيبيا ودلاليا صيغة من قبيل: «والحال أنّ، أو في حين أنّ أو الحقّ أن»[1]، وهذا ما يساعد على إنشاء خطيّن متضادين؛ خط الرأي الأوّل والرأي النقيض، وتبعا لهذا يكون الحوار حاملا لــ «وظيفة بنائية، تضيء الحدث، وتوصله بمساره القصصي، وتحشد فعالية السرد الاختراق وقائع جديدة، تطورا بالحديث إلى منتهاها السردي»[2].

فمثل لهذا بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

اعتمدت هذه الجملة الاعتراضية –ولن تفعلوا– على مضمون لطالما وظّف في الخطاب القرآني كاستراتيجية حجاجية وهو السخرية (Irony)، وهي مكوّن انفعالي يؤتى بها لإثارة الطرف الثاني واستقراره والاستهزاء برأيه، عرّفت جماعة (MU) السخرية بأنها «تقاطع بنية ضدية مع انفعال هازئ»[4].وهي نوع من الحجاج غير المباشر على رأي (بيرلمان). لقد جاءت وفق هذا المسار الجملة المعترضة (ولن تفعلوا) بين الشرط وجوابه، فقد سخرت لقطع الكل الذي لا ينقطع (الشرط وجوابه)؛ إذ قطعت التسلل القائم بين الوحدات اللغوية لإظهار القيمة الحجاجية للقول، وهي التحدي

---

(1)–عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007، ص354.

(2)–سليمان عشراتي: الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية الإعجاز السردي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص186.

(3)–البقرة: 22–23.

(4)-Group MU, Ironique et conique, P428-429.

من جهة، والسخرية بالكافرين من جهة ثانية. فبعد أن أُمر الكافرون أمر تهكم وتعجيز أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو آية منه، كما أنهم ليسوا بقادرين على المعارضة[1].

"لن تفعلوا" إذن جملة اعتراضية بدأت "بلن" للدلالة على التأكيد، والنفي الحاصل في المستقبل دون شك؛ فإذا كانت جملة (لم تفعلوا) «كان معناه نفي في المستقبل مخرجا ذلك مخرج الممكن، أخبر أن ذلك لا يقع وهو إخبار صدق، فكان ذلك تأكيد أنهم لايعارضونه»[2] عن طريق الاعتراض بين هذه الجملة المصدرة ب (لم) ومما جاء بعدها من تكملة لسياق النص.

وأشار الزمخشري إلى أن النفي بـــ (لن) كان أكثر تأثيرا من توظيف (لا)، لأن فيها توكيدا وتشديدا، وهي تنفي المستقبل فحسب، في حين قد تنفي (لا) الحال أيضا.

وعليه فإن (لن) أخصُّ بالاستقبال وأخص بالمضارع من (لا تفعلون) [3].ومن ثم فإن هذه الجملة الاعتراضية قد حققت وظيفتها الحجاجية، وهي إثارة لهمم الكافرين ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ وأبدع، وفي ذلك دليلان على إثبات النبوة؛ أحدهما صحة كون المتحدي به معجزا، وهذه صورة حجاجية، وثانيهما الإخبار بالغيب من أنهم لا ولن يفعلوا وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى كما وضح ذلك أبو حيان[4]، أما (لم تفعلوا) فقد أفادت انقطاع الفعل وانتهاؤه.

وتحمل هذه الآية أيضا شحنة من التحدي المستغرق في الزمنين الماضي والمستقبل مع بيان عجزهم التام في جميع العصور[5].مما فسح مجال الحجاج واسعا وتوظيف نفي التأكيد لتوضيح بلاغة التحدي والتعجيز، ويمكننا تحليل هذه المفارقة بين ما يقال (رأي الكافرين) وبين ما يفعل (خطاب الله عز وجل) من خلال الخطاطة الآتية.

---

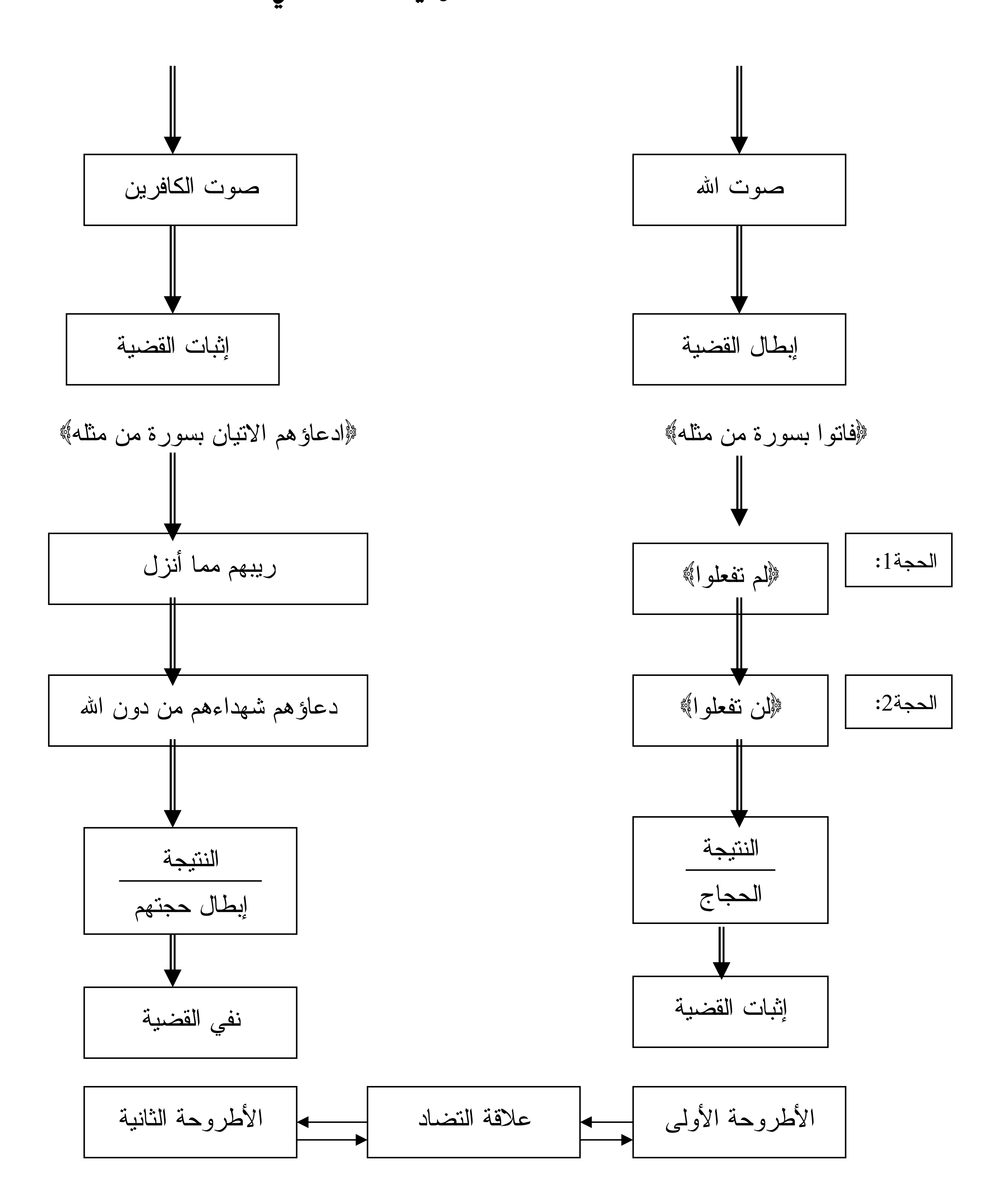
[1]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص148.

[2]-المصدر نفسه، ج1، ص249.

[3]-الزّمخشري :الكشاف: المصدر السابق، ج1، ص101.

[4]-أبو حيان الاندلسي: المصدر السابق، ص248.

[5]-محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002، ص20.



<u>الخطاطة رقم 7: الصورة الحجاجية في سورة البقرة</u>

إنّ النظرة المتأنية لهذه الخطاطة تبيّن لنا صورة من صور التضاد بين أطروحتين؛ الأولى منهما انطلقت من إبطال قضية لتثبت عكسها، وأطروحة فعلت

العكس أثبتت قدرتها على الفعل لتصل أخيرا إلى إبطال قضيتها، إنّ هذا التسلسل المنطقي في توالي العناصر البنائية للخطاب القرآني وضح لنا المفارقة بين ما يقال وبين ما يُفعل؛ فالكفار يقولون والله يفعل، فمن منطلق القول يجيء العدم، ومن منطلق الفعل تجلّت السخرية فهي «تهجم وتعتدي وتفضح»[1]، لتبرز من خلالها القيمة الحجاجية للمتلقي؛ من خلال تكرار الفعل (تفعلوا) الذي يدبُّ بالحركة، من خلال العاملين (لم) التي قطعت الحركة في الماضي، و(لن) التي قطعتها في المستقبل.

وفعل الشيء يفعله بمعنى عمله، والعمل فيه حركة، والحركة (Notion) ضد السّكون (Statism) [2]، إلاّ أن هذه الحركة ألغيت مرتين، مرة في الماضي، ومرة في المستقبل؛ وقد وظّف الخطاب القرآني الجملة المعترضة (ولن تفعلوا) بغرض محاجّاة الكفار لدحض قضيتهم والنتيجة الفعلية هي مقامهم بجهنم (النار)؛ لأنّهم لم يأتوا بسورة تشبه القرآن ولن يأتوا بمثله، وعليه فالرابط الحجاجي (لن) أفاد نتيجة واحدة رغم أن التأويل الدلالي ذو وجهتين إحداهما في الزمن الماضي، وثانيهما في المستقبل، بغرض رئيس وهو شلُّ حركة المسخور منهم (الكافرون)، وإدخالهم النّار جزاؤهم الذي يجب أن يكون جرّاء كفرهم.

إنّ معاينتنا لهذا المثال الحجاجي وتحليلنا له تؤكّد ما ذهب إليه عبد الله صولة من أنّ الجملة الاعتراضية جزء أساسي في الكلام الذي تدخل عليه مشكلّة معه تلاحما واتّساقا (Cohesion)[3]، وهذا مردُّه الانسجام الحاصل بين الجملة الأصلية وبين الجملة الدّخلية لتدعيمها دلاليا، فهي ليست مقطوعة عمّا قبلها كما بيّنا آنفا.

ويستمر سياق السخرية في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ

---

[1]-أمنية الدّهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص30.

[2]-محمد محمد داود: الدلالة والحركة،دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2002، ص36.

[3]-عبد الله صولة: المرجع السابق، ص ص350-352.

﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1]، فالملاحظ أنّ حركة المفردات المترابطة كانت تسير على نحو أفقي، حتى قطع التسلسل بهذه الجملة الاعتراضية المكوّنة من مبتدأ وخبر (تلك أمانيّهم)، التي جاءت كعنصر حجاجي، بالسخرية من هذه الأماني «وهي أمنيتهم، أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربّهم وأمنيتهم أن يردّوهم كفّارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنّة غيرهم»[2]، وهي جميعا أماني باطلة لا صحّة فيها، ومعناها تلك أكاذيبهم وأباطيلهم، وزاد في توسيع دلالاتها أبو حيان بأنها قد تعني مختاراتهم وشهواتهم»[3]، لهذا طالبهم المولى عزّ وجل ساخرا منهم ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾، وقد جاء المبتدأ اسم إشارة (تلك) متسعا دلاليا لأنّ «تلك يشار بها إلى الواحدة المفردة، وإلى الجمع غير المسلم من الذكّر والمؤنّث»[4]، وقد حصل الانسجام بين هذا المبهم، وبين لفظة أمانيّهم المتشعبة الدلالات أيضا كما بيّنا آنفا.

2-مدار الإخبار:

وقفت بعض الجمل الاعتراضية موقفا إخباريا في الخطاب القرآني، فجاءت لأجل تقديم معلومة إضافية إلى المتلقي، قد تكون معلومة لديه، وقد تكون مجهولة، فممّا جاء في هذا السّياق قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[5].

جاء هذا الاعتراض بين الفعل وشبه الجملة المتعلقة به، بغرض إخبار الرسول ﷺ بالقيمة الكبرى لهذا المنزّل، وهو في صيغة طلب مرفق للرسول الكريم بسعة الصّدر في قبول الرّسالة، وهو اعتراض في أثناء الكلام، ولذلك قال بعض النّاس إنّ

---

[1]-سورة البقرة، الآية: 111.

[2]-أبو حيان: المصدر السابق, ج1، ص520.

[3]-المصدر نفسه، ج1، ص521.

[4]-المصدر نفسه، ج1، ص520.

[5]-سورة الأعراف، الآية: 1.

فيه تقديما وتأخيرا، و(لتنذر) متعلّق بـــ(أنزل) كما بيّن ذلك أبو حيان[1]، والجملة جاءت للدلالة على نفي الشك، إذ قيل في تفسيرها: «لا تتحرّج به في إبلاغه والإنذار به واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل»[2]، وإنما قد أنزل عليك هذا الكتاب لتنذر به الكافرين.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾[3]، فهذه الجملة الاعتراضية جاءت بغرض إشعار الكافرين بأنّ الله تعالى سيظهر ما يخفون من أمر القتيل وقد وقعت بين جملتين متعاطفتين، «مشعرة بأنّ التدارؤ لا يجدي شيئا، إذ الله تعالى مظهر لا محالة ما كتم من أمر القتيل»[4]، فهنا لاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، فائدته «أن يقرر في أنفس المخاطبين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك النّفس لم يكن نافعا لهم؛ لأنّ الله تعالى مظهر ذلك ومخرجه، وبهذا حسم الجدال بين المختلفين والمتدافعين، يؤكد ذلك اسمية الجملة المعترض بها، وتصدرها بلفظ الجلالة»[5].

ونجد في سياق الإخبار أيضا قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [6]، يصوّر المولى ﷻ في هذه الآية الكريمة حال المنافقين الحذرين والخائفين من هذه الصّواعق، لأنّ الله محيط بهم، وهو بقدرته يحييهم أو يميتهم، وقد وظّف السياق القرني هنا الجملة المعترضة – حذر الموت- بغاية إخبار المتلقّي بالأسباب التي دفعت هؤلاء أن يخافوا من هذه

---

[1]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج4، ص267.

[2]–ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص387.

[3]–سورة البقرة، الآية: 72-73.

[4]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص424.

[5]–محمد عبد الباسط عيد: النّص والخطاب- قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، 2009، ص180.

[6]– سورة البقرة، الآية: 18.

النيران التي تنزل وقت الرّعد الشديد.

وهذه الجملة اعتراضية لأنّها دخلت بين جملتين تنتميان إلى قصة واحدة كما عبّر عن ذلك أبو حيان، وهما ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾ و ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، وقد أطلق عليه ما يسمى بالتمثيلات المركّبة «وهو الذّي تشبّه فيه إحدى الجملتين بالأخرى في أمر من الأمور وإن لم يكن آحاد إحدى الجملتين شبيهة بآحاد الجملة الأخرى، فيكون المقصود تشبيه حيرة المنافقين في الدين والدنيا بحيرة من انطفأت ناره بعد إيقادها وبحيرة من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق»[1]، وهو مسوّغ منطقي لهذا الاعتراض.

أيضا نجد قوله تعالى في القصص: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي﴾ [2]، هذه جملة اعتراضية وقعت بين المعطوف والمعطوف عليه، جاءت تأكيدا لمعنى خطئهم[3].

3-مدار نفي الشّك:

جاءت بعض الجمل الاعتراضية في آيات من الذّكر الحكيم، ولو تكن في ذلك زائدة إنّما «ذات أثر دلالي ولفظي عميق لا يمكن الاستغناء عنه، شأنها في ذلك شأن أي جملة أو مفردة قرآنية»[4]، كما هي حال الجملة المتوسطة بين المبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾[5].

فالقصد من هذه الجملة هو: «استغراق نفي الشّك عن مصدر التّنزيل، وهذا يدل عليه تركيب الجملة إذ صدّرت بـــ (لا) النّافية للجنس التي تختص بالتكرارات لشمولها

---

[1]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص223-224.

[2]-سورة القصص، الآيتان: 8-9.

[3]-أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج7، ص101.

[4]-طلال يحيى الطويبخي: المرجع السابق، ص113.

[5]-سورة السجدة، الآية: 2.

ومبالغتها في النّفي»[1].

أما في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [2]، فإنّ جملة (ولن تفعلوا) وقعت اعتراضا بين الشرط وجوابه على الرّغم من علاقة التلازم الدلالي بينهما، وقد جاءت استفزازا للمنافقين ونفي شكهم، دليل آخر على بلاغة التحدّي وتعظيم التحدّي الذي يستغرق الأزمنة جميعها لبيان عجزهم التام في جميع العصور[3]، ومنه فإنّ هذه الجملة الاعتراضية قد دلّت على ازدواج في تحديد المدار الذي تنتمي إليه، فهي تارة تقرأ قراءة حجاجية وتارة توظف لنفي الشك كما هي الحال هنا.

4-مدار الدعاء:

الدّعاء هو الابتهال، يقال دعوت الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه في السؤال، ورغبت فيما عنده من الغير[4]. ولكن هذا الدعاء بالخير قد يأخذ مجرى آخر باتجاه سلمي، إذا كان الدعاء على الشخص وليس له، وقد وجدت آية في الخطاب القرآني عبرت عن هذا السياق وهي قوله تعالى: «ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مَغْرَمًا ويتربَّص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم»[5]. وقد جاءت الجملة المعترضة في هذا السياق في شكل دعاء معترض حيث دعا الله عليهم بنحو ما دعوا به، أو ما تمنّوا أن يقع بساحة المسلمين [6].وقد فسّر أبو حيان الدعاء من الله هو «بمعنى إنجاب الشيء، لأنه تعالى لا يدعوا على مخلوقاته وهي في قبضته»[7]. والدوائر هنا هي انقلاب النعم على الأعراب إلى ضدها، كما تدور عليهم المصائب

---

[1]-الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج3، ص530.

[2]-سورة البقرة، الآية: 24.

[3]-محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، ط1، 2002م، القاهرة، ص20.

[4]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص81.

[5]-سورة التوبة، الآية: 99.

[6]-الطويبخي: المرجع السابق، ص

[7]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص95.

والحروب التي يتوقعونها على المسلمين، أو المكاره التي دعوا بها عليهم، كما حملت الآية معنى الاختصاص، فقد اختصت الأعراب بهذه الدائرة دون غيرهم، محصورة فيهم.

ومن الجمل الاعتراضية التي جاءت للدلالة على الدعاء جملة (أنعم الله عليها) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1].

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن رجلين أطاعا الله، وعليهما نعمة كبيرة منه، يخافانه ويخشيانه دعوا بني إسرائيل لاتباع موسى عليه السلام وعدم الحياد عن طريق الحق؛ إلا أن إسرائيل تجبرت ورفضت هذه الدعوة.

فالجلمة المعترضة (أنعم الله عليهما) عبرت عن الدعاء لهاته الشخصيتين بكل الخير، فهي موصوفة بالنعمة، وهذا يدخل في باب مدحهم ومدح ضيعهم.

وأنعم الله تعالى بالشيء على الإنسان: تفضل به[2]؛ ففضله عليهما غير منته في الدنيا وفي الآخرة؛ ونعمة الدنيا واضحة في قوله: (من الذين يخافون)؛ فقد فسّرت تفسيرين[3] إما (يُخافون) بمعنى يُهابون، ويوقرون ويُسمع كلامهم فهذه نعمة، وإما أنهما ((يخافان) في قوله (يخافون) وهذا دليل تورعهم وتقواهم وفضلهم وطاعتهم للمولى عز وجل وهذه نعمة أخرى. أما نعم الآخرة فهي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وفسّرها البغوي بأنه أنعم عليهما «بالتوفيق والعصمة»[4].

نمثل في السياق نفسه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [5]، وصف اليهود في هذه الآية الله عزّ مقامه بالبخل،

---

[1]–سورة المائدة، الآية: 23

[2]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص351.

[3]–ينظر: أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج3، ص470.

[4]–البغوي :المصدر السابق, ج3، ص37.

[5]– سورة المائدة، الآية: 66.

فجيء بالجملة الاعتراضية ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾، وفيها الدّعاء عليهم بلعائن الله المتتابعة[1]، والدعاء عليهم بالبخل الدائم في الدنيا والآخرة، فهم أبخل قوم، وهو دعاء عليهم بالبخل والنّكد[2]، ويرى الزمخشري أنّه دعاء عليهم بغلّ الأيدي حقيقة، يتركون في الدّنيا أسارى، وفي الآخرة معذّبين بأغلال جهنّم[3]، وستتبعهم اللّعنة حيثما ولوا لما قالوه في حق الله عز وجل وهو السخيُّ الذي لا ينفذ عطاؤه، لا في الدّنيا ولا في الآخرة.

5-مدار التّوبيخ:

وردت بعض الآيات القرآنية مضمنة لآلية من آليات التأنيب أو التوبيخ من خلال توظيف جمل اعتراضية عبّرت عن هذا القصد. نمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4]، جاءت هذه الجملة المعترضة ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من باب توبيخ المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء بقولهم (إنما أنت مفتر) قاصدين بذلك الكذب على الله، حتى «جعلوا ذلك الافتراء الذي نسبوه هو من تعليم بشر إيّاه فليس هو المختلف، بل المختلف غيره وهو ناقل عنه»[5]، وفيهم من زادت ضلالتهم ونسبوا الافتراء إلى الله، وهو قد عزّ مقامه وعلا؛ إذ نراه يوبّخهم في هذه الاعتراض غاضبا منهم، رافضا دعواهم لأنه أعلم بالناسخ والمنسوخ منهم.

و بناء عليه فقد اعترضت هذه الجملة بين (إذا) وجوابها، بـــ «والله أعلم بما ينزل»، أي بجملة اسمية مصدرة بلفظ الجلالة، تبيينا لإحاطته وعلمه بكل صغيرة وكبيرة من جهة، كما أن «الاعتراض باعتقابه الفعل واستباقه الجواب يفرغ دعواهم

---

(1)- ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص37.

(2)- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج3، ص534.

(3)- الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج1، ص656.

(4)- سورة النحل، الآية: 101.

(5)- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص518.

ويدحض زعمهم»[1] ليزيد في قوة توبيخهم.

ومن باب تأنيب الضّمير وليس التّوبيخ، وردت آية معترضة هي(إن عصيتُ ربّي)،وهذا لأنّ الرّسول ﷺ منزّه عن الإساءة للمولى عزّ و جل، كما أنّه على خُلق عظيم، ومن كان خلقه القرآن بَعُد أن يخطئ أو أن يرتكب المعاصي، وهذا سياق الآية التي صُدّرت فيها الجملة الاعتراضية بأداة شرط للدلالة على تأنيب الذات وتوبيخها رغم أنها منزهة عن ذلك، وهي في قوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[2]، فالآية المعترضة ﴿إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ تحمل خوفا من المولى عزّ وجل، ورغبة باطنية بالمغفرة في حالة الاستشراف على المعصية، وهذا أمر مستحيل.

وعليه يمكننا الحكم على هذه الجملة بأنّها موجّهة لعامّة المسلمين والمؤمنين، الذين قد تعمى بصائرهم فيقعون في المعصية، ويطلبون التّوبة، هنا إشارة إذن إلى الشِّرك الذي نُهي عنه، أما لفظة (الخوف) في الآية (إنّي أخاف)، فقد فسّرت بمعنى (أعلم): «قال ﷺ وجوابه محذوف، ولذلك جاء بصيغة الماضي»[3].

فالجملة المعترضة حاملة لدلالتين؛ إحداهما عامّة، والأخرى خاصّة؛ دلالة توبيخ المرء المخطئ لنفسه ودعوتها للتّوبة، ودلالة طلب الرحمة من طرف الرسول ﷺ.

6-مدار التّوكيد:

جاء في قوله تعالى من سورة الواقعة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾[4]، رأى ابن هشام[5] (ت761هـ)، أنّ في هذه الآيات الكريمات اعتراضين: فأمّا الاعتراض الأول فهو بين الصفة وموصوفة (لقسم/ عظيم) بالجملة

[1]-محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص180-181.

[2]-سورة الأنعام: الآية 15.

[3]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق, ج4، ص91.

[4]- سورة الواقعة: الآية 75-77.

[5]- ينظر: ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المصدر السابق، ص371.

(لو تعلموا)؛ والاعتراض الثاني بين ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، وبين جوابه (إنه لقرآن كريم) بالجملة المعترضة (وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم)، وقد جاء الاعتراض في الموضعين للدلالة على التوكيد؛ فجملة (لو تعلمون) توكيد لقسمه تعالى بعظمة مواقع النجوم، كما فصل بين القسم وجوابه بجملة ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ زيادة في توكيد العظمة، إلاّ أنّ ابن عطيّة رغم اعترافه بأنّ جملة (وإنّه لقسم) «تأكيد للأمر وتنبيه من المقسم به»[1]، فهو عنده ليس باعتراض بين الكلامين، وتخالفه في ذلك لأنّ الاعتراض والتوكيد لا يتنافيان.

وفي السياق ذاته نجد قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾[2]،اقترنت جملة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ «بضرب من التّوكيد، فهي مسبوقة بإنّ المؤكّدة، واقترن خبرها باللام، وقدّم متعلّق الخبر عليه»[3]، وهي الآية التي أُذِنَ فيها لأول مرّة للمؤمنين بالقتال؛ وقد جاءت الجملة المعترضة مبشرّة للمؤمنين بدفع أذى المشركين عنهم، كما بشرّهم بالنّصر، لهذا جيء بهذه الآية تأكيدا لنصرهم.

ولا يبتعد بنا مقام التوكيد عن سورة مريم، إذ جاء واضحا في الاعتراض الوارد في الآية الكريمة: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾[4]، حيث رأى الزّمخشري[5] أنّ هذه الجملة (إنّه كان صديقا نبيّا) وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله؛ أي (إبراهيم) و(إذ قال).

وهي هنا جاءت توكيدا ومبالغة في الصّدق الذي تحلّى به إبراهيم وكان من خصاله المحبّبة، وهذه الشهادة هي شهادة المولى عزّ وجل؛ فالصديق مبني للمبالغة،

---

[1]- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص213.

[2]- سورة الحج، الآية: 39-40.

[3]- الطويبخي: المرجع السابق، ص118.

[4]- سورة مريم، الآية: 41-42.

[5]- ينظر: الكشاف، المصدر السابق، ج3، ص18.

للتدليل على فرط صدقه «وكثرة ما صدق به من غيوب الله، وآياته، وكتبه، ورسله»[1]، وهذه الصّفة لا تكون إلاّ لنبيّ يصدّق بالله وآياته ومعجزاته، لهذا جاءت الجملة المعترضة إنصافا له من الخالق عز وجل، واعترافا له بالصّدق قولا وفعلا، والصّدق ضد الكذب يرتبط بموافقة الخبر للعلم وللواقع [2]، لهذا كثيرا ما ترتبط بالأنبياء المخلصين، فقد وصف بها إبراهيم، وكذا النبيّ إدريس عليه السلام، وكذا إسماعيل عليه السلام.

ومن الأمثلة القرآنية التي جاءت للتوكيد أيضا: الجملة الاعتراضية الواقعة بين القسم وجوابه في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾[3]، أوّل ابن هشام الجملة المعترضة (الحق أقول) أصلها (وأقول الحقّ) قدّم معمولها للاختصاص، أما كلمة فالحقّ الأولى قد نصبت ب(أقسم) محذوفا بعد إسقاط الخافض، لأنّ الأصل فيها «أقسم بالحق لأملأنّ جهنم»[4].

وفسّر الزّمخشري (والحق أقول) بمعنى لا أقول إلاّ الحق[5]، وقد أفادت هنا الحصر لهذا تقدم المفعول به على محصوله، ولفظة (الحق) المقسم به فسّرت تفسيرين مختلفين؛ قيل أنّه اسمه تعالى كما جاء في سورة النور: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[6]، وقيل وقيل الحق الذي هو نقيض الباطل[7]، كما فسّرت اللفظة في آيات أخر، بمعنى النّصر، النّصر، والقرآن، والإسلام[8].

ومن مظاهر التوكيد أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ

---

[1]- أبو حيان الأندلسي : المصدر السابق، ج6، ص181.

[2]- الشنقيطي: المصدر السابق، ص157.

[3]- سورة ص، الآيتان: 84-85.

[4]- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المصدر السابق، ص370.

[5]- الزمخشري: المصدر السابق، ج7، ص393.

[6]- سورة النور، الآية: 25.

[7]- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص393.

[8]- ينظر: الشنقيطي: المرجع السابق، ص56.

ﭐلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1]، فسّرت الجملة المعترضة بين الشرط وجوابه، حيث تبادلا المواقع، بأنّها بمعنى «الغالبون، وأصحاب العاقبة، وهو إخبار بعلو كلمة الإسلام»[2]، وتوكيد على أن المؤمنين منصورين على عدّوهم دائما.

ويثبت المعنى ويتأكد في آية أخرى عن طريق الجملة الاعتراضية كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [3]، هذه الجملة الاعتراضية عطفت على جملة قبلها، أي على صلة جملة أخرى، فأكّدت معنى الجملة الأولى قبل مجيء الخبر، وقد كان لموقعها هذا «أثر في تثبيت المعنى وتأكيده»[4]، الخاص بقوله (بما نزّل على محمد ﷺ) فقد خصص الرسول ﷺ هنا بأنّه يجب الإيمان به وتعظيم شأن الرسول الكريم عليه أزكى الصلوات، ولأنّ الخطاب فيه «إعلام بأنّه لا يصحُّ الإيمان، ولا يتمُ إلا به»[5]، وقد أكدّ هذا بالجملة الاعتراضية ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾.

ولا يزال خطّ التوكيد ممهّدا بآيات قرآنية، ضّمنت جُملا اعتراضية جاءت لهذا الغرض، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [6]، فلفظة (خادعهم) تعني هنا: منزل الخداع بهم، وهذه عبارة عن عقوبة سمّاها باسم الذّنب، فعقوبتهم في الدنيا ذلهم وخوفهم، وفي الآخرة عذاب جهنم»[7]، كما قال ابن عطيّة.

جاء في سورة الكهف سياق التأكيد أيضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

[1]-سورة آل عمران، الآية: الآية 139.

[2]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج3، ص67.

[3]-سورة محمد، الآية: 02.

[4]-الطويبخي: المرجع السابق، ص114.

[5]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص73.

[6]-سورة النساء، الآية: 141.

[7]-أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج3، ص392.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ﴾[1]، يذكر الله في هذه الآية حال أهل الإيمان وما أعدّ لهم من نعيم في الجنّة، وقد وقع الاعتراض بجملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ الواقعة بين اسم إنّ في (إنّ الذين...) وبين خبرها (أولئك لهم...)، والجمل في هذا المقام –أي المعترضة– جاءت جملة اسمية مؤكّدة بـــ (إنّا) وهي للتأكيد، و«لبيان ثبات الأجر ودقّة الجزاء»[2]،وقيل أنّ في الجملة الاعتراضية إضمار مفاده «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنّا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء»[3].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[4]، جاء الاعتراض هنا بجملة ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ وهي وقعت بين متعاطفين لتؤكد أنّ عيسى عليه السلام هو رسول الله، الصادق الأمين، وأن هذا الطلب بإنزال المائدة إنما من باب الزيادة في الإيمان واليقين، وليس كفرا بعطاء المولى عزّ وجل: ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾، تدل على أنّ الحواريين بهذا الإنزال العظيم سيكونون من الشاهدين لله بالوحدانية ولعيسى عليه السلام بالنّبوة[5].

وقد جاءت هذه الجملة المعترضة بين مجموعة من الجمل المتعاطفة بعضها على بعض قال عنها أبو حيان: «وأتت هذه المعاطيف مرتبة ترتيبا لطيفا، وذلك أنهم بال يأكلون منها إلاّ بعد معانية نزولها، فيجتمع على العلم بها حاسة الرؤية، وحاسة الذوق، فبذلك يزول عن القلب قلق الاضطراب»[6]، وتكتمل شهادتهم بذلك بان هذه المعجزة

---

(1) سورة الكهف، الآية: 30-31.

(2)– الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج2، ص483.

(3)– البغوي: المصدر السابق، ج5، ص169.

(4)– سورة المائدة، الآية: 113.

(5)– أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج4، ص59.

(6)– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هي دليل صدق عن طريق المشاهدة والمعاينة الملموسة.

ونجد من هذا الباب أيضا قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [1]. من بديع هذه الآية أنها تصور لنا ذلك الترتيب الزمني الذي يحل بعضه مكان بعض دون إخلال بالمعنى فبدل الإصباح ذكر المساء وبدل العشية ذكر الظهر، فكانت بذلك الجملة المعترضة(وله الحمد في السموات والأرض) محورا رئيسا لدوران هذه الأزمنة، فالإنسان مطالب كغيره من المخلوقات أن يحمد الله في السماوات والأرض. وقد دلت الآية على أن المولى عز وجل «أمر عباده بتنزيهه في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من النعم، ويحتمل أن يكون كناية عن استغراق زمان العبد وهو أن يكون ذاكرا ربه واصفه بما يجب له على كل حال»[2]،وقد فسرت هذه المواقيت بأنها أوقات حضور الصلوات الخمس كما روي ذلك عن ابن عباس إذ قال أن (حين تمسون) شاملة للمغرب والعشاء. وقد جاءت الجملة المعترضة اعتراضا بين الوقتين للتدليل على أن الحمد لله مؤكد وواجب على أهل السماوات وأهل الأرض.

فالجملة المعترضة إذن وقعت بين المتعاطفين في آيتين متتاليتين، وقد صدرت بالجار والمجرور المقدم للدلالة على الاختصاص، فالله وحده له الحمد ويستثنى في ذلك كل المخلوقات وقد «استغرقت الآية الأوقات كلها في تنزيه الله وتسبيحه، واعترض بين هذه الأوقات المتعاطفة بإثبات الحمد لله»[3].

---

[1]- سورة الرّوم، الآيتان: 17-18.

[2]-أبو حيان الأندلسي:المصدر السابق, ج7، ص161.

[3]-الطّويبخي: المرجع السابق، ص 116-117.

7-مدار التّنزيه:

جاء في مجال التنزيه قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [(1)] جاءت لفظة سبحانه هنا معترضة تنزيه له تعالى عن نسبة الولد إليه[(2)]؛ واللفظة مشتقة من مادة سبّح الله وسبّح له تسبيحا: نزّهه عن جميع مالا يليق به[(3)]، وقد جاءت علما على التّسبيح، وقيل أنّ هذه الجملة جاءت للتأكيد بغرض التّنزيه[(4)]، كما عبّر عن ذلك الطيبي (ت743هـ).

ومن باب التّنزيه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(5)]، جاءت لفظة (لا ريب فيه) معترضة في هذا المقام تنزيها لأي شك قد يفترى على هذا الكتاب المعجز «والإشارة بهذا فيها تفخيم المشار إليه وتعظيمه، وكونه جامعا للأوصاف التي يستحيل وجودها فيه أن يكون مفترى»[(6)]، وهذا بيان لإعجاز القرآن الذي يصعب الإتيان مثله، ولا يمكن أن يكون من محمد ﷺ ولا من عند أي بشر غيره وذلك «لأنّه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة، النافعة في الدّنيا والآخرة، لا يكون إلاّ من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين»[(7)]، وهذا هو التنزيه بكل معانيه.

كما وردت لفظة (لا ريب فيه) جملة معترضة أيضا في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [(8)]، جاءت الجملة المعترضة بين المبتدأ

(1)-سورة النحل، الآية: 57.

(2)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ص488.

(3)-الشنقيطي: المرجع السابق، ص116.

(4)-الطّيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله: التبيان في البيان، دار البلاغة، بيروت، ط1، بيروت، 1991، ص239.

(5)-سورة يونس، الآية: 37.

(6)-أبو حيان الأندلسي:المصدر السابق, ج5، ص158.

(7)-ابن كثير:المصدر السابق، ج4، ص268.

(8)-سورة السجدة، الآيتان: 1-2.

(تنزيل والخبر (من رب العالمين)، وقد جاءت هذه الجملة تنزيها لأي شك يصيب هذا الكتاب «لأنّ المعنى لا مدخل للرّيب فيه إنه تنزيل الله ! لأنّ موجب نفي الرّيب عنه موجود فيه، وهو الإعجاز، فهو أبعد شيء من الرّيب»[1]، فالقرآن لم يصادف ولن يصادف ارتيابا لأنّه تنزيل من ربّ العالمين، «والمعروف أنّ نفي الدعوى يفهم منه سبق ادعاء وقوعها بمفهوم المخالفة»[2]، فجاءت على إثره هذه الجملة قطعا لهذا الادعاء.

وقوله تعالى أيضا:﴿ مَاكَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]، أعقب النفي في بداية الآية (ما كان...) بجملة معترضة دلاليا لا نحويا وهي (سبحانه) تنزيها له عزّ وجل، فهو منزّه على التوالد، فهو متى تعلقت إرادته بشيء أوجده[4]، ويستحيل أن يكون والد أحد من خلقه، فهو القاهر والقادر الذي بيده كل شيء.

يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [5]، إذا نظرنا إلى طرفي الإسناد في هذه الآية الكريمة وجدناهما قد انفصلا مسافة؛ إذ يلاحظ البعد بين المبتدأ وخبره بيّنا لأنّ الجملة المعترضة ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، قد فصلت بينهما، فالمبتدأ هو لفظة الجلالة (الله)، والخبر الجملة الفعلية ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾، وقد كانت الغاية الرئيسة من هذا هو تنزيه المولى عزّ وجل من أي تعدد في الآلهة، فهو وحده الحيّ القيوم.

---

[1]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص192.

[2]-تمام حسان: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص14.

[3]-سورة مريم، الآية: 35.

[4]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص179.

[5]-سورة آل عمران، الآية: 1-3.

8-مدار التعظيم:

وردت بعض الجمل المعترضة في الخطاب القرآني للدلالة على التعظيم، والعظمة توفير الشيء، يقال: «عظمته تعظيما: وقّرته وفخّمته واحترمته»[1]، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2]، تدور هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن بداية الخلق، ثم تعظيم هذه البداية بالجملة المعترضة؛ فقد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وجعلها مساكن لعباده، والغرض في هذا (ليبلوكم)؛ أي «ليكلفهم فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، فمن شكر وأطاع أثابه، ومن كفر وعصى عاقبه»[3].

وقد جيء بجملة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[4] لتبيان عظمة هذا الخالق، وعظمة ما خُلق، فالعرش كان على الماء، وهذا إنباء عن بداية الخلق «فكان كما وصف نفسه تعالى، إذ ليس إلاّ الماء وعليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، والعزة والسلطان، والملك والقدرة، والحلم والعلم، والرحمة والنّعمة، الفعّال لما يريد»[5]، كما وصفه ابن كثير، مبيّنا الحمولة الدّلالية للجملة المعترضة التي على اختصارها، قدّمت وصفا دقيقا لبداية الخلق وكيفيته، والتي فصل فيها المفسرون الأقوال.

ويقول تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[6]، قلل أبو حيان عن هذه الجملة المعترضة أنها جاءت بالدلالة

---

[1]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص210.

[2]-سورة هود، الآية: 07.

[3]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص205.

[4]-سورة هود، الآية: 07.

[5]-ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص307.

[6]-سورة إبراهيم، الآية: 11.

بالدلالة على أنّ المولى عز وجل بتسويفه وإرادته يمنُّ بالنبوّة على من يشاء تنبئته[1]، فهو وحده القادر القاهر على اختيار من يستحق هذا التشريف والتكريم لعظمته وعظمة أخلاقه.

وتستمر الآيات الدالة على عظمة مخلوقات البارئ عز وجل: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾[2]، جاءت هذه الكريمة لتقدم صورة بارعة لمخلوقات الله، منها هذا الجزء المتحرك من الطبيعة (الظل)، وهو صنعة الله وقدرته، مبيّنا لجهل المعترضين دلائل الصانع، وقد اعترض بجملة ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ ليبرز عظمة هذا الظل الذي ينتقل من حال إلى حال[3]، فقد يزيد وقد ينقص، وهذا بمشيئته تعالى، هو القادر على كل شيء، ومن كرمه تعالى أنّه لم يجعله ساكنا «أي لاصقا بأصل كل مُظل من جبل وبناء وشجر، غير منبسط فلم ينتفع به أحد»[4]، بل جعله ممتدا منبسطا ليستفيد منه النّاس.

وبين الجمل المتعاطفة جاء الاعتراض متوسطا في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾[5].

وقوله أيضا في آية أخرى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[6].

وفي مثل هذا السياق يأتي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[7]،

---

[1]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص400.
[2]-سورة الفرقان، الآية: 45.
[3]-أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج6، ص460.
[4]-المصدر نفسه، ج5، ص461.
[5]-سورة الروم، الآية: 19.
[6]-سورة الشورى، الآية: 11.
[7]-سورة آل عمران، الآية: 36.

في هذه الآية تخاطب أم مريم ربّها وتدعو لها بكل الخير، وضمن سياق هذا الخطاب جاءت الجملة المعترضة ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾، «والتقدير إنّي وضعتها أنثى وإنّي سميتها مريم اعترض كلام الله بين كلامها تعظيما لأمر الموهوب»[1]، وهذا الموهوب هو (مريم) أم عيسى عليه السلام، فسياق الكلام أنّه إخبار من الله بأنّه علم بالذي وضعته أي بحاله وما يؤول إليه أمر هذه الأنثى، أي «بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن»[2]، تعظيما لها ووقارا لابنها الذي سيأتي وآية للعالمين، نظرا لعلوّ قدرهما وعظم شأنهما، وقد وظف الخطاب صيغة التفضيل (أعلم) ليبيّن مجال التعظيم الذي يرتبط أيضا بعلمه وإحاطته بتفاصيل أمور عباده.

ومن باب التعظيم أيضا ما جاء في سورة البلد من قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (٢) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ (٣)﴾ [3]، قال المفسرون وعلى رأسهم السمني الحلبي (ت756هـ) أنّ الجملة «وأنت حلٌّ بهذا البلد اعتراضية على أحد معنيين: «يعني ومن المكابدة أنّ مثلك على عظم حرمتك يستحلّ بهذا البلد كما يستحل الصيّد في غير الحرم، وإمّا على معنى أنّه أقسم ببلده على أنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد، واعترض بأن وعده فتح مكّة تتميما لتسلية»[4]، وذلك تبيينا له بأنّ كل ما يقوم به فهو حلال عليه في هذا البلد، وفي هذا التفسير الثاني يلتقي مع الزمخشري في وجهة النظر نفسها، بينما يرى أبو حيان[5]، (وأنت حل) جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به وهو ما نميل إليه في تحليلنا، وقد أقسم المولى عز وجل (بمكة) المكنّاة بالبلد.

---

(1)-الطّيبي: المرجع السابق، ص240.

(2)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص470.

(3)-سورة البلد، الآيات: 1-3.

(4)-السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1994، ج11، ص5.

(5)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص469.

9- مدار الاختصاص

الاختصاص مصدر مشتق من الفعل (خصص)، يقال خصصت الشيء بالشيء: جعلته له دون غيره[1]، كقوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2].

جاء تخصيص أفراد دون آخرين، أو تخصيص المولى عز وجل بصفة دون أخرى، موضوع جملة من الاعتراضات كوظيفة أسندت للجمل المعترضة في تكوينها الدلالي، نمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾[3]، وقد أفادت الجملة المعترضة «حصر تسيير الأمور بيد الله»[4]، وهذا في كل الامتدادات الزمنية، فله وحده مطلق الأحقية في إحاطته بكل الأمور عاجلا أم آجلا، في الدنيا أو الآخرة، ولا يمكن لهذه الخاصيّة الإلهية أن تكون من قدرة غيره.

ومعنى (ولله الأمر) أي إنفاذ الأحكام وتصريفها على ما يريد[5]، -كما عبّر عن ذلك أبو حيان- وذلك قبل غلبة الروم وبعدها.

في موقف قرآني آخر يقول الله عز وجل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[6]، جاء موضوع الإنزال بعلمه تعالى في هذه الجملة المعترضة (أنزله بعلمه) لأجل تبيين خصوصية المنزل وهو الكتاب، وخصوصية الذي أنزله بعلمه وهو المولى عزّ وجل «والمراد من هذا الاعتراض وصف القرآن بعناية الحسن ونهاية الكمال، لأنّ الإنزال تمّ بإرادة الله وعلمه»[7].

---

(1)-الشنقيطي: المصدر السابق، ص68.

(2)-سورة البقرة، الآية: 104.

(3)-سورة الروم، الآيات: 1-4.

(4)-الطويبخي: المرجع السابق، ص116. انظر أيضا: في ظلال القرآن، ج6، ص436.

(5)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص158.

(6)-سورة النساء، الآية: 166.

(7)-الطويبخي: المرجع السابق، ص123.

أما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [1]،بعد أنّ مكر إخوة يوسف واتفقوا على رميه بغيابات الجبّ، جاءت هذه الآية الكريمة لتصوّر النموذج الإنساني عندما يكون عبدا للشيطان؛ إذ لا يفلح إذ ذاك ردّه إلى طريق الصواب، فأكثر الناس لن يؤمنوا، هكذا وجّه الخطاب للرسول محمد ﷺ، وقد جيء بالجملة المعترضة -ولو حرصت- لإفادة تخصيص خوف الرسول الكريم على أمته وحرصه على دفعهم نحو طريق الفضيلة؛ فالخطاب يقول له: «ولو بالغت في طلب إيمانهم (لا يؤمنون) لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر»[2].

ومن باب التخصيص أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

﴾[3].

جاءت الجملة المعترضة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بين الفاعل (فريق)، والمفعول به (كتاب الله)، وقد جاءت هذه الجملة لتخصيص الأفراد الذين تجاوزوا الكتاب المنزّل بنبذه، وهم فئة تنتمي إلى الذين أوتوا الكتاب، فهذا الفريق من النّاس ممّن نجد العهد فهو محكوم عليه بعدم الإيمان «وأجمع المسلمون على أنّ من كفر بآية من كتاب الله أو نقض عهد الله الذي أخذه على عباده في كتبه فهو كافر»[4]، وهذه الجملة المعترضة، هي في أصلها من الناحية النحوية وقعت وصفا للفاعل (فريق) وهي جملة موصولية في محل جر ثم جاء المفعول به بعدها، وعليه فالاعتراض هنا جاء دلاليا فحسب، أما نحويا فإنّ رتبة عناصر الجملة جاءت على أصلها (فعل + فاعل + مفعول به) كما وضح ذلك تماما حسان بقوله: «ولكون الموصوف وصفته مترابطين كالشيء الواحد لا

---

[1]-سورة يوسف، الآية: 103.

[2]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص344.

[3]-سورة البقرة، الآية: 101.

[4]-أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج1، ص493.

نجد في تركيب الجملة أمرا يحول دون وضوح المعنى»[1].

لا تزال الدلالة عنصرا مهما في تحديد الجمل المعترضة في الخطاب القرآني، ومن باب التخصيص أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[2]، فرّق الفعل (كلوا) من مفعوله (حلالا) في هذه الآية بالجملة المعترضة (مما في الأرض) المكونّة من حرف الجر الذي دخل على الموصول وصلته، ليخص أكل الحلال بما وجد في هذه الأرض، والحلال لفظ يقابل الحرام، ومعناه (حلال) أي (سائغ الانتفاع به)[3]، أما الحرام فهو منبوذ الانتفاع به.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في النّاس الذين يحرّمون ما أحلّ الله لهم، وهذا فعل شنيع ينبذه القرآن؛ ولهذا تمّ تخصيص الحلال بما يوجد في هذه الأرض من الخيرات التي حلّت للإنسان كي يستفيد منها.

10-مدار التحذير:

لم يظهر التحذير كثيرا في الجمل المعترضة التي تمّ إحصاؤها في الخطاب القرآني، وذلك لأنّ هذا السياق أو النمط إنمّا كان حضوره بطريق مباشر عن طريق توظيف النّهي بصفة مباشرة، ومن هذا القبيل الذي جاءت فيه الجملة المعترضة دالة على التحذير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[4]، جاءت هذه الآية الكريمة في شركي مكة الذين أنكروا نبوّة محمد ﷺ، وطالبوا بأنّ يكون الرسول (ملكا)، فردّ عليهم القرآن الكريم بأنّ الرسائل السابقة جميعها أنزلت على البشر، وقد حذّرهم أن يتجاوزوا حدّهم بمقولتهم هذه فاعترض على

---

(1)-تمام حسان: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، المرجع السابق، ص18.

(2)-سورة البقرة، الآية: 168.

(3)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص651.

(4)-سورة النّحل، الآيتان: 43-44.

الكلام بـــ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، قاصدا بذلك أهل التوراة والإنجيل الكتب السماوية التي سبقت القرآن قبل تحريفها، وهم (النصارى واليهود)، إلا أننا نرى أنّه القرآن الكريم وفق سياق الآية.

لقد تم التفريق دلاليا بين جملتين متصلتين معنى بهذه الجملة المعترضة؛ وكأنّه قيل بم أرسلوا؟ قال أرسلناهم بالبيّنات والزبر[1].

11-مدار التفسير والتبيين والشرح:

وردت في الخطاب القرآني جمل اعتراضية بدلالة التوضيح والتفسير والإبانة كما هي حال الجملة المنفية في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾﴾[2] وكذلك جملة ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[3]

لقد دلّت لفظة (قيّما) في الآية الأولى على الاستقامة التامة، التي لا يشوبها أي عوج، وهي فُسِّرت بذلك للجملة المنفية (ولم يجعل له عوجا)، ومعناها هنا أن القرآن الكريم «في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، لا حوشية، ولا عيّ في تراكيبه ومبانيه»[4] وفسرها ابن كثير بقوله: «لم يجعل فيه اعوجاجا ولا زيغا ولا ميلا، بل جعله معتدلا مستقيما؛ ولهذا قال: «قيما» أي مستقيما»[5].

لقد بدأ الخطاب بشرح وتفسير الحال بهذه الجملة التي سبقت بصاحب الحال وهو

---

(1)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص479.

(2)- سورة الكهف، الآيتان: 1-2.

(3)-سورة لقمان، الآية: 13.

(4)-أبو حيان الأندلسي:المصدر نفسه، ج6، ص94.

(5)-ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص135.

«الكتاب» فجيء بها كمقدمة تحليلية للكلمة التي ستأتي بعدها، وهذا نظرا لأهمية هذه الحال التي تصف صاحبها.

ينتقل بنا الخطاب القرآني في سورة لقمان إلى وعظ وإرشاد في الآية الثانية حيث يوصي لقمان ابنه بطاعة والديه ففي هذه الطاعة طاعة للمولى عز وجل، ثم أثناء هذه الموعظة تجيء الجملة المعترضة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ لتفسير وشرح لماذا تجب هذه الطاعة، وقد وضّح الخطاب سببا متعلقا بالأم هنا دون الأب فهي التي تحمله ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، قال ابن عباس: «شدة بعد شدة وخلقا بعد خلقا»[1] ثم تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين. إنما جاءت هذه الآية لأن تعالى يذكر تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارا، ليذكر الولد بما يجب اتجاهها من طاعة بعد إحسانها المتقدم له[2]. ونظرا لأهمية كل هذا وجب أن تقطع الآية بين توصية الإنسان بوالديه، والمطالبة بشكرهما وهو من بديع النسيج القرآني الذي يميزه.

الاعتراض إذن هو بنية نصية خطابية قد تأتي للتفسير وإعلام المتلقي من خلال التحاور معه، هذا الحوار قد يكون مباشرا، مبنيا للمعلوم أو مبنيا للمجهول، بحسب طبيعة سياق النص، وهذا «دون أن يعني ذلك أن حركة النص قد غدت به أحادية الاتجاه من المخاطِب إلى المخاطَب؛ فالاعتراض يجسد الحقيقة القارة في أي خطاب ألا وهي التخاطب»[3] ويتجسد هذا في الآية الكريمة: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]. تكونت بنية الاعتراض هنا بأكثر من جملة واحدة، فجاء بذلك مركبا مفردا كما مر معنا في الأمثلة السابقة، إذ جاءت الجمل ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ معترضة بين الجملة الأولى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ﴾ (وقيل يا أرض...) والجملة الأخيرة ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ

---

(1)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق،ج7، ص182.

(2)-ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص336.

(3)-محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص183.

(4)-سورة هود، الآية: 44.

ﭐلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وهناك من الدارسين من رأى أن هناك اعتراض آخر داخل الجملة المعترضة نفسها كما فعل الزركشي الذي وصفه بأن فيه «اعتراض في اعتراض فإن و﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ معترض بين ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ و﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾»[1]. فالخطاب كان موجها للسماء والأرض غير العاقلين بأوامر توجه للعاقل من خلال الفعلين (أبلعي ماءك، أقلعي) المتتالين، وكما قال عنها الزمخشري[2] أنها من باب الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السماوات والأرض مناقدة لأوامره تعالىـ غير نافية، وإنما فازعة لو لم تلتزم بالأمر، فالهيبة هي طريقها، والنزول عند مشيئته هو طاعتها. وأما الخطاب الثاني فكان موجها للظالمين ﴿وَقِيلَ بُعۡدًا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حيث إنهم موعودون بملاقاة العذاب الذي يليق بهم.

أما الجملة المعترضة بين هذين الخطابين فهي تفسير وشرح لما حدث بعد ما حل بقوم نوح عليه السلام، ورحلته في السفينة ، فهي تبيين لمن جهل تتمة الحكاية بقوله: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾؛ ونقص الماء وأدبر فقد غرق من غرق، ونجا من نجا، وفزع من الظالمين، واستقرت السفينة على الجودي[3]. إنه فعلا لتنظيم بديع من الآيات المعطوفة بعضها على بعض، انتقل فيها الخطاب من سياق إلى آخر دون أي خلل تركيبي أو دلالي.

وحتى يكتمل الخطاب القرآني من حيث بناؤه اللّغوي فهو لا يستثمر عناوين السور القرآنية، والجمل الاعتراضية في التّأثير على المتلقّي فحسب، بل يتعدّاهما إلى النّسق الإيقاعي حيث تتظافر المقاطع الصّوتية بنبرها وتنغيمها في خلق جوّ إيقاعي يذهب بالألباب ويحرّك النّفوس من خلال تقنية التّنويع في توظيف الفواصل القرآنية التي تذيّل خواتيم الآيات، والتي ستكون موضوعنا في الفصل الموالي.

---

[1]-الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج، ص660.

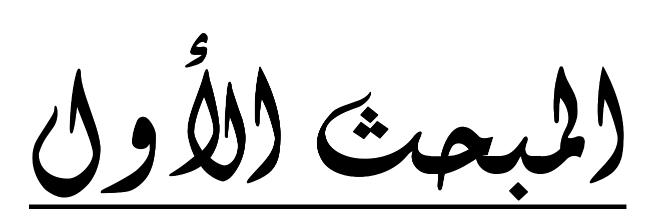
[2]- الزّمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج2، ص396.

[3]- قيل هو اسم جبل بالجزيرة، أو بالموصل. ينظر: ابن كثير: ج4، ص323-324. ، وقال آخرون هو الطور.

الفصل الرّابع

الفواصل القرآنية
مقاربة في البنية اللّغوية





المبحث الأول

البنية الصوتية للفواصل القرآنية

– دراسة في التّحولات

مدخل

مثّلت الفاصلة القرآنية أحد أبرز أشكال الأداء الصوتي التي ميزت الخطاب القرآني؛ إذ أسهمت في التأثير على المتلقي من خلال ترتيبها بطريقة فنية متميزة من جهة، ومن خلال مرونتها في التّعدد الصّوتي لرويّها من جهة ثانية، وذلك يكون إما تبعا لتوحد أصواتها أو تبعا لاختلافها صانعة بذلك إيقاعا قرآنيا يميزه عن باقي الأشكال القولية.

وقد استوعب الإيقاع العربي شكلين فنيين هما الشعر والنثر الفني، وعليه انشطر الإيقاع في الدراسات العربية إلى قسمين اثنين؛ منه المركّب الذي يرتبط بنظام التفعيلات وما يعتريها من تغيرات نمطية في القصائد الشعرية؛ تبعا للحركات والسكنات، وكذا تردد الحروف في حشوها ونهايات أبياتها، وأما النوع الثاني فهو الإيقاع المفرد وقد عُرف عند الدّارسين في المجال اللّغويّ تحت مصطلحات منها المماثلة؛ أي ذلك التشابه بين العناصر الداخلية والخارجية في بناء النّص وهو مجالنا في تحليل الفواصل القرآنية.

أولا : الإيقاع في القرآن الكريم، المفهوم والأهمية

يتفق الدارسون على أن الإيقاع خاصية من خصائص النّظم القرآني يقوم على نمطين: الحركة والسكون: نقرة يليها سكون، وعلى مدى تنظيم النّقرات والسكون زمنيا يتشكل الإيقاع، عرّفه عبد الله الشّمايلة بقوله: « تواترات صوتية وأسلوبية في نظم القرآن الكريم، تبدو أحيانا على شكل تردد بسيط واضح، وأحيانا على شكل تردد معقد ومتعدد، ينطوي على التّوازي والانتظام، وأحيانا يخالف التوقع لغاية يتطلبها النظم، وهذا الإيقاع يشمل النص الكريم ابتداء من اللبنات الصوتية الصغيرة، وانتهاء بالتراكيب والسياقات الكبيرة»[1]، وأكثر هذه اللّبنات الصوتية وضوحا، الفواصل التي تشكل مع غيرها داخل الآيات والسور ملمحا من ملامح سبك الخطاب، سواء أ تماثلت

---

[1]–السكَراتي، محمد علي عطفاوي: التّشكيلات الإيقاعية في أداء القراءات القرآنية –دراسة في بلاغة الأداء والإيقاع– أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الرباط، ج2، 2004–2005، ص323.

أم تقاربت حتى «لا يخرج بعض الكلام عن بعض»[1] كما قال الزركشي، ومن هنا تتصل الفاصلة بالإيقاع اتصالا وثيقا، وهي بذلك تساعد في جذب المتلقي إلى أفق النص.

وقد كان التَّكرار اللّفظي بالإضافة إلى أهميته في القرآن الكريم سمة مميزة طبعت أشعار الشعراء، وسهّلت من مهمّة حفظها واسترجاعها ما دام الشِّعر قد نما في بيئة شفوية تطرب فيها الآذان وترتاح إليها النّفوس، وأصبح بذلك التّنظيم الإيقاعي للكلام الشّعري يشابه الإيقاع الموسيقي، لأنه يعتمد التنظيم الزّمني للأوزان الشعرية التي عرّفت بأنها «قياس عدد من النّبضات بين نبرات قليلة أو كثيرة تتكرّر تكرارا منتظما»[2]، فإثارة مشاعر المتلقي تخضع لمقياس تنوّع النبضات القوي منها والضّعيف؛ حيث تنبني أساسا على مقاطع منبورة أو غير منبورة، من خلال تكرارها المنتظم، والمنبور منها هو الأكثر تحريكا للمشاعر، بينما يتسم المقطع غير المنبور بأنّه الأضعف.

أما نصيب الخطابة من هذه التكرارية الإيقاعية للمقاطع فقد كان واضحا أيضا لأنه منشّط للذاكرة العربية في العصر الجاهلي لما ظهر في هذا الفن الأدبي من سجع بدل أن يكون الخطاب الأدبيّ مرسلا، قال عبد القاهر الجرجاني(ت471ه) منوّها بخطب الجاحظ في أوائل كتبه: «والخُطبة من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع، فإنها تُروى وتُتناقل تناقل الأشعار، ومَحلُّها محل النّسيب والتّشبيب من الشعر الذي هو كأنه لا يُراد منه إلا الاحتفال في الصنعة، والدلالة على مقدار شوط القريحة، والإخبار عن فضل القوّة ، والاقتدار على التّفنّن في الصّنعة»[3]،فالانسجام الصّوتيّ هو العنصر المهيمن على هذه الخُطب، فالفصاحة في عمومها لا تعدو أن تكون تلاؤما صوتيا يقدّمه

[1]–الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج1، ص65.

[2]– أحمد البايبي: القضايا التّطريزية في القراءات القرآنية– دراسة لسانية في الصِّواتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ج 1، ص 117.

[3]–الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمد: أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، شركة دار المدني، جدة، ط1، 1991م، ص 9– 10 .

الخطيب للتّأثير في متلقّيه، لأنّ كلامه إن كان متنافرا كان أبعد في تحصيل هذا التّأثير.

إن أهمية التجانس الصوتي تتجلّى بقوة في فنون الإلقاء، وهذا مجال الخطابة، لأنّها لا تخلو من مظاهر إيقاعية؛ فأسلوب التّعبير وطريقة التّصويت يمثّلان بنية نصّية قوية الحضور إذا أدركنا أن الشّفوية تتطلّب تأثيرا في المتلقّي لا يكون إلّا عن طريق الاختيارات الصّوتية الأكثر عمقا كي يعزّز توصيل رسائله بأقصر طريق.

و حتى الأحاديث النبوية للرسول ﷺ تميزت بإيقاعاتها الصوتية في خواتيم الجمل من ذلك قوله عليه أزكى الصّلاة والسّلام: «إن في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصّيام، وصلّى باللّيل والنّاس نيام»[1]، فقد جاء صوت الميم عنصرا إيقاعيا تعانقت فيه الدلالة مع تكرارية صوتية متميزة، وهذا منبعه القرآن الكريم الذي يوظف في فواصله حروف الترنم كالميم والنون وحروف المد واللين من أجل التأثير في المتلقي.

هذا عن الشعر والخطابة والحديث النّبوي الشريف، فكيف تراه إيقاع النص القرآني؟ للإجابة عن هذا التساؤل سنقف عند بعض الرؤى التي تقدّم بها الدّارسون حول أصناف الإيقاع القرآنيّ ، ثم نقدّم وجهة نظرنا الخاصة بعد ذلك.

البداية ستكون مع التّقسيم الذي ارتضاه "عمر عبد الهادي عتيق" وقد قسّم في ذلك الإيقاع في القرآن الكريم إلى عدة أقسام، هي كالآتي[2]:

1-<u>إيقاع التجانس اللفظي</u>:

يقابله في الدرس البلاغي الجناس الناقص؛ أي اختلاف الفاصلة في صوت واحد فقط مثّل له بالآيتين:

يقول تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم 23]

(1)- رواه أحمد في مسنده، ج1، ص 195، وهو حديث صحيح.

(2)- ينظر تفاصيل هذا التقسيم: عمر عبد الهادي عتيق: ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم –التركيب والرسم والإيقاع–، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 349، 375.

ويقول أيضا: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم 26]

نلاحظ أن الفاصلتين (سريا- فريا) متقاربتان من حيث بناؤهما الصوتي من خلال (السين والفاء) وهما متماثلتان في الراء والياء المشددة؛ وهو ما أشار إليه "محمد الحسناوي" إذ ذكر أن المتماثل من الأصوات والمتقارب منها غالبا ما يظهر في الفواصل، لا يكاد أحدهما يزيد عددا على الآخر، فالفواصل المتماثلة ما تشابهت حروف رويّها، أما المتقاربة فما تقاربت حروف رويّها كالنون والميم في " الرّحمان – الرّحيم"[1].

2-الإيقاع التقابلي:

يقصد به الترابط القائم بين الصوت الأول في الفواصل القرآنية من حيث صفاته، كالهمس والجهر بين الدال والضاد في الفاصلتين: (ضحاها – دحّاها). يقول عز وجل: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [2]. فالتقابل قد تحقق بين الصّوتين الضاد والحاء عن طريق المخالفة، بينما نلمس تماثلا في المقطعين الأخيرين من الفاصلة مجسّدا في (حاها) بغرض هو خلق التّوازن بين الفاصلتين إيقاعيا وصوتيا.

3-الإيقاع الاشتقاقي:

يظهر جليّا عندما يتوالى عدد من الفواصل التي تتماثل في الجذر اللغوي وتختلف في الصيغة الصرفية. وهو كثير في القرآن الكريم، مثله قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[3]. نلاحظ من خلال الآية الكريمة تشابها بين لفظتي (فضّلنا/تفضيلا) من الناحية الاشتقاقية، إلا أن هذا يُبعد الكلمة الأولى من مجال كونها تنتمي إلى عالم الفواصل، مما يجعل التعريف المقدم لهذا النوع من الإيقاع يجانب الصواب، ويبتعد عن الدّقة،و إنّنا نعتقد أنّ المقصود بهذا

---

[1]– ينظر: الحسناوي، محمد: الفاصلة في القرآن، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط2، 2000م، ص147.

[2]-سورة النازعات، الآيتان: 29-30

[3]-سورة الإسراء، الآية: 21.

التحديد المفهومي يتوافق مع تسميات أخرى ذكرها حسين نصّار[1] منها: الترديد والتّصدير.

وكي يتأكد هذا الزّعم يرى فخر الدين الرّازي (ت 606 هـ) أن وجوه المشابهة أربعة أهمها: -أن يشترك اللفظان صورة ومعنى .

-أن يشتركا صورة لا معنى

-أن يشتركا في الاشتقاق.

-أن يشتركا في شبهة الاشتقاق[2].

4-الإيقاع المزدوج:

يعني به «تردد صوت مماثل لصوت الفاصلة»[3].

5-الإيقاع الصرفي:

هو ذلك التشابه والتماثل بين الأوزان الصرفية لكلمات الفواصل، وهذا لما للوزن الصرفي من أثر إيقاعي في بناء التشكيل الصوتي العام للخطاب القرآني، لأن اختيار الصوت يعني اختيار الصيغة الصرفية الملائمة التي تحمل ذلك الصوت ولابد لها أن تكون مقبولة وزنا وإيقاعا[4] وسيتم توسيع القول فيه في دراستنا الصرفية للفواصل القرآنية.

6-الإيقاع المخرجي:

هو تماثل مخارج الأصوات في الفواصل، أو في الكلمات التي تجاورها.

7-الإيقاع الإبدالي:

إنه الإيقاع الذي يتشكل من صوتين يتبادلان موضعهما في فاصلتين متتابعتين،

---

[1]-حسين نصّار: الفواصل، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1999م، ص113

[2]-الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار العلم للملايين، ج5، ط1، بيروت، 1985، ص134.

[3]-عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4]-السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009، ص27.

ويفصل الصوتين المتبادلين عن الفاصلة صوت مدّ ولين»[1].

8-إيقاع التهيئة:

ربط هذا النوع من الإيقاع بأصوات الفواصل المختلفة التي تسبق الإيقاع الرئيسي «هي أصوات متفرقة تفتقر إلى منظومات إيقاعية، أو هي مساحة صوتية تهيء لبدء الإيقاع الرئيس»[2].

9-الإيقاع التوافقي:

بمعنى أن ينتمي الصوتان المختلفان في الفواصل القرآنية إلى مجموعة صوتية واحدة.

10-الإيقاع التكراري:

يأتي هذا التكرار في القرآن وفق مستويين اثنين:

أ-المستوى الرأسي: ويتخذ ثلاثة أشكال؛ إما من خلال تكرار الفاصلة في آيات متتابعة (سورة النور)، أو في آيات غير متتابعة (سورة البقرة)، أو من خلال تكرار اللاّزمة المصاحبة للفاصلة (الرحمن، القمر، المرسلات).

ب-المستوى الأفقي: ويتخذ شكلين؛ إما تكرار كلمة الفاصلة عدّة مرات في الآية مثل كلمة ثمود (سورة هود)، أو تكرار كلمة الفاصلة في أول الآية: اقرأ باسم ربك الذي خلق (سورة العلق).

أردنا أن نستفتح هذه الدّراسة بالتقسيم الذي قدمه "عمر عبد الهادي عتيق" للإيقاع في القرآن الكريم، وذلك لمناقشته وتقديم البدائل المناسبة، حيث لاحظنا أنّه وقع في التكرار أثناء تصنيفه، فالإيقاع التوافقي شبيه بالإيقاع التقابلي، كما أن التنوع الإيقاعي لا يمكن أن ننظر إليه بمعزل عن المعنى، فهو يمثل تحولا دلاليا نصيا بالدرجة الأولى.

إنه رغم هذا الاسترسال في تقديم هذه الأنواع الإيقاعية في الخطاب القرآني، فإن وظيفة الإيقاع عند الباحث لم تتعدّ إبراز الجانب الجمالي، بينما نرى أنّ الوظيفة هي

---

[1]- عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص361

[2]- المرجع نفسه، ص375

تنظيمية أكثر مما هي ترصيعية[1]، تُخضع الخطاب القرآني للتنسيق والانسجام بين بنياته، حتى لتصبح فواصله لحمة واحدة يصعب انفصامها.

وما زاد الأمر تعقيدا هو أن الدارسين للإيقاع القرآني لم تتح لهم فرصة التعمّق في تبيان المداخل الصوتية للفواصل وهو مجال دراستنا في هذا المبحث من خلال محوري النّبر والتّنغيم وهذا وفق التقسيم المقطعي للفواصل القرآنية، وملاحظة الكيفية الإيقاعية التي تؤثر في المعنى[2]. وتساعد على بناء النّظام الإيقاعي الذي كثيرا ما اهتمت به الشعوب العربية، كما اهتمّت «بموسيقى اللفظ وأوزانها وقياس نسب أبعاد الحروف وتنغيماتها، كما كانت تتعامل مع النّغم واللفظ بما يعرف عندهم بعلم التنغيم»[3]، وقد مهّدت للخليل طريقه إلى علمي العروض والتجويد[4].

وقد نوّه "جان كانتينو" بقيمة الإيقاع، ورأى أن العربية القديمة اتّسمت بما يسمى بإيقاع الكمية (شبيه بإيقاع الكتب المقدسة الهندية وكذا أشعار اليونانيين من الشعر الغنائي)؛ إذ يعتمد على جملة من المقابلات بين المقاطع منها ما يكون طويلا ومنها ما يكون قصيرا مع قافية موحّدة في أواخر الأبيات وانتهى إلى تعريف الإيقاع بأنه: «تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه»[5] ومن هنا تتشابك البنى الخارجية المتناغمة، متوازنة كانت أو متوازية وهذا ييسر حفظ القرآن لما تثيره الفواصل القرآنية من أثر على متلقيها.

كما لا ننسى جهود ابن سينا (ت 428هـ) بما خلّفته قريحته العلمية من آثار

---

(1) –حسن الغرفي: حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشّرق–الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2001، ص6.

(2) –ينظر المبحثين المواليين من هذه الدراسة.

(3) –حمد عبد الله الهباد: الموسيقى في اللغة والأدب(دراسة في كتاب التصوير الفنّي للقرآن)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، د.ط، ص35.

(4)–هناك رواية عن الخليل تقول أنّه صادف شيخا يلقّن طفلا (نعم لا. نعم لالا نعم. لا نعم لالا) فسأله فقال علم التنغيم. يسمى المُلاَلاَة عند أهل نجد، والدّان في الحجاز واليمن. واليامال في منطقة الخليل.

(5)–جان كانتينو: علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د.ط، 1966، ص197

حول الإيقاع والأوزان والألحان، ومدى أهمية القيمة الزمنية عند نطق الأصوات وانسجامها مع بعضها البعض إيقاعيا، وهذا ما تستطيب له الأذن، وترهف له الأسماع وتدنو منه القلوب.

أما نحن فسننظر إلى إيقاع الفواصل القرآنية من زاويتين : البنية النّبرية والبنية التّنغيمية للفواصل القرآنية، وهذا لأنّهما تنظيمين مهمّين في تشكيل الإيقاع الفاصليّ ما سيأتي توضيحه في الآتي من البحث.

ثانيا :البنية الإيقاعية في الفواصل القرآنية

1/ البنية النّبرية – تحليل فونولوجي في آيات الذكر الحكيم

أ–مفهوم النّبر

يخضع النّبر(**Accent**) في كل لغة إلى مقياس في مقابل خفضه، كما يمكن أن يتجلى بشكل واضح في السلسلة الكلامية عن طريق الضغط، عرّفه ابن منظور لغة بقوله: «والنّبر مصدر الحرف ينبرُه نبرا: همزه، والنّبر بالكلام: الهمز، والهمز: مثل الغمز والضّغط، ومنه الهمز في الكلام، لأنه يضغط»[1] لهذا يقال للمغنّي نبر صوته إذا رفعه عن خفض، وسمّي المنبر منبرا لعلوه وهو مرقاة الخطيب في المسجد.

يشير بعض الدّارسين[2] إلى أنّ النّبر والتّنغيم لم يأخذا حقّهما من العناية عند القدماء، فيقرّون أنّ كتب النحو أو الصّرف لم تعرف هذا النّوع من الظواهر التّطريزية، إلاّ أنّنا وجدنا غير ذلك حيث ورد مصطلح (النّبر) عند "**ابن سينا**"، فقد حدّثنا عن أحوال النغم، واصطلح عليها النّبرات قال فيها: «هي هيئات في النغم مدّية غير حرفية، يبدأ بها تارة، وتتخلّل الكلام تارة، وتعقّب النهاية تارة (...) ويكون فيها إشارات نحو الأغراض. وربّما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القطع. ولإمهال السّامع

---

[1] –ابن منظور: لسان العرب، مادّة (ن ب ر)، ج7، ص39–40.

[2]– ينظر على سبيل المثال: محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشّرق العربي، بيروت، ط3، (د.ت)، ج1، ص252.

ليتصوّر، ولتنغيم الكلام»[1]. النبر وفق ما تقدم هو كيان – لساني فوق مقطعي بتعبير المحدثين[2]، يحدّد نطقيا بالضّغط على أحد المقاطع، وأكوستيكيا بارتفاع في مكوّن أو جميع المكوّنات، ويحدّد إدراكيا بارتفاع محسوس في مستوى الصّوت بالنّسبة للمقطع المنبور وظيفته الأساسية هي الاستراحة للتمعّن في الفكرة وفهمها، وله وظيفة ثانية هي تنغيم الكلام.

ويدرج "**ابن جنّي**" من ناحية أخرى مصطلح (نبرة) أو (نبر) في ثنايا تحليله لبعض الأبيات الشعرية المستشهد بها، من ذلك بيت شعري لكثيّر عزّة:

وَحَدِيثُهَا كالغَيْثِ يَسْمَعُه رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبَا

وقد عقّب ابن جنّي على هذا بقوله: «وهذا لا يكون عن نبرة واحدة، ولا رَزَمة مختلسة، إنّما يكون مع البدء فيه والرّجع، وتثنّي الحنين على صفحات السّمع»[3]، فمراد ابن جني من النبرة الواحدة الكلمة المنبورة، و(الرَّزَمة المختلسة) مجموعة من الكلمات ذات الأصوات المختلسة[4]، مشيرا إلى قيمة رفع الصّوت أثناء النّبر من جهة، وأنّ تعاقب النّبرات في الكلام التّام ينتج عنه الإيقاع من جهة ثانية.

إنّ هذه الأفكار عند القدماء قريبة من الفكر اللغوي الحديث الذي يرى أنّ وظيفة النّبر الأساسية هي إظهار المقطع من خلال التغيرات الصوتية (مستوى الضغط) التي تحدث في مستوى السلسلة النّغمية لتردّد الأصوات، وهذا ينطبق على كلّ اللغات منها العربية؛ فكل كلمة في اللغة العربية تحتوي على مقطعين، أحدهما يكون منبرا فيطلق عليه: "**النّبر الرئيسي**"، ومقطع أقل نبرا يسمى "**النبر الثانوي**"، لهذا فإن مقاطع الكلمات لا تتساوى من حيث النطق؛ إذ نجد تفاوتا في مستوى الضغط على المقاطع من الناحية اللّسانية، أما من الناحية الفيزيولوجية فالمقطع المنبر يتطلب جهدا عضليا مقارنة مع

[1]–ابن سينا: الخطابة، (د.ط)، (د.ت)، ص198.

[2]–عبد الحميد زاهيد: نبر الكلمة وقواعدها في اللّغة العربية، مجلة اللّسان العربي، (العدد الرابع والأربعون، ديسمبر، 1997)، ص 93–94.

[3]– ابن جني: الخصائص،المصدر السّابق،ج1، ص 29 .

[4]– ينظر: أحمد البايبي: المرجع السابق، ج1، ص147.

المقطع غير المنبور كما وضح ذلك (Fonagy)[1].

فالنّبر وفق ما تقدّم هو إجراء صوتي يتيح إبراز الوحدة اللسانية ،سواء أ كانت عبارة عن مقطع، أو كلمة . وذلك لإبرازها عن باقي الوحدات اللسانية، يحيلنا القول على أنّ النّبر ظاهرة صوتية لصيقة بالكلمة، لا يخرج عن حدودها، فهو ملمح تطريزي يخصّص أحد مقاطع الكلمة، ومنه تصبح الكلمة كيانا صوتيا، أي بناء فونولوجيا مقطّعا له بنية نبرية محددة، وهو ما عبّر عنه أندريه مارتيني بقوله: «النّبرة إبراز لقيمة مقطع صوتيّ واحد فقط في ما تُمثّله – في لسان معيّن– الوحدة النّبرية»[2]،والوحدة النّبرية عنده هي اللفظة التي تكون في أغلب الأحيان عبارة عن عدة مقاطع، النّبر فيها يكون على مقطع واحد هو الأوّل منها ، كما في الرّوسية ، أو البولونية، أو الإيطالية، وفي ذلك وعي من هذا اللغوي على أهمية تنوع المقاطع الصوتية بين المنبورة وغير المنبورة .

و ارتبط النّبر بالمقطع وفق المعطيات السابقة في الدرس اللغوي الحديث، ربطه "ماريو باي " في تحديد دلالته بمستوى ارتفاع الضغط إذ يقول: «النّبر معناه أن مقطعا من بين مقاطع متتابعة يُعطى مزيدا من الضغط أو العلو»[3]؛ فتحديده هذا يتّصل بمقارنة المقاطع في الكلام من خلال الوضوح النّسبي لصوت أو مقطع دون آخر.

إن وضوح المقطع في الكلمة يرتبط أساسا ويتحقق بروزه «عندما يكون الصّوت أوضح وأول وأعلى ومتميزا من حيث الدرجة»[4].

ب – <u>أنواع النّبر</u>: قسم المحدثون النّبر إلى قسمين:

---

[1]– Fonagy:Electrophysiological and acoustic of stress and perception speech and hear research. N9. 1967, pp 3-15. نقلا عن عبد الحميد زاهيد: المرجع السابق، ص94/

[2]–أندريه مارتيني: مبادئ في اللّسانيات العامّة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، ص 82.

[3]–ماريو باي: أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998، ص93

[4]–خالد عبد الحليم العبسي: النّبر في العربية –مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص35

*** نبر الجملة (النّبر الجُملي):**

عرف عند الدّارسين بأنّه « الضغط النّسبي على كلمة من كلمات الجملة أو على ما كان في حكم الكلمة الواحدة ليكون ذلك الجزء المضغوط من الجملة لأبرز من غيره من أجزاء الجملة»[1] ويرتبط عادة باللفظ المراد التأكيد عليه، لهذا تعددت تسميته في هذا السياق، فسمّي (النّبر التأكيدي) عند سعد مصلوح، و(نبر الإلحاح) عند بسام بركة، وسماه تمام حسان النّبر الدلالي، ونبر السياق، وخالفهم كمال أبو ديب بمصطلح النّبر البنيوي[2].

* **(نبر الكلمات) أو النّبر الكَلمي:** (Word stress) هو نوعان:

-نبر الطول أو النّبر الزّمني: هو طول التلفظ النسبي بالصوت ليكون أطول زمنا في النطق[3].

- نبر الشّدّة: هو «ضغط يستلزم علوا سمعيا نسبيا لمقطع على غيره من المقاطع، فتكون دفعة الزّفير في أحد المقاطع أقوى من الآخر[4]. وينقسم هذا النّبر إلى قسمين: النبر الثابت (Fisced stress)، ومثاله النّبر في اللغات الفنلندية والبولندية والفرنسية، ففي الفنلدية يقع النّبر على المقطع الأول دائما، بينما يكون على المقطع الأخير في الفرنسية دائما. في حين تنتمي اللغة العربية مثلها مثل الإنجليزية إلى الصّنف الثاني ويسمى النبر المتحرك (Movable stress)، إذ يتحرك النبر من مقطع إلى آخر، فقد يقع على المقطع الأول مثل (photograph)، أو على المقطع الوسط أو ما قبل الأخير[5]. ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى أن من الدّارسين من صنف العربية في

---

[1]-خالد عبد الحميد العبسي: المرجع السابق، ص36 .

[2] -ينظر: المرجع نفسه، ص37 وما بعدها.

[3]- المرجع نفسه، ص50.

[4]-ينظر: عبد العزيز الصايغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، (بيروت)، دار الفكر (دمشق)، ط1، 2000، ص281.

[5]- ينظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام: صوتيات اللّغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، 2005، ص238.

إطار اللغات ذات النّبر الثابت كما فعل عبد الحميد زاهيد، ولكن ليس بالمنظور المذكور آنفا إنما لعدم قيام النّبر في هذا الصنف من اللغات بالوظيفة التمييزية[1]. أي دون تغيير دلالي يذكر.

كما قُسِّم النّبر فونولوجياً إلى نوعين: نبر ثابت (Accent fixe) ونبر حر (Accent libre) وظيفته الأساسية في النوع الأول هي وظيفة تحديدية (Fonction démarcative) كما هي الحال في اللغتين الفرنسية والتشيكية وكذا العربية. أما في الصنف الثاني فيلعب وظيفة تمييزية (Fonction distinctive) في لغات كالإيطالية والإسبانية والإنجليزية[2].

ج – وظائف النّبر:

وضّح ابن سينا وظائف النّبر في تعريفه السابق، فبين الوظيفة الصوتية له عن طريق الإشباع، كما أنه صيغة تصوّرية ذات بعد زمني تمهل السامع وقتا للتصور، وهي طريقة من طرق تنغيم الكلام، ليشير بذلك إلى الوظيفة الإيقاعية (وربما كانت مطلقة الإشباع، ولتعريف القطع. ولإمهال السامع ليتصور، ولتنغيم الكلام).

وقد علّق حسن نجمي على مقولة ابن سينا متوصّلا إلى جملة من الملاحظات منها أن النّبرة هي جزء من النّغم، وأن عناصر النّبر تتحقق بالحركات (الصوائت) وليس الحروف (الصوامت) واستثنى في ذلك الميم والنون التي يتحقق من خلالها النّبر أيضا[3]. وهو السياق نفسه الذي أشار إليه ابن رشد في معرض حديثه عن الخطابة وغياب الوظيفة النّغمية فيها إذ يقول: «إن الكلام الخطبي ينبغي أن يكون غير ذي وزن ولا عدد »[4]. فهو يرى مثلما يرى أرسطو أنّ المقاطع في الخُطب، لا يجب أن يحدث منها إيقاع وزني، وإن كان هذا محببا في الشّعر، وهذا لأنها تقوم أساسا على الإقناع

---

[1]–عبد الحميد زاهيد: نبر الكلمة وقواعده في اللّغة العربية –دراسة صوتية– دار وليلي، ط1، مراكش، ص29.

[2]– المرجع نفسه، ص19.

[3] –ينظر: حسن نجمي: المظاهر الصّوتية للنّبر في اللغّة العربية –موقعه ومجاله وإبرازاته الأكوستيكية عن كتاب مسائل في اللّسانيات العربية، مرجع سابق، ص124.

[4]–ابن رشد: تلخيص الخطابة، تح: عبد الرّحمان بدوي، مكتبة النّهضة المصرية، 1960م، ص283.

والإقناع لا يتطلّب إيقاعا ولا نغما.

ارتبطت من خلال هذه الأقوال الوظيفة الإيقاعية بعنصري التأثير وإقناع المتلقي، فبعد أن يكون الصوت واضحا بإشباعه، ميسرا في سماعه عن طريق إطالة الصّوت أي تمديد الصّائت، فإنّه يتعيّن على المتكلم التّعبير عن مشاعره وانفعالاته من خلال ذلك، وهذا يدخل ضمن باب الوظيفة التأثيرية. وهنا نتمثّل وظيفة النّبر متحقّقة من خلال خلق التناظر بين الوحدات اللّسانية.

و تتبّعا لرصد موسيقى اللّغة فإننا نقف من خلال المسافات المتساوية على جملة من الوظائف التي نلخصها في الآتي:

- يفيد النّبر في تحديد الكيفية الصّحيحة للنّطق، ويساعد على بروز المقطع المنبور ووضوحه السّمعي.
- تركيبيا يمكننا إدراك دلالة النّبر من خلال معان إضافية كالتي نستشفها من نبر الانفعال، أو نبر التّأكيد.
- دلاليا ؛ يكشف عن التّباين الدّلالي بين الكلمات إذا كان على مستوى المقطع، أما إن كان على مستوى الكلمة فوظيفته تتحدد في كشف الدّلالة السّياقية.

2- البنية النّبرية والمقطعية في الفواصل القرآنية – النظام والدّلالة:

بعد هذا المِهاد النّظري عن النّبر، مفهومه، وأنواعه، وقواعده، ووظائفه آن لنا أن نسير في الخط التطبيقي من هذه الدراسة محاولين رصد مواقع النّبر في الفواصل القرآنية مجيبين في ذلك عن سؤال جوهري مفاده: ما هو مركز الثّقل الصّوتي في مقاطع الفواصل القرآنية؟ وما هي دلالات هذا التمركز؟ وإلى أي مدى يتم من خلاله توسيع المعنى أو تضييقه؟ وهل يؤثر هذا النّبر على إيقاع النّص؟ والإجابة عن هذه الإشكالية ستتم من خلال تتبُّعنا لحركة النّبر في مقاطع الفواصل القرآنية وذلك من خلال نموذج السور القصار ثم نموذج السور الطّوال. وقبل ذلك نقدّم هذا الجدول الموضّح للرّموز الصّوتية حتى نيسّر للقارئ التّواصل معنا في الدّراسة التّحليلية الموالية.

جدول رقم 8: الرّموز الصوتية

الرّمز	ما يقابله بالعربية
?	الهمزة
b	الباء
t	التاء
θ	الثاء
3	الجيم
ħ	الحاء
X	الخاء
d	الدال
	الذال
R	الرّاء
Z	الزّاي
s	السين
S	الشين
s̲	الصاد
d̲	الضاد
t̲	الطاء
	الظاء
؟	العين
	الغين
f	الفاء
q	القاف
k	الكاف

L	اللاّم
m	الميم
n	النون
h	الهاء
w	الواو
y	الياء

النموذج الأول: السور القصار:

ستسير دراستنا في خطّ تجميع المقاطع الصوتية للفواصل القرآنية المحللة مقطعيا في الجداول اللّاحقة، حيث سنرصد جملة من المستويات التركيبية المختلفة لتحديد موقع النّبر الرئيس، وموقع النّبر الثانوي، وهذا تبعا لعدد المقاطع من جهة، ولنوعها (قصيرة، طويلة، متوسطة، ممدودة، ثقيلة) من جهة ثانية، ولهذا تساءلنا ما هي قمم الإسماع التي تقع بين حدين أدنيين ؟ وهل انتهت المقاطع الفاصلية منفتحة أو منغلقة ؟

لقد تعددت قمم الإسماع واختلفت من سورة إلى أخرى؛ ففي سورة الناس مثلا جاءت مقاطع الفواصل القرآنية مكونة من مقطعين أحدهما طويل وهو الأول وثانيهما قصير، وقد جاء النبر على المقطع الأول لسببين هما: تحقق المدّ وتحقق الثقل أو ما يصلح عليه التشديد (الناس)، ونستثني هنا لفظة (الخناس) التي تكونت من ثلاثة مقاطع وقع النّبر على ثانيها نظرا لمده نلاحظه في الجدول الموالي:

الجدول رقم (9): فواصل سورة الناس

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث
nn aa si	′nn a a	si	
nn aa si	′nn a a	si	
nn aa si	′nn a a	si	
xannaasi	xa	'nn a a	si
nn aa si	′nn a a	si	
nn aa si	′nn a a	si	

إذا انتقل بنا المقام إلى الجدول الثاني المضمّن لفواصل قرآنية لسورة الإخلاص، نلاحظ أنّها قد كوّنت من ثلاثة مقاطع، نلاحظ وقوع النّبر فيها على المقطع الأول لأنّه أكثر إسماعا، نوضّحها في الجدول الموالي.

جدول رقم (10): فواصل سورة الإخلاص

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث
?ahadun	′ ?a	ha	Dun
Samadu	′Sa	ma	Du
Yuulad	′Yuu	Lad	
?ahadun	′ ?a	ha	dun

سورة الكافرون من جهة أخرى نلحظ لها تعدّدا في بناء مقاطع فواصلها، فمنها ما كان من مقطعين فقط مثل (دين)، ومنه ما كان بثلاثة مقاطع مثل: (أعبد/ عبدتم)، ومنه ما تجاوز هذا العدد إلى أربعة مثل: (الكافرون/ تعبدون). والنّبر فيها يقع كالآتي:

-المقاطع ما قبل الأخيرة التي تحتوي حركات طوال في الفواصل ذات الأربعة مقاطع.

-المقاطع الأولى من الكلمات المكونة من مقطعين أو ثلاثة مقاطع. ويتّضح هذا من خلال الآتي:

جدول رقم (11): فواصل سورة الكافرون:

المقطع الرابع	المقطع الثالث	المقطع الثاني	المقطع الأول	الكلمة
na	′ruu	fi	kaa	kaafiruuna
na	′duu	bu	Ta ?	ta ?bu duuna
	du	bu	′a ?	a ? budu
	tum	′bad	?a	?a badtum
	du	bu	′a ?	a ? budu
		hi	′di	dini

فواصل سورة الزلزلة : اتسمت فواصل هذه السورة بطول كلماتها المكوّنة من أربعة مقاطع، وقع النّبر على مقاطعها الثّانية، وفق ما هو مدرج في الجدول الموالي:

جدول رقم (12): فواصل سورة الزلزلة

المقطع الرابع	المقطع الثالث	المقطع الثاني	المقطع الأول	الكلمة
ha	la	'zaa	zil	Zilzaalaha
ha	la	'qaa	Ao	Aoqaalaha
	ha	la	'maa	Maalaha
	ra	'baa	Ax	Axbaaraha
	la	'haa	Aw	Awtaa laha
	tan	'taa	AS	aStaa tah
	la	'maa	A ?	A? maalahum
		rah	'ya	Yarah
		rah	'ya	yarah

إن انسجام الإيقاع الفاصلي استنطق من النظام الصّوتي لهذه السورة نظرا لتلك

الجاذبية التي تصنعها المقاطع الممدودة، في تشكيل تنظيمي مُعجَزٍ، يجعل الآذان تتلقاه والقلوب تهتف له.

وقد نوّه بذلك حازم القرطاجنّي (ت 684هـ) من البلاغيين الذي أكد بأن العرب اهتمت بالأوزان وهي من ضروب التّركيبات، التي تعتمد ما خَفَّ وتناسب تبعا لنظام بيّنِ المعالم وهو الحركات والسكنات التي لها تأثيرها على ائتلاف النصوص، حيث تزيد قوة التأثير في المتلقي، وفي هذا السياق يقول: «فالتأليف من المتناسبات له حلاوة المسموع، وما ائتلف من غير المتناسبات والمتماثلات فغير مستحلى ولا مستطاب»[1]، فالوزن عنده يعتمد أساسا على تساوي الأزمنة بين الحركات والسّكنات، وهو ما ذهب إليه إبراهيم أنيس عندما شبه الوزن «مثل كل شيء منظّم التركيب منسجم الأجزاء يُدرِك المرء بسهولة سرّ توالي أجزائه وتركيبها خيرا مما يمكن أن يدرك المضطرب الأجزاء الخالي من النّظام والانسجام»[2] لهذا نجد من الدارسين من يضع شروطا[*] للتوازن الإيقاعي في الشعر ومثله القرآن، يقول إبراهيم أنيس: «واستيفاء هذين الشرطين في الكلام العربي ليس بالأمر العسير أو النادر، بل هو كثير، نراه في توالي المقاطع القرآنية، ونراه في نثر بعض الكتاب، ممن يعنون بموسيقى العبارات»[3]. هذا يؤكّد على أنّ القرآن الكريم قد تضمّن صورا إيقاعية متميّزة؛ حيث تأتلف الكلمات مع بعضها، وتنسجم الأصوات بينها، فيدرك الإنسان هذا الحسّ الجماليّ الرّائع عن طريق التّنويع في المقاطع الصّوتية بين المتوسّطة والقصيرة، وبين المفتوحة والمغلقة بحسب المشاهد المقدّمة.

هناك من الدارسين من توسع في مجال الإيقاع القرآني إلى درجة إسقاط وتجريب البحور الشعرية على هذا الخطاب، منها الطويل والبسيط والمتقارب والكامل، كما

---

[1]-القرطاجنّي، أبو الحسن حازم: المرجع السّابق ، ص 267.

[2]-إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952، ص 11.

[*]-الشرطان هما: 1-ألاّ يتوالى في الشطر الواحد أكثر من مقطعين قصيرين

2-ألاّ يتوالى في الشطر الواحد أكثر من أربعة مقاطع متوسطة.

[3]-إبراهيم أنيس: المرجع نفسه، ص55.

جعلت سورة الزلزلة من المتقارب[1]، إلا أن هذا الكلام مردود من باب أنه إن صادف ذلك بعض السور فمحال أن يتم تطبيقه على كل السور، وما تلك المصادفة الإيقاعية إلا وقد تولدت من التشابه الواقع بين الصيغ في كلمات القرآن، والتفعيلات في الشعر العربي.

فسورة الزلزلة جاءت مقاطعها الثانية هي المنبورة، وذلك لأنها ممدودة، وكذا لأنها في وسط فاصلي مكون من أربعة مقاطع، ونستثني في ذلك لفظتي (يره / مالها) اللتين تكونتا من ثلاثة مقاطع، وقد وقع النّبر على مقطعها الأول تبعا للقاعدة المعمول بها.

الآن بعد أن وقفنا عند بعض المقاطع المنبورة في الفواصل القرآنية وتكوينها البنائي سنحاول أن نتعمق أكثر في التحليل من خلال الوقوف عند العلاقة القائمة بين هذه المقاطع المنبورة وبين دلالتها في السياق القرآني، من خلال تنويع العينة المختارة من السور القصار ومتوسطة الطول، ولنبدأ بسورة المدّثّر وفق الجدول الآتي:

جدول رقم (13): فواصل سورة المدثر

المقطع الثالث	المقطع الثاني	المقطع الأول	الكلمة
ir	′?an	Fa	Fa?an ir
bbir	′ka	Fa	Fakabbir
hhir	′ta	Fa	Fatahhir
	3ur	′fah	Fah3ur
oir	tak	′tas	Tastakoir
	bir	′fas	fasbir

[1]-ينظر: أحمد أبو زيد: التناسب في النّظم القرآني (أطروحة دكتوراه في الأدب)، إشراف أمجد الطرابلسي، جامعة محمد الخامس، أكدال، الربّاط، 1989-1990، ج2، ص 565، 571.

إن ما يميز هذه الفواصل القرآنية أنها جملة من الأوامر الموجهة إلى الرسول ﷺ هي تربوية له ولأمته في بداية دعوته، ولأن هذه الأوامر جدّية وتكليفية، فقد اختيرت لها الفواصل المنتهية بصوت الراء، الذي من خصائصه التكرير، ومن دلالاته التعبير عن القوة، وهو هنا يتناسب مع موقف تكرير هذه الأفعال إلى انتهاء الخليقة بما فيه من الجدّية، ثم الطّهر، قال أبو حيان: «الظاهر أنه أمر بتطهير الثّياب من النّجاسات»[1]: فهجرة الرجز بمعنى السّخط والأصنام[2]، والصبر آخرها وهو مفتاح الفرج، وهذا يتناسب مع الدّعوة المحمّدية التي تقوم على فكرة الإنذار والتّكبير والطّهارة، وقد وظّف الأمر لأهمّية المأمور به.

كما نلاحظ توازنا إيقاعيا من حيث عدد المقاطع، وانتهاؤها بالمقاطع المقفلة المنتهية بالسكون الحي وهذا «سكون تركيز، ومعنى ذلك أنه ينضاف عند النّطق إلى المتحرك السابق فيشاركه في تركيز القوة في مجال صوتي ضيّق فتكون الحركة الإيقاعية حادّة عنيفة »[3]. يؤكّد هذا ما ذهب إليه إبراهيم أنيس عند قوله: «ولا شكّ أنّ نظام الفواصل القرآنية يتطلّب الوقوف على رؤوس الآيات بالسّكون لتبرز موسيقاها وتستريح الآذان إلى سماعها كما تستريح إلى القوافي الشّعرية، ولا تكاد تتضح موسيقى الفواصل إلا بالوقوف على رؤوس الآيات»[4]، وهذا تأشير على غياب الحركة الإعرابية في خواتيم الآيات بغرض الحفاظ على النّسق الإيقاعيّ لها كي يتحقّق انسجام النّص.

والحركة الإيقاعية تصنع السجع لهذا قال القدماء وعلى رأسهم السيوطي[5] أن أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشئ وأقله كلمتان. يقول تعالى في

---

[1] –أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمد معوّض بمشاركة: زكريا عبد المجيد النوتي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ص362، ج8.

[2] –أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج8، ص364.

[3] –أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ج2، ص576.

[4] –إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 227.

[5] –السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، 264.

سورة المدثر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾[1].

ماذا لو ينتقل بنا المقام إلى سور تصف الخيل وهي في عدوها نحو غارة مرتقبة، فهل جاءت مقاطعها الصوتية مقفلة أيضا؟ لنلاحظ معا الجدول الموالي:

جدول رقم (14): المقاطع في سور العاديات والذّاريات والصّافات والنّازعات والمرسلات

السور	فواصلها	عدد المقاطع	نوع المقاطع
العاديات	- ضبحا - قدحا - صبحا - نقعا - جمعا	2	متوسطة (ص ح ص)+ (ص ح ص)
الذاريات	- ذروا - وقرا - يسرا - أمرا	2	متوسطة (ص ح ص)+ (ص ح ص)
الصافات	-صفا - زجرا - ذكرا	2	متوسطة (ص ح ص)+ (ص ح ص)
النازعات	- غرقا - نشطا	2	متوسطة (ص ح ص)+ (ص ح ص)

[1] - سورة المدثر، الآيات:1-7.

	- سبحا - سبقا - أمرا		
المرسلات	-عرفا -عصفا - نشرا - فرقا - ذكرا - نذرا	2	متوسطة (ص ح ص)+ (ص ح ص)

إن قدرة التركيب على التأثير في المتلقي تستمد دائما من ذلك الانسجام الذي يحصل ويحدث بين الوحدات اللغوية المتصل بعضها عن بعض «فالتركيب يبدأ – كما يشير المبدأ الجمالي – صغيرا نافذا، ثم يزداد رويدا رويدا متجاوبا في زيادته مع درجة انتباه المتلقي المفترضة، أي أنه كلما زاد انتباه المتلقي كلما ازدادت كثافة النص وعظُمت حمولته الدلالية والتأثيرية»[1]. هذا ما لمسناه عند وقوفنا مع سور خمس (العاديات، الذاريات، الصّافات، النّازعات، المرسلات) من الفضاء الفاصلي للخطاب القرآني؛ وقد صنّفنا هذه السور ضمن زمرة واحدة لما وجدناه من تشابه في النظام المقطعي لفواصلها، فآياتها الأولى جميعا تتكون فواصلها من مقطعين متوسطين كما هو مبين في الجدول التوضيحي السابق.

ثلاث وعشرون فاصلة من سور خمس تشابهت أنماط مقاطعها الفاصلية، وهذا إنما يدل على مدى التماسك الصوتي بين السور القرآنية إيقاعيا، رغم تباعد المسافات

---

[1]–محمد عبد الباسط عيد، صلاح رزق: النّص والخطاب –قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص135

فيما بينها؛ وهذا يمثل أسلوبا من أساليب تجديد النفس الإنسانية من حيث تلقيها حتى لا يحدث الملل، فتنتقل بنا المقاطع من سورة إلى سورة مختلفة تارة، ومتحّدة أخرى؛ وقد تحقق الاتحاد في هذه السور إذ تميزت المقاطع الأولى بنبرها بينما كانت المقاطع الثانية في جميعها غير منبورة، وسنكتفي بتحليل سورة **العاديات،** والملاحظات المستنتجة تنسحب على باقي السور من الزمرة نفسها.

جدول رقم (15): المقاطع الصوتية في سورة العاديات

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني
dabhan	′dab	han
Qadhan	′qad	han
Subhan	′sub	han
Wiqran	′wiq	ran
Yusran	′yus	ran
Saffan	′saf	fan
Sabhan	′sab	han
?asfan	′?as	fan

إن القارئ لهذه الآيات القرآنية من خلال خواتيمها أو فواصلها، يتبين ذلك التتابع الصوتي المتماثل في خواتيمها، أو ما يطلق عليه التماثل الصوتي (Homophonie) فتارة يكون الحرف الأخير (Coda) صوت الحاء كما في (ضبحا، قدحا، صبحا) في سورة العاديات، وصوت الرّاء كما في (وقرا، يسرا، أمرا) في الذاريات، وصوت الفاء كما في(عرفا، عصفا) في المرسلات، كما أنها جميعا تنتهي بألف المدّ مع التنوين مما يخلق ترنيما متميزا يؤثر في المتلقي مادام المقطع وحدة صوتية مركبة من أهم مكونات الفاصلة.

وقد نوّه "السيوطي" بأهمية المد في الخطاب القرآني إذ يقول: « كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللّين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من

التطريب... وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع»([1])

يقودنا هذا النّص إلى إثبات مدى أهمية حروف اللّين في خلق الانسجام الصوتي، كما يضاف إلى هذه الفواصل ختام أغلبها بصوت (الراء) الذي يضاعف من الوقف من أجل إيضاحه وبيانه حتّى أنه يصبح بذلك بمثابة صامتين متعاقبين أو صامت طويل من خلال تكريره.

أما من ناحية التّكثيف الدّلالي فإن هناك انسجاما تركيبيا وترتيبيا من حيث الانتقال من الضبح إلى القدح، إلى الصبح. فالصّبح: « اضطراب النفس المتردد في الحنجرة دون أن يخرج من الفم، وهو من أصوات الخيل والسّباع»[2]، أمّا الضّبح فقد فسّره أبو عبيدة بمعنى السرعة في السير قائلا: «الضبح والضبع بمعنى العدو الشديد»[3]. وأما القدح: «حك جسم على آخر يقدح نارا؛ يقال: قدح فأورى»[4] والمعنى «قادحات حاكّات بحوافرها الحجارة، فتنقدح منها شرارات نارية»[5]. وقيل؛ «فالموريات قدحا» مجاز أو استعارة في الخيل تشعل الحرب[6]، أما لفظة صبحا، فهي للزمان للدلالة على أن الإغارة كانت في الصباح الباكر بعد الفجر.

لقد تأتّى لنا من خلال صوت الحاء قوة العدو، وتسارع تلك الأصوات المستعدة لمحاربة العدو.و يشير "الرّازي" إلى اقتراب لفظ الضّبح مع لفظ النّقع؛ لأن هذه اللفظة الأخيرة مأخوذة من «نقع الصّوت إذا ارتفع، وقيل الصّياح»[7]، و (النّقع) يعني الغبار المتطاير من كثرة العدو، والضبح نوع من السير أو نوع من العدو[8]. وهكذا تنتمي الكلمتان إلى حقل دلالي واحد رغم الاختلاف الطفيف بينهما.

---

[1]–السيوطي: الإتقان، ج3، ص314.

[2]–ابن عاشور: التّحرير والتنوير، ج30، ص439

[3]–أبو حيان التوحيدي: البحر المحيط، ج8، ص499.

[4]–ابن عاشور: نفسه، ج30، ص440.

[5]–الزمخشري: الكشاف، ج4، ص787.

[6] –أبو حيان التوحيدي:المصدر نفسه، ج8، ص501.

[7] –الرازي: التفسير الكبير، ج32، ص66.

[8]–عبد القادر حسين: البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم (جزء عمّ)، دار عزيب، القاهرة، (د.ط)، 1988م، ص141.

يقول أحد الدارسين في هذا النظام المتميز في سورة العاديات: «وتبدو صيغة الفواصل في الآيات؛ بسكون الوسط والتنوين: «ضبحا، قدحا، صبحا، نقعا، جمعا» مناسبة لسياق الحال، حيث الإغارة على العدو وقت الصبح على خيل جامحة سريعة العدو، وما يثيره هذا المشهد من صخب وضجيج وقوّة وعنف»[1]. كما أنّ المقاطع المنبورة هي المقاطع المتوسطة الأولى، وهي أكثر إسماعا من نظيرتها غير المنبورة الواقعة في أواخر الفواصل، والنّبر في اللغة العربية ليس بمقدوره التّمييز بين معاني الكلمات كما في بعض اللغات[2] إلا أنّ هذا لا يمنع من أن يكون للنّبر دور تأثيري مضاف، من خلال توكيد الدلالات أو زيادة الإيحاءات، أو الكشف عن الانفعالات كما لاحظنا في الفواصل السابقة.

لاحظنا أيضا من خلال الجدول السابق أن هذه الفواصل اختتمت نهاياتها بالنون الساكنة المبدلة من الألف وقد أفرغت من الحركات الثلاث[3]؛ وهذا يعد وقفا يناسب الاستراحة (Repos)، وقد أسهمت الحركة المتكررة فوق روي الفواصل على الحفاظ على الإيقاع الكلي للفواصل في السور الخمسة وليس في سورة العاديات فحسب، فكانت المقاطع مسترسلة بنظام موحد؛ إذ لم تقطع الحركة، بل حدث اتصال بين حركة الحرف الأخير وحركة الحرف الذي جاء بعده، مكونان بذلك ازدواج الفتحة، التي حافظت على خفتها ومن ثم جسّدت لنا دلالة القسم الذي يحتاج إلى القوة، ولو كان المدّ مفرغا من التنوين لتلاشت هذه الدلالة.

---

[1]-خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصّوتية في القرآن الكريم، جدارا للكتاب العالمي، عمان، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2006، ص253.

[2]-مثالها اللغة الروسية، واللغة الإنجليزية، فهما تنتميان إلى لغات النّبر الحر Free Stress، فهو في هذه اللغات فونيم يفرق بين المعاني، مثل الفرق بين الاسم والفعل، فعندما نلاحظ كلمة الإنجليزية نجدها تارة تدل على الرّضا عندما يكون النّبر على المقطع الثاني، بينما تعني (يحتوي) إذا كان النّبر على المقطع الأوّل. **ينظر**: كورديا أحمد حسن صالح: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013م، ص132.

[3]-يرى ابن الجزري أنّ الإسكان (quiescence) أو القطع هو «...تفريغ الحرف من الحركات الثلاث»، ولمزيد من التفصيل **ينظر**: مبارك حنون: في التنظيم الإيقاعي للغة العربية –نموذج الوقف–، الدار العربية للعلوم ناشرون– بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2010، ص123 وما بعدها.

تتعدد أنماط المقاطع – إذن بتعدد التوجيهات الدلالية للسور، وهذا ما لمسناه مع مقاطع سورة الشمس، التي تميّزت فواصلها بكونها أفعالا تنتهي بالهاء الممدودة، وقد تميزت بتوحد في بنائها الإيقاعي مع اختلاف طفيف في النظام الإيقاعي لبعض آياتها، وسنحاول أخذ نموذج لهذه المقاطع لنرى وجه الاختلاف بينها وبين السور سابقة الذكر. يقول عز وجل: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1]. إنّ وقوفنا مع هذه الآيات الكريمات ، تجعلنا نستأنس إلى وحدات صوتية منتظمة ، تؤلّف سلسة منتظمة من الفواصل القرآنية ، حيث يتم الانتقال من مقطع قصير إلى مقطعين متوسطين ، يكون ثانيهما منبورا لتوافقه مع هذا المدّ الذي تشعّ دلالاته عبر خيوط الصورة البلاغية التي تقدّم لوحة بديعة من لوحات المخلوقات ونظامها في هذا الكون.

جدول رقم (16): النظام المقطعي لفواصل سورة الشمس

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث
duhaahaa	du	′haa	haa
talaahaa	Ta	′laa	haa
3allaahaa	3a	′laa	haa
yaoSaahaa	Ya	′Saa	haa
banaahaa	ba	′naa	haa
tahaahaa	Ta	′haa	haa
sawwaahaa	Sa	′waa	haa
taqwaahaa	taq	′waa	haa
zakkaahaa	zaq	′kaa	haa
dassaahaa	das	′Saa	haa

[1]–سورة الشمس، الآيات: 1–10.

أوّل ملاحظة تمّ لنا تسجيلها من خلال فواصل سورة الشمس المدرج في الجدول، لاحظنا توازنا إيقاعيا بين المقطعين الأخيرين للفاصلة دون مقطعها الأول؛ إذ جاءت متساوية من حيث الضبط وقوته، إذ يقع النبر في مقطعها ما قبل الأخير، وينتهي بصائت طويل، مما جعل المُدّة الزمنية للمنطوق واحدة، فكان النبر بذلك ملمحا تمييزيا وسطيا، بين المقاطع الأولى التي كانت ثانوية والمقاطع الأخيرة، وهذا يتناسب مع موضوع السورة التي أقسم فيها المولى عز وجل بمخلوقاته الكونية (الشمس، القمر، الضحى، الليل، السماء، الأرض...)،و قد جاء المقطع الأخير هاء ممدودة للتعبير عن الصورة الانفعالية التي يعيشها الإنسان أمام عظمة هذه المخلوقات.

وهذا يتناسب والمد الحركي في المقطع المنبور، لأن «الحركات الطوال تدرك منبورة بالأسبقية على الحركات القصار»[1]، هنا تتضح لنا العلاقة القائمة بين المقطع والنّبر، هذه العلاقة التي وضّحها ابن رشد قائلا: «إلا أنّ العرب يستعملون النّبرات بالنّغم عند المقاطع الممدودة، كانت أواسط الأقاويل أو في أواخرها. وأما المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النّبرات والنّغم إذا كانت في أوساط الأقاويل»[2]، معنى هذا أنّ النّبر «يقترن تحديدا بالنّواة المقطعية المديدة أو ذات المَوْرَتَيْنِ، ولا تحمله البتّة المقاطع القصيرة»[3]، إنّها إشارة إلى أنّ النّبر يقع على المقاطع الطّويلة دون المقاطع القصيرة وهو ما أدركناه في الفواصل القرآنية السّابقة التي جاء المد فيها متناسبا مع امتداد الخلق الذي لا ينتهي.

يستأنس القارئ للفواصل القرآنية بمعانيها «وقد حقق هذا التناسق الصوتي للفواصل المركبة المكررة [تشابها واختلافا] إيقاعا منسجما مع المعنى العام للسورة»[4] أسهم فيه صوت الهاء، التي جاءت زائدة، وهي ضمير الغائبة المؤنثة، وهو حرف

---

(1) –عبد الحميد زاهيد: المرجع السابق، ص47.

(2)–ابن رشد، المرجع السابق، ص100.

(3)– أحمد البايبي: المرجع السابق، ج1، ص 162.

(4)–طالب محمد إسماعيل، عمران إسماعيل فيتور: قراءة جديدة لنظام التكرار في البناء الصوتي للإعجاز القرآني، دار زهران للنشر، (د.ط)، عمان، 2007، ص58.

مهموس يكون أصلا، وبدلا، وزائدا. يقول ابن جنّي: «فإذا كان أصلا وقع فاء وعينا ولاما، فالفاء نحو هند وهدم. والعين نحو عهد وشهد. واللام نحو شبْهْ وبَدَهْ. وإذا كانت بدلا فمن خمسة أحرف، وهي: الهمزة، والألف، والياء، والواو، والتاء»[1]. وقد تكررت هذه الهاء مرتين ممدودة في مقطعين من مجموع ثلاثة مقاطع لكل فاصلة في السورة، مما وسّع من مجال تلقي دلالة النص.

وتستمر ألف المد مع الهاء في صنع الإيقاع الامتدادي في السور القصار عموما، وقد يستبدل هذا الأخير (الهاء) بصوت آخر كما هي حال الدال مع المد في مقاطع من سورة (المدثر) تماشيا ودلالة الوعيد المتوجه إلى الوليد بن المغيرة، أحد كفار العرب في عصر النوبة. يقول تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾[2].

والغاية من هذا العدول من صوت إلى آخر، ومن سور إلى أخرى مردّه إلى التحام البنيتين الإيقاعية والدلالية، والغاية في ذلك إضفاء تنوع صوتي ونغم مناسب للمحتوى الدلالي « فتأتي المقاطع متمكنة في موقعها معززة للبنية الدلالية ومعمّقة أثرها في ذهن السامع وتنهض بدور كبير في إضاءة المعنى»[3]، ومرجع ذلك في النهاية إلى المقاطع المفتوحة دوما والتي ينفتح معها أفق انتظار المتلقي.

ماذا لو ينتقل بنا المقام إلى سورة نوح ؟ أكيد أننا سنبقى مع الانسجام البديع الذي ألفيناه في السور السابقة الذكر، فالمدّ لا يزال متواصلا مع السور القصار بالألف، ولكن بتغيير الحرف الأخير من الفاصلة راء بدلا من الدال، وهذا تناسبا مع استمرارية

---

[1]–ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج2، ص551.

[2]–سورة المدثر، الآية: 11–17.

[3]–فخرية غريب قادر: تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة، سورة التوبة أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد –الأردن، 2011، ط1، ص109.

دعوته للمستكبرين، الذين حادوا عن طريق الهداية. يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

جدول رقم (17): نظام المقاطع الصوتية في سورة نوح

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث
nahaaran	na	′haa	ran
firaaran	fi	′raa	ran
stikbaaran	stik	′baa	ran
3ihaaran	3i	′haa	ran
Israaran	Is	′raa	ran
0affaaran	0af	′Faa	ran
midraaran	mid	′raa	ran
anhaaran	an	′haa	ran

إنّ ما يميز هذه الفواصل أنها مكونة من ثلاثة مقاطع، جاء الأول منها قصيرا أو متوسطا، أما الثاني منها والثالث فهي مقاطع متوسطة. تنتهي جميع هذه الفواصل بصوت متحرك هو الراء وقبله مدّ، وبعده مدّ، ولهذين المدّين وظيفتان؛ إحداهما إيقاعية والأخرى دلالية «فأما الأولى فيؤدّيانها بالسماح للصّوت بالارتفاع والامتداد في نهاية كل آية بمقدار متناسب. وأما الثانية فيؤديانها بالإسهام في الإيحاء بصورة الجهد الضخم، والزمن الطويل الذي أمضاه نوح عليه السلام في دعوة قومه»[2]؛ فقد دعاهم في جميع الأوقات، ولكنهم لا يزدادون إلا إعراضا ونفورا، فقد دعاهم إسرارا «لأنه

[1]– سورة نوح، الآيات: 5-9.

[2]–أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص630.

يكون ألطف بهم ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح في السر فإنه جدير أن يقبل منه، فلما لم يُجْد له الإسرار انتقل إلى أشد منه وهو دعاؤهم جهارا صلة بالدعاء إلى الله لا يُحاشي أحدا...»[1]. وهذا الإسرار في الدّعوة يزيد في قوّة الخطاب لأنّه يتناسب والعاطفة التي عاشها نوح ﷺ الذي زاد في نبرته و انتقل إلى خطاب أكثر قوّة، ولكن هذا لم يغيّر من المسار الصّوتيّ للآيات القرآنية التي حافظت على بناء صوتيّ موحّد في فواصلها، يجسّده صوت المدّ الذي كان حاضرا بقوّة «ليؤثّر في النّفس تأثيره الحسّاس، فتتطلّع الأفئدة حين يتواصل النّغم بالنّغم، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع»[2]. فهذا الاختيار الصّوتيّ له مبرّره الدّلاليّ و قد تناسب مع وصف مشاعر اليأس والأمل التي كانت تتصارع عند نوح ﷺ، الذي لجأ أخيرا من هذا الألم بالبحث عن مخرج من خلال شكواه التي وجّهها للمولى ﷻ.

فالملاحظ إيقاعا –إذن– هو تكرار حركة الفتح في نهاية المقاطع الفاصلية، محدثة ذلك التنوين الذي من خصائصه الدلالية تأكيد الأفعال التي قام بها نوح عليه السلام في سبيل توصيل رسالته الربانية، ولكن لا جدوى.

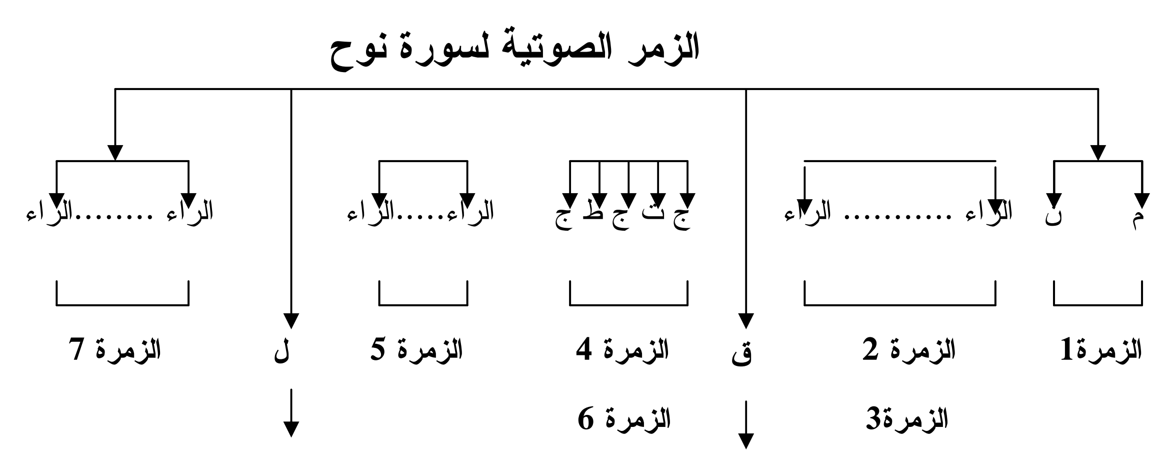
إنّ مخارج أصوات سورة نوح وجدناها تنقسم إلى وحدات إيقاعية مختلفة في هندسة داخلية لطيفة، فالجزء الأول من السورة تنتهي فواصله بالميم، أو النون، ثم تأتي الزّمرة الثّانية بصوت الراء، لينتقل النّص الحكيم إلى صوت القاف، ثم زمرة (الجيم والتاء والطاء) وهي متقاربة المخارج، لنقف عند الراء مجددا ثمّ اللّام، وعليه يمكننا القول أنّ الفواصل تبدأ بالأصوات الشفوية اللثوية(م، ن، ر) ثم الأصوات اللّثوية الحنكية(ج، ت، ط، ر،ل)، ويمكن تلخيصها في الخطاطة الآتية:

---

[1] –أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج8، ص333

[2]–أسامة عبد العزيز جاب الله: جماليات التّلوين الصّوتيّ في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013م، ص 43.

الزمر الصوتية لسورة نوح



الخطاطة رقم 8 : النظام الصوتي لفواصل سورة نوح

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن النّبر قد وقع على المقاطع الثانية الممدودة، وهي مقاطع مفتوحة تصوّر لنا آهات نوح عليه السّلام التي تلقّاها من الردّ السّلبي الذي واجهه به قومه الضّالون، فجاء المد مسترسلا(ها،را، فا)، وهذا التّنوع الصّوتي يتناسب وتعدد طرق هؤلاء القوم في بثّ الفشل في قلب النّبي، والإنقاص من عزيمته.

كما تطول هذه الأصوات تناسبا مع طول مدّة التضرّع والدّعاء لهدايتهم، وما انفتاح هذه المقاطع الصّوتية إلّا تصوير للحالة الانفعالية التي يعيشها نوح عليه السّلام، فهو إنسان «والمرء بفطرته لا يخلو من الانفعالات النّفسية إذ يميل إلى المقاطع المفتوحة سواء أ كانت قصيرة أم طويلة، إذ المقاطع المفتوحة تتسم بالسرعة في تحرّكها»[1]، وهذا ما يفسّر تواترها أكثر من المقاطع المغلقة، حيث أحصينا في هذه الآيات ستّة مقاطع مغلقة، وتسعة عشر مقطعا مفتوحا.

لقد وقع النّبر على المقاطع الطّويلة، وهذا شكل من أشكال الإيقاع القرآني المرتّل، وهو طريقة من طرق الآداء التي تتقرر من طبيعة النّزول الصّوتي للقرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾[2]، فقد

---

[1]-كورديا أحمد حسن: المرجع السابق، ص 154.

[2]-سورة الجمعة، الآية: 2 .

تردد على ألسنة الأجيال شفاهة قبل تدوينه، وقد كان هذا عاملا قويا كي يحافظ على إيقاعه «لأنّ القراءة المرتّلة تلزم القارئ أن يوقّع بصوته ملامح تطريزية عديدة؛ فالتّرتيل يعين على مدّ الصّوت وإشباعه»[1]، فيكون الترتيل بذلك خادما للإيقاع يجذب المستمع جذبا، كما وضّح ذلك تمام حسان بقوله: «كلّما تقاربت أعداد المقاطع بين النّبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها والعكس صحيح»[2].

ولا تختلف سورة الغاشية عن نظيرتها (نوح) في النظام الإيقاعي، وهي السورة التي تقوم بتصوير بشاعة ذلك اليوم الذي يُحَوَّل فيه الكافرون إلى نار جهنم؛ إنها صورة من صورة الزلزال النفسي الذي تهتز له مشاعر هؤلاء الذين حادوا عن طريق الصلاح. والملاحظ أن الفواصل المختارة في أواخر هذه الآيات الكريمات بدأت بمقطع يمثل النّبر الرئيس، ثم تلحقه مقاطع قصيرة تمثل النّبر الثانوي وفق تحليل الآيات الأولى من السورة في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ ﴾[3]. نوضّح ذلك في الجدول الموالي:

جدول رقم (18): نظام المقاطع الصوتية في سورة الغاشية

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث	المقطع الرابع
oaaSiyati	′oaa	Si	ya	ti
xaaSi atun	′xaa	Si	ʕa	tun
Naasibatun	′naa	Si	Ba	tun
haamiyatan	′haa	Mi	Ya	tan
?aaniyatin	′?aa	ni	ya	tin

[1]–أحمد البايبي: المرجع السابق، ص188.

[2]–حسان تمّام: البيان في روائع القرآن، المرجع السابق، ج1، ص 187.

[3]– سورة الغاشية، الآيات: 1–5.

إن هذا التنقل من حالة المدّ الطويل إلى حالة المدّ القصير عبر متتالية المقاطع ونبر المقطع الأول منها يتناسب مع صيغة اسم الفاعل (فاعل) الذي يعبر عن القائم بالفعل، وإن كان في هذا السياق مجازا. والغاشية هي:«الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيامة»[1] وقد جاء هذا الاستفهام لتحريك نفس المتلقي حول هذه الغاشية التي تجعل الناس خاشعين ذليلين، تصلاهم نار حامية، شديدة الحر، آنية قد انتهى حَرُّها. وهناك من فسر الخاشعة بمعنى التواضع[2] وهذا ليس مقامها في هذا السياق.

لقد سارت هذه الفواصل جميعها في إيقاع خطي منسجم، حيث انتهت مقاطعها الأخيرة بالتنوين؛ فانتقال السياق الإيقاعي من حالة المدّ الطويل إلى حالة المدّ القصير، فالتنوين؛ هو انسجام كلي مع المسار الذي رسمته تفاصيل السورة من الانتقال من حالة الاطمئنان إلى حالة التوتّر والاضطراب بحلول الغاشية وعذابها، وانهيار الكافرين أمام حرّها وجبروتها.

كما نلمس من جهة ثانية تكرارية لصيغة (فاعلة) للتدليل على قيمة وقدر هذه الغاشية إلى درجة تشخيصها، مما خلق التماسك بين عناصر النص المتباعدة بهذه اللاّزمة البنائية – إن صحّت التّسمية – التي تربط فيما بينها وتفتح باب التلاحم بينها.

يتحول بنا المقام الإيقاعي الآن مع نموذج سورة القيامة، هذه السورة التي تنوعت الحركة الإعرابية في بعض آياتها، فكان لإيقاعها الفاصلي خروج عن المألوف الذي عرفناه في الآيات السابقة؛ إذ يتنوع بانتقاله من مقطع صوتي إلى مقطع صوتي آخر؛ إذ يتحول سياق الآيات من روي الميم المتبوع بالتاء إلى صوت الميم المتبوع بالهاء، ثم يكسر الإيقاع بروي الراء، وهذا الانتقال هو متناسب صوتيا مع الانتقال من وحدة دلالية إلى أخرى؛ وقد أطلق مصطلح التشبع (Saturation)[3] في الدراسات الأسلوبية على هذا العدول الإيقاعي وتنوعه وهو ظاهرة نجدها كثيرا في الشعر.

---

[1] –أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص457.

[2] –المصدر نفسه، ج8، الصفحة نفسها.

[3] –ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، دار صفحات للنشر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2008، ص57.

جدول رقم (19): نظام المقاطع الصوتية في سورة القيامة:

الكلمة	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث	المقطع الرابع
Qiyamati	Qi	′ya	ma	ti
Llawamati	lla	′wa	ma	ti
؟ Idaamahu	؟ I	′daa	ma	hu
Banaanahu	Ba	′haa	na	hu
?amaamahu	?a	′maa	ma	hu
Qiyamati	Qi	′ya	ma	ti
Bassaru	Ba	′sa	ru	
Qamaru	Qa	′ma	ru	
Qamaru	Qa	′ma	ru	
mafarru	ma	′far	ru	

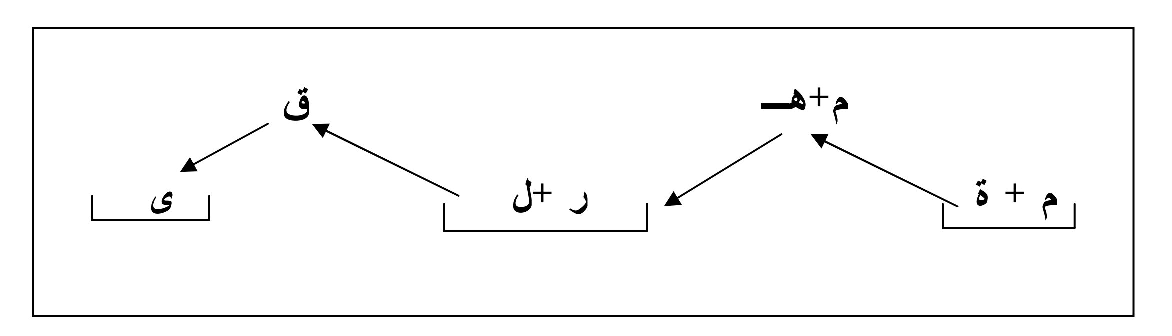
أول ملاحظة تتراءى لملاحظ هذا النظام المقطعي في سورة القيامة هي أن فواصلها قسمت في أغلبها إلى أربعة مقاطع، وهي أغلبها مقاطع قصيرة، تتناسب وموضوع السورة الذي يحكي أحوال أيام القيامة القصيرة التي لا تبعدنا عنها السنوات مهما طالت. فالقيامة هي ذلك اليوم العظيم، والنفس اللوامة هي اسم جنس[1] ارتبط بهذا الوصف، وهي التي تدفع صاحبها إلى السير في طريق الضلالة وترك سبل الطاعات.

ثم تستمر السورة في وصف النّعم التي أنعمها المولى عز وجل على عباده، وكيف يجحدونها لهذا اتسمت المقاطع الفاصلية بوجود المدّ في مقاطعها الثانية، وهو مدّ يعبر عن حالة العطاء الدائم فالله عزّ وجل كريم بعباده؛ لا تنقضي نعمه بدءا من تسوية للعظام وللدقة في التركيب جسدت في لفظة (بنانه) في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن

(1) –ينظر:أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص375

﴿ نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾[1]، وقد فسرها الطبري بأن معناها: «لو شاء لجعله خفّا أو حافرا»[2].

إنّ حركة الإيقاع الصّوتي في هذه السورة تجسّده المزاوجة بين حركتين، حركة صاعدة وحركة هابطة، انتقال من أقصى المجرى الصّوتي (الهاء) إلى الشّفتين حيث مخرج الميم، وفي هذا انتقال من الإحساس بالضعف المجسّد في الهاء، إلى الانتقال إلى القوّة في صوت الميم مع عظمة الخلق الإنساني، نوضحها كالآتي:



الخطاطة رقم 9: فواصل سورة القيامة

ويبدو أن المقطع الأخير من هذه الفواصل قد جاء متنوعا، فبينما جاء الصامت متحركا في الفاصلتين الأولى والثانية بالكسر وهو صوت التاء، نلقى بعد ذلك تجديدا في الصوت في أبينة المقاطع الثلاثة في الفواصل الموالية وهي (عظامه، بنانه، أمامه)، وهي للغائب المفرد كناية عن الإنسان الضّعيف، لهذا ختمت بالهاء، والتاء والهاء تتفقان في الهمس«إلاّ أن التاء حبسية (Stop) والهاء تسريبية (Fricative) واختيرت لجريان النفس معها»[3] للتعبير عن شدة الموقف في الأولى، وكرم المولى عز وجل في الثانية، وهكذا تتنوع فواصل السورة بتغير مواضيعها إذ نجد بعضها ينتهي بالراء وأخرى بالقاف، ثم الألف في انسياب إيقاعي جميل.

---

(1)–سورة القيامة، الآية: 3–4

(2)–الطّبري، ابن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000، ج24، ص50.

(3)–مبارك حنون: المرجع السابق، ص138.

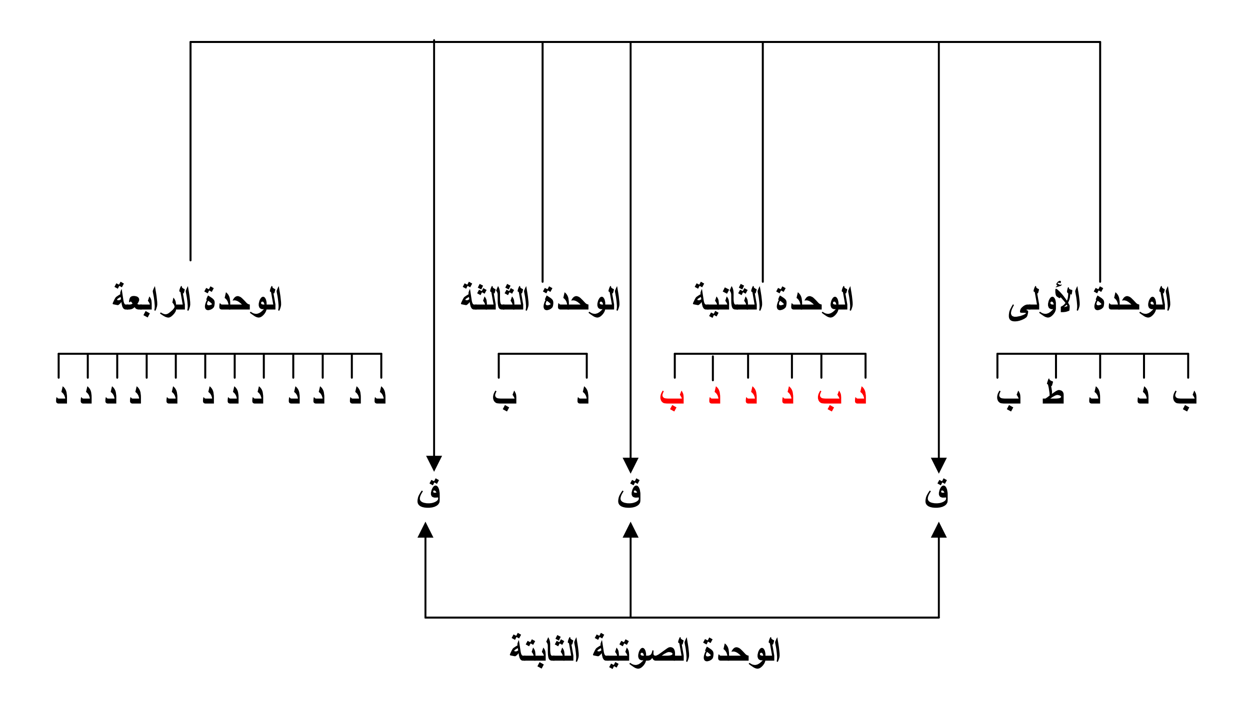
نظام المقاطع في سورة الجن

من نماذج السور القصار أيضا سورة الجن، حيث جاءت فواصلها متميّزة بملمحين بارزين نوجزهما في الآتي:

-جاءت أصواتها حاملة لصفة القلقلة لأنها من مجموعة (قطب جد): ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦ ﴾[1].

-كلّها أصوات من بداية المجرى المخرجي؛ فالباء شفوي، والطاء من الأسنان واللّثّة.

- جاء صوت القاف من اللهاة، وقد مثّل الصوّت الثّابت الذي يفصل بين أربع وحدات صوتية متغيرة نوضّحها في الخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 10: فواصل سورة الجن

---

[1]-سورة الجن، الآيات: 1-6.

النموذج الثاني: السور الطّوال:

يلتمس المتلقي للسور الطِّوال في الخطاب القرآني، إيقاعا مختلفا عنه في السور القصار، فبينما رصدنا توزيعا واضحا للأسماء في فواصل السور القصار، وجدنا أن نسبة كبيرة من الأفعال هي الحركة الترددية الأكثر بروزا في هذه السور الطوال، ويرجع تفسير هذا إلى الحركة الزّمنية للقصص القرآني ومتطلّبات السياق للفعل قصد تتبع هذه الاستمرارية الزمنية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

إن أكثر ما يميز السور الطوال إيقاعيا هو ظاهرة المدّ التي تتنوع بين الواو والياء وهو ما لم نرصده كثيرا في السور القصار التي تم تحليلها سابقا، وقد عمد الخطاب القرآني إلى هذا التشكيل الإيقاعي لغاي هي جذب القارئ إلى النص، وإبعاد الملل عنه، لأن التنوع في الأشياء يستقطب الإنسان، لهذا نجد الكثير من المزاوجة بين الفواصل فهي تارة أسماء وتارة أفعال؛ فقد يظهر لفظ "الظالمين " ثم لفظ "يعملون " في انسجام صوتي أخاذ؛ وتجدر الإشارة إلى أن (الواو والياء) صوتان ينتميان إلى مجموعة (أشباه الحركات) «وهي مجموعة صوتية تتسم بقدر كبير من الوضوح الصوتي، فهي أصوات مائعة رنّانّة»[1]. وعادة ما تردف هذه الأصوات بالألف أو بصوت النون في ختام الآيات.

سنحاول أن نقدم نماذج مختلفة لهذه الأنماط الصوتية في خواتيم الفواصل القرآنية، وسنبدأها بسورة البقرة التي تميزت بتجانس صوتي خارق، أمام التوزيع المنظم للأفعال والأسماء فيها.

---

(1)–عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص362

جدول رقم (20): نظام مقاطع الفواصل الفعلية في سورة البقرة:

رقم الآية	المقطع الثالث	المقطع الثاني	المقطع الأول	الكلمة
02	quun	′fi	yun	yunfiquun
03	nuun	′qi	yuu	yuuqinuun
05	nuun	′mi	yuu	yuuminuun
08	ruun	′؟u	yaS	yaS؟Uruun
09	bbun	′ka	Yu	yuka ibbun
16	ruun	′si	yub	yubSiruun
67	ruun	′ma	tu ?	tu?maruun

جدول رقم (21): نظام مقاطع الفواصل الاسمية في سورة البقرة:

رقم الآية	المقطع الرابع	المقطع الثالث	المقطع الثاني	المقطع الأول	الكلمة
01		qiin	′ta	mut	muttaqiin
04		buun	′li	muf	muflihuun
07		niin	′mi	muu	muuminin
10		huun	′li	mus	muslihuun
13	?uun	zi	′tan	mus	mustahzi?uun
15		din	′ta	muh	muhtadiin

استأثرت فاصلة النون بثلثي فواصل السورة من خلال خواتيم الآيات، ومعها الميم، لتأتي الراء في الرتبة الثالثة، ثم الباء، وأخيرا الدال، وقد اختار الخطاب أن تكون أعلى نسبة للنون والميم اللتين تتميّزان بخاصية الوضوح السمعي، فقد تكررت الأولى 193 مرة، والميم 54 مرة، والراء 21 مرة، فالباء تسع مرات والدال سبع

مرات ومرة واحدة لكل من القاف واللام[1].

في هذين الجدولين نلاحظ أن أغلب مقاطع الفواصل في سورة البقرة اسمية كانت أو فعلية تنتهي بصوت ترنّمي وهو النون الذي يسبق بياء أو واو ليزيد في مدة الترنم، وهذه الفواصل المدونة في الجداول تتكون من ثلاثة مقاطع فحسب واستثني منها واحدة كونت من أربعة مقاطع، وقع النبر على مقاطعها التي رتبت الثانية، كما انتهت مقاطعها الثالثة بالتنوين سواء بمدّ الياء أو مدّ الواو.

وهذا المدّ دفع بـــ"سيبويه" إلى أن يقول عن العرب: «أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينوّن وما لا ينوّن، لأنهم أرادوا مدّ الصوت»[2]، وتبقى النون سواء سبقت بمدّ الواو أو مدّ الياء من الحروف الطبيعية في الموسيقى مع الميم، لما لها من كثافة صوتية، وقد أطلق عليها مصطفى صادق الرافعي مصطلح الاستهواء الصّوتي في اللغة[3]، وأسماها السيد خضر التّسجيع قاصدا به التّوقيع الذي هو "إحداث الإيقاع اللفظي"[4] نظرا لذلك التأثير اللامتناهي الذي تحدثه هذه الأصوات في النّفس البشرية، فلا نجد منها إلا الإقرار والاستجابة، وهو شأن ذلك التنوع أيضا في عملية الانتقال من صوت فاصلي إلى آخر؛ حيث بدأت السورة بفاصلة الميم ثم انتقلت إلى النون ثم الراء ثم العودة إلى النون وهكذا حتى أصبحت الفواصل النونية أكثر اكتساحا للخطاب القرآني.

لقد تنبّه ابن جنى كذلك إلى القيمة الدلالية والتحسينية الجمالية لحروف المدّ واللّين في أكثر من موضع في كتابه الخصائص يقول: «ولذلك استعملن –أي المدّات– في الأرداف والوصل والتأسيس والخروج، وفيهن يجري الصوت للغناء وللحداء، والترنيم، والتطويح»[5] وهي من خلال ذلك تهيئ القارئ نفسيا لإنهاء وحدة دلالية وبداية وحدة

---

[1]–ينظر هذه الإحصاءات: السيد خضر :المرجع السابق، ص 165.

[2]–سيبويه: المصدر السابق، ج2، ص298.

[3]–مصطفى صادق الرّافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص216–217.

[4]– السيّد خضر: المرجع السابق، ص 167.

[5]–ابن جنّي: الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص233.

دلالية أخرى من خلال الفاصلة القرآنية.

وطبعا للإيقاع دوره الفاعل في المسار الدلالي لهذا نلمس تنويعا بين الأسماء والأفعال يقول عز وعلا: ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]، وسرعان ما يتحول بقارئ النص إلى الفعل المضارع المجموع في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[2].وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[3].

إن روي الفاصلة الاسمية (المتقين)، (المصلحون)، (المستهزئون)، يتوافق مع روي الفاصلة الفعلية (ينفقون- يوقنون) في سورة البقرة، حيث حدث الانسجام الصوتي بين الأفعال المضارعة المرفوعة المسندة إلى واو الجماعة مع الفواصل التي جاءت على صيغة أسماء الفاعلين المجموعة جمعا سالما للمذكّر وهذا من حسن التأليف، وانسجام الإيقاع.

وتكون هذه السورة بذلك خاضعة لقانونين عامين – كما نبّه إليهما محمد الحسناوي[4] – وهما قانون الإيقاع، وقانون العلاقات؛ فأما القانون الأول فلا يخرج عن جملة قوانين جزئية هي: النظام، التغير، التساوي، التوازن، التلازم، التكرار، أما فكرة العلاقات فهي عكس الشتات وعنى بها تلك الأوشاج التي تربط الأجزاء بعضها ببعض.

وضمن هذين القانونين يصعب علينا المفاضلة بين سور القرآن إيقاعيا ودلاليا، كما نوّه إلى ذلك صبحي الصالح إذ يقول عن القرآن: «يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى، مملوء نغما، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع...»[5]. فالسور القرآنية الطويلة تتشابه عموما من حيث بناء فواصلها، فسورة الأعراف مقفاة على(ون) و(وم) و(ين) و(يم)،

---

[1]-سورة البقرة، الآية: 1.

[2]-سورة البقرة، الآية: 2.

[3]-سورة البقرة، الآية: 3.

[4]-ينظر: محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، المرجع السابق، ص 177 وما بعدها.

[5]-صبحي الصّالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1965، ص334.

ويتوحد الروي في (118) آية من آيات سورة المؤمنون، و(93) من سورة النمل، و(83) من يس، و(78) من الرحمان[1]، وسنقف عند البعض منها في تحليلنا الدلالي لها.

يقول تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

جدول رقم (22): المقاطع الصوتية في سورة الأعراف:

الكلمة	المقطع الاول	المقطع الثاني	المقطع الثالث	المقطع الرابع
aalimiina	aa	li	′mii	na
mursaliina	mur	sa	′Lii	na
0aa?ibiina	0aa	?i	′bii	na
muflihuuna	muf	li	′huu	na

إننا نلاحظ من خلال الآيات الكريمات أن الفواصل (الظالمين، المرسلين، غائبين، المفلحون) جميعها تنتهي بياء ونون، أو واو ونون، وهو النظام الذي درجت عليه إيقاعات السورة المتقاربة، وقد تكونت في هذا الجدول من أربعة مقاطع بالتوازي، إذ تكونت من مقطعين طويلين (الأول والثالث) ومقطعين قصيرين (الثاني والرابع)، وقد نبر منها المقطع الثالث لمدّه بالياء في (الظّالمين، المرسلين، الغائبين) ومدّه بالواو في (المفلحون).

---

[1]-ستيوارت، ديفين: السجع في القرآن: بنيته وقواعده –مجلة فصول- المجلد 12- العدد3، خريف 1993، ص20، نقلا: عن حسين نصّار: الفواصل، ط1، 1999، مكتبة مصر، الفجالة، ص139.

[2]-سورة الأعراف، الآيات: 4-7.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المقطع الثالث من هذه الفواصل في السورتين (البقرة/ الأعراف) هو مقطع ممدود، إلا أن النّبر وقع عليه في سورة الأعراف لأن المقطع الذي يليه كان مقفلا بحركة الفتحة، بينما وقع النبر على المقطع الثاني في البقرة لأن قراءتنا كانت بالوقف على الساكن ومن ثم تحول المقطع من (ص ح ح)+(ص ح) إلى (ص ح ح ص)، وعليه فالوقف على الساكن يكون أكثر تأثيرا في المتلقي من الوقف على المتحرك، وقد تعمدنا تقويم هذين النموذجين حتى نرى الفرق بينهما إيقاعيا ونبريا.

سورة أخرى من سور الذكر الحكيم كثرت فيها الفواصل المنتهية بالروي (الواو والنون) وهي سورة الرّعد، يقول تعالى: ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ ﴾[1].

و فيها من الآيات ما انتهت فواصلها بالألف يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾[2] ويمكن تحليل هذه المقاطع موقوفا عليها بالساكن كالآتي:

جدول رقم (23): النظام المقطعي في سورة الرعد:

الكلمة	المقطع الاول	المقطع الثاني	المقطع الثالث
yuuminuun	yuu	′mi	nuun
tuukinuun	tuu	′qi	nuun
0ikaal	0i	′kaal	
mihaal	mi	′haal	

[1]-سورة الرّعد، الآيتان: 1-2.

[2]-سورة الرّعد، الآيتان: 12-13.

إنّ فواصل سورة الرّعد قد وُقف عليها بالسكون مسبوقا بحرفي مدّ هما الألف والواو، وذلك علامة على وحدة الجرس في حرف الرّوي[1]، رغم تباينه، وهذا التتابع والتنوع ليس مناطه الاسترسال الصوتي فحسب، إنّ هذه المدارك الحسّية والمعنوية تتصل بعضها ببعض، لهذا تواترت الفواصل تارة بالواو والنون وتارة بالألف، وهو يتناسب منطقيا ومضمون السورة؛ فبعد الإيمان يكون اليقين، وهذا اليقين لا يمكن للإنسان أن يدركه إلا بالتفكر في خلق الله، والتّعقل لا يكون إلا بميزان العقل.

لهذا نجد فواصل السورة تنتهي بأفعال مضارعة على شاكلة (يؤمنون، توقنون، يتفكرون، يعقلون)، وكل ما خلق في هذه الحياة هو مدعاة للتّفكر والتّدبّر،وهنا تتجلى لنا وظيفة هذه المقاطع الصوتية،التي لم تكن مجرد تكديس صوتي،إنما ترابط نغمي منسجم.

وتبقى هذه الملاحظة الإيقاعية سمة بارزة في أغلب السور الطّوال؛ إذ تجيء الفواصل بصيغة المضارع للدلالة على الزمن المستمر كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2]؛ وقد رجح الدارسون توظيف المضارع إلى استمرارية اليهود في عملهم المشين «فلا جرم جاء الخطاب بصيغة المضارع التي تدل على أنهم لم ينتهوا بعد من عادتهم في قتل الأنبياء، بشروعهم في قتل محمد ﷺ، ومن ثم دسّوا له السّم في الشاة التي دعوه إليها بخيبر»[3].

والملاحظ أن السور القصار أيضا فيها ما التزمت فواصلها بهذه الخاتمة (ون) من ذلك مثلا تكرار فاصلة (تعلمون) في سورة التكاثر، وهي ميزة بلاغية أسلوبية إيقاعية لخلق الانسجام بين الآيات، يقول تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

---

[1]- محمد سعد الدّبل: النّظم القرآني في سورة الرّعد، عالم الكتب، 1981، ص97.

[2]- سورة البقرة، الآية: 86.

[3]- هنداوي، عبد الحميد أحمد: الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم –دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي، ط1، 2008، ص118.

تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾[1] «فالتكرار تأكيد للردع والإنذار، فقولهم: (كلا) ردع، وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه، وأن لا يهتم بدينه. و﴿ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ «"سوف تعلمون"، إنذار، ليخافوا، فينتبهوا من غفلتهم، أي سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه...»[2].

لقد تحقق الترابط الدلالي بمعية الترابط الصوتي الشكلي بين الآيتين وقد وضح هذا عمر أبو خرمة بقوله: «إن دلالة الفاصلة القرآنية، دلالة إيقاعية في المقام الأول، تخدم في تجويد المقروء وتقريبه من نفس المتلقي، أكثر من علاقتها في ربط المعاني أو الإشارة إلى هذا الربط»[3] إلا أن الشطر الثاني من هذه المقولة يجانب الصحة ودليلنا في ذلك تأثير الوقف في تغير دلالة الآيات الكريمات في الخطاب القرآني قد يؤدي إلى قطع الدلالة حتى ولو كان بين الفواصل اتساق صوتي كما في سورة الماعون.

مثلا عند تحقق الوقف في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾ فلولا التواصل الفكري بين الفعل (يراعون) وبين الآيتين السابقتين: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴾، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ لما تمّ تقرير حقيقة أن صلاتهم غير صحيحة «فجعلوها مائلة معوجّة، خالية من مضمونها ليست إلا صورة فجّة، ولو أقاموها ما كانوا مُرائين ولما عدّوا ساهين وللماعون الذي يستعين الناس على قضاء حوائجهم مانعين»[4]. ونلاحظ هنا اختيارا دقيقا للألفاظ، التي لا يتحقّق المعنى دونها، وهذا من الخصائص الفنّية القرآنية، التي تهتمّ باللّفظ والمعنى على السّواء.

وجاء في سورة مريم انسجام مقطعي متناسق الفواصل يتناسب وذلك الحوار

---

[1]- سورة التكاثر، الآيتان: 3-4.

[2]-شيخون محمد السيد: الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1978، ص58.

[3]-عمر أبو خرمة: نحو النّص –نقد النّظرية...وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص75.

[4] –أحمد محمد صبري: الإعجاز والبيان في فواصل القرآن الكريم، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2008، ص22.

القائم بين الابن (إبراهيم) وأبيه، فاستخدم الخطاب القرآني المد بالألف الطويلة المسبوقة بالياء المشدّدة في موقف التّلطّف، والدّعوة الهادئة إلى الدّين الحقّ. لنقرأ معا هذه الآيات: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾[1].

لقد خرجت سورة مريم عن النظام السابق الذي تحدثنا عنه في السور الطوال، فجاءت مسترسلة في خط صوتي يكون فيه المقطع الأخير مضعّفا (مشددا) والتضعيف يعطي قوة للإيقاع ليزيد أثره في المتلقي، من خلال تفاصيل الحوار واكتمال عناصر المحادثة بين الابن والأب؛ الابن الذي يدعو إلى الله، والأب الكافر الذي يدعو إلى الأصنام، وقد جاء بناء مقاطع الفواصل كالآتي:

جدول رقم (24): نظام المقاطع في سورة مريم

المقطع الثالث	المقطع الثاني	المقطع الاول	الكلمة
yaa	'biy	na	nabiyyaa
	'?aa	Say	Say?aa
yaa	'wiy	sa	Sawiyyaa
yaa	'siy	؟a	؟Asiyyaa
yaa	'liy	wa	waliyyaa
yaa	'liy	ma	malliyya
yaa	'fiy	ha	hafiyya

تكونت فوصل هذه الآيات من ثلاثة مقاطع، انتهى المقطع الأخير منها بياء مشددة ممدودة، يعني أنّه ينتهي بصامتين (CC)، أو بفتحة طويلة كما هو مبيّن في الجدول، وهذا يتناسب مع الصورة الحجاجية للحوار بين الابن وأبيه؛ فينما يستطرد إبراهيم عليه

---

[1]–سورة مريم، الآيتان:41–47.

السلام في محادثة والده بأربع جمل متواليات فيها الدعوة إلى دين الحق، يردّ الأب بالصمت، وهذا ليجعل ضمنيا القطيعة والرفض لهذا الدين الجديد محورا لخطابه. كما أن هذا يعني أن قول إبراهيم عليه السلام لم يشبع الحاجات المعلوماتية للأب بسبب الصدام القائم بينهما[1].

إن هذه القوة الخفية التي تحرك الوجدان في سورة مريم، مآلها هذا التوقّد الصّوتي في نهاية فواصلها بالمقاطع المتوسّطة، ممّا يصوّر لنا ذلك النّداء الصّاعد ومهابة المواقف «فالبيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كلّ آية بيائها المشدّدة وتنوينها المحوّل عن الوقف ألفا ليّنة كأنّها في الشّعر ألف الإطلاق ...»[2]، كما أنّ هذا التكرار «يحدث نوعا خاصا من الإيقاع تستلزمه العبارة، لأغراض نفسية واجتماعية ودينية»[3] ومن هنا يتحقق جمال إيقاع النّص القرآني من خلال هذا التناسب العجيب، والانسجام الرائع بين خواتيم الآيات القرآنية من خلال التماثل الصوتي المتحقق بالياء المشدّدة الواقعة في المقطع الأخير من الفواصل القرآنية، بينما تميّز المقطع الثاني من الفواصل بقوّته فجاء منبورا، حيث إنّ الياء فيه تمثل قاسما مشتركا بين مقطعين(الثاني والثالث)، وهذا يزيد في سمو أثرها في نفس المتلقي.

ومن سمات العدول الفاصليّ إيقاعيا في القرآن الكريم هو انتهاء فواصله بأسماء الله الحسنى، وقد فصّلنا القول في هذه النقطة في الدّراسة الصّرفية في المبحث لموالي، وأثبتنا أنّ صيغتي (فعيل وفعول) كانتا أكثر الصّيغ انتشارا في كلّ السور القرآنية طوالها وقصارها . نمثّل لذلك بقوله تعالى في سورة المائدة:﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن

---

[1]–ينظر تفصيل هذه العلاقة وتحليلها تداوليا في مقال للباحثة شهرزاد بن يونس: الخطاب القرآني من منظور تداولي –قراءة في تعدد المحادثات– شارك في فعاليات الملتقى الوطني: التراث والمثاقفة بجامعة منتوري قسنطينة، يومي 11–12 ماي 2008.

[2]–شيخون، محمد السيّد: المرجع السابق، ص114.

[3]–عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن الكريم، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، (د.ط)، تونس، 1998، ص231.

تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1]؛ فالفاصلة (الحكيم) جاءت ملائمة لمعنى الآية؛ فبعدما كان القارئ يتوقع انتهاءها (بالغفور الرحيم) يراها تتحول إلى (العزيز الحكيم) وهذا «بيانا أن من يستحق العذاب، فلا يغفر له إلا ممن كانت سلطته فوق السلطان وعزته فوق كل عزة، ومن كان كذلك وجب أن يكون متصفا بالحكمة. وليس كل عزيز عادلا، فمن الحكام من عزّوا وفقدوا الحكمة»[2]. وهذا من باب المناسبة بين التّشكيل اللّفظي للخطاب، ومضمونه الدّلاليّ.

أمّا في السور متوسطة الطول (المئون) فقد تعدّدت صورها الصوتية في خواتيم الآيات، فقد جاءت الفواصل مختومة بحرف مد هو الياء متبوعا بصوت ممدود بالألف بعده قد يكون راء، وهذا الذي استأثرت به نصف فواصل سورة الإسراء مثلا، نظرا لوضوحه السمعي أو حرف اللام الذي يليها من حيث التكرارية، وبعدهما الدال بنسبة أقل في السورة نفسها ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ ﴾[3]. فالفاصلة (كبيرا) مكونة من ثلاثة مقاطع، جاء الثاني منها منبورا لشدته وقوته، لأنّه جاء ممدودا، وينسحب هذا على كل الفواصل التي جاءت على صيغة (فعيل).

ومن الكلمات الواقعة فاصلة نجد مثلا: (كبيرا، ظهيرا) في الآيتين السابعة والثمانين والثامنة والثمانين على التوالي من سورة الإسراء، وجاءت الراء أيضا في مواضع أخرى مثل (نفيرا، تتبيرا، حصيرا، كبيرا)[4]، ففواصل السورة إذن منصوبة منونة مع ظهور المد بشكل لافت للنظر، وهذا شبيه بما هي عليه فواصل سورة الكهف التي جاءت فواصلها أيضا منصوبة منونة، ولكن الفارق بينهما يتجلى في غياب المد في الكهف حيث سبقت أصوات الفواصل بحرف متحرك مثل (حسنا،عجبا،رشدا)،

---

[1] –سورة المائدة، الآية: 118.

[2]–محمد قطب عبد العال: من جماليات التصوير في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 2006، ص235.

[3] –سورة الإسراء، الآية: 4 .

[4] –الآيات: 6، 9، 99، 102.

ولكنهما تتشابهان رغم ذلك في المدّ الأخير الذي تنتهي به الفواصل القرآنية في السورتين.

و ليس بعيدا عن هذا يعتمد النص القرآني مسالك أدائية صوتية متباينة في مواطن عدة من الذكر الحكيم، حيث إنه يميل إلى المخالفة في روي الفواصل القرآنية من خلال الانتقال الصوتي من صامت هو الجيم إلى صامت الدال في سورة البروج الآيات ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ [1] ومبررات هذه المخالفة ترجع إلى السياق الذي يحدد اختلافات دلالية دقيقة.

ففي هذه الآيات يقدم لنا النص مشهدين مختلفين،المشهد الأول المقسم به ينتمي إلى حلقة زمنية هي حلقة الحياة الدنيا، ومشهد ثان يتصل بالآخرة ومستجداتها حيث جاءت فاصلته على الدال نتمثله في (مشهود،الموعود) وهذا يثبت مدى الاختيارات الصوتية الدقيقة، لأن المقام ينتقل من الجملة المفتاحية المدخل إلى الجملة المخالفة، فالجيم مركز ثقل صوتي غايته التخفيف من حدة الإيقاع حفاظا على تماسك النص.

نصل أخيرا فنقول لقد تشكلت خواتيم الفواصل القرآنية من خلال النّماذج المدروسة من نمطين صوتيين ؛أحدهما الصوامت وثانيهما الصوائت، حيث لاحظنا من خلال النماذج الفاصلية المطبق عليها غلبة صوت النون الذي احتل الرتبة رقم واحد، ويليه صوت الراء ثم الميم، فالألف فالدال؛ ويرجع تفسير ذلك إلى أن هذا الصوت يمثل قوة ارتكاز إيقاعي،وقد خدم دلالة النص أيضا.

---

[1] -سورة البروج، الآيات: 1-6.

ثالثا: البنية التّنغيمية في القرآن الكريم

1-مفهوم التنغيم ووظائفه

يعد التنغيم من الظواهر الصوتية فوق مقطعية، لها دور فاعل في البناء الصوتي للخطاب القرآني وجمالياته وبلاغته، سواء في جانبه الشكلي، حيث يتغير الأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه، أو من حيث تنوع دلالات الجملة الواحدة بتنوع إيقاعاتها الصوتية.

إنّه خاصيّة تشترك فيها أغلب اللّغات الإنسانية، يقول أحمد مختار عمر: «ومعظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية (Intonation Langages)، لأنّها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تميزية تفرق بين المعاني، وإلى اختلاف التنغيم يرجع الفضل في أننا يمكننا أن نعبّر عن كلّ مشاعرنا وحالاتنا الذهنية من كل نوع، ويمكننا في معظم اللغات أن نغيّر الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب... دون تغيير في شكل الكلمات المكونة، ومع تغيير فقط في نوع التنغيم»[1]. من هذه المقولة نستخلص أن التنغيم يستند في التمييز بين أنواع الخطابات وتنويعها من خلال ارتفاع النغمات وانخفاضها؛ فمع اختلاف درجات الصوت تختلف دلالات الجملة أو العبارة، وهو ما يجعلنا نتساءل هل يتحقق التنغيم في القرآن الكريم؟ وإذا تحقق فما طبيعته ما هي خصوصياته؟

كلمة التنغيم مشتقة من المادة اللغوية (نغم) وهي في عرف اللّغويين تعني جرس الكلام، وكذا حسن الصوت عند القراءة، حيث يقول صاحب اللّسان «النّغْمُ :جَرْسً الكلام»[2]، والنّغمة في المعجم الوسيط جرْس الكلمة، وحسن الصّوت في القراءة وغيرها.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد نوّه "إبراهيم أنيس" بأهميته عند حديثه عن ضرورة البحث عن نظام درجات الصوت، وتسلسله في الكلام العربي، ويعرّفه تمام حسان بأنّه

---

[1]–أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص229–230.

[2]– ابن منظور :لسان العرب، المصدر السّابق، مادة: (نغم).

«ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»[1]، حيث إن هذا الارتفاع والانخفاض يؤديان إلى بين مشاعر مختلفة منها الفرح، والحزن، والألم، والاستياء، والدهشة، والاستهزاء وغيرها. ولا يبتعد ماريو باي عن هذا التصور عندما يعرفه قائلا: «تتابع النغمات الموسيقية، أو الإيقاعية في حدث كلامي معين»[2].

إننا نحاول من خلال النماذج الفاصلية المدروسة في هذا المقام أن نجتهد في تقديم الجواب، ونسعى إلى بسط الإشكال لتعميق فهم الدقائق الإيقاعية للنّص الحكيم.

2-<u>تجليات التنغيم في الخطاب القرآني</u>

إن الفواصل القرآنية المنغّمة في القرآن الكريم إنما تتصل اتصالا شديدا بمضمون السّياق الذي ترد فيه، لأنّ هذا التلوين الإيقاعي يستمد طاقته من خلال تعدد المواقف؛ فحيث يكون التبجيل والتعظيم فتلك الفاصلة الدالة على اسم من أسماء الله وصفاته، وحيث نجد نغمة التشويق، فتلكم الجنّة ونعيمها، ونغمة الترهيب والتخويف حيث النّار وأهلها، وكذا نغمة السّخرية وهكذا، فكلّ سياق له نغمته الخاصّة التي تجعله حلقة قائمة بذاتها.

إنّ هذا التّنغيم يتأكّد حضوره كثيرا في مقامات تلاوة الخطاب القرآني، لأنّ التلاوة أساس عظيم من أسس تحديد معاني الكلام لهذا قال الزّركشي في ذلك: «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم»[3]، ليصبح التنغيم بذلك ملمحا صوتيا ضروريا في الأداء القرآني، لزيادة التأثير على المتلقي، لأنّ ما جاء في باب الاستغفار والتوبة والدعاء غير ما جاء في سياق الحضّ على القتال مثلا، فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام والوعد يخالف الوعيد، لهذا يجد القارئ تنوّعا في النّغمات، بعضها يكون مستويا ، وبعضها هابطا،

---

[1] - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 164.

[2]– ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ص 93.

[3]–الزركشي: البرهان، المصدر السّابق ،ج1، ص450.

ونغمات أخرى صاعدة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ أغلب الأساليب التي يتجلى لنا فيها التنغيم بقوة في الخطاب القرآني، الأساليب الحوارية إذ «إنّ للتنغيم أثرا في جميع المواقف الحوارية التي نقلها لنا القرآن الكريم، حيث جاء التنغيم حاملا مختلف المشاعر والهواجس والانفعالات النّفسية لأقوامهم، على سبيل المثال»[(1)].

يستوقفنا الخطاب القرآني في حوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، حيث تختتم الفواصل القرآنية بصوت من أصوات اللّين، مما يعطينا أثرا واضحا لنفسية إبراهيم الذي يوقر أباه في حوار هادئ ينم عن علوّ أخلاقه، ورحمته بأبيه، وصدق محبته له، إنها الدعوة أو التحريض على الإيمان تليها صورة التحضيض على ترك الكفر وعبادة الأوثان، وهذا مبعث لإظهار اللّين والتلطف في الخطاب مجسدة في فاتحة الآيات بقوله: ﮋ ﭗ ﮊ،إننا أمام تصاعد نغمي يحكي لنا نفسية الابن المتشوقة لإيمان الأب.

يقول تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[(2)].

إنّ هذا المدّ الذي تنتهي به الفواصل القرآنية (شيئا، سويّا، عصيّا، وليّا) بالألف الليّنة خلق نغمة صوتية تصاعدية تتناسب والدعاء لهذا الأب، وهي صوت من الأصوات الهوائية عند الخليل (الواو، والياء، والهمزة)، بقوله: «والياء والواو والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنّها لا يتعلّق بها شيء»[(3)]. إنّ الصّوت اللّيّن الموظّف في هذه الفواصل يتناسب والآهات التي تختلج في نفسية النبي إبراهيم عليه السلام، حيث يتسع مجرى النّطق ويسري حاملا كلّ المشاعر، وقد اختير هذا الصوت اللّين لأنّه أوسع حروف

[(1)]-خالد بن دومي: دلالات الظاهرة الصوتية، ص158-159.

[(2)]-سورة مريم، الآيات: 41-45.

[(3)]-ينظر: كتاب العين، ج1، ص64-65.

المدّ وألينها بتعبير ابن جنّي[1]، يحمل شحنة حسن الأدب التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام، حيث إنّه: «لم يصرّح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: أخاف أن يمسّك عذاب، فذكر الخوف والمس وذكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب»[2].لتنتهي هذه المحاورة ببرّ الابن الذي تلطّف مع هذا الأب على كفره مصداقا لقوله تعالى:﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾[3]، قد فسّرها القرطبي بقوله: «لم يعارضه إبراهيم عليه السلام بسوء الّرد؛ لأنّه لم يؤمر بقتاله على كفره» [4].وهنا تتجسّد الأخلاق العالية في شخص هذا النّبيّ الذي كُرّم ببرّه بوالديه فيكون فوزه الجنّة كما أخبرنا ربّنا الكريم.

وتظهر عاطفة الأبوة جلّية في تنغيم الفاصلة القرآنية "مليّا"، عندما قال الأدب: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾[5]، يلاحظ القارئ للآية الكريمة حالة السكون والهدوء التي آل إليها الأب، حيث ينتقل بنا السياق من حالة الغضب (لأرجمنّك) التي تحمل الشتم والضرب والثورة في صرخة تصاعدية، إلى استحواذ عاطفة الأبوّة القوية التي جعلت نغمة الكلام تتوجّه نحو الهبوط لتفتح باب السكنية في قوله: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾، وفسّرت الفاصلة ﴿مَلِيّٗا ﴾ عند ابن عباس «أي اعتزلني سالم العرض لا يصيبنّك منّي معرّة»[6]، كما فسّرت بالمقاطعة مدّة زمنية غير يسيرة وهذا تفاديا لهذا التصادم الواقع بين الأب وابنه في اعتناق الدين، وهذا من باب الرّفق بالولد النّاصح (إبراهيم عليه السلام) فقال فيها الزّمخشري بمعنى زمانا طويلا[7]. إنّ حالة الحزن والشجن المنبثقة من هذا التنغيم لم تكن صورة من صور الحوار

---

[1]–ينظر: سر صناعة الإعراب، ج1، ص7-8.

[2]–ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج2، ص511.

[3]–سورة مريم، الآية: 47.

[4]–القرطبي: المصدر السابق، ج11، ص111.

[5]–سورة مريم، الآية: 46.

[6]–القرطبي: المصدر نفسه، ج11، الصفحة نفسها.

[7]–انظر: الكشاف، ج2، ص511.

الثائر/الهادئ لكلا الطرفين فحسب، إنما كانت صورة من صور العاطفة الجياشة التي يحملها كل طرف للآخر(*).

ويأسرنا المدّ المتصل بالنون في سورة الرّحمن، حيث التنغيم ينتشر في جو السورة الدلالي والإيقاعي، فالقالب التكراري له جعلنا نقف مع مدود قوية تبدأ عند كلمة (آلاء) وتنتهي عند (تكذّبان)، وهذا ضمن لازمة تداعت مع آيات السورة، ويلاحظ القارئ للفاصلة أنّ المدّ الطويل قد وقع في لفظ الارتكاز من مدار المعنى وهو (الآلاء) ليزيد تمييزا ووضوحا حتى يصل الخطاب إلى الذّروة الإيقاعية (تكذّبان) التي تعبّر عن مدار التساؤل الذي ينكر على المنافقين تشكيكهم في خلق الله و نعمه التي لا تنتهي.

إنّ هذه الآية الكريمة بفاصلتها المثناة (تكذّبان) تعدّدت صورها التنغيمية بتعدد الدلالة المستوحاة منها، فتارة يسود النّغمة تبصّر وتأمل كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾[1]، إنها صورة من صور الاستسلام، واستشعار الفناء لهذا الكون، ثم تتغيّر النّغمة مع مقطع صوتي آخر يقول فيه عز وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾[2]، حيث تحمل شحنة من التهديد والتّخويف وهلاك أهل الأرض.

سحر القرآن إذن يتجلّى من خلال هذا التلوين الدّلالي الذي مردّه بصفة مباشرة إلى التلوين الإيقاعي في التنغيم، فهذا التخويف وهذا الهلاك تمثيل لعظمة الخالق، حيث يتجسد المعنى «سنقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم، وهذا وعيد وتهديد لهم»[3]، ونلتمس الدلالة نفسها في قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ

(*) –هذه الحالة نستشفها أيضا في آيات من سورة يوسف، حيث حوار الأب مع إخوته (انظر يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾) آية 11 وما بعدها.

(1)–سورة الرحمن، الآيات: 26–28.

(2)–سورة الرحمان، الآيتان: 31–32.

(3)–ينظر: القرطبي: المصدر السابق، ج17، ص168.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، ففي هذه الآية نغمة صاعدة تزلزل الأسماع لما فيها من عقاب للعصاة المكذبين.

ومن الأمثلة على التغيّر الدلالي للفاصلة القرآنية بسبب تنغيم الجملة التي تتموقع فيها قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]، إنّنا أمام هذه التكرارية الجملية نقف عند ظاهرة الآية بأنّها جاءت للاستفهام في نغمة تصاعدية، وهذا من خلال توظيف الخطاب لكلمة (كيف)، ولكننا عندما نغوص في دلالات النّص نلمح استهزاء وتعجبا، فإمّا أن يكون النّص تعجبيا من قول الوليد بن المغيرة، أو استهزاء به، أو تهكما بكفار قريش لشدة إعجابهم بقوله وتعظيمهم له.

وقد عبّر الزمخشري عن هذه الدلالات قائلا: «﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ، تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحزّ ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش، أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به، أو هي حكاية لما كرروه من قولهم: قتل كيف قدّر، تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله»[3].ونؤكد على حقيقة أنّ أغلب المفسرين يقفون على المظاهر الإيقاعية التنغيمية في تفسير آيات الذكر الحكيم كما هي الحال في هذا الخطاب الربّاني المزدوج، إذ يقول تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾[4]، نلاحظ خلو المقطع الأول من أداة النداء لأنّ النّص يدلّل عليها وهو خطاب موجّه لرجل هو (يوسف عليه السلام)، بينما يوجه الخطاب الثاني لامرأة، والنّغم وحده هو الفاصل بين الخطابين.

إنّ أهمية التّنغيم في هذا المقام تجعله متفوّقا على أداة النداء من خلال أسلوب الزّجر والرّفض لما يحدث، وهذا في سياق الأمر والدّعوة إلى الطاعة والرّغبة، فالعلاقة بين المتكلم والمخاطب طبعا علاقة مخصوصة تقتضي توجيه الخطاب

---

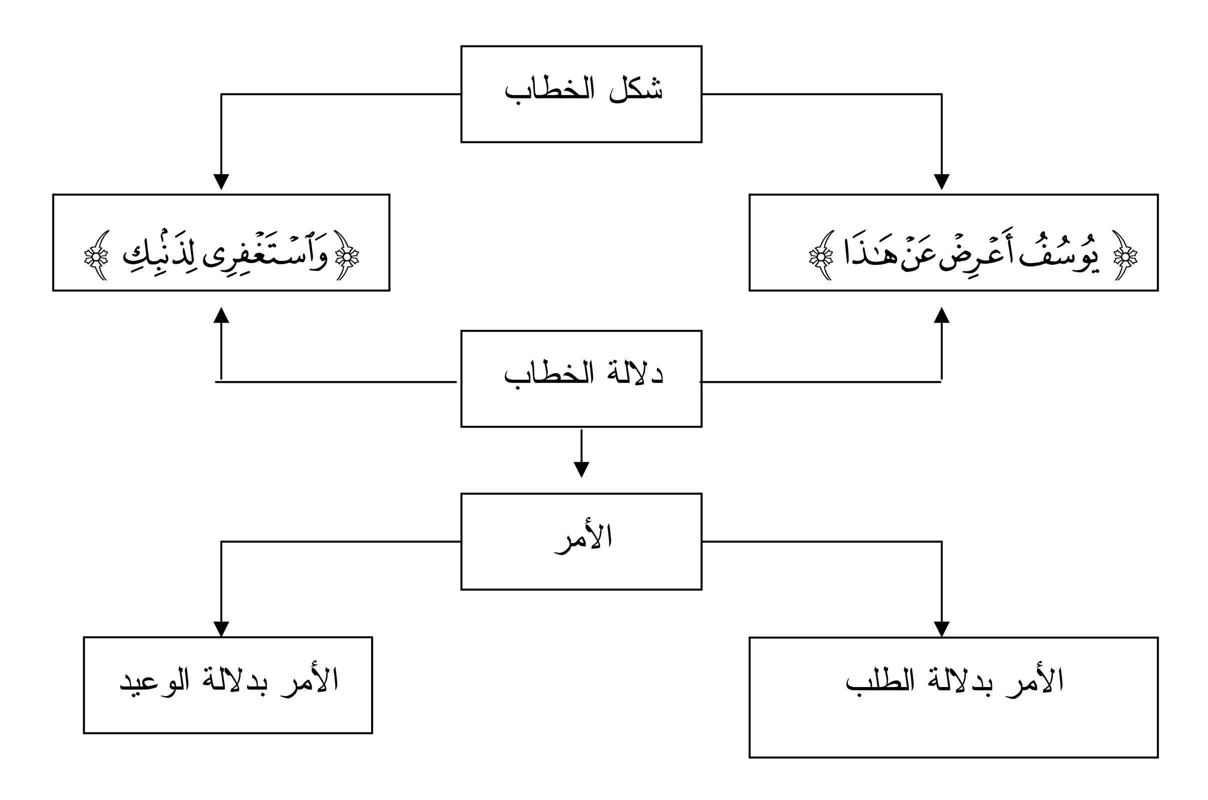
[1]-سورة الرحمان، الآيتان: 35-36

[2]-سورة المدثر، الآيتان: 19-20.

[3]-الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص183.

[4]-سورة يوسف، الآية: 29.

بتلوينات موسيقية مختلفة، تفصح عن مضمون الرسالة، وتباينها من موقف إلى آخر، وهذا ما نستنتجه من خلال الخطابين الواردين في الآية الكريمة، حيث يجيء الخطاب فيه وعيد وتهديد وأمر بالطاعة في قوله: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ﴾[1]، يمكننا تلخيصه في هذه الخطاطة:



<u>خطاطة رقم 11: التنغيم في سورة يوسف</u>

من خلال هذه الخطاطة نلمس ذلك الحذف لحرف النداء، وهو من باب تقريب المنادى، ففيه تلطيف وتقريب له ولمحله، لهذا خاطبه بقوله: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[2]، أما قوله:واستغفري لذنبك ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ﴾، ففيه ردع، وأمر بالامتثال وهذا لأنّ الشاهد أدرك أن الخطأ خطأ زليخا وليس خطأ يوسف لهذا يقول لها «استغفري زوجك من ذنبك لا يعاقبك»[3].

---

[1]–سورة يوسف، الآية: 19.

[2]–ينظر: الزّمخشري: المرجع السابق، ج2، ص315.

[3]–القرطبي: المرجع السابق، ج9، ص175.

آية أخرى من سورة إبراهيم يؤثر تنغيمها في دلالتها حيث يقول تعالى: ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]، نلاحظ في هذه الآية مقطعين؛ الأول منهما، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾، وتحمل معنيين عند القرطبي أي: لإن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، أو أزيدنّكم من طاعتي[2]، فالشكر مرتبط بالإيمان الخالص والعمل الصالح، فحيث تحققا زاد الله نعمه على نبي إسرائيل، إما إن كفروا فالضرر حالٌّ بهم وموافيهم بشدته، وهذا نلتمسه في المقطع الثاني هو الكفران وليس الكفر، ويدقق هذه الملاحظة الرازي (ت604هــ) قائلا: «والسبب فيه أنّ كفران النّعمة لا يحصل إلاّ عند الجهل بكون تلك النّعمة نعمة من الله، والجاهل بها جاهل بالله، والجهل بالله من أعظم أنواع العقاب والعذاب»[3]، فالكفران إذن موجب للعذاب الشديد، والشكر موجب للمغفرة والعطاء والرّباني الذي لا ينفذ، وما هذه الطاعات إلا خير للعابد وليست للمعبود.

إنّ اختتام الآية الكريمة بلفظة ﴿شَكَرْتُمْ﴾ إنما هو من باب التنغيم القائم على مدّ صوت اللّين، والحكمة في ذلك إيجاد التّمكن في التطريب، لأنّ في حرف اللين الياء نغمة موسيقية تخلو منها الحروف الصحيحة، لهذا قال سيبويه «إنمّا ألحقوا هذه المدّة في حروف الرّوي؛ لأنّ الشعر وضع للغناء والترنّم»[4].

إذا لاحظنا هذا التساوي في الفواصل القرآنية، وسيرها على وتيرة واحدة، سنلاحظ إشباعا في الحركات يتولّد عنها حروف المدّ واللّين لإضفاء جانب إيقاعي على الكلام، وقد شاع هذا عروضيا في الشعر، ثم اعتمده أصحاب القراءات لتطريب الآيات القرآنية فيستسيغها الذوق والأذن على السواء.

و يسترسل الخطاب القرآني في تقديم نماذج تنغيمية، تختلف تبعا لسياقاتها، كما

---

[1]–سورة إبراهيم، الآية: 07.

[2]–ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص343.

[3]–الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج19، ص88.

[4]– سيبويه:الكتاب، ج2، ص299.

جاء في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾[1] نلاحظ هنا النّغمة الهابطة التي تعبر عن حالة يأس شديدة، يعيشها الكافر، وقد تحقق معها الانسجام الصّوتي،إذ يتجلّى لنا هذا «التناسق العجيب في الآيات الكريمة لتصوير الحيرة والحزن الممزوجتين بشدّة النّدم التي امتلكت رجلا استحقّ النّار»[2]. ومن مظاهر التّنغيم التّصاعديّ، بعض المواقف التي استدعت الاستفهام داخل الخطاب مثلما هو قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[3]، أو الاستفهام بغرض التّعجب كما في قول سيّدنا سليمان ﷺ: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾[4]، أو سياق الاستفهام بغرض التّنبيه كما في سورة التكوير لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾[5].

و نوضّح دلالات الاستفهام في الجدول الموالي بأمثلة أخرى:

جدول رقم (25): الاستفهام ودلالاته

السورة	الآية	رقمها	نوع النّغمة	الدلالة
الفجر	﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾	5	مستوية ←	التقرير
المائدة	﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	91	صاعدة ↖	الأمر
الصّفّ	﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ﴾	10	صاعدة ↖	التّرغيب
النّازعات	﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾	18	مستوية←	النّصح والإرشاد
الضّحى	﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾	6	مستوية←	التقرير
الصّافات	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	95	مستوية هابطة--↙	التّوبيخ

[1]سورة إبراهيم، الآية: 07.

[2]- سمير عزّاوي: المرجع السابق، ص143.

[3]سورة الحجر، الآية: 57.

[4]سورة النمل، الآية: 20.

[5]سورة التكوير، الآية: 26.

وينسحب هذا على سور قرآنية جاءت فيها أساليب الأمر للدلالة على نغمات مستوية هابطة ، جسّدت لنا السخرية والإهانة، كما في قوله تعالى على التّوالي: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾[1]، وقوله: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠﴾ [2].

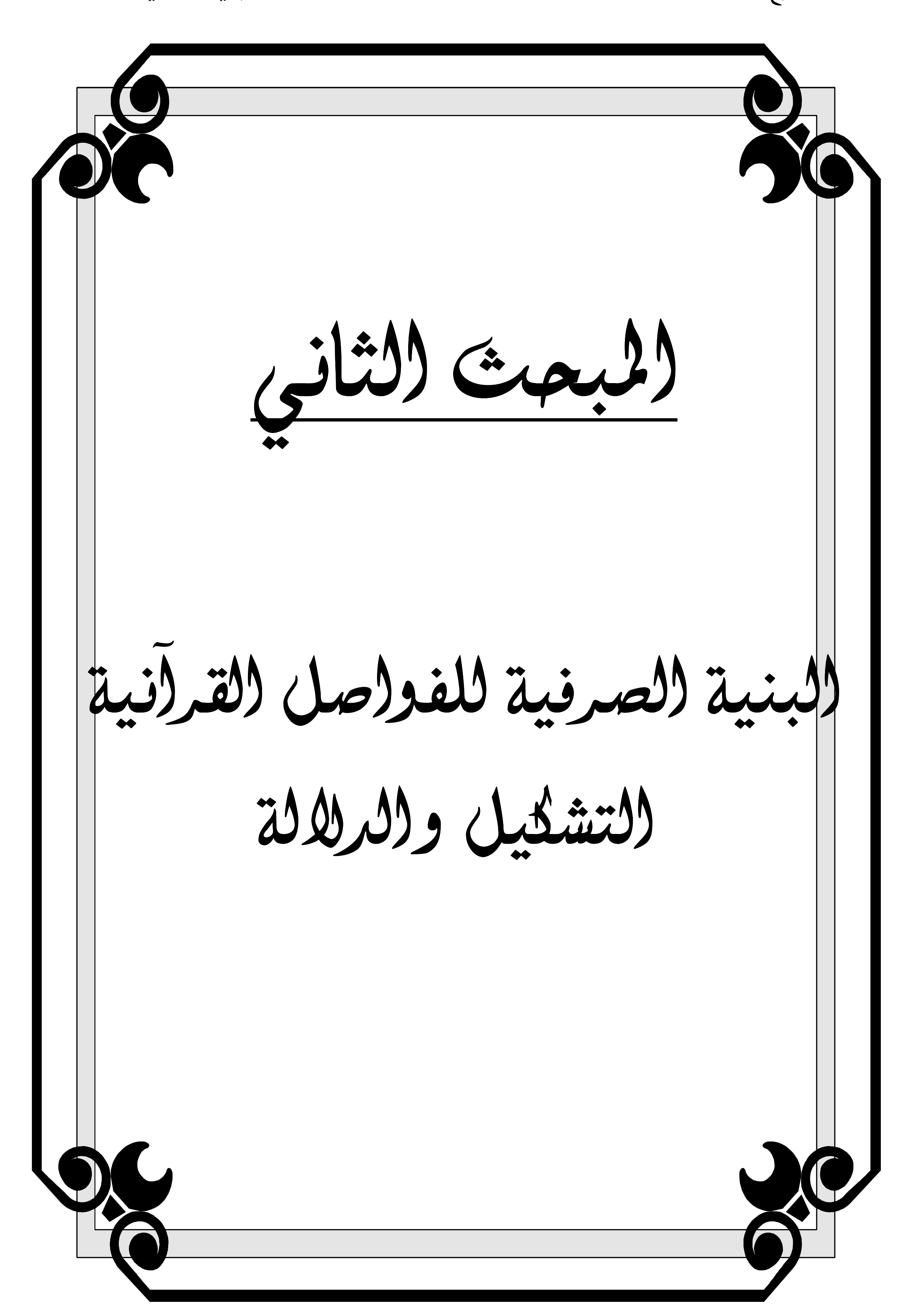
أما من أساليب النهي التي عبّرت فيها الآية عن دلالة النّهي قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾[3]. لقد جاءت النغمة صاعدة لأنها تربط بين صورتين مختلفتين؛ إحداهما هي النّهي عن طاعة الكافر، وثانيهما هي الدلالة الضّمنية التي سّدتها الفاضلة الفعلية (اقترب) للتعبير عن الدعوة الدائمة لطاعة المولى عز وجل دون غيره.

---

[1]–سورة البقرة، الآية: 65.

[2]–سورة الإسراء، الآية: 50.

[3]–سورة العلق، الآية: 19.



المبحث الثاني

البنية الصرفية للفواصل القرآنية التشكيل والدلالة

مدخل:

إن طبيعة الخطاب القرآني من حيث تراكماته التنظيمية للبنى يسير وفق خطّ متتابع لا يمكننا فصمه، فمن حيث نسجه نحن بحاجة إلى إحكام مادّته التشكيلية على مستوى الصّيغ، بعد أن تطرقنا في المبحث الأول إلى تشكيله الصّوتي.

تبعا لهذا سنحاول من خلال هذا المبحث أن نقف عند أهم الأبنية المشكلة للفواصل القرآنية من حيث إحصاؤها، وتصنيفاتها، وكذا وظائفها الدلالية داخل السياق، مع ضبط عناصر الزيادة وهي المورفيمات باعتبارها المادّة الخام والوحدة الأساسية في بناء الصّيغ؛ وعليه كان مفيدا للبحث أن يعطي صورة تقريبية ولكنها شاملة لكل الفواصل القرآنية الموزعة على سور القرآن الكريم، وتقسيمها إلى أنماط تتجاوب ودلالتها.

وقد قسّم هذا المبحث إلى ثلاثة عناصر: أولها: البنية الصرفية للفواصل الاسمية، وهو بدوره يضم جملة من التحليلات حول المصادر، والمشتقات بأنواعها وأسماء الجموع وأسماء الأعلام.

أما المحور الثاني فيدور في فلك الفواصل الفعلية، سواء أكانت مضارعية أو ماضوية أو أمرية.

في حين جاء العنصر الأخير من هذه الدراسة يدور في فلك الفواصل الحرفية وأنماطها.

أولا: بنية المصادر الواقعة فاصلة في القرآن الكريم -دراسة في أبعادها الدّلالية:

يمثل المصدر أداة هامة من أدوات بناء الفواصل في الخطاب القرآني، وهو نمط اسمي يباين الفعل والحرف، عبّر في خواتيم الآيات عن أسماء الأحداث، وهي صيغ مهمة جاءت تابعة للأفعال قصد تحديد وظيفة معينة في سياق معين أطلق عليها عباس حسن مصطلح "المصدر الأصلي"، ويسمّى صريحا، وذلك لأن المصدر لا يدل بذاته إلا على المعنى المجرّد، فلا علاقة له، في الغالب، بزمان ولا مكان ولا تأنيث ولا تذكير

ولا علمية ولا عدد ولا هيئة ، وليس مبدوءا بميم زائدة، ولا مختوما بياء مشدّدة زائدة، مثل: علم، فهم[1]،و يرى "المبرّد" (ت 285هــ) أن هناك تشابها في طبيعة الصّيغة التي يصاغ عليها كل من المصدر و اسم الفاعل واسم المفعول ويمثل لذلك بقوله: «ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسدُّ مسدّه، فيكون حالا، لأنّه قد ناب عن اسم الفاعل، واغنى غَناءه، وذلك قولهم، قتلتُه صَبْرا. إنّما تأويله: صابِرا او مُصْبَرا»[2]. إن المبرّد من خلال ما سبق يشير إلى أن المصدر هو المفعول الصحيح، وهو يدلّ على فعله في تلك الحال ،لأن الإنسان يفعل الفعل، ولا يفعل الشّخص[3].

أما السيوطي (ت 911هــ) فيزيد على مقولة المبرّد من أنّ المتبادل بين الصّيغ الاشتقاقية كثير في القرآن الكريم فــ«المصدر الصّريح يقع في موضع الفاعل، نحو: ﴿ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾[4] والمفعول نحو: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾[5]»[6].

الواضح من خلال التعريفات السابقة أن المصادر هي أسماء تدل على الحدث، وهي مشتقة من الفعل كما قال بذلك الكوفيون خلافا لما أقرّ به البصريون، فلا يخلو من بعضها لفظا أو تقديرا إلا عوّض منها في اللّفظ.

والمصدر نوعان؛ مصدر ميمي وهو الدّال على الحدث مبدوءا بميم زائدة لغير المفاعلة ويصاغ من الثلاثي على وزن (مَفعل) بفتح العين والميم وسكون الفاء، ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه بعد إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وفتح ما قبل الآخر.مثاله: مطْلب، مضْيعة، مجْلبة وأما المصدر الصريح –وهو الأكثر تكرارية في فواصل الخطاب القرآني– هو الاسم الذي يتبع فعله عادة، و يوجد صنف ثالث عند المحدثين يسمّى " المصدر الصّناعيّ" وهو يطلق «على كلّ لفظ جامد أو مشتق،اسم أو

---

[1] –عباس حسن: النّحو الوافي، (د.ط)،(د.ت)،ج3، ص137–138.

[2]–المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يريد: المقتضب، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج3، ص234.

[3]–مثال ذلك: إذا قلت: ضربتُ زيداً، لم تفعل زيدا وإنّما فعلت الضرب، فأوصلته إلى زيد وأوقعته به.

[4]– سورة الملك، الآية: 30.

[5]– سورة لقمان، الآية: 11.

[6]–السيوطي، جلال الدّين: الأشباه والنّظائر في النّحو، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج2، ص221.

غير اسم، زيد في آخره حرفان، هما: ياء مشدّدة، بعدها ياء تأنيث مربوطة؛ ليصير بعد زيادة الحرفين اسما دالّا على معنى مجرّد لم يكن يدلّ عليه قبل الزّيادة»[1]. مثال ذلك كلمة(إنسانيّة) التي تعبّر عن مجموع الصّفات التي تجعل الإنسان إنسانا.

وهنا نتساءل ما هي الوظيفة الصرفية للفواصل القرآنية التي جاءت على صيغ المصدر؟ وما هي دلالاتها؟ وإلى أي مدى يمكن تحقيق التوحد الدلالي بين الفواصل بكل أنواعها ؟

بعد استقصاء وإحصاء المصادر الواردة في القرآن الكريم، توصل البحث إلى إحصاء ست عشرة صيغة دلّت على اسم الحدث وهي مختلفة اختلافا بيّنا من حيث

الصيغة	فِعْل	فَعَل	فَعْل	فِعْل	فُعْل	تفعيل	فعول	فعّال	فِعال	فِعال	أفعال	منفعل	تفعلة	استفعال	فعلل	فُعلى	المجموع
عدد التكرارات	46	10	13	14	04	35	07	09	02	02	02	01	01	01	01	01	149

طبيعة صيغها الموظّفة، مشكلة عقدا مترابطا من الدلالات، يمكن تحديد عدد تكراراتها من خلال الجدول الموالي:

يمكن للباحث أن يلحظ هذا التفاوت في تعداد المصادر الواردة فواصل في الخطاب القرآني إذ بلغ مجموعها (149) صيغة مصدرية، فأكثرها انتشارا ما جاء على وزن (فِعْل) بإسكان العين إذ تكرر ستا وأربعين مرة، ثم صيغة (تفعيل) التي جاءت مذيلة بالألف الممدودة، ثم (فَعْل)، و(فُعْل) المتقاربتين بأربع عشرة مرة وثلاث عشرة مرة على التوالي ثم باقي الصيغ بنسب ضئيلة جدا، ومنه فإن الخطاب القرآني يحتكم إلى جملة من الاختيارات الوزنية والبنيات الصرفية التي تؤسس لسياقه العام والجزئي؛ فإذا كانت السور الطوال تميزت بكثرة الأفعال والمشتقات بنسب عالية، في حين جاء نصيب السور القصار – واستثناء البعض الطوال – وافرا باختلاف أشكالها، وسنحاول

[1]–عبّاس حسن: المرجع السابق، ج3، ص 142.

تحليلها من خلال كشف النّقاب عن دلالات هذه الصيغ المصدرية من خلال نماذج من الخطاب القرآني.

أ – صيغة تفعيل:

جاءت هذه الصيغة في الرتبة الثانية من حيث عددها إذ بلغ عددها 35 خمسة وثلاثون مصدرا، يتفاوت من سورة إلى أخرى، يمكن تقديمه بدقة وفق الإحصاء المدرج في هذا الجدول التوضيحي:

السورة / تفعيل	النساء	الإسراء	الفرقان	الأحزاب	هود	فاطر	الفتح	الواقعة	المزمل	الإنسان	البروج	التين	الفيل
عدد التكرارات	03	08	06	05	01	02	01	01	02	03	01	01	01

تربعت سورة الإسراء على أعلى نسبة بثمانية تكرارات وتليها الفرقان بستة فواصل وهذه الفواصل هي: (تقديرا، تنزيلا، ترتيلا، تفسيرا، تدميرا، تتبيرا)، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[1]؛ جاءت لفظة (تقديرا) من باب (قَدَر) بمعنى قضى وحكم به[2]، وقد جاءت هذه الصيغة للدلالة على منتهى الحدث الناتج عن جملة الأحداث التي سبقته، فلا يمكن للمتلقي استيعاب لفظة (تقديرا) إذا لم تكن له معرفة سابقة بالعناصر المقدّرة وهي كل العناصر المخلوقة في هذه الأرض، لهذا فإن حدث التقدير هو اتصال لحدث الخلق والقضاء والحكم وهو محور هام من محاور بناء الموضوع الكلي لهذه الآية «فكل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء

---

[1] –سورة الفرقان، الآية: 02.

[2] –الشنقيطي: المرجع السابق، ص259.

تحت قهره وتسخيره، وتدبيره وتقديره»[1] بمعنى لا يحدث شيء لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت، ورأى ابن عطيّة أن تقدير الأشياء هو حدّها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والإتقان[2].

أما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾[3] جاءت لفظة تنزيلا للكثير تعبيرا عن كثرة عدد الملائكة، وقد جاء المصدر مشتقا من (نزّل) المضعّف وهو متعدّ في هذا المقام[4]؛ فبعد انشقاق السماء وهول يوم القيامة يصوّر لنا الخطاب انتقال الملائكة يومئذ من الأعلى إلى أسفل من السماوات فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر[5]. ويقول تعالى في الآية الموالية: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[6].

جاءت لفظة (ترتيلا) مصدرا بمعنى التبيين على رأي قتادة، وبمعنى التفسير على رأي عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، ولكنها لغة تعني تمهلت في قراءة القرآن ولم تعجل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[7].

من الألفاظ الفاصلة الواقعة مصادر أيضا لفظة (تدميرا) التي عبّر معناها اللغوي عن فعل التكسير، والتخريب والتحطيم والإهلاك، إذ وردت في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾[8]؛ وقد جاءت بمعنى ألحقناهم أسوء وأشدّ العذاب[9]؛ وقريب من هذا المعنى (الإهلاك) لفظة (تتبيرا) في قوله

---

[1] –ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص93.

[2]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص441.

[3]–سورة الفرقان: 25. انظر أيضا: الإنسان: 23/ الإسراء: 106.

[4]–يتعدّى الفعل (نزل) بالتّضعيف، وبالحرف مثل: نزلت به، وبالهمزة مثل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ الإسراء: 105.

[5]–ابن كثير:المصدر السابق ج6، ص 105.

[6]–سورة الفرقان، الآية: 32.

[7]–سورة المزّمل، الآية: 03.

[8]–سورة الفرقان، الآية: 36.

[9]–أبو حيان الأندلسي: ج6، ص457.

تعالى:﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾[1]. والكلمة مشتقة من تبر تَبْرا وتَبَراً بمعنى أهلك، والتّبار: الهلاك[2].

وهو ما جاء في سورة الإسراء أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ ففي هذه: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾[3]، جاءت لفظة تتبيرا بمعنى بمعنى التكثير من حيث الصيغة للتعبير عن شدة الإهلاك والتكسير.

أما لفظة (تبتيلا) على وزن (تفعيل) فلم ترد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[4]، والتبتّل والتبتيل ورد مرة واحدة في القرآن بمعنى: الانقطاع إلى الله عن الدنيا، بمعنى أن يخلص عبادته لله عز وجل ويوحده توحيدا. والانقطاع لا يكون إلا بكثرة الأعمال الخيّرة، فالصيغة (تفعيل)الواردة هي من باب إحلال مصدر مكان مصدر آخر كما ذكر ذلك العنبكي؛ حيث حلّت تبتيلا مكان (تبتّلا) القياسي[5].

فالدلالة على تكثير الفعل هي الملاحظة السائدة في صيغة (تفعيل) من خلال الأمثلة المحللة آنفا، فقد حدث تفاعل بين أسماء الأحداث (الفواصل) مع أفعالها التي سبقتها، والتي كان دور المصادر بعدها تقوية هذه الأفعال. وقد سجّل المعجم الفاصليّ تقاربا دلاليا بين هذه الفواصل؛ فقد عبّرت البعض منها عن القوة والتكثير مثل (تفجيرا)، (تتبيرا)؛ ومثال (تفجيرا) أنه بناء ارتبط على قوة سيلان واندفاع الماء دون أذى؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾[6] ومثله قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[7] قال أبو حيان في

---

[1]–سورة الفرقان، الآية: 39.

[2]–ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط38، 2000م، مادة (تبر)، ص58.

[3]–سورة الفرقان، الآية: 39.

[4] – سورة المزمّل: 07

[5]- ينظر: العنبكي، علي عبد الله حسين: البناء اللّغوي في الفواصل القرآنية، مؤسسة دار الصّادق الثّقافية، بابل، العراق، ط1، 2011م، ص27.

[6] – سورة الإسراء، الآية: 91.

[7]– سورة الإنسان، الآية:06.

تفسير الآية الثانية أنها بمعنى يثقبونها (أي المؤمنون) بعود قصب ونحوه فهي تجري عند كل واحد منهم[1].

وقد تفرد الخطاب القرآني بورود بعض أسماء الأحداث فاصلة مرة واحدة في القرآن الكريم داخل المجموعة الكلية للفواصل المصدرية، منها: (تفصيلا، تفصيلا، توفيقا، تثبيتا، تكبيرا، تطهيرا، تقتيلا، تأثيما)[*] وقد دلت صيغتها جميعا على التكثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[3] . وتكررت لفظة (تسليما) ثلاث مرات في الآيات الآتية:

- ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 64].
- ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 22].
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[4].

جاءت الآية الأولى من الأحزاب في مواساة الرسول ﷺ في صبره ومرابطته وانتظاره الفرج من ربه، وقد كانت هذه المحنة اختبارا للمؤمنين، فلم تزدهم إلا صلابة وإيمانا وانقيادا لأوامره تعالى، وطاعة لرسوله[5] أما(تسليما) الثانية فهي ليست طلبا للانقياد، إنما دعوة لمعرفة عباده بمنزلة نبيه عنده وعند الملأ الأعلى وأمر أهل الأرض بالثناء عليه[6].

---

[1] –أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص 387–388.

[*] – ينظر السور الآتية: (النساء61، النساء65، الإسراء110، الأحزاب 33، الأحزاب61، الواقعو27).

[2]– سورة الإسراء، الآية: 12.

[3] – سورة الإسراء، الآية: 21.

[4] –سورة الأحزاب، الآية: 56.

[5]– ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص392.

[6]– المصدر نفسه، ص457.

وقد فرّق "أبو حيّان" بين التحيّة والسلام فقال:« التحية يكون ذلك دعاء، والسلام مخصوص»[1] لفظتا (تبديلا، تحويلا) أيضا من الفواصل التي صيغت على (تحويل)، فاللفظة الأولى (تبديلا) وردت في أربعة مواضع في القرآن الكريم[2]، بينما وردت اللفظة الثانية في ثلاثة مواضع منه فحسب[3]. والفرق بين (بدّل) و(حوّل) المضعفين أن (حوّل) بمعنى النقل من هيئة إلى أخرى أو من مكان إلى آخر أو من حال إلى حال كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[4]؛ أي أي لا يملكون تحويلا الضر إلى غيركم. أما (بدّل) الشيء بمعنى غيره تغييرا من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[5] أي أنك لن تجد لهذه السنة تغييرا، بل هي جارية كذلك دائما وأبدا[6].

يضاف إلى هذه الأمثلة أسماء أحداث وردت فواصل دون ألف الإطلاق التي لزمت الفواصل السابقة؛ من ذلك لفظة (تكذيب) في الآية التاسعة عشر (19) من سورة البروج ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴾، ولفظة (تقويم) في سورة التين الآية الرابعة (4) ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ولفظة (تضليل) في سورة الفيل الآية الثانية(2) ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾. وكذا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾[7]؛ فلفظة (تخسير) هنا مشتقة من الفعل (خسّر) المضعّف «وهذه الصيغة تحمل معنى ازدياد الخسران، ولا يمكن أن يقوم مكانها الخسران أو الخسارة»[8] لأن لفظة (تخسير) عبّرت عن كثرة الخسارة، فصالح (عليه السلام) يخاطب قومه: «إنْ اتبعتكم فيما أنتم

---

[1]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص230.

[2]–ينظر: الأحزاب، الآية: 62، فاطر، الآية: 43، الفتح، الآية: 23، الإنسان، الآية: 28.

[3]–ينظر: الإسراء، الآية: 56، الإسراء، الآية: 77، فاطر، الآية: 44.

[4]–سورة الإسراء، الآية: 56.

[5]–سورة فاطر، الآية: 43.

[6]–ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص559.

[7]–سورة هود، الآية: 63.

[8]–عماد عبد يحي: البنى والدلالات في لغة القصص القرآني –دراسة فنيّة، دار دجلة، الأردن، ط1، 2009، ص90.

عليه ودعوتموني إليه، لم أزدد إلا خسرانا في الدين، فأصير من الهالكين الخاسرين»[1] فهي تدل على الحدث وعلى القائمين بالحدث بدلالة عقلية، إذ هو الجوهر الذي يقوم عليه، بينما لفظ الخسارة بمعنى خسارة بعد خسارة، وهذا التّكرار فيه من المبالغة في الإحساس بالفقد الذي لا يجدي معه أيّ تعويض.

ب: صيغة استفعال:

وردت هذه الصّيغة مرة واحدة فاصلة في كل الخطاب القرآني، وهذا في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[2]؛ حيث دلّت الصيغة في هذا المقام على المبالغة في التكبّر، وإعراض قوم نوح عن دعوته (عليه السلام)، نظرا لعنادهم ومبالغتهم في تغشية وجوههم وتغطيتها لئلا يراهم نوح، وقد اختيرت هذه اللفظة بعناية فائقة تتناسب وتكرارهم للفعل، ومرافقة الفعل لمصدر دليل آخر على هذه المعاودة في الفعل والتأكيد عليه. واستكبر بمعنى تكبّر «والتكبّر: التعاظم على الناس، ورؤية الإنسان نفسه أعظم من غيره، وهو مذموم»[3]. وقد ذكرت هذه الصفة لكل من تجاوز حدّه وزاد في فعل التكبّر وطلبه مرة بعد مرة، لهذا جاء صفة لإبليس في قوله تعالى:﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾[4] من باب الخروج عن طاعة الله وحكم دينه، كما تحمل تحمل الكلمة دلالة احتقار لشأن هؤلاء الذين يطلبون التّكبّر ويستعجلونه وهو صفة شنيعة، لا يفترض بها أن تطلب.

ج: صيغة فِعّال:

جاءت هذه الصيغة مرتين في فواصل القرآن الكريم،إذ وقعت مصدرا بكسر الفاء وتشديد العين مع إضافة ألف الإطلاق، وهذا في سورة النّبأ في قوله تعالى على التوالي: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾، ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾[5]. اختلفت دلالة كذّابا الأولى

---

[1] -أبو حيان الأندلسي : المصدر السابق، ج5، ص240.

[2]- سورة نوح، الآية: 7.

[3]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص280.

[4]- سورة البقرة، الآية: 33.

[5]- سورة النبأ، الآيتان: 28-35.

عن الثانية؛ ففي الآية الثانية تعلق الكذب بنفيه لأن الموصوف هو الجنة، بأن «ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل كلام فيها سالم من النقص»[1]، وقد دلّت صيغة (فِعّال) هنا في السياقين على المبالغة في أنهم لا يسمعون الكذب بل يسمعون الكلام الصّادق فحسب ، أما في الآية الأولى فقد كان القصد المبالغة في الكذب دون نفي له «أي: تكذيبا مفرطا، ومجيء فعّال مصدرا من فَعّلَ كثير، شائع نائبا عن التفعيل الذي هو الأصل»[2]. واختيار هذه الصّيغة(فعّال) مردّه إلى معنى التّكرار الذي تحويه،لأنّ المبالغة تأتي لتحقيق أهداف نصّيّة أهمّها التّنويع الدّلاليّ.

و نلاحظ هنا أنّ المصدر (كذّابا) قد حلّ محلّ(تكذيبا)، وهذا لفصاحتها وقوّتها، قل بهذا الفراء: «و هي لغة يمانية فصيحة يقولون : كذّبته كِذّابا، وخرقت القميص خِرّاقا»[3]، وعلّق عليه لمبرّد قائلا: «و كان أصل هذا المصدر أن يكون فعّالا، كما قلت : أفعلت إفعالا، وزلزلت زلزالا، ولكنّه غُيّر لبيان أنّه ليس بملحق»[4] .

د: صيغة فُعْل :

وردت صيغة (فُعْلا) بضم الفاء وإسكان العين والمدّ وفق تفصيل الجدول الآتي:

السورة صيغة فُعْل	الكهف	مريم	طه	الذاريات	الطلاق	المرسلات	الشرح	العصر
عدد التكرارات	03	02	01	01	03	01	02	01

تكررت صيغة (فُعْل) أربع عشرة (14) مرة في النصف الأخير من القرآن

[1]–ابن كثير:المصدر السابق، ج8، ص308.

[2]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص286.

[3] –الفراء: معاني لقرآن، المصدر السابق، ج3، ص229.

[4]–المبرّد: المقتضب، المصدر السابق، ج2، ص101.

الكريم، بينما لم تظهر هذه الصيغة في النّصف الأول منه مطلقا، أكبرها نسبة تحققت في سورة الكهف بثلاثة تكرارات؛ وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾، وقوله: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾، وأيضا: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1]. فالمصادر (حسنا)، (رحما)، (صنعا) تصب جميعا في معاني الإحسان، والرحمة والتعطّف، ثم الصنعة على التوالي، وهي مصادر جيء بها على زنة (فُعْل) للدلالة على أسماء الحدث التي جاءت بحسب سياق الآية. فلفظة (حسْنا) فسّرت عند أبي حيّان (سجنا) وهو ما قال به الطّبري أيضا بمعنى « اتخاذ الحسن هو أسرهم مع كفرهم، يعني أنه خيّر مع كفرهم بين قتلهم وبين أسرهم»[2].

ومن هذه الصيغة نجد قوله تعالى:﴿ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[3]. جاءت بهذه الصيغة مرتين للدلالة على الخسران والهلاك كما مرّ معنا آنفا[4] في لفظة (تخسيرا). ومنه أيضا (يسرا) التي تكررت مرّتين أيضا في الآيتين الخامسة والسادسة على التوالي من سورة الشرح في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾. فالملاحظ في الآيتين أن كلمة (العسر) قد جاءت معرفة بالألف واللام في حين وردت لفظة (يسرا) دونهما أي نكرة. وقد فسر ابن كثير هذا العدول من التعريف إلى التنكير إنما مردّه إلى «أن العسر معرّف في الحالين، فهو مفرد، واليسر منكر فتعدّد»[5] ولهذا جاء الحديث المرفوع إلى النّبيّ ﷺ يحمل تفسيرا للآيتين الكريمتين، حيث إنّ الرّسول الكريم خرج يوما مسرورا فَرِحا وهو يضحك ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»[6] ثم تلا الآيتين السابقتين. أي لن يغلب الصعب السهل، وقد جاءت العسر هنا بمعنى الفقر

---

[1]–سورة الكهف، الآيات: 84، 80، 99

[2]– أبو حيان الأندلسي:المصدر السابق، ج6، ص152.

[3] – سورة العصر، الآية: 01.

[4]– ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص480.

[5]– المصدر السابق، ج8، ص432.

[6]– روي بإسناد المرسل عن النّبي ﷺ، رواه أبو عبد الله الحاكم النّيسابوري في المستدرك، على الصّحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990 /1411م، ج2 الحديث رقم [3950]، ص575.

والحاجة[1] ومثله قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2] أي بعد شدة الفقر الفرج والغنى. وقوله في سورة الطلاق أيضا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[3] .

كما جاءت لفظة (يسرا) بمعنى السهولة في سياق سورة الذاريات في قوله تعالى:

﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾[4]، فالجاريات هي «السفن تجري في الماء جريا سهلا »[5] كما عبر عن ذلك "البغوي" (ت 516هـ). ومما جاء على صيغة (فُعلا) لفظة (عرفا) في سورة المرسلات من الآية الأولى﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ ﴾. وقد فسّرت (عرفا) بمعنى أن الملائكة أرسلت بالعرف وهو ضد النّكر، أي الوحي. كما فسّرت المرسلات بمعنى الأنبياء و(عرفا) « إفضالا من الله تعالى على عباده »[6]. وتبقى الصيغة في كلا الحالتين دالة على الحدث المتكرر دائما.

وهكذا تستمر هذه الصيغة بالظهور في آيات أخر من الذكر الحكيم، كما في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[7]، فهي مصدر، قد يقال فيه (ودادا) أو مودّة) أو (ودّا)، وهي بمعنى أحبّه وتمناه[8]، وكذا ظهور لفظة (لدّا) في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[9]. فسّرها مجاهد بأنهم قوم لا يستقيمون، وقيل أنهم يسيرون عوجا عن الحق، وقال الحسن البصري بأنهم مصابون بالصّمم وهنا كناية عن

---

[1] – الشنقيطي: المرجع السابق، ص207.

[2] –سورة الطّلاق، الآية: 07.

[3] –سورة الطّلاق، الآية: 04.

[4]– سورة الذاريات، الآية:3.

[5]– البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: تفسير البغوي معالم التّنزيل، تح: محمد عبد الله النّمر، عثمان جمعة خيميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرّياض، (د.ط)، 1409ه، ج7، ص371.

[6]– أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص395.

[7] –سورة مريم، الآية: 97.

[8] –الشنقيطي: المرجع السابق، ص377.

[9]–سورة مريم، الآية:98.

انشغال قلوبهم[1].

والصّيغة ذاتها (فُعْل) وردت في سورة (طه) في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[2]، جاء في الحديث القدسي تفسير هذه الفاصلة: «يقول الله تعالى: وعزّتي وجلالي، لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم»[3].

هــ: صيغة فُعُل:

لم ترد هذه الصيغة الفاصلية مصدرا إلا ثلاث مرات في الخطاب القرآني، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾[4]. فنكرا في هذا المقام مصدر جيء به على وزن (فُعلا) وهو يقابل (فعولا) أي (نكورا) لأنهما بدلالة واحدة وهي بمعنى: جَهل الشيء ولم يعرفه في أصلها اللغوي، ولكنها هنا جاءت بمعنى عذابا شديدا فظيعا[5].

كما جاءت الكلمة نفسها في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾[6] أي (مُنْكراً) كما فسّرها البغوي[7] وهو المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾[8]. ومنه قوله تعالى: ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾[9] في سورة المرسلات، بمعنى إنذارا وهو مصدر.

و – صيغة فُعْلى:

وردت هذه الصيغة فاصلة مرّتين في الخطاب القرآني ، وذلك في قوله تعالى:

---

[1] –ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص269–270.
[2]–سورة طه، الآية:108.
[3] –رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم [2390].
[4]–سورة الطلاق، الآية: 08.
[5] –الشنقيطي: المرجع السابق، ص358.
[6] –سورة الكهف، الآية: 73.
[7] –البغوي: المصدر السابق، ج5، ص191.
[8] –سورة الكهف، الآية: 85.
[9] –سورة المرسلات، الآية:06.

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾[1] أي «المرجع في الآخرة»[2] وهو مصدر مشتق من الفعل (رجع) الدّال على الحركة الانتقالية الدّالة على الإياب، أو العودة سواء كانت مادية أو مجازية، جاء في اللسان أنه يدل على «العود إلى ما كان منه البدء»[3]. والألف في (الرجعى) جاءت للتأنيث «وفيه وعيد للطاغي المستغني، والتحقير لما هو فيه من حيث مآله إلى البعث والحساب والجزاء على طغيانه»[4].أما الكلمة الثانية فهي (العقبى) الواردة في سورة الشمس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥ ﴾[5]، فسرها الفراء بمعنى «ولم يخف عاقبة غفرها»[6] .

ز – صيغة فُعُول:

وردت هذه الصيغة سبع مرات فاصلة، مرّتين في فاطر، وثلاث مرات في سورة الملك، ومرة واحدة لكل من الأحزاب والنساء. قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[7]. والفاصلة هنا من صدّ يصُدّ بمعنى أعرض، وهي هنا مصدر متعد بحرف الجرّ، للدلالة على التكثير وقد جاء مكان صدّا القياسي[8].

ومن المصادر التي جاءت بهذه الصيغة أيضا كلمة شُكورا في قوله تعالى: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[9] ، وهو من باب التكثير في الشكر، لأنّ الأصل أن يكون الشّكر واحدا لا متعددا، وهنا نلتمس تجاوزا دلاليا من خلال الخروج من الحالة السكون في الشكر المفرد، إلى حالة الحركة في الشكر المتعدد، وهذا يتناسب مع تعدد النّعم التي

---

(1)–سورة العلق، الآية: 08.

(2) –البغوي: المصدر السابق، ج8، ص479.

(3)–لسان العرب، (مادة رجع).

(4)–أبو حيان الأندلسي:المصدر السابق، ج8، ص489.

(5)–سورة الشمس، الآية: 15.

(6)–الفراء: المصدر السابق، ج3، ص 270.

(7)–سورة النّساء، الآية: 60.

(8)–أبو حيان: المصدر السابق، ج3، ص293.

(9)–سورة الإنسان، الآية: 9.

لا يمكن حصرها، ويقابلها بالضرورة شكر لا يمكن حصره.

ح – صيغة فِعْلَال:

جاء المصدر مشتقا من الرباعي المضعف على وزن (فعلل) فاصلة مرة واحدة في الخطاب القرآني وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾[1]؛ إذ جاء المصدر بعد الفعل وهذا له قيمته الدلالية التي عبرت عنها عائشة عبد الرحمان بأنه تأكيد يلائم السياق، فحدث ما يشبه المزاوجة بين صيغة (فعلل) الدالة على تكرارية الحدث والعنف فيه، وبين دلالة الزلزال على الحركة العنيفة للأرض « وإضافة الزلزال إلى ضمير الأرض، متسق مع التلقائية الملحوظة في هذه الآية وما بعدها من إخراج الأرض أثقالها وتحدّثها أخبارها.

وفيها أيضا لفت إلى المعهود المعروف من الزلزلة» والزلزلة جاءت بمعنى تحركت الأرض من أسفلها واضطربت»[2].

ط– صيغة إفعال:

حملت هذه الصيغة لفظتين من فواصل الخطاب القرآني هما: إسرارا وإخراجا في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارًا ﴾[3] وقوله: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا ﴾[4]؛ فاللفظتان جاءتا للدلالة على تكرارية الفعل حتى الملل منه، فإسرارا من (أسَرَ) وهو من المتضاد، الذي يدل على الإظهار وعلى الإخفاء، وهنا جاءت بمعنى أخفى، أي بعدما أعلن الدّعوة ولم يستمعوا إليها، جعلها سرّا بينه وبينهم[5] وبينهم[5] وكرّره مرارا، أما (خرج) فهو من أفعال الحركة التي تعبر عن الانتقال من مكان إلى آخر، يقال: «خرج من الموضع والمنزل خروجا، من باب قعد: غادره إلى

---

(1)–سورة الزلزلة، الآية: 01.

(2) –عائشة عبد الرّحمن: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ج1، ص83.

(3) –ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص460.

(4) –سورة نوح، الآية: 09.

(5)–سورة نوح، الآية: 18.

غيره»[1].

ي – صيغة فَعْلا:

أكثر الصيغ المصدرية شيوعا في الخطاب القرآني، إذ تكررت هذه الصيغة 46 مرة، وقد توزعت بين السور القرآنية وفق الجدول التفصيلي الآتي:

السورة / فعلا	الكهف	مريم	طه	الصافات	الذاريات	الطور	الواقعة	الطلاق	المرسلات	النازعات	عبس	الطارق	الفجر	العاديات
عدد التكرارات	07	03	08	02	02	02	02	03	03	04	02	01	02	05

يقول تعالى في آيتين من سورة الطور: ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴾[2]؛ فأما لفظة (مَوْرًا) التي جاءت فاصلة مصدرية فقد عبرت عن تكرارية الفعل، وهي بمعنى تحرّك بسرعة؛ فسرت في السياق القرآني «بمعنى تضطرب، أو ترتجّ وهي في مكانها، أو تشقق»[3]. قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكا... وقال مجاهد: تدور دورا [4]. أما لفظة سيرا، فجاءت بمعنى تصير هباءً منبثا، وتنسف نسفا[5].

و في سورة الطارق جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾[6] أي فاصل بين الحق والباطل «فقد وصف القول بالمصدر وهو هنا بمعنى اسم فاعل (فاصل)،ولكنّ القرآن آثر التّعبير بالمصدر على التّعبير بالمشتق، لما في المصدر من الإطلاق والمبالغة،

---

(1)–ابن كثير: المصدر نفسه، ج8، ص232.

(2) –سورة الطور، الآيتان: 8–9

(3) –الشنقيطي: المصدر السابق، ص332

(4) –ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص430.

(5) –المصدر نفسه، ج7، ص431.

(6) –سورة الطارق، الآية: 13.

وكأنّه أراد أن يقول: إنّ هذا القول هو الفاصل الذي لا فاصل بعده وهو الفارق بين الحق والباطل في حسم وقطع لا يحتمل التّأويل والمحاكمة»[1]، فدلالة المبالغة هي محور هذه الصيغة، كما أنّها تعبّر على فكرة التمييز بين شيئين مختلفين حدّ التناقض، وهو المتحصّل من كلمة (فَصْلٌ)، فشتّان بين القول الصّادق، وقول الافتراء والكذب.

وتكررت الصيغة ثماني مرات[2] في سورة (طه)، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾[3]، للدلالة على كثرة القول وإعادته ، وكلما تكرر شرهم وجبروتهم ،كلما لم ينفعهم ذلك. وقوله تعالى﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ بمعنى لا يرون نفعا في دنياهم ولا في أخراهم»[4].

وجاءت في سورة العاديات خمس صيغ بهذا الوزن منها: ضبحا، قدحا، وصبحا. وهي جميعها اسم للحدث؛ فالضبح هو النفس المتردّد في الحنجرة دون خروج[5] «وهو مصدر مؤكد للعاديات... أو مصدر لفعل محذوف، أي تضبّح ضبحا»[6].

أما لفظة (قدحا) فقد فسّر الطّاهر بن عاشور القدح بمعنى «حكٌّ جسم على آخر يقدح نارا؛ يقال: قدح فأورى»[7] ونكتفي بهذا من التحليل ونوجه القارئ إلى المبحث الدلالي حيث وضحت ألفاظ من مثل (صبحا، نقعا، جمعا) توضيحا دقيقا بالشّرح المفصّل.

وتكررت الصيغة من جهة ثانية في سورة (عبس) مرتين في قوله تعالى:﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[8]؛ فلفظتا (صبّا، وشقّا) تدلان على المصدر بمعنى الشق والصّبُّ، وقد جاءتا بشكل تراتبي منظم فالصب أولا والشق ثانيا، واقترنا

---

[1]– لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، المرجع السابق، ص432.

[2]–ينظر: الآيات (87، 88، 95، 103، 104، 105، 106، 112).

[3]–سورة طه، الآية: 87.

[4]–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص311.

[5]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص439.

[6] –عبد القادر حسين: البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم (جزء عمّ)، دار غريب، القاهرة، 1998، ص141.

[7]–الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص440.

[8]–سورة عبس، الآيتان: 25–26.

معا؛ فأما الصّبُّ فهو نزول الماء دون انقطاع[1]، أما (شقّا) فمعناه «أسكناه فيها فدخل في تخومها وتخلّل في تخومها وتخلّل في أجزاء الحَبِّ المودع فيها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض»[2]، وقد عبّر بالمصدر في الصّيغتين من باب الحقيقة وليس من باب المجاز.

من الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [3] وقوله أيضا: ﴿ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ [4] ف (مدّا) جاءت للدلالة على استمرارية المدّ، أي «نطوّل له من العذاب الذي يعذّب له المستهزئون، أو نزيده من العذاب ونضاعف له المدد»[5]. بمعنى إطالة العذاب واستمراريته.

كما وظّف الخطاب القرآني لفظة (أزّا) في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [6]، اشتقت اللفظة من (أزّتِ) القدر إذا اشتد غليانها؛ والهزُّ هو التّحريك بشدّة كان أو خفيفا، وهو مخالف للأزّ الذي يعني «الإرجاع والتقليب مع الصوت الناتج من غليان القِدر»[7]. وقدّم للفظة المفسّرون جملة من التأويلات منها أنها تغويهم إغواء، أو تزعجهم إزعاجا[8]، وفسّرت أيضا بأنها تحرّكهم إلى الكفر ... أو تهيّجهم بالوساوس والتسويلات (التزينات) [9].

إن الخطاب القرآني من خلال هذه الأمثلة والنماذج من الصّور النفسية الإنسانية، يلجأ إلى المصادر طريقا تنظيميا في فواصل الآيات، إما بغرض التكثير، وإما بغرض التأكيد، وهذا ما لمسناه فيما تبقى من الأمثلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ

---

[1]-عبد القادر حسين: المرجع السابق، ص34.

[2] -ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص323-324.

[3]-سورة مريم، الآية:75.

[4]- سورة مريم، الآية: 80.

[5] -أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص301.

[6]- سورة مريم، الآية: 84.

[7]- كمال عبد العزيز إبراهيم: المرجع السابق، ص37.

[8]- ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص262.

[9]- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص203.

هَدًّا ﴾[1]، بمعنى هدما برواية ابن عباس، أو ينكسر بعضها على بعض متتابعات بمقولة بمقولة سعيد بن جبير[2]. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾[3] ولكنها ليست فاصلة إنما وردت في ثنايا الخطاب القرآني.

فالغرض من هذه المصادر إذن هو توكيد الفعل وتكراريته من خلال تشكيله بنائيا على صيغة المصدر، فهذه الفواصل تبدو من مادة مشتركة في صيغها ولكنها مختلفة دلاليا «والحق الذي لا مراء فيه في القرآن إنما كان لمعان جزلة، ومقاصد سنّية، واشتمل على أسرار ورموز من أحاط بها فقد أوتي في البلاغة مفاتيح الكنوز»[4].

ومما جاء على وزن (فَعْل) أيضا قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[5]؛ وقد وظّفت هذه الصيغة في (دكّا) و(صفّا) بغرض التأكيد، وقد تكررت الصيغة مرّتين لتفخيم أمرهما وتهويل ما يتبعهما[6]. فالدّك مشتق من الفعل (دكك)، يقال (دكّه) بمعنى: كسره حتى سوّاه بالأرض[7] ومنه قوله تعالى: ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾[8].

أما الصّفّ فمشتق من (صفف) من باب جعلته صفّا مرتّبا؛ بمعنى أن يكون الملك الواحد منهم بجانب الآخر، وهذا تأكيد على كثرتهم وانتظامهم. وقد فسّر الزمخشري (صفّا صفّا) أي «تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفّا بعد صفٍّ محدّثين بالجن والإنس»[9]. و(دكّا دكّا) بمعنى تكرّر عليهم الدّك، أي دكّا بعد دك أو دكّا فدكّا. فمن

---

[1]- سورة مريم، الآية: 91.

[2]- ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص266.

[3]- سورة الطور، الآية: 13.

[4] – شيخون، محمد السّيد: أسرار التّكرار في لغة القرآن، دار الهداية، القاهرة، (د.ط)، 1983م، ص49.

[5]- سورة الفجر، الآية: 21-22.

[6]- عبد المنعم السّيد حسين: ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، ط1، 1980، ص19.

[7]- الشنقيطي: المرجع السابق، ص82.

[8]- سورة الحاقة، الآية: 14.

[9]- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص466.

خلال التكرار يمكننا استنطاق دلالة التّتابع؛ لأنّ في الصّف نظاما يقوم على تتابع في الوقوف أو في الجلوس، وفي الدّك دلالة تتابع سقوط أشلاء الشّيء وأجزائه.

صيغة مَفْعَلة: كانت سورة البلد أكثر السور القرآنية توظيفا للمصدر على وزن مفعلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[1]، وهو يريد ذا قُربى ، وقد جاءت هذه الفاصلة على هذه الصيغة تناسبا من ناحيتها الإيقاعية مع (مسغبة)، وهذا لتقوية العلاقة الصّوتية بين الفاصلتين لاتحادهما شكليا. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[2] حيث جاءت (المرحمة) على وزن مفعلة بدل أن تكون على (فعلة) أي الرّحمة، وقد أرجع الأمر إلى الانسجام الصّوتي الواجب حصوله بين الفواصل و لتحقيق التّوافق الصّوتي بينها.

ونشير قبل أن نختم هذا المبحث إلى أنه توجد صيغ مصدرية أخرى لم نعرض إليها لقلّتها من ذلك الصيغ (فُعَل،فعّال،فِعال،منفعل،و تفعلة...) ، وهي أغلبها تجيء مصدرية، ولكن بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول ، أو للمبالغة نمثل لذلك بالفاصلة (هدى) في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[3] قال الفراء فيها جاءت بمعنى "هاديا" "هاديا" «فأجزأ المصدر من الهادي»[4]، وهو ما ذهب إليه الطبرسي (ت548هــ) بقوله بقوله : «أي أجد على النّار هاديا يدلّني على الطّريق»[5]، والأمثلة من هذا الباب كثيرة كثيرة لا يسع المقام لذكرها جميعا.

ثانيا: بنية المشتقات الواقعة فاصلة في الخطاب القرآني

يعدُّ الاشتقاق أحد الأعمدة الأساسية للغة العربية؛ فقد حافظ عليها وزاد في اتساع معجمها اللغوي، وطوّر عناصر الزيادة فيها وفي معانيها، وهو ركيزة بنائية صرفية

---

[1]-سورة البلد، الآية 15.

[2]- سورة البلد، الآية: 17.

[3]-سورة طه، الآية: 10.

[4]-الفراء: معاني القرآن، المصدر السابق، ج2، ص 175.

[5]-الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل(ق6هــ): مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح: إبراهيم شمس الدّين،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،ط1 ، 1997م، ج7، ص5.

حظيت بعناية واهتمام بالغين من طرف أئمة اللغة، الذين وضحوا مفهوم الاشتقاق، متوسعين في أغراضه الدلالية، من خلال توليد المعنى عن طريق التغيرّ الحاصل على مستوى المبنى؛ ولن نكرر ما جاء به الدارسون من جوانب نظرية وتشعبات في وجهات النظر، إنّما سنتواصل مباشرة مع الفواصل القرآنية المشتقة ودلالتها في الخطاب القرآني، فالحديث عن تعريف الاشتقاق وأنواع وصيغه قد فصل فيها الكثير من الدارسين[1].

كما هناك من الدارسين مع وسع الحديث في فكرة الأصل والفرع[2] وبسط أدلة الفريقين من الكوفة والبصرة، ونحن في غنى عنها، وإنما تركيزنا سينصب على المشتقات التي على معنى وذات أو شيء أكثر[3]، وهي اسم الفاعل، اسم المفعول والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل وأسماء الزمان والمكان واسم الآلة؛ وهي جميعا تستلهم دلالاتها من الصيّغ الصرفية التي تبنى عليها، وهي في الخطاب القرآني شهدت تحولات مكثفة من حيث دلالتها وهذا ما سنقف عليه بالتفصيل في النماذج الاشتقاقية المحللة في هذه الدراسة.

أ-**اسم المفعول الواقع فاصلة في الخطاب القرآني**

جاء في تعريف الزمخشري لاسم المفعول أنه «الجاري على يفعَلْ من فعله نحو مضروب لأن أصله مُفْعل ومُكرم ومنطلق به ومستخرَج ومُدحرج»[4] وهو من المشتقات التي تصاغ من فعل لمن وقع عليه، يصاغ من الثلاثي على مفعول، ومن

---

[1]-للتفصيل في الجوانب النظرية للاشتقاق يُنظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي: الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنّة المحمدية، 1985، ج1، ص62 وما بعدها.

-ابن السّراج، أبوبكر محمد: الاشتقاق، تح: محمّد الصالح التكريتي، ط1، ص31-32. =

=-ابن جنّي: الخصائص، ج2، ص138/ ابن عصفور: الممتع في التصريف، ج1، ص41

-شهرازاد بن يونس: المشتقات في سورة الكهف دراسة دلالية، رسالة ماجستير نوقشت سنة 2003م بجامعة منتوري قسنطينة.

[2]-نحن نطمئن إلى رأي الكوفيين بأنّ الفعل أصل المشتقات، ولا مجال لنا هنا لدخول بوابة الصراع بين الفريقين، ينظر المزهر، ج1، ص349-350.

[3]-عباس حسن: المرجع السابق، ج3، ص182.

[4]-ابن يعيش: شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، ج6، ص80.

غيره على صيغة المضارع بميم مضمومة وفتح ما قبل الآخر[1]؛ فمن الثلاثي مثل: منصور، معروف، مقول (أصلها مقوول).

اسم الفاعل يدل إذن على الذي يقع عليه الفعل حدوثا لا ثبوتا، يصاغ من المتعدّي واللّازم على السواء، ولكن يشترط في المتعدّي أن يكون بحرف جرّ أو بظرف أو مصدر مخصص، نحو مدخول عليه، وممرور تحته، ومسير إليه[2]. ومن خصائصه أنه كباقي المشتقات يعمل عمل الفعل.

قال المازني: «وإذا كان الاسم مفعولا وفي أوله الميم كان على مثل (يُفْعل) إذا قلت «هو يخاف، ويقال في بيعه، ويقام للناس»وذلك قولك «هو مُخاف، ومقال في بيعه، ومقام للناس»[3]. وقد ينوب من (مفعول) من الثلاثي أوزان أخرى مثل (فعيل) جريح بمعنى مجروح، وفِعْلٌ مثل ذِبْحٌ بمعنى مذبوح، وفعول مثل: حلوب يعني محلوبة.

لقد ظهر اسم المفعول في خواتيم الآيات القرآنية فاصلة تذيّلها، إذ بلغ عدد هذا المشتق بكل صيغه مائتين وواحد وعشرين (221) اسما، توزّعت على السور القرآنية، كما اختفت تماما في بعضها الآخر مثل: (النساء، المائدة، الجمعة، النبأ، إبراهيم، الحديد، وغيرها...)[*] وسيحاول البحث في هذا المبحث أن يسلط الضوء على أهم الدلالات التي يمكن استنباطها من هذه الصّيغ الاشتقاقية، قصد إيجاد أواصر الرّبط بين هذا المشتق وغيره من المشتقات.

فمادة (فَعَل)، من باب (فتح) بمعنى (عمل)[4]، و(مفعولا) مشتقة من مادة

---

[1]–ابن الحاجب: الكافية في النحو، شرح الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص203.

[2]–بلقاسم بلّعرج: لغة القرآن الكريم، ص115.

[3]–ابن جنّي أبو الفتح عثمان: المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1954، ج1، ص270–271.

[*]– السور التي غاب اسم المفعول في فواصلها هي: الفاتحة، آل عمران، إبراهيم، النحل، الكهف، النّور، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، فاطر، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الرحمن، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم، الملك، الحاقة، نوح، الجنّ، النّبأ، الذاريات، الطارق، الأعلى، وبقية السور القصار.

[4]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص 250.

(ف.ع.ل)، وهي كلمة عامة لكل فعل يفعل؛ مما جعل موضوعها هنا دقيقا، متناسبا مع الطّرح الدلالي للآية الكريمة؛ فهذه الفاصلة « فيها توكيد للتهديد يناسب طبيعة اليهود، كما أنّ الفعل (كان) في الآية يدل على الزمن العام [متناسبا مع دلالة الفعل على حدث عام][1]، إذ لا يمكن صرفه للماضي وحده أو للمستقبل وحده، وإنما يستغرق جميع الأزمنة»[2]. فهذه الكلمة غير قابلة للحلول مكان كلمة أخرى (معمولا) مثلا لأن هذه الكلمة غير قابلة للحلول مكان كلمة أخرى لأن (معمولا) تستعمل لما كان مع امتداد الزّمان مرّة واحدة وبسرعة.

تجدر الإشارة إلى أن لفظة (مفعولا) قد تكررت في آيات أخرى منها قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾[3]،وقوله: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ﴾[4] وكذلك قال: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[5]؛ فسّرت (مفعولا) في الآية الخامسة من الإسراء بمعنى «قضاء كائنا لا خلف فيه»[6].

أما آية الأنفال: ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ فقد جاءت بمعنى «موجودا متحققا واقعا»[7] في الحاضر، و نرى أنّ فلفظة (مفعولا) على وزن (مفعول) قد تشرّبت الدلالة الدلالة على الأزمنة الثلاثة من خلالها دلالة لفظها على العموم، وهي تقنية دقيقة وظّفت في سبيل الترابط الدلالي بين الفاصلة والعناصر اللغوية التي تتصل بها.

من الأمثلة أيضا في هذا السياق قوله تعالى: ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾[8]في سورة القلم، وقوله أيضا: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[9] وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[1]، يلاحظ

---

[1]–ما بين المعقوفين هو زيادة لنا اقتضاها المقام.

[2]–الزمخشري: المصدر السابق، ج1، ص532.

[3]–سورة الأنفال، الآية: 42.

[4]–سورة الإسراء، الآية: 05.

[5]–سورة الإسراء، الآية: 107.

[6]–البغوي: المصدر السابق، ج5، ص79.

[7]– أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج4، ص496.

[8]–سورة القلم، الآية: 06.

[9]–سورة القلم، الآية: 02.

المتصفح لهذه الآيات الكريمات أن الألفاظ جاءت على صيغة (مفعول)؛ فالمجنون عبرت عن موقف الرسول ﷺ من نسبة الجنون إليه، وقد وقع عليه الفعل، وهي مشتقة من الفعل (جنّ) مبنيا للمجهول فهو مجنون بمعنى«ذهب عقله بسبب إصابة من الجن»[2] وقد نفى المولى عز وجل نسبة هذه الصفة إلى رسوله الكريم لأنّه منزّه عن ذلك، كما اتصلت الكلمة بالباء وهذا للزيادة في إثبات نفي الجنون.

وهذا رأيناه في هذا الموضع من القرآن ، وفي مواضع أخرى مثل قوله:﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]، فهو ينفي هذه الصفة ويخاطبه بأن له لأجرا ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ وقد فسر ابن كثير لفظة (ممنون) المصاغة على مفعول بمعنى غير مقطوع أي «لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد»[4]، ومثلها في سورة هود بالدلالة نفسها: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[5]، ومثله أيضا: ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾[6].

1/ما جاء على صيغة مفعول:

وردت صيغة (مفعول) من الثلاثي المجرد الصحيح السالم في أغلب النماذج الفاصلية المدروسة، وقد توزعت بنسب متفاوتة بين السور، وقد وصل الإحصاء الإجمالي لها في الخطاب القرآني إلى 120 مائة وعشرين مشتقا تفصّلها في الجدول الآتي:

---

[1]–سورة القلم، الآية: 06.

[2]– الشنقيطي: المصدر السابق، ص43./ ينظر(المجنون) في القلم: 51 أيضا: الصّافات: 36

[3] –سورة التكوير، الآية: 22.

[4] – ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص188. أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص303.

[5] – سورة هود، الآية: 108. ينظر أيضا: لفظة مجنون بسورة الحجر، الآية: 06.

[6] –سورة هود، الآية: 109.

السورة / مفعول	عدد التكرارات
النساء	06
الأنعام	01
الأنفال	01
هود	08
الحجر	07
الإسراء	21
الحج	01
الفرقان	05
الشعراء	03
الأحزاب	04
يس	01
الصافات	08
الجاثية	01
الطور	08
الواقعة	14
الصف	01
القلم	05
المعارج	03
المزمل	01
المدثر	01
الإنسان	03
المطففين	04
الانشقاق	03
البروج	03
الغاشية	04
التين	01
القارعة	02

يحيلنا الجدول على نسب متفاوتة لعدد تواتر اسم المفعول في فواصل الآيات القرآنية، فقد سجّلت أعلى نسبة في سورة الإسراء، متلوّة بالواقعة، كما سجّل البحث أن أغلب هذه الصفات الدالة على اسم الهدف ذكرت معها موصوفاتها كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

فمن الألفاظ المكررة مثلا لفظة (معروف) التي وردت في سورة النساء؛ إذ يقول تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[2]، ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[3]، فقد ارتبط اسم الفاعل (معروفا) بموصوفه (قولا) «ومادام المعروف صفة لكل سلوك حسن مادّيا أو

---

[1] –سورة الغاشية، الآيات: 13–16.

[2] –سورة النساء، الآية: 05.

[3] –سورة النساء، الآية: 08.

معنويا، فقد لجأ القرآن هنا إلى التعبير عن اسم جامد بآخر مشتق يشتمل على صفة من صفاته»[1] حيث إن هذه المزاوجة بين (جامد/ مشتق) طرفي المعادلة قد حقق الانسجام والتلاحم بين الصفة والموصوف. ويفسر المعروف بأنه «ما عرفه الشرع وأذن في فعله»[2] وهو قد جاء بدلالة الخير والطاعة كما في قوله تعالى:﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾[3]، وقد فسّر بأنه العدّة الحسنة، وكذلك ما يؤنس به من دعاء وغيره[4]، وقيل قولا ليّنا تطيب به أنفسهم[5].

في سياق آخر وجدنا توظيفا لكلمة (مفعولا) فاصلة، وهي كلمة مطابقة لصيغة (مفعول)، وهو نمط تجريبي مميز خدم سياق الآية الكريمة:﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[6].

وفي السياق نفسه نجد سورة التين بقوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[7] أي غير ممنوع وغير مقطوع، أي محسوب يَمُنُّ به عليهم[8]؛ وقد جاء في الصّحاح أن (منّ) بالتضعيف تأتي بمعنى القطع والنقص[9]؛ وقد رأى أحد الدّارسين المحدثين أن اللفظة الفاصلة (ممنون) في سورة التين قد حملت صيغتها الدلالات الآتية[10]:

-الدلالة على الشمول والعموم؛ لأن اللفظة شملت وعمّت جميع أجور الأعمال الحسنة.

-الدلالة على المبالغة، من حيث إعطاء الأجور بغير منّة.

-الدّلالة على الاستمرار، وهذا المعنى يتفق مع صفة الخلود في الجنة .

---

(1)-بلقاسم بلعرج: لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الرّبع الأول، ص122.

(2)-الشنقيطي: المرجع السابق، ص205.

(3) -سورة محمد، الآية: 220.

(4) -أبو حيان: المصدر السابق، ج3، ص185.

(5) -البغوي: المصدر السابق، ج2، ص165.

(6) -سورة النساء، الآية: 46.

(7) -سورة التّين، الآية: 06.

(8)-أبو حيّان: المصدر السابق، ج8، ص486.

(9) -الجوهري: الصحاح، مادة: (م ن ن)، ج2، ص 1612.

(10)-العيداني (جلال الدين يوسف): دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار، ص74.

كما وردت لفظة (المفتون) في قوله تعالى:﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾[1]، وقد جاءت على وزن (مفعول)، وهي من الفعل (فتن) الذي يعني الاستمالة، ويقال: فُتن في دينه وافتتن: مال عنه، والفتنة هي المحنة والابتلاء[2]. فسّرت في هذه الآية بمعنى الجنون[3] على أنها مصدر، وهو ما قال به صاحب اللسان الذي رأى بقوله: «"**المفتون**" الفتنة صيغ على لفظ المفعول كالمعقول والمجلود»[4] إلا أننا نخالف هذا الرأي ونرى أنه اسم مفعول للدلالة على الشخص الذي فتن بالجنون، قال ابن كثير: «ومعنى المفتون ظاهر، أي: الذي افتتن عن الحق وضلّ عنه»[5].

و الملاحظ أنّ صفة اسم المفعول قد تدل على اسم الفاعل في بعض آيات الذّكر الحكيم ، كما وردت لفظة (مستورا) بمعنى (ساترا) في قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[6]، وقد علل الأخفش(215هــ) ذلك بأنّ من خصائص العربية العدول من صيغة إلى صيغة أخرى، وذلك: «لأن الفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول: إنّك مشؤوم علينا وميمون، وإنّما هو شائم ويامن؛ لأنّه من شأمهم ويمنهم، والحجاب ههنا هو الساتر، وقال مستورا»[7]، وإننا نشاطر الأخفش فيما فيما ذهب إليه، وهذا لأنّ الحجاب جماد يكون ساترا بفعل فاعل، ولا يكون مستورا بنفسه، وبهذا نخالف وجهة النّظر القائلة بخلاف هذا، ويتزعمها السّهيلي(ت 581هــ)، الذي رأى أنّ مستورا جاءت بصيغته الأصلية؛ أي مستورا عن العيون لا يحسّ به أحد، والمعنى مستور عنك وعنهم[8].

1- ما جاء على مُفْعَلْ:

---

[1] -سورة القلم، الآية: 6.

[2] -الشنقيطي: المرجع السابق، ص238.

[3] -المرجع نفسه، ص240.

[4] -ابن منظور: لسان العرب، مادة (فتن).

[5] -ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص190.

[6] -سورة الإسراء، الآية 45.

[7] -الأخفش: معاني القرآن، ج2، ص 391.

[8] -ينظر العنبكي: المرجع السابق، ص34.

احتلت صيغة (مفعل) الرتبة الثانية من حيث إحصاء فواصل القرآن الكريم التي جاءت اسما للمفعول، وقد تواردت ستّا وسبعين مرّة، احتلت فيها سورة الصافات الصدارة إذ بلغ تعدادها سبع عشرة (17) فاصلة جاءت بهذا الوزن، تليها كل من الشعراء ويس بعشر فواصل، ثم باقي السور بتواتر أقل بكثير، والجدول الموالي يوضح هذا الإحصاء:

السورة / مفعَل	عدد التكرارات
البقرة	01
آل عمران	01
الأنعام	01
يوسف	01
الحجر	05
الأعراف	02
الأنفال	01
يونس	01
هود	02
الأنبياء	02
المؤمنون	02
الشعراء	10
النمل	04
القصص	03

السورة / مفعَل	عدد التكرارات
سبأ	01
يس	10
الصافات	17
ص	01
الدخان	03
الجاثية	02
الطور	01
الواقعة	01
القلم	01
المعارج	01
الهمزة	02

تكرّر لفظ (المخلَصين) وهو جمع (مُفعَل) من (مُخلَص) وذلك في الآيات الآتية:

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1]، كما ورد في سورة الصافات مرة: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[2]، كما جاءت في سورة (ص)، في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[4].

ب- اسم التفضيل الواقع فاصلة في الخطاب القرآني.

احتكم الخطاب القرآني في بناء فواصله إلى جملة من أسماء التفصيل المذيلة في آخر الآيات القرآنية، وهو نمط من أنماط عدم إثبات على حال، ففي كل سورة تتناوب الأسماء والأفعال في تشكيل البناء الكلي للنص نظما وجودة في السبك وحسنا في الوصف. عرّفه ابن الحاجب «اسم التفضيل ما اشتق من فعل لموصوف بزيادة على غيره وهو أفعل»[5].

أجمع الدارسون أن قياسه يصاغ من الثلاثي غير مزيد فيه مما ليس بلون ولا عيب « لا يقال في أجاب وانطلق ولا في سَمِرَ وعَوِرَ هو أجور منه وأطلق ولا أسمر وأعور، ولكن يتوصل إلى التفضيل في نحو هذه الأفعال بأن يصاغ أفعل مما يصاغ منه، ثم يميز بمصادرها كقولك هو أجود منه جوابا وأسرع انطلاقا وأشد سمرة وأقبح عورا»[6]. وهو اسم مبني على (أفعل) للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر فيها، سواء أكانت هذه الزيادة تفصيلا، نحو: أجمل وأحسن وأعظم أم تنقيصا، نحو: أرذل وأقبح.

ولاسم التفضيل معنيان «أحدهما إثبات زيادة الفضل للموصوف على غيره، والثاني: إثبات كل الفضل له»[7] وهذا تثبيتا للمشاركة بين المفضل والمفضل عليه، والصيغة القياسية هي (أفعل) ولم يشد عنها في العربية غير ثلاثة ألفاظ أتت دون همزة

---

[1]-سورة يوسف، الآية:24.

[2]-سورة الصافات، الآية: 40. وقد تكررت في السورة نفسها في الآيات (74، 128، 160، 169)

[3]-سورة ص، الآية: 72.

[4]-سورة الحجر، الآية: 40.

[5]-ابن الحاجب: الكافية في النحو، ج2، ص212.

[6]-الزمخشري: المفصّل في علم العربية، ص201.

[7]-السكاكي: مفتاح العلوم، ص25.

وهي: (خير، شرّ، حبّ)، حذفت همزتها لكثرة الاستعمال من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾[1]، وقوله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف»[2].

وقال الأحوص:

وزَادَتْني كلفًا بالحُبِّ أن مُنِعَتْ وحَبٌّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا

وأشار الزمخشري إلى أن اسم التفضيل تعتور حالتان متضادتان وهي: لزوم التنكير عند مصاحبة (مِن) ولزوم التعريف عند مفارقتها[3] مثال ذلك الله أكبر (حذفت من)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ أي أخفى من السرّ.

وقول الفرزدق:

إنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَىَ لَنَاَ بيْتاً دَعائِمُهُ أعزُّ وأطْـــــولُ

وردت هذه الصيغة – حسب إحصاءات بلقاسم بلعرج[*]– مائة وإحدى وثمانين اسما (181) في الربع الأول من القرآن الكريم بينما أحصينا خمسة وعشرين اسما منه وقع فاصلة قرآنية فحسب.

وبعد عملية الإحصاء– من خلال استقصائنا لأسماء التفضيل في القرآن الكريم– توصّلنا إلى تقسيمها إلى قسمين، قسم جاء محلّى بالألف واللام، وقسم ما جاء مجرّدا منها.

---

[1]–سورة البقرة، الآية: 221.

[2]– رواه مسلم في صحيحه، ينظر: مسلم بن الحجّاج أبو الحسن القشيري النّيسابوري: صحيح مسلم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب القدر، باب في الأمر،ج4،ص2052،رقم الحديث [2664].

[3]–الزمخشري: المصدر السّابق،، ص نفسها.

[*]ينظر :بلقاسم بلعرج: المرجع السابق، ص301. -

1- اسم التفضيل المحلى بـــ (ال):

جاء بنسبة قليلة إذا ما قورن بنظيره، وقد ورد هذا النوع من أسماء التفضيل في أواخر الآيات بالترتيب الآتي:

- ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: 67]
- ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النجم: 7]
- ﴿ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: 40]
- ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: 24]
- ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: 01]
- ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ [الأعلى: 11]
- ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ [الغاشية: 24].
- ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ [الليل: 15] .
- ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ الليل: 17].
- ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: 20].
- ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: 3].

الملاحظ بدءا أن صيغ التفضيل لم ترد إلا في السّور القصار، لتزيد في حسنها، وتزيد من جودة السّبك، لأن هذه السّور تتميّز آياتها بالدّقة في الوصف، ففي قوله تعالى مثلا: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ جاءت لفظة (الأكرم) هنا بزيادة في الفضل للموصوف وهو المولى عز وجل إذ «جاءت أداة على معنى المبالغة؛ لأن المتّصف بهذه الصفة (صفة فعل الذات) هو الذي لا يلحقه نقص في كرمه، فكرمه يزيد على كل كرم. فهو الأعظم

كرما»[1]. فهي بدلالة اسم الفاعل بمعنى (المُكْرِم) الذي لا ينفذ كرمه في كل الأزمنة.

وقد وردت مرة واحدة فحسب، بينما نجد لفظة (الأعلى) تتكرر أربع مرات، جاءت على وزن (أفعل)، تدل على شرف مكانة المولى عز وجل « ومعناه أعلى من أن يقاس به أو يعبّر بغيره»[2]، فاللفظة تحمل معنى القدرة المطلقة؛ لأن الأعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه، وهو القاهر لكل أحد[3]. هذا ينطبق على آيتي سورة الأعلى وسورة الليل بينما لفظة (الأعلى) في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[4] جاءت على لسان فرعون الذي كفر بديانة الإسلام وادّعى الربوبية، وبأنه الأكثر علوا ومجدا في قومه.

فخيط الوصل بين (الأكرم) و(الأعلى) قوي إذا ما كان وصفا لله عز وجل، وسرعان ما تتلاشى دلالته على الأفضلية في (الأعلى) عندما تلبس اللفظة السخرية والاحتقار كما في سورة النّازعات.

في سورة الليل تصادف القارئ كلمتان متضادتان هما (الأشقى) و(الأتقى) على التوالي وقد جاءتا للتفضيل في قوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[5] تصور لنا هذه الآيات صورتين لشخصيتين مختلفتين، قال الزمخشري[*] أن الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشتركين وعظيم من المؤمنين (قيل أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر الصديق) بغرض المبالغة في صفتيهما المتناقضتين؛ فوظفت الفاصلة (الأشقى) وجعل الشقاء مختصا بالمشرك دون غيره.

---

[1]-العيداني، جلال الدين يوسف: دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار، دار الرّاية، عمان، ط1، 2010، ص96.

[2]-الأصفهاني: المفردات، مادة (علا)، ص582-583.

[3]-الطّبري: المصدر السّابق، ج10، ص605.

[4]-النازعات: 24.

[5]-سورة الليل، الآيات: 14-18.

[*] الزّمخشري:الكشاف، ج4، ص609.

والشقي ضد السعيد، وهنا جاءت للتفضيل للدلالة على الزائد في الشقاوة[1]، وتفارقها لفظة (الأتقى) للدلالة على المؤمن الذي سيزحزح عن النار وهو الزائد في التقوى والنقاوة؛ أي التقي النقي[2]. وتسير دلالة (الأشقى) في سورة الأعلى في هذا السياق إذ يقول عز مقامه: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾[3] أي «المبالغ في الشقاوة، لأن الكافر بالرسول ﷺ هو أشقى الكفار كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممّن آمن برسول قبله»[4].

وجاء الفاصلة معرفة أيضا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[5] بمعنى الأوفر[6] كما شرحها ابن الكثير، أما أبو حيان فقال: «وعيد للكافر ووعد للمؤمن، ومنتهى الشيء غايته، وما يصل إليه»[7]؛ فالجزاء الأوفى لا ينتهي، من خصائصه الدّوام والتمام يقال «أوفى وأوفاه حقه: دفعه له وافيا»[8].

2- أسماء التفضيل المجردة من (ال)

أما في الصنف الثاني من أسماء التفضيل فقد جاءت مجرد من التعريف، وردت بنسبة أقل من ذلك: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[9]، فصيغة (أدنى)في هذا المقام استعملت لإثبات المختبر عنه ونفي ما زاد عليه[10]، فالدنو هو القرب، وجاءت هنا بمعنى أقل؛ والمقصود أن اقتراب جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ كان أقل من القوسين إذا مدّا، ولا يمكن أن يزيدا عن ذلك، قال عنها أبو حيان«أي: ذا مسافة مقدارا أصبع (أو أدنى)

---

[1]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص148.
[2]-ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص422.
[3]-سورة الأعلى، الآية: 11.
[4]-أبو حيان الأندلسي : المصدر السابق، ج8، ص454.
[5]-سورة النجم، الآية: 40.
[6]-ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص465.
[7]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص165.
[8]- الشّنقيطي: المرجع السابق، ص388.
[9]-سورة النجم، الآية: 9.
[10]- ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص446.

على تقديركم»[1].

وحضر اسم التفضيل في سورة طه بالكلمة (أبقى) التي تكررت أربع مرات في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[3]. وقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[4]وفي آية أخرى من السورة نفسها: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[5].

وجاءت في سورة الأعلى أيضا بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[6]؛ نلاحظ من هذه النماذج أن الفاصلة (أبقى) سبقت دائما اسم تفضيل آخر قد يكون (خير) أو أشد؛ وهذا التتالي بين اسمين للتفضيل يزيد من قوة الحدث ودوامه. والمشتق (أبقى) أخذ من (فِعل)، يقال بقي الشيء يبقى، من باب تعِب، بقاء: دام وثبت»[7]، ومنه (فأبقى) بمعنى أثبت وأدوم، حيث وصفت الرزق وهو باق لأنه عطاء ربّاني، والله باق لأنه الخالق وهو مبقي العذاب إلى يوم القيامة لمن يستحقه، والآخرة دائمة ثابتة لا مناص من إنكار دوامها. ومنه فإن اختيار صيغة التفضيل، إنما كانت لخصوصية اقتضاها المقام، وهو ضرب من ضروب البيان. فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ جاءت لسان من آمن بموسى ضد فرعون ورأى أن الله هو خير الباقين عطاء أي«أدوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا»[8].

وجاء من باب التفضيل أيضا في سورة طه قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[9] فلفظة (أخفى) على وزن (أفعل) للدلالة على السرّ وعلى ما هو أخفى

(1)– أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص155.
(2) –سورة طه، الآية: 70.
(3)–سورة طه، الآية: 72.
(4)–سورة طه، الآية: 125.
(5)–سورة طه، الآية: 130.
(6)–سورة الأعلى، الآية: 17.
(7) –الشنقيطي: المرجع السابق، ص387.
(8)–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص305.
(9)– سورة طه، الآية: 06.

وأكثر إخفاء من السرّ، قال الضّحاك: «السرّ: ما تحدّث به نفسك، وأخفى: ما لم تحدّث به نفسك بعد»[1]، فمعرفة الإنسان محدودة بمعرفته لأسراره التي تكون اليوم، وكلنه جاهل لا محالة لما سيسرّه غدًا، في حين أن المولى عز وجل عالم بهما جميعا ولا تخفى عليه خافية، وفي هذا يقول أبو حيان: «والظاهر أنّ (أخفى) اسم تفضيل أي: وأخفى من السّتر»[2].

كما ورد في سورة المعارج قوله تعالى: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾[3] في وصف جهنم وعذابها إذ ورد لفظ (فأوعى) على وزن (أفعل) للتفضيل، وهي من أوعى المتاع أي جعله في الوعاء، والمقصود من هذه الآية «أنه جمع المال فأوعاه، أي: أدخله في وعائه، ولم يتصدق منه»[4]. وهذا من باب المبالغة في الإخفاء، وتفضيل جعله كنزا على صرفه في وجوه الخير.

ج – أسماء الزمان والمكان في الفواصل القرآنية

استخدمت الصيغ الصرفية الدالة على اسمي الزمان والمكان بفنية عالية في الخطاب القرآني، وقد أسبغت دلالاتها بحسب السياق، وقد تنوعت الصيغ الدالة على أسماء الزمان والمكان، منها ما جاء على مِفعل ومنها ما جاء (مفعل) أو على (فُعُل) أو مفعال.

1-ما جاء على مَفْعِل:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾[5] وردت هذه اللفظة بعدّة احتمالات، رأى أبو حيان أنها مصدرا[6] مصدرا[6] وفسّرت أنها مصدر ميمي في هذا الموطن بالذات ومعناها أن يكون بين

---

(1)–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص275.

(2)– أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج7، ص 313.

(3)–سورة المعارج، الآية: 18.

(4)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص387.

(5)–سورة طه، الآية: 85.

(6)–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص249.

موسى عليه السلام وقومه وعدا لا يخلف، ويفسر هذا الآية السابقة لهذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾[1].

وهذا يختلف عن (موعدا) الواردة في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾[2] بمعنى ميعاد ومواسم للزمان. فسرها أبو حيان بقوله: «وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما»[3]، ونلاحظ هذا تلك المزاوجة الدلالية بالإضافة إلى المزاوجة الصرفية بين (مُفْعل) في مهلكهم) وبين مفعل في (موعدا)؛ وهو لون من الحلول الدلالي من خلال تشرب الصيغة الثانية لدلالة الصيغة الأولى فالمهلك هو مكان أو زمان إهلاكهم وموعدا سيتصل بهذا السياق من خلال جزء منه والعلاقة تأثير وتأثير .

وقوله أيضا في الكهف: ﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴾[4]، وبمعنى واد في جهنم كما ورد عن أنس بن مالك[5] وهو بذلك اسم مكان من وبق يبق، وبوقا بمعنى هلك «والموبق، مثل مسجد، مكان الوبوق، أي الهلاك »[6] .

من الصيغ التي جاءت على (مفعِل) بكسر العين لفظة (مقيلا) في قوله تعالى: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴾[7] جاء عند أحد الدارسين أن هذه الفاصلة احتملت أن تكون مصدرا ميميا أو اسم زمان أو اسم مكان؛ واعتبره ضربا من ضروب اتساع الدلالة في الخطاب القرآني[8]، إلا أننا نرى غير هذا فهو عندنا اسم مكان ويؤيد هذا التوافق الدلالي بين لفظتي: [مستقرا ومقيلا]؛ فالمستقر هو مكان الاستقرار في أكثر الأوقات، بينما المقيل فهو المكان الذي يأوي إليه أهل الجنة

---

(1) –سورة طه، الآية: 84.

(2)–سورة الكهف، الآية: 58.

(3)–أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج6، ص133.

(4)–سورة الكهف، الآية: 51.

(5)–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص170.

(6)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص372.

(7)–سورة الفرقان، الآية: 24.

(8)–المنجد، محمد نور الدين: اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010، ص177.

للاستروواح والتمتع[1]، وأضاف الألوسي على هذا بأنه سمّي على هذا بأنه سمّي بهذا الاسم لأن التمتّع بالألواح يكون وقت القيلولة غالبا[2]؛ فهذا المكان هو أحسنها للسعداء في الآخرة، إذ المكان المتخير لهم للقيلولة هو أطيب الأماكن لهذا ارتبط لفظ (المقيل) بالحسن (أحسن) للتدليل على مستوى الفرح في الآخرة دون الدنيا، لهذا سمّيت الجنة (الحسنى)، والحسن: الجمال وكمال الشيء وتمامه[3]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾[4].

ومن أسماء الزمان والمكان أيضا نجد لفظتان (مرفقا) و(مسجدا) بصيغة (مفعل) في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾[5]وقوله: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾[6].

اشتقت لفظة (مرفقا) من (رفق)، والرفق ضد العنف، والرفيق المرافق في السفر وغيره. أما المرفق: المفصل بين الذراع والعضد[7]، ويجمع على مرافق. وقد ذكرت وقرئت هذه الكلمة بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ آخرون بكسر الميم وفتح (الفاء) (مرفقا) قال أبو حاتم (المرفق) بفتح الميم الموضع كالمسجد[8]. لأن التهيئة في (ويهيئ لكم ترتبط بالمكان، فهو فعل مكاني نقول هيأت المكان. وهناك من رأى أن مصدر من الرفق ورأى أهل الحجاز أن يدل على الاتفاق[9]. وكذا كلمة (مسجدا) في الآية الثانية الدالة على مكان السجود.

ويدخل في سياق هذه الأبنية لفظة (موبقا) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم

---

[1]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص452.

[2]–الألوسي: المصدر السابق، ج17، ص195.

[3]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص53.

[4]–سورة آل عمران، الآية: 14.

[5]–سورة الكهف، الآية: 16.

[6]– سورة الكهف، الآية: 21.

[7] – الشنقيطي: المرجع السابق، 102.

[8]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص103.

[9]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص103.

مَّوۡبِقٗا ﴾[1] وكذا لفظة (مصرفا) في قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴾ أي « ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولابد لهم منها»[2]، فهم في ضياع دائم لا يعرفون أيّ سبيل يهتدون به، ولو عرفوا طريق القرآن لما تشتّتت بهم السُّبل.

- **ما جاء على مُفْتَعَل:**

خرجت بعض الصيغ الاشتقاقية الدالة على اسمي الزمان والمكان من صيغة (مَفعَل)،و (مَفْعَل) إلى صيغة (مفتعل)، وردت في فاصلة (مرتفقا) في قوله تعالى: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾[3] وقوله أيضا: ﴿ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾[4]، وظفت الكلمة هنا في جملتين متضادتين :

- ﴿ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾
- ﴿ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾

الكلمة في السياقين مشتقة من ارتفق فلان: اتكأ على مِرفق يده مرتفقا. «والمرتفق أيضا: المكان الذي يرتفق فيه أي: يتكأ فيه، ومنه جاءت دلالة الكلمة في الآيتين فسرها ابن عباس بمعنى المنزل، وفسرت بمعنى المقرّ، وقيل: المجلس وقال "ابن الأنباري" بحسب ما رواه "أبو حيان" قوله : «ساءت مطلبا للرفق، لأن من طلب رفقا من جهنم عدمه»[5]. فبعد أن تحدّث المولى عز وجل عن أهل النار وعذابهم في جهنم، وعد في مقابل هذا أهل الجنة وقد حسُن مجلس المؤمنين فيها ومقامهم، وعليه فكلا الكلمتين تدلان على اسم المكان. الأولى منهما ارتبطت بالنار فقد «ساءت منزل ومثيلا ومجتمعا وموضعا الارتفاق» والاستقرار والمقام، بينما ارتبطت الثانية بحسن المقام ونعم الثواب. وضمن هذا السياق نجد لفظة ملتحدا في قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ

[1]– سورة الكهف، الآية: 51.
[2]– ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص171.
[3]– سورة الكهف، الآية: 29.
[4]– سورة الكهف، الآية: 31.
[5]– أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص116.

أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[1] فسرت (ملتحدا) عن مجاهد بمعنى [ملجأ] [2] أي مكان اللجوء. ومكان اللجوء عادة لا يكون الاستقرار الدائم الثابت، وإنما من خصائصه التغيير. وقد وردت هذه الكلمة بهذا المعنى أيضا في سورة الجن إذ يقول عز مقامه. ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[3] وقد فسرت هنا بمعنى لا وليّ ولا موئل، أي لا ملجأ، وقيل لا نصير ولا ملجأ[4]؛ أي لا مأوى لهم.

2- ما جاء على (مَفْعَل):

دلّت صيغة (مَفْعَل) الواردة في فواصل الخطاب القرآني في أسماء الأمكنة في أغلب سياقاتها؛ وهي في دلالتها تعبّر عن هذا صرفيا كما أقرّ بذلك اللغويون إذ تصاغ من الفعل الثلاثي المجرد إذا كان مضارعه مفتوحا.

يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾[5] فالفاصلة (المرعى) دلّت على موضع ومكان الرّعي[6] «فالمرعى تدل على معنى الظرفية، وتعني المكان الذي يتم فيه الرّعي، وعند دخول السابقة (ال) عليها منحتها معنى التعريف، حتى يُصبح المرعى معهود ذهنيا للسامع بكل ما توحي إليه اللفظة من دلالة»[7] عكس ما ذهب إليه ابن كثير من أنه جميع صفوف الزروع والنباتات[8].

وإن كان هذا الرأي لا يمكن ردّه من باب أن الآية الموالية﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾[9] يمكن النظر إليها باعتبارها وصفا للمكان، أو وصفا للزرع نفسه بأنه أصبح هشيما

---

[1]-سورة الكهف، الآية: 27.

[2]-ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص151.و ينظر أيضا: الشنقيطي: المرجع السابق، ص 303.

[3]-سورة الجن، الآية: 22.

[4]-ابن كثير: المصدر نفسه، ج8، ص245.

[5]-سورة الأعلى، الآية: 04.

[6]-الأصفهاني: المرجع السّابق، ص357.

[7]-العيداني، جلال الدين يوسف: المرجع السابق، ص102.

[8]-ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص379.

[9]-سورة الأعلى، الآية: 05.

متغيرا. فسّره ابن عباس أنه أضحى أسودا ومتعفنا بعد إصابته بالمطر[1]، كما ذهب بعض المفسّرين إلى دلالة الفاصلة على «فعل الإنبات»[2]، إلا أننا نؤكد على دلالتها على المكان وقد أحالنا السّياق على ذلك. وهي من الكلمات ذات الاتساع الدّلاليّ لهذا اختلف حولها المفسّرون.

ولا تزال الفواصل الدالة على المكان ظاهرة في الآيات الكريمة على صيغة (مفعل) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[3] دلت الفاصلة مخرجا على اسم المكان أي الخروج، جاء في الصحاح «خرج خروجا حسنا وهو بمعنى اسم المكان»[4]، نقول: «خرج من الموضع والمنزل خروجا بمعنى غادره إلى غيره»[5]. من من ذلك قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[6]، و"المخرج" جاءت بمعنى الخلاص وفُسِّرت أنها المخْلَصُ[7]. بمعنى الفرج، أو المنفذ المؤدي إلى الخلاص من الآلام التي تحيط بالإنسان في الحياة الدنيا، وهو خلاص من شبهاتها، ومن غمرات الموت ومن شدائد القيامة، إنّه إخراج من الظلمة إلى النور، ويفتح له باب الفرج .

إنّ الكلمة هنا تدل على الانتقال المجازي في فضاء مكاني من حالة الشدّة والعسر، إلى حالة الفرج واليسر، وقد تمثلت هذه الدلالة في توظيف الرسول ﷺ لهذه اللفظة بهذه الدلالة في حديث له بقوله: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[8]؛ ففي اللفظة نجد الدلالة على الانتقال من الشدة إلى الرخاء، وقيل من النار إلى الجنة، وقيل من العقوبة إلى

---

[1]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص453.

[2]–الزمخشري: المصدر السابق، الكشاف، ج4، ص243، الطبري: التبيان، ج10، ص329.

[3]–سورة الطلاق، الآية: 02.

[4]– الجوهري:الصحاح: ج1، ص287.

[5]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص65.

[6]–سورة القصص، الآية: 20.

[7]–الشنقيطي: المرجع نفسه، ص66.

[8]– رواه أحمد في المسند: ينظر:أحمد أبو عبد الله بن حنبل الشّيباني: مسند أحمد، مؤسّسة قرطبة، ج1، ص248، الحديث رقم[2234].

الثواب[1]، فما اتسعت بذلك دلالتها من الضد، إلى الضد، من الأدني إلى الأعلى.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا ﴾[2]

● **ما جاء على مِفْعَال:**

لم ترد هذه الصيغة في فواصل الخطاب القرآني إلا مرة واحدة في سورة النبأ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾[3] من الرصد، وهو بمعنى الطريق الذي يمر منه من تنظره لتوقع به المكروه[4]، جاءت على وزن (مفعال) في قوله تعالى: ﴿ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [5].

وقال مقاتل: بمعنى «مجلسا للأعداء وممرا للأولياء»[6]، والمرصاد اسم مكان كالمضمار، وهو موضع ترصد فيه خزّانة النار الكفار ليعذبوهم كما قال الألوسي[7]. ونتفّق ونتفّق معه في هذا المذهب لأنّ الآية تصوّر لنا حال الكافرين في مثواهم الأخير وهم يتعذّبون.

●**–ما جاء على فُعُل:**

جاء في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾[8]، وردت هذه اللفظة في هذه الآية اسما للمكان في مستواها الصرفي بمعنى «موضع النزول»، وقد دلّ في أصله على مكان النزول، أما في المستوى المعجمي فهو اسم لما يعدّ من القِرى للضيوف النازلين، وإطلاق اسم النزول على العذاب استعارة على سبيل التهكم بهم وهو

---

[1]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص279.

[2]–سورة التوبة، الآية: 57.

[3]–سورة النبأ، الآية: 21.

[4]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص99.

[5]– سورة التوبة، الآية:5.

[6]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص405.

[7]–الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبط وتصحيح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ج29–30، ص213.

[8]–سورة الكهف، الآية: 98.

رأي الحالبي. ورأى ابن كثير أنه قد أعد الله لهم جهنم يوم القيامة منزلا[1]. وقد تكررت اللفظة مرة أخرى للدلالة على منزل المؤمنين وهي الجنة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾[2] بمعنى موضع النزول[3].

د- صيغ المبالغة الواقعة فاصلة في الخطاب القرآني

تعدّ صيغة المبالغة من أكثر المحمولات غير الفعلية انتشارا بشكل انتظامي عبر فواصل الخطاب القرآني، ومردّ ذلك إلى أن الوصف ظاهرة توضيحية لهيئة الشيء أو عدده أو كيفيته لهذا عرّفت الصفة العامة بأنها «كلمة تلي الأسماء لتنعتها أو حالها أو هيئتها أو عددها»[4]. أما صيغ المبالغة فهي صفة اسم الفاعل الأصلية وقد حولت إلى صيغة أخرى، للدلالة على التنكير في الحدث أو المبالغة فيه، أشهر صيغها القياسية، فَعَّالْ، ومِفْعَالْ، وفَعُولْ، وفَعِيلْ، وفَعِلٌ بقلة[*]. يقول ابن مالك:

فعّال أو مفعال أو فعول *** في كثرة عن فاعل بديل

فيستحق ماله من عمــل *** وفي فعيل قلّ ذاو فَعِلُ

وعبر عن دلالة هذه الصفة على المبالغة بسيبويه إذ يقول: «وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه، إذا كان على بناء فاعل؛ لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل إلا أنه يريد أن يحدّث عن المبالغة»[5] بينما جعلها المبرّد (ت685هـ) للتكثير، وقد توقف عند (فعيل) واعتبرها اسم فاعل من الفعل الذي لا

---

[1]-ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص201.

[2]-سورة الكهف، الآية: 102.

[3]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج6، ص157.

[4]-نادية العميري: تركيب الصّفات في اللّغة العربية -دراسة مقارنة جديدة- دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص17.

[*]-يُنظر: ابن عصفور، علي عبد المؤمن (ت669هـ): المقرّب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبّوري، ج2، ج1، 1972، ص142. ابن يعيش، موفق الدين(ت643هـ): شرح المفصل، عالك الكتب، بيروت، ج6، ص70.

[5]-سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص110.

يتعدى[1]، كما اعتبر هذه الصيغة مشتقة من (فَعُلَ) نحو أكرم فهو كريم وشرُقَ فهو شريف.

ونقل "السيوطي" عن "ابن خالويه" أن لصيغ المبالغة اثني عشر بناء. يقول: «العرب تبنى أسماء المبالغة على اثني عشر بناء، فَعالٌ كفساق، وفُعُلٌ كغُد، وفعال كغدّار، وفَعُولْ كـــ "غَدُور"، مِفْعِيلْ كـــ "مِعْطِيرْ، ومِفْعَالْ كـــ "مِعْطَار"، وفعلة كهمزة لمزة، وفَعُولَة كـــ "مَلُولَة"، وفَعَّالَة كـــ"عَلاَّمَة"، وفَاعِلَة كـــ"رَاوِيَة" وخَائِنَة، وفَعَّالَة كـــ"بَقَّاقَة" للكثير الكلام ومِفْعَالَةٌ كـــ"مِجْزَامَة"»[2].

إلاّ أنّ ما تقدم به السيوطي من تعداد لهذه الصيغ لم نجد لها مكانا بين فواصل الخطاب القرآني، إنما استأثرت (صيغة فعيل) بحصة أكبر، مع صيغتي فعّال، وفعْل وفعول، وقليل منه فُعلة؛ إذ تنتشر هذه الصيغ الخمس بشكل لافت، ومنه فقد أحصت الدراسة تكرارا لصيغ المبالغة التي وقعت فاصلة قرآنية فوجدتها تكررت ثمان مائة وخمس عشرة مرة (815)، منها ما جاء في وصف الله عز وجل التي تكررت (460) أربع مائة وستين مرة، ومنها ما جاء وصفا لغير الله وبلغ عدده ثلاث مائة وخمس وخمسين مرة (355) ، وسنعرض منها نماذج تحليلية في الآتي من الدّراسة.

د- صيغ المبالغة الواقعة فاصلة في القرآن الكريم

1- ما جاء على صيغة فعيل :

تشهد هذه الصيغة تعددا في المعنى الوظيفي لها؛ فهي صيغة يمكن أن تأتي للواحد، كما يمكن أن تأتي للجمع، والمفرد قد يكون جامدا أو مشتقا، والجامد قد يكون اسم ذات نحو (سبيل) أو اسم معنى كالمصادر؛ ولكن خلافا للشائع عند الدارسين وجدنا هذه الصيغة كفاصلة قرآنية إما أنها تجيء اسما من أسماء الله الحسنى، أو وصفا لغيره

---

[1] -المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص114.

[2]-السيوطي: المزهر، ج2، ص243.

تعالى، وهذا وفق التحليل المثبت أدناه.

● -**ما جاء اسما من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته:**

لفظة رحيم:

جاءت معرفة وغير معرّفة، وقد وصف بها المولى عز وجل في أكثر من موطن في خواتيم الآيات التي ذُيّلت بصيغة (فعيل) «والرحمة لغة: الرقة والانعطاف، ومنه اشتقاق الرّحم، وهي البطن لانعطافها على الجنين، وعلى هذا يكون وصفه تعالى بالرحمة مجازا عن إنعامه على عباده، كالمِلك إذا عطف على رعّيته أصابهم خيره (...) ويكون هذا التقدير صفة فعل، لا صفة ذات»[1].

إن ما يقال عن صفة (الرحيم) يقال عن صفة (الرّحمن) التي لازمتها في عدّة مواطن من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة: آية 2)، أو البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]. وقد رأى ابن قتيبة (ت 276) أن لفظتي ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ «هما صفتان مبنيتان من الرّحمة»[3] جاءا على وزن (فعلان/ فعيل) على التوالي، وقد بنيتا من أصل واحد لمعنى واحد هو المبالغة.

وبما أن الرحمة تقتضي الرّقة والإحسان إلى المرحوم، وعندما يوصف بها المولى عز وجل فالمراد بها الإحسان المجرد دون الرقّة، لهذا «فالرحمة من الله تعالى إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقّة وتعطّف»[4].

فرّق بين اللفظين الكثير من الدارسين والمفسرين؛ فقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: «الرحمان: ذو الرحمة، والرحيم: الراحم. وقيل إنه قال: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، والرحمن اسم خاص، والرحيم اسم عام، فلذلك قدّم الرحمن على الرحيم

---

(1)-ابن عادل الدّمشقي، أبو حفص عمر بن علي (ت880هـ): اللّباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص146.

(2) -سورة البقرة، الآية: 162

(3) -ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم: تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1978، ص6.

(4)-ابن عادل الدّمشقي: المصدر السابق، ج1، ص147.

فقيل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولذلك قيل رجل رحيم، ولم يقل: رحمن»[1]؛ ودليل هذا وصفه ﷺ بالرحيم دون الرحمن في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وهو رأي أبي هلال العسكري الذي رأى أن لفظة الرحمن أرق من لفظة الرحيم وأبلغ في المعنى[3]، وهي اسم وصفة في الآن ذاته إذا تعلقت بالمولى عز وجل دون خلقه، بينما تستقل (فعيل) للتدليل على عموم البشر[4].

و يفاضل ابن سيدة بين الصيغتين، فيرى أن ما جاء على وزن (فَعلان) أشدّ مبالغة من (فعيل)، ولهذا أقرّ بعدم جواز الجمع بين الاسمين إلا لله عز وجل. وبناء (فعلان) في كلام العرب يأتي للمبالغة، فيقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان. «ف (الرحمان) صيغة جاءت بها اللغة للدلالة على التكثير والتكبير، وللدلالة على ما يصدر عن تلك الصفة من رحمات متجددات ومتعاطفات مستمرات»[5] لهذا جاءت اسما من أسماء الله عز وجل، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[6]، وقوله أيضا: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[7]،وأيضا: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[8].

بينما تدل لفظة (الرحيم) على الوصف الثابت الملازم للمولى عز وجل الذي لا يمكن فصله عن (الرحمن) وقد رأى الألوسي أن هذا اللفظ يرتبط بالآخرة وليس بالدنيا

---

[1]–الزّجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: اشتقاق أسماء الله، تحقيق عبد الحسين المبارك، دار الفكر، دمشق، 2009، ط1، ص41.

[2] –سورة التوبة، الآية: 129.

[3]–أبو هلال العسكري: الفروق في اللّغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط7، 1991م، ص 189–190.

[4]–حجازي، لواء مهندس علي سعد: النّور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 2008، ص23.

[5]–كشك، عبد الحميد: أسماء الله الحسنى: معناها، فضلها، والدعاء بها، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ص42.

[6] –سورة طه، الآية: 04.

[7] –سورة الرحمن، الآية: 01.

[8] –سورة الإسراء: 109.

«إذ النعيم الأخروية غير متناهية وإن خصّت المؤمن»[1]؛ بينما رأى أن لفظة (الرحمن) أكثر شساعة دلاليا عندما قام بتقطيع لفونيماتها إذ يقول: «فالألف الظاهرة والراء إشارة إلى العلم والإرادة والقدرة والحاء والميم والنون إشارة إلى الكلام والسمع والبصر...»[2] والبصر...»[2] إلا أننا نخالفه الرأي فيما ذهب إليه، فكل المعاجم اللغوية تشير إلى دلالة الإنعام والعطاء، وهو ما لمسناه في الأمثلة الآتية من الآيات القرآنية ضمن الجدول الموالي:

جدول رقم (26): لفظة "الرحيم" فاصلة قرآنية

السورة	الشاهد	الآية
الفاتحة	﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	02
البقرة	﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	53
	﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	127
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	142
	﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	159
	﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	162
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	172
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	181
	﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	191
	﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	198
	﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	216
	﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	224

ارتبطت الرحمة في هذه المواضع من القرآن الكريم إما بالتوبة، أو بالرأفة، أو بالمغفرة؛ فالله عز وجل لا يمكن أن يكون منعما ومحسنا على عباده إلا إذا كان

---

[1] –الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج1، ص62.

[2]–المصدر نفسه، ج1، ص64.

توابا أو رؤوفا أو غفورا، لهذا اتصف لفظ (الرحيم) المتصل ببقية الأوصاف بالتمام كما عبّر عن ذلك أبو حامد الغزالي في قوله: «أما تمامها: فمن حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين؛ قضاها. وأما عمومها؛ فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمّ الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجية عنها؛ فهو الرحيم المطلق حقا»[1]؛ ومنه تتجلى لنا دلالة الكبرياء والهيبة والسلطان والتدبير[2].

أما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾،فسّرها أبو حيان بقوله: «أي للطف رأفته وسعة رحمته نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكم وأنفع»[3] فقد تضمن تحليله معنى السعة المطلقة للفظ (الرحيم) وهذه الرحمة شاملة لكل الناس وليست مقصورة على المؤمنين فحسب كما نوّه إلى ذلك بعض الدّارسين[4] الذين ربطوا الرحمان للعالمين كافة، وتوجهت رحيم بالرحمة الفاصلة لبعض خلّصه دون غيرهم في مقابل هذا نوّه تمام حسان بأن لفظ «الرحمن يحمل دلالة على الألوهية وإن لفظ الرحيم يحمل دلالة على الربوبية»[5] في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، إلا أننا نرد عليه بأن كلا اللفظتين متصلتين بالألوهية والربوبية على السواء، وإلا كيف تفسر قوله تعالى في الفاتحة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

فلفظة الرحمان الرحيم ربطت بالألوهية وكذا بالتوحيد أو الوحدانية كما أطلق عليها عبد الله صولة[6] كما ربطت بالتربوية، وقد قال بهذا التوحيدي في زمانه معلقا

---

[1]– الغزالي، أبو حامد: المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص61.

[2] – الزّميتي (محمد عبد المجيد): أسماء الله الحسنى ومرادفاتها وتأويلاتها باللّغتين العربية والانجليزية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 1998م، ص8.

[3]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص601.

[4]–ينظر: محمد الصالح الصدّيق: البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص24/ أنظر أيضا: حسن الترابي: التفسير التوحيدي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج1، ص ص 34-35.

[5]–تمام حسّان: البيان في روائع القرآن، ج2، ص339/ انظر أيضا: تمام حسّان: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006م، ص76.

[6]–عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ج2، 2007، ص215.

على لفظة الرحمان بقوله: «وتميزت الكلمة اسما لله الذي لا كفوء له ربا راحما بالخلق والحياة والهداية، وإلهاً معبودا وملكا ليوم الدّين وصفة له لا تنسب إلى راحم أو رحيم سواه»[1].

غير أننا نرى غير هذا من منطلق أن اللفظتين (الرحمان/ الرحيم) إذا جاءتا متلازمتين فهما تتصلان دلاليا بالتأشير على الألوهية أو الربوبية المطلقة، كما تجسد في سورتي الفاتحة والبقرة بينما يتجه لفظ (الرحيم) إلى تخصيص دلالته كلما اقترن بلفظ ثان دلّ على التوبة، أو المغفرة أو الرأفة كما هي حال الآيات المتبقيات من الجدول السابق. لهذا السبب اعتبر الزمخشري لفظ "الرحيم" تابعا للفظ "الرحمن" للتوكيد والتدقيق؛ لأن الوصف الأول هو الأبلغ، والثاني هو دونه إذ يقول: «فإن قلت لم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس الترقّي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نِحْريرٌ، وشجاع باسل، وجواد فيّاض. قلت: لما قال الرحمن فتتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمّة والرّديف ليتناول ما دقّ منها ولطف»[2].

ورأى أبو عبيدة غير هذا، فجعل من لفظتي (الرحمن الرحيم) من باب المجاز، وأنهما مترادفتان بقوله: «الرحمن مجازه "ذو الرحمة"، والرحيم " مجازه "التراحم"، وقد يقدّرون اللفظين من لفظ واحد والمعنى واحد، وذلك لاتساع الكلام عندهم، وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا: "ندمان ونديم "»[3].

لفظة الحكيم:

وردت هذه اللفظة في الخطاب القرآني اسما من أسماء الله الحسنى ولم ترد في وصف غيره من المخلوقات كما حدث مع ألفاظ سابقة، وقد تكررت الكلمة كفاصلة سبعين 70 مرة إلا واحدا، وهي نسبة لا يستهان بها أمام تواتر وتكرارية ألفاظ غير هذه، وهذا لأنّ الحكمة مخصوصة بالمولى ﷻ لا يشاركه فيها غيره من المخلوقات،

---

[1]-حسن الترابي: المرجع نفسه، ج1، ص34.

[2]-الزمخشري: المصدر السابق، ج1، ص 6-7.

[3]-أبو عبيدة، معمر بن المثنى: مجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص21.

لهذا جاءت بمعنى «الحاكم المتقن»[1] وهي دلالة محورية تحدد فيها دلالة القوة والعطاء.

وقد فسرت بمعنى: «الذي لا خلل في جميع أفعاله، بل جميعها متقن جار على وفق علمه وإرادته، شاهد له بكمال وحدانيته وألوهيته»[2] ولفظة الحكيم تختلف عن الحَكم لأن هذه الأخيرة تعني«الحاكم المُحكِم، والقاضي، المسلّم حكمه، والذي لا رادّ لحكمه، ولا معقّب لقضائه، لا يخرج شيء عن قضائه وقدره»[3]، فالله يعلم كل شيء وله الحكمة والعدل التام فهذا العدل المطلق نظمه في سورة البقرة إذ يقول عز وجل: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[4] أي «العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء»[5].

فقد اعترف الملائكة بإحاطة المولى عز وجل بالعلم «ثم نسبوا إلى الله العلم والحكمة، وناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لأنه المتصل به... ولأن الحكمة إنما هي آثار العلم وناشئة عنه...» [6].

من أقوال المفسرين والدارسين السابقين تبين لنا أن الدلالة الأولى ارتبطت بصفة مفعل لأن النص يحيلنا على القوة بينما ارتبطت الصيغة الثانية بالضعف.

إنّ المولى عز وجل وصف نفسه بالحكمة «لإتقان أفعاله واتساعها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض»[7] من جهة، والدلالة الثانية أنّها صفة ذاتٍ إذا دلّت على أنه ذو الحكمة من جهة ثانية. ويرى "ابن فارس" أنّ الحكمة تمنع من الجهل[8] ، لأنّ الحكمة دليل العلم والإحاطة بخبايا الأمور، لهذا يوظّف القرآن الكريم في خواتيم آياته لفظتي

---

[1]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص56.

[2]–السنوسي الحسني: المرجع السابق، ص46.

[3]–الزّميتي: المرجع السابق، ص14.

[4] –سورة البقرة، الآية: 31.

[5]–ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص225.

[6]–أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص 297–298.

[7]–ينظر مثلا: الرّازي، أبو بكر: مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، تح: محمود خاطر بك، 1981، (د.ط)، ص238.

[8] –ابن فارس، أبو الحسن أحمد: مجمل اللغة، مادّة (ح ك م) ، ص246.

(العليم / الحكيم) توظيفا تلازميا كما هو مبيّن في الآتي:

السورة / عليم/حكيم	البقرة	النساء	الأنفال	التوبة	يوسف	الحج	النور	الأحزاب	الحجرات	المجموع
عدد التكرارات	01	08	01	06	01	01	02	01	01	22 مرة

سجّلت دراستنا الإحصائية لهذه الثّنائية (عليم/حكيم) تواترا قُدّر بـ اثنين وعشرين تكرارا، جاءت الصّدارة فيها لسورتي النساء والتّوبة؛ ففي السّورة الثّانية مثلا كرّرت ستّ مرّات، وهذا يتناسب مع موضوع السورة التي جاءت فواصلها بين مجالين اثنين؛ إمّا الدّلالة على وصف الذّات، وإمّا الدّلالة على وصف العمل، وهما تترابطان مع سياق الآيات ضمن خط تسلسلي عام يتناسب و مضمون السّورة الذي يقدّم لنا صورة من صور نقض العهد لدى المشركين الذين تبرّأ اللّه منهم، وانقطعت عصمته، ورفع الأمان عنهم، قال الطّبرسيّ فيها: «والمعنى تبرّؤا ممّن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فإنّ الله ورسوله بريئان منهم»[1]، وهذا لأنّهم نقضوا العهد، فخُيّروا بين التّوحيد بالله ومن ثمّ تكون التّوبة عليهم، وإمّا الإقامة على الشّرك فيكون جزاؤهم الخِزي والخُسران في الدّنيا والآخرة. فاختيار هذه الفاصلة المزدوجة يتناسب وحكمة المولى عزّ وجلّ في إعطائهم مهلة للتّفكير كي يختاروا طريقهم، وعليه يتم حسابهم إمّا بالثّواب، وإمّا بالعقاب.

---

[1]-الطّبرسي: المصدر السّابق، ج5 ، ص5.

و في سورة النّساء مثلا تحقّقت أكبر نسبة لورود هنا التّتابع بين العليم والحكيم(*) والسؤال هنا لماذا ؟ ببساطة لأن سياق الآيات يدور في فلك الحديث عن قضايا مصيرية كما في الآية الحادية عشر من النساء حيث يجيء ترتيب (العليم/ الحكيم) وفق علاقة منظمة وهي تقسيم الميراث على الورثة لكلّ من الذّكر والأنثى، وهذا وفق شروط اجتماعية ونفسية واقتصادية محدّدة. فهذه الحكمة الرّبانية لا تتحقّق إلّا بالعلم، لهذا روعي في الفاصلة هذا التّرتيب المنطقيّ؛ باختيار دقيق للفظ (الحكيم) في ذيل الآية، فهذه الحكمة هي نتيجة طبيعية لمطلق العلم بخفايا الأنفس الذي يتّصف به المولى عزّو جل .

أما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[1] بدأت الآية بذكر وتخصيص الفئة الإنسانية التي تجب فيها التوبة، وهي على الذين يرتكبون المعاصي وهم يجهلونها، ثم يستعجلون التوبة ولا يستكبرون، هؤلاء فقط يتوب الله عليهم، وهذا جزاء يقدمه (الحكيم) لعباده الذين أحاط بما يجيش في خواطرهم، ومن هنا كان الترتيب بدءا بالعلم ثم الحكمة ترتيبا منطقيا وعملية تنظيمية تأليفية مناسبة.

كما وردت صفة (العزيز) سابقة لصفة (الحكيم) في مواقع كثيرة من القرآن الكريم إذ تكررت اثنتين وأربعين 42 مرّة، وقد فسّر "أحمد مختار عمر" هذا التّتابع لغرض «أن يحقق تقديم صفة (العزيز) فائدة عامة هي البدء بصفة الذات (العزيز) وتأخير صفة الأفعال (الحكيم)، كما يحقق فائدة خاصة في بعض الآيات وهي كون الحكيم فاصلة تماثل الفواصل قبلها»[2]. ونوافقه الرّأي في كون (العزيز) أحقّ بالسّبق لأنّ العزّة صفة ثابتة، يوصف بها الله تعالى دون خلقه، بينما كلمة (الحكيم) يتّصف بها اللّه كما يتّصف بها الإنسان؛ وعليه كان الأولى البدء بالوصف الخاصّ، ثمّ الانتقال إلى الوصف العامّ وهذا قد تناسب مع مضامين الآيات القرآنية التي تضمّنت الكلمتين،

(*)-ينظر الآيات: (11، 17، 24، 26، 91، 103، 169، 110)

(1)- سورة النساء، الآية: 17.

(2)-أحمد مختار عمر: المرجع السابق، ص129.

ونفصّل عدد تكرارات(العزيز/ الحكيم) في الآتي:

عزيز حكيم / السورة	عدد التكرارات	عزيز حكيم / السورة	عدد التكرارات
البقرة	6	الزمر	1
آل عمران	2	غافر	1
النساء	3	الشورى	1
المائدة	2	الجاثية	2
الأنفال	3	الأحقاف	1
التوبة	2	الفتح	2
إبراهيم	1	الحديد	1
النحل	1	الحشر	2
النمل	1	الممتحنة	1
العنكبوت	2	الصف	1
لقمان	1	الجمعة	2
سبأ	1	التغابن	1
المجموع	42		

كما تجدر الإشارة إلى أن لفظة (الحميد) سبقت بلفظة (التّواب) أيضا في سورة النّور مرة واحدة يقول تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[1] في

[1]- سورة النور، الآية: 10.

سياق الحديث عن شهادة الزّور بين الزوجين في باب الخيانة الزوجية في حالة تعسر إقامة البيّنة على أحد الزّوجين، فأمر المولى ﷻ أن يلاعن الزوج زوجته، وتبرئ نفسها بالشهادة أربع مرات أنه من الكاذبين ويغضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثمّ اختتمت الآية باللّطف بعباده ورأفته بهم بعد الشدة والضيق، ولو بعد الحلف والأيمان المغلّظة فهو بذلك «حكيم فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه»[1] وأنّ هذا من رحمة الله على عباده أن يتوب عليهم وهو عدله المطلق، فالغاية من الشّهادة في هذا المقام هي تبرئة المخطئ من خطئه عن طريق التّوبة إلى الله وهذه هي الحكمة التي يجب أن تذيّل بها الآية.

لفظة الحليم:

الحِلم بكسر الفاء الأناة والعقل، يقال هو (حليم) بمعنى الذي يصفَح عن الذنوب ويسترها[2]، فهي صفة ربّانية، وردت في كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [3]، وقد دلّت هذه اللفظة على «العقل الذي يصنع به تكليف العبادات، ويحضّ عليها»[4]؛ لهذا عندما يوصف الإنسان بالحِلم، ففي هذه الحالة يجب أن يكون ضابطا لنفسه حالة الغضب، وأن يكون من الذين يعوّدونها على الصفح والعفو «ومعالجة الأمور في تؤدة واتزان، ودرء السيئة بالحسنة، واحتمال المكروه في تصبّر وتجلّد...» [5].يفهم من هذا أنّ الحِلم يستدعي معنى الهدوء، والالتفات إلى الآخرين بالتّسامح، وسعة الصّدر، والصّبر على الأذى.

أما عندما يوصف بها المولى عز وجل فمعناها «الذي يسامح عبده الجاني بترك المؤاخذة مع استحقاقه لها كرما –تبارك وتعالى– وإمهاله للعبد الجاني مع إصراره

---

[1]–ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص15.

[2] –الشنقيطي: المرجع السابق، ص57.

[3]– سورة النساء، الآية 12.

[4] –ابن أبي الإصبع المصري (ت654ه): بديع القرآن، تح: حفني محمّد شرف، دار النهضة، القاهرة،(د.ط)، (د.ت)، ص90.

[5]–محمد بكر إسماعيل: أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، دار المنار، القاهرة، ص126.

فضلا منه ورعاية لحكمة ومصلحة في ذلك خفيّة لا يطّلع عليها سواه»[1]، وهذا من باب تأخير العقوبة عن المستحق لها حتى يتوب رحمة به.

لقد وردت هذه اللفظة مذيلة كفاصلة في خواتيم الآيات القرآنية تسع (9) مرات وفق الآتي :

الحليم	غني حليم	عليم حليم	شكور حليم	غفور حليم	المجموع
عدد التكرارات	01	03	01	04	09

نلاحظ أن لفظة (الحليم) قد قرنت بأوصاف أخرى، تختلف من حيث عدد تكراراتها، و قد سجّلت الدّراسة الإحصائية أن لفظة (الحليم) قد قرنت بالغفور(غفور حليم) أربع مرات وهي أعلى نسبة، تليها (عليم حليم) بثلاثة تكرارات، ثم (غني حليم) و(شكور حليم) مرة واحدة لكلّ منهما.

فمجيء اللفظة بعد الغفور له مسوّغه الدلالي، فمن صفاته تعالى المغفرة دوما، انسجاما مع معطيات التسامح والرأفة بالعباد، وهو مفتاح من مفاتيح التواصل بين الكلمات، أكسب الآية جمالا إلى جمالها وحدد معالمها[2]، ومن هذا المقام قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3] إنه يتجلى لنا الصفح والأناة، الذي لا يستفزه غضب، كما لا يستخفه جهل الجهال ولا معصية العاصين... [4] ويسير هذا مع آيتي البقرة ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[5]، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾ ﴾[1]؛ أما (عليما حليما) فقد وردت في ﴿وَٱللَّهُ

(1)–السنوسي الحسني: المرجع السابق، ص49.

(2) –تمام حسّان: البيان في روائع القرآن، المرجع السّابق، ص197.

(3)–سورة آل عمران، الآية: 155.

(4)–الهلاوي، محمد عبد العزيز: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ط)، 2002، ص57.

(5)–سورة البقرة، الآية: 224.

عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[2]، ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[3]، وورد اللفظ مرة واحدة بعد كلمة "غني" في سورة البقرة ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾[4]، ومرّة مسبوقا بشكور منه قوله تعالى:﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[5]

الكريم:

اشتقت الكلمة من كرُم الشيء كَرَما: نَفُس وعُزّ، فهو كريم من كرام، قال تعالى: ﴿ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[6] أي رزق نفيس عزيز[7]، ومنه قوله تعالى في الجود والكرم: ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[8] أي كرمه نابع من غناه، وفي هذا السياق قال الخطابي: «ومن كرم الله سبحانه أنه يبدأ النّعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذّنب، ويعفو عن المسيء...» [9]؛ وقد جاءت هذه اللفظة فاصلة في عدّة مواطن من القرآن الكريم للدلالة على اسم من أسمائه تعالى، فهي لفظة تدخل تحت بند عام يضم الكثير من الخصائص والصفات الإيجابية فهي تجمع «السبق بالإحسان والعفو والصّفح والحِلم والغفران وجمع أنواع الخير والنّفع والامتنان»[10] من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾[11] وقد وظّف لفظة الكريم دون سائر

---

(1)–سورة البقرة، الآية: 234.

(2)–سورة النساء، الآية: 12.

(3)–سورة الحج، الآية: 59.

(4)–سورة البقرة، الآية: 263.

(5)–سورة التغابن، الآية: 17.

(6)– ينظر:سبأ: 04، الأنفال: 04.

(7)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص288.

(8)– سورة النمل، الآية 41.

(9)–الهلاوي: المرجع السابق، ص68.

(10)–القشيري الشافعي: المرجع السابق، ص44.

(11)– سورة الانفطار، الآية: 06.

صفاته ليلقّن عباده درسا حول الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان، ويبدو أن هذه اللفظة لم تأت في وصف الذات الإلهية إلا مرة واحدة، وما تبقّى فهو إما وصف للرزق، أو للملك، أو للكتاب، أو العرش، تبيينا لقيمة هذه العطاءات وهذا سياق حديثنا في العنصر الموالي.

وأغرب ما ورد في الخطاب القرآني أن تأتي فاصلة (كريم) للاستهزاء والاحتقار الذي وُجّه لأبي جهل، الذي تطاول على المولى عز وجل بوصف نفسه بهاتين الصفتين فجاءت الآية ردّا عليه في قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾[1] «وكان كلاًّ من هذين الوصفين، وبالتالي – عكسهما تماما – كما تريد المفارقة حقيقة أن تقول – قد تناهى في الظهور على الموصوف حتى امتنع خفاؤه»[2] وهو «الذي إذا قدّر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجا...» [3] لهذا فقد جاء الخطاب موجها لأبي جهل «على سبيل التّهكّم والهزء، لمن كان يتعزّز ويتكرم على قومه...» [4]؛ وهذا من باب التوبيخ، قال ابن عباس مفسّرا لها: «أي لست بعزيز ولا بكريم»[5]، فالقصد إذن هو نفي العزة والكرامة عن هذه الشّخصية المتكبّرة بدل إثباتها. فدلالة الفاصلة القرآنية خرجت من سياق الحقيقية إلى السّياق المجازي بمعنى (الحقير) ردعا لهذا التّمادي في التّكبّر.

العليم:

اشتقّت الكلمة من لفظة (عليم)، وهي عند علماء اللّغة يراد بها «الملَكَة التي تدرك بها مسائل العلم...»[6] . و(العليم) جاءت صفة للمولى عز وجل بمعنى «العالم

---

(1)– سورة الدخان، الآية 46.

(2)–محمد العبد: المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006، ص52.

(3)–الزّميتي: المرجع السابق، ص17.

(4) –أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق ،ج8، ص40.

(5)–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص250.

(6)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص215.

والعليم بجميع المعلومات بعلم قديم أزلي واحد قائم بذاته»[1]، وقد يوصف البشر بالعلم ولكن علمهم ناقص، فقد يكون الواحد عارفا بالنحو مقصّرا في الفقه، أو عارفا بالرياضيات جاهلا بشؤون علم الفلك.

وهي تعني «مدح الذّات بالعلم فيراد به أن ذاته عالمه لا يجوز عليه الجهل»[2] فصفة العلمية للمولى عز وجل ترتبط بالإحاطة المطلقة بكل ما هو موجود وغير موجود، فالله هو «الذي يحيط علما بكل شيء ظاهره وباطنه، دقيقة وجليله، أوله وآخره، عاقبته وفاتحته»[3] وقد جاءت على زنة (فعيل) للمبالغة، والعالم والعليم صفاته مشتقتان من العلم، وتعني أنّه كامل المعرفة بشؤون الدّنيا والآخرة، من ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[4] تصور الآية بعض مظاهر القصص الغيبي، فتتحدّث فتتحدّث عن أخبار النِّسوة اللّواتي كِدن ليوسف عليه السلام، لهذا جاءت الفاصلة (عليم) لتدلّل على المعرفة الإلهية المطلقة بأخبارهنّ، وأنّ الله عالم بكيدهنّ، وقادر على إظهار براءة يوسف عليه السلام.

- **ما جاء وصفا لغير الله تعالى:**

أ- في وصف الرسول ﷺ وغيره من الرسل:

جاءت ألفاظ كثيرة في الخطاب القرآني خرجت عن وصفها للذات الإلهية لتعبر عن صفات للرسل والأنبياء، كما هي حال صيغة (فقير) التي جاءت وصفا لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[5] فلفظة (فقير) جاءت فاصلة بعد دعاء موسى بنعم المولى عز وجل ورضاه بما قدّر له من بلاء؛ فحقيقة الفقر ها هنا هي الحاجة إلى عطاءات المولى عز وجل

---

[1] -الهلاّوي: المرجع السابق، ص 46- 47.

[2] -الزّجاجي: المرجع السابق، ص54.

[3] -الزّميتي: المرجع السابق، ص12.

[4] -سورة يوسف، الآية: 50.

[5] -سورة القصص، الآية: 24.

التي لا تنبض «والفقر إلى الله، وحقيقته أن لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء بحيث تكون تلك لله..»[1]، و الفقر في دلالته العامة هو سؤال الله تعالى إلى نعمه، عادة يقال لشخص فقير، إذا قلّ ماله، والفقر هو الحاجة وقلة المال[2]. و لكن هذا المعنى قد يتوسع، كما في الآية الكريمة إذ فسّرت اللفظة بمعنى (سائل وطالب لرحمتك)، وفسّرت أيضا بمعنى الفرح والشكر لله تعالى بما أنزل عليه من خير الدين، وخير العلم، وخير العطاء.

أما في تفسير "ابن كثير" فقد جاءت الكلمة بدلالة طلب الإطعام لما ناله موسى عليه السلام من الجوع عند تنقله من مصر إلى مدين، إذ كان هذا النّبيّ كما قال ابن عباس: «ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر»[3]. وقال أهل اللغة (اللام) بمعنى (إلى)، يقال هو فقير له، وفقير إليه؛ لهذا جاء في الآية ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [4]؛ أي فأنا محتاج إليك يا الله[5]. وعليه، فقد جاءت لفظة الفقير في هذا الموضع للدلالة على المبالغة في طلب النّعم من مصدرها وهو المولى عزّ وجلّ.

جاءت الصيغة أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾[6] فلفظة (ضنين) على وزن (فعيل) للمبالغة، وقد جاءت في هذه الآية خفيّة، لنفي الخُلق السّلبي على الرسول ﷺ، الذي اتُّهم بالبخل في تقديم الوحي الذي منّه الله عليه،. وقد اختلف في قراءة هذه الكلمة بين من قرأها بالضاد (ضنين)، وبين من قرأها بالظاء (ظنين)؛ وتبعا لهذا الاختلاف الصوتي اختلفت الدلالة؛ فما جاء بالضاد اشتق من (الضِّنَّةِ، والضِنِّ)

---

[1]–بن عيسى باطهر: المقابلة في القرآن الكريم، دار عمار، عمّان، ط1، 2000، ص147.

[2]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص250.

[3]–ابن كثير: المصدر السابق،ج6، ص227.

[4]–سورة القصص، الآية: 24.

[5]–البغوي: المصدر السابق، ج6، ص201.

[6]– سورة التكوير، الآية 24.

بمعنى الإمساك والبخل من ضننتُ بالشيء أضِنُّ، ضننا، وضِنًا وضِنّة: بخلت به[1]. أما الظنين في القراءة الثانية فقد جاءت بمعنى: «المتّهم: فعيل بمعنى مفعول. والظِنّةُ: التهمة»[2]. ولكنها في هذه الآية الكريمة تناسبت مع التفسير الأول الذي دلّت فيه على البخل وقد جيء بها للمبالغة في الفعل، وقد فسّرها البغوي بقوله: «إنه يأتيه عالم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلّمكم ويخبركم به»[3] ، وهذا دليل على كرم الرّسول ﷺ، الذي حافظ على الأمانة ونجح في نشر دعوته إلى النّاس كافّة.

ب – صيغة فَعيل في وصف الماء والطعام

لا يخفى على المتطلّع للفواصل القرآنية أن يلاحظ ذلك التّرتيب والنّظام في وصف الطّعام منه ما قاله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾[4] جاءت لفظة (مَعين) هنا فاصلة على وزن (فعيل) ولكن هل دلت على المبالغة ؟ فسّر ابن كثير هذه اللفظة بقوله: «نابع سائح جار على وجه الأرض، لا يقدر على ذلك إلا الله»[5] ، ورأى "الرازي" أن اللفظة جاءت على صيغة فعيل ولكنّها تدلّ على (مفعول) إذ يقول: « والمعين الظاهر الذي تراه العيون، فهو من مفعول العين كمبيع، وقيل: المعين الجاري من العيون، من الإمعان في الجري، كأنه قيل ممعن في الجري»[6] ويرى الشوكاني أن معنى كلمة (معين) هو كل ظاهر تراه العيون[7]. ونرى أنّها دلّت على المبالغة في الظهور، ودليلنا هو المقابلة بين لفظتي(غورا، ومعين)، فالأولى تدلّ على الماء الغائر في الأرض، الممنوع على الآبار، والثانية تدلّ على الماء الظاهر للعيان وتميّزه عن كلّ الأشربة الأخرى، في صفائه، ولذّة ذوقه، كيف لا وقد خُلق منه كلّ شيء حيّ فهو الحياة.

---

(1) –الخراط، أحمد بن محمد: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، 1426ه،(د.ط)، ص94.

(2) –ابن منظور: لسان العرب: مادة (ضنّ).

(3) –البغوي: المرجع السابق، ج8، ص351.

(4) –سورة الملك، الآية: 30.

(5) –ابن كثير: المصدر السابق، ج 6، ص183.

(6) –الرازي: التفسير الكبير، ج30، ص67.

(7) –الشوكاني: فتح القدير،ج5، ص266.

ج- صيغة فعيل في وصف الكتاب القرآن / الذكر

أكثر المفردات التي وصفت الكتاب ومرادفاته من ذكر وقرآن وغيرها لفظة إذ جاءت في الآيات الآتية:

- ﴿ الٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [لقمان 01]
- ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [آل عمران 57]
- ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يونس 01]
- ﴿ يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يس 01]

ذهب المفسّرون في الوقوف على دلالتها مذاهب شتى؛ فقد رأى "أبو حيان" أنّ وصف الكتاب (القرآن) بالحكيم يحتمل توجّهين اثنين؛ إما أنه يعني (المحكم) على وزن (مُفْعَل) وهذا قليل، ويجوز أن يكون حكيم بمعنى (حاكم) أي الكتاب الحاكم بين الناس بالحق فعيل بمعنى (فاعل) [1]، ويقول القرطبي: «والحكيم المُحكَمُ بالحلال والحرام والحدود والأحكام». وخرج الزمخشري عن هذا المعنى إلى ضلال المعنى المجازي إذ يقول: «(الحكيم): ذو الحكمة، أو وصف لصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي. ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قليله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فبانقلابه مرفوعا بعد الحرّ استكن في الصفة المشبهة»[2]. إلا أن من الدارسين المحدثين من رجّح كفّة اتساع دلالة المفردة، وهذا رأيُنا، فتلك المعاني مرادة ومقصودة معا «فالقرآن الكريم حَاكِم ومُحْكَمٌ وناطق بالحكمة ومحكوم فيه بالعدل وحكيم قائله»[3]. فالحكمة شاملة للنّص القرآني، ولقائله، وللرّسول الذي أبلغه عن ربّه، وللعاملين بحِكَمِه.

د- صيغة (فعيل) في وصف الأمكنة

جاءت صيغة (فعيل) في بعض المواطن من الخطاب القرآني فاصلة للدلالة على علوّ مكانة الموصوف، ضمن منظومة تركيبية تبدو متشابهة، ولكنها تخفي أبعادا دلالية تنبثق من خصوصية النص. نمثل لهذا الطّرح بلفظة (الأمين) هذه الصفة التي

---

(1)-أبو حيان: المصدر السابق، ج7، ص178.

(2)-المصدر نفسه، ج7، ص178-179.

(3)-المنجد، محمد نور الدين: المرجع السابق، ص182.

اتصلت بفضاء مكاني هو (البلد) كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[1]؛ فهو وصف لأشرف مكان وهو مكة المكرّمة، وهذه اللفظة تحتمل من حيث الدلالة أن تكون بمعنى الأمن مصداقا لدعاء إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[2] وهذا قبل أن يكون بلدا، وقوله أيضا: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[3].

وقد عبّرت صيغة (فعيل) عن المبالغة في الأمن، فتكون بذلك بمعنى الآمن دائما على (فاعل) ، وهو الرأي الذي ذهب إليه "أبو حيان" في تفسيره لسورة (التين) شارحا لفظة (الأمين) بمعنى «آمن من فيه ومن دخله، وما فيه من طير. وحيوان»[4]. فهذا المكان مقدّس، ومُشرّف، يسوده الأمن والأمان.

الملاحظ إذن أن هذه المساحة المكانية (مكّة) لم توصف بغير الأمن في هذه الآيات؛ فلم يوصف هذا المكان بالضيق، ولم يوصف بالاتساع، ولم يوصف بالسموّ. وهذا خوّل لبعض المفسرين أن يجعلوا من مكة راعيا لمن يدخلها، وجعلوا لفظة الأمين مشتقة من (أمُن الرجل) بضم الميم أمانة فهو أمين، وكذلك شخّصوا (مكّة) فجعلوها تحفظ من يدخلها من إنسان وحيوان[5] تشبيها لحفظ الأمين لما يؤتمن عليه. فالمعنى الثاني إذن للفظة (أمين) جاءت من باب نسبة الأمن إلى البلد من قبيل تسمية المحلّ باسم الحال فيه مجازا[6].و هو ما نراه صوابا، لأنّ هذا البلد كان موطن الأمن على إبراهيم عليه السلام، وعلى عائلته، ثمّ على عامّة المسلمين بعد ذلك.

أما "الألوسي" فقال بدلالته على (مفعول) يقول: « الأمين فعيل ... بمعنى مفعول أي: المأمون من (أَمِنَه) أي لم يخَفْه، ونسبته إلى البلد مجازية، والمأمون حقيقة الناس، أي لا تخاف غوائلهم فيه، أو الكلام على الحذف والإيصال أي: المأمون فيه من

---

(1)– سورة التين، الآية: 03.

(2)– سورة البقرة، الآية: 125.

(3)– سورة إبراهيم، الآية: 37.

(4)–أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص486.

(5)–ينظر: أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص486، الألوسي: روح المعاني، ج30، ص173.

(6)–المنجد، محمد نور الدين: المرجع السابق، ص192.

الغوائل»[1]، من هنا حدث هذا الاتّساع الدلالي في هذه الصيغة، فتارة دلّت على اسم الفاعل أي الوصف المتصل بالبلد، أو اسم المفعول كما بيّنا، ولكننا نميل إلى تبنّي المبالغة في الأمن مع ترجيح كل هذه الدلالات مجتمعة.

ه- صيغة (فعيل) في وصف العذاب وحقوله:

أكثر الألفاظ الواقعة فاصلة قرآنية لوصف العذاب وكل الحقول التي تنتسب إليه لفظة (عظيم) التي تكرّرت بشكل لافت للنظر، وهي كلمة مشتقة من (عَظُم الشيء)، تقول: «عظّمته تعظيما: وقّرته وفخّمته واحترمته»[2]. من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[3]. وقد ارتبطت هذه اللفظة بدلالتها على الامتداد في مساحة الشيء جهة العرض أو الطول أو العمق، لهذا يقال هذا الجسم أعظم من ذلك الجسم – والعظيم قد يحاط بالبصر فيكون منظورا إليه، وقد لا يكون مبصرا ولا يحاط به لا بالعين ولا بالعقل[4]، فكل ما يتعلق بالغيبيات مثلا يصعب على الإنسان معرفة كنهه وجوهره، فيتجاوز بذلك حدود إدراكه.

هذه أشهر الدلالات الواردة للفظ، وفي رحلة استكشافية لمدار تردد هذا اللفظ في الخطاب القرآني، وجدناه مرتبطا بكلمات يصفها، أغلبها تنتمي إلى حقل العذاب، من ذلك على سبيل المثال: (عذاب عظيم/ بلاء عظيم/ ظلم عظيم/ بهتان عظيم/ كرب عظيم/ إثم عظيم /خزي عظيم)، وهذا ما جعلنا نتساءل ما هي دلالات هذه الكلمة عندما وقعت فاصلة قرآنية ؟ وهذا ما سنجيب عنه من خلال التحليل.

أكثر الكلمات التي ارتبطت بلفظة (عظيم) من هذا الحقل، نجد لفظة عذاب نفسها، إذ تكرّرت أربع عشرة مرة 14 نوضحها في الجدول الآتي:

---

[1]–الألوسي: المصدر السابق، ص173، ج30.

[2]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص210.

[3]– سورة الحج، الآية: 30.

[4] –الغزالي، أبو حامد: المرجع السابق، ص94.

السورة	البقرة	آل عمران	النساء	المائدة	الأنفال	التوبة	النحل	النور	الغاشية
التكرارات	02	02	01	02	01	01	01	03	01

كما جاءت لفظة البلاء موصوفة مرتين بلفظة العظيم، أما الظلم فقد وصف مرّة واحدة، وينسحب هذا على لفظة البهتان مرتين، والإثم، والكرب، والخزي، وسنأتي إلى توضيح ذلك من خلال نماذج الآيات القرآنية المحللة.

يقول تعالى: ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمًا ﴾[1]، جاءت هذه الآية ردا على الكفار الذين رموا مريم بالبهتان العظيم، وهو كناية في هذا الموضع عن الزنا وهي الطاهرة العفيفة الشريفة. ولفظة بَهُت أو بَهِتَ في أصلها بمعنى دهش وتحيّر. وقد جاءت في هذا السياق بمعنى: (بَهْتًا بَهْتاً) أي قذفها بالباطل وافترى عليها بالكذب[2]. ومثله قوله تعالى:﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

فقد جاءت الآية الكريمة تصويرا لحادثة الإفك، الذي حسِبه المشركون شيئا صغيرا فوصفه المولى عز وجل في الآية التي تسبق هذه بأنه عظيم، في قوله: ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[4]، وهنا عظيم بمعنى أنه عند الله من الكبائر[5] نظرا للآثام التي قالوها وفعلوها وهي: تلقّي الإفك، والتكلم به، ثم استصغاره، وهو أمر عظيم. أما البهتان في الآية السّابقة فقد وُصف بالعظمة «لأنه كذب عظيم يُبهت ويُتحير من عظمته»[6] وهنا رفض لهذا التقوّل

(1)-سورة النساء، الآية 155.

(2)-الشنقيطي: المرجع السابق، ص28.

(3)-سورة النور، الآية 16

(4)- سورة النور، الآية 15.

(5)-أبو حيان: المصدر السابق،ج6، ص403.

(6)-البغوي: المصدر السابق، ج6، ص25.

على عائشة أم المؤمنين، والدعوة إلى خرس الألسنة.

ووصفت لفظة البلاء بالعظمة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[1]، لقد جاءت الفاصلة في هذه الآية في وصف العذاب الذي أصاب المؤمنين من آل فرعون من ذبح، وتشريد، واغتصاب، ويكلّفونهم مالا يستطيعون، وقد وصفه بالعظمة لضعفهم في مواجهته لولا رحمة الله عز وجل بهم من شدّتهم والمكاره التي تعرّضوا لها؛ ومثل هذا ينطبق على الآية ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[2].

ومن المفسّرين من رأى أن لفظة (البلاء) قصد بها التّنحية وهو المصدر المفهوم من قوله (نجّيناكم) فيكون هنا بمعنى النعمة[3]؛ وقد تكون لفظة (البلاء) بهذا ذات دلالة ضدية ارتبطت مرّة بالنعمة (النجاة من سطوة فرعون)، ومرّة أخرى بالمحن، ونميل إلى القول بانّ للكلمة معنيين؛ فهي تأتي بمعنى الشّدة كما تأتي بمعنى المحنة، وفي كلا الحالتين ارتبطت بالعظمة أي أن هذا الشيء عظيم وكبير عند الله قصد المبالغة في وصفه ، لهذا اختصّ بهذه الصّيغة دون غيرها.

أما لفظة (الكرب) فقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[4] الحديث هنا عن أنبياء الله موسى وهارون (عليهما السلام) ومنجاة المولى عز وجل لهما بإخراجهما من هذه المحنة. وقد فسّرت الكرب هنا من طرف البغوي بقوله: «الغَمُّ العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم. وقيل: من الغرق»[5]. وفي الآية التالية يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ

---

[1]- سورة البقرة، الآية 48.

[2]- سورة الأعراف، الآية 141.

[3]-أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص352. ينظر أيضا: البغوي: المصدر السابق، ج1، ص91.

[4]- سورة الصافات، الآية 115.

[5] -البغوي: المصدر السابق، ج7، ص51.

لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] جاءت لفظة (الخزي) هنا مرفوقة بالعظمة؛ لأن الحديث في سياق الذين يخالفون الله ورسوله فإن جهنم هي مأواهم، وهذا هو (الخزي العظيم)، وخَزِيَ خِزيا بمعنى «ذل وهان ووقع في بليّة»[2] أما هنا في الآية فبمعنى «الفضيحة العظيمة»[3]، أو هو «الهوان العظيم»[4]، وبرغم اتفاق هذه الشواهد على أن (العظمة) هو القاسم المشترك بينها إلا أن دلالتها تختلف من آية إلى أخرى، وإن كانت دلّت على المبالغة في الفعل فيها جميعا. ومنها أيضا (إثما عظيما) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[5]،فقد وصف هنا الشّرك بالإثم وهو الذّنب الكبير الذي لا يغتفر.

أما لفظة العذاب فارتبطت بالعظمة أيضا في مختلف سياقاتها التي وردت بها، إذ تكررت كما أسلفنا الذكر والتوضيح في الجدول السابق بنسب متفاوتة في السور الآتية (البقرة، آل عمران، النساء، الأنفال، التوبة، النحل، النور)؛ والملاحظ أن لفظ العذاب قد ارتبط بالآخرة عكس الموصوفات التي ارتبطت بالدنيا في الآيات المذكورة آنفا. وفيما يلي عرض لهذه الآيات: لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[6] وهنا العذاب مرتبط بأخذ الغنائم بدل القتل فداء للمشركين، وهو الذي رفضه الكتاب الحكيم والمعنى: «لولا الكتاب الذي سبق فآمنتم به، وصدقتم، لمسّكم العذاب لأخذكم هذه المفاداة»[7].

أما في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[8]؛ ارتبط

[1]- سورة التوبة، الآية 63.

[2]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص67.

[3]-البغوي: المصدر السابق، ج4، ص68.

[4]-أبو حيان: المصدر السابق، ج5، ص66.

[5]- سورة النساء، الآية 47.

[6] – سورة الأنفال، الآية 69 .

[7]- أبو حيان: المصدر السابق، ج4، ص515.

[8]- سورة التوبة، الآية 102.

العذاب في هذه الآية بهول يوم القيامة، وعظمة هذا اليوم بما فيه من شرّ لكل سوّلت له نفسه الخروج عن دين الله، وهم سيعذبون مرّتين، الأول منها فضيحتهم ووصفهم بالنفاق والثانية عذاب القبر، وقيل هو عذابهم بالقتل والجوع، وروي أن العذاب الأول علل وأدواء، وأن الثاني سراج من نار جهنّم، وقيل الأول ما يؤخذ من أموالهم قهرا، والثاني الجهاد الذي يؤمرون به قسرا[1]. ورغم اختلاف تفسير لفظة العذاب هنا، فإن وصفه بالعظمة دليل على مكانة هذا التعذيب في صقل النفوس الإنسانية ودعوتها إلى دين الحق، لأن الدين عظيم وبحاجة إلى عظماء يحفظونه، وعذابا عظيما لمن يتجاوز أحكامه.

كما ارتبطت لفظة العذاب أيضا بالآخرة في سورة المائدة إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]؛ فقد أسمى المولى عز وجل في هذه الآية عقاب الدنيا الدنيا بالخزي، وأطلق على عقاب الآخرة «بالعذاب العظيم»؛ وهذا الوصف يتطابق مع الدّارين؛ ففي الدنيا يكون الذل والهوان والفضيحة، وهي خزي لصاحبها، أما في الآخرة فهي الخسارة الكبرى مع ما ادّخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة[3].وفي السورة نفسها يقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

ولم تأت لفظة العذاب موصوفة بالعظمة فحسب؛ إنما وصفت بأوصاف أخرى، إذ قيل: (عذاب أليم) وقد تكررت (50) خمسين مرة، حيث ارتبطت بالألم سواء أكان هذا الألم في الدنيا أو في الآخرة، حيث جاءت هذه الصيغة بمعنى (مُفْعِل) من ذلك قوله

---

[1]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص98.

[2]–سورة المائدة، الآية 35.

[3]–ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص101.

[4]– سورة المائدة، الآية 43.

تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[1]، قال أبو عبيدة: «مجازه : المؤلم وهو الموجع، والعرب تضع فعيل في موضع مُفْعِل»[2]، كما جاءت للمبالغة في قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[3]. ويؤكّد هذا المذهب أبو حيان بقوله: «أليم (فعيل) من الألم بمعنى (مفعل) كالسميع بمعنى (مسمع)»[4]. ومن جهة أخرى ارتبطت بلفظة (مقيم) يقول تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[5] بمعنى عذاب متأبّد لا يحول[6]؛ فسّره ابن كثير بقوله: « دائم مستمر لا خروج لهم منها، ولا محيط لهم عنها»[7] بمعنى دوام بقائهم في جهنم، حيث كلّما ازداد ألمهم واشتد وأرادوا الابتعاد عنها كلما أعيدوا إليها ليزداد عذابهم .

ونجد في سياقات أخرى اقتران لفظة العذاب بالفاصلة (كبير) ، و(قريب)، و(شديد)، و(غليظ) من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[8]،لقد أنجى المولى عز وجل هودا وقومه المؤمنين من ال من الريح في الدنيا التي «كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها»[9]، فهذه الريح العقيم- كما سمّاها تعالى لا تُبقى ولا تَذر، «فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجّى من بينهم رسولهم هودا وأتباعه المؤمنين من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه»[10]. فالعذاب الغليظ هو العذاب القاتل الذي يؤدي إلى الموت، ولا نجاة بعده.

---

(1)- سورة البقرة، الآية 48.

(2)-أبو عبيدة : مجاز القرآن، ج1، ص282.

(3)- سورة البقرة، الآية 48.

(4)- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 53.

(5)-المائدة: 39، انظر أيضا: سورة: هود: 39، الزمر: 37، الشورى: 42، المجادلة: 5-6

(6)-أبو حيان الأندلسي: المصدر نفسه، ج3، ص488.

(7)-ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص106.

(8)-سورة هود، الآية 57.

(9)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج5، ص235.

(10)-ابن كثير: المصدر السابق ،ج4، ص331.

وفي سياق الحديث عن ناقة صالح عليه السلام جاء العذاب موقوتا بميعاد دقيق، تقديره ثلاثة أيام ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴾ فجاء عذابهم بعد قول صالح لهم: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴾[1] فالفاصلة التي جاءت للمبالغة على وزن فعيل لم تأت للدلالة على التكثير، إنّما جاءت الإخبار عن ميقات زمني محدّد بالآية التي جاءت بعدها وهي: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾[2]، وهذا الميقات على الحال وقريب عاجل لا يمكن تأجيله.

أما الفاصلة القرآنية (عظيم) فلم ترتبط بالعذاب لشدته وغلاظته، وكبره وقربه فحسب إنما جاءت هذه الكلمة وصفا لكلمات من مثل: (أجر عظيم، الفضل العظيم، فوزا عظيما، يوم عظيم، عرش عظيم، القرآن العظيم، حظ عظيم، الطور العظيم، شيء عظيم، قولا عظيما، وميلا عظيما) يأتي تفصيلها في الآتي:

(أجر عظيم)					
السورة	آل عمران	النساء	المائدة	الأنفال	التوبة
التكرارات	02	07	01	01	01

(يوم عظيم)				
السورة	الأنعام	الأعراف	يونس	الشعراء
التكرارات	01	01	01	02

(العرش العظيم)

[1]- سورة هود، الآية: 63.

[2]- سورة الشعراء، الآية: 157.

السورة	التوبة	المؤمنون
التكرارات	01	01

(فوزا عظيما)				
السورة	النساء	التوبة	يونس	الحديد
التكرارات	02	03	01	01

(الفضل العظيم)			
السورة	البقرة	آل عمران	الأنفال
التكرارات	01	01	01

هذه خمس كلمات وصفت بالعظمة وهي (الأجر، اليوم، العرش، الفوز، الفضل) وقد تواردت في الخطاب القرآني كفاصلة بنسبة أعلى إذا ما قورنت بالكلمات المتبقية وهي (الطود، القرآن، الشيء، القول، الميل، الحظ) والتي جاءت موصوفة بالعظمة مرة واحدة لكل منها، وهنا نتساءل لماذا ؟

الأكيد في الأمر أنّ أيّ شيء وصف بالعظمة فقد علا شأنه، كما يمكن وصفه بالزيادة والاستمرارية، لأنّ الأجر لا ينقطع ، وكذا الفوز، وكذا فضل الله عزّ وجل، أمّا العرش فمكان وجود المولى عزّ وجل يتصف بالعظمة لأنّه مرتبط بالذات العظمى، وأمّا اليوم الآخر فقد وصف بذلك لأنّه متفرّد لا يتكرّر تتجلّى من خلاله عظمة الخالق.

و قد تخرج صيغة (فعيل) للدلالة على المصدر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [1]. فنذيرا جاءت بمعنى الإنذار. كما قد تخرج هذه الصّيغة عن إطارها لتجيء بمعنى (متفعّل) من ذلك قوله تعالى:

[1]- سورة الفرقان، الآية: 1.

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾[1]. حيث إنّ معناها متمرّدا[2]، أما في سورة يس فقد رأينا عدولا من صيغة فعيل للدلالة على (مُفْعَل) كما في الآية الكريمة: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾[3] التي جاءت بمعنى المحكم،والأمثلة في هذا كثيرة ، قد أوردنا بعضها من باب التمثيل لا الحصر.

<u>* ما جاء على صيغة فَعّال:</u>

فرّق أحد الدارسين المحدثين بين صيغة (فعّال) الاسمية التي تجيء للمبالغة وبين صيغة (فعّل) التي تجيء للتكثير عموما قائلا: «اسم المبالغة والفعل الدال على الكثرة يتضمن كلاهما تعدّدا تكراريا في الحدود لكن المبالغة تجتذبها السُّكونية لطبيعتها الاسمية فتجري في الوصف عامة وفي تسمية الآلة خاصة. والفعل يجتذبه التّكرار في الحدوث خلال الزمان المتصوّر..» [4]. و عليه فالفرق بينهما فرق في الزمن الذي يتحصّل مع الصّيغة الفعلية، ويغيب عن الصّيغة الاسمية.

وقد تميّزت صيغة (فعّال) المتفرّعة من أصل لها هو (فاعل)، على تكرار حدوث الفعل عن طريق التضعيف كظاهرة لغوية مهمّة في تصنيف الأسماء، خصوصا وأنه مع هذه الصيغة ارتبط بتضعيف العين من الكلمة للدلالة على الكثرة يقول المبرد (ت228هـ) تقول: «رجل قتّال، إذا كان يكثر القتل. فأما قاتل فيكون للقليل والكثير؛ لأنه الأصل وعلى هذا نقول: رجل ضرّاب وشتّام»[5] وهو سياق ما قال به ابن يعيش (ت643هـ) يقول: «وهذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير الفعل إذ صاحب الصّنعة مداوم لصنعته فجعل له البناء الدال على التكثير وهو فعّال بتضعيف العين»[6]، وهذا يتناسب مع دلالة تلك الفواصل القرآنية التي جاءت على هذا الوزن.

---

[1]– سورة النساء، الآية: 117.

[2]– ينظر: أبو عبيدة: المصدر السابق، ج1، ص40.

[3]– سورة يس، الآيتان: 1-2.

[4]–الأزهر الزناد: فصول في الدلالة –ما بين المعجم والنّحو، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ط1، 2010، ص 56-57.

[5]–المبرّد: المصدر السّابق، المقتضب، ج2، ص113.

[6]–ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، ج6، (د.ط)، ص13

مثال ذلك مجيء صيغة (فعّال) في وصف الطّعام عند أهل النّار، جسّدته لفظة (غسّاق) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[1] والغَسَّاقُ «بتخفيف السين وتشديدها: البارد المنتن»[2]، جاء عند "ابن كثير" أنّ لفظة حميما مرادفه للفظة غسّاقا؛ فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه. والغسّاق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه»[3] وقال تمام حسّان: «أما الغسّاق ففيه تسخير للتشديد الذي على السّن لإيجاد توكيد للكراهية التي تستفاد من حروف المادة»[4]. وما هذا التّشديد الوارد إلا تعبيرا عن شدّة كراهية المنافقين والمشركين لهذا النّوع من الطّعام الذي تقشعرّ له الأبدان، وتنفر منه الأذواق.

وأكثر الفواصل القرآنية التي جاءت على وزن (فعّال) لفظة القهّار، أوّاب، غفّار، كفّار، وكذّاب، وسنحلل بعض هذه النماذج كي نستقطب باب دلالاتها، لما تحمله من تكرارات صوتية منتظمة على مستوى الصّوت المضعّف بصفته متبوعا بألف ثم بحرف من ذلك لفظة (القهّار) التي جاءت اسما من أسماء المولى عز وجل، والقهر بمعنى الغلبة[5]، والحكم المطلق.

ومن الآيات التي ذُيّلت بهذه الفاصلة نجد قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[6] فهنا تتحدّث الآية عن التوحيد، لهذا نجد تتابعا في أسماء الله؛ بدءا بالكلمة المحورية وانتقالا إلا أسمائه تعالى وصفاته، وهو مجال الدلالة نفسه في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[7] وقوله: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[8]

---

(1)–سورة النبأ، الآية 25.

(2) –الشنقيطي: المرجع السابق، ص228.

(3)–ابن كثير: المصدر السابق ج8، ص307.

(4)–تمام حسان: المرجع السابق، ج1، ص210

(5)– الشنقيطي: المرجع السابق، ص275.

(6)– سورة يوسف، الآية: 39.

(7)– سورة غافر، الآية: 15.

﴾[1] فكل هذه الآيات تدعو في سياقاتها إلى التوحيد وعدم الشرك بالمولى عز وجل؛ فالملك له والتدبير له، وهو غالب بذلك كل من يدعي القوة والقدرة على الخلق.

ففي آية (غافر) جاءت لفظة (القهّار) بمعنى أن الله تعالى يعلم كلّ شيء عن سرائرهم وبواطنهم، فالمولى يستفهم عباده في السماوات والأرض (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه أحد (الله الواحد القهار) هي إجابته تعالى وقال ابن مسعود: «يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة فلم يعص الله فيها قطّ فأوّل ما يتكلم به أن ينادى مناد (لمن الملك اليوم) فيجيبوا كلهم (لله الواحد القهار)» [2]. فهذا تبيين وتقرير بملكه ووحدانيته لا يشاركه فيها أحد من خلقه. فالله «اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي؛ فإن كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته»[3] وقد ارتبطت هذه الدلالة بصفة (القهار) تعبيرا على القدرة المطلقة. «فهو الذي يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه فيقهروهم بالإماتة والإذلال»[4]، لأنّهم تجاوزوا حدودهم بالتّطاول على الله تعالى فكان جزاؤهم الخزي في الدّارين.

وخرجت دلالة (القهّار) عن فكرة التوحيد في آيات أخر من الخطاب القرآني كما في الآيات الآتية: ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[5]وقوله أيضا:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[6]، ٱلْقَهَّارِ ﴾[6]، وقال أيضا: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[7] ومن هذا القبيل القبيل أيضا: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ

---

[1]- سورة الزمر، الآية: 05.

[2]- أبو حيان: المصدر السابق، ج7، ص437-438.

[3]-الغزالي أبو حامد: المرجع السابق، ص60.

[4]- المرجع نفسه، ص77.

[5]- سورة الرعد، الآية: 18.

[6]- سورة إبراهيم، الآية: 50.

[7]-سورة ص، الآية: 65.

ٱلْقَهَّارُ ﴾[1]. ارتبطت لفظة (القهّار) في هذه الآيات بالقدرة على الخلق وعظمة المخلوقات من جهة، وتنزيهه ببعض ما وصف به من جهة ثانية .

أما لفظة (الغفّار) فقد وردت في بعض المواطن فاصلة، ومعناها: «هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح. والذّنوب من جملة القبائح التي سترها بإرسال الستر عليها في الدّنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة»[2]. فاللفظة من منظور الغزالي اسم من أسمائه تعالى تتضمن دلالة السّتر؛ أي القبيح من البدن والقبيح من القلب حتى لا يطّلع عليه أحد، وأما الستر الثالث فهو مغفرته لذنوب العبد التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق[3] ولكنّه رحمة منه يستر عبده، وفي هذا التضعيف المستقى من صيغة المبالغة (فعّال)، دليل على تكرارية التوبة؛ كلما تكرر الذنب من العبد تكررت المغفرة من ربه.

مصداقا لقوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[4] وقوله أيضا: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[5] وقوله أيضا: ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾[6]. إن من يقرأ هذه الآيات الكريمات يرى جملة من أسماء الله تعالى قد أرفقت بالفاصلة (الغفّار)، فمرّات مع (العزيز)، ومرّات أخر مع (الواحد)، وهي في هذا تستقي دلالتها من السياق، ولكنها تبتعد عنه أحيانا، فمن خلال الملاحظة المباشرة يمكن الاستنتاج أن هناك علاقة فصل دلالي بين الفاصلة القرآنية (القهّار) وما سبقها إذا فسّرنا الغفار بمعنى السّتّار،ونجد مما جاء على صيغة (فعّال) أيضا ألفاظ من مثل: (الوهّاب، أوّاب،

---

[1] -سورة الزمر، الآية: 05.

[2] -الغزالي، أبو حامد: المصدر السابق، ص76.

[3] -المصدر نفسه، ص76.

[4] -سورة ص، الآية 66.

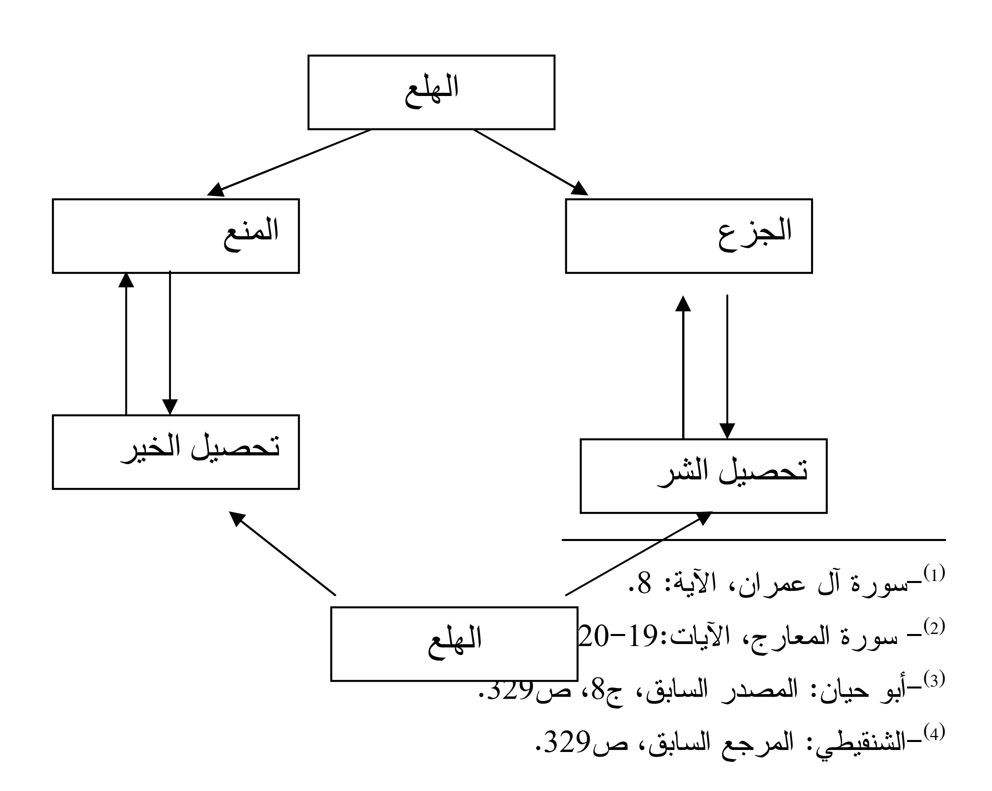
[5] -سورة الزمر، الآية 6.

[6] -سورة ص، الآية 08.

غوّاص)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[1]، ولم يقل (الواهب) وهذا للدّلالة على المبالغة في العطاء والهبة، كما أنّها توافقت صوتيا مع بقية الآيات في السورة نفسها.

●-ما جاء على صيغة فَعُول:

من الأمثلة التي وردت بها لفظة الفاصلة على وزن (فعول) للمبالغة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾،وقوله ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[2]؛ حيث صوّرت هذه الفواصل (هلوعا، جزوعا، منوعا) حالة الإنسان الذي يتملكه شعور الجزع والهلع والمنع، وهو الذي «إذا ناله شر أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس»[3]، وهو تصوير بديع للطبيعة الإنسانية وكأن الإنسان مجبول ومحكوم على الهلع والفزع، وهو جزوع منوع، ولفظة (منوع) هي صيغة مبالغة أيضا للدلالة على كثرة المنع مثل (منّاع) بمعنى حرمه الأمر[4]. وليس لنا أبلغ من تفسير المولى عز عز وجل لهذه الفواصل فيما يسبقها من الآية؛ فلفظة هلوعا فسّرت بالآيتين التي بعدها وهي تقنية دلالية تقوي الرابط السياقي فيما بينها وفق خطاطة الآتية:



[1]-سورة آل عمران، الآية: 8.
[2]- سورة المعارج، الآيات:19-20
[3]-أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص329.
[4]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص329.

خطاطة رقم 12: دلالات الهلع في سورة المعارج

نلاحظ من خلال الخطاطة أنّ الفاصلة (الهلع) جاءت بمعنى شدة الخوف والفزع إثر مصاب يلحق بالإنسان، وهي مركز الثقل في هذا المخطط الذي تدور في فلكه درجات الخوف والفزع، ثم دلالات الطمع في الثواب من خلال تحصيل الخير عن طريق المنع، وهاتين صورتين متضادتين لا يمكن فصلهما، لأنّ معرفة الصورة الأولى توجّهنا لمعرفة الصورة الثّانية.

وقد تعبّر صيغة فَعُول على المبالغة في بعض السّياقات القرآنية، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾[3]. ففي الآية الأخيرة جاءت الفاصلة القرآنية(قَتُورا) بمعنى (مقْترا)، أي أنّ فعول بمعنى مفعِل اي اسم فاعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[4]، فقد وصف الغَرور كناية عن الشيطان، وهذا للمبالغة، وقد وصف بهذا الوصف على هذه الصّيغة لأنّه يغرّ ابن آدم كثيرا وليس مرّة واحدة ، ويوجّهه إلى طريق الضلالة مرّات كثيرة ، وقرئت (الغُرور) وهو كلّ ما غرّ من متاع الدّنيا. ويحدث أن تكسر فاء (فَعول) إذا كان معتلا ناقصا للخفّة، نحو قوله تعالى: ﴿هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾[5] فالفاصلة (صِلِيًّا) لفظ: «أصله

---

[1]-سورة الإسراء، الآية: 3.

[2]-سورة الإنسان، الآية: 3.

[3]-سورة الإسراء، الآية: 100.

[4]-سورة الحديد، الآية: 14.

[5]-سورة مريم، الآية: 70.

(صَلُوْيٌ) من صَلِيَ بكسر اللاّم وفتحها»[1]، والكلمة بمعنى احتراقا. فلما اجتمعت الواو والياء قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء لتتحوّل إلى (صِلِيّا).

وشبيه بهذا الفاصلة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[2]، فبغيا أصلها(بغوي) ، وأيضا قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾[3] فدلالة الفاصلة (عتيا) بمعنى جراءة[4]، وقد اختيرت هذه الصّيغة لأنّ الواو أثقل وأقوى من الياء «وأنّ الضّمة أثقل وأقوى من الكسرة لما فيهما من الجهد العضلي وعلى هذا فــ (عُتُو) أثقل من (عِتِي) وأقوى»[5]. فالكسرة إذن الغاية منها التّخفيف، والحفاظ على الانسجام الصّوتي بين الفواصل القرآنية.

● **ما جاء على صيغة فُعَال:**

(فُعال) صيغة لم ترد كثيرا في الخطاب القرآني، فهي تكاد أن تكون نادرة، منها لفظة (عُجَاب) الدّالة على المبالغة في العجب في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[6] فلفظة (عُجاب) «مبالغة في "عجيب" كقولهم رجل طُوال وأمر سُراع هنا أبلغ من طويل وسراع»[7] كما فسّرها السمين الحلبي (ت 756هـ) أي بمعنى كثرة العجب، لأن كفار مكة قد استغربوا أن يوجد إله واحد يسع الخلق كلهم بعد أن طلب منهم الرسول ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله، فقالوا لا إله إلا الله، فقالوا أن هذا أمر عجيب، لأن العجيب والعجَبَ والعُجابُ واحد[8]، ونرى غير ذلك فإن كانت الكلمتان تتشابهان من حيث دلالتها على الدّهشة والعجب من أمر ما، فهما تختلفان في الصّيغة،

---

[1]-ينظر : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السّيوطي: تفسير الجلالين، دار المعرفــة ، بيــروت، لبنان،(د.ط)، ص 403.

[2]-سورة مريم، الآية: 20.

[3]-سورة مريم، الآية: 69.

[4]-ينظر: السّيوطي : تفسير الجلالين، المصدر السابق، ص 403.

[5]- فاضل السامرائي : بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني: ص 60

[6]-سورة ص، الآية: 04.

[7]- ينظر: السّمين الحلبي، أحمد بن يوسف: الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج9، ص289/ ينظر أيضا: أبو حيان: ج7، ص369.

[8]-البغوي: المصدر السابق، ج7، ص71.

وعليه ستكون الثّانية أقوى في المبالغة من الأولى.

هـ–اسم الفاعل في الخطاب القرآني قراءة في المنحنى الدّلالي والصّرفي

يُعد اسم الفاعل من المشتقات المتميّزة، وهذا لأنّ هذه الصيغة تجمع بين سمات كلّ من الاسم والفعل معا؛ فالبصريون يصنفونها في قسم الأسماء، بينما يصنّفها الكوفيون في قسم الأفعال حينما جعلوا أقسام الفعل إلى ماضي ومضارع ودائم، ويعنون هنا بالدائم هو اسم الفاعل.

يقول سيبويه من البصريين «فأمّا (فَعَلَ يفعُلُ) فمصدره قتل يقتُل قتْلاً، والاسم قاتل؛ وخلقه يخلقه خلقا، والاسم خالق...» [1]، فسيبويه يسميّه (اسما) بينما نجد الزّمخشري من ناحية أخرى لا يحدّد لا اسميته ولا فعليته إذ يعرّفه قائلا: «هو ما يجري على يفعل من فعله كضارب ومكرم ومنطلق ومستخرج ومدحرج»[2]، وقد كان هذا التقسيم مثار جدل كبير أدّى ببعض الباحثين المحدثين إلى الخروج عن هذين التقسيمين إلى تسميته بالصفة[3]، وقد ترتب على تلك الطبيعة المزدوجة لاسم الفاعل، أن أصبحت له دلالتان، الأولى منهما هي الثبوت إذا نظرنا إليه كاسم، ودلالته على التجدد إذا نظرنا إليه كفعل.

ولاسم الفاعل عدّة صيغ يعرف بها، سواء أخذ من الثلاثي أو اشتق من الرّباعي يلخّصها ابن الحاجب بقوله: «ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث وصيغته من الثلاثي المجرّد على (فاعِل) ومن غير الثلاثي على صيغة المضارع بميم مضمومة وكسر ما قبل الآخر»[4]، فهذه الصّيغ متغيرة بعضها قياسي وبعضها سماعي تتغيّر بتغيّر الباب الذي يشتق منه، وأشهرها صيغة (فاعل) إفرادا وجمعا إن كان من الثلاثي، أما إن كان من غير الثلاثي فإنّه يجيء« على وزن المضارع في الحركات والسّكنات، وعدد الحروف، إلاّ أنّ أوّلها أبدا ميم مضمومة، وما قبل الآخر من اسم الفاعل مكسور

---

(1)–سيبويه: الكتاب، المصدر السّابق، ج4، ص5.

(2)–الزمخشري، أبو القاسم: المفصّل في علم العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006، ص195.

(3)–ينظر على سبيل المثال: فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربّي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، الخانجي، القاهرة، ط2، 2008، ص214–243.

(4)–ابن الحاجب: الكافية في النحو، ج2، ص198.

لفظا أو تقديرا»[1].وقد استعمل العرب المصدر وقصدوا به اسم الفاعل وذلك مثل (رجل نوْم)، ويوم عمٌّ، يريدون به النائم والغائم.

ويعمل اسم الفاعل عمل فعله، فإمّا رافعا للفاعل، وإمّا ناصبا للمفعول حسب طبيعة الجملة التي يرد فيها، إذ يعمل في الظاهر والمستتر على السواء، وهو يدل من ناحية اشتقاقه على الحدث والحدوث وفاعله، ونظرا لكثرة توظيف اسم الفاعل في القرآن الكريم، فقد تمّ إحصاء ألف ومائة وثمانية عشرة مشتقا وهي نسبة كبيرة جدا إذا ما قورنت ببقية المشتقات المدروسة وحتى يتسنّى لنا الوقوف عند دلالات اسم الفاعل في القرآن الكريم.

1-ما جاء على صيغة (فاعِل): احتلت صيغة فاعِل الصدارة من حيث عددها في الفواصل القرآنية، إذ بلغت اثنتين وثمانين بعد الستّ مائة (682) صيغة ، وقد أخذت هذه الصيغة من الفعل الثلاثي المجرّد ما نصّ عليه النّحاة واللغويون وهذا من الأوزان الآتية: (فعَل) المفتوح العين، و(فَعِلَ) مكسور العين، و(فَعُل) مضموم العين، ويمكن تلخيصها في الآتي: فللماضي المجرّد الثلاثي ثلاثة أبنية، الأوّل: (فعَل)، بفتح العين، ويكون لازما نحو جلس وقعَد، ومتعدّيا نحو ضرب ونصر وفتح، والثّاني: فعِلَ، بكسر العين، ويكون إلاّ لازما، نحو ظَرُفَ وكَرُمَ.

وقبل البدء في تحليل نماذج من هذه الفواصل القرآنية سنورد جدولا إحصائيا يمثّل عدد التكرارات لهذه الصّيغة في كلّ السور القرآنية.

الجدول رقم (27): صيغة فاعل الواقعة فاصلة في القرآن الكريم

الصيغة	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات
فاعِل	الفاتحة	01	العنكبوت	18	الحشر	06

[1]-ابن عصفور، علي بن مؤمن: المقرّب، تح: عبد الستّار الجواري وعبد الله الجبّوري، ج2، ط1، 1972، ص142.

	البقرة	50	الرّوم	04	الممتحنة	01
	آل عمران	36	السّجدة	02	الصّف	04
	المائدة	29	سبأ	04	الجمعة	04
	الأنعام	23	يس	05	المنافقون	04
	الأعراف	59	الصّافات	26	التّحريم	03
	الانفعال	06	ص	02	القلم	10
	التوبة	31	الزّمر	08	الحاقة	22
	يونس	15	غافر	05	المعارج	09
	هود	15	فصّلت	06	المدّثر	02
	يوسف	38	الشورى	01	القيامة	05
	الرّعد	03	الزّخرف	06	المرسلات	02
	إبراهيم	01	الدّخان	05	النازعات	08
	الحجر	17	الجاثية	02	الانفطار	03
	النحل	14	الأحقاف	07	المطففين	03
	الأنبياء	36	الحجرات	05	الطارق	06
	الحج	01	الذاريات	05	الغاشية	09
	المؤمنون	32	الطور	05	التّين	02
	النور	09	النجم	02	القارعة	03
	الشعراء	21	الواقعة	05	الماعون	01
	النّمل	12	الحديد	03	الكافرون	01
	القصص	22	المجادلة	03		

فمما جاء على وزن (فاعل) قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ

﴿٦﴾ [1]، فكلمة (دافق) في الآية الكريمة مشتقة من (دفَقَ) على وزن (فَعَل)، وقد جاءت الكلمة هنا على وزن فاعل للدلالة على مفعول بمعنى (مدفوق) لأنّها جاءت للمبالغة في الوصف[2]، والمعنى مصبوب « فاللّفظة فيها تعبير عن معنى الحدث وهو فعل التدفّق، ودلالة على ذات المفعول وهو الماء المتدفّق»[3]، وقد عبّرت الكلمة عن السرعة في سيلان الماء[4]، وسيلان الماء يعبّر عن فكرة التجديد والحدوث.

وفي السورة نفسها أي سورة الطارق نجد قوله تعالى: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [5]، حيث جاءت كلمة الثّاقب نائبة عن الصّفة المشبّهة لحكمة إلهية اقتضاها، والثاقب هو: «المضيء الذي يثقب بنور إضاءته ما يقع عليه»[6]، وهذا الوصف، هو وصف ثابت دائما، فهي صفة ملازمة لهذا النجم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد أفادت الصيّغة أيضا معنى دلاليا من اسم الفاعل وهو التجدّد والحدوث وهذا المعنى يتفق مع تعاقب ظاهرتي الليل والنهار، فيتجدد ظهور النّجم وثقبه للظلام يوميا[7].تناسبا مع تعاقب الظلمة والنّور.

أما كلمة (الطّارق) فقد وردت مرّتين فاصلة في الآيتين الأولى والثانية في هذه السّورة، والطارق في الأصل اسم فاعل من طَرَقًا وطُروقا إذا جاء ليلا[8]، وقد ارتبط هذا النجّم بالليل يسمع له صوت يشبه الدّق، لأنهم يقولون أن أصل الطرق هو الدّق، وهذا فيه تبيان لقدرة الخالق وعظمة مخلوقاته من هذه الكواكب التي تصوّر لوحة جمالية حيّة بحركة الأفلاك ووظيفتها في هذا الكون.

ومن الدلالات الفنّية والجمالية لتكرار اسم الفاعل المؤنّث في خواتيم الآيات ما

---

[1]– سورة الطارق، الآيتان: 5-6.

[2]–الفراء: معاني القرآن، ج3، ص255.

[3]–العيداني، جلال الدين يوسف: دلالة البنية الصّرفية في السورة القرآنية القصار، دار الرّاية، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص55.

[4]–الراغب الأصفهاني: المفردات، مادة (دفق)، ص316.

[5]– سورة الطارق، الآية 3.

[6]–الراغب الأصفهاني: المرجع السابق، ص173.

[7]–ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ج30، ص118.

[8]–البروسوي، إسماعيل حقي (ت1137هـ): تفسير روح البيان، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 2008، ج10، ص459.

جاء في سورة النّازعات التي تكرر فيها سبع مرات في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾[1].

يسلك بنا الخطاب في هذه الخواتيم التي ذيّلت بها الآيات في وصف النّفخة الأولى التي «أسند إليها الرّجف مجازا عن طريق إسناد الفعل إلى سببه؛ فإنّ حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الإجرام الساكنة من الرجفان»[2]، بمعنى تلك الحركة الشديدة التي تحدث جرّاء قدوم ذلك اليوم العظيم، وأما الرّادفة فهي الواقعة التي تردف الأولى وتجيء بعدها، وحينها تخشع الأبصار بمعنى تصبح «ذليلة من الخوف بسبب الإعراض عن الله والإقبال على ما سواه يترقبون أيّ شيء ينزل عليهم من الأمور العظام، وأسند الخشوع إليها مجازا لأنّ أثره يظهر فيها»[3].وتبعا لهذا التفسير، فإنّ اسم اسم الفاعل في هذه الآيات يدلُ على الثبوت وليس التجدّد، لأنّ كلّ هذه الأعراض من الخوف والفزع حادثة لا محالة في ذلك اليوم العظيم.

كما أنّ الأغلب في كل تلك المشاهد «معنى النّسبة أي ذات حفر، وذات نخر، وذات خسار، وذات وجيف، وخشوع، ورجف، وردف»[4]. وهذه النّسبة لليوم المعهود هي نسبة ثبوت مؤكد لصفات اليوم الآخر. ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ﴾[5]. فقد عدل الخطاب القرآني من الجملة الفعلية (صمتم) إلى اسم الفاعل (صامتون)، لغاية وهي تأكيد ثبات فكرة الصّمت، فالمشرك مستمر في إشراكه في كلا الحالتين؛ بدعوة النّبيين لهم لدين الحق، أو بصمتهم عن الدّعوة وهذا لأنّ على قلوبهم أقفالها.

---

(1)–سورة النازعات، الآيتان: 6–14.

(2)–البروسوي: المصدر السابق، ج10، ص366.

(3)–المصدر نفسه، ج10، ص367.

(4)–هنداوي، عبد الحميد أحمد: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم–دراسة نظرية تطبيقية، التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص255.

(5)–سورة الأعراف، الآية: 193.

ومن النماذج الفاصلية المنتهية باسم الفاعل ما يجئ منها بصيغة التأنيث، كما مرّ معنا في الأمثلة السابقة، ونزيد عليه الفاصلة (واحدة) التي وردت في عدّة مواضع في القرآن الكريم، ولعلّ من أمثلتها قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ ﴾[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ﴾ [2]، وقوله أيضا: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾[3]. ففي الآية الأخيرة ، جاءت كلمة (واحدة) توكيدا لصيغة المرّة (زجرة) للدلالة على الوحدة وعدم التكرارية «وذلك مبالغة منه سبحانه في الرّد على هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث، وبيان أنّ الأمر جدّ هيّن عليه سبحانه، فما هي إلاّ نفخة واحدة من الملك الموكّل بالنّفخ في الصور، فإنّ الخلائق جميعا قد بعثوا وخرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ليعرضوا على ربّهم»[4]، وهذا العرض لا يكون إلّا مرّة واحدة، ولا يمكن تكراره، فميقاته محدّد في عالم الغيب.

تبيّن لنا من خلال الجدول السابق أنّه في سورة الحاقّة تكرر اسم الفاعل اثنتين وعشرين (22) مرة، مثال ذلك الفواصل: (القارعة، الطّاغية، عاتية، خاوية، باقية، خاطئة، رابية، الجارية، واعية...)،و كلّها مؤنّثة، والآية التي نحن بصددها هي قوله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[5]، فكلمة (واحدة) جاءت صفة لكمة (دكّة) وهي مشتقة من «داك الشيء دَوْكًا: سحقه»[6]، أما كلمة (وحد) والوَحْدَة بمعنى الانفراد، ويقال: «وهذا واحد قومه، إذا لم يكن فيهم مثله»[7]، وواحدة في الآية تعبّر عن أنّ هذه الدّكة نسيج وحدها، لا يشبهها شيء، وهي صفة ثابتة لها، فالدّك يخص الأرض والجبال على السواء «أي فضربت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال إثر رفعا بعضها ببعض

(1)– سورة الحاقة، الآيات: 13-15.

(2)–سورة لقمان، الآية: 28.

(3)–سورة النازعات، الآية 13.

(4)–هنداوي: المرجع السابق، ص258.

(5)–سورة الحاقة، الآية: 14.

(6)–ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ج7، ص128.

(7)–ابن فارس: مجمل اللغة، المصدر السابق، ص692.

ضربة واحدة، فلا احتياج إلى تكرار الضّرب وتثنية الدّق حتى تندقّ وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا»[1].و قد سجّل الإحصاء أعلى نسبة لاسم الفاعل في سورة الأعراف إذ ورد تسعا خمسين (59) مرّة، تليه البقرة بخمسين مرّة (50)، ثم عادت الرّتبة الثالثة إلى سورة يوسف بثمانية وثلاثين (38) تكرارا، لتتواتر بقيّة السور بنسب أقل ومنها النماذج الآتية:

يقول تعالى في سورة الحِجر: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، فلفظة (الساجدين) في هذا المقام جاءت على وزن (فعَل، يفعُل) بفتح العين ماضيا وضمّها مضارعا، وهي من اللازم.وصيغة فاعل تتوزع على أغلبية الأقسام التّصنيفية، فمن الصحيح السالم الفاصلة (شاكرين) في قوله تعالى: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[3]، ومن المهموز قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[4].

أما ما جاء على وزن (فعَل، يفعِل) بكسر عين المضارع فكثير أيضا منه قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾[5]، حيث جاءت (عاكفا) من اللازم، اللازم، أما المتعدّي فمنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾[6].

وما جاء على وزن (فعَل–يفعَل) جاء اسم الفاعل في عدّة نماذج منها قوله تعالى من الصحيح السالم: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[7]، ومن المهموز قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[8]، ومن الناقص قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[9].أما وزن (فعُل) (فَعُل) ماضيا ومضارعا، فإنّه لا يأتي إلاّ سماعا، يقول ابن عقيل: «إتيان اسم الفاعل

---

[1]–البروسوي: المصدر السابق، ص157.
[2]– سورة الحجر، الآية: 98.
[3]– سورة الأعراف، الآية: 17.
[4]– سورة التوبة، الآية: 20.
[5]– سورة طه، الآية: 97.
[6]– سورة يوسف، الآية:70.
[7]– سورة الأعراف، الآية:89.
[8]– سورة البقرة، الآية: 65.
[9]– سورة الذاريات، الآية: 53.

على وزن فاعل قليل في (فعُل) -بضم العين- كقولهم حَمُض فهو حامض»[1]، ومما جاء في القرآن الكريم الفعل (فرِه) فهو فارِهٌ، نعُم فهو ناعم في قوله تعالى:(﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾، وقوله أيضا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾) [2]، وللفظة (ناعمة) عند الطّاهر بن عاشور تخريجان دلاليان إذ يقول: «يجوز أن يكون مشتقا من نعُم بضم العين ينعُم بضّمها الذي مصدره نعومة وهي اللّين وبهجة المرأى وسحن [حسن] المنظر، ويجوز أن يكون مشتقا من نعِم بكسر العين ينقمُ مثل حذر، إذا كان ذا نعمة، أي حسن العيش والترف»[3]، ومهما كان اشتقاق الكلمة فقد جاءت في الآية بصيغة اسم اسم الفاعل وصفا لهذه الوجوه التي ستظهر عليها علامات الفرح والبهجة، وهذه الصّفة ثابتة لهم لا متغيّرة.

أمّا صيغة (فعِل- يفعِل) فهي من الشاذ النّادر، وقد ورد في فعلين فقط هما (ورِث- يرِث)، و(وليَ-يلي) في قوله تعالى على التوالي: (﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾، ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾) [4]، أما ما جاء من (فعِل- يفعَل) بفتح عين المضارع فقد جاء في اللفيف، ومهموز الفاء، ومهموز اللام والناقص في الآيات الآتية على التوالي: (﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، فيها أنها من ماء غير آسن؟، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾، ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾) [5].

وممّا خرج فيه فاعل إلى سياقات دلالية أخرى قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[6]، فقد جاءت بمعنى اسم المفعول (مرضية)، وهو مذهب الفراء[7] الذي نقول

---

[1]- شرح ابن عقيل: ج3، ص103.

[2]- سورة الشعراء، الآية 149، سورة الغاشية، الآية: 08.

[3]- ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، المصدر السّابق، ج30، ص299.

[4]-ينظر: سورة الأنبياء، الآية: 89، سورة الرعد، الآية: 11.

[5]-ينظر: الشعراء، الآية: 54، محمد، الآية: 15، الحاقة، الآية: 36، النحل، الآية: 96.

[6]-سورة الحاقة، الآية: 21.

[7]-ينظر: الفراء: المصدر السابق، ج2، ص 15-16.

نقول به، وهذا لأنّ وصف (المرضية) هو الذي يتناسب مع العيشة، لأنها لا تعيش الشعور الذي يعيشه الإنسان، والعيشة الراضية يقنع بها صاحبها، لهذا فهي متعلقة بالذات الراضية وليس بالعيشة في حدّ ذاتها، وقد تمّ نقل هذه الصّفة من الإنسان إلى العيشة بغرض الانسجام الحاصل بين الفواصل، حتى لا يقال: فهو راض بعيشه.

كما يجب التّنبيه أيضا إلى أنّ صيغة (فاعل) جاءت بصيغة الجمع أحيانا من باب التغليب وبغرض المبالغة، وهذا لأنّ فيها تعميما لشموله أكثر من طرف، وهذا عندما تخاطب الأنثى مدحا أو ذمّا في الفواصل القرآنية بصيغة المذكر المجموع، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2].﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[3]، فهذه الكلمات أبلغ من الذم لو قلنا مكانها (القانتات، الراكعات، الخاطئات).

2-ما جاء على صيغة مفعِل/ ومُفعِّلْ:

بلغ عدد تكرارات مَفْعِلْ ثلاث مائة وست وعشرون (326) مرة، حيث تجيء هذه الصّيغة من غير الثلاثي، أي الصيغ المزيد بحرف، وهذا طبيعي فكلّ تغيير على مستوى هندسة الكلمة بنائيا، يؤدّي بالضرورة إلى تغيّر في الدلالة، وهذه الفكرة التلازمية بين بناء الكلمة ومضمونها أمر طبيعي.

إنّ الناظر إلى الفواصل القرآنية التي جاءت بهذه الصّيغة، إنمّا يجدها وصلات إيقاعية تنقسم إلى وحدات أدائية ذات تأثير جمالي على القارئ، وما يؤيد هذا كثيرة انتشارها في النّص الحكيم بصيغة الجمع، ويؤيّد هذا بعض الأمثلة التي سنحللها بينما سنبيّن الباقي ضمن جدول توضيحي، وردت كلمة (مدبرين) مثلا فاصلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾[4].

نلاحظ من خلال هذه الفاصلة القرآنية أن هنالك أواصر ربط قوية بين هذه

---

[1]-سورة التحريم، الآية: 12.

[2]-سورة آل عمران، الآية: 43.

[3]-سورة يوسف، الآية 29.

[4]- سورة النمل، الآية 80.

الفاصلة (مدبرين) وبين الكلمة التي تسبقها (ولّوا)، فلا يستقيم الكلام لو استبقى المتكلم لفظة (ولّوا) فحسب، وذلك لأنّ التولّي يكون إلى جانب دون جانب، بينما هم تولّوا إلى الخلف، فالدّبُر هو الخلف، ومادة (دبر) لا تبتعد في دلالتها على آخر الشيء وخلفه، يقال دبر النّهار وأدبر وهذا إذا جاء آخره[1]، وعليه جاءت كلمة (مدبرين) مواتية لسياق الآية المتحدّث عن إعراض المشركين، وكأنهم لا يسمعون، لهذا أراد المولى عز وجل تتميم «تتميم المعنى بذكر تولّيهم في حال الخطاب، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإنّ الأصمّ يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة»[2]، ولا أجود في هذا المقام أن يوظف الخطاب القرآني لفظة (مدبّرين) اسم فاعل للتعبير عن شدّة لصوق الصّفة بهم.

ومن الفواصل التي جاءت بهذه الصّيغة أيضا قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[3]، فقد جاء اسم الفاعل هنا مشتقا من الفعل يُيقِنُ «وكان أصله أن يكون المُيقنين على وزن المُفعلين، ونظرا لثقله فقد قلبت فاؤه (الياء) واو التجانس الضّمة التي على الميم التي قبلها طلبا للخفّة»[4]، فأصبحت المُقنين، ثم حُذفت السكون التي على الواو لتصبح المُوقنين، وهي صيغة من غير الثلاثي بضم الميم وكسر ما قبل الآخر.

فالمولى عز وجل بيّن لإبراهيم ملكوت السماوات والأرض كي يرّسخ إيمانه أكثر، وهذا لإقامة الحجّة على المشركين الضالين المكذبين: «وليكون في خاصّة نفسه من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين عين اليقين»(5)، فاليقين كان متحركا غير ثابت عند إبراهيم، ولكن ربّه تثبته إيّاه بالحكمة من هذه المخلوقات.

وحتى يتسنى لنا الوقوف عند تكرارات هذه الصّيغة نفصلها في الجدول الآتي:

---

[1]- ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، ج2، ص324.

[2]-عبد الفتاح لاشين: الفاصلة القرآنية، المرجع السّابق، ص42.

[3]- سورة الأنعام، الآية 76.

[4]-رابح بومعزة: صور الإعلال والإبدال في المشتقات الأحد عشر والمصادر، دار رسلان للنشر، سوريا، 2008، ص66-67.

[5]-المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج7، ص169.

الجدول رقم (28): صيغة مُفْعِل الواقعة فاصلة قرآنية

الصيّغة	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات
مُفْعِلْ	البقرة	14	النور	05	الجاثية	03
	آل عمران	21	الشعراء	23	الاحقاف	05
	المائدة	11	النّمل	12	الحجرات	01
	الأنعام	14	القصص	12	الذاريات	07
	الأعراف	24	القصص	12	القمر	01
	الأنفال	06	العنكبوت	05	الواقعة	03
	التوبة	03	الرّوم	11	الحديد	01
	يونس	19	لقمان	02	الحشر	01
	هود	09	السجدة	01	الممتحنة	01
	يوسف	11	السجدة	01	التغابن	02
	إبراهيم	01	سبأ	04	التغابن	02
	النحل	07	الصافات	15	القلم	03
	مريم	02	ص	01	المعارج	02
	الأنبياء	10	الزّمر	04	المدثر	03
	الحج	02	غافر	02	المرسلات	03
	المؤمنون	08	فصلت	02	البلد	01
			الزخرف	05		
			الدّخان	05		

أما صيغة (مُفَعّل) فهي من فعّل، يفعّل حيث يكون اسم الفاعل فيه للتكسير والتعدية في الغالب، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾[1]، ومن السالم جاء قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ

[1]– سورة الصّافات، الآية 143.

مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1].

وأمّا المضعّف فجاء في موطن واحد قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[2].

3-ما جاء على صيغة مفتعل ومنفعل:

تدخل هاتين الصّيغتين ضمن سياق ما يعرف بالمطاوعة، حيث قال بها سيبويه، ثم أشار إليها من جاء بعده مثل المبرّد، وابن جنّي، وابن الحاجب، وغيرهم، وهي تعني «التّأثير وقبول الأثر بين فعلين الأوّل مؤثّر وهو موجود حقيقة أو تقديرا، والثّاني متأثّر، يتفقان في اللّفظ والمعنى، نحو: كسرته فانكسر،أو يتفقان في المعنى فقط نحو،طردته فذهب»[3]، أشهر صيغها(انفعل،وافتعل) وهذا من باب الثلاثي المزيد بحرفين، فــ(انفعل) لم تظهر إلا بنسب قليلة، بينما وردت صيغة (افتعل) على وزن (مفتعِل) في الفواصل القرآنية، حيث بلغ عددها خمسا وثمانين (85) فاصلة توزعت وفق الجدول الآتي:

الجدول رقم (29): صيغة مُفْتَعِل في الفواصل القرآنية

الصيّغة	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات
مفتعِل	البقرة	11	إبراهيم	01	السجدة	02
	آل عمران	05	الحجر	02	يس	03
	المائدة	04	النحل	03	الصّافات	02
	الأنعام	05	الكهف	02	الزّمر	02
	الأعراف	03	الأنبياء	01	الزّخرف	08
	التوبة	07	المؤمنون	01	القمر	08
	يونس	04	النور	01	المنافقون	01
	هود	02	الشعراء	02	الملك	01
	يوسف	02	القصص	02	عبس	01

---

(1)– سورة آل عمران، الآية: 45.

(2)– سورة المطففين، الآية: 1.

(3)– أيّوب جرجيس العطيّة: أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص15.

إنّ استقصاءنا لاسم الفاعل الوارد بصيغة (مفتعل) يجعلنا نؤكّد قلّة النّسب الواردة في كلّ سورة على حدة، فأغلب السور المستشهد بها وضمت هذه الصّيغة، لا يتجاوز فيها عدد التكرارات الثلاثة ، ونستثني في ذلك أعلى نسبة سجلّت في سورة البقرة بأحد عشر تكرارا، تليه سورتا الزّخرف والقمر بثمانية تكرارات ثم التوبة بعدهما بسبعة تكرارات ثم الأنعام وآل عمران بخمسة منها، وما تكرار هذه الأوزان والصّيغ إلّا من باب مراعاة المتطلّبات النّصيّة الإيقاعية للخطاب القرآنيّ.

يقول تعالى في سورة "المؤمنون": ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾[1]، إذا أخذنا هذه الآية الكريمة كنموذج، وجدنا لفظة (لمبتلين) قد جاءت على وزن (مفتعل) من الابتلاء، وهو من الناقص، ونجد من الصحيح السالم قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾[2]، ومن المهموز: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[5].

و قد تأتي (مفتعل) للمبالغة، كمجيء (مقتدر) بدل قدير من غير الثلاثي، في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[6]، وقوله أيضا:﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[7]، ﴾[7]، بمعنى بالغ في القدرة كما في الكهف:﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[8]. وقد وضح وضح "ابن جني" الفرق بين (اقتدر) و(قدر) بقوله: «فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر، فمقتدر هو أوفق من قادر، من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ»[9].وهذا

---

[1]–سورة المؤمنون، الآية: 30.

[2]–سورة الحجر، الآية: 90.

[3]–سورة يس، الآية: 56.

[4]–سورة البقرة، الآية: 2.

[5]– سورة يونس، الآية 45.

[6]–سورة القمر، الآية: 42.

[7]–سورة القمر، الآية: 55.

[8]–سورة الكهف، الآية: 45.

[9]–ابن جني : الخصائص، المصدر السابق، ج3، ص 264– 265.

لأنّ الاقتدار أقوى من المقدرة، لأنّ في الأوّل إبداعا وخلقا، وجودة، وفي الثّاني القدرة المطلقة .

4-ما جاء على صيغة استفعل:

تعدّ صيغة (مستفعل) المشتقة من (استفعل) من الصّيغ المشهورة في الفواصل القرآنية، وهي تنتمي إلى الأبنية المزيدة بثلاثة أحرف، وقد وردت في القرآن الكريم ستّا وعشرين مرّة، وهي نسبة قليلة يمكن توزيعها على آيات السور وفق الجدول الآتي:

الجدول رقم (30): صيغة استفعل فاصلة قرآنية

الصيغة	السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات
مستفعِل	البقرة	01	الشعراء	02
	المائدة	01	العنكبوت	01
	الأنعام	01	يس	01
	الحجر	02	الصّافات	02
	النحل	03	الزّخرف	04
	الحج	02	الجاثية	01
	المؤمنون	01	الأحقاف	01
	النور	01	الفتح	02

و-الصّفة المشبهة في القرآن الكريم:

عرّفت بأنّها «ما اشتقّ من مصدر فعل لازم للدلالة على اتّصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت والدّوام»[1]، وتصاغ من الثلاثي المجرّد، كما تصاغ من غير الثلاثي الثلاثي على زنة اسم الفاعل، شريطة أن يكون المعنى للدلالة على الدّوام للتفرقة بينهما

(1)-خديجة الحديثي: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة، مكتبة لبنان ناشـرون، بيـروت، ط1، 2003، ص189.

نحو: "معتدِلَ القامة" و"مستقيم الرأي"[1]. فكلمتا (معتدل، ومستقيم) تدلاّن على الثبوت لهذا صارتا صفة مشبهة، تدل على موصوف بالحدث، مع اختلافات جزئية بينها[2].

يتبيّن لنا مما سبق ذكره أنّ هناك أوجه شبه بين اسم الفاعل والصفة المشبّهة تتلخّص «في أنّ كلاّ منهما يؤدي وظيفة وصف الفاعل بالحدث، وهي فرع على الوظيفة الصّرفية العامة، وأنّ كلا منهما يكون مفردا، ومثنّى ومجموعا، ويكون مذكّرا، ومؤنّثا، وأنّ بينهما علاقة اشتقاقية تجمعهما مع باقي الصّفات»[3]. لهذا نجد في القرآن الكريم صورا للعدول بينهما من وإلى بحسب متطلبّات السيّاق القرآني، فعندما يقصد بالصّفة المشبّهة معنى الحدوث مثلا جيء بها على وزن (فَاعِل) كما في قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾[4]؛ فقد عدل عن (ضيّق) إلى ضائق للدلالة على أنّ الضّيق العارض وأنّه غير ثابت في الحال، لأنّ الصّفة المشبّهة لا تكون إلاّ ثابتة في الحال، سواء أكانت موجودة قبله أو بعده[5]، بينما يعبّر اسم الفاعل عن الماضي والحال والاستقبال.

ولأنّ سيبويه لم يحدّد أبنية الصّفة المشبهة، فقد حاولت الباحثة خديجة الحديثي أن تستطلع هذه الصيّغ وفق الأمثلة الشعرية التي أدرجها سيبويه في كتابه[6] وهي:

1-**أفعَلُ:** مثل قول زهير:

أهوى بها أسْفَعُ الخدّين مُطَّرِقٌ ريشَ القَوَادِم لم يُنْصَب لَهُ الشّبكُ

2-**فَعْلَاءْ:** وهي مؤنث (أفْعل) جاءت في قول أبي زيد الطائي، هيفاءُ مقبلةً، عجزاءُ مدبرةً، محطوطةٌ جُدِلتْ، شنباءُ أنيابا.

3-**فَعَلُ:** نحو قولهم هذا حسنُ الوجه.

---

[1]- ينظر: سيبويه: المصدر السابق، ج1، ص100.

[2]-فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربّي من حيث الشكل والوظيفة، المرجع السابق، ص225.

[3]- المرجع نفسه، ص175.

[4]- سورة هود، الآية 12.

[5]- فاضل الساقي: المرجع نفسه، ص175.

[6]- خديجة الحديثي: المرجع السابق، ص190-192.

4-**فعْلٌ:** مثل: ضخْم.

5-**فعلِل:** نحو: هو كريم الأب وهذا البناء يكثر في باب (فَعُلَ).

6-**فَيْعِلْ:** مثل هم (الطّيُبون الأخيار) وذكرت أيضا، جيّد، سيّد، ميّت، بيّن من الأجوف.

7-**مفعول:** قد تجيء الصّفة المشبهة على (مفعول) إذا جاءت بدلالة الثبوت مثل قولهم: مؤدّب خادمهُ، محمود المقاصد وغيرها من الصيغ المتفق عليها.

وحتّى يتسنّى لنا تحديد دلالات الصّفة المشبّهة في القرآن الكريم سنقف عند تحليل بعض النّماذج، منها ما وقع فاصلة على وجه الخصوص. والأشهر في هذا العدول من اسم الفاعل إلى الصّفة المشبهة، و تجلّى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾[(1)]، وقد فسّرها الزّمخشري بقوله: «(عَمِين) عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ (عَامِين)، والفرق بين العَمْي و العَامِي أنّ العمي يدل على عمي ثابت والعامي على عمى حادث»[(2)]، ويمكن إرجاع سبب هذا العدول إلى دلالة الصّفة المشبّهة على الثبوت، ودلالة اسم الفاعل على التغيّر وعدم الثبوت.

وثمة نماذج بليغة لتكرار الصّفة المشبّهة في الفواصل القرآنية كما هي حال صيغة (فعَل) التي جاءت صفة ثابتة من صفات المولى عزّ وجل، من ذلك لفظة (أحدٌ) في سورة الإخلاص حيث قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، حيث وردت مرتين في هذه السورة، حيث جاءت ردّا على من يعبد الأوثان، ويؤمن بالثنوية والتثليث[(*)]، للدلالة على أنّ الله واحد لا يقبل التعدّد، فليس له مثيل، ولا نظير في الذّات والصّفات[(3)]، وقد ذكرّت هذه الصّفة لثلاثة وجوه كما بيّن ذلك السيوطي:

1-إنّ إدخال (ألـــ) على (أحد) فاسد كما هو الشأن في غير وبعض وكل.

[(1)]- سورة الأعراف، الآية 64.

[(2)]-الزمخشري: المصدر السابق، ج2، ص68.

[(*)]-الثنوية كانت عقيدة الفرس التي تزعم أنّ الله هو إله الخير، وهناك صراع بينه وبين إله الشـــر، الـــذي ينشـــر الفساد، ويسميّان عندهم إله النور وإله الظلام. ينظر:في ظلال القرآن، ج6، ص4002.

[(3)]- الزّمخشري :المصدر السابق، ج4، ص242.

2-نكّر (أحد) للتعظيم، وأنّ الذات المقدّسة غير ممكن تعريفها والإحاطة بها.

3-استغني عن تعريف (أحد) لإفادة الحصر، وهو خبر ثان للتضخيم والتعظيم.

وكذلك نجد كلمة (أحدٌ) في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1]،جاءت رسالة مكملة للآية السابقة: «فهي تنفي أن يكون لله سبحانه أحد يكافئة، ويماثله من صاحبه أو صديق»[2]، ولهذا قرنت هذه الصفة بلفظ الجلالة للدلالة على أنّه وحده على كل شيء قادر، والأحد مثل الواحد مشتقة من (وحد) للدلالة على الانفراد، وقد فسّر الشريف الجرجاني (ت816) دلالة هذه الصّيغة على وحدانية الله تعالى بقوله: «تجريد الذات الإلهية عن كلّ ما يتصوّر في الإفهام ويتخيّل في الاوهام والأذهان»[3]. فهذه الصّفة هي أقرب إلى الاسمية لهذا أفادت ثبات الصّفة.

وقد اختار الخطاب القرآني الصّيغة الاسمية لهذه الصّفة للدلالة على ثبوتها، وهذا ما يجعلها لم ترد فعلا فيه، وإنما هي مادّة خاصّة بأحد أسمائه الحسنى وهو (الواحد الأحد)، للتّدليل على ثبات الوحدانية واستمرارها في كلّ زمان ومكان، ويجب التذكير هنا إلى أنّ هناك فرقا بين صيغتين اثنتين هما الواحد والأحد؛ فالواحد يستعمل وصفا مطلقا بينما (الأحد) مختص به تعالى، و«الواحد: هو المنفرد بالذات، أي الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، و(الأحد): هو المنفرد بالصوف، أي الفرد الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام[4]. كما أنّ الواحد يجوز أن يجعل له ثاني بخلاف الأحد، كما أنّ الواحد يؤنث بالتاء فيقال(الواحدة)، بينما في (الأحد) يستوي المذكّر والمؤنّث.

ومن صور الصّفة المشبّهة أيضا مجيئها على "فعلان "و"فعيل" للمبالغة كما في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[5]، وقد وسّعنا الحديث فيها في المبحث الصّرفي من

---

(1)- سورة الإخلاص، الآية: 4.

(2)- نازنين عمر عبد الرحمن: العدد في القرآن الكريم-دراسة تراكبية، دار دجلة، عمـــان، الأردن، ط1، 2008م، ص55.

(3)- الشريف الجرجاني: التعريفات، ص73.

(4)-المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص118.

(5)- سورة الفاتحة، الآية: 2.

هذا البحث، وسنكتفي بالقول بأنّ صيغة (الرّحيم) جاءت لإثبات صفة الرّحمة للمولى عز وجل، وقد كان للسابقة (الــ) تأثيرها أيضا في هذه الكلمة حيث أفادت «معنى التعريف والحصر والتّأكيد؛ لأنّ الله تعالى عرف برحمته التي سبقت غضبه، وحصر تأكيد الرّحمانية والرّحيمية فيه جلّ وعلا دون سواه على وجه المبالغة والإطلاق»[1].فهو وحده من يسمّى الرّحمن، ويمكن إطلاق الرّحيم على غيره.

ولا يزال الخطاب واصفا الجنّة تارة والنّار أخرى، وغيرهما، ففي ثبات الوصف للنّار قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾، فهذا الوصف ثابت للنّار لا يوصف بها غيرها، وكذلك جاءت في سورة الهمزة ألفاظ وقعت فاصلة بصيغ مختلفة من مثل: (لُمَزَة) على وزن (فُعَلَة)، (الموقدة) على وزن (المفعلة)، وكذا (الموصدة) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾[2].وقد فسّرت على لسانه ﷺ مما أخرجه "ابن مردويه" عن أبي هريرة أنّها بمعنى (مطبقة)[3]، وهذا الإطباق يكون دائما ثابتا ويتم باتّصال شيئين دون وجود مسافة فاصلة بينهما.

و يرجع الخطاب القرآني صيغة (مفعلة) في الفواصل لقيامها بالمعنى المراد في قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[4] «فتحديد المسغبة بيوم يدل على أنّه مخصوص، فقد يكون عن تعب او عطش أو غير ذلك»[5] وهذا يختلف عن لفظ الجوع الذي يتميز بالعموم، وهو لفظ من ألفاظ الضر العام الذي يصيب الإنسان في بدنه عن فقر وحاجة، عكس السغب الذي يكون عن قدرة وسلامة لا عن فقر وإعدام[6].

---

(1)–العيداني: المرجع السابق، ص88-89.

(2)– سورة الهمزة، الآية 8.

(3)–السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص531.

(4)–البلد، الآية 14-16.

(5)–محمد ياس خضر الدّوري: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2006، ص156.

(6)–محمد ياس : المرجع نفسه، ص 155.

ثالثا: الفاصلة الفعلية في الخطاب القرآني البنية والدلالة:

إنّ المدقّق في التّشكيل الصّرفي للفواصل القرآنية يلاحظ تواردا تنظيميا للأفعال بأنواعها، فمنها ما جاء بصيغة المضارع، ومنها ما جاء بصيغة الماضي، والبعض الآخر بصيغة الأمر.

والأفعال، كمادة لغوية، ركن أساس في بناء الجملة العربية عموما والآية القرآنية خصوصا؛ ويرجع ذلك إلى حمولتها الزمنية من جهة، وإلى تعدد أبنيتها ومعانيها من جهة ثانية، لتمثّل بذلك أسلوبا بلاغيا له قيمته في البناء النصي في الخطاب القرآني.

كما أنّ أهمية الفعل تزداد أكثر لأنّه يقوم بوظيفة المسند في الجملة الفعلية العربية، و هذا تبعا للدّور الذي يؤديه الفعل في التركيب << فهو يعبّر عن معانٍ نحوية ودلالية مخصوصة يعجز الاسم بأصنافه أن يعبِّر عنها»[1].وفعل الأمر من الناحية النحوية مبني على سكون آخره في الصّحيح الآخر، وعلى حذف حرف العلّة في المعتلّ، وعلى حذف النون في الأفعال الخمسة.

سنقف إذن من خلال هذه الفواصل الفعلية على جملة من الظواهر الصّرفية في الأفعال بأنواعها مجرّدة ومزيدة، مبنية للمعلوم أو للمجهول، ناقصة أو تامة...وغيرها، وذلك من خلال النسبة القليلة الواردة، والتي أُحصيت بستة وعشرين (26) فعلا وقع فاصلة فحسب.

1-الفواصل الواقعة فعل أمر:

المعلوم أنّ الأمر يرتبط بطلب إنجاز فعل ما. والأمر صيغة واحدة موجّهة للمخاطَب في شكل (افعل)، وتكون له صيغ أخرى[2] منها: المضارع المسبوق بلام الطلب كما في قوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾[3]، أو اسم فعلٍ في قوله تعالى:

---

[1]-لطيفة إبراهيم النجار: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير، عمّـان، الأردن، ط1، 1994م، ص161.

[2]-عماد عبد يحي: البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دراسة فنيّـة، دار دجلـة -عمّـان، الأردن، ط1، 2009، ص116 وما بعدها.

[3] - سورة الحج، الآية 27.

﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾[1]، واسم مصدر في قوله أيضا: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[2]، وآخرها أن يجيء الأمر بصيغة الخبر كما قال تعالى: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ﴾[3].

وتشير الدّراسات إلى أنّ الأمر في اللّغة «يحمل رغبة الآمر في استجابة المأمور لشيء ما سواء أكان فعلاً أم قولاً، فيقال أمرْتُ فلاناً أمرَه أي: أمرته بما ينبغي له من الخير».[4] أمّا زمنيا فقد ارتبطت صيغة (افعل) بالدلالة على الاستقبال بالنّسبة لزمن التلفّظ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾[5]؛ ذلك أنّ هذه الأفعال الأمرية تعبِّر عن إنجاز فعل لم يقع، ولم يحدث من قبل. كما تدلّ على الزّمن المطلق من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر[6]، وقد اشترط اللّغويون لصيغة الأمر شرطين اثنين؛ أوّله قبوله نون التوكيد، وثانيهما الدّلالة على الأمر بصيغته مثل (اضْرِبَنْ، واخْرُجَنْ)، فإذا لم يقبل نون التوكيد فهو اسم فعل أمر مثل: **مَهْ، حيَّهلَّ، صَهْ، هلُمَّ.**

لا يهمُّنا –من هذا العرض– تلك الصيغ المتغايرة في المستوى التركيبي للخطاب، إنّما سنتجاوزه إلى الصيغة الأصل (افعل) وهي التي تكررت بشكل لافت في الفواصل القرآنية، وهو مجال تحليلنا.

بعد الاستطلاع على الأمر الذي كان فاصلة في خواتيم الآيات القرآنية تمّ إحصاء ستة وثلاثين (36) فعل أمر من مجموع الفواصل وهو (6323)، خُصَّت أغلب الأوامر بجموع الناس أو المؤمنين منهم أو للمشركين تتّصل بدواعي الطاعة من حيث مضامينها، بينما اختص البعض الآخر منها بالرسول ﷺ، وجّهت إليه برقّة وتؤدة، حيث ارتبطت بأداء واجب العبادة، وقد تجسّدت هذه الدلالة أكثر في السور القصار وهي:

---

(1) – سورة المائدة، الآية107.

(2) – سورة محمد، الآية 4.

(3)– سورة البقرة، الآية 231.

(4) –الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (أمر)، ج1، ص19.

(5) – سورة آل عمران:الآية 200.

(6) –بكري عبد الكريم: الزّمن في القرآن الكريم –دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر، القاهرة، ط1، 1997، ص24.

(المدثّر، الضّحى، الشرح، العلق، الكوثر).

يقول تعالى في سورة الكوثر: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1]، جاءت الفاصلة (وانْحَرْ) بديعة بانتهائها بالراء الساكنة، فقد جاء هذا الأمر موجّهاً إلى الرسول ﷺ بعد العطاء الرّباني وهو الكوثر والذي فسّر بأنّه الخير الكثير، كما فسّر أنّه نهر من أنهار الجنّة، ثمّ جاء الفعل صلّ وانحر، ليدلاّن على الشكر، فبعد العطاء يتجلّى الشكر بعبادة الصّلاة، ثمّ النّحر بصيغة الأمر وهو لا يكون «إلاّ الإبل وهو بمنزلة الذّبح في البقر والغنم وفي هذا أداء حقّ الشكر الواجب للمنعِم سبحانه وتعالى»[2] وقال ابن كثير: «فاخلص لربّك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحْرِك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له.»[3]، والمقصود بالنّحر هنا ذبح المناسك، بعد صلاة العيد وهي السّنة التّي اتّبعها المسلمون والمؤمنون بعد النّبي محمد ﷺ.

أمّا في سورة الشرح، فيستمر الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾[4]، ﴾[4]، وقوله في السورة نفسها:﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[5]، فسّر مجاهد (فانصب) «إذا فرغت فرغت من أمر الدّنيا فقمت إلى الصلاة، فانصب لربّك...وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام اللّيل»[6] وفسِّرت أيضا بمعنى (اتعب): «إذا فرغت من الصلاة، فاتْعب في الدّعاء، أو إذا فرغت من الجهاد، فاتعب في الصلاة»[7]. لقد جاء الفعل هنا للأمر لازما مبنيا على السكون بمعنى الاجتهاد وهو ما نرجِّحُه في هذه الآية؛ لأنّ اللّفظة مشتقة من قولهم: نصب الرّجل في عمله جدَّ.وقد دلّت على هذا المعنى أي «فإذا فرغت من عبادة أدّيتها فاجتهد وأتبعها بأخرى»[8]، أمّا (فارغب) ففسِّرت بمعنى

---

[1]– سورة الكوثر، الآية 2.

[2]–كمال الدين عبد الغني المرسى: فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ط1، 1999م، ص

[3]–ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص503.

[4]– سورة الشرح، الآية: 7.

[5] – سورة الشرح، الآية: 8.

[6]–ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص433

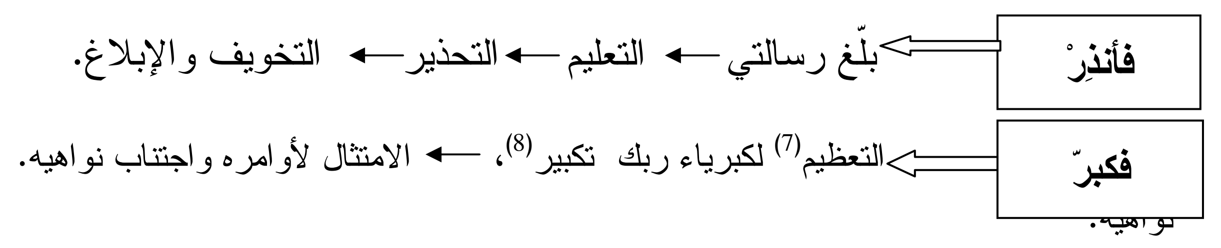
[7]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص347.

[8]–عبد الحميد مصطفى السيّج: الأفعال في القرآن الكريم –دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكـريم فـي جميـع قراءاته، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ج2، ص1349.

«اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجلّ»[1]، فلا يجب أن تكون الرّغبة في غيره.

دعوة أخرى بصيغة الأمر وُجّهت للرسول الكريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾[2]، يتوال الفعلان (اسجد واقترب) في نهاية الآية بهذا الترتيب لأنّهما متّصلان دلاليا، فالسجود هو الانقياد لأمر الله والخضوع لأوامره، وأمّا (اقترب) فنفسره بقوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، فأكثروا الدّعاء»[3]، ومنه فهي بمعنى التقرّب إلى الله[4]. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[5].

عشرة أوامر -إذن- كانت موجهة للرسول ﷺ، ذكرنا منها خمسة وهي (انحر، اقترب، ارغب، انصب، حدّث)، أمّا الخمسة المتبقاة فقد وردت مجتمعة في قوله تعالى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾[6] ويمكن الوقوف على دلالات الأفعال الآتية وفق الخطاطة الموالية:



فطهّر ← تطهير الثياب من النجاسات، طهارة العمل[9] من المعاصي.

فاهجر ← اترك المعصية[1].

---

[1]-ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص433.

[2]- سورة العلق، الآية 20.

[3]-ينظر: صحيح مسلم: الحديث رقم [482].

[4]-أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص491.

[5]- سورة الضحى، الآية: 11.

[6] – سورة المدثّر: 2-7.

[7]- ينظر: الشنقيطي: المرجع السابق، ص340، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص262، أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص362.

[8]-ابن كثير: المصدر نفسه، ج8، ص262.

[9]-أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص362، الشنقيطي: المرجع السابق، ص280.

فاصبر	← الصّبر على تكاليف التوبة، وعلى أداء طاعة الله، وعلى أذى الكفّار[2].

الخطاطة رقم 13: الفاصلة الأمرية في سورة المدثر

نلاحظ أنّ دلالة هذه الأفعال جاءت متدرّجة بحسب السيرورة الطبيعية لمقتضيات المقام، فالإنذار يتمّ أولا لتبليغ الرّسالة التي تقوم على امتثال أوامر المولى عز وجلّ واجتناب نواهيه (التكبير، التطَهّر، هجران المعصية)، وهي المرحلة الأولى للبناء الإنساني، ثمّ تأتي المرحلة الأخيرة بالتكبّد بالصبر، ليكون الصّبر هو الكلمة المحورية التي تستقطب باقي الدلالات في الفواصل الأخرى، والصبر في معناه اللّغوي هو حبس النّفس على أحكام الله الشرعية، سلبا وإيجابا[3]، لهذا يتصل بهجران المعاصي، وتطهير النفس والجسم من النجاسة الظاهرة والباطنة، والصبر بتعظيم الأوامر الإلهية، والتكبير لله دون وسائط من الأوثان والأصناف لتعود إلى نقطة الانطلاق وهي الإنذار أي تبليغ الرسالة مع قليل من التخويف وهو خوف مشوب بالرجاء ومقرون بالرغبة في التوبة، والانتقال بين الدلالات مرتبط دوما بالصبر.

وأمام هذا الانتقال الدّلالي من متوالية إلى أخرى هو مبني في أساسه على التدرّج المنطقي الترتيبي، لأنّ حركة الإنذار ترتبط بالدعوة إلى الله، وهذه الدعوة تقوم على تعظيمه، وتعظيمه يرتبط بالامتثال لأوامره وهجران معصيته وكلّ هذا يستدعي حركة الصبر نحو الطاعة أو البعد عن المعصية.

لاحظنا إذن من خلال النّماذج السابقة أنّ صيغة (افعل) وجِّهت للرسول ﷺ من باب الطلب برفق، وقد جاءت الصيغة هذه بطبيعتها الإفرادية، وهي كقرينة لفظية تناسب مجرى الخطاب، فالمخاطب هو (أنت) –(افعل) فالعلاقة قوية بين التذكير والإفراد.

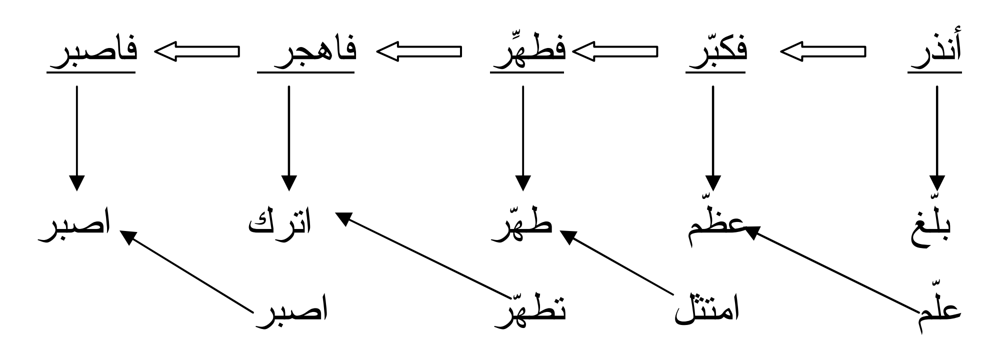
---

[1]– أبو حيان: المصدر نفسه، ج8، ص362– 363

[2]–ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص364.

[3] –الشنقيطي: المرجع السابق، ص154.

فهذه الصورة التراكمية من المدلولات لا يمكن إغفال ترابطها وفق الخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 14: دلالات الأمر في سورة المدثر

إذا انتقل بنا الخطاب إلى مستوى الجماعة وجدنا حقولا دلالية في خواتيم الآيـــات تتصل بما تمّ رصده في الأوضاع القرآنية السابقة ولتوضيح هذا سندرج الآيات القرآنية المعنية بالدراسة في الجدول الآتي:

جدول رقم (31): الأمر ودلالاته في فواصل القرآن الكريم

الشاهد	السورة	رقم الآية
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾	البقرة	39
﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾	البقرة	40
﴿ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	آل عمران	49
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴾	يوسف	45
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾	النحل	51
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	الأنبياء	25
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	الأنبياء	91
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾	المؤمنون	53

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾	المؤمنون	100
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	الشعراء (تكررت 8 مرات)	108- 110، 126-131- 144-150، 163-173
﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	العنكبوت	56
﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾	يس	24
﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾	الزمر	15
﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾	الدخان	20
﴿ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ﴾	النّجم	61
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾	الحاقة	30 31 32
﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾	نوح	3

أجلُّ ملاحظة يمكن تسجيلها في هذه المواضع القرآنية، أنّ الفواصل جميعها جاءت بصيغة الجمع عكس الإفراد الذي لمسناه في الآيات السابقة الموجّهة للرسول الكريم. فصيغة الأمر في هذه الآيات موجّهة لجمع المستمعين والمتلقّين لهذا الخطاب على اختلافهم؛ لهذا فقد جاءت الأفعال الآمرة محصورة في حقول الطاعة، والتقوى والعبادة والرّهبة عندما يكون الله عز وجلّ هو الآمر، وقد تتّجه نحو حقول الاعتزال والاستماع والطاعة والإيمان عندما يكون الآمر نبيّاً أو رسولا.

ففي سورة البقرة يقول تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[1] نلاحظ من خلال الآية الكريمة أنّ الخطاب قد انتقل من مقام التّرغيب إلى التّرهيب، جسّدته

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 39 .

لفظة (فَارْهَبُونِ)، وقد فسّرها ابن كثير بمعنى «فَاخْشُونِ»، وقال ابن عباس: «أي أنزل بكم ما أنزِل بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره.»[1]، وقد حُذِفت الياء ضمير النّصب من الكلمة لأنّها فاصلة جاءت للتناسب وباقي الفواصل في السورة والتي تنتهي بالنون، وينطبق الكلام أيضا على الآية الموالية في السورة نفسها: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[2]؛ فيتمثل لنا دور الحذف هنا في تحقيق الأغراض البلاغية التربوية[3] في دعوة العقول والقلوب إلى الإقبال على القرآن والاهتداء بأوامره والابتعاد عن نواهيه.

في هاتين الآيتين من البقرة حُذِفت الياء في الفاصلتين، أصلهما (فارهبوني/ فاتّقوني) وهذا بغرض الوقوف على السكون تناسباً صوتياً مع باقي الفواصل، هذا من الناحية الشكلية، أمّا من ناحية المعنى فإنّ الغاية من الحذف بوجه عام هو أهمية المحذوف ووجود دليل عليه في الكلام وحُذفت الياء منهما أيضا: «لتوفير العناية بالمعنى والمعنى في الآية الأولى هو "الرّهبة" وفي الثانية هو التقوى»[4].وفي هذا السياق أيضا وردت لفظة (فارهبون) في سورة النّحل، إذ يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾. والرّهبة هي الخوف الشّديد «والخوف خوفان: خوف العقاب وهو نصيب أهل الظاهر ويزول، وخوف جلال وهو نصيب أهل القلب ولا يزول.» [5]، وأمّا التّقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله، والتّقوى أن تترك معصية الله مخافة عذاب الله على نور من الله»[6]. وهو سياق الآية في "المؤمنون" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠

---

(1)–ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص242

(2)– سورة البقرة، الآية: 40.

(3)–القليني، سامح: الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط3، 2010، ص162

(4)–ينظر: المرجع نفسه، ص163.

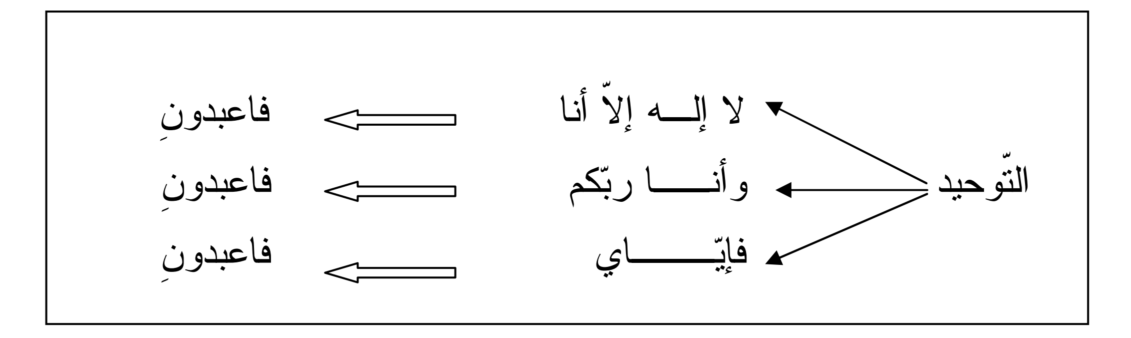
(5)–أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص331.

(6)–ابن كثير: المرجع السابق، ج1، ص244.

رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

بعد التّقوى والرّهبة، تجيء العبادة بصيغة الأمر في عدّة مواضع في القرآن الكريم من ذلك الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] وقوله أيضا: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3]، وقوله أيضا في سورة العنكبوت:﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4]؛ و(اعْبُدُونِ) فعل أمر مشتق من «عبَدَ يعبُدُه، بفتح الأول وضم الثاني: خضع له. وقد فسّروا العبادة بغاية الخضوع والتذلّل لمن يعتقد العابد له بعض أوصاف الربوبية»[5]، فالإنسان العابد يكون مرتبطا بمعبوده خاضعا له، مطيعا لأوامره. فسّر "البغوي" العبادة عنا بمعنى التّوحيد أي وحّدوه[6].

إنّ هذا التّوحيد لا يكون إلاّ من الإنسان المؤمن بحقيقة ثابتة وهي المولى عز وجلّ، ونلاحظ هنا قوة النّسيج اللّغوي من خلال تناسب دلالة الفاصلة مع ما قبلها من السّياق وفق هذه الخطاطة:



<u>الخطاطة رقم 15: الفاصلة الأمرية في سورة العنكبوت</u>

ويمكن تبعا لهذا الاتّحاد الدّلالي أن نغير مسار (الأمر) إلى الاتّجاه العكسي

---

[1]- سورة المؤمنون، الآية: 53.

[2]- سورة الأنبياء، الآية: 25.

[3]- سورة الأنبياء، الآية: 91.

[4]-سورة العنكبوت، الآية: 56 .

[5]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص195.

[6]-البغوي: المصدر السابق، المجلد 5، ص315.

فتصبح الجمل آمرة من أساسها إذ تتشرب معنى الطلب برفق.

اعبدون ←——— لأنّه لا إلــه إلاّ أنا

اعبدون ←——— لأنّني أنــا ربّكم

اعبدوا ←——— إيّاي ولا تشركوا بي شيئا.

2/الفواصل الواقعة فعلاً مضارعاً:

يتقيّد الفعل المضارع بزمن الحال والاستقبال في سور القرآن الكريم، ولكنّه قد ينزاح إلى المضي في سياقات أخرى، وهو يفيد الحدوث والتّجدد زمن وقوعه. جاء في التّصنيف الثلاثي على لسان سيبويه: «فأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث للأسماء، وبُنِيت لما مضى، وما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.»[1]. إنّ "سيبويه" من خلال مقولته يوافق القدماء الدارسين الذين وضعوا الفوارق الزمنية بين الصيغ الثلاث (فَعَلَ، افِعَلْ، يَفْعَلُ) تبعاً للسياق اللّغوي ومقتضياته، وهذا مردّه أساساً لتغيّر دلالة الفعل زمنيا، وضعه ابن جنّي في مقولته المشهورة: «وذلك أنّه قد دلّت الدّلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع إذ الغرض في صيغ هذه المُثل إنّما هو لإفادة الأزمنة، فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه، وكلما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوة الدّلالة على الزمان»[2] ، ومن هذه الخصائص التي تميّز الفعل المضارع عن غيره من المشتقات الاسمية التي مرّت معنا، فإنّ دراسة خصائص هذا الفعل تعدّ موضوعا جوهريا في فواصل الخطاب القرآني نظرا للتنوّع الذي تميزت به هذه الأخيرة، إذ يتطلّع القارئ لفواصل هذا الخطاب إلى رؤية تكاملية بين الأفعال المضارعة المبينة للمعلوم، وتلك المبنية للمجهول، كما يلاحظ أيضا ذلك التنوع في توجيه الخطاب تارة إلى المخاطب وتارة إلى الغائب ونادرا إلى المتكلم.

وبما أنّ الفعل المضارع قد احتلّ الصدارة من حيث تواجده في فواصل القرآن الكريم، إذا ما قورن بنظيريه الماضي والأمر، فقد وجدناه من خلال عملية الاستقراء قد أخذ في ذلك هيئات وبنيات مختلفة حسب السياق الذي يتواجد فيه. وسنورد أمثلة على

---

[1]–سيبويه: الكتاب، ج1، ص2

[2]–ابن جني: الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص375.

تواتر هذه الأفعال في السور القرآنية المختلفة.

أ–ما جاء مبنيا للمعلوم:

ورد الفعل المضارع الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف، أي على وزن (استفعل) سبعا وأربعين مرّة (47)، جاء في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]، جاء وزن الفاصلة (نستعين) على وزن (استفعل) «وأصله: نَسِتَعْوِنُ، لأنّه من العَوْن، فأُلقيت حركة الواو على العين فانكسرت العين، وسُكِّنَت الواو فانقلبت ياء لانكسار ما قبلها؛ إذ ليس في كلام العرب واو ساكنة قبلها كسر، ولا ياء ساكنة قبلها ضمّة؛ وإنّما أُعِلَّ لاعتلال الماضي»[2] ، ولأنّ الخطاب القرآني يتحرّى الدقّة في خلق التوازن بين الآيات دلاليا وإيقاعيا وبلاغيا، فكان له بعض التحوّلات التّركيبية كالتقديم والتأخير، قصد إيصال الفكرة إلى المتلقّي في أبلغ صورة وقد جاءت الفاصلة (نستعين) في الآية السابقة متأخرة وأصلها التقديم «والمعنى: نَخُصُّكَ بالعبادة، ونَخُصُّكَ بالاستعانة، فلا نَعْبُدُ غيرك، ولا نستعين سواك»[3]؛ وقد تحقق قصر العبادة والاستعانة على المولى عز وجلّ دون غيره. ولو قيل مثلا نعبدك ونستعينك، سيكون المعنى إشراك غير الله في العبادة والاستعانة على السواء.

الفاصلة من خلال صيغتها (استفعل) جاءت للدلالة على طلب العون والطلب هو أحد معاني هذه الصيغة، وقد عدَّ لها أبو حيّان اثني عشر معنى[4]، تفرَّدَ هذا السياق بالأمر والإخلاص في عبادة الله دون غيره من المخلوقات والدّعوة إلى الاستعانة به في أمور العبادة. «لأنّ العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم

---

[1]– سورة الفاتحة، الآية: 4.

[2]–القيسي القيرواني، أبو محمد مكّي بن أبي طالب (ت437): مشكل إعراب القرآن، تح: ياسين محمد السّـواس، دار اليمامة، بيروت، ط2، 2000، ص42.

[3]–عبد الفتّاح لاشين: صفاء الكلمة، المرجع السابق، ص197.

[4]–ينظر أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص 140–141، وهذه المعاني هي: الطلب، الاتحـاد، التحـوّل، إلقـاء الشيء بمعنى ما صيغ منه، وعدّه، ومطاوعة افعل، وموافقة تفعل، وافتعل، والفعلُ المجرَّدْ، والإغناء عنـه وعـن فعل، وتفاعل، وفَعَلَ.

هو أن يقدم ما هو الأهمّ فالأهمّ»[1]. ولم تكن هذه الصّيغة حكرا على سورة الفاتحة إنّما يمكننا استنباط دلالات أخرى لها في سور أخرى من الخطاب القرآني نوضحها في الجدول الآتي:

جدول رقم (32): صيغة استفعل فاصلة في القرآن الكريم

السورة	عدد التكرارات	السورة	عدد التكرارات
المائدة	1	السجدة	1
الأنعام	3	سبا	1
الأعراف	1	يس	1
التوبة	2	الصافات	2
يونس	2	الزمر	2
هود	1	غافر	1
الحجر	2	الزخرف	1
النحل	5	الجاثية	2
الإسراء	1	الذاريات	3
الكهف	1	القلم	2
الأنبياء	1	المدثر	1
المؤمنون	1	التكوير	1
الشعراء	1	المطففين	1
النمل	1	العلق	1
الروم	3		
المجموع	44		

---

[1]–ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص135.

ست وأربعون فاصلة في هذا الجدول جاءت بصيغة (استفعل)، وهي قيمة عددية قليلة إذا ما قورنت بصيغ أخرى كما مرّ معنا في المصادر والمشتقات. جاءت هذه الأفعال المضارعة مزيدة، وقد أُضيف إلى أصولها ثلاثة أحرف وهي: (الألف، والسّين، والتّاء)، ومن ذلك استغفر، استكبر، استهزأ، استقام، استبشر، استأخر، وغيرها. والمقصود بالزّيادة هنا «كلّ ما أضيف إلى أصل البنية لتحقيق غرض لفظي أو معنوي، فهي من أهمّ مصادر الثّراء في المعاني وطرائق الأداء»[1] وهذه الزّيادة[*] لا تتحقق إلاّ بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف من المجموع في كلمة (سألتمونيها).

والملاحظ أنّ صيغة (استفعل) هي الصّيغة الوحيدة التي مثّلتها الفاصلة وصيغت في قوالبها، بينما غابت تماما بقية الصّيغ المزيدة بثلاثة أحرف وهي: **(افعوعل)**، و**(افعوّلّ)**، و**(إفعَالّ)**.

أشار ابن جنّي إلى أنّ صيغة (استفعل) عموما تدلّ على الطلب[2]، وطلب الفعل والتماسه يكون مقدمة لأفعال الإجابة[3] التي تتأخر عن أفعال الطلب، فغفر مثلا هو فعل إجابة يأتي بعد استغفر وهو فعل طلب، وهذه الأفعال هي متعدّية وليست لازمة.

تمثل لهذه الصّيغة في قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[5] فالفعل(استهزأ)جاء فاصلة بصيغة الجمع الغائب، والكلمة مشتقة من الفعل هزِأ –هَزَأ يقال: «هز هزئت به

---

[1]–نجاة عبد العظيم الكوفي: أبنية الأفعال، دراسة لغوية قرآنية، دار الثقافة للنّشر، القاهرة، 1989، (د.ط)، ص21.

[*]–للتفصيل في أنواع الزيادة يُنظر: المنصف لابن جنّي، الذي فصّل الحديث في هذا الكتاب عن أربعة أنواع فهي إمّا تأتي للإلحاق، أو للمدّ، أو الزيادة لمعنى، والزيادة في أصل الوضع.

[2] –ابن جنّي: الخصائص، المصدر السّابق، ج2، ص154.

[3] –نجاة، عبد العظيم: المرجع السابق، ص63.

[4]– سورة النحل، الآية: 34.

[5]– سورة الصّافات، الآية: 14.

أي سخرت»[1] والاستهزاء هو طلب الهزء والسّخرية في كثير من الآيات القرآنية من ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2]. لقد جاءت لفظة (يستهزئون) للدلالة على ثبوت الصفة في سياق الآيتين «والدّواعي إلى الاستهزاء خوف الأذى واستجلاب النّفع والهزل واللّعب»[3] وهي أخلاقيات منافية لأدبيات المؤمن، لهذا يتحلى بها الكافر، وأصبحت من لوازم خلقه السيِّء. ومثل هذا السياق الدلالي قوله تعالى:_﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[4]، وقوله في سورة الأنعام: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[5]، ويقول في السورة نفسها:﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[6].

لقد ارتبطت هذه الصّيغة في جلّ الآيات المذكورة آنفا بالدلالة على التّهديد والوعيد الشديدين الموجّهين للمشركين على تكذيبهم بالحق[7]، وتجاوزهم واستهتارهم برسلهم وبرسالاتهم، وهو يحمل في طيّاته بالمقابل التأشير على نصرة المؤمنين ووعدهم بالانتصار والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة. ونشير أيضا إلى أنّ اللّفظة نفسها قد وردت في سور أخرى من الذّكر الحكيم بالدّلالة نفسها[*].

وقد ورد في فواصل الخطاب القرآنيّ قسم آخر من الأفعال المضارعة التي تجيء منفية، منها ما جاء على صيغة (استفعل)، من ذلك الفعل (استكبر) الواقع في قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ

---

(1)– الشنقيطي: المرجع السابق، ص

(2)– سورة الروم، الآية: 9.

(3)–أبو حيان: المصدر السابق، ص202.

(4)– سورة التوبة، الآية: 65.

(5)– سورة الأنعام، الآية: 06.

(6)– سورة الأنعام، الآية: 11.

(7)– ينظر : ابن كثير:المصدر السابق، ج3، ص240

(*) –وردت في: (التوبة65/ الأنبياء 41/ هود8/ الحجر34/ الرّوم 9/ يس 29/ ص45/ غافر 82/ الجاثية 32).

أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] والمعنى أنّهم لا يتكبّرون، وهو ممّا جاء فيه استفعل بمعنى (تفعّل) [2]، ففي هذه الآية نفي للاستكبار، أي منهم عباد وعلماء، وأنّهم قوم فيهم تواضع واستكانة[3]. ومن الأمثلة التي جاءت فيها اللّفظة بالدّلالة نفسها قوله تعالى: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[5] وبصيغة النّفي في سورة النّحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[6]، وحيث يكون النّفي، فإنّ هذه الصور البنائية المتّصلة به -في أغلب الأحيان- تدلّ على الاستنكار؛ لأنّ صفة التكبّر صفة منبوذة؛ لأنّهم لا يتذلّلون للمولى عز وجلّ في عبادته- لهذا من صفات الله عز وجلّ أنّه الكبير المتكبّر وهي من أسمائه التي تعبّر عن عظمته وكبريائه، «والكبرياء: العظمة والملك، وقيل عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلاّ الله تعالى»[7]. فكلّ الملائكة وكلّ المخلوقات على هذه الأرض لا يطلبون التّكبّر وهذا هو الأصل، ويبقى الإنسان وحده طالبا لهذه الصّفة المستهجنة لأنّه جاهل بقيمة التّواضع.

ومن هذا الباب أيضا لفظة (يستحْسِرون)، يقول تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[8]، فالفاصلة (يستحْسِرون)

---

[1]-سورة المائدة، الآية: 84.

[2]-الشنقيطي: المصدر السابق، ص280.

[3]-أبو حيان: المصدر السابق، ج4، ص6

[4]-سورة الأنعام، الآية: 94.

[5]- سورة الأعراف، الآية: 47.

[6]- سورة النحل:الآية، 49.

[7]-خضر موسى محمد حمود: الأفعال الخمسة النحوية في آيات الله الزّكية، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2007، ص31.

[8]- سورة الأنبياء، الآية: 19.

في هذا المقام جاءت للدلالة على عدم تعبهم، أي لا يعيَوْنَ ولا يتعبون. «وهو استفعال من (حسر) إذا أعيا وتعب. وفي حديث جرير: ولا يحسِرُ صائحها أي لا يتعب سائقها. وفي الحديث: «الحسير لا يُعقر»؛ أي لا يجوز للغازي إذا حسّرت دابّته وأعيت أن يعقرها»[1]. وقد جاءت في الآية الكريمة للدّلالة على شدّة التّعب، بمعنى أنّ ملائكته لا يتعبون، ولا يملّون التّسبيح، ولا يتكبّرون عن عبادته.

ومن أمثلة توظيف استفعل فاصلة كلمة (لايستقدمون) وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[2]، ففي هذه الآية الكريمة حديث عن الأجل، أجل انقضاء المدّة الزّمنية التي خصّصت لكلّ أمّة وقد عبّر عنها القرآن بلفظ (ساعة) ليجعل منها وقتا قصيرا مهما طال. وقد جمع الخطاب بين ثنائيتين ضدّيتين هما (لايستأخرون/لا يستقدمون) في الآية كي يبيّن عجز الإنسان أمام الموت.

ولقد وقع الاختيار على توظيف لفظة (لا يستقدمون) فاصلة ليبيّن أنّ طلب تأجيل عمر الإنسان مستحيل، وذلك لأنّ «أجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنّه يموت الحيّ فيه لا محالة. وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه، لا من حيث إنّه ليس مقدورا تأخيره»[3]، وهذا أسلوب من أساليب التّيئيس، يعمد إليها الخطاب بغرض تأكيد نفي المسألة التي هو بصدد نفيها، لأنّ طلب تأخير الموت أمر مستحيل، وطلب تقديمها عن موعدها أمر مستحيل أيضا.

ويستمرّ الخطاب القرآني في توظيف الأفعال المضارعة في خواتيم الآيات القرآنية، ونمثّل لهذا بسورة البقرة التي ضمّت ثلاثا وتسعين (93) فاصلة بصيغة المضارع من مجموع الفواصل القرآنية التي يبلغ عددها (6326 فاصلة)، أكثرها الأفعال المثبتة وقد بلغ عددها 67 سبعة وستين فعلا، بينما قلّ عدد الأفعال المنفية والتي بلغ عددها 26 ستة وعشرين فعلا مضارعا منفيا.

---

[1]–خضر موسى محمد حمود: المرجع السابق، ص31.

[2]– سورة الأعراف: الآية، 34.

[3]– المرجع نفسه، ص25.

و نخلص أخيرا إلى القول بأنّ المطالع لتفاصيل الأفعال المضارعة الواردة في هذا الخطاب يجد استرسالا لورود صيغ الأفعال الثلاثية المجرّدة، مع غياب تام للأفعال الرّباعية المجرّدة؛ يمكن ترتيب نماذج منها ألفبائيا كالآتي:

-[أثر –يُؤثر]: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر: 24]

-[أفك –يُوفكون]: ﴿ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: 77] [1]

-[بخس –يُبخسون]: ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود: 15]

-[بعث –يُبعثون]: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: 13]

-[حبر –تُحبرون]: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: 70]

-[حشر –تُحشرون]: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المؤمنون: 80]

-[حمل –تُحملون]: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المؤمنون: 22]

-[رحم –تُرحمون]: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: 132]

-[رجع –ترجعون]: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 16]

-[رزق –يُرزقون]: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: 169]

-[سَجَر –يُسجرون]: ﴿ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: 72]

-[سحب –يُسحبون]: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر: 71]

-[سحر –تُسحرون]: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: 90]

-[صرف –تُصرفون]: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: 32]

-[فتن –تُفتنون]: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: 48]

-[قلب –تُقلبون]: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: 20]

-[نزف –يُنزفون]: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة: 22]

-[نصر –يُنصرون]: ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: 122]

---

[1]- ينظر أيضا: سورة غافر، الآية: 62.

-[نظر- ينظرون]: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [آل عمران:87]

-[ولد- يولد]: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ [الإخلاص: 3]

وممّا خرج من الصّيغ عن الزيادة الثلاثية للحروف، نجد ما جاء بزيادة حرف واحد كالهمزة، والهمزة من اللّواصق التّصريفية (Inflexional affixes) ذات الدلالة التركيبية والمعنوية من خلال السياق الذي ترد فيه[1]، فهي سابقة(prefixe) تقوم بوظائف تركيبية حيث إنّها تشكل بناء (أفعل) بتحويل البنية من فعل بعد إضافة الهمزة، كما أنها تدخل في علاقات نحوية لتحديد بناء الجملة كدلالتها على التّعدية نحو: أدخله، وأخرجه[2]، ومن الدلالات التّركيبية لهذه الصّيغة أيضا دلالاتها التفضيلية التي نجدها في اسم التفضيل المصوغ على (أفعل) للدلالة على أنّ شيئين اشتركا في صفة معيّنة وزاد أحدهما على الآخر فيها.

كما نجد لهذه الصّيغة دلالات سياقية في فواصل الخطاب القرآني، ولكنّها قليلة، من ذلك الفعل (أعلن)، وهو من «أعلن الشّيء: أظهره»[3] وفي هذه الدّلالة يقول ابن فارس: «العين واللاّم والنّون أصل صحيح يدلّ على إظهار الشيء والإشارة إليه.» [4]، وهذا الفعل يقال في المعاني دون الذوات، وقد ورد مزيدا في اثني عشر موضعا من القرآن الكريم: «كلّها في مقابل الإسرار ولم يصرّح بالمفعول به في أيٍّ منها للدلالة على العموم والإطلاق.»[5]، وهذه بعض النماذج: (﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[6]، ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا

---

(1)-أشواق محمد النّجار: دلالة اللّواصق التّصريفية في اللّغة العربيـــة، دار دجلـــة، عمـــان، الأردن، ط1، 2007، ص149.

(2)-سيبويه: المصدر السّابق، ج4، ص55.

(3)-الشنقيطي: المرجع السابق، ص217.

(4)-ابن فارس: مقاييس اللغة، ج4، ص111.

(5)-نجاة عبد العظيم الكوفي: المرجع السابق، ص84.

(6)- سورة البقرة، الآية: 77.

يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[1]، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾[2]، ﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾[3])[4].

أمّا ما ورد منه فاصلة في القرآن الكريم فقليل من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[5] فلفظة (تعلنون) هي ضد الإسرار شبيهة بقوله تعالى في موطنٍ آخرَ: ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[6] . قال الزمخشري: (ت538ه) في هذا المقام: «عَلَنَ: قد استسرَّ أمره ثمّ علِنَ علَنًا وعلانية واستعلن (...) وأمره عالِن: ظاهر، فأسرَّ أمره وأعلنه، وعالَنَ به علانا ومعالنة...»[7]، بمعنى خرج به من حالة الكتمان إلى حالة الإظهار والعلن.

ب/ ما جاء مبنيا للمجهول:

أحصت الدراسة تواترا لأفعال مضارعة –في أغلبها– صيغت للمجهول في القرآن الكريم، إذ تموقعت خاتمة في أذيال الآيات القرآنية، كما تجدر الإشارة إلى أنّ الأفعال المضارعة كانت أكثر ظهورا نظرا لمقتضيات السياق التي استدعت هذه الفئة دون الأفعال الماضية بنوعيها (الصحيحة والمعتلة) على السواء؛ إذ ينذر تماما وجود صيغ ماضوية، بمثالها وأجوفها وناقصها ولفيفها مقرونا ومفروقاً، في حين تعاقبت الصّيغ المضارعية بشكل لافت للنظر وقلّما نجد السالم والمهموز والمضعّف بينما نجدها في صيغ المضارع، وسيتم تفصيلها في الآتي:

- الصيغ المضارعة الصّحيحة:

---

[1]- سورة هود، الآية: 5.

[2]- سورة النحل، الآية: 23.

[3]- سورة النمل، الآية: 25.

[4]- ينظر: القصص69، التّغابن 4، الممتحنة1، نوح9، إبراهيم40، النّحل19، يس75.

[5]- سورة النحل: الآية: 19 .

[6]- سورة يس، الآية: 76.

[7]- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّــود، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1998، ج1، ص676

ظهرت مجموعة من الأفعال السالمة والمهموزة والمُضعّفة من الصّيغ الصّحيحة المضارعة في القرآن الكريم من ذلك ما جاء في سور مثل: هود، الأعراف، الزخرف، المؤمنون، وغيرها نفصل إحصاءها في الآتي:

الأفعال المبنية للمجهول (الصيغ الصحيحة)	السالم	المهموز	المضعّف
عدد التكرارات	16	4	1

من أمثلتها قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1]، وقوله في سورة هود: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[3] وقال أيضا: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]، وكذلك قوله عز وجلّ: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[5] كما كما قال أيضا: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[6]، كما وقع هذا النموذج الفعلي في سورة البقرة إذ تكرر ستّ مرّات وهذه الأفعال هي: (تُرجعون، يُنصرون، يُنظرون، تُحشرون، لا تظلمون) [7].

- **الصّيغ المعتلّة المضارع:**

هذا عن الصّيغ الصّحيحة أمّا الصّيغ المعتلة فوردت أيضا في الخطاب القرآني

---

[1]-سورة الأعراف، الآية: 13.

[2]-سورة هود، الآية: 15.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 87.

[4]- سورة المؤمنون، الآية:22.

[5]- سورة المؤمنون، الآية: 90 .

[6]- سورة آل عمران، الآية 132.

[7]-وردت هذه الأفعال المبنية للمجهول في الآيات الآتية على التّوالي: (27، 47، 85، 161، 201، 278).

بنسب متفاوتة فممّا جاء بصيغة المثال الفعل (توعدون) من (وعد)[*]، في سورة المؤمنون يقول تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]. أمّا الأجوف فورد مرّة أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾[2]، في حين لم نجد أيّ تواجد للأفعال الناقصة، ولا اللّفيفة المفروقة أو المقرونة، وهذا مردّه إلى أنّ الخطاب القرآني يلجأ إلى الصّيغ الصّحيحة الأكثر يُسراً من حيث نطقها، وسلاسة من حيث اختياراتها الصوتية الإيقاعية التي تتجلّى في هذا المقام مع موضوعات الآخرة كالأفعال: (يُبعثون، يُرجعون، لا يُظلمون، يُسألون، يُنصرون، لا يُنصرون، تُرحمون، تُجبرون).

نُمثل لهذا النوع من الأفعال المعتلّة بالفعل (يولد) في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فهذا الفعل من أفعال الخلق عموما، إلاّ أنّ الفعل (خلق) في هذه الآية يرتبط بالحركة والإرادة الإلهية، وهو فعل مرتبط به تعالى دون المخلوقات، وهو من الأفعال الإيجابية التي تدلّ على قدرة الإحداث، أي إحداث الأشياء والمخلوقات بعد أن لم تكن، بينما الفعل (يولد) مُختصٌّ بالبشر، فالميلاد للإنسان بينما الخلق لله وهو الفرق البيّن بين الفعلين.

وهنا في الآية الكريمة نفيٌ لفعل الميلاد (لم يولد) وقد سبق الفعل بــ (لَمْ يَلِدْ) لنفي شبهة أنّ له أولاداً، لأنّ مشركي العرب ادّعوا أنّ الملائكة بنات الله، وأنّ اليهود ادّعوا أنّ عزير ابن الله، وادّعت النّصارى أنّ المسيح ابن الله، وكلّ هذه الإدّعاءات باطلة. ولأنّ «لم يدع أحد أنّ له والداً فلهذا السبب بدأ بالأهمّ فقال (لم يلد) ثمّ أشار إلى الحجّة فقال: (ولم يولد) كأنّه قيل الدّليل على امتناع الوَلَدية اتّفاقنا على أنّه ما كان ولداً لغيره»[3]، كما عبّر عن ذلك الرّازي (ت604هــ)؛ فهذا الفعل المعتلّ (ولد) يستحق التأخير في صيغته المضارعية (يولد) للتّرتيب المنطقي لموضوع الميلاد؛ لأنّ الصيغة

---

[*]–وكذلك الفعل (ولد) في سورة الإخلاص ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ الآية: 3.

[1]– سورة المؤمنون، الآية 36.

[2]– سورة ص، الآية 5.

[3]–الرّازي، فخر الدين: التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج32، ص183

الأولى (لم يلد) فيها إشارة إلى نفي الوالد، و(لم يولد) نفي أن يكون مولوداً، وهي صورة من صور الإعجاز الصرفي في الخطاب القرآني، إذ يضع الفاصلة التي تناسب صيغتها سياق البناء النّصي لهذا الخطاب.

3/ الفواصل الواقعة فعلا ماضيا:

اشتهر هذا النموذج من الأفعال بدلالته على الزّمن الماضي، لأنّ خصائص الفعل عموما هو الدّلالة على الحقيقة وزمانها، كما يفيد التغيّر في هذا الزمن وفيه إشعار بالتّجدد ومنه «فإنّ الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التّجدد والاسم لا يقتضي ذلك»[1]. لأنّ من خصائص الاسمية الثبوت، والفعل يدلّ على الحدوث والتّجدّد، لهذا لوحظ في الخطاب التجدّد والحدوث خصوصا عند الحديث عن مقامات الآخرة وأهوال يوم القيامة.

إذا تمّت مقارنة نسبة تواتر الفعل الماضي في سور الذّكر الحكيم التمسنا نسبة أقل من نظيره الفعل المضارع، إذ يجيء في الرتبة الثانية بعده بسبعة بعد المائة (107) من التواترات الفاصلية الماضوية، ثمّ يليه بعد ذلك فعل الأمر بنسبة أقلّ من التواتر، إذ لم يرد إلاّ ستّاً وعشرين (26) مرّة، ولمزيد من الدّقة نُفصِّل ذلك في الجدول الآتي:

الجدول رقم (33): الفاصلة الماضوية في القرآني الكريم

السورة	عدد التكرارات
طــــه	14
المؤمنون	01
المعارج	01
المدثّر	08
القيامة	03
المرسلات	04
النازعات	06

(1)–السامرّائي، فاضل صالح: معاني الأبنية العربية، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط2، 2007، ص10

عبس	06
التكوير	14
الانفطار	07
الانشقاق	06
الأعلى	03
الغاشية	05
الفجر	03
الشمس	07
التين	03
الضحى	05
العلق	03
الهمزة	02
الكافرون	01
المسد	02
الفلق	03
المجمــوع	107

لقد توزّع الفعل الماضي من خلال هذه المقاربة الجدولية في أكثر السور القصار، حيث جاءت الفواصل الماضوية بصيغ مختلفة؛ منها ما جاء على أبنية (فعَّل، انفعل، فعل، استفعل، افتعل، أفعل) في حالة بنائه للمعلوم، بينما تجسّدت الصّيغ (فُعِلَ، أُفْعِلَ، فُعِّلَ) في صيغ بنائه للمجهول وسيتمّ تحليل بعض النّماذج لمعرفة دلالاتها الصّرفية.

- **<u>أ/ما بُني للمعلوم:</u>**

أكثر الصّيغ الصّرفية حضورا في بناء الماضي من الفواصل للمعلوم ما جاء على

وزن (انفعل) وهي صيغة أو بناء مستقلّ يحدد آليات تكوين الكلمات وخصائصها الدّاخلية، فهي مزيدة بحرفين (الألف، والنون) للتدليل على مطاوعة كما جاء في النّماذج المدروسة، والمراد بالمطاوعة عند علماء الصّرف هو (قبول تأثير الغير). نقول مثلا: فتحته فانفتح، وقد تكرّرت هذه الصيغة خمس عشرة مرّة (15) في هذه السور القرآنية المدرجة في الجدول؛ و من هذا القبيل الفعلين (انكدر/ انفطر) الواردين على الترتيب في سورتي التكوير والانفطار، وهما من الأفعال «التي تصوّر الظواهر الكونية في اليوم الآخر وكأنّها تصدر عن نفسها دون ما انتظار لقوّة مؤثّرة تجعل السماء تنفطر والنّجوم تتكدر ونحو ذلك»[1]، و كلاهما تدلّان على الفناء والانتهاء بفعل قوّة قاهرة هي القوّة الإلهية.

نلاحظ من خلال خواتيم الآيات التي ذُيّلت بالفاصلتين ترابطا في الخصائص الدلالية للفعلين اللّذين يدلّان على الزّوال، وهذا لأنّهما من أفعال المطاوعة الدّالة على قبول الأثر. فــ**(انكدر)** يحمل معنى التناثر والتساقط، والأصل فيه الانصباب*«قال الكلبي: تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم في السماء إلاّ وقع على وجه الأرض»[2]. أما لفظة **(الانفطار)** فترتبط بشق الشيء[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾[4] أي من شقوق، وقد دلّت صيغة (انفعل) في هذا المقام على المطاوعة كما ذكرنا آنفا، وقد حدّد دلالتها الاستراباذي (ت686هـ) بقوله: «قبول الأثر، وذلك لما كالكسر والقطع والجذب أولى وأوفق، فلا يقال علّمته، فانعلم ولا فهّمته فانفهم»[5]، وهذه الدّلالة لمسناها في الآيات الآتية:

الجدول رقم (34): صيغة انفعل فاصلة قرآنية

الشـــــــاهد	الســــــورة	الآية

(1) –نجاة عبد العظيم الكوفي: المرجع السابق، ص62

(2) –الرازي، فخر الدين: المصدر السابق، ج31، ص68.

(3) –الشنقيطي: المرجع السابق، ص250.

(4) – سورة الملك، الآية: 3.

(5)–الاستراباذي، رضي الدّين محمد بن الحسين: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد الزّفزاف، محمد محي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1982، ج1، ص108.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾	التّكوير	02
﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾	الانشقاق	01
﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾	الانفطار	01
﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾	الانفطار	01

عبّرت صيغة (انفعل) من خلال نماذج الفواصل المدوّنة في الجدول أنّها جاءت للدلالة على الفناء والتّلاشي والموت؛ ذلك أنّها جميعا (انكدرت، انشقت، انفطرت، انتثرت) تصف لنا أهوال يوم القيامة، وما يحدث في هذا اليوم العظيم، تحمل الصّيغة من خلالها قابلية الكواكب والسّماء والنّجوم للتّلاشي، وهذا يستخلص من زيادة الألف والنون في بداية الصّيغة وهما تدلان على التغيير والخروج من حالة إلى حالة أخرى، فهذه الصيغة(انفعل) بطواعيتها تستجيب للقانون الكوني (كن فيكون)؛ عندما ينفرط عقد هذا الكون ويتحوّل إلى اللاّشيء، فهو تصوير لأشراط الساعة، كما أنّ هذه الأفعال الواقعة فاصلة «إنّما تسند للفاعل الذي ينفعل للحدث بسرعة وطواعية لحظة البدء فيه.»[1] إنّها تعبير عن الزّوال والمنتهى بفعل فاعل وهو المولى ﷻ.

أمّا صيغة **(فَعْلَلَ)** فقد وردت مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[2] فلفظة (عسعس) وقعت فاصلة في هذه الآية، وقد فسّرها ابن كثير تفاسير عدّة منها أنّه قيل: إقباله بظلامه أي أظلم، وقيل: نشأ، وقيل أدبر، وذهب وتولّى[3]. فهي تحمل دلالة الإخفاء.

إذا سلّمنا بالدّلالة الأولى أي أظلم وذهب، بينما تحمل دلالة الإبانة والظهور في حالة التّسليم بالدلالة الثانية وهي: نشأ وأقبل، وقد عُدَّ هذا الفعل من باب الأضداد كما أشار إلى ذلك "الفخر الرازي" من خلال ما أقرّه أهل اللّغة: «يقال عسعس اللّيل إذا

(1)–نجاة عبد العظيم الكوفي: المرجع السابق، ص61.

(2)–سورة التكوير، الآية: 17.

(3)–ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص335.

أقبل، وعسعس إذا أدبر»[1]. فكلمة (عسْعَس) من الألفاظ المتضادّة دلّت في سياق الآية على حلول الظلام، وقد اختيرت لتمييز اللّيل عن النّهار بإقبال أحدهما على الآخر ببطء شديد من خلال التّدرّج الزّمني في الانتقال من حالة البياض إلى حالة السّواد والعكس.

ولفظة عسعس تتناسق مع الفعل المضارع تنفس الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ «حيث التّنفس يشير إلى بداية الصّبح، وعسعس يشير إلى إقبال الظلام» [2]. وما زاد من الحروف تحمله اللّفظة من خلال «تكرار العين والسين مرّتين، الذي يوحي بمداهمة اللّيل، ليقضي فترة ثمّ يدبر ويقشعَرُّ، فحين نسمع همس السّين المكرّرة فسنستشعر نعومة ظلّها، ونستريح إلى خفّة وقعها.»[3] ، إنّ هذه التكرارية الصّوتية لصوتي العين والسين لكلمة (عسعس) التي جاءت على صيغة (فعلل)، إنّما تأليفها «يوحي بهذه الحركة الهادئة البطيئة لدخول اللّيل، ويرسم الظّلال الكونية المتدرّجة المصاحبة لدخوله»[4] ، فهو لا يدخل دفعة واحدة إنّما يتدرّج في الدّخول بدءا من وقت الغروب ويستمر حتّى يحلّ الظلام، ويحلّ معه الهدوء والسّكينة، ثمّ يبدأ في التّلاشي رويدا رويدا حتى تتفتّح زهرة الصّبح ببياضها مع تباشير فجر جديد، ليعلن بدء الحياة.

وممّا بني للمعلوم على صيغة (استفعل) قوله تعالى: ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[5] بمعنى «أن رأى نفسه غنيا. قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللّباس والطّعام وغيرهما.»[6] «وفيه وعيد للطاغي المستغني، وتحقير لما هو فيه من حيث مآله إلى البعث والحساب والجزاء على طغيانه.» [7]

- **<u>ما بُني للمجهول:</u>**

---

[1]–الرازي: التفسير الكبير، ج31، ص73.

[2]–عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن، المرجع السابق، ص 261.

[3]–خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، جدارا للكتاب العالمي، عمّان، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، 2006، ص249.

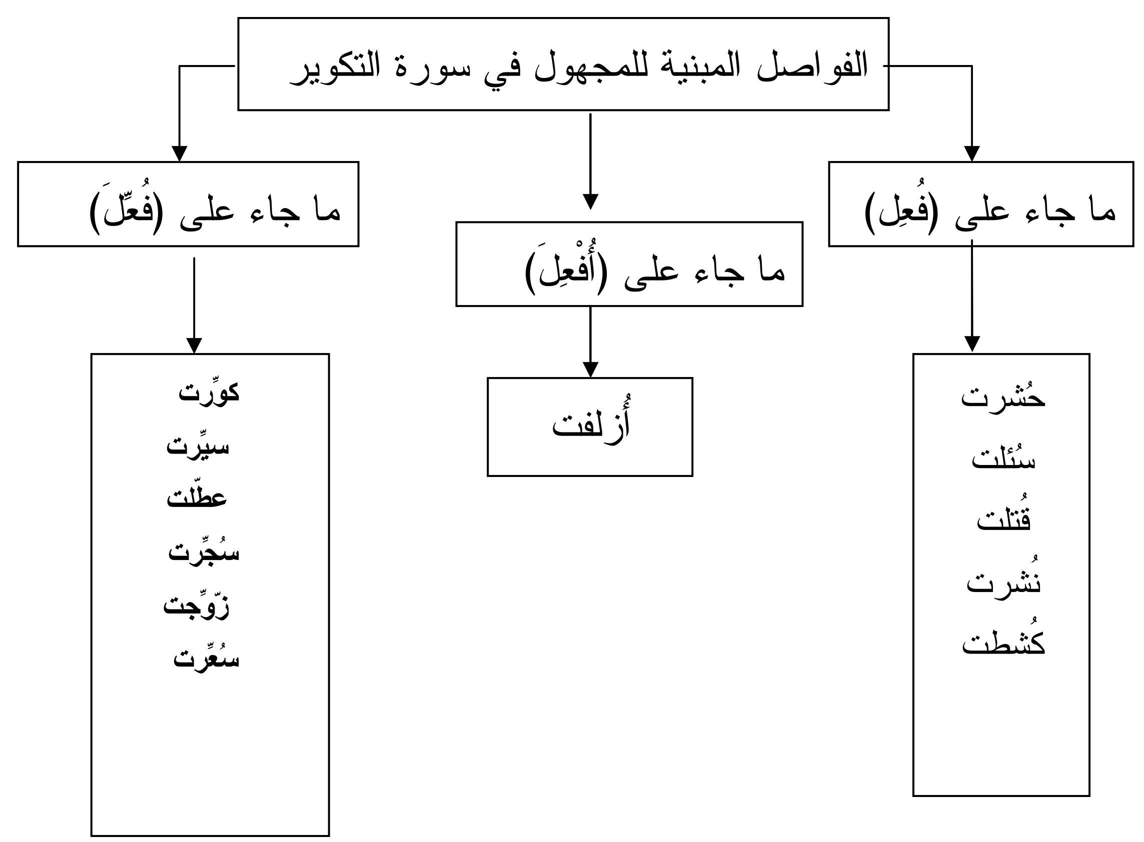
[4]–عبد السلام الرّاغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص215.

[5]–سورة العلق، الآية 07.

[6]–البغوي: المصدر السابق،ج8، ص479.

[7]–أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص489.

ترصد الدّراسة أيضا بالإضافة إلى الأفعال المبنية للمعلوم، الأفعال المبنية للمجهول في الخطاب القرآني، ومن خلال استقصائنا لمواضع ورودها، تراءى لنا أنّ سورة التّكوير كانت نموذجا للقوالب الحركية التي تميّزت بها فواصل السّورة، إذ تعدّدت الصّيغ المبنية للمجهول إلى ثلاث صيغ أساسية وهي: (فُعِلَ، أُفْعِلَ، فُعِّل)، يمكن توضيحها من خلال الخطاطة الموالية:



<u>**الخطاطة رقم 16: المبني للمجهول في الفواصل القرآنية**</u>

من خلال الخطاطة يتوضّح لنا أنّ صيغة (فُعِّل) هي الأكثر انتشارا وتواردا في سورة التّكوير، وهي صيغة مزيدة بالتّضعيف، بنيت للمجهول في الآيات الكريمات من السّورة، وهي قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ ﴾،﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ ﴾،﴿ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ ﴾،﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ ﴾،﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ ﴾،﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ

سُعِّرَتۡ ۝١٢ ﴾)[1]. فالتّكوير هو «اللّف واللّيُّ، من دار العمامة على رأسه وكوّرها.»[2]، بمعنى لفّها. كما فسّرت بمعنى زوالها واضمحلالها، فهي تدلّ على الظلمة فيما حكاه "ابن كثير"، وتدلّ على ذهاب الضوء عند قتادة، وقال سعيد بن جبير: غوّرت، وقال مجاهد: اضمحلّت وذهبت[3]. وكلّ هذه المعاني تتصل فيما بينها بقاسم دلاليّ مشترك هو الزّوال.

وليس بعيدا عن المعنى جاءت لفظتا (سُيّرت، وعُطّلت)؛ فتسيير الجبال جاء بمعنى إزالتها عن أماكنها ونسفها[4]، بينما عبّر الفعل (عطّلت) عن الشدّة المستخلصة من تضعيف الصّيغة «والتّشديد فيه التّحدّي يقال منه عَطَّلْتُ الشَّيء و أَعْطَلْتُه فعطّل نفسه»[5]، أي توقّف عن العمل.

أمّا لفظة (سُجِّرت) فقد عبّرت عن شدّة الإحماء، وهو من الأصل الاشتقاقي (سَجَرَ) الدّال على الامتلاء، يقال: «سَجَّرَ التَّنُّور: أحماه، وسَجَّرَ النهر: ملأه: فمعنى المَسْجُور: الممتلئ ماء، وقيل الممتلئ ناراً.»[6] ومعناه في الآية أنّها أوقدت فصارت ناراً، كما قيل بأنّها تعني (فجّرت) كما ذهب إلى ذلك الكلبي «وذلك لأنّ بين البحاري حاجزاً على ما قال ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ ﴾ فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض، وصارت البحار بحراً واحداً»[7] ، فكلّ المجاري المائية من بحار وأنهار ووديان سيملأ بعضها البعض، وتصبح بحرا واحدا.

لقد عبّرت هذه الأفعال جميعها عن الشدّة والمبالغة من خلال صيغها، فالشّمس تتلاشى إلى أن تنتهي، والجبال تسيَّر إلى أن يتمّ نسفها، والبحار أغرق بعضها بعضًا، والجحيم (سعّرت) أي أُحميت وأوقدت؛ وأمّا النّفوس فقد زُوِّجت؛ والتّزويج هو «جمع

---

(1)– ينظر الآيات: 1، 3، 4، 6، 7، 8.

(2)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص298

(3)–ينظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص328.

(4)–ينظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص330.

(5)–أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص423.

(6)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص118.

(7)–الرّازي: المصدر السابق، ج31، ص69.

كلّ شكل إلى نظيره»[1]، فسّرها عمر ﷺ بمعنى: «أن يُقرَن بين الرّجل الصّالح مع الرّجل الصّالح، ويُقرن بين الرّجل السّوء مع الرّجل السّوء في النّار، فذلك تزويج النّفوس.»[2]، وهناك من المفسّرين من رأى غير هذا وفسّرها بتزويج المؤمنين بالحور العين، وزُوِّج الكافرون بالشياطين كما قال القرطبي[3].

نلاحظ أيضا أنّ هذه الأفعال يمكن تقسيمها ثنائيات نظرا للتشابه الوارد في انتمائها إلى حقل دلالّي واحد مع الاختلاف الحاصل من خلال سياقاتها، وهذه المتقابلات هي:

(سعّرت **تقابل** سجّرت) ←———— الإحماء

(عطّلت **تقابل** سيّرت) ←———— الشّتات

(كوّرت **تقابل** زوّجت)←———— الجمع، اللّف.

ومنه نصل إلى نتيجة مؤدّاها أنّ هذه الأفعال الواقعة فاصلة بصيغة (فُعِّل) لم تخرج عن حقول دلالية ثلاث، وهي: (الإحماء، الشتات، الجمع)، للدّلالة على المبالغة فيها، وتأكيد حصولها أيضا وهي جميعها علامات ليوم القيامة.

أمّا بالنسبة للزّمرة الثانية من الأفعال التي جاءت على بناء (أُفْعل) فقد مثّلها في واحد فقط، مُثّلت بالفعل: (أُزلفتْ) ومعناها القرب والدُّنُوُّ أي: «أدنيت من المتّقين»[4].

أمّا ما تبقّى من فواصل الصّنف الثالث فهي الأفعال (حُشِرت، سئلت، قتلت، نُشرت، كشطت) التي جاءت على صيغة (فُعِل) مبنية للمجهول لتعبّر عن أهمية هذا الفعل أكثر من أهميّة المشار إليه لهذا تأخّرت في أذيال الآيات، ومن ثمّ فإنّ هذه المجاورة قد حقّقت جمالا أسلوبيا في تناسبها وانسجامها نصّيا؛ فلفظة (حشر) مثلا جاءت بدلالة الضمّ والجمع، وقد وردت اللّفظة في عدّة مواطن من القرآن الكريم، من

---

(1)–ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص332.

(2)–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) –القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص213، نقلا عن: ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص333.

(4)–الرازي: المصدر السابق، ج31، ص71.

ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1] وقوله أيضا: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[2] كما سُمِّيت سورة بأكملها بسورة الحشر.

إنّ لفظة (حُشِرَتْ) في الآية إنّما اتّصلت بلفظة الوحوش للدلالة على أنّ الأخيرة تجمع من كلّ ناحية حتّى إذا قضي بينها ردّت ترابا فلا يبقى منها إلاّ ما فيه سرور لبني آدم وإعجابه بنفسه كالطاووس ونحوه[3]. وقد وظّف الخطاب القرآني صيغة (فُعل) لارتباط هذه الأفعال بالمستقبل غير المحدود من ناحيتها الزمنية، ونعني بهذا (حُشرت، نُشرت، كُشطت، سُئلت)، في حين استُثني الفعل (قُتِلت) من سياق الاستقبال اللاّمنتهي إلى سياق الماضي المنتهي، فهو من باب الإخبار عن أحداث ماضية، ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ هو سؤال «لتوبيخ الفاعلين للوأد؛ وهنا جاء الكلام إخبار عنها»[4]، وقد توخّى الخطاب هذه الموازنة بين حركة الأفعال وهي الضمّة لخلق الانسجام الدّلالي من جهة، وخلق الانسجام الإيقاعي من جهة ثانية.

كما تتجلّى لنا العلاقة القائمة بين (كُشِطت، وقُتِلت) من خلال السّياق القرآني؛ فالموءودة تمّ نحرها بوأدها ودفنها تحت التّراب حتّى الموت، كذا فُعل بالسّماء الّتي كُشطت أي أُزيلت من محلها، فالخطاب القرآني كثيرا ما يلجأ إلى مثل هذه المزاوجة الدلالية بين الفواصل لتحرير النّص من المشابهة اللّفظية لرفع اللّبس.

ولأنّ البناء المبني للمجهول له مسوّغه الدّلالي في ترابط النّص، فقد وجدناه يمثّل محورا رئيسا في سورة "التّكوير" لاعتماده على الإحالة على مُشار إليه مجهول وهذا يستدعي الوقوف على المبني للمجهول الذي يتّصل بالمشار إليه المعلوم قبل الفعل، وهذا بدوره يستدعي الوقوف على العلاقة القائمة بين عنصرين رئيسين هما الكلمة الفاصلة والكلمة التي تسبقها.

ولم تكن صيغة (فُعِل) حكرا على هذه السّورة دون غيرها، بل وجدنا لها تكرارا

---

[1]- سورة الكهف، الآية: 48.

[2]- سورة مريم، الآية: 86.

[3]-أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص424.

[4]-المصدر نفسه، ص 424-425.

بنسبة أقلّ كما في السور: (المرسلات، والانشقاق، والغاشية، والانفطار)؛ ففي الغاشية مثلا يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] فسّرها عطاء عن ابن عباس بقوله: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل، أو يرفع مثل السّماء، أو ينصب مثل الجبال، أو يسطح مثل الأرض غيري؟[2] ، ورأى "أبو حيان الأندلسي" أنّها تجيء بمعنى الرّفع، يؤيّد هذا قوله: «أي خلقتها رفعتها نصبتها رُفعت رفعًا بعيد المدى بلا عمد نُصِبَت نَصْبًا ثابتا لا تميل ولا تزول سُطحت سطحًا حتّى صارت كالمهاد للمتقلّب عليها»[3].فالله تعالى خلق السّماء خلقا معجَزا، فلا هي تسقط بلا أعمدة، ولا هي تتلاشى، ولا هي تميل فتذهب سدى.

أمّا إذا انتقل بنا المقام إلى سورة "الانشقاق" نجد صيغة أخرى تظهر جليّا في فواصلها وهي صيغة (فُعِلَ) في قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾[4]، نلاحظ هنا توارد ثلاثة أفعال جاءت بصيغة المجهول وهي (حُقَّت/ مُدَّت/ حُقَّت).

شرح الزّمخشري لفظة حُقّت بقوله: «من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به. يعني: وهي حقيقة أن تنقاد ولا تمتنع، ومعناه الإيذان بأنّ القادر بالذّات يجب أن يتأتّى له كلّ مقدور ويحقُّ ذلك»[5]. بمعنى أطاعت وحُقَّ لها أن تُطيع دون مناقشة. وقد بُنِي الفعل للمفعول والفاعل هو الله تعالى، فمن حقّ الله تعالى عليها الطاعة والاستماع أي: «وحُقَّ لها أن تنشقّ لشدّة الهول وخوف الله تعالى»[6].فهذا تشخيص واضح، يصوّر طاعة المخلوقات في هذا الكون للبارئ والخالق وحده دون كلّ العالم.

وقد تناسب فعل استحقاق الطاعة من السماء، استحقاق الطّاعة من الأرض التّي

---

(1)- ينظر: سورة الغاشية: الآيات: 17، 18، 19، 20.

(2)-البغوي: المصدر السابق، ج8، ص410.

(3)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص459

(4) – سورة الانشقاق، الآيات: 1، 2، 3، 4، 5.

(5)-الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشاف ، ج4، ص565.

(6)-أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص438.

(مُدّت) أي بُسطت وسُوّيت[1]؛ فالفعل الأوّل والفعل الثاني تمّ صياغتهما للمجهول قصد توضيح فكرتي المدّ والاستحقاق، لأنّ الإذن وقع من القادر الأعظم وهو أمر وجبت طاعته. «والمدّ من مدّ الشيء فامتدَّ وهو أن تزال جبالها وأكمامها وكلّ أمتٍ فيها حتّى تمتدّ ويُستوى ظهرها.»[2]، فهنا الأرض قد أطاعت وامتثلت أيضا للأوامر دونما اعتراض مثلها مثل السّماء، وهذا يدلّ على أنّ الطّاعة ليست محصورة في الإنسان فحسب، بل تتعدّاه إلى كلّ الموجودات في هذا الكون.

رابعا: أشباه الجمل الواقعة فاصلة في الخطاب القرآني

ليست الأبنية الفعلية أو المشتقة أو المصدرية وحدها، ما ألّف النظام الفاصلي في القرآن الكريم، إنمّا وجدنا تواترا لأشباه جمل اختلفت تركيباتها، قد وقعت في خواتيم الآيات؛ بعضها كوّن من حرف جر وظرف بعده، وبعضها من حرف جر بعده اسم، وهذا ما سنوضحه من خلال الأمثلة المدرجة ، بعد هذا التّمهيد النظري.

يتفق الدارسون على أنّ مصطلح شبه الجملة يطلق على الجار الأصلي مع مجروره، فيتكوّن لنا بذلك تركيب من كلمتين غالبا ما تدل على الزّمان أو المكان «لهذا ألحق بهما الظّرف لتضمّنه معنى في، وتتعلّق بمحذوف واجب الحذف وهو الكون العام، أو الحدث»[3]، كما يجب الإشارة إلى أنّ العلاقة بين الجار والمجرور لا تكون إسنادية لأنّها لا تشكّل كلاما مفيدا، رغم أنّ طرفي الجر كالكلمة الواحدة مثلهما مثل الصّفات والإضافات لا تنفصل عن بعضها البعض.

ونؤكد أيضا على ضرورة تعلّق حرف الجرّ بالفعل لفظا أو معنى، فاللفظ كقولنا، "مررت بزيدٍ"، أما من ناحية المعنى كقولنا: الكتاب لزيدٍ، أي حاصل أو كائن لزيد، «والتّعلّق هو الارتباط المعنوي بالحدث والتّمسك به: كأنّه جزء من شبه الجملة، لا يظهر معناها إلّا به، ولا يكتمل معناه إلاّ بها، لأنّ شبه الجملة ترد مكمّلة للحدث ومتمّمة

---

(1)– المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

(2)–الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص565.

(3)– عبد الوهاب حسن حمد: النّظام النّحوي في القرآن الكريم، دلائل النظام النّحوي، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2010، ص 54-55.

لمعناه»[1]، وهنا يمكننا الحكم على أنّ شبه الجملة هي عنصر واحد مكوّن من طرفين لا يمكن فصلهما؛ أحدهما الحرف، وثانيهما ما يأتي بعده.

و يبقى الحرف هو الأهم في نظام شبه الجملة نظرا لعمله، وقد وجد اللغويون أن علّة تسميته كذلك «لأنّه طرف في الكلام، وفضلة»[2]، كما عبّر عن ذلك "المرادي" الذي رأى أنّه عنصر أساسي في تآليف الكلام، وقال عنه بأنّه: «إنمّا يدل على معنى واحد في حالة واحدة»[3]،والحروف تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مختصّة بالأسماء، ومختصّة بالأفعال، ومشترك بين الاسم والفعل.

عرّفه سيبويه بأنّه ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، ومثّل لذلك بواو القسم، وثم، وسوف ولام الإضافة وغيرها[4]، وقد نفى النّحويون صفة الخبرية عن الحروف، فهي لا يمكن أن تكون خبرا، كما لا يمكن أن ينتج الكلام من اجتماع حرفين متتاليين مثل (ثم قد) فهي ليست كلاما، وهذا الطرح يؤكد على فكرة اشتراط وجود الاسم أو الفعل بمعية الحرف حتى ينتج الكلام.

ولقد رُبط مفهوم الحرف بالتّركيز على العلاقة القائمة بين الحروف ومتعلّقاتها، ذلك أنّ الحرف ما دلّ على معنى في غيره ، من مثل: (من، في، إلى، ثم،...)، وغيرها من الحروف التي تقتصر وظيفتها في الرّبط بين أجزاء الجملة، و تحقيق معنى التعليق الذي تؤدّيه.

وقد رفض فاضل مصطفى السّاقي هذا التصور، الذي قال به القدماء من أمثال الزّجاجي و غيره ، رافضا بذلك التّقسيم الثلاثي الذي جرى عليه النّحاة [5]، وهذه دعوة من الباحث إلى إعادة النّظر في التّقسيم الثّلاثي المرفوض للكلم وتعويضه بتقسيم جديد

---

(1)– المرجع نفسه، ص55 .

(2)– المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدّين قباوة، محمد نـديم فاضـل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص23.

(3)– المصدر نفسه، ص24.

(4)– ينظر :سيبويه: المصدر السّابق، ج1، ص12.

(5)– ينظر: فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي من حيث الشـكل والوظيفـة، المرجـع السـابق، ص65 و ما بعدها.

يتناسب مع خصوصيات الجملة العربية يقوم على (الاسم، والصّفة، الفعل، الضّمير، الخالفة، الظّرف، الأداة) وهو التّقسيم السّباعي الذي ارتضاه الباحث مخالفا في ذلك رأي من سبقه من قدماء و محدثين[1].

و مهما يكن هذا الخلط في تبويب دلالات الحروف ووظائفها الذي وقع به الزّجاجي، فإنّ المتّفق عليه أنّ المعاني المطلوبة من المتكلّم خاضعة لمبدأ العامل، فالفعل أولى بالعمل، ثمّ الحرف ثمّ الاسم، والحرف له وظيفة هامّة في التّفريق بين معاني المفردات والجمل، وهذا لأنّ «كلّ كلمة بُنِيت أداة عارية في الكلام للتّفرقة بين المعاني فاسمها حرف»[2]، وهذا حتى في حالة زيادة حروفها عن الواحد كما في: هل، بل، لعلّ. ومن خصائص الحرف نحويا أنّه يبنى ولا يعرب، لأنّ معانيه تظهر في غيره لا في نفسه.

وإلى فكرة التّعلق ذهب ابن هشام إلى القول بأن من أحكام ما يشبه الجملة، ويعني بهما الظرف والجار والمجرور، أنّهما يتعلقان بالفعل أو ما يشبهه، أو ما أوّل بما يشبهه، أو ما يشير إلى معناه[3]، ويبدو أن هذا الاهتمام بأشباه الجمل قد ابتعد عن سياق الفواصل القرآنية، حيث نراه قد أهمل من طرف اللّغويين الذين لم يشيروا إلى تعلق الحرف بالظرف في السياق النّصي، مما دفعنا إلى رصد بعض النماذج الفاصلية القليلة الواردة في خواتيم الآيات ومحاولة تجلّي جزئياتها الدّلالية من خلال موقعها.

"إلى حين"، "حتى حين"، "بعد حين" أكثر الفواصل شبه الجملة الواقعة في القرآن الكريم، بمجموع ستّ تكرارات، حيث وردت بنسب قليلة إذا تمّ مقارنتها بالأفعال والأسماء الواقعة فواصل في القرآن الكريم، وقد كانت لفظة (حين) هي آخر هذه المركبات مما يدفعنا إلى التساؤل ما الغاية من هذا الاختيار؟ خصوصا إذا أدركنا عن طريق التّحليل التعدّد الدّلالي لهذه الصيغة.

بدءا نشير إل أنّ (حين) جاءت بمعنى السّنة على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله

---

[1]–ينظر تفصيل ، المرجع السّابق، ص 166 و ما بعدها.

[2]–ابن منظور: لسان العرب، المصدر السّابق، مادة (حرف).

[3]–ابن هشام: مغني اللّبيب ،المصدر السابق، ص409.

تعالى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[1]، وهي هنا لم تقع فاصلة قرآنية ، أمّا في سياقات أخرى جاءت بمعنى الدّهر، وهذا لأنّها عبّرت عن «وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، يكون سنة أو أكثر أو يختص بأربعين سنة أو سبع سنين أو سنتين أو ستّة أشهر، أو كل غدوة أو عشيّة ويوم القيامة والمدّة»[2]، وهو سياق الآية الكريمة: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[3]، فسّرها البلخي (ت150هـ) بمنتهى الآجال وانقضائها[4].

ومن الآيات القرآنية التي ذيلّت بالتركيب (إلى حين) للدلالة على الغاية نجد فاصلتين في سورتي الأعراف ويونس، حيث إنّ هذه الدلالة مشتقة من حرف الجر (إلى) الذي يعبّر عنها، فهذا الحرف من حروف الجرّ الأصلية، يجرّ الاسم الظّاهر، وهو يدلّ عادة على انتهاء الغاية زمانا ومكانا[5]، أما الشطر الثّاني من شبه الجملة فهو الظرف (حين) الذي يرتبط بالزمن المجهول وهو سياق الآيات الآتية:

-﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾. [الأعراف: 36]

-﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾. [يونس: 98]

إنّ شبه الجملة في السياقين تعبّر عن الدلالة السابقة لآية إبراهيم، أي منتهى آجالهم[6]، ومثله ما جاء في سورة الأنبياء: ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[7]،

---

[1]-سورة إبراهيم، الآية 25.

[2]-الشنقيطي: المرجع السابق ص62.

[3]- سورة البقرة، الآية 36.

[4]-البلخي: مقاتل بن سليمان، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: أحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص99.

[5]- ينظر: حمد حسن الشّريف: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص 321.

[6]- البلخي :المصدر السابق، ص99.

﴾[1]، والسؤال هنا ما هو الفارق الدّلالي بينها؟

إنّه من خلال ملاحظة السّياقين نجد تفرّد الآية الأولى بالكشف عن الغاية المعنوية غير المحسوسة من حيث الزّمان والمكان المستقاة من الفاصلة (إلى حين)؛ وهذا لأنّ هبوط آدم وإبليس إلى الأرض موضوع في سياق غيبيّ، تختفي فيه المعالم الزّمنية والمكانية، لمعرفة أوان النّزول من الجنّة إلى الأرض ومكانه، وعليه فقد عبّرت الفاصلة القرآنية على الإبهام والمجهولية.

بينما في آية يونس نلاحظ أنّ حادثة التمتّع في الدّنيا قد انقضت، وعذاب قوم يونس قد انتهى في الماضي السّحيق، ويمكن للقارئ عن طريق المعلومات التّاريخية أن تكون له معرفة تقريبية بالحدث ومكانه وزمانه، وعليه فالفاصلة الثّانية جاءت للدلالة على المجهولية الجزئية وليست المطلقة كما في النّموذج السابق.

أما في سورة (ص) فقد فسّر ابن كثير شبه الجملة المركبة من (بعد حين) في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾[2]، بدلالتها على القرب الزّمني، أي عن قريب، وبقيت هذه المدّة الزمنية مبهمة، ولكنها عموما فسّرت لفظة (حين)، أي بعد الموت، فالفاصلة المبهمة هنا لها أثر دلالي عميق مجاله المساءلة الدائمة عن المدّة الزمنية غير المحدّدة، التي تبعث العباد على العمل الصالح، خشية انتهاء حياتهم فجأة، إلاّ أنّ عكرمة قال إلى يوم القيامة، ورأى ابن كثير أنّ «لا نفي بين القولين؛ فإنّ من مات فقد دخل في حكم القيامة»[3]،وقال ابن عباس، وعكرمة وابن زيد يوم القيامة، بينما فسّرها قتادة والفرّاء والزّجاج، بمعنى بعد الموت على ما ذكره أبو حيان[4]. ودلّت في سياق آخر على مجهولية الزّمان في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[5].

وجاءت صيغة (حتى حين) في تراكيب قرآنية أخرى من ذلك قوله تعالى:

---

[1]– سورة الأنبياء، الآية: 111.

[2]–ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص83.

[3]–المصدر نفسه، ج7، ص83.

[4]–أبو حيان:المصدر السابق، ج5، ص388.

[5]– سورة الصافات: 148.

﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[1]، وقوله في سياق آخر: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2]، في الآية الثانية وجّه الخطاب إلى نوح عليه السلام لتدل لفظة (حين) على انقضاء أجله؛ فبعد أن كذبه قومه، واتهموه بالجنون وادّعائه النّبوّة، خاطبوه بقولهم: «انتظروا به ريب المنون، واصبروا عليه مدّة حتّى تستريحوا منه»[3]، فسّرها أبو حيان بقوله: «لعلّ تأخير هذا الموعد لكم لننظر كيف تعملوه، أو يمتنع أوّلكم إلى حين، ليكون ذلك حجّة وليقع الموعد في وقت هو حكمة»[4]، فالوقت مجهول غير معلوم، هو أجل مسمّى[5] يعلمه المولى عز وجل وفقط.

أمّا عن الامتداد الزّمني إلى يوم القيامة فقد عُبّر عنه بتركيب (بعد حين) الذي ورد مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[6]، نفصلها في الآتي:

الفاصلة	عدد التكرارات
إلى حين	خمس مرات
حتى حين	مرتين
بعد حين	مرة واحدة

نلاحظ من خلال النّماذج السابقة، أنّ أشباه الجمل وفق النماذج المدوّنة في الجدول جميعها تدلّ على الزّمن غير المحدّد، ولكنّها تختلف في مقداره، فمنها ما دلّ على قرب يوم القيامة ودنوّه في المستقبل مع جهل بتاريخه، ومنها ما دلّ على زمن حصل في الماضي وانقضى، يمكن للباحث أن يتعرّف على بعض جزئياته من خلال

---

(1)–سورة المؤمنون: 54.

(2)– سورة المؤمنون: 25.

(3)–ابن كثير: المصدر السابق،ج5، ص473.

(4)–أبو حيان: المصدر السابق، ج6، ص ص318–319.

(5)–ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص388.

(6)– سورة ص، الآية 86.

بعض المعرفة التّاريخية بقصص الأنبياء مع أقوامهم، وعليه يكون الزّمن فيها تقريبيا.

و نعتقد أنّ قلّة ورود هذا الصّنف من الفواصل في القرآن الكريم هو السبب الذي جعل الدّارسين للبلاغة القرآنية يسقطون هذا النّوع المركّب من حرف جر مع الظرف ،إنمّا اهتموا بالفواصل الاسمية والفعلية منها فحسب، كما أنّهم لم يهتموا بالنّوع المشابه لهذا، وهو حرف الجر مع الاسم، كما هي الحال في التّركيب (من طين)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[2].فهنا التّعليق طبيعي بين جار ومجروره، حيث توضّح الارتباط الوثيق بين العنصرين.

أخيرا بعد طوافنا مع الصّيغ الصّرفية الأكثر ورودا في خواتيم الآيات القرآنية، يمكن لنا أن نقف وقفة متأنّية مع الجانب التّركيبي للفواصل القرآنية، فماهي يا ترى أكثر المواقع الإعرابية التي شغلتها هذه الفواصل في الخطاب القرآني؟

---

[1]–سورة ص، الآية71.

[2]– سورة ص، الآية 76.

المبحث الثالث

البنية التركيبية للفاصلة القرآنية
قراءة في تحوّلات الحركة الإعرابية
والموقع الإعرابي

مدخل

جاءت الدراسة التركيبية كزاوية استمرارية لما تمّ تحليله في المبحثين الصوتي والصّرفي على التّوالي، إذ يدور هذا المبحث حول تبيان العلاقة القائمة بين الإعراب والمعنى في الفواصل القرآنية، لهذا ارتأينا أن نقف من خلاله عند ثلاثة مستويات:

1-الحركة الإعرابية وتبدلاتها في الفاصلة في القرآنية.

2-المواقع الإعرابية للفواصل القرآنية وتبيان مواطن تشابهها ومواطن اختلافها بحثا عن البنيات المكوّنة للنص القرآني من خلال فكرة التوازي بين الآيات، وإسهامها في تشكيل الخطّة الترتيبية التي بنت هذا النّظام، وتحققت على إثره صور الانسجام النّصي، ليس بين السورة والسورة الثانية فحسب، بل داخل ثنايا آيات السورة نفسها، وهذا ما سنبيّنه في الآتي من هذه الدراسة.

3- ظواهر تركيبية في الفواصل القرآنية كالحذف والزّيادة والتقديم والتأخير.

أولا: الحركة الإعرابية في الفاصلة القرآنية:

يتفق اللغويون على أنّ الحركة الإعرابية أو العلامة الإعرابية كما يسمونها لها علاقة مباشرة بالمعنى، وهي تختلف وتتبدّل بحسب تأثرها بما يسبقها أو يلحقها، وهي عند النّحاة عنصر بليغ الأهمية في الإعراب، لهذا ربطوه بتغيّر أواخر الكلم تبعا لاختلاف مواقعها واختلاف ما يؤثر فيها في الجملة، ولقد اتصل الإعراب بالأسماء بينما خصّ الأفعال وكذا الحروف بالبناء.

وبما أنّ العلامة الإعرابية تمثل قرينة مهمّة من قرائن تحديد المعنى الوظيفي للكلمة داخل الجملة، أردنا أن نتوصل إلى دلالاتها في الفواصل القرآنية من خلال البثّ في تنوعها واختلافها بين آية وأخرى، داخل السورة القرآنية، مما يدفعنا إلى التّساؤل لماذا هذا الاختلاف؟ وهل يعدُّ من المتطلبات الإيقاعية؟

لقد وظّف الخطاب القرآني آلية استبدال الحركة بالحركة في فواصله، بطريقة تناوبية لمسناها في السور القصار أو المتوسطة الطول أكثر من السور الطوال، نمثل لهذا ما جاء في سورة الصّافات من قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ

جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾[1]، ثمّة ملاحظة وجب الإلماع إليها وهي تغير الحركة الإعرابية مثنى في هذه الآيات وفق حركة التغير للعلامة الموضح في الآتي:

الفاصلة	علامة الفاصلة الأولى	علامة الفاصلة الموالية
جانب	الكسرة	الضّمة
واصبٌ	الضّمة	الضّمّة
ثاقبٌ	الضّمة	الكسرة
لازبٍ	الكسرة	الفتحة

جاءت هذه الفواصل الاسمية – وفق الجدول– مختلفة من حيث بناؤها الإعرابي، فكانت العلامات تنتقل بين الخفض والرّفع، ثم الخفض ليجئ النصب أكثر حضورا في كل السورة؛ ثنائية فاصلية تختم بالكسرة وثنائية أخرى ختمت بالضّمة، والغاية الرئيسة في هذا التناوب الحركي هو رفع رتابة الإيقاع وتجديده، لإبعاد الملل عن المتلقي (السامع– القارئ)، لأنّ هذا من دواعي الجاذبية النفسية تحقيق التنويع، عبر خيط كسر الرتابة وانتقال المعنى من دلالة إلى أخرى.

هذا العدول من حركة إعرابية إلى حركة أخرى أطلق عليها أحد المحدثين مصطلح "التغيّر" مبرزا أهمية تحققه، لأنّ النّظّم الذي لا نجد فيه غير الرّقابة هو نظم يبعث على الضّيق[2]، والذي يشدُّ السّمع والذّهن على السواء هو الصّدمة غير المتوقعة، وهو ما أكده حسين نصّار بقوله: «فإنّ كان ما يحدث الصّدمة هو ظهور شيء جديد يثير الاهتمام على نحو مؤكّد، فإنّ الأثر الذي يتولّد في نفوسنا هو أثر الشيء "الطّريف"

---

[1]– سورة الصّافات، الآيات: 8–11.

[2]–محمد فريد عبد الله: الصّوت اللّغوي ودلالته في القرآن الكريم، دار الهلال، بيروت، ط1، 2008، ص85.

(Picturesque)» [1]، فأين تراها الصّدمة والطّرافة في هذا التحوّل الصوتي؟

فسّرت لفظة (مارد) بمعنى المتمرّد العاتي الذي أراد أن يسترق السمع[2]، في الآية التي سبقت هذه الآيات وهي قوله تعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [3]، أما (جانب) أي كل جهة، أما لفظة (واصبٌ) بمعنى دائم وموجع ومستمرٌّ، ومستنير هي دلالة لفظة (ثاقب)، ثم جاءت فكرة الخلق بالطّين اللازب «الذي يلتزق بعضه ببعض» حسب رواية الضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير[4].

وقد يعدل الخطاب القرآني في هذه الفواصل من هاتين الحركتين (الضمّة والكسرة) إلى حركة (السكون)، من خلال الوقف على الساكن، ويصبح بذلك هذا الانتقال من التّغير إلى الثبات مظهرا وسندا قويا لخلق المشابهة في نظام الوقف عند القراءة.

وعلى الرّغم من أنّ إعراب الفواصل في سورة "الصافات" وغيرها مثّل ظاهرة بنيوية تميّز هذا المعنى النحوي عن غيره، فإنّ هذا الدّور سرعان ما يفتقد إذا ما اتّجه الدارس من المكتوب إلى المنطوق، حيث يشترط في حسن الأسجاع الإعراب على المستوى المكتوب، بينما يُكتفى بالوقف على السكون عند النّطق وهذا حتّى لا يفسد السّجع. فظاهرة التّسكين ظاهرة إيقاعية بامتياز، يستند إليها القالب النّغمي في خلق انسجام صوتيّ بين عناصر الكلِم، وهي ضرورة من ضرورات سجع الكلام.

وتنطبق هذه المقولة التحوّلية للحركة في سورة قرآنية أخرى، من ذلك (المدثّر)، حيث جاءت بعض فواصلها مرتبة حركيا كالآتي: (مستنفرة- قَسْوَرَةٍ-منشّرة)أي ضمة فكسرة، ثم ضمة فكسرة بشكل تناوبي، وهو شأن سورة القيامة الآيات (26-30) (التراقي- راقٍ، الفراقُ- الساق- المسَاقُ)، بينما حافظت سورة العاديات على الضمّة كمحور اتصالي بين فواصلها كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ

---

[1]-حسين نصّار: الفواصل، المرجع السّابق، ص186.

[2]-ابن كثير: المصدر السابق، ج7 ، ص6.

[3]-سورة الصافات، الآية: 7.

[4]- ابن كثير: المصدر نفسه، ج7، ص7.

عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾[1]، في حين حافظت على النهايات الفاصلية بالفتحة في بداية السورة.

إذن تبعا لهذا التحليل نجد اختلافا في نهايات السورة أو بداياتها من حيث الحركة الإعرابية، التي قد تكون فتحة أو ضمة أو كسرة بالتناوب، وقد تكون حركة موحّدة في آيات متتابعات نمثل لبعضها كالآتي:

-**حركة الفتحة مع المد بالألف:** نجد أمثلة هذا النّمط مجسّدا في سورتي الزّلزلة والقمر، حيث تنتهيان بضمير المؤنث الغائبة (ها) مع ثبوت الفتح في نهايات فواصلها يتلوه المدّ بالألف كالآتي:

سورة الزلزلة:

زلزالها	أثقالها	مالها	أخبارها	أوحى لها

سورة القمر:

ضحاها	تلاها	جلّاها	يغشاها	بناها	طحاها	سوّاها	زكّاها	دسّاها

يسمّى ابن جنّي هذا النّوع من المدّ بـــ(مطل الحركات)، وهي عنده الثلاثة اللّينة المصوّبة، وهي الألف والياء والواو، ففيها امتداد ذو لين[2]، والملاحظ أنّ صوت الهاء هنا جاء رويّا لهذه الفاصلة متبوعا بالمدّ بالألف، وهذا من باب تقوية هذا الامتداد الصوتي، وامتدادا للظاهرة المفزعة التي ستحدث يوم القيامة، ومتطلبات هذا الجو من حركة شديدة عند قيام الساعة، أو أنّها زلزلة يوم القيامة[3].

حركة الفتحة مع التنوين: مثّلت ظاهرة الانتهاء بالفتح مع التنوين نسبة بارزة، حيث في فواصل قرآنية أخرى تتجسد حركة الفتحة، المشبعة بالتّنوين للترنم، مثل ذلك

[1]- سورة العاديات، الآيتان 6-8.

[2]- ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، المصدر السابق، ص164.

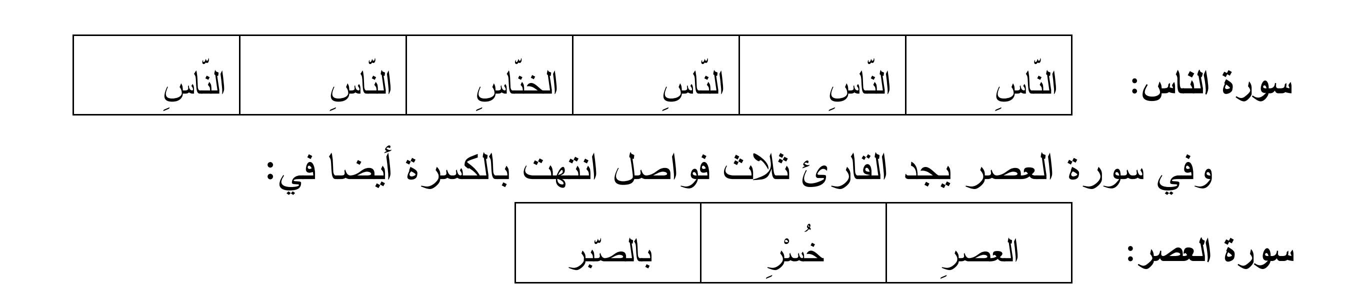
[3]- ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، تـــح: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج8، ص291-292.

الإيقاع الانسجامي في سورة العاديات.

سورة العاديات:	ضبحًا	قدحًا	صُبُحًا	نقْعًا	جمعًا

وإذا كانت هذه الفواصل تقوم على مبدأ المشابهة في الرّوي، كتواجد الهاء في الزلزلة، والتقارب الصوتي بين الحاء والعين في سورة العاديات، وهذا من باب الاتساق والانسجام بين أواخر الآيات، وقد تمّ توظيف هذه المصادر بدلا عن الأفعال ضبحت، قدحت، نقعت، جمعت نظرا لوقع المصادر الصوتي الذي يؤدي في قوّة هذه الأفعال دون ربط بأزمتها من باب تعظيم هذه الأحداث.

<u>حركة الكسرة</u>: جاءت بعض الفواصل القرآنية منتهية بالكسرة، كما هي الحال في سورة النّاس، حيث يتميّز صوت السّين بوقعه وإيقاعه القويّ، فيحدث بالتّالي تأثيرا في نفس المتلقي، حيث جاءت مسترسلة في الجدول:



سورة الناس:	النّاسِ	النّاسِ	النّاسِ	الخنّاسِ	النّاسِ	النّاسِ

وفي سورة العصر يجد القارئ ثلاث فواصل انتهت بالكسرة أيضا في:

سورة العصر:	العصرِ	خُسْرِ	بالصّبر

وهكذا يسترسل الخطاب القرآني بوقفاته الإيقاعية المتوازنة، حيث يظهر النّص القرآني مترابطا من جميع نواحيه الصوتية والدلالية والتركيبية من أجل إرساء دعائم المعنى الكلي للنّص، فالسين والراء مثلا في النموذجين الأخيرين هما من صنع انسيابا في الإيقاع الصوتي، وهذا له تأثيره في المتلقّي الذي يتأثر ليس بالصوت فحسب، بل بالحركة المصاحبة له أيضا، ليصنعا معا وحدة صوتية قوية للنّص.

-<u>حركة الضّمة</u>:

توحدّت هذه الحركة في بعض السور القرآنية نمثل على ذلك بسورة القيامة، ﴿

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) ﴾[1].

سورة القيامة:	ناضرة	ناظرة	باسرة	فاقرة

نلاحظ هذه المقابلة الجميلة بين كلمات وقعت فاصلة واتفقت في حركة رويّها إنها المقابلة بين السعيد في الآخرة الناظر إلى ربّه، وبين الشّقي الفارّ من حتفه؛ فالباسر لفظ يقال للشخص الشديد العبوس الذي ينتظر حزنا فتظهر تلك الملامح على وجهه، بينما الفاقرة هي: «الدّاهية تقصم فقار الظهر»[2]، عكس ما توقعته الوجوه الناظرة من خير الجزاء والثّواب من ربّها.

السكون: يظهر السكون على تاء التأنيث في بعض الفواصل القرآنية، فيفي بالغرض الإيقاعي والجمالي، حيث يبنى الفعل لفاعل مجهول هو معلوم عند كلّ المتلقين، فيظهر هذا الصوت النطعيّ قوة وعظمة الخالق في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) ﴾[3]، فتنتقل بنا الفواصل من دلالة المحور في طمست إلى دلالة الفتح في فرجت، إلى الاختطاف في نسفت، أما كلمة (أقتت)، فجاءت بمعنى «بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة، وأجلّت وأخّرت»[4].وهذا التّأخير، وهذا التّأجيل قد عبّر عنهما بالفعل المبنيّ للمجهول من باب عدم الإفصاح عن الزّمن الذي ستحدث فيه القيامة.

و تتأكّد أهمّية هذه التاء الساكنة على الإيقاع الصوتي في هذه السورة، ورأى في ذلك ابن السّراج أهمية تركيبية في حديثه عن الأفعال الماضية التي تجئ مبنية للمجهول إذ يقول: «اعلم أنّ المفعول الذي تقيمه مقام الفعل، حكمه حكم الفاعل، وتقول (ضرب زيدٌ) كما تقول ضُرب زيدٌ»[5]، أما السيوطي فيعلق قائلا: «وقد يترك الفاعل لغرض

---

[1]– سورة القيامة، الآيات: 22-25.

[2]–الزمخشري: الكشاف، ج4، ص192.

[3]–سورة المرسلات، الآيتان: 8-11.

[4]–الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص203.

[5]–ابن السراج: الأصول، ج2، ص299.

لفظي، أو معنوي كالعلم به أو للجهل به أو تعظيم فيصان اسمه على أن يقترن باسم المفعول، أو تحقيره أو خوف منه، أو خوف عليه، أو قصد إبهامه أو إقامة وزن الشّعر وإصلاح السّجع»[1]، فالغرض الأساسي من هذه الفواصل إذن هو تعظيم الخالق ورفع مقامه.

ثانيا: الموقع الإعرابي للفواصل القرآنية ودلالاته:

لكل كلمة وقعت فاصلة في القرآن الكريم موقعا إعرابيا يدخلها في علاقات تركيبية، مع ما سبقها من الوحدات اللغوية، فتارة تكون خبرا وتارة حالا وهذا هو الشائع فيها، وقد تحتل مواقع إعرابية أخرى تبدو ثانوية مع هذين الموقعين، سنحاول الوقوف عندها تباعا.

1-الفواصل الواقعة حالا:

المنصوبات عموما هي كلمات تحتل موقعا إعرابيا في حالة النّصب، سواء كانت اسمية أو فعلية، وقد وضع اللّغويون لهذه الحالة عدّة دلالات وهي «تخصيص عموم علاقة الإسناد، ودلالة الحدث أو المعنى الفعلي، ودلالة قطع النّعت»[2]، فالتخّصص هو أكثر هذه الدلالات ورودا وهو قرنية معنوية كبرى كما قال تمام حسان، تدلّ عليها المنصوبات بأنواعها.

ترتبط الحال كثيرا بالفعل، وهي تعبّر عن تخصيص عموم علاقة الإسناد بتبيين حال صاحبها، ونصبها نحويا يدخل في إطار قرينة النّصب الاسمي، والفعل العام فيها قد يكون ظاهرا، وقد يكون مضمرا، والحال كما ذكر سيبويه ضربان: ضرب يكون الاسم فيه مشتقا، وضرب لا يكون فيه الاسم مشتقا[3]، مثال الأوّل قولهم: أقائما وقد قعد النّاس، ومثال الثاني أتميميا مرّة وقسيّا أخرى؟

---

[1]-ينظر: السيوطي: همع الهوامع، ج2، ص262-263.

[2]-عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2002، ص81.

[3]-سيبويه: الكتاب، ج1، ص511-512.

والشّائع في الحال أن تأتي مفردا أو جملة، كما أنها تجيء تارة مع "الواو" وأخرى بغير "الواو" كما ذكر عبد القاهر الجرجاني"[1]، وقد وجدنا أمثلة كثيرة من الخطاب القرآني وقعت حالا، ومنها نذكر بعض النّماذج الفاصلية: ففي قوله تعالى: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾[2]، وهي حال من فاعل ليصرمنها، والكلمة مشتقة من «أصبح التّامة، أي: داخلين في الصباح، كقوله تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾»[3]، ومثله الفاصلة (قادرين) في قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[4]، شرحها الحلبي (ت756هـ) إعرابية بقوله: «يجوز أن يكون (قادرين) حالا من فاعل (غَدَوا) وعلى جزء متعلق به، وأن يكون (على حرد) هو الحال، و"قادرين" إمّا حال ثانية، وإمّا حال من ضمير الحال الأولى»[5]. ونرجّح كون (قادرين) هي الحال ،وقد أبرزت في هذا المقام دلالة القدرة التي هي حالة طارئة قابلة للزّوال.

وجاء في البقرة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[6]، جاءت (يعمهون) جمله فعلية في محل نصب الحال من الضمير المنصوب في (يمدّهم). وورد في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾[7]،وجاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[8]. فلفظة (الشاهدين) حال من مفعول (فاكتبنا).

---

(1)–ينظر: الجرجاني:أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد :دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ومطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م، ص202.

(2)–سورة القلم، الآية: 17.

(3)–السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت756هـ): الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج10، ص409.

(4)– سورة القلم، الآية: 21.

(5)– سورة القلم، الآية: 25.

(6)–السمين الحلبي: المرجع نفسه، ج10، ص412.

(7)– سورة النساء، الآية: 04.

(8)– سورة آل عمران، الآية: 53.

وقد تجيء الحال مؤكّدة كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[1]، فقد نصبت (مدبرين) على الحال المؤكدة: «ولا يجوز أن تكون الحال المطلقة؛ لأنّ قوله: "ثم وليّتم" يدل على الاستدبار، والحال المؤكدة لما دلّ عليه صدر الكلام»[2]، وفي في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[3]، فلفظة (ساجدين) حال من الهاء والميم في (رأيتهم) لأنّه من رؤية العين[4]، ومن الحال أيضا كلمة نجيّا في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[5]، وكلمتا "سجّدًا وبكيّا" في قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[6]، فبكيّا وقعت حالا وهي جمع (باكٍ)، إلاّ أن هناك من قال أنّها منصوبة على المصدر وليست من جمع (باك)، والتقدير خرّوا سجّدًا وبكرّوا بُكيّا[7].

إننّا من خلال هذه النّماذج المختلفة من الفواصل القرآنية، وقفنا عند نوعين رئيسين بعضه جاء فعلا وبعضه اسما رغم الاتفاق بينها في الموقع الإعرابي وهو الحال، والفعل ليس عمدة فحسب، بل دلالته على الحدث مع الزّمن تزيد من قوّته الإسنادية داخل السياق؛ وهو مرتبط بمعاني كثيرة، فهو قد يكون موجبا أو منفيا أو مستفهما عنه وما إلى ذلك، كما أنّه المسند في الجملة الذي تقوم عليه، ونظرا لتعدد كل هذه الوظائف فإنّ الحركية الإعرابية قابلة للتغيّر من موقع لآخر، والمضارع مرفوع في أصل وضعه، وقد يتأثر بالنّصب والجزم من خلال اتصاله بالأدوات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفعل الواقع فاصلة عندما يكون منصوبا، فهو يختص بحالة الإنشائية عكس الإخبارية، التي تتحقق في الفعل المرفوع ؛ وذلك لأنّ الفعل في حالة النصب يكون معلّقا دائما، فهو بهذا في طريقه أن يكون إثباتا أو نفيا.

---

[1]– سورة التوبة، الآية: 25.

[2]–القيسي القيرواني: المرجع السّابق، ص313.

[3]– سورة يوسف، الآية: 4.

[4]–ينظر: القيسي القيرواني: المرجع نفسه، ص359.

[5]– سورة مريم، الآية: 52.

[6]– سورة مريم، الآية: 58.

[7]–القيسي القيرواني: المرجع نفسه، ص431.

2-الفواصل الواقعة خبرا:

ترتبط دلالة الرّفع بالفعل المضارع خاصة إذا كان مجرّدا من العوامل، ليدل زمنيا على الحال أو الاستقبال، كما يرفع بعد إلغاء لغرض القطع والاستئناف مثل يريد أن يعربه فيحجمه[1]، وكذلك الأسماء ترفع إذا وقعت خبرا، والأمثلة في هذا كثيرة، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[2]، فــ(مصلحون) جاءت خبرا لضمير منفصل جاء في موقع المبتدأ، فهي خبر مرفوع بالواو، ولأنّه جمع مذكر سالم والنون عوض عن تنوين المفرد وجملة "إنما نحن مصلحون"، في محل نصب مفعول به مقول القول[3]، والإصلاح حالة طارئة عكسها الإفساد.

و في عالم الأفعال أيضا يكون الرفع يقول تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]، فــ(تعلمون) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية (تعلمون) في محل رفع خبر المبتدأ (أنتم).

في موضع آخر يقول تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[5]، فــ(الخالدون) خبر(هم) مرفوع بالواو، لأنّه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية (هم فيها خالدون) في محل نصب حال، و قد قال عنها السّمين الحلبي أن (فيها) قدّم ليوافق رؤوس الآي[6].

وتحتل كلمة (الخاسرون) موقع الخبر أيضا في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[7]، وعلّق أبو حيان بإعراب (ظالمون) خبرا مرفوعا في قوله تعالى:

---

(1)- المبرّد :المقتضب، المصدر السابق، ج2، ص33.

(2)- سورة البقرة، الآية: 11.

(3)-بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، 1998م، ج1، ص19.

(4)-سورة البقرة، الآية: 22.

(5)-سورة البقرة، الآية: 25.

(6)-سورة البقرة، الآية: 26.

(7)- سورة البقرة، الآية:51.

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[1]، وعلق بقوله: «وأبرز هذه الجملة في صورة ابتداء وخبر لأنها أبلغ و آكَد من الجملة الفعلية ولموافقة الفواصل»[2].ومن النّماذج التي جاءت الفاصلة فيها خبرا لـــ(كان) قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[4]، إنّ الفاصلتين (منتصرا- (منتصرا- مقتدرا) كلاهما وقعتا خبرا لـــ(كان) منصوبة بالفتحة.

وعليه نلاحظ من خلال النّماذج المبيّنة أنّ الفاصلة الواقعة موقع الخبر تكون خبرا لكان، أو خبرا لأنّ، وهذا لأنّ الخطاب القرآني عموما يميل إلى توظيف الأسماء في ذيل الآيات بغرضين؛ أحدهما جماليّ له علاقة مباشرة بسبك الخطاب، وكيفيات أدائه الفنّي العالي، وثانيهما له علاقة بفنّيات الرّبط بين عناصر الجملة، التي تنتهي أخيرا بالكلمة الأهم التي ستقدّم خبرا للمتلقي قصد إعلامه بما جُهل لديه.

و تجب الإشارة هنا إلى أنّ الآيات القرآنية تخضع في أغلب الأحيان إلى أن تحتمل وجوها نحوية عدّة، وهذا تبعا لتعدد احتمالاتها الدّلالية، وهذا ما لمسناه في إعراب الفواصل القرآنية واعتبرناه وجها من وجوه الاتّساع في المعنى الذي يميّز اللغة العربية، ذلك أنّ «النّصّ المتعدّد الوجوه يحمل (شفرة) تقضي بأنّ النّصّ قَصدَ هذا التّركيب ليحتمل أكثر من توجيه. وهذه (الشّفرة) يمكن أن يُستدلّ عليها من خلال نسق التّركيب الذي يُلحظ أنّه عُدل إليه لقصدٍ..»[5]، وهذا العدول هو مسار التّغيّر الدّلاليّ للجملة. وسنكتفي بإيراد مثال واحد فقط جاءت فيه الفاصلة القرآنية محتملة لأوجه إعرابية، وهي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[6]، فإذا نظرنا إلى الكلمة المسطّرة وجدناها تحتمل أن تكون خبرا للمبتدأ هدى، كما يمكنها أن تكون صفة، أو

(1)–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق،ج1، ص359.

(2)–سورة الكهف: الآية: 43.

(3)– سورة الكهف، الآية: 45.

(4)–السمين الحلبي: المرجع السابق، ج1، ص220.

(5) –مقبول علي بشير النّعمة: الاتّساع في المعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص 139.

(6) –سورة البقرة، الآية: 2.

خبرا إذا قرنت ب(هدى)[1] ، وهذه الاحتمالات خاضعة للمواقع الإعرابية التي تحتلها الكلمات قبلها، وهذا شائع في الخطاب القرآني.

3-الفواصل الواقعة مفعولا به:

لقد اتّفق النّحاة على أنّ الرّفع هو الأصل في الأسماء عندما تحدّثوا عن الابتداء، وهذا بما وضعوه من قرائن شكلية في تحليلهم للجملة، مبعدين في أغلب الأحيان القرائن الوظيفية ذات الصّلة بالمعنى، ولكنّهم اهتمّوا أيضا بالنّصب والمنصوبات، وحاولوا التّفرقة بينها من ذلك(المفعول المطلق، الحال، المفعول لأجله،المفعول معه، المفعول به)، وهذا الموقع الأخير هو الأكثر تحقّقا كموقع إعرابيّ للفواصل القرآنية؛ من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]، (الكافرين) في هذا الموقع جاءت مفعولا به منصوبا بالياء لأنّه جمع مذكر سالم، والنون: عوض عن التّنوين في الاسم المفرد[3]. فأوّل ملاحظة نسجّلها هي غلبة الاسمية على الفاصلة من جهة، وكذلك تحقّق وقوع فعل فاعل معيّن من جهة ثانية؛ فالكفر ليس حالة إجبارية إنّما هي حالة اختيارية تكون بالقول كما تكون بالفعل، وهي الدّلالة الواقعة في هذا المقام.

أمّا في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]، فالواو (واو معية)، ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره: هو، أما (الصابرين) فمفعول به منصوب بالياء، لأنّه جمع مذكر سالم، والمعنى كما فسرها أبو إسحاق بقوله: «ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصّابرين، أي ولما يعلم الله ذلك واقعا منهم؛ لأنّه يعلمه

---

[1]- ينظر: مقبول علي بشير النّعمة: المرجع السابق، ص137و ما بعدها.

[2]- سورة آل عمران: 141.

[3]-ينظر: بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان، ط2، 1998م، ج2، ص154. والهمداني، حسين بن أبي الفراء (ت643هـ): الفريد في إعراب القرآن المجيد، تح: محمد حسن النّمر، ط1، 1991،ج1، ص635،.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 142.

غيبا، وإنمّا يجاريهم على عملهم»[1].

ويجد الدّارس في النّص القرآني بعض الكلمات التي تتردّد بنسب معيّنة في القرآن وتحتلُّ موقعا إعرابيا واحدا في كل الآيات التي تظهر بها، من ذلك لفظة (أبدا) التي وقعت في القرآن الكريم ثماني وعشرون مرّة في خمس عشرة سورة جاء منها خمس مرّات في سورة التّوبة الآيات ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾، ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[2]، وأربع مرّات في سورة الكهف الآيات: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾، ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ ، ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾[3]، وثلاث مرات في النّساء ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾، ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

---

[1]–الهمداني: المرجع السابق، ج1، ص635.

[2]–سورة التوبة، الآيات: 82–84، 100، 108.

[3]–سورة الكهف، الآيات: 3، 20، 35، 57.

يَسِيرًا ﴾[1] وغيرها من السور[2]، والأبد ظرف زمان يقع للكثير أحيانا وللقليل أخرى، ماضيا كان أو مستقبلا[3]، والأبد في القرآن الكريم «البقاء الذي له بداية وليس له نهاية... وقال "الجرجاني" في تعريفاته هو استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب المستقبل، ونقيضه الأزل الذي هو استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب الماضي»[4].

من الناحية الإعرابية جاءت الكلمة (أبدا) في قوله تعالى:﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾[5]، ظرفا زمانيا يدل على الاستمرار منصوب بالفتحة متعلق بماكثين أو بفعله، ونجد المفعول في قوله تعالى: ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ﴾[6]، فالواو استئنافية، زد فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بـــ(نا)، و(نا) ضمير متصل في محل رفع فاعل، و(هم) ضمير الغائبين في محل نصب المفعول به الأول، وهدى مفعول ثان منصوب بالفتحة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التّعذر.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[7]، فكذبا مفعول به به منصوب بالفتحة، ومن الفواصل الواقعة مفعولا به في هذه السورة أيضا (مرفقا) مفعول به منصوب بالفتحة، وكذلك (أحدا) فقد وقعت في هذه السورة مفعولا به أيضا[*]، كما نجد (رشدا) في قوله تعالى: ﴿لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[8] جاءت مفعولا به ثان

---

[1]–سورة النساء، الآيات: 57، 122، 169.

[2]–ينظر: مختار فوزي النّعال: موسوعة الألفاظ القرآنية، تح: بكري شيخ أمين، مكتبة دار التراث حلب، مكتبة اليمامة، بيروت، ط1، 2003، ص22.

[3]–السمين الحلبي: المرجع السابق، ج2، ص9.

[4]–مختار فوزي النعال: المرجع السابق، ص22–23.

[5]–سورة الكهف، الآية: 03.

[6]– سورة الكهف، الآية: 13.

[7]–سورة الكهف، الآية 15.

[*]– من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾، ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾، ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾، ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ . ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾.

[8]– سورة الكهف، الآية: 24.

ثان ليهديني منصوب بالفتحة.

نلاحظ من خلال هذه النماذج أن سورة الكهف حصدت أكبر عدد من المفعول به في فواصلها، وهذا يتناسب تركيبا مع التقديم والتأخير الذي حصل في نهاية الآيات من جهة، وأيضا للحفاظ على الإيقاع الموسيقي للكلمات المنتهية بالدال أو القاف وهو الرّوي الغالب في هذه السورة.

4 – الفاصلة الواقعة صفة:

قد تكون الفاصلة تابعة من التوابع، تصف موصوفها في جانب أو في كل أجزاء بنائه، وهي تحافظ في ذلك على حركة موصوفها مثل قوله تعالى: ﴿ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[1]. فــ(مرشدا) صفة لوليّا منصوبة مثله، وهي اسم لا يمسّه الإعراب إلاّ على سبيل التبعية لغيرها وهنا نعني كلمة (وليّا).

فكلمة(مرشدا) هنا اسم دال على بعض أحوال الذّات[2]، جاءت في هذا المثال صفة مشتقة في صيغة اسم الفاعل، وقد تأتي صيغة للمبالغة كما في الحيّ القيوم»[3]، فالقيّوم ، جاءت بالدّلالة على من قام بالأمر، نعت لله عز وجل.

وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4]، فقليلا جاء نعتا لمصدر محذوف تقديره (إلا إيمانا قليلا)[5]، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[6]، فالفاصلة (المتين) جاءت نعتا للرزاق، أو لذي القوة، فهذه صفة صريحة تلازم الموصوف ولا تفارقه، الغاية منها إزالة اللّبس عن الكلام، وتأكيد ثبوت الوصف.

---

(1)– سورة الكهف، الآية: 17.

(2)–هذا مفهوم الصفة عند النحاة: ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، المفصّل في علم اللغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990، ص140.

(3)– سورة آل عمران، الآية: 2.

(4)– سورة النساء، الآية: 46.

(5)–القيس القيرواني: المرجع السابق، ص170.

(6)– سورة الذاريات، الآية: 58.

وأعربت (طباقا) نعتا لسبعة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾[1] وطباقا جمع (طبقة)، كرحبْة ورِحَاب، وقيل هو جمع (طبق) كجمل وجمال. نلاحظ أنّ كلّ الصّفات الواردة في الخطاب القرآنيّ قد جاءت تابعة لموصوفها إعرابيا، وهي تصف ذاتا وتسند إليها على وجه الثّبوت إن كانت متعلّقة بالله تعالى، وهي صفة طارئة ومتغيّرة قابلة للتّبدّل إذا اتّصلت بغيره مثل (قليلا) الواردة في الآية الكريمة السابقة.

5-**<u>الفاصلة الواقعة اسما مجرورا</u>**: وهذا قليل في الخطاب القرآني، من ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]، فكلا الفاصلتين (الكافرين، الظالمين) جاءتا مجرورتين بعد حرف الجر (من)، وعلامة جرّهما الياء لأنّه مذكر سالم، والجار والمجرور في الآيتين متعلقان بخبر كان.

من خلال استقراء الفواصل القرآنية المجرورة، وجدنا أنّ أغلب نسبة للصّدارة كانت لاسم الفاعل المجموع الذي يجرّ بـــ (من)، وهذا الحرف ينتمي إلى حروف المعاني قد يكون أصليا أو زائدا، يجرّ الاسم الظاهر كما يجرّ الضمير[4]، من أشهر معانيه: ابتداء الغاية المكانية، والتّبعيض، وبيان الجنس وقد وجدناه في الفواصل القرآنية يجرّ الاسماء الظاهرة فقط ، وقلّما يكون المجرور اسما مفردا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[5]، فــ (ظهير) وصف مصوغ على وزن (فعيل) جاء للدلالة على الفاعلية الحقيقية، وقد وقع اسما مجرورا بعد(من)، وقد كان التّركيز على هذا الحرف الأخير لمسوّغ دلاليّ هو تبيين الفئة الخيّرة أو الشّرّيرة التي يُنتمى إليها.

---

(1)– سورة الملك، الآية: 15.

(2)– سورة البقرة، الآية: 34.

(3)– سورة البقرة، الآية: 35.

(4)–إيمان بقاعي: معجم الحروف، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص219.

(5)– سورة سبأ، الآية: 22.

ومن أمثلة هذا النّمط قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [1]، فالصابرين اسم مجرور في موقع المضاف إليه، مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم، وشبه الجملة في محل رفع خبر المبتدأ (لفظ الجلالة لله).ودلالة (من) هنا تحديد فئة هؤلاء بأنّهم من الصّابرين لا غير.

إنّ تأمّلنا لهذه المواقع الإعرابية التي احتلّتها هذه الفواصل القرآنية يجعلنا نقف عند تنوّع في وظيفة الكلمات التي ذيّلت بها الآيات القرآنية؛ حيث كانت الصّدارة للحال، وهذا يتناسب مع سياقات الخطاب القرآني التي تكون في أغلبها تصويرا لهيئة ووضع المتحدّث عنه، أو تكون الفاصلة خبرا يخبر بها عن موضوع يجهله المتلقي،وقد تكون مفعولا به،أو اسما مجرورا يحدّد فئة من النّاس بحسب أخلاقهم أو انتماءاتهم هل هم من المؤمنين، أو الكافرين، أو المشركين أو المنافقين.

الفاصلة الواقعة خبرا في جملة حالية

ظهرت بعض الجمل الاسمية البسيطة المثبتة الواقعة حالا، أحد جزأيها وهو الفاصلة القرآنية يكون خبرا، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2]؛فالفاصلة القرآنية (معرضون) هي خبر للمبتدأ هم، والجملة من المبتدأ والخبر ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ في محل نصب حال، بنيتها العميقة «معرضين»، والواو قبلهما واو الحال.

ويلاحظ أن هذه الجملة المؤدية وظيفة الحال قد اجتمع فيها الرابطان« الضمير "هم" العائد على صاحب الحال، والواو –لأن الحال تجئ فضلة بعد تمام الكلام– فاحتيج إلى فضل ربط، فصدرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط أعني الواو لتؤذن من أول المر بأن الجملة لم تبق على الاستقلال»[3]، وقد كانت هذه الجملة بمثابة العمدة التي لا يجب الاستغناء عنها لأنها ترتبط دلاليا بما قبلها وما بعدها،

---

(1)– سورة البقرة، الآية: 249.

(2) –سورة آل عمران، الآية: 23.

(3) –رابح بومعزة: الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، صورها، بنيتها العميقة، توجيهها الدلالي، عالم الكتب الحديث، إربد، جدار الكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009م، ص370.

ولأنها من النّاحية الدّلالية بيّنت الكيفية التي يتولى بها الكافرون، أو فريقا منهم.

تستقر آيات أخر في الخطاب القرآني على دلالة الحال بمجيء الجملة الاسمية البسيطة المؤكدة في خواتيم آيات السور، من ذلك تأكيدها بالحصر كما جاء في قول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [1]، فالجملة الاسمية ﴿وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾في محل نصب حال، وقد وقعت الفاصلة «مسلمون» خبر لأنتم، وقد اشتملت على الرابطين: واو الحال والضمير معا، فأصلها (مسلمين)«وهي تبين حالة الإسلام التي ينبغي للمخاطبين أن يموتوا عليها دون سواها».[2]

كما تجيء الفاصلة القرآنية جملة مضارعية مثبتة أو منفية في موقع الخبر كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [3] فكلاهما أدّت وظيفة الحال مع مبتدئها، وبنيتها العميقة هي:«غير شاعرين». كما يتصل الخبر أحيانا بحرف الجر (الباء) الزائد في الفاصلة القرآنية حاملا وظيفة الحال مع ما يسبقه من مكونات الجملة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾[4] «فالمراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة»[5].

وفي مواطن أخرى تكون الجملة الاسمية الواقعة حالا مصدّرة بناسخ مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرًا﴾[6] فالجملة الحالية هي وقد كنت بصيرا، وقعت فيها الفاصلة خبرا لكان، والجملة مؤكدة بحرف التوكيد (قد).

---

[1] –سورة آل عمران، الآية: 102.

[2] –رابح بو معزة: المرجع السابق، ص373، وهنا يتحدد الدليل المنطقي لها.

[3] –سورة الأعراف، الآية: 95.

[4] –سورة الانفطار، الآية: 16.

[5] –البروسوي: المصدر السابق، ج10، ص6098.

[6] –سورة طه، الآية: 125.

الفاصلة الواقعة مبتدأ ضمن جملة حالية:

سياقات كثيرة وقعت فيها الفاصلة مبتدأ كما جاء في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [1] ، وقعت الفاصلة موقع المبتدأ (منذرون) وهي جملة محوّلة بتقديم الخبر (لها) على المبتدأ والجمل ككل واقعة موقع الحال، وصاحب الحال قرية، أصلها (منذرين).

ثالثا: ظواهر تركيبية في الفواصل القرآنية

كان المشهد التركيبي للفواصل القرآنية في المبحثين السابقين يقف عند الشكل الخارجي لها مع مراعاة مواقعها الإعرابية، والحركات الإعرابية المساعدة على اكتشاف خصوصيات الدلالة، وإننا في هذا المبحث سنقف عند ظواهر تركيبية أخرى أسهمت في اتساق الخطاب القرآني وانسجامه، ولعلّ أشهرها: الحذف، الزيادة، التقديم والتأخير.

1-الحذف: عرف بعدة تسميات منها: الاتساع، الاختصار، الإيجاز، الاختزال، الإضمار...[*]، وتتفق المعاجم اللّغوية على أنّ الحذف هو الإسقاط، وغير بعيد عن هذا المعنى يجيء التعريف الاصطلاحي للدلالة على «إسقاط جزء الكلمة أو كلّه لدليل»[2]، يسميه علماء النّص المحدثين "الاكتفاء بالمبنى العدمي" "Substitution by Zero"[3]، عرّفه دي بو جراند بأنّه «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدّل بواسطة العبارات الناقصة»[4].فهو بهذا فجوة داخل النّصّ تعوّضها قرائن دالّة عليها حتى يوفّر لمتلقّيه شروط التّواصل معه «لقد صار الحذف مقولة خطابية، لها دورها الفاعل في بناء النّص وفي تلقّيه، ولا شكّ أنّها أيضا أحد مداخل الغموض، والغموض مأخذ نصّي، تحرص كلّ النّصوص على

---

(1) –سورة الشعراء، الآية: 208.

(*) –ينظر: الكتاب، ج1، ص21. المقتضب، ج4، ص206. البيان في روائع القرآن، ج1، ص83..

(2)–ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 105.

(3)–دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تح: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007م، ص340.

(4)–المرجع نفسه، ص301.

تفاديه»[1]، فمن شروط الحذف أن لا يكون هناك غموض في النّص، وإلّا تحوّل إلى إسقاط يؤدّي خللا في النّص.

إنّه خاصيّة نجدها في كل اللغات، وفي العربية خصوصا، لأنّه ميزة بلاغية نصيّة هو من سنن العرب في كلامها، يمثل حلقة ضرورية من حلقات تثبيت المعاني، لهذا قال عنه عبد القاهر الجرجاني: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصّمت من الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمُّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ»[2]، وهي إشارة منه إلى أهمية الحذف وقيمته الإبلاغية باعتباره مبدأ من مبادئ الاختصار والتخفيف في الجمل، التي تبتعد عن اللّبس والتّعمية بفضل القرائن السياقية التي تساعد القارئ على إدراك وفهم المعاني، وهنا سيكون المحذوف أبلغ في توصيل الدلالة من المذكور.

ذكر "ابن جنّي" من ناحية أخرى أن الحذف أنواع؛ إذ يكون في الجملة والمفرد والحركة والحرف دون إخلال بالمعنى[3]، ومثله الثعالبي (ت429هـ) الذي أفرد فصلا كاملا في الحذف والاختصار مبيّنا أغراضه ودلالته من خلال نماذج قرآنية[4] حيث حدّثنا عن حذف الألف من (ما) في الاستفهام فنقول (بم، لم، ممّ، فيم، علام)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾[5]، وهذا من باب الاختصار، وفي الباب نفسه حذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[6]، أي: يا يوسف، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[7]، حذفت (منه) بعد (أخفى) وهي تابع

---

[1]–محمد عبد الباسط عيد، صلاح رزق: النّص والخطاب –قراءة في علوم القرآن–، مكتبة الآداب القاهرة،ط1 ، 2009م، ص 184.

[2]–عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص146.

[3]–ينظر: ابن جني: الخصائص، ج2، ص360.

[4]–ينظر: الثعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وسرّ العربية، تعليق: خالد فهمي، تصدير: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، ج2، ص587.

[5]–سورة النازعات، الآية: 43.

[6]–سورة يوسف، الآية: 29.

[7]–سورة طه، الآية: 7.

مهم للمفضل عنه.

ويزيد "ابن جنّي" تأكيده على أهمية الحذف فيعتبره ضربا من ضروب الاتساع في المعنى، وأطلق عليه مصطلح " شجاعة العربية" فيقول: «الحذف اتساع، والاتساع بابه آخر الكلام وأوسطه، لا صدره وأوّله، ألا ترى من اتّسع بزيادة (كان) حشوا أو آخرا لا يجيز زيادتها أولا»[1]، إنّه بمقولته هذه ينفي وجود الحذف في بداية الكلام كما قال بذلك الثعالبي، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى بلاغة الحذف في وسط الكلام وآخره أحسن من أوّله، والبلاغة إيجاز كما قال القدماء.

ويفرّق "الزّركشي" بينه و بين الإيجاز ، الذي هو اللّفظ القليل الجامع للمعاني الكثيرة[2]، دون أن يكون هناك مقدّر بعكس الحذف الذي يعد المقدّر شرطا أساسيا فيه. مثل قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾[3]، ومن وظائفه الإعظام للمحذوف والرّفع من قيمته، أو لطلب الإيجاز والاختصار، وتحليل المعنى الكثير في اللّفظ القليل. ومنه قول الشّاعر:

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحةٍ *** و إِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحٍ[4]

ولأنّ تعلق المعاني بعضها ببعض يقوم على الترابط وقوة النّظم، فإن على القارئ توخي الدال المحذوف من خلال تقدير ما يدل عليه في السياق، وهذا «حتى يستوفي الكلام جميع جهاته إتماما للفائدة التي نظم الكلام لأجلها»[5]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[6]، حيث حذف الفعل (فضرب) قبل انفجرت وقد دلّ عليه الفعل (انفجر) لأنّ الانفجار لا يتحصل دون ضرب، فهما فعلان متلازمان حذف أولهما لدلالة الثاني عليه، وهذا طلبا للإيجاز

[1]–ابن جني: الخصائص، ج1، ص289–290.

[2]–الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج 3 ، ص 102.

[3]–سورة يوسف، الآية: 82.

[4]– ينظر: الزّركشي: المصدر نفسه، ج3، ص 105.

[5]–عبد الوهاب حسن حمد: المرجع السابق، ص416.

[6]–سورة البقرة، الآية: 60.

وتوخيا للتخفيف.

الأمثلة في القرآن الكريم كثيرة، حيث يظهر الحذف في مواطن عدّة من آياته وسوره، سنقدم بعضا منها شريطة أن تكون ذات علاقة وطيدة بالفواصل القرآنية، لأنّ أغلب صور الحذف في أواخر الآيات إنما جاء امتثالا للحفاظ على الاتزان الإيقاعي بينها، ونعني بذلك خلق «تناسب بين فقرات النّص وأصواته في الارتفاع والانخفاض تناسبا موسيقيا يوحي بالانسجام، والتوافق الذي ترتضيه الأذن»[1]، وهذا للحفاظ على التقسيمات الزّمنية الإيقاعية التي يراعيها القرآن في خطابه، حيث إنها تتحقق بتأليف الكلام وتنظيمه وفق وحدات نغمية متسلسلة يسهم الحذف في توازيها وترتيبها في السلسلة الإيقاعية للفواصل، كما نشير إلى أن الحذف سمّي عند بعض المحدثين بالاجتزاء أي إسقاط إحدى العناصر من الجملة حيث إن «استكمال السياق البنيوي، واستشراف سياق الحال، يعملان على استرفاد ما هو مجتزأ أو مغيب»[2].فالسّياق هو السّر المكين الذي يعمل على إظهار حركة الدلالة المبتورة عمدا عن طريق الحذف، ولولاه ما استطاع القارئ أن يفهم حيثيات النّص التي تزيد بلاغة كلّما كانت القرائن أكثر قوّة في تحديد مسار المعنى.

إنّ اللّجوء إلى الحذف في الفواصل القرآنية إذن ما هو إلاّ مسلك من مسالك البلاغة، واللجوء إليه «ينبع من دواع جمالية وبلاغية تزيد النّص رصانة، وتؤدي به إلى التماسك وتفعيل المشاركة بين القائل والمتلقي في إنتاج المعنى وتشكيله، والإفادة من التراكم المعرفي الماثل لدى كل منهما»[3].إنّه بهذا رافد من روافد توسيع المعنى، لأنّ التلميح أبلغ من التصريح، وأقوى تأثيرا في استحضار المعاني الغائبة، لهذا ارتضاه الخطاب القرآني في نماذج عدّة من فواصله، وهنا نتساءل أي الأنواع كانت أكثر حضورا في هذا الخطاب؟

شاع في الخطاب القرآني حذف الحرف في الفواصل القرآنية، حيث قد يكون ياء،

---

[1]–سمير العزاوي: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، دار ضياء للنشر، عمان، الأردن، (د.ط)، 2009م، ص159.

[2]–مهدي أسعد عرار: المرجع السابق، ص56.

[3]–عثمان أبو زيد: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص127.

وقد يكون هاء، وقد يكون كافا وكلها ضمائر لها مواقعها الإعرابية المختلفة، وهذا ما سنلاحظه من خلال النّماذج الآتية:

أ/ حذف الياء: حذفت ياء المتكلم الواقعة موقع المفعول به في بعض الفواصل القرآنية، كما هي الحال في آيتي البقرة:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]، حيث حذفت الياء في الفاصلتين لأن الأصل (فارهبوني، فاتقوني) «واجتزئ عنها بكسرة؛ وذلك محافظة على التناسب الصوتي بين رؤوس الآيات، حيث إنّ الآيتين وقعتا في سياق آيات تنتهي بواو مدّ بعدها نون وهي: (يحزنون، خالدون، تعلمون)» [2]. لقد عمد الخطاب في هذه النّماذج إلى خلق التوازن والتوازي بين الفواصل القرآنية عن طريق تقنية الحذف، وهي تقنية تركيبية، لا نجدها في هذه الآيات فحسب بل نجدها في آيات أخرى، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[3]، لقد حذفت ياء فاعبدون تناسبا مع الفواصل قبلها التي جاءت على النون مثل(معرضون، مكرمون، يعملون) في الآية قبلها والآيتين بعدها، ومنه قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾[4]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[5].

ومثل ذلك سورة الشعراء التي جاءت مائتي وسبعة فواصل منها على النون، وستّ عشرة آية على الميم، وثلاث آيات على اللام، تضمنت حذفا للياء الواقعة مفعولا به للأفعال الواقعة فواصل مثل: (يهدين، يسقين، يشفين، يحيين) وهذا في قوله تعالى

---

(1)–سورة البقرة، الآيتان: 40–41.

(2)–إبراهيم جميل محمد إبراهيم: أثر التناسب الصوتي في الإعراب–دراسة تطبيقية على آيات من القرآن الكريم، مكتبة المتنبي، السعودية، ط1، 2005، ص35.

(3)–سورة الأنبياء، الآية: 25.

(4)–سورة الأنبياء، الآية: 37.

(5)–سورة الأنبياء، الآية: 92.

على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾[1]، وهذا للتناسب الصوتي مع بقية الفواصل، ودليل حذفها هو مجيء أفعال لم تقع فاصلة مذيّلة بالياء مثل (خلقني، يطعمني، يمتيني)،و هذا إنّما يدلّل على أنّ السّياق قد جاء لأغراض صوتية.

في السورة نفسها نجد الآية الكريمة ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ ﴾[2] التي كرّرت ثماني مرّات[3]، حيث حذفت ياء (أطيعون)،الدّالة على المحذوف وهو أحد الأنبياء، حيث جاءت على لسان هود عليه السلام مرّتين، وعلى لسان صالح عليه السلام مرّتين، ولسان لوط عليه السلام مرّة واحدة، وشعيب عليه السلام مرّة أيضا، ثمّ نوح عليه السّلام مرّتين.

كما جاء الحذف الياء في قوله تعالى: ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[4]

وقد عدّ النّحاة حذف الياء جوازا من الشواذ إلاّ في ياء المخاطبة إذا كانت فاعلا في محل رفع لا يجوز حذفها كقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾[5]، أما إن كانت للمتكلم كانت محل نصب أو جر، وهذه يجوز حذفها في ثلاثة مواضع[*] هي:

-النداء نحو: يا قوم، يا عباد.

-للتخفيف: نحو قوله تعالى: نحو قوله تعالى:﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ

(1)-سورة الشعراء، الآيات: 78-80.

(2)-سورة الشعراء، الآية: 108.

(3)-ينظر سورة الشعراء: الآيات 110،108،179،163،150،144،131،126 .

(4)-سورة إبراهيم، الآية: 14.

(5)-سورة آل عمران، الآية: 43.

(*) -ينظر: حسن منديل حسن العكيلي: الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص109.

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[1]،﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[2]، والمتصلة بالفعل مثل: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾[3]، وقوله: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[4].

-للازدواج ومراعاة الفواصل: ويمثله قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾[6].

كما تحذف الياء في آخر الاسم المنقوص من باب التخفيف مثله قوله عز وجل: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾[7]، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[8]،وهو [8]،وهو قول الزّركشي حيث حذفت الياء في الآية الأخيرة لمراعاة الفواصل الواردة في السورة، وكذا للتّخفيف[9]. وقال الرّماني وفق ما أورده الزّركشي: «إنّما حذفت الياء الياء في الفواصل لأنّها على نيّة الوقف، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء»[10] . فالوقف هو المسوّغ الثالث للحذف.

ويسير القرآن الكريم مع هذا السياق في مقامات إيجاز يقتطع من أفعالها، بينما تبقى الأفعال على صورتها في مقامات أخرى تتعلق بالدلالة على التفصيل والتوضيح، ففي سورة البقرة مثلا لم تحذف الياء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

---

[1]-سورة إبراهيم، الآية: 14.
[2]-سورة الرعد، الآية: 32.
[3]-سورة الدخان، الآية: 21.
[4]-سورة يس، الآية: 23.
[5]-سورة الفجر، الآيات: 15-16.
[6]-سورة الحجر، الآية: 68.
[7]-سورة غافر، الآية: 32.
[8]-سورة الفجر، الآية: 4.
[9]-الزّركشي: المصدر السابق، ج3، ص107.
[10]-المصدر نفسه ، ج3 ، الصفحة نفسها.

ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[1]، لأنّ المقام يريد إثبات أن الخشية لا تكون إلاّ لله عز وجل ومن ثم وجب إثبات الياء الدالة عليه، في حين نجد حذفا للياء في موضعين من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾، ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾[2]، وقد أرجع السامرائي[3] ذلك إلى أنّ أنّ مقام الإطالة والتفصيل في سورة البقرة أكثر بكثير من سياق الآيتين الأخريين، وقد ذكرنا هذه المشابهة في هذه المقام من أجل التوضيح فقط، وهذا لأنها ليست من الفواصل التي نحن بصددها.

وقد أشار السيوطي في إتقانه إلى المواضع التي تمّ حذف الياء فيها بقوله: «أطيعون، اتقون، خافون، ارهبونِ، فأرسلونِ، واعبدونِ، إلاّ في يس، واخشون إلا في البقرة، ويكيدون، إلاّ فكيدوني جميعا، واتبعون إلاّ في آل عمران، وطه، و"لا تنظرون" و"لا تستعجلون" و"لا تكفرون" و"لا تقربون"، و"لا تخزون"، و"لا تفضحون" و"يهدين"، و"سيهدين"، و"كذبون"، "يقتلون"، "أن يكذبون"، و"وعيد"، و"الجوار"، و"بالواد"، و"المهتد" إلا في الأعراف»[4]، أربع وعشرون فاصلة قرآنية حذفت ياؤها لأغراض بلاغية وأسلوبية كثيرة، وهذا جزء من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

يبدو أنّ السيوطي قد وقع في الخطأ أثناء تقديمه لهذا الإحصاء، حيث إنّه تجاوز وأهمل الكثير من المحذوفات، فضلا عن عدم دقّته في نسبة المحذوفات إلى سورها، فهو لم يُشِر إلى الحذف الذي ورد بسورة (المؤمنون) مثلا، حيث وردت أربع آيات بحذف الياء، وهذا يجسّده قوله تعالى: (﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ

---

[1]–سورة البقرة، الآية: 150.

[2]–سورة المائدة، الآيتان: 3، 44.

[3]–ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط5، 2009، ص27 وما بعدها.

[4]–السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن: الاتقان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2006، ج2، ص433.

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾، ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾)[1]، كما أنّ المحذوفات التي قال بوجودها في سورة يس، فلم نجد إلاّ حذفين فقط،وقد كانت الغاية منه المماثلة، فثلاث وسبعون آية جاءت فواصلها في هذه السورة بالنون، وتسع آيات خرجت عن هذا التماثل الصّوتي، وهذا في قوله تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾[3]. ولم يكن محقا ابن الجزري(ت 833هـ) من جهة ثانية في تحديد العدد الدقيق لحذف الياء في الفواصل القرآنية، حيث أحصاها بمائة وواحد وعشرين، منها الياءات المحذوفة في رؤوس الآي وعددها ستّ وثمانون86، وبلغ عددها خمس وثلاثون آية35 المحذوفة في حشو الآي.

إنّ هذه البنى المضمرة الخفية في القرآن الكريم تزداد اتساعا كلما استوقفتنا آيات الذكر الحكيم، حيث إنّ عملية فهم هذه النصوص القرآنية يقوم أساسا «على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النّص، حيث نفترض عنصرا سابقا يعد مصدرا للمعلومات المفقودة، فيترك العنصر المحذوف فجوة (Gap) على مستوى البنية التركيبية، يمكن ملؤها من مكان آخر في النص»[4]، وهذا ما يقوي علاقة المتلقي للنّص، الذي لن يكون سلبيا إنّما مشاركا في فهم المحذوفات من خلال القرائن السياقية الظاهرة على سطح النص، ونتمثل ذلك من خلال حذف ياء المتكلم الواقعة مضافا إليه بعد الأسماء في سورة الرّعد في الفواصل (متاب، عقاب، مئاب) وهذا في الآيات الآتية[*]:

- ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾

- ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

---

[1]-سورة المؤمنون: الآيات: 26، 52، 98-99.

[2]-سورة يس، الآية: 23.

[3]-سورة يس، الآية: 25.

[4]-Halliday and Ruqaia Hassan: Cohesion in English, P143.
نقلا عن عزة شبل محمد: مرجع سابق، ص115-116.

[*] -ينظر: سورة الرعد، الآيات: 30، 32، 36.

- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾

وهي جميعها تنتهي بحرف الباء الشديد المجهور تناسبا مع بقية فواصل السورة التي تنتهي بالحرف نفسه مثل: (كتاب، الكتاب، الحساب).

ولا يبتعد بنا المقام في سورة قاف (ق) التي تحذف ياؤها الواقعة مضافا إليه أيضا مرة في الفاصلة (وعيد)، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [1]، بمعنى «وجب وحلّ وعيدي»[2]، وقد حذفت الياء لخلق الانسجام الصوتي في خواتيم الفواصل القرآنية، ووعيدي هنا يعني عقابي[3]، وهذا ينسجم مع الفواصل المنتمية بالدال في السورة مثل (نضيد، ثمود، الوريد، عتيد، تحيد)، وهذا يؤسس لذلك التواصل الإيقاعي والدلالي لأنّه «ما انتهت آية قرآنية إلاّ بفاصلة ملائمة كل الملاءمة لمعناها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها، غير نافرة ولا قلقة»[4]، ونلتمس هذا في تناسب إيقاع الفواصل.

أما في سورة "الملك" التي تتناسب فواصلها حيث تنتهي بالراء المسبوق تارة بياء المد وتارة بالواو، فإننا نلتمس حذفا للياء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[5]، وكذا في قوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[6]، فأصل الفاصلتين (نكيري، نذيري)، وهذه الياء في محل جر مضاف إليه، "كيف نذير"، بمعنى كيف إنذاري، وقال القرطبي: النذير بمعنى المنذر وهي كناية عن محمد ﷺ، حيث سيعلم المنافقون صدقه وعاقبة تكذيبهم[7]، وكذلك (نكير) أصلها كيف كان نكيري، وقد اختيرت الفاصلتان أن تكونا على وزن (فعيل)، وهذا سياق أغلب آيات سورة النبأ، حيث هي ظاهرة عامة تقوم أساسا على النظام والتكرار لوحدات

---

(1)–سورة ق، الآيتان: 13-14.

(2)–الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج4، ص5.

(3)–انظر: القرطبي: المصدر السابق، ج17، ص8.

(4)–بكري شيخ أمين: التّعبير الفنّي في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1973، ص202.

(5)–سورة الملك، الآية: 18.

(6)–سورة الملك، الآية: 17.

(7)–ينظر: القرطبي، المصدر السابق، ج18، ص217.

فاصلية معينة على مسافات متقاربة أو متباعدة يخلق إيقاعا جذابا يؤثر في قلب المتلقي وسعه.

وهذا النّوع من الحذف نجده في سورة إبراهيم أيضا، حيث يقول عزّ وجل: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[1]، ومثله حذف الياء من كلمة (دين) في سورة الكافرين﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾[2] انسجاما مع إيقاع الفواصل السابقة لها. ونلمس الانشغال بتكثيف ظاهرة الحذف في سورة (صاد) في قوله تعالى: (﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾وله ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴾)[3].

الظاهرة نفسها تتكرر في سورة القمر ست (06) مرات في شكل لازمة في خواتيم الآيات [وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾، وأيضا: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾، وقوله: ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ٣٠ ﴾، وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾][4]، وقد حافظت هذه الفواصل عن طريق حذف الياء على التشكيل التشكيل الإيقاعي الكلّي للسورة الذي يسير وفق خط تذييل الفواصل بالراء مثل (الزّبر، الدُبر، سعُر...)، والنذر هو الإنذار، تكرر بهذه الصيّغة (فُعُل) لأنّه أكثر بلاغة، كما أنّ المولى عز وجل لم يشأ أن يثبت ذاته بالياء لأنّه منزه عن التمثيل بالبشر، كما أنّه رحمة بهم ولطفا بهم خفف من وقع هذا الإنذار عن طريق الحذف.

و قد تحذف الياء الأصلية عندما تقع لاما للكلمة، وهذا لأسباب إيقاعية، كما في الاسم المنقوص المعرّف ب(أل) وهو (المتعال)في سورة الرّعد، و(التّلاق، والتّناد) في سورة غافر، ب(الواد) في سورة الفجر[5]، وهذا غرضه المشاكلة بين الفواصل، وليس غايته نحوية، لأنّ المعروف أنّ ياء المنقوص المعرّف بأل تحذف في حالتي الرّفع

---

[1]–سورة إبراهيم، الآية: 40.

[2]–سورة الكافرون، الآية: 6.

[3]–سورة ص، الآيتان: 8، 14.

[4]–سورة القمر، الآيات: (16، 18، 29–30، 37، 39)

[5]- ينظر الآيات على التوالي: 9، 15، 32،.

والجرّ، أما في حالة النّصب فلا تحذف [1].

حظي من زاوية أخرى الحذف في الفعل المضارع النّاقص المرفوع بأهمية خاصّة، حيث اختلفت فيه القراءات من ذلك الفاصلة القرآنية (يسر): «فقرأ ابن كثير بالياء وصلا ووقفا، وقرأ نافع بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف...»[2].

ب/ حذف الكاف: تقع الكاف الضمير موقع المفعول به أحيانا، وقد يستغنى عنها إذا كان السياق هاديا عليها، وهذا من باب الإعجاز القرآني، حيث حذفت في سورة الضّحى في أربع آيات وهي: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[3]،﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾[4]، والفواصل المعنية بالحذف هي (قلاك، آواك، هداك، أغناك)، وقد اعتبر الزمخشري هذا النّوع من الحذف بأنه «اختصار لفظي»[5]، فالمولى عزّ وجل ينفي التوديع والقِلى لأنّ الوحي سينزل على النبي محمد ﷺ مهما أبطأ عليه، والله مكرمه جراء صبره.

أما النحاس والفراء فاعتبرا هذا الحذف أسلوبا من أساليب عدم التكرار، لأنّ الكاف المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ، دليل على حضور الكاف في الأمثلة الفاصلية قيد الدراسة، وفي هذا يقول الفراء في حذف كاف (قلى): «يريد دوما قلاك فألقيت الكاف، كما تقول: قد أعطيتك وأحسنت، ومعناه: أحسنت إليك فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى، ولأنّ رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه»[6]، وعند السبب السبب نفسه علّل النحاس سبب الحذف قائلا: «العرب تحذف من الثاني لدلالة الأول، يقال: «أعطيتك وأكرمت»[7]، وهذا من بلاغة العرب، أما الزركشي فأحاله على

---

[1]- سيبويه : الكتاب، المصدر السابق، ج4، ص183.

[2]–علي عبد اللّه حسين العنبكي: البناء اللّغوي في الفواصل القرآنية، مؤسسة دار الصّادق الثقافية، بابل، العراق، دار صفاء، عمّان، ط1، 2011م، ص127.

[3]–سورة الضحى، الآية: 3.

[4]–سورة الضحى، الآيات: 6–8.

[5]–الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص263.

[6]–الفراء: المصدر السابق، ج3، ص273.

[7]–النحاس: المصدر السابق، ج5، ص249.

المشاكلة بين رؤوس الآي[1] للمحافظة على القانون الإيقاعي الذي تسير عليه الآيات القرآنية من خلال تكرارية المادة الصوتية.

2-الزّيادة:

يشكل الخطاب القرآني في خواتيم آياته بناء إيقاعيا وتركيبيا خاصا يميّزه عن غيره من النصوص، وهذا لأنّه يقوم في تنظيمه الفاصلي على أسس تركيبية محددة تجعل هذا النظام أقوى وأثبت، وتعد الزيادة باعتبارها إضافة لأواخر الفواصل أسلوبا من الأساليب الجمالية التي لجأ إليها القرآن لخلق نمط تركيبي معين يساعد على التأثير في المتلقي فالزيادة خاصية تكرارية «ليس المتعيّن منها الفضلة أو ما يستغنى عنه فيطّرح، إذ إنّ هذا كلام الله الذي كل شيء عنده بمقدار»[2]، والزيادات أنواع نلخصها في الآتي:

أ-زيادة حرف المد:

الزيادة في خواتيم الفواصل القرآنية تظهر أكثر ما تظهر عند الوقف، وهذا لخلق تناسب وانسجام بين الفاصلة وما يسبقها وما يلحق بها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[3]، وقوله: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾[4]، ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾[5]، وقد أرجع سيبوية هذا هذا المدّ (سواء بالألف أو الواو أو الياء)، يلحق القوافي ما ينوّن منها وما لا ينوّن، لأنّهم أرادوا مدّ الصّوت[6]، وهو يقول بالمشابهة بين القوافي والفواصل في هذه الخاصية الصوتية، وهو نفسه ما ذهب إليه "النحاس" عندما قال: «لأنّ العرب تثبت هذه

---

[1]-ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص167.

[2]-مهدي أسعد عرّار: المرجع السابق، ص57.

[3]-سورة الأحزاب، الآية: 10.

[4]-سورة الأحزاب، الآية: 66.

[5]-سورة الأحزاب، الآية: 67.

[6]-ينظر: سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ج4، ص204، 206.

الألف في القوافي وتثبتها في الفواصل؛ ليتفق الكلام»[1].

وأرجع ابن جني (ت392هـ)، هذه الزيادة إلى غاية صوتية وهي إشباع الفتحة للوقف على رؤوس الآي، وهذا يشبهه الوقوف على القوافي الشعر[2]، وهو ما أقرّه الزجاج أيضا (ت311هـ)[3]، وهذا من باب توفير المشاكلة والتناسب بين الآيات القرآنية على مستوى فواصلها، فجملة ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ ، خطاب لفئتين فئة المنافقين وفئة المؤمنين، أي «ظنّ المنافقون أنّ المسلمين يستأصلون، وظنّ المؤمنون أنهم ينصرون»[4]، أما "أضلونا السبيلا" فأصلها السبيل وهو التّوحيد[5]، فلما حذف الجار اتصل الاسم بالفعل فنصب، وهذا لأنّ الإضلال لا يتعدّى إلى مفعولين دون حرف جر، وقد زيدت هذه الألف في الكلمتين بغرض الوقف على المدّ الذي لا يوصل به مع ما بعده.

وأشار الزمخشري إلى أنّ كلمة (الظنون) قرئت بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس، كما قرئت بزيادتها في الوقف أيضا[6]، وقد جاءت هذه الألف زائدة عند كل الدارسين ثابتة في: (الظنون، الرسول، السبيل)، وهذه الألف ليست عوضا من تنوين عوضا من تنوين كما في بقية فواصل سورة الأحزاب التي جاءت –منتهية بألف هي عوض عن التنوين في 73 آية، ويستثنى منها آية واحدة أسقطت فيها الألف وهي قوله تعالى:﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾[7].
ٱلسَّبِيلَ ﴾[7].

وقد أرجع السامرائي هذا المدّ في لفظتي (الرسولا، السبيلا) بتناسب ووضع أهل

---

[1]–النحاس: المصدر السابق، ج3، ص305.

[2]–ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج2، ص135–137.

[3]–ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص218.

[4]–القرطبي: المصدر السابق، ج14، ص145.

[5]–ينظر: المصدر نفسه، ج14، ص249.

[6]–ينظر: الزمخشري: المصدر السابق، ج3، ص253–254.

[7]–سورة الأحزاب، الآية: 4.

النّار وهم يصطرخون فيها ويمدّون أصواتهم بالبكاء، فجاء المدّ مناسبا لحالتهم اليائسة، وأما (الظنونا) فمردّ ذلك إلى «أنّهم نوّا ظنونا كثيرة مختلفة فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها وإطلاقها، ولو قال: (الظنون) لوقف على الساكن والساكن مقيّد، فناسب إطلاق الألف إطلاق الظنون»[1]، جرّاء تعدد الظنون ومعرفتها.

وكذلك نجد زيادة هذه الألف المطلقة في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾[2]، حيث أضيفت الألف لاسم ممنوع من الصّرف ويبدو أن المولى عز وجل «أطلق الصوت فيها مناسبة لإطلاق جنسها ونوعها، فهو لم يبيّن نوع القوارير ولا من أي جنس هي، فأطلقها لذلك، ولما قيّد جنسها في الآية التي تليها فقال: «قواريرا من فضّة لم يطلقها»[3].

ب-<u>زيادة هاء السكت</u>:

يسجل القرآن الكريم إمكانية عالية في خلق تموجات صوتية في الفواصل القرآنية من خلال زيادة هاء السكت، التي وظّفت خاصة في سورتي: الحاقة والقارعة من ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾[5]، قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو وابن عامر، هذه الكلمات كلها بإثبات الهاء في الوصل، وكان حمزة يحذفهن في الوصل[6].

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[7]، إلى أن يقول المولى عز وجل في السورة نفسها: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ

---

[1]-فاضل صالح السامرائي: المرجع السابق، ص41.

[2]-سورة الإنسان، الآية: 15.

[3]-فاضل صالح السامرائي: المرجع نفسه، ص41-42.

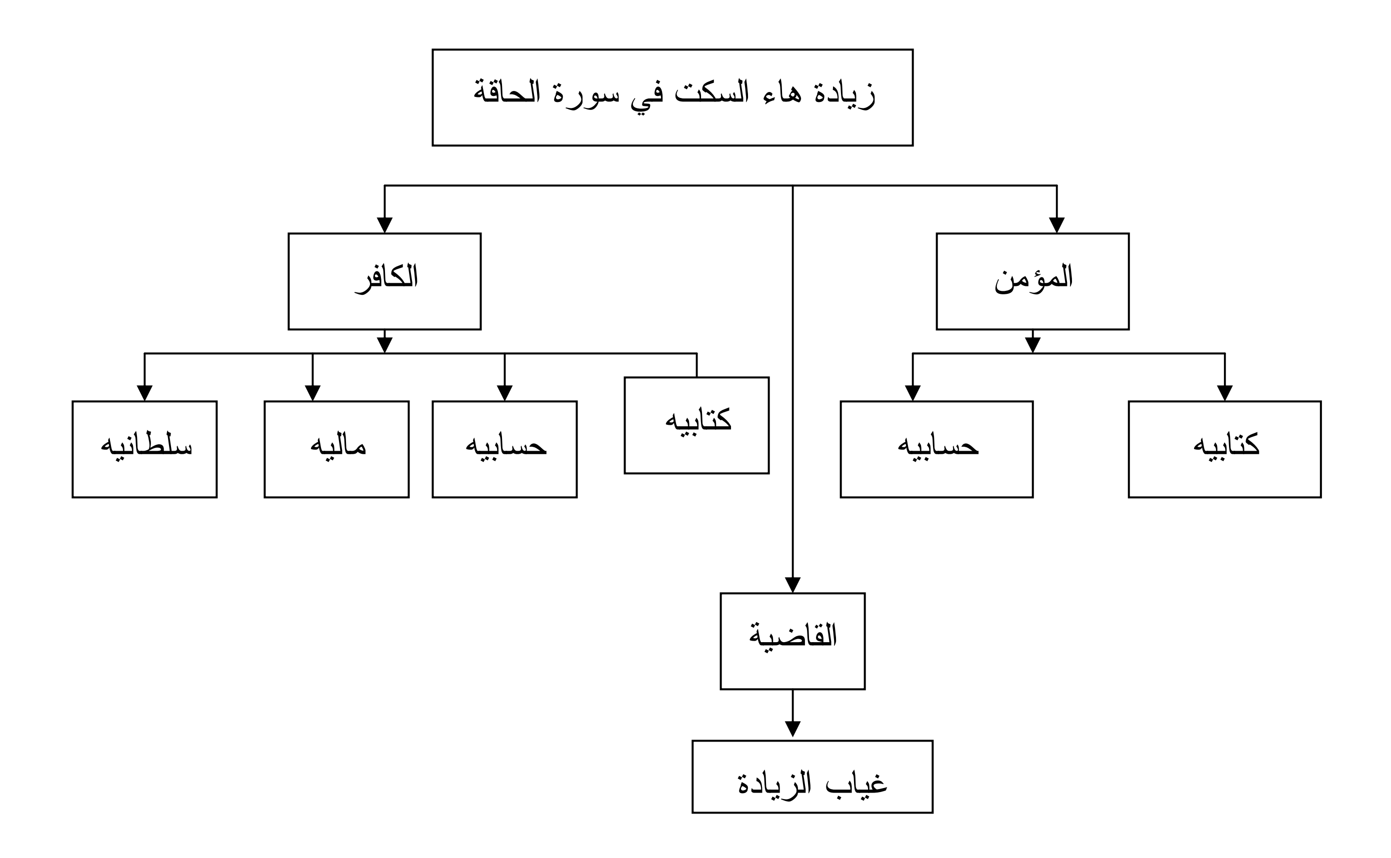
[4]-سورة الحاقة، الآيتان: 28-29.

[5]-سورة القارعة، الآية: 10.

[6]-ينظر: السبعة في القراءات ص 188. ينظر أيضا: الكشاف، ج4، ص602.

[7]-سورة الحاقة، الآية: 20.

﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وسنحاول تحليل الخيط الرابط بين هذه الوقفات من خلال الخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 17: هاء السكت وزيادتها

يقف معنا الخطاب القرآني في فواصل سورة الحاقة مع نظامين اختلافيين، أحدهما تحدده نهاية الفواصل بحرف التاء المثبتة فيها خطا، ولكنها ساقطة عنها وقفا في القراءة، ونظام ثان تحكمه هاء السكت من خلال حوار شخصيتين متقابلتين هما المؤمن والكافر، نتبيّن سعادة الأول بدعوته لقراءة كتابه، ودرايته بموعد الحساب، بينما يصوّر لنا الجانب الثاني من المشهد تعاسة الكافر الذي يتمنى لو لم يعرض كتابه ولم يدر ما هو حسابه، فما أغناه ماله ولا نفعه سلطانه، وبين المشهدين الذين ينتهيان بالهاء على مستوى الفواصل، نجد قطعا بينهما مثلته الآية الكريمة ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾[2]،

[1]–سورة الحاقة، الآيات: 25–29.

[2]–سورة الحاقة، الآية: 27.

حيث يقول الكافر: «القاضية أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى»[1]، وهذا في صورة استفهام غايته إنكار هذا الحدث المميت نفسيا قبل الجسد.

السؤال المطروح في هذا المقام هو لماذا انتقل بنا الخطاب القرآني من التاء إلى الهاء؟ إنّه من خلال تواصلنا مع دلالات هذه السورة الكريمة، ارتأى لنا أن فواصلها جميعا جاءت على التاء مثل: (القارعة، الطّاغية، عاتية، خاوية، باقية، رابية، جارية، واعية، واهية...)، وقد جاءت الفواصل بعد ذلك بالهاء في الحوارين المذكورين آنفا من باب المشابهة الإيقاعية، لأنّ أصل فواصل الآيات (كتابي، حسابي)، بالنسبة لكلام المؤمن، و(كتابي، حسابي، مالي، سلطاني).

وحتى يتحقق الانسجام بين هذه الفواصل وجب الاستعانة بالزيادة لخلق هذا التوازن الإيقاعي، كما أنّ الهاء لها دلالة نفسية عميقة؛ تعبّر عن النفسية المستبشرة للمؤمن من جهة، وعن الحالة السيئة التي يعيشها الكافر من جهة ثانية، وليست آهات هذا الأخير إلاّ امتدادا لتكرار الهاء، ولهذا قال عنها الزمخشّري، «الهاء صوت يصوّت به فيفهم عنه منه معنى خذ كأُفٍّ»[2]، فجعلها شبيهة بأسماء الأصوات، وتسمّى هاء السكت وهذا لأنّه يُتوقف عندها عند القراءة، وحقها أي الهاءات الزائدات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقد استحب إيثارا لثباتها في المصحف.

أما في فاصلة سورة القارعة، فقد أثبتت هاء السكت الزائدة بغرض التعظيم في الفاصلة (ماهيه) الاستفهامية، حيث وقعت بين فاصلتين جاءتا بالتاء في قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾ ﴾[3]، حيث جاءت (هيه) إما ضميرا للداهية، أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وعندما يصل القارئ يحذفها، ولكن قولا، وليس من المصحف وهذا لأنّها ثابتة فيه، وقد زيدت الهاء تعظيما لهذه القارعة، وتعظيما للسؤال عنها.

وفي هذا السياق قال ابن جني: «هذه الهاء إنما هي أحد لواحق الوقف، والخط

---

[1]–الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج4، ص153.

[2]–الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج4، ص152.

[3]–سورة القارعة: الآيات: 9-10-11.

إنمّا وضع على الوقف دون الوصل... فلما كان موضوع الخطّ إنمّا هو على الوقف، وكانت هذه الهاء إنما هي من أغراض الوقف ثبتت في الخط»[1]، وهذا دليل أن القراءتين لهذه الهاء (إثباتا وإسقاطا) صحيحه؛ لأنّ المثبتين لها ساروا وفق رسم المصحف، ومن حذفها فقد اتبع قاعدة النّحويين أن هذه الهاء للوقف فإنّ وصلت حذفت وهذا يؤكد جواز القراءتين.

ومن جهة ثانية جعلها "الطبري" أيضا للاستراحة[2]، وقال عنها الزركشي «هذه الهاء عدّلت مقاطع الفواصل في هذه السورة، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في البلاغة»[3]، وهذا تبيينا للحركة التي قبل الهاء، أو لإحداث نغم إيقاعي للفاصلة، عن طريق قلب التاء هاء ساكنة في الفواصل المنتهية بالتاء، وزيادة هاء للكلمات التي تفتقدها لخلق اتزان موسيقي بينهما، فتكون بذلك وظيفتها وظيفة تنغيمية صوتية، وقد أشير أيضا إلى أن سبب زيادتها هو جمع الفواصل بين المرفوع والمنصوب والمجرور، وعندما نقف عليها تنقلب التاء إلى هاء ساكنة[4]، لخلق حركة صوتية واحدة منذ بداية السورة إلى نهايتها.

وليست الوظيفة الصّوتية هي وحدها ما يعطي دلالة للزيادة، فإنما قد تأتي في مواطن أخرى «للتوكيد والإيضاح والتفسير، وقد عدّ البديعيون ظواهر لغوية كثيرة من الزيادة اللفظية والمعنوية تناولوها في المحسنات اللفظية والمعنوية»[5].

3-التقديم والتأخير:

تعدُّ ظاهرة التّقديم والتّأخير من أكثر الظواهر اللغوية صلة بالفاصلة القرآنية، وهو ظاهرة بلاغية، وأسلوبية، تعتمد العدول عن النّمط أو القاعدة السّائدة إلى خلافها، عندما يتمّ التّصرّف في الرّتب المحفوظة واستبدالها بغيرها، من باب الاتّساع، «فالتّقديم

---

[1]–ابن جني: سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج2، ص154.

[2]–ينظر: مجمع البيان، ج10، ص346 .

[3]– الزّركشي: المصدر السّابق، ج1، ص61.

[4]–العنبكي: المرجع السابق، ص148.

[5]–حسن منديل حسن العكيلي: المرجع السابق، ص118. ينظر أيضا: السيوطي: معترك الإقران، ج1، ص338-372.

والتّأخير يشكّل عنصرا أساسيا في العملية التّحويلية. فهو عند بعض يساوي عمليتي الإبدال والجمع، وعند بعض يساوي عملية التّبادل، وعند بعض يساوي عمليتي التّبادل والتّقديم»[1]، وهذه الأوضاع التّركيبية جميعا تدلّ على مرونة العربية، وعلى أهمّية هذه الظاهرة في إنتاج جمل تحويلية تتفق في بنيتها العميقة، وتفترق في صورتها السّطحية.

ونظرا لأهمية المتقدّم والمتأخر سنحاول من خلال هذا العنصر في البحث أن نقف عند هذه الظاهرة من خلال الفواصل القرآنية، وسيكون تركيزنا أكثر على المتأخّر بدل المتقدّم الذي شغل الدّارسين، وهذا لأنّه يمثل المحور الذي تدور فيه دلالات الآية، وقد أشار إليه إمام النحاة سيبويه (ت180هـ) في قوله: «كأنهم إنمّا يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم»[2].

أما عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ أو 474هـ) فقد عقد له بابا عنون بـــ «القول في التقديم والتأخير قال فيه: «هو باب كثير الفوائد جُمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد العناية،...»[3]، وهو عنده قد عنى به تحويل اللّفظ من مكانه إلى مكان آخر، وهذا التّحويل يكون لغاية بلاغية أو دلالية، إلاّ أنّه لم يبسط القول في التقديم والتأخير الحاصل في الفواصل القرآنية.

وبمجيء الزّركشي (ت794هـ) تتوضح القيمة الإبلاغية للتقديم والتأخير حينما يعقد له بابا طويلا ويصفه بقوله: «هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنّهم من الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق»[4]، وهذا لأنّه من خصائص متكلّمي العربية البحث عن أيسر وأجمل طريق لتوصيل المعاني.

لقد حصر الزّملكاني- من ناحية أخرى- أسباب التقديم في خمسة أنواع هي:

---

[1]-علي أبو القاسم عون: بلاغة التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 48.

[2]-ينظر: الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص34، وص56.

[3]- ينظر: دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص106.

[4]-ينظر: البرهان، المصدر السابق، ج3، ص233.

العلّة، الذات، الشرف، المرتبة، الزمان[1]، كما أضاف إليها سببا آخر وهو الخفة «أي تقديم الكلمة وتأخير الأخرى من أجل خفة القراءة وسهولة النطق وكونه أنشط للمتكلم والقارئ»[2]، قاصدا بذلك الميزة الصوتية التي تميز كلمة على أخرى، فتجعل هذه سهلة بسيطة على النطق، وتلك صعبة عصية عليه، نمثل لذلك بقول المعري في سقط الزند:

تعبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فمَا أعجبُ   إلاَّ مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَاد[3]

حيث بدأ بالخبر المقدم المسند على المسند إليه المبتدأ من أجل أن يثير المتلقي ويقر حقيقة أن كل الحياة تعب في تعب.

وقد أطلق على التقديم والتأخير عدة تسميات عند اللغويين المعاصرين أشهرها: الترخص في الرتبة، الانزياح الموضعي الذي يحقق أمرين: توليد تركيب مغاير للتركيب السابق نسقا، وتحقيق مستوى دلالي جديد كما يرى تمام حسان[4]، أما القدماء فكل ما خرج عن المعيار المعروف عندهم في الجملة الفعلية (فعل + فاعل + تكملة)، أو في الاسمية (المبتدأ + الخبر + التكملة)، فهو تقديم وتأخير، في حين ركّز البلاغيون على دلالات أسلوبية جمالية.

<u>أ/تقديم المفعول به على الفاعل</u>: الطبيعي في الجملة الفعلية أن ترتيب ترتيبا منطقيا معروفا، بدءا بالفعل، فالمفعول به، وهذا لأنّه من خصائص العربية أن يتقدم العامل على المعمول، ولكن هذه القاعدة قد تخرق في كثير من المواطن لغايات جمالية وبلاغية كتقديم المفعول به الثاني على عامله وعلى الفاعل بقصد تحسين النظم كما هو في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[5]، وفي هذه الآية تقدم المفعول به الثاني (الجحيم) على عامله (صلّوه)، وهذا لغرض المناسبة الصوتية لهذه الفاصلة مع مثيلاتها في

---

[1]–ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ص290.نقلا عن: منير محمود المسيري: دلالات التقديم والتـأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005، ص49.

[2]– منير محمود المسيري: المرجع السّابق، ص49.

[3]–ديوان المعري: سقط الزند، ص20.

[4]–ينظر: البيان في روائع القرآن، ج1، ص67.

[5]–سورة الحاقة، الآية: 31.

السورة، وإلى هذا أشار ابن الأثير بقوله: «فإنّ تقديم الجحيم على التّصلية –وإن كان فيه تقديم المفعول على الفعل– إلاّ أنّه لم يكن هنا للاختصاص، وإنمّا هو للفضيلة السّجعية، ولا مِراء في أنّ هذا النّظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل: خذوه فغلّوه، ثم صلُّوه الجحيم»[1].

ومن صور تأخر الفاعل على المفعول قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[2]، وهذا للمشاكلة بين الكلام ومراعاة الفاصلة، ويذهب ابن الأثير (ت637هــ) إلى أن هذا الباب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة، ويقسمه قسمين[3]:

__الأول__: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخّر المقدّم أو قدّم المؤخّر لتغيّر المعنى.

__الثاني__: يختص بدرجة التقدم في الذّكر لاختصاصه بما يوجب ذلك، ولو أخّر لما تغيّر المعنى.

إلاّ أنّ الاختصاص الذي ذكره ابن الأثير ليس دائما هو الغاية البلاغية للخطاب القرآني، رغم أنّه قدّم المفعول به على معموله ي سورة الفاتحة مرّتين لغرض الاختصاص في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[4]، وقد استبعد الزمخشري هذا في تفسيره أيها الموصوف المتميّز نعبدك ونستعينك والغاية من هذا ليست التّخصيص، وإنما من باب البلاغة التركيبية للنّظم إذ يقول: «إن الاستعانة طلب الحاجة والعبادة وسيلة إليها، فقدم الوسيلة على مجرى العادة ليستحقوا الإجابة (...) فينبغي حينئذ أن يجاب بأنّ الإعانة مطلوبة لتكميل العابدة بازديادها أو بثباتها، يدل على ذلك جعل (اهدنا) بيانا لها وطلب ما يزاد به الشيء أو يستمر متأخر عنه ولو جعلت الإعانة

---

[1]–ينظر: ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص231.

[2]–سورة إبراهيم، الآية: 50.

[3]–ابن الأثير: المصدر نفسه، ج2، ص210.

[4]–سورة الفاتحة، الآية: 5.

مطلوبة لتحصيل العبادة ابتداء»[1].

وهناك من الدارسين من أرجع سبب التقديم والتأخير بين المفعول والفعل يكون للقصر غالبا، لأنّ المعنى «نخصّك بالعبادة لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك»[2]، ويذهب الرّازي في هذا السياق إلى القول بأنّه لو قيل نعبدك لم يُفذ نفي عبادتهم لغيره، لأنّه لا امتناع في أن يعبدوا الله ويعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين، أما لما قال إياك نعبد أفاد أنّهم يعبدونه ولا يعبدون غير الله، وهذا من باب إبعاد الاحتمال أن تكون هنالك مشاركة في عبادة الله[3]. وهذا مصداقا لقوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[4]. ورأى الطاهر بن عاشور أن (إياك نعبد) يجمع معنى الديانة والشريعة و(إياك نستعين) يجمع معنى الإخلاص لله في الأعمال[5]، وهذا دليل على أنّ الضمير المنفصل [إياك] يدل على التوحيد ما دام يرتبط بالتدين الباطني، والعمل الخارجي، وهذا سبب وجيه لتقدمها على العامل، لأنّها الأهم في هذا السياق.

لو نظرنا إلى النّص القرآني من خلال النماذج السابقة لوجدناه غنيا بأبنية متباينة، من حيث التقديم والتأخير، وهذا جانب قوي في سبكه وانسجام دلالاته، وعلى الرغم من أنّه يتشكل من نحو الجملة المعلوم بقوانينه، فهو كنص يخضع لمقياس الترابط بين الآيات بدءا من الوحدات الصغرى انتهاء بالوحدة الكبرى وهو القرآن.

لهذا فقد كان التقديم والتأخير جاء لدواع دلالية وجمالية، وهذا ما ذهب إليه العسكري إذ يقول: «ينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيبا صحيحا، فنقدم منها ما كان يحسن تقديمه، ونؤخر منها ما يحسن تأخيره»[6]، ففيه اللازم الواجب الذي لا يجب أن نحيد

---

[1]-الزمخشري: المصدر السابق، ج1، ص65.

[2]-منير محمود المسيري: المرجع السابق، ص76.

[3]-الرازي: تفسير مفاتيح الغيب، ج1، ص248-250.

[4]-رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث 19 في جامع العلوم والحكم.

[5]-ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط1، ج1، ص132.

[6]-العسكري، أبو هلال: الصناعتين، المصدر السابق، ص169.

عنه، وفيه الحر الذي يعد اختياريا إن شئنا عملنا به أو تركناه.

ب–تقديم المجرور على جميع عناصر الجملة:

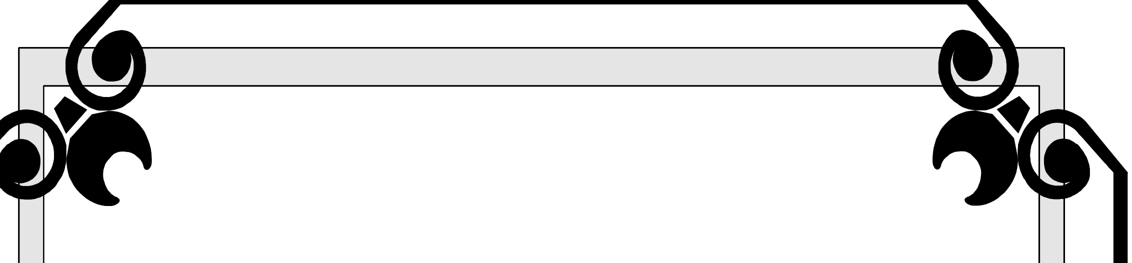
يكشف لنا الخطاب القرآني في مواطن أخرى صورة من صور التقديم للجار والمجرور، وهذا حتى تتأخر الجملة الفعلية فتكون فاصلة منسجمة صوتيا مع ما قبلها وما بعدها، تحقق هذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [1]، فبينما أرجع هذا التقديم أبو حيان لغاية إيقاعية بقوله: «وقدم المجرور اعتناء به ولتطابق الأواخر»[2]، نجد من جهة ثانية من يقول بغير هذا حيث كان هذا التقديم على سائر عناصر الجملة «لتأكيد إيمانهم بها ويقينهم بوقوعها واختصاصهم بهذا اليقين»[3]، ويمكننا إرجاع هذه المغايرة في البناء التركيبي إلى أهمية الإيمان بالآخرة واليقين بها، لأنّ لا إيمان لمن لا يقين له بوجودها، وهي من الغيبيات التي يدركها فقط من ترفع عن الدنيا، حيث إن الكافر أو المنافق لن يتحقق لأحدهما هذا الإدراك لنقص الإيمان عندهما.

---

(1)–سورة البقرة، الآية: 04.

(2)–أبو حيان: البحر المحيط، ج1، ص168.

(3)–مصطفى شعبان عبد الحميد: المناسبة في القرآن –دراسة لغوية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007، ص290.



المبحث الرابع

البنية الدلالية للفاصلة القرآنية
قراءة في الانتشار الدلالي

مدخل

فضاء الدلالة في الخطاب القرآني فضاء متعدد الأبعاد، والانتشار الدلالي هو أحد المظاهر اللغوية التي ميزت الفواصل في النص القرآني، إذ به يتحقق التوازن الدلالي بين الآيات القرآنية، ويتم من خلاله معرفة طبقاته المكونة للغته، وذلك قصد صياغة جديدة لأهم القواعد اللّغوية التي تحكم نظام الفواصل تبعا لتواترها في انسجام لا نهائي من أول سورة وهي فاتحة الكتاب إلى آخر سورة وهي سورة الناس.

من هذا المنطلق كان لزاما على هذه الدراسة أن تجيب عن جملة تساؤلات، أهمها: ما هي طبيعة المحمولات الموظفة في الخطاب القرآني وما هي دلالاتها ؟ ما هي طبيعة الحقول التي تنتمي إليها ؟ وما طبيعة العلاقة القائمة بين الفواصل القرآنية في حالتي التشابه الدلالي أو اختلافه ؟ وإلى أي مدى يتحقق نظام الفواصل دلاليا ؟

الإجابة عن هذه التساؤلات ستكون ضمن الخطوات الآتية:

أولا:حقل الحواس:

وظف الخطاب القرآني الكريم الكثير من الأسماء والأفعال الدالة على الحواس في الفواصل التي ذيلت بها خواتيم الآيات القرآنية، ولعل أكثرها انتشارا (السمع، البصر، الذوق). والملاحظ أن دلالاتها قد اختلفت بحسب سياقاتها وهذا ما سنوضحه في النماذج المحللة.

أ – النظر:

يرتبط النظر دائما في مفهومه العام ببعد حسي، نقول: نظرت إليه: أبصرته[1]. قال تعالى: ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]؛ وهو يعتمد على العين مركزا للرؤية، مادامت هي الوظيفة الأساسية لفعل الإبصار، كما «يستلزم الإبصار اتجاها يذهب إليه... حيث يكون له بعد حسي يفيد توجيه الباصرة إلى نقطة ما هي القبلة أو الناحية كما يكون له

---

(1) – الشنقيطي: المرجع السابق، ص350 .

(2)– سورة التوبة: 128.

بعد نفسي سلوكي فيفيد العمد والقصد...»[1]، وهذا النمط كثير في الخطاب القرآني من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[2]. الجملة الأخيرة (وأنتم تنظرون) جملة حالية للتأكيد؛ جاءت فيها لفظة (تنظرون) فاصلة من باب «الاشتراك الذي بين رؤية القلب ورؤية العين»[3] كما أقر بذلك الأخفش، وفسرت أيضا تنظرون بمعنى بصراء، أي: ليس بأعينكم علة أو مرض، وقيل تنظرون نظر تأمل بعد الرؤية أسباب النجاة والفرار وفي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم – هل قتل أم لا ؟

وقال ابن الأنباري يقال: «إن معنى رأيتموه قابلتموه وأنتم تنظرون بعيونكم، ولهذه العلة ذكر النظر بعد الرؤية، حين اختلف معناهما، لأن الأولى بمعنى المقابلة، والمواجهة، والثاني بمعنى رؤية العين»[4].

ومن النماذج القرآنية التي جاء فيها الفعل (نظر) بمعنى الرؤية العينية للشيء الآيات القرآنية الآتية:

- ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ الصافات 19
- ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: 65]
- ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: 23]
- ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: 35]
- ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الواقعة: 87]
- ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المدثر: 21].

---

[1]–الأزهر الزناد : فصول في الدلالة – ما بين المعجم والنحو– الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، دار محمد علي للنشر، تونس، صفاقس، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص35 .

[2]– سورة آل عمران: 143

[3]– أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج3، ص74

[4]–المصدر نفسه، ج3، ص 74

- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: 49]

- ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: 54].

- ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء: 40].

تكرر الفعل (نظر) 8 مرات في هذه الآيات الكريمات، والفعل (نظر)، فعل صحيح سالم، جاء مرة واحدة بصيغة المفرد، وسبع مرات بصيغة الجمع المذكر، هو من باب فَعَلَ – يفعُل. قال المبرد: «وأما ما كان على (فَعَلَ) فإنه يجيء على (يفعِل) أو (يفعُل) نحو: يضربُ، ويقتُل»[1]

وجميع هذه الأفعال عبرت عن الرؤية بالعين الباصرة، أي أن الدلالة جاءت حتمية لا معنوية وهذا تبعا للمقامات التي قيلت فيها، وهي جميعا عن الكافرين، ورؤيتهم للدلائل العينية على قدرة الخالق وضعف المخلوقين.

من الأفعال التي تكررت أيضا في سياق الفاصلة هو الفعل (رأى) بمعنى (أبصر) مشتق من الفعل (رأي) والرؤية والرؤيا مصدران[2] لهذه المادة اللغوية، و(الرؤية) بالتاء مرتبطة بالنهار، بينما (الرؤيا) «هي رؤيا اليقظة لا المنام، فالقول جميع الناس من رجال ونساء، فليست بمعجزة» [3].

وردت لفظة رأى في بعض الآيات القرآنية للدلالة على الإبصار، من ذلك قوله تعالى في سورة النجم ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[4].

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

---

[1]– المبرد: المقتضب، المصدر السابق، ج1، ص71.

[2]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص91

[3]–المرجع نفسه، ص9 نفسها.

[4]– سورة النجم، الآية : 12.

شَـرًّا يَـرَهُۥ﴾[1]؛ فالرؤية في هذه الآيات الكريمات مرتبطة بالرؤية الحقيقية، وفعل الإبصار المحسوس، على الرغم من ارتباط الفعل (يره) في الآيتين الأخيرتين بالفعل في الآخرة في سياق الاستقبال وليس في الدنيا[*].

أما الفعل (أبصر) فقد كان أكثر ظهورا في فواصل الخطاب القرآني، منه الموضع في الجدول الآتي:

الجدول رقم (35): أبصر فاصلة قرآنية

محمولات الحواس	الآية	السورة	رقم الآية
أبصر	﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾	الأعراف	198
	﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾	الأنبياء	03
	﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾	النمل	56
	﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	القصص	72
	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾	السجدة	27
	﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾	يس	08

[1]– سورة الزلزلة، الآيتان:8 –9.

– ينظر: الفعل رأى فاصلة في النجم 39/34،النازعات 36،طه 45 [*]

	﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾	يس	65
	﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾	الصافات	175/ 179
	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	الزخرف	50
	﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	الذاريات	21
	﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾	الطور	13

ب – السمع: السمع من أكثر الحواس ظهورا في الخطاب القرآني نظرا لأهميته البالغة في عملية الإدراك، وقد وظفت هذه المادة فاصلة في عدة مواطن من آياته؛ إذ تعبر عن حالة يمتد فيها الكلام أو الصوت المسموع من مصدر إلى هدف (السامع)[1].

اختلفت دلالة الفعل (سمع) من سياق الحس إلى دلالات معنوية؛ من ذلك قوله تعالى في سورة يس: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾[2] جاءت بمعنى الطاعة أي «فأطيعون»[3] أي أن سمع هنا تحتمل بالنظر إلى دلالتها على حصول الإدراك، دلالة الفهم الذي ينتج عنه سلوك الطاعة»[4].

أما بمعنى إدراك المسموع فقد جاءت لفظة (سمع) مصدرا في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[5] ومنه قوله

(1)– راغين بوشعيب : البنى التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011 ص365 .

(2) –سورة يس، الآية: 25.

(3)– ينظر :الطبري: ج22، ص103/الزمخشري: ج3،ص319/أبو حيان:ج7،ص325/القرطبي:ج15،ص17 .

(4)–راغين بو شعيب : المرجع السابق، ص365 .

(5)– سورة الكهف، الآية:97

تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[1].

فسر عبد الفتاح لاشين هذه الآية بقوله: «ولما كان "النوم والسعي" سكونا وحركة، ويدركان بالسمع، كان من المناسب أن تختم الآية بالفاصلة ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾»[2] لتثبيت عظمة الخالق وقدرته، لهذا وظف الخطاب القرآني في مواطن كثيرة لفظ (السميع) اسما من أسماء الحسنى للدلالة على العلم والإحاطة والقدرة.

ولم يكن اللفظ في تكراره مقتصرا على دلالة واحدة، حتى مع المماثلة الشكلية بين اللفظين، بل تتغير دلالته مع تغير مجال السياق الذي ورد فيه. يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾.[3] بعد أن بين المولى عز وجل عظم عطاءاته للناس قرن الفاصلة (أفلا تسمعون) بالضياء لأن السمع يدرك ما يدركه البصر»[4] ومرد ذلك إلى أن السمع يمكن تحقيقه ضمن مجالين الظلمة والضياء،بينما البصر لا يتحقق إلا في النور، لأن الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر، ولهذا « اقتضت البلاغة أن تكون الفاصلة " أفلا تسمعون" للمناسبة الكاملة بين [السماع] في الفاصلة، وبين الليل قبلها- وهو الظرف المظلم الذي يصلح للاستماع، ولا يصح للإبصار»[5]

ومنه نستنتج مما سبق أن (السمع) في هذه الآيات جاء بمعنى إدراك الشيء والعلم به بواسطة الأذن[6].

وقد أشار أحد الدارسين إلى أن ترتيب الفاصلة بين (أفلا تسمعون) والآية التي

---

(1)- سورة الروم، الآية: 22.

(2) - عبد الفتاح لاشين: الفاصلة القرآنية: دار المريخ، الرياض، 1982،ص59

(3)- سورة القصص، الآية:71

(4)- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص125

(5)-عبد الفتاح لاشين : المرجع السابق، ص 72-73 .

(6) - الشنقيطي : المرجع السابق، ص130.

بعدها (أفلا تبصرون) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1] جاءت من باب المفارقة العجيبة في الربط بين الليل والنهار، وبين هاتين الفاصلتين «لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر وعكسه النهار فإن سلطان البصر يكون أبلغ في النهار من سلطان السمع»[2].

من هذا المنطلق تتجلى لنا بلاغة الخطاب القرآني من خلال خيط التواصل الدلالي بين الفواصل ومضامين الآيات كما قال الرماني (ت 386 هـ): «وفواصل القرآن كلها بلاغة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها»[3].

ثانيا: حقل العقل ومشتقاته

سمي العقل عقلا «لأنه يعقل صاحبه عن ارتكاب القبائح والرذائل»[4] تتم قدرة الإنسان على إدراك هذا الكون، كما أنه القدرة الخفية التي بها يمكن إدراك وتمييز الحسن من القبيح، يقال عَقَلَ– عقْلا بمعنى «أدرك الأشياء على حقيقتها»[5].

كثيرة هي الألفاظ المرتبطة بالعقل وقد وقعت فاصلة في خواتيم الآيات منها الأفعال: (علم، عقل، فقه، ذكر، فكّر)، وأوّل ملاحظة تمّ تسجيلها هو التقارب الدّلالي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا

---

(1)– سورة القصص، الآية: 72.

(2)–سفيان بن الشيخ الحسين : الإعجاز اللفظي والإعجاز الترتيبي في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص108 .

(3)– الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى : النكت في إعجاز القرآن من كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني) تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص98 .

(4)–الشنقيطي: المرجع السابق، ص 214.

(5)–مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط،، ص616.

تَعۡقِلُونَ ﴾[1]؛ فصفة العقل هنا ترتبط بدلالة الآية التي عبّرت عن استفهام إنكاري عن الذين يأمرون الآخرين بفعل البر وينسون أنفسهم، فهذا ليس من العقل في شيء.

وقد وردت لفظة (يعقلون) فاصلة ستا وثلاثين 36 مرة بصيغة الجمع، مخاطبا كان أو غائبا؛ منفيا كان أو مثبتا، وهذا في الآيات الآتية تحليلها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[3]

جاءت (تعقلون) الأولى فاصلة ضمن الاستفهام الإنكاري، الموجه للنصارى واليهود اللذين ادعى كل منهما أن إبراهيم. عليه السلام. ينتهي إلى طائفته، فأنكر عليهم المولى عز وجل هذا ردا عليهم، وأردن ب (أفلا تعقلون)؛ أي هذا الكلام قيل من طرف من لا يعقل لأن التوراة والإنجيل نزلا من بعده[4]، فكيف يقال إذن، إنه باطل، ومن باب فقد أن للعقل.

والفاصلة نفسها تتكرر في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[5] والمعنى: « أفلا تعقلون حال هؤلاء وما هم عليه من سوء العمل»[6].

لقد جاءت هذه الآيات الكريمات توبيخا لهم ورفضا لأعمالهم. وهو السياق نفسه في الآية الكريمة: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 43.
[2] –سورة آل عمران ، الآية : 64
[3] – سورة آل عمران، الآية: 118 .
[4] –أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق،ج2، ص509.
[5] – سورة الأعراف، الآية:169.
[6] – أبو حيان: المصدر نفسه، ج4، ص415.

﴿ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[1] «فقد جعل مقطع هذه الآية العقل، وكأنه قيل: إن كنت عاقلا فاعلم أن التسلسل باطل؛ فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرك، وهو الإله القادر المختار»[2].

وعليه فقد وظفت الفاصلة تعقلون لمناسبتها لسياق ضرورة العقل حيث لا يفترض فقده. ومن هذا السياق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴾[3].

ثالثا: حقل الحركة:

اختلفت طبيعة الأفعال والمحمولات من حيث دلالتها بحسب طبيعة الفعل (سرح، جمح، سبح...)

يقول عز مقامه:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[4] جاءت الفاصلة يسبحون بمعنى يجرون ويسيرون[5]. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[6]

يصور لنا الخطاب هنا حركة الليل والنهار من خلال دليلين عليهما وهما: الشمس والقمر، فالمراد ب(الليل) هنا «سلطان الليل، وهو القمر، وهو لا يسبق الشمس. بالحركة اليومية السريعة»([7]) وكل منها في عقب الآخر ولكن دون إدراك له.

أما الفعل (جمح) فورد في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴾[8]؛ يجمحون بمعنى يسرعون، و (جَمَحَ) من باب (فعَل)، وهو

---

[1]– سورة النحل، الآية :12.

[2]– السيوطي، جلال الدين :الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص617.

[3]–سورة يس، الآية61.

[4]–سورة الأنبياء، الآية :33.

[5]– الطبري : جامع البيان، ج17، ص22. القرطبي، المصدر السابق، ج11، ص286.

[6]– سورة يس، الآية: 37 .

[7]–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص323.

[8]–سورة التوبة، الآية: 57.

فعل لازم مجرد، عبر في هذه الآية الكريمة على الحركة الأفقية[1].

قال أبو عبيدة: «يجمح: أي يطمح يريد أن يسرع»[2]، وقال الزجاج: «أي يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شيء»[3] أو «يسرعون إسراعا لا يردّهم شيء»[4]

ومثل هذا الفعل (سرح) بمعنى خرج للرعي[5]، منه قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[6].

رابعا: حقل المحمولات التفاعلية:

المقصود بالمحمولات التفاعلية تلك الأفعال التي تحمل دلالة تفاعلية ويقصد بها: «أن الفاعل يفعل بعضه في بعض بسبب إسناده مجموعة من الناس فيتوجه الفعل من كل منهم إلى الآخر حيث يصبح كل منهم فاعلا ومفعولا»[7] من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾[8] بمعنى يراجع بعضهم بعضا.

وقوله: ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ [9] بمعنى يُخافِت بعضهم بعضا، وخفت الصوت «بمعنى سكن، والتخافت إسرار الصوت، وتخافتوا: تساروا»[10]

وفي السورة نفسها قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠ ﴾ [11]، جاء في

---

[1] – الشمسان، أبو أوس إبراهيم: الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه،دار ذات السلاسل، الكويت، 1986، دط، ص29.

[2] – أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج1، ص262.

[3] –الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص504.

[4] – أبو حيان: المصدر السابق، ج5، ص52.

[5] – الطبري: جامع البيان، ج14، ص80.

[6] –سورة النحل، الآية: 9.

[7] –الشمسان: المرجع السابق، ص119.

[8] –سورة البقرة، الآية: 230.

[9] –سورة القلم، الآية: 23.

[10] –الشنقيطي: المرجع السابق، ص 69.

[11] –سورة القلم، الآية: 30.

الصحاح: «الملاومة: أن تلوم رجلا ويلومك»، ومثل هذا من الأفعال ما جاء يعبر عن دلالة التفاعل منه الآيات الآتية.

-﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الصافات 26]

-﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الصافات 25]

-﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الصافات 50]

-﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين 30].

خامسا: حقل محمولات الأوضاع:

من الأفعال الدالة على الوضعية نجد الفعلين (ركع – سجد – استوى)؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[1]. أشار أبو حيان الأندلسي (ت 754 هـ) إلى أن السجود في هذه الآية جاء بمعناه الحقيقي، وهو وضعية خاصة في الصلاة، وقيل عبر بالصلاة عن السجود من باب تسمية الشيء بجزء منه، كما قيل أن معناها الركوع، وهناك من قال أنها خرجت عن هذه الدلالة إلى دلالة معنوية بمعنى الخضوع والخشوع[2].

أما الزمخشري فقد رأى أنه بمعنى الإيمان باليوم الآخر «لأنهم يصفونه بخلاف صفته». والسجود كحالة مصاحبة للصلاة بمعنى الخضوع، ولكنها تدل أيضا على «مطلق الانقياد لأمر الله»، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾. وقد ظهر فعل السجود مع اسم الفاعل بصيغة الجمع كثيرا في القرآن الكريم (سجدا)، وهو اسم للصلاة أي يصلون.

---

[1]–سورة آل عمران، الآية: 113.

[2]–الجوهري: الصحاح، المصدر السابق، ج5، ص2034.

من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[1] وقوله: ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾[2] ولكنها لم ترد فاصلة. وهو المقام نفسه لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[3] ولكنها جاءت في وسط الكلام أو ما قبل آخره؛ ولم ترد فاصلة إلا فيما ذكر من المواضع.

جاء الفعل (استوى) أيضا مظهرا من مظاهر التعبير عن الوضعية، وهو فعل ماض لازم، مشتق من قولك: سويته فاستوى ومعنى هذا أن استوى «فعل انعكاسي أي سوى نفسه، ومن هذا المعنى أخذت جميع المعاني المجازية التي اكتسبتها الكلمة في تاريخ تداولها. وعلى وجه العموم فالفعل يدل على تساوي وتوازن أجزاء الشيء واعتدالها من ذلك "المستوى من اعوجاج"»[4] فالدلالة هنا تصب في إطار استقامة الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[5].

وقد اختلف في تحديد دلالته بحسب المعني بالاستواء، أهو جبريل عليه السلام، أم هو المولى عز وجل. فـ (ذو مِرّةٍ) بمعنى (ذو قوة)؛ فمن أرجع فكرة الاستواء من المفسرين إلى جبريل عليه السلام، قالوا أن المقصود من اللفظة هو بسط جناحية في الأفق الأعلى، وهناك من ربط دلالة الفعل بالله عز وجل فرأى أنها تعني: العظمة والقدرة والسلطان[6].

وعليه فإن هذا الفعل قد يكون محمولا وضعيا إذا كان بمعنى البسط، وقد يكون بمعنى القدرة والعظمة إذا كان بمعنى البسط،، وقد يكون بمعنى القدرة والعظمة إذا كان محمولا انعكاسيا له صلة مباشرة بالذات الإلاهية، فيكون بذلك مشابها لدلالة الفعل

---

(1)- سورة مريم، الآية: 58.

(2)- سورة النساء، الآية: 153.

(3)- سورة الفرقان، الآية: 64.

(4)-الأزهري: تهذيب اللغة، ج3، ص125.

(5)-سورة النجم، الآية: 06.

(6)-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص155.

(استوى) الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1].

سادسا: حقل محمولات الحالات:

ظهر في الخطاب القرآني فواصل تعبر عن حالة أصحابها من ذلك الأفعال (فرح، استبشر، حزن، غضب، كره، شكر، شعر)؛ سواء أدلت هذه الأفعال عن حالة شعورية أم سلبية فهي كثيرة في الآيات القرآنية، وسنختار منها بعض النماذج: يقول تعالى: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾[2] بمعنى يجتمعون إلى أهليهم وهم مسرورون[3].

وعبرت آية أخرى عن ضد الفرح بالكره في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾[4].

حالة أخرى بمعنى الخوف والفزع في قوله تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦﴾[5]. لفظة يفرقون هنا بمعنى« يخافون القتل، وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية وهم يبطنون النفاق»[6]

الشكر أيضا بمعنى الثناء يعبر عن حالة، يرى الطوسي أنه بمعنى الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظم[7]، أمـــا القرطبي فيرى أنه خلاف الكفران[8]، ومن الدارسين من ربه بجميع الطاعات، وهو حالة محبذة لدى المؤمن كما نوّه إلى ذلك

---

[1] –سورة طه، الآية: 05.

[2] – سورة التوبة، الآية: 50.

[3]– المصدر نفسه، ج5، ص52.

[4]– سورة التوبة، الآية: 54.

[5]– سورة التوبة، الآية: 56.

[6]– أبو حيان: المصدر السابق، ص56

[7]– التبيان، المصدر السابق، ج1، ص240.

[8]– القرطبي: المصدر السابق، ج1، ص397.

الرازي[1]. قال الفراء في معاني القرآن[2]: «العرب لا تكاد تقول شكرتك إنما تقول: شكرت لك، ونصحت لك».

سنقدم تفصيل الآيات ضمن الجدول الموالي:

جدول رقم (36): محمول الحالة في الخطاب القرآني

محمول الحالة	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
حَزِنَ	﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة	37
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة	61
	﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة	111
	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة	273
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة	276
	﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	آل عمران	170
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	المائدة	71
	﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	الأنعام	49

(1)- الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج3، ص86.

(2)- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص92.

	﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	الأعراف	33
	﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾	الأعراف	48
	﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	يونس	62
	﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	الزمر	58
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.	الأحقاف	12

إنّ تلقي هذه الآيات الكريمات يحيلنا على مادة (حزن) بمعنى الجزء والخوف، وقد جاء منفيا ثلاث عشرة 13 مرة، بصيغة الجمع المذكر فيها جميعا بصيغة الجمع المذكر فيها جميعا بصيغة الغائب، يستثنى منها آية واحدة في سورة الأعراف، التي جاءت للمخاطب.

وقد عبرت هذه الآيات عن مدى القدر والإحاطة والإعانة الإلاهية لكل من كان مؤمنا، ومخلصا في عباداته، تفضلا وعطفا للعباد من طرف المولى عز وجل. ففي قولـــــه تعالى: ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[1]؛ فقد نفي الخوف في كل حال يوم القيامة وقد صدرت (ولا هم يحزنون) بالمعرفة لتثبيت النفي وهي «إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن وأن غيرهم يحزن ولو لم يشر إلى هذا المعنى لكان ولا يحزنون كافيا..»[2] وهو سياق بقية الآيات للدلالة على انتفاء الحزن لكل من آمن بالله واليوم الآخر، وأسلم وجهه لله، وأنفق أمواله وأقام الصلاة وآتى الزكاة، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ومن سار على التقوى، ومن استقام، كل هؤلاء لا يخافون ولا يحزنون.

بعد هذا السياق نجد الفعل (شعر) يتكرر في الخطاب القرآني كفاصلة في الآيات

---

[1]– سورة البقرة: 37.

[2] – أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص32.

التالية ضمن الجدول الموالي:

جدول رقم (37): "شَعَرَ" فاصلة قرآنية

محمول الحالة	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
شعر	﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾	البقرة	08
	﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾	البقرة	11
	﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾	آل عمران	68
	﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾.	الأنعام	27
	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾	الأنعام	124
	﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	الأعراف	94
	﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	يوسف	15
	﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	يوسف	107
	﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	النحل	26
	﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	النحل	45
	﴿ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾	المؤمنون	57

	﴿ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	الشعراء	202
	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	النمل	18
	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	النمل	52
	﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	القصص	08
	﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	القصص	10
	﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	العنكبوت	53
	﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	الزمر	24
	﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾	الزمر	52
	﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	الزخرف	66
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾	الحجرات	02

تبين لنا من خلال هذا الجدول الإحصائي أن لفظة (تشعرون) الواقعة فاصلة، تكررت واحدا وعشرين مرة في فواصل القرآن الكريم، وهي مشتقة من «شعر بالشيء يشعر، من باب قصد: فطن به وعلم به»[1]، سبقت هذه الفاصلة ب (ما) أربع مرات، وب (لا) ستة عشر مرة، وجه الفعل إلى الغائب فيها جميعا بصيغة الجمع المذكر،

(1) – الشنقيطي: المرجع السابق، ص146.

واستثني منها اثنتان وجهتا للمخاطب (أنتم) في: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[2].

إن هذا التشابه في صياغة الفاصلة من النّاحية الشكلية له مبرره من حيث إن هناك ربط بين الآيات في السور المختلفة يجسد ما تدعو إليه نظرية وحدة السورة[*] التي قال بها أحمد عبد الوهاب والتي يرى من خلالها أن«لكل سورة أركان أو قوائم أو روابط، فهكذا السورة. ويتمثل ذلك الرباط في كلمة أو تعبير –يتكون من عدة كلمات– يتم ذكره في السورة إما بنفس اللفظ أو بلفظ مستخدم منه...» [3] وهذه إشارة من الدارس إلى أن هناك روابط هي بمثابة حلقات تربط هذه السورة بغيرها من خلال الفواصل المشتركة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما هي دلالة الفعل (شعر) في هذه السياقات؟

جاء الفعل بمعنى (عدم الانتباه) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[4]، فالنملة تنهي قومها عن البقاء خارجا حتى لا يصابون بالأذى لعدم انتباه سليمان وجنوده لهم، لهذا جاءت الفاصلة (وهم لا يشعرون) للدلالة على « إدراكها رحمته وشفقته ورحمة عسكره»[5]

كما دلّت (على عدم الدراسية والعلم) كما في قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ

---

(1)– سورة الزمر، الآية: 55.

(2)– سورة الحجرات، الآية: 2.

(*)– تعتمد هذه النظرية على فكرة وجود خيوط دلالية تربط الآيات فيما بينها، وهذا لا يتحقق إلاّ باسم السورة، ثم الرباط الرئيسي للسورة يسمى علامة، وهذه العلامة تتكرر بشكل لافت في سورة دون غيرها، مثال ذلك لفظ التقوى في سورة البقرة.

(3) – أحمد عبد الوهاب: إعجاز النظام القرآني، مكتبة غريب، ط1، 1980، ص19.

(4)– سورة النمل، الآية: 18.

(5)– أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج7، ص61.

ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1]؛ وفي السورة نفسها وظفت اللفظة بدلالة الغفلة في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[2]. وبمعنى لا يعلمون[3].

أما الفعل حزن فهو أخص من الاستعمال من الفعل (شعر) وهي المفارقة الدلالية الرابطة بين السياق القرآني الأول- حيث توجد حزن -والسياق القرآني الثاني- حيث تكون شعر.

نجد من الألفاظ الموظفة أيضا (كره) وهو ضد المحبة يعبر عن حالة شعورية سلبية يعيشها الكافرون أو المنافقون في سياقات حياتية مختلفة، ومصدر الفعل قد يكون (كرها) أو كرها. وقد فرق "المطعني" بين دلالة الكلمتين بقوله: «الفرق بين معني (كره) و(كره) كما يدل عليه الاستعمال القرآني أن (كرَه) بالفعل (كرُه) بالفتح يستعمل في مقام الدلالة على المعاناة النفسية، أما (كُرْه) فللدلالة على المعاناة الجسمية والنفسية معا»[4].

رأى الراغب الأصفهاني أن الكره بمعنى المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه. والكره: ما يناله من ذاته وهو يعافه وهي الكرامة، وهذا المعنى الثاني هو الأكثر ورودا في خواتيم الآيات، وقع فاصلة، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[5] والمشار إلى أن كل الأفعال الواردة هي في وسط الآيات لا في خواتيمها، بينما أسماء الفاعلين لم ترد إلا لَمَمًا من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[6]

---

(1)- سورة البقرة، الآية: 08.

(2)- سورة البقرة، الآية: 11.

(3)- البغوي: المصدر السابق، ج1، ص66.

(4)- سامح القليني: الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، تقديم أحمد عيسى المعصراوي، مكتبة وهبة، القاهرة، تحقيق: علي النّحاس، ط3، 2010م، ج1، ص317.

(5)- سورة البقرة، الآية: 217.

(6)- سورة الزخرف، الآية: 78.

حقل المحمولات الدالة على الخُلُق: (التقوى، الإحسان، الصبر، الكفران...)، (الفسق، الجحود)، (الاستهزاء، السخرية).

باستقراء نصوص الخطاب القرآني من حيث فواصله، تبين لنا أن أفعال وأسماء التقوى من أكثرها انتشارا في مجال الألفاظ الدلالة على الخلق، ومرد ذلك إلى أن الرسالة المحمدية، والدين الإسلامي يقوم على هذا المبدأ في تحديد العلاقات والمعاملات والعبادات، لغاية رئيسة وهي التوحيد. تدل على الحفظ من الأذى بالعمل الصالح.

يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [(1)]؛ جاءت اللفظة فاصلة في هذه الآية اسم فاعل من اتقى « وأصله أوتقى – بوزن افتعل – من وقلى الشيء وقاية؛ أي صانه وحفظه مما يضره ويؤذيه»[(2)] واسم الفاعل متق للمفرد[(3)]. وقد ذكر لفظ (المتّقين) ست (6) مرات في هذه السورة في الآيات: (﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾، ﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦ ﴾، ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ ﴾، ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾، ﴿ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١ ﴾)[(4)].

وورد في المقابل في آيات البقرة الفعل تتقون، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[(5)] وقوله أيضا:

---

(1)– سورة البقرة، الآية: 01.

(2)– حسنين محمد مخلوف: القرآن الكريم ومعه صفوة البيان لمعاني القرآن، دار الرشاد الحديثة، ج1، ص14.

(3)– السمين الحلبي، أحمد يوسف (ت756هـ): الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخـراط، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج1، ص90.

(4)– البقرة: 2، البقرة: 66، البقرة: 180، البقرة: 194، البقرة: 241.

(5)– سورة البقرة، الآية: 62.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] وقوله أيضا: ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2]. ونظرا لكثرة ترديد فعل (التقوى) في سورة البقرة، فقد عد من الروابط الأساسية التي تسمى علامة يمكن من خلالها فك رموز السورة، ما دامت اللفظة قد بلغت معدل التكرار المطلق[3].

كما تجد أن فعل التقوى يتردد أيضا في سورة التوبة[*]، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [4] وقوله أيضا: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[5].

وتستمر الآيات القرآنية في التواصل مع هذا النمط الفاصلي في شكل جمل استفهامية صدرت ب (ألا) الاستفتاحية المركبة من همزة الاستفهام، ولا النافية لإفادة توكيد مضمون الجملة في أصلها، ولكنها خرجت عن هذه الدلالة للتعبير عن (التحفيض)، للدلالة على مبالغة الفعل[6]، ومثال ذلك الآيات الكريمات :

-﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 64]

-﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 171].

-وجاء في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 10] وقوله

---

(1)- سورة البقرة، الآية: 178.

(2) – سورة البقرة، الآيات: 2، 66، 180، 194، 241.

(3)- أحمد عبد الوهاب: المرجع السابق، ص28.

– ينظر أيضا الآيات: 36، 44، 124. (*)

(4)- سورة التوبة، الآية: 4.

(5)- سورة التوبة، الآية: 7.

(6)- عضيمة، عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، القسم1، ج1، ص224.

أيضا: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 106].

-﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 142]

-﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 161]

-﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 177]

لقد ناسب هذا التكرار في هذه الفاصلة موضوع المساءلة والاستفسار في سورة الشعراء ما دامت السورة قد ارتبطت بسياق أخطاء أمم الأنبياء، ودعوة الرسل للتقوى ومجافاة طرقهم التي جادت عن جادة الصواب. كما أن هناك آيات أخر في سور أخرى انتهت فواصلها أيضا بالفعل (يتقون) في صيغة الغائب أو المخاطب على السواء[1].

إذا انتقلنا إلى قيمة أخلاقية أخرى وجدنا [الكفر] من المصطلحات الواردة فاصلة في الخطاب القرآني، جاءت إما بصيغة الاسم أو بصيغة الفعل، من نماذج الاسمية قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[2]

رأى أبو حيان الأندلسي أن لفظة (الكافرين) في سياق الآية تعني (المنافقين) فقال في تفسيرها « فوصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل..» [3] والكفر ضد الإيمان، مصدره «كفروا وكفرانا، فهو كافر، والكفر أيضا والكفور والكفران: جحد النعمة وسترها»[4] ويجمع لفظ الكافر على كفره، وعلى كفار أيضا من ذلك قوله تعالى: تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾[5]وقوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [آل عمران: 90].

أما الفعل (كفر) فقد ورد أيضا فاصلة قرآنية في الكثير من الآيات؛ في الماضي

---

[1]- ينظر: يونس: 06-63، يوسف:57، النحل:52، المؤمنون: 23-32، النمل:55، الصافات:124، الزمر:27.

[2]- سورة البقرة، الآية: 18، انظر أيضا: سورة العنكبوت، الآية:68.

[3]- أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص221.

[4]- الشنقيطي: المرجع السابق، ص291.

[5] – سورة عبس، الآية:42.

والمضارع خاصة.

ونادرا ما جاء بصيغة (ما أفعل) مثل قوله تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ [عبس: 17] وهي دلالة على الجحود، ومنه صار الكفر يطلق على الجاحد لقضايا الدين بعدما كان يعني الستر[1].

جدول رقم (38): "كفر" فاصلة قرآنية

محمولات الخلق	الآية	السورة	رقم الآية
كـــفر	﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	آل عمران	107
	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾	الأنعام	31
	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾	الأنعام	70
	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾	الأنفال	35
	﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾	يونس	70
	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾	العنكبوت	67

[1]– ابتسام السيد عبد الكريم علي المدني: بنية النص القرآني –دراسة موازنة بين البُنى العقائدية واللغوية والفنيـــة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بيت الحكمة، العراق، بغداد، ط1، 2010، ص142.

	﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾	الروم	50
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾	غافر	09
	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	الأحقاف	33
	﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾	الممتحنة	02

هذا هو السر اللّطيف في توارد هذه الفواصل، من حيث ملاءمتها لمقتضى السياق، وكلمات الآيات جميعا مشرقة بصياغة أسلوبية مناسبة، (فتنظرون) في كل الآيات ارتبطت بتذوق العذاب كنتيجة حتمية للمداومة على الكفران، كفران النعمة، من خلال إيمانهم بالباطل، والصلاة الزائغة عن طريق الحق، والإساءة للمؤمنين.

حتى أن الرسول ﷺ قد تبرّأ منهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ﴾. ومنه فإن الكفر عمل عظيم يعاقب عليه، لهذا كثرت الفواصل التي جاءت بهذه الصياغة الفعلية، ومثلها ما جاء في صياغة اسمية، كقوله تعالى: ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] وقوله أيضا في السورة نفسها ﴿ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[3] ومثل هذا كثير[*] في الخطاب القرآني، وبعد

[1]– سورة الزمر، الآية:56.

[2]– سورة الزمر، الآية :68.

[3]– سورة غافر، الآية:13.

[*]–ينظر أيضا: غافر 84،73/ فصلت 06، 13/ الزخرف23، 29/ سبأ 34/ يس69/ العنكبوت: 47، 54، 69، 07، 44/ القصص:48، 82، 86/ النمل:44/ المؤمنون:118/ النحل:

الكفر نجد الفسق: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ و«هم أهل النفاق»[1] والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا وثبت عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يتقاتلن في الحل والحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور»[2] وهذا لأنها تخرج من حجرها كالفأرة للفساد.

ومن المحمولات الخلقية الإيجابية (الإحسان) وهو لفظ مشتق من حسن بالضم: الجمال، قال تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء 68. «والإحسان في العمل هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والحسنى هي الجنة، والحسن: الجمال وكمال الشيء وتمامه»[3] من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[4] .

وورد لفظ الإحسان فاصلة كثيرا في القرآن الكريم، منه ما جاء اسم فاعل، ومنه ما جاء فعلا مضارعا في ذيل الآيات القرآنية وهذا ما سنوضحه في الجدول الآتي:

جدول رقم (39) : "أَحْسَنَ" فاصلة قرآنية

المحمولات الدالة على الخلق	الآية	السورة	رقم الآية
أحسن	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	البقرة	57
	﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	البقرة	194

[1]– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، السعودية الرياض، (د.ت)، ص209.

[2]– صحيح البخاري: رقم [3314]، وصحيح مسلم: 1198.

[3]– الشنقيطي: المرجع السابق، ص53

[4]– سورة آل عمران:14

	﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	البقرة	234
	﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	آل عمران	134
	﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	آل عمران	148
	﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	المائدة	14
	﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	المائدة	87
	﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	الأنعام	85
	﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	الأعراف	55
	﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	الأعراف	161

هذه بعض الآيات التي جاءت فاصلتها اسمية، ومثلها في آيات أخر[1]، إذ ينتشر هذا اللفظ أكثر في سورة يوسف التي تكرر بها خمس مرات، في حين تم إحصاء 30

---

[1]– ينظر:التوبة: 121، هود:115، يوسف:22، 36، 56، 78، 90، النحل: 128، الحج:35، القصص:13، العنكبوت: 69، لقمان:02، الصافات:80، 105، 110، الزمر:33، 55، الأحقاف:11، الذاريات:16، المرسلات:44

ثلاثين مشتقا للفعل (أحسن) في صنف الأسماء، وهذا نظام لغوي متوزع عبر شبكة من العلاقات بين هذه الآيات دلاليا، فالدرس يلاحظ أن الإحسان يرتبط دائما بمحبة المولى عز وجل فهو صفة محببة يمثل نتيجة إيجابية لجملة من السلوكات والأفعال التي استنتجت من المعطيات المدونة في الجدول السابق، والذي تبين من خلاله مبدأ التقاطع بين الآيات في الفاصلة الأخيرة من كل آية.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1] «هذا تحريض على الإحسان، لأن فيه إعلاما بأن الله يحب من الإحسان به دائما، بحيث لا يخلوا منه محبة الله دائما»[2] وهو المسار ذاته الذي سارت عليه بقية الآيات القرآنية.

إذا كان الإحسان صورة من صور المحمولات الخلقية الإيجابية، نجد في المقابل الفسق محمولا لا أخلاقيا ورد فاصلة قرآنية بصورة لافتة، كلما تبدت لنا سورة قرآنية تصور لنا ذلك الفاسق، وهو إنسان «خرج عن الطاعة»[3] من ذلك قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾[4]، والخروج عن الطاعة الإلهية أمر مستهجن كما أن الفسق يرتبط بارتكاب المعاصي من الكفر وغيره، وتبعا لذلك يمكن للكفر أن يكون درجة من درجات الفسق. لهذا يقال: «كافر فاسق، متمرد في الكفر وغيره، أو فاسق في الشرب، أو الزنا، مجاوز الحد في ذلك الذنب»[5].

وقد ورد لفظ (فسق) بصيغة المضارع، كما ورد اسم فاعل أيضا بنسبة أكبر، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ

---

(1)– سورة البقرة، الآية: 194.

(2)–أبو حيان: المصدر السابق، ج2، ص80.

(3)– الشنقيطي: المرجع السابق، ص247

(4)– سورة الكهف، الآية: 49.

(5)– الطبري: جامع البيان، ج3، ص119. القرطبي، ج1، ص417.

إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[1]. وقوله أيضا: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴾[3].

وقد جاءت اللفظة بصيغة الجمع (يفسقون) أو (تفسقون) غائبا ومخاطبا في واحد وثلاثين موضعا في خواتيم آيات الذكر الحكيم، وسندرج بعض الأمثلة لنتعرف على دلالاتها.

قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[4] لقد دلت اللفظة هنا على الظالمين فالفسق يرادف الظلم، إلا أن من المفسرين من ربط الفسق بالظلم، كما جاء في تفسير ابن كثير، الذي روى عن أبي العالية أن الفاسقين «هم أهل النفاق»[5]، بينما نرى أنه بمعنى الظلم، وهو وهو باب جمع المعاصي[6]، لهذا أنزل عليهم المولى عز وجل هذا الرجز وهو العذاب الشديد، ويفند ما ذهبنا إليه هو تكرار لفظة الظلم مرتين، مما يستدعي أن تكون الفاصلة حاملة لمعنى الظلم.

من الآيات أيضا نجد قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[7] فسرت عند ابن كثير بمعنى الكفر والخروج عن الطاعة إذ يقول فيها:

---

(1)- سورة الأعراف، الآية: 163.

(2)- سورة العنكبوت، الآية: 34.

(3)- سورة الأحقاف، الآية: 19 .

(4)- سورة البقرة، الآية: 58.

(5)- ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص209

(6)- الشنقيطي: المرجع السابق، ص190، كما فسرت بمعنى مخالفة أمر الله. ينظر: الطبري: المصدر السابق، ج3، ج3، ص119. والقرطبي: المصدر السابق، ج1، ص417.

(7)- سورة الأنعام، الآية: 50 .

«أي: ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل، وخرجوا عن أوامر الله وطاعاته، وارتكبوا محارمه ومناهيه وانتهاك حرماته»[1]، كما فسرت اللفظة بدلالة يكذبون[2].

وتكررت اللفظة نفسها في سورة الأعراف أربع مرات في قوله تعالى:

-﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: 102]

-﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾. [الأعراف: 145]

-﴿ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163]

-﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 165]

ففي الآية الأولى جاءت لفظة (الفاسقين) بمعنى «خارجين عن الطاعة والامتثال»[3] بمخالفتهم لعهدهم بطاعة الله، وخروجهم عن ذلك لطاعة غيره بلا دليل ولا حجة. أما (دار الفاسقين) في الآية الموالية، فقد فسرت بجهنم[4]، وهناك من قال أنها أنها مصر، وجاء تفسير (الفاسقين) بفرعون وقومه[5]، كما دلت على أهل الشام أيضا. ودلالة الفسق هنا ترتبط بمخالفة الأوامر، والخروج عن الطاعة[6]، وهذا طريق الضلالة الضلالة لا محالة، لأن هؤلاء سيصيرون إلى الهلاك والدمار. وهي الدلالة نفسها للآية

(1) –ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص258.

(2) –أحلام ماهر محمد حميد: المرجع السابق، ص40.

(3)– ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص453.

(4)– الطبري: المصدر السابق، ج3، ص111.

(5)– أبو حيان: المصدر السابق، ج4، ص387.

(6)– ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص474.

الثلاثة والستين بعد المائة التي تدل على عدم الامتثال لأوامر المولى عز وجل[1]، وهو سياق الآية الأخيرة التي ارتبطت دلاليا بالآية التي تليها مباشرة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[2] أي: ذليلين حقيرين مهانين بفسقهم وظلمهم[3].

آيات أخرى من سورة المائدة ورد بها هذا اللفظ الواقع فاصلة، إذ نراه يتكرر سبع مرات في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[5]وقوله أيضا: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[6]وقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[7].

كما ورد اللفظ فاصلة في الآيات[8]، كما ظهر في سور أخرى للتعبير عن الدلالة نفسها مع اختلاف طفيف بين المفسرين، فقد جاءت دلالة اللفظة في الآية الأولى بمعنى المعصية والمعنى أن موسى عليه السلام «دعا بأن يفرق الله بينهما وبينهم بأن يفقد وجوههم ولا يشاهد صورهم إذا كانوا عاصين له مخالفين أمر الله تعالى، ولذلك نبه على العلة الموجبة للتفرقة بينهم وبين الفسق»[9] وفسرت بمعنى «اقض بيني وبينهم»[10]

---

[1]- المصدر نفسه، ج3، ص493 .

[2]- سورة الأعراف، الآية: 166.

[3] - ابن كثير: المصدر نفسه، ج3، ص497.

[4]- سورة المائدة، الآية: 27 .

[5] - سورة المائدة، الآية: 28 .

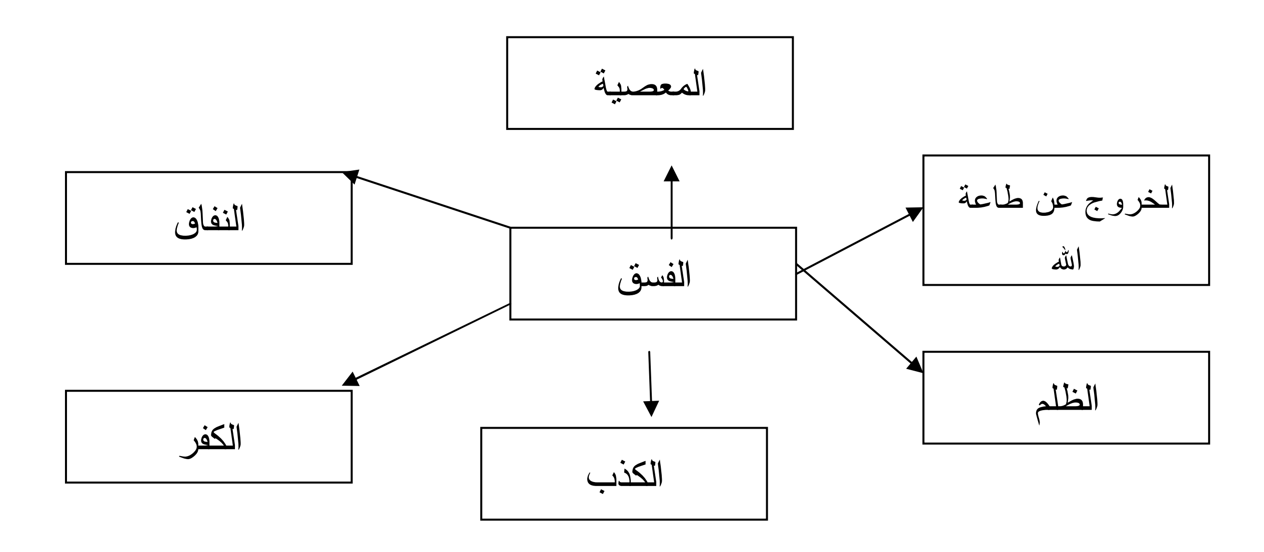
[6]- سورة المائدة، الآية: 49.

[7]- سورة المائدة، الآية: 51 .

[8]- سورة المائدة، الآيات: 61، 83، 110 .

[9]- أبو حيان: المصدر السابق، ج3، ص472.

وبينهم»[1] وفسر أبو حيان لفظة (الفاسقين) الواردة في الآية الواحدة والخمسين من المائدة بمعنى التمرد إذ يقول: «أي: متمردون مبالغون في الخروج عن طاعة الله، وقال ابن عباس: المراد بالفسق هنا الكفر، وقال مقاتل: المعاصي، وقال ابن زيد: الكذب»[2]، وشبيهة بها الدلالة الموظفة في الآية التاسعة والأربعين، إذ فسر ابن كثير لفظة (الفاسقون) بقوله: «الخارجون عن طاعة ربهم،المائلون إلى الباطل، التاركون للحق»[3]. وتبعا لهذا يمكننا توضيح دلالة الفسق بالخطاطة الآتية :



الخطاطة رقم 18: دلالات الفسق في سورة المائدة[*]

من خلال هذه الخطاطة تراءى لنا أن لفظة الفسق تتعدد دلالتها بتعدد السياقات القرآنية وهي في الغالب الأعم جاءت بمعنى الخروج عن طاعة الله، وارتكاب المعصية، وهذا يعد ظلما كبيرا، لهذا نجد من المحمولات الدالة على الخلق السلبي لفظة (الظلم) وهي من باب (فَعَلَ – يفعِلُ) أي ظلم يظلم ظلما، فعل صحيح سالم، وهو يدل

---

[1]- ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص79.

[2]- أبو حيان: المصدر السابق، ج3، ص516 .

[3] – ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص127.

[*]–ينظر هذه الدلالات أيضا في السور الآتية: البقرة:25، 98، آل عمران:81، الأعراف:145،101، التوبة:24، 53، 67، 81، 85، 87/ النور:04، 53، النمل:12، القصص:32، الزخرف: 54، الأحقاف: 34، الذاريات:46، الحديد: 15، 25، 26، الحشر:5، 19، الصف:05، المنافقون:06

على «وضع الشيء في غير موضعه»[1]؛ لهذا ربط الشرك بالظلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2].

اختبارا لهذه المعطيات سنحاول أن نستكشف دلالات الفعل (ظلم) في الخطاب القرآني، مع بيان تحولاتها الدلالية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] فجاءت هنا اللفظة بمعنى المغضوب عليهم ودليل ذلك وجود النهي في هذه الآية «دلالة على أن النهي كان على جهة الوجوب لا على جهة الندب، لأن تاركه لا يسمى ظالما»[4]، وتجدر الإشارة إلى أن لفظ (الظلم) كثير في القرآن الكريم، فقد تكرر مرات في سورة البقرة وحدها بصيغة الاسمية، وثلاث مرات بصيغة الفعلية(*)، أمثال ذلك قوله تعالى[5]: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6].

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

---

(1)– الشنقيطي: المرجع السابق، ص191 .

(2) – سورة لقمان، الآية: 12 .

(3) – سورة البقرة، الآية: 34 .

(4)– أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص310.

(*) – الآيات: هي: (البقرة: 25، 117، 161)

(5) – سورة البقرة، الآيات :50، 91، 93، 123، 144، 193، 229، 246، 254، 258.

(6)– سورة البقرة، الآية:91

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

جاءت لفظة (الظالمين) في الآية الثالثة والتسعين من سورة البقرة معرفة بالألف واللام، وهي هنا ذات احتمالين دلاليين؛ فإما أن تكون عهدية لتتصل باليهود، أو أن تكون كناية عن لجن فتعم كل ظالم، والظلم هنا هو تجاوز كل حد[2] كما وضح ذلك أبو حيان، وقد جاءت الجملة الخبرية (والله عليم بالظالمين) من باب الوعيد، وعلم الله متعلق بالظالم وغير الظالم، ولكن الوعيد لا يكون إلا على الظالم، فحسب.

أما في الآية الثالثة والعشرين بعد المائة فلفظة (الظالمين) في قوله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾،فهي بدلالة نفي الصلاح، فما كان صالحا يستحق أن يكون إماما، وقد روي عن سعيد بن جبير المراد به المشرك[3]؛ ذلك أن المشرك لا يمكن أن يكون عادلا.

وتجيء الآية التي تليها في قوله ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾للدلالة على «كفر اليهود وعنادهم، ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله ﷺ، وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به، لما اتبعوه وتركوا أهواءهم...»[4] . أما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، فقد «فسر الظالمون هنا بمن بدأ القتال، وقيل: من بقي على كفر

---

(1)– سورة البقرة، الآية:91

(2)– أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص480

(3)– المصدر نفسه، ج1، ص410

(4)–أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص461

وفتنة. قال: "عكرمة" و" قتادة " الظالم هنا من أبى أن يقول لا إله إلا الله.»[1]

في آية الطلاق نجد أن لفظة (الظالمين)عدلت عن الدلالات السابقة في الآية السابعة والعشرين بعد المائتين إذ دلت على التعدي عن حدود الله؛ ففي قوله " ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون"؛ فالظالم من تجاوز الحد«والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه (...) وأتى في قوله الظالمون بالألف واللام التي تفيد الحصر، أو لمبالغة في الوصف[2] لتأكيد بشاعة ظلمهم. وهو سياق الآية التي جاءت بعدها في الآية الرابعة والأربعين بعد المائتين، حيث « ذكر تعالى أنه لما فرض القتال عليهم أعرضوا عن قبوله إلا قليلا ... ثم عرض تعالى بالظالمين، وهم الذين لم يقبلوا أمر الله بعد أن كانوا طلبوه فهو يجازيهم على ظلمهم...»[3]

الشرك أيضا يمثل ظاهرة خلقية سلبية ختمت بها أواخر الفواصل القرآنية تبعا لسياق الخطاب القرآني؛ وقد جاءت الكثير من الآيات القرآنية التي تصور حالة المشركين وخروجهم عن الدين الإسلامي، والشرك بالله من الكبائر التي لا تغتفر. تمايزت واختلفت دلالات هذه الفواصل على الرغم من مشابهتها الصوتية الشكلية، وتبقى زاوية الحضور الدلالية منعرجا إشكاليا لتعزيز مدى التوسع الدلالي أو تضييق مجاله.

يقول تعالى عز مقامه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4]

يرى السيوطي أن آخر الآية الثانية «مشكل، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبي مكلم، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا»[5]، وهذا

---

[1]– المصدر نفسه، ج1، ص76

[2]– المصدر نفسه: ج2، ص209

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص268

[4]– سورة الأعراف، الآيتان: 189–190

[5]– السيوطي، جلال الدين (ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن، ص191.

عنده من قبيل الموصول لفظا المفصول معنى؛ ذلك أن سياق الآية الأولى يختلف عن سياق الثانية فإتيان الولد الصالح، والشكر من خصائص العبد الصالح الذي يحمد ربه أمام النعم، وهذا حال آدم وحواء، بينما تسير الآية الثانية في خط الحديث عن الشرك، وقد فسر الزمخشري[1] هذا الشطر من القول بأن آدم وحواء بريئان من الشرك؛ وإنما الإشراك هنا بتسمية أولادهما بنعبد الله وعبد المناف وعبد الشمس مكان عبد الرحمان وعبد الله.

وقد رد أبو حيان (ت 745 هـ) على هذا التحليل بالرأي المخالف الذي يرى أن الخطاب غير موجه لآدم وحواء فحسب في قوله تعالى ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾،وإنما موجه لكل الناس، أو يحتمل ليكون توجيهه لمشركي العرب أو لقريش عامة، وعليه «يتسق الكلام اتساقا حسنا من غير تكلف وتأويل، ولا تفكيك» [2] وهو الرأي نفسه الذي اطمأن له السيوطي (ت 911 هـ) إذ يقول: « فانحلت عني هذه العقدة، وانجلت لي هذه المعضلة، واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء: ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب[*]، وإشراكهم الأصنام. ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية...» [3].

وتوجد نماذج أخرى من الآيات ورد فيها لفظ المشركين (أو يشركون)؛ فالفعل المضارع المجموع تكرر أربع عشرة مرة في خواتيم السور القرآنية وآياتها وفق الجدول الآتي:

---

[1]- الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ج2، ص186

[2]- أبو حيان: المصدر السابق، ج4، ص438

[*]-السدي، أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن (ت128ه): تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق ودراسة محمد عطا يوسف، دار الوفاء، ط1، 1993، ج1، ص276

[3]- ينظر :السيوطي: المرجع السابق، ص191/ وينظر: السدي: المرجع نفسه، ص276.

جدول رقم (40): "أَشْرَكَ" فاصلة قرآنية

محمولات	الآية	السورة	رقم الآية
أشرك	﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾	الأنعام	42
	﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾	الأنعام	65
	﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾	الأنعام	79
	﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ ﴾	الأعراف	190
	﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	التوبة	31
	﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	يونس	18
	﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	النحل	01
	﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾	المؤمنون	60
	﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	المؤمنون	93
	﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا	النمل	61

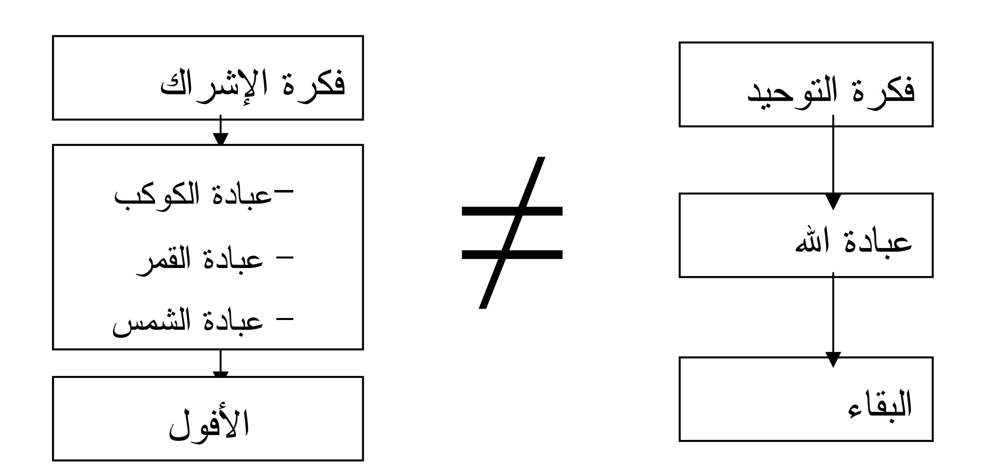
	يُشْرِكُونَ ﴾		
	﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	النمل	65
	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾	العنكبوت	65
	﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾	الروم	32
	﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾	الروم	34
	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	الروم	39

من خلال هذا الجدول يمكننا أن نتساءل هل القيمة الدلالية للفعل (أشرك) هي المفهوم الذي تتقاسمه هذه الوحدات الدلالية في خواتيم الآيات ؟ لقد تبين لنا من خلال الملاحظة تبين لنا أن يبين هذه الفواصل حالة اتصال، وحالة انفصال دلالي؛ فأما الاتصال بينها فيمكن في الاشتراك الدلالي من حيث إنها جميعا تعبر عن حالة المشاركة في العبودية المنبوذة وتعويضها بالإقرار بالألوهية للواحد الأحد وهو المولى عز وجل.

وقد عبر الخطاب القرآني عم هذه الصورة الدلالية في الآيات الآتية[1]. فمدار التوحيد ورد على لسان إبراهيم في سورة الأنعام، إذ كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام

(1)– سورة الأنعام، الآية: 79 ، سورة التوبة، الآية: 31. سورة يونس، الآية: 18. سورة الروم، الآية: 39.

والكواكب من شمس وقمر وغيرهما، فأراد النبي أن يرشدهم إلى طريق الهداية عن طريق النظر والاستدلال [1]، إذ يقول عز مقامه: " فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون". نقد حاج إبراهيم قومه بكل الكواكب مستدلا على عدم صلاحيتها للعبودية " لا أحب الآفلين"؛ ومن ثم فقد تبرأ من كل الأجرام التي جعلت شريكة لخالقها، ومنه سيتضح لنا الصراع بين فكرتين رئيسيتين فكرة التوحيد وفكرة الإشراك يمكن توضيحه من خلال الخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 19: علاقة التنافر بين الشرك والتوحيد

نشاهد الصورة ذاتها – الموضحة في الخطاطة – في سورة التوبة إذ يقول المولى عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[2]، وفيها وضح فعل الشرك من طرف اليهود والنصارى حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح بن مريم أربابا من دون الله؛ إذ كانوا يحلون لهم الحرام فيصلون ويحرمون عليهم الحلال فحرموه، وكانوا يسجدون لهم كما يسجدون لله[3]،

[1]– أبو حيان: المصدر السابق، ج4، ص171
[2]– سورة التوبة، الآية: 31 .
[3]– أبو حيان: المصدر السابق، ج5، ص33.

وهذا يدخل ضمن باب الشرك، لأن التوحيد لا يكون إلا للمولى عز وجل. ولا تخرج سورة يونس عن تعظيم المولى عز وجل وتبيان حكمته وإرادته في الخلق فهو القادر المقتدر، الواحد الأحد، فهم من كفرهم ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1] ولا شافع إلا الله، وقد « رد ذلك تعالى عليهم، وناسب ذكر الشفاعة التي تكون في القيامة بعد ذكر المبدأ ليجمع بين الطرفين الابتداء والانتهاء»[2] للتدليل على قدرته ووحدانيته ومثل هذا سورة الروم.

أما دلالة الانفصال فيمكن ملاحظتها فيما تبقى من الآيات الكريمات، حيث جاءت الفواصل القرآنية لا تعبر عن دلالة نفي الإشراك في العبودية لله عز وجل فحسب، إنما تجاوزتها إلى دلالات أخرى من ذلك الخروج عن تعاليم الدين، يجسده قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾[3] وقوله أيضا: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾[4]

فالآية الأولى جاءت مردفة بقوله تعالى: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[5] وهذا دليل على أن لفظة (يشركون) جاءت بمعنى نكران النعمة، ونسيان فضل المولى عز وجل ساعة الشدة، فبعد اضطراب الأمواج واختلاف الرياح، أظهر هؤلاء الإخلاص، حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون مع الله آخر ولكن الإخلاص هنا فيه ضرب من التهكم كما أشرار إلى ذلك الزمخشري[6] لأن في إخلاصهم الكثير من

---

[1]- سورة يونس، الآية: 18.

[2]- أبو حيان: المصدر السابق، ج5، ص128 .

[3]- سورة العنكبوت، الآية: 65.

[4]- سورة الروم، الآية: 32.

[5]- سورة العنكبوت، الآية:66.

[6]- الزمخشري: الكشاف، ج3، ص465

الخداع، وهو حال الناس عاملة في آية الروم، حيث دعوا الله (منيبين إليه)؛ أي يظهرون ما لا يبطلون، وهذا فيه دلالة الخداع وتورية الإشراك.

ومثله قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] للدلالة على طلب الخوف والطاعة وتقوى الله، ليكونوا من الموحدين المخلصين له العبادة[2] ولفظ المشركين قيل أنهم اليهود والنصارى، وقيل هم اليهود. «ولفظة الاشتراك على هذا تجوز بأنهم صاروا في دينهم فرقا»[3]. فمنهم من تهوّد و سار على ديانة اليهود، ومنهم من تنصّر فالتحق بديانة النّصارى.

من هنا نرى وجه المشابهة بين الآيتين من حيث دلالتهما على الإشراك، الذي خرج عن تجاوز عبادة الأصنام للدلالة على كل متخلف عن أوامر المولى عز وجل ومخادع له. وهو سياق الآية التاسعة والثلاثين من سورة الروم «كرر تعالى خطاب الكفار في أمر أوثانهم فذكر أفعاله التي لا يمكن أن يدعى لها فيها شريك وهي: الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، ثم استفهم على جهة التقرير لهم والتوبيخ، ثم نزه نفسه عن مقالتهم»[4]، وكذا يسير خطاب الفواصل موبخا كل الناس الذين يدعونهم في حال الاضطرار بأنه لا شريك له «وأنه إذا أسبغ عليهم النعم، إذا فريق منهم، أي في حالة الاختيار يشركون بالله، ويعبدون معه غيره»[5] فهو سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[6].

ولا يفوتنا أن نشير أن الإشراك قد ورد بصيغة الجمع المذكر اسما أيضا ليدور في فلك الدلالات التي سبق ذكرها، إذ تكررت خمس عشرة مرة منها قوله تعالى﴿ مَا

[1]- سورة الروم، الآية:30.

[2] - ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص316 .

[3] - أبو حيان: المصدر السابق، ج7، ص167.

[4]- المصدر نفسه، ج7، ص170 .

[5]- ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص317.

[6]- سورة الروم، الآية: 32.

كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] وقوله أيضا: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [2]، يتصل سياق الآيتين بعضها ببعض، إذ تدعوان لإتباع ملة الإسلام التي عليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه يتخلصون بذلك من ملة اليهود والنصارى والإشراك هنا بمعنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله[3]. أما إبراهيم عليه السلام فقد كان «متحنفا عن الشرك قصدا إلى الإيمان»[4] وهذه الآية من آل عمران شبيهة بآية أخرى من سورة البقرة يقول فيها تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

بمعنى لم يسيروا في درب النصارى أو اليهود الذين يدعونهم لدينهم، إنما سيتبعون دين محمد ﷺ وهو موصول لما دعا إبراهيم من دين مستقيم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[6].

---

[1]–سورة آل عمران، الآية: 66.

[2]– سورة آل عمران، الآية: 95.

[3]– أبو حيان: المصدر السابق، ج3، ص6 .

[4]– ابن كثير: المصدر السابق، ج2، ص58.

[5]– سورة البقرة، الآية: 134.

[6]– سورة الأنعام، الآية: 15.

الفصل الخامس

التّشكيل النّصي للخطاب القرآني

قراءة في العلاقات النّصية



مدخل

بعد أن اختارت هذه الدّراسة مادّتها الثّلاثية التّحليل (العناوين، الاعتراض، الفواصل القرآنية) ضمن تفاصيل المباحث السابقة وصلنا إلى أهمّ محور في هذه الدراسة، وهو الوقوف عند التّحولاّت الدلالية والعلاقات المختلفة القائمة بينها ضمن هذا المثلث النّصي، لهذا كان إطارنا المنهجي مستلهما من الرؤية التي تعتبر النّص وحدة متكاملة، وهي أساس بناء المعنى، وسنبتعد قدر المستطاع عن إشكالية ضبط مصطلح النّص، وهل يصح إطلاق هذه التسمية على الخطاب القرآني أم لا، فقد قيل الكثير في هذا الباب عند منظري الخطاب الإسلامي المعاصر وغيرهم[1].

ستكون لنا وقفة إذن مع تحديد الأبعاد الدلالية المختلفة الدّاخلة في بناء النّص القرآني من خلال المثلث النّصي قيد الدّراسة، وهذا تركيبيا وسياقيا، مما سيجعل رؤية البحث تتسع لتشمل معالجة العناصر الآتية:

1- الجملة الاعتراضية بين السّياق النّصّي والتّلقي العنواني.

2- عتبة العنوان والفاصلة القرآنية -الإيقاع والدلالة.

3- عتبة الاعتراض والفاصلة القرآنية- التّوافق والتّنافر.

وسننطلق في الإجابة عن هذه الطروحات من خلال تبنينا لمفهوم النّص الذي ينظر إليه أصحابه باعتباره «رسالة لغوية تشغل حيّزا معيّنا، فيها جدلية محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجدلية تؤلّف سياقا خاصا بالنّص نفسه (عالم النّص)»[2]، إنّنا من خلال تصفّح عالم العلاقات القائمة بين عناصر المثلّث النّصي السّابقة الذّكر، سنحاول أن نتعرّف على عوامل تشكّل النّص برسم الأبعاد

---

[1]-ينظر تفصيل هذه الآراء:

*NASR Hamid Abuzaid : The tesctuality of the Koran in Islam and Europe in post and present. NIAS (Netherlands Institute for advanced in the humanities and social sciences), 1997, PP.43-52.

[2]- حسام أحمد فرج: نظرية علم النّص- رؤية منهجية في بناء النّص النثري، تقديم: سليمان القطار، محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص14.

البنيوية اللغوية له، وهذا يساعدنا على معرفتين؛ معرفة النّص (Text Knowledge)، ومعرفة العالم (World Knowledge) ،فالمعرفة الأولى ترسم أبعادها من جوانبها اللّغوية التّركيبية والدّلالية، بينما يسير الشق الثاني ضمن خط براجماتي بالنظر إلى الآفاق الاجتماعية والتاريخية والنّفسية لهذا التّشكيل اللّغوي، الذي يعدُّ مجالا للتفاعل بين النّص ومتلقيّة، وهذا ما سنسلط الضوء عليه، من خلال المباحث المقدّمة في هذه الدراسة.

و يجب الإشارة في هذا المقام إلى أنّ هذا التّقطيع لهذه الأبنية اللّغوية النّصيّة لا يؤثّر في تتابع السّلسلة الكلامية وانسجام دلالتها، لأنّه قائم على وشائج ترابطية، هي محلُّ هذا البحث من الدّراسة، إذ لا بدّ «من غرض أساس الغرض الذي سيقت له السورة»[1]. والمقصود هنا المضامين والموضوعات التي تحيل عليها.

إنّها الفكرة التي أشار إليها "البقاعي" في ثنايا إدراجه لمقولة شيخه "أبي القاسم محمد المشدالي المغربي"، حين أشار هذا الأخير إلى أهمية العلاقة التي تربط مناسبة آيات القرآن الكريم بأغراضها المختلفة بالعناوين، وهذا يعدّ مؤشرا لتثمين العلاقة القائمة بين اسم كل سورة ومضمونها، يقول في ذلك: «إنّ اسم كل سورة مترجِم عن مقصودها لأنّ اسم كلّ شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه **عنوانه** الدّال إجمالا على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه السلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام، ومقصود كل سورة هَادٍ إلى تناسبها؛ فأذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسّر كلّ بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها...» [2]،إنّه بهذه المقولة يعرض إلى منهج مُحْكَمٍ في تحليل السّور القرآنية، انطلاقا من عناوينها وانتهاء بدلالاتها؛ فالعنوان من خلال هذه المقاربة مرآة عاكسة لمضمون السّورة، وهو عنده يتنوّع بتنوّع الأنسجة النّصية التي تبني النّص، ويمكننا

---

[1]–المثنّى، عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني– دراسة تأصيلية دلالية نقدية– دار وائل، عمان، ط1، 2008، ص

[2]–البقاعي: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، المصدر السابق، ج1، ص12.

من خلال هذا النّصّ أن نسجّل الملاحظات الآتية:

- اعتمد "المشدالي" بدءا على تحديد مضمون السورة القرآنية وموضوعها.
- تحديد عناوين السّور القرآنية.
- إيجاد نقاط التّلاقي بين العنوان ومضمون السّورة.
- ربط البسملة بمقصود السّور
- تحديد دلالة الكلمات ذات العلاقة بالعناوين.

وهذا يعدّ منهجا دقيقا، واستراتيجية نصّية موفّقة في التّعامل مع عتبة العنوان وعلاقتها بمحتويات السّور القرآنية، غير أنّ ما يَرُدُّ هذا الرّأي هو إغفال صاحبه لمسألة مهمّة تتمثّل في كيفية البحث في هذه العلاقة الثّنائية بين العنوان ونصّه عندما تتعدّد مضامين السّورة الواحدة، خصوصا وأنّ القرآن «لم يلتزم بوحدة الموضوع في كثير من السّور،فذلك أمر كان مقصودا، لحكمة محكمة، وعلّة مدبّرة»[1]، وعليه نتساءل لماذا يُختار مضمون سورة معيّنة أن يكون عنوانا دون غيره من المضامين؟

ونجد بالإضافة إلى رأينا هذا رأي أحد المحدثين معلّقا على المقولة السابقة باستنتاج تقسيم ثنائي لأنواع السور[2] وهي:

1-<u>السّور التي تضمّنت عدة مقاطع</u>: بحيث تترابط المقاطع تسلسليا من المقطع اللاحق إلى المقطع السابق حتى تكتمل الوحدة العضوية للسورة ككل، أي تنتقل فيه المضامين الصّغرى للمقاطع بالتدريج حتى نصل إلى المقطع الكلي الأكبر للسورة، وعادة نلمس هذا في السور الطوال.

2-<u>السور غير متعددة المقاطع</u>: يجمعها موضوع واحد، وحكمها حكم سياق المقطع؛ وبالتالي فالسياق يسهم في الترجيح الدلالي بين المعاني المحتملة في هذا القسم

---

[1]-عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني تحليل سيمائيّ مركّب لسورة الرّحمن، دار هومة للنّشر، الجزائر، د.ط، 2001م، ص15.

[2]-المثنى: المرجع السابق، ص87-88.

ويكون أشدّ وضوحا.

يتراءى لنا من كلّ ما سبق أنّه يمكن التّمييز بين سورة قرآنية وأخرى من خلال موضوعها ومن خلال عنوانها؛ فلكلّ سورة جوّها الخاص نظما وإيقاعا ودلالة. كما يمكننا أيضا أن نلتمس العلاقات النّصّية القائمة بين هذه العناوين الثّابتة القائمة على المغايرة–فلا يوجد عنوان يشبه عنوانا آخر– وما يتّصل بها من نصوص متحرّكة هي الجمل الاعتراضية، أو نصوص ثابتة تقوم على المشابهة في أغلب الأحيان هي الفواصل القرآنية، وهذا من خلال مباحث هذا الفصل.

المبحث الأول

الجملة الاعتراضية بين السياق النّصي والتّلقي العنواني

اتّفق الدّارسون على أنّ "الجمل الاعتراضية" في القرآن الكريم لم تأت وسيلة لغوية لتحسين الكلام فحسب، بل إنّها من مقتضيات النظم القرآني، فهي جزء أصيل في بناء المعنى الكلّي للآيات القرآنية، إلاّ أنّه رغم جدّية هذه الطروحات وصحتها في أغلب الأحيان، إلاّ أنّ هؤلاء الباحثين، من جهة ثانية،لم يؤسسوا لمنظور سياقي تتظافر فيه هذه الجمل مع أبنية نصّية أخرى، لتحقيق الاتساق والانسجام النّصيّين في القرآن الكريم.

من هنا جاءت إشكالية هذا المبحث التي تحاول أن تجيب عن طبيعة العلاقة التي يمكن استنطاقها من خلال البنية الاعتراضية للنّص، وأبنيته العنوانية المُشكِّلة لمختلف الحقول الدلالية التي تم الإلماع إليها في فصول سابقة، وهذا سيكون ضمن مقاربة متعدّدة الأوجه لتحديد طبيعة هذه العلاقات وأهميتها في الرّبط بين مكوّنات النّص المختلفة.

سيكون تركزينا على سياق التركيب في الجملة الاعتراضية، وذلك بوصفه «الإطار الذي توظّف فيه المفردات، فالتّركيب هو إنشاء علاقات جديدة لأداء وظيفة تعبيرية وجمالية، وهذه الوظيفة تنجم عن طريقة معيّنة في التّأليف بين الألفاظ لإنشاء تلك العلاقات التي تتمثل في تلاؤم الألفاظ وتمازجها في سياق العبارة»[1]؛ هذا يعني أن هناك تآلفا بين الوحدات اللغوية يمتد إلى سابقاتها ولاحقاتها، وقد يتجاوزهما إلى أبنية لغوية أخرى، حيث يتم إلغاء الحدود والتمايز بين هذه الأجزاء، لتحَقق معا نسيجا معقّدا ومحكما من العلاقات تتمازج فيه الجمل الاعتراضية بالعناوين عن طريق الإحالة، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على تداولية النّص القوية التي تظهر من خلال تعالقه بنص العنوان، وهذا ما سنكشف النّقاب عنه من خلال المحاور التحليلية الموالية.

قبل أن نسترسل في إيراد أهم الوشائج الرّبطية القائمة بين العنوان والجمل الاعتراضية، علينا أولا أن نحدّد مفهوم الإحالة، فهي رابط نصّي مهم كشف أسراره

---

[1]–المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى– دراسة أسلوبية، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، ليبيا، ط1، 2011، ص70.

مجموعة من الأساتذة في مجال علم النّص، فعدّوه عنصرا ضروريا يتحقق من خلاله السبك أو الاتساق النّحوي، بالإضافة إلى الحذف، والعطف والموازاة، والإحالة عندنا لا تعني «وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها»[1]، وهذه العناصر هي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وإنمّا يعنينا في ذلك التماسك عن طريق الإحالة، وهو يقع دائما «عند استرجاع المعنى أو إدخال الشيء في الخطاب مرّة ثانية»[2]، والذي يهمنا من أنواع الإحالات، الإحالة النصية وهي التي تحيل إلى عنصر سابق أو لا حق داخل النص[3] ويكون دورها في ذلك تحقيق الاتساق النّصي.

نستعين في توضيح هذه الفكرة ببعض النماذج من الجمل الاعتراضية، التي أحالتنا إحالة مباشرة على عناوين بعض السور القرآنية، مما دفعنا إلى الإقرار بأن الإحالة ليست نصية أو مقامية فحسب، بل قد تكون نصية تلازمية أيضا؛ حيث لم يعد للقارئ الخيار في توسيع مداركه العقلية لاستنباط تلك الخيوط الرابطة بين بنية الجمل المعترضة وبنية العناوين في السور القرآنية، وهنا نتساءل هل يمكن أن تكون العناوين مرجعا للجمل المعترضة قي النص القرآني؟.

أولا: المشير متعدد والمشار إليه واحد:

تتحقق الإجابة عن طريق معالجة بعض النماذج التحليلية للجمل الاعتراضية في القرآن الكريم، ونبدؤها بالآيات الآتية:

-﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[4].

-﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾[5].

---

[1]-حسام أحمد فرج: المرجع السابق، ص83.

[2]-m.a.k.Halliday and ruqaia Hassan : Cohesion in English ,longman ; london and newyork , 1976.p 31

[3]-البطاشي، خليل بن ياسر: المرجع السابق، ص165.

[4]-سورة النحل، الآية: 101.

[5]-سورة النساء، الآية: 135.

-﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

-﴿ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾[2].

-﴿ فَلَمَّا وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾[3].

-﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾[4].

إنّ هذه الآيات الكريمات قد وردت جملا اعتراضية في النّص القرآني، وهي تحيلنا على أحد عناوين السور القرآنية، وهو (الأعلى)، فسّره "الطّوسي" بأنّه «القادر الذي لا قادر أقدر منه»[5]، والقادر هو الأعلم وهو المحيط بكل مخلوقاته، يعلم الجهر وما يخفى، وهو الوليّ على عباده، أمّا "الرّازي" فأقرّ بأنّه تعالى: «أعلى وأجل وأعظم من كل ما يصفه به الواصفون، ومن كل ذكر يذكره به الذّاكرون، فجلال كبريائه أعلى من معارفنا وإدراكاتنا، وأصناف آلائه ونعمائه أعلى من حمدنا وشكرنا، وأنواع حقوقه أعلى من طاعتنا وأعمالنا»[6]، فالعلوّ هنا يتّصل بمعنى الكمال المطلق الذي لا يستطيع معه الإنسان أن يصف المولى ﷻ، ولا يستطيع حمده على استحقاقه أكثر منه، ولا يستطيع الوصول إلى رضاه لولا رحمته تعالى وكرمه وتوبته على عباده.

والعلو في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾، إنمّا جاء بمعنى القهر والاقتدار، لا بمعنى العلوّ في المكان والاستواء على العرش حقيقة عند الزّمخشري[7]، وهذا فيه تنزيه للمولى عز وجل، وتعظيم لقدراته. وقد جاء وصف العلوّ مجازيا بأنّه «هو الكمال التّام الدّائم. والأعلى ليس العلو في المكان، والاستواء بالاستقرار، بل يفسّر العلوّ بالقهر

---

[1]—سورة البقرة، الآية: 19.

[2]—سورة البقرة، الآية: 172.

[3]—سورة آل عمران، الآية: 36.

[4]—سورة المنافقون، الآية: 1.

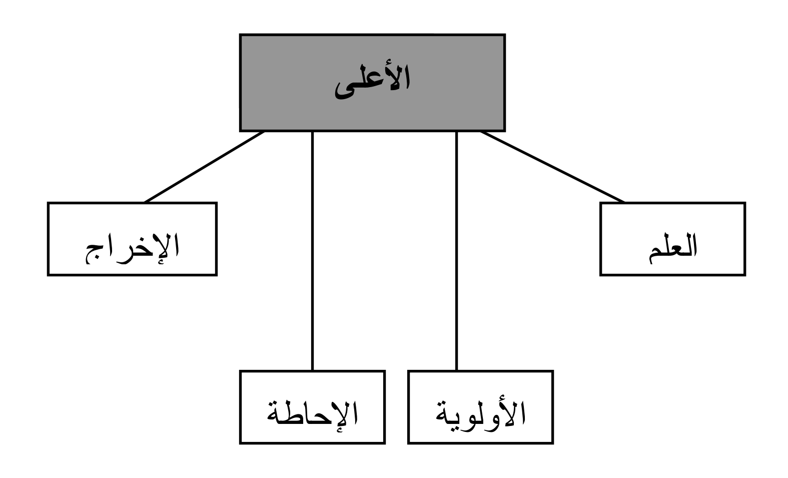
[5]—الطوسي (ت460هـ): تفسير التبيان، مطبعة النّعمان، النجف، 1963، ج10، ص329.

[6]—الفخر الرّازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج16، ص139.

[7]—ينظر: الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج4، ص242.

والاقتدار والاستواء بالاستيلاء»[1]. لقد اتّفق المفسّرون من خلال تعريفاتهم على أنّ (الأعلى) كلمة ذات دلالة مجازية أكثر منها حقيقية، ومردّ ذلك إلى تنزيه المولى عزّ وجل عن كونه مستقرّا في السّماء العليا، بل الأصل أنّها تعني الكمال والإحاطة بكلّ صغيرة وكبيرة، فإلى أيّ مدى تحقّق هذا الزّعم؟

إنّه من خلال وقوفنا مع تفاصيل الجمل الاعتراضية في القرآن الكريم، حاولنا الإجابة عن هذا السّؤال الإشكالي، حيث تعرّفنا على هذه الحلقات الدّلالية المشتقة من هذا العنوان، وهي المرجعية التي ارتبطت بها الجمل الاعتراضية المذكورة آنفا، ويمكن توضيح العلاقة ضمن الخطاطة الآتية:



<u>الخطاطة رقم 20: علاقة عنوان السورة بالاعتراض</u>

إذا تأمّلنا هذه الخطاطة يمكننا الخروج بالملاحظات الآتية:

*ترابط موضوعات الآيات المعترضة بلفظ من أسماء الله تعالى وهو (الأعلى).

*إنّ هناك تداخلا بين هذه الوحدات المعجمية المتصلة بلفظ الجلالة وهي:(والله

---

(1)-هانم محمّد حجازي الشّامي: الدّلالة السّياقية لاقتران أسماء الله تعالى في خواتيم الآيات القرآنية،مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م، ص52.

أعلم، فالله أولى، والله محيط، والله مخرج، والله أعلم، والله يعلم) ولفظ (الأعلى)؛ فكلمة (محيط) مثلا لفظ مشترك يحمل دلالات متنوّعة منها الإحاطة بالعلم وبالقدرة وبالإهلاك، وهذا دليل على تمكن وسيطرة الذات الإلهية، وعليه فإنّ هناك علاقة جزئية بين الإحاطة والإخراج، لأنّ الإخراج يتّصل بالخلق.

*ثبات المُحال إليه وإفراده وهو (الأعلى)، وتعدد المُحال وعدم ثباته (العلم، الأولوية، الإحاطة، الإخراج)، فهذه المحالات تزداد اتساعا، وهي قائمة مفتوحة لانهائية، وهي تدل على نوع من التفاعل يحقق انسجام النّص.

*التقارب الدلالي بين هذه المشيرات من جهة، والتباعد بينها من جهة ثانية؛ فلفظة (أولى) تدخل في إطار الإحاطة بالشيء، والإحاطة علم به، فهي تتصل مفهوميا فيما بينها، وتخالفها كلمة الإخراج في قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾[1]، ظاهريا، ولكنها جزء من هذه السياقات في حقيقتها؛ لأنّ الإخراج هنا بمعنى العلم بما يُسِرُّ المرء وما يعلنه من أقوال وأفعال، ومن هنا تكون دلالة (الأعلى) مفسرّة بهذه المشيرات المتصلة بعضها ببعض، حتى نصل إلى مفهوم (الإحاطة) وهو الكلمة المحورية التي تتعانق معها دلالة الكلمات الأخرى، التي تلتقي معها في الدلالة على أنّ الأعلى محيط بكل شيء.

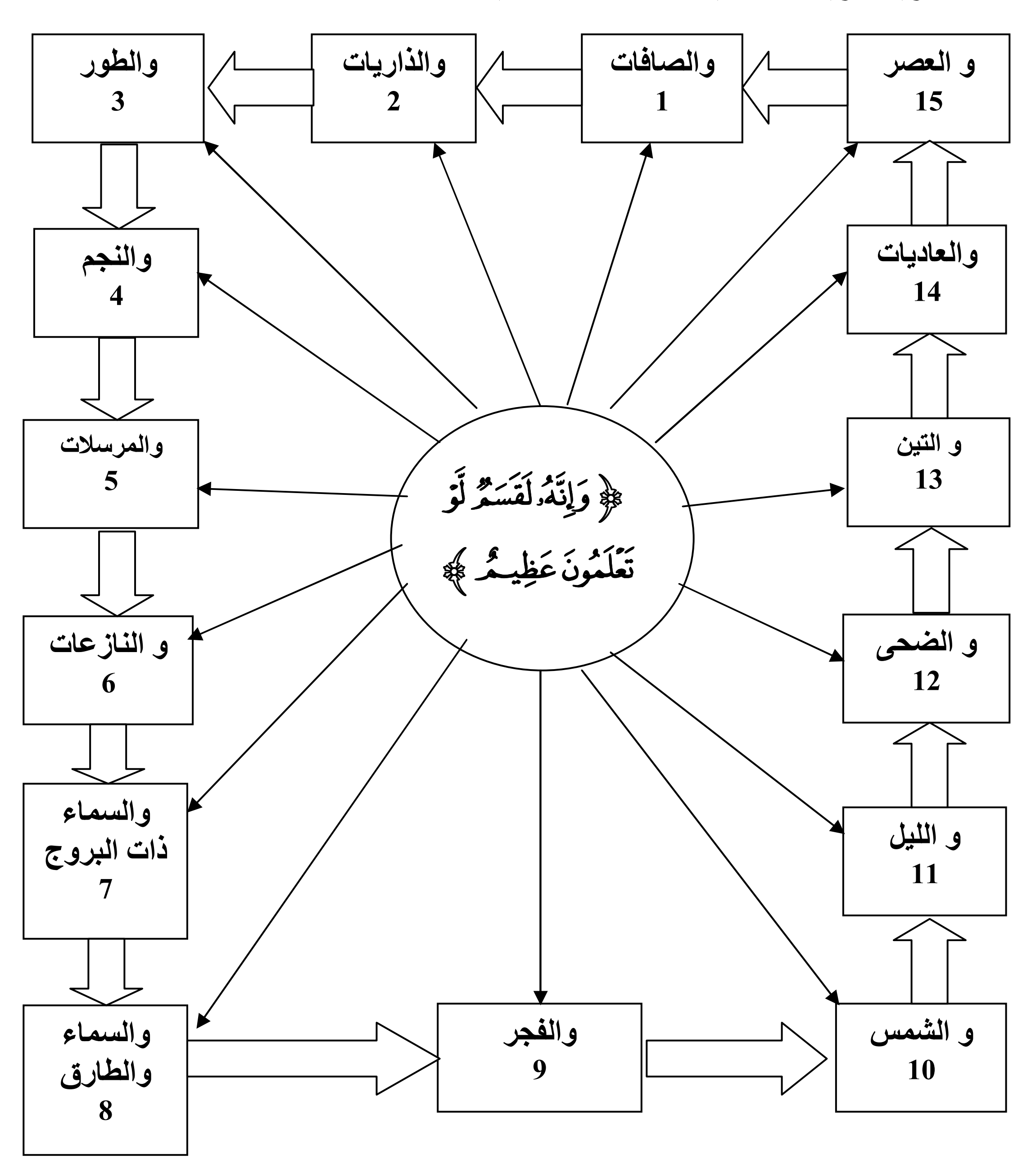
فالعنوان (الأعلى) استدعى الجمل الاعتراضية الدّالة عليه، وهذه الأخيرة استدعته أيضا، فتحققت بذلك العلاقة التلازمية بين المشير والمشار إليه، واحتاج كل منهما إلى الطرف الثاني من المعادلة قصد تحقيق الانسجام النّصي للخطاب القرآني.

ثانيا: المشير واحد والمشار إليه متعدّد:

إنّ رصد الخريطة البنائية للاتصال القائم بين العناوين والجمل المعترضة، نراه في سياقات أخرى يتكرر بمظاهر إحالية، ولكن عملية الانتقال هذه المرّة تبدأ بالمشير المفرد، لتتجّه نحو المشار إليه (العناوين) المتعدّد؛ فقد استقصينا بعض الجمل المعترضة التي تتعدد العناوين المرتبطة بها دلاليا، وهذا وفق محور القسم في الجملة

[1]–سورة النساء، الآية: 135.

المعترضة: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[1]، فهذه الجملة الاسمية تتحقق دلالتها من خلال انتشارها في جملة من الأقسام التي افتتحت بها السور القرآنية وكانت هذه الفواتح مطابقة لعناوينها ويمكننا تمثيلها بالخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 21: الدائرة النصية للعناوين المقسَم بها والاعتراض

---

[1]–سورة الواقعة، الآية: 76.

نقف في هذه الدائرة النّصية أمام خمسة عشر قسما (15)، بدءا بسورة الصّافات وانتهاء بسورة العصر، فالمتفق بين هذه العناوين أنّها وقعت موقع القسم وابتدأت بواو القسم، في حين غيّبنا العناوين التي جاءت بغير الواو، لأنّنا لم نجد بينها وبين الجملة الاعتراضية المتحدّثة عن عظمة هذا القسم.

والقسم كما عرّفه البلاغيون هو« أن يريد المتكلم الحلِف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه بقدره...» [1]. والغاية منه تعزيز المقسَم به، والرّفع من شأنه، والإشادة بأهمّيته، لهذا نجد الخطاب القرآني يختار من المخلوقات أعظمها ليفتتح قسمه بها كما هو مبيّن في الخطاطة السّابقة.

إذا انطلقنا في عملية التحليل من الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾، لوجدنا المفسرين والدّارسين يحاولون تقديم مقاربات لفهم وظائف القسم، فعظمة شأن هذه المخلوقات المقسم بها هو العنصر الرئيس في مباحثهم القرآنية، والنوع الذي بين أيدينا من العناوين إنما يدخل في سياق الأقسام بالأشياء لذاتها تعظيما وتوقيرا.

ومن الذين قالوا بفكرة التعظيم نجد الطوسي (ت460هـ) من القرن الخامس الهجري يقول: «القسم بالشيء تنبيه أو دليل على عظم شأنه»[2]، وشرف هذه المخلوقات وعظم شأنها جسّدته مقولة أخرى للسيوطي (ت911هـ) حيث يقول: «لا يكون القسم إلا بشيء معظّم»[3]. هذا يؤكّد إذن الفكرة التي انطلقنا منها، وهي شرف وعظمة هذه المخلوقات المقسم بها.

ونجد في المقابل رأيا آخر يرى بأن الإقسام بهذه المخلوقات هو دليل على وجود الله كما جاء على لسان أبي حيان في قوله: «أقسم بالعصر –كما أقسم بالضحى– لما

---

(1)–ابن أبي الأصبع المصري (ت654هـ): البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن، تح: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، الدار العربي للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص160.

(2)–ينظر: التبيان، المصدر السابق، ج10، ص251.

(3)–السيوطي: الإتقان، ج2، ص170.

فيهما من دلائل القدرة»[1]، وهي الفكرة التي ألمع إليها الألوسي والرّازي أيضا[2].

هي القدرة الدّالة على النّعم التي أنعمها الله عز وجل على عباده، وأضدادها، لأجل تنبيه الإنسان المستعدّ للخسران والسعادة[3]، فحقيقة هذه الأقسام هي التنويه بقدرة الخالق من جهة، وقسم به من جهة ثانية، لهذا أشار بعض المفسرين إلى أنّ الأصل فيها حذف لفظة (رب) التي كانت مسندة لهذه العناوين، فحقيقتها وربّ الكتاب المسطور، وخالق التين والزيتون وغيرها[4].

والتفت بعض المفسرين إلى أنّ القسم في فواتح السورة هو من باب المبالغة؛ كما ورد في تحليل سورة الفجر، يقول الرازي: «القسم في سورة الفجر دال على المبالغة، ومعلوم إنّ المبالغة في القسم لا تحصل إلاّ في القسم بالله»[5].

إلاّ أنّنا نميل إلى الرأي القائل بأنّ عظمة هذه المخلوقات هو الدافع لأنّ يصفها المولى عز وجل بالعظمة في هذه الآية المعترضة، مما يجعلنا نفسر القرآن بالقرآن، ونؤكد على التّعالق النّصي بين الوحدات اللغوية للنّص عن طريق الإحالة.

ولتأكيد هذا الطّرح لنلاحظ معا عظمة ترتيب السور التي افتتحت بالقسم بأوقات مخصوصة وهي (الفجر، الليل، الضحى، العصر)،حيث وقعت بهذا التتالي والترتيب في المصحف، أما من حيث النزول فسورة (الليل) أسبق وهي السورة التي يبشر فيها المولى عز وجل بظهور نور الحق وطمس ظلام الباطل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ »[6]، ثمّ تلتها سورة (الفجر) في الترتيب وهي لا تبتعد في فكرتها عن ما سبق ذكره، وهو الإيذان بحياة جديدة بعد حياة عبادة الأصنام، وأمّا

---

(1)–أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق ،ج8،ص378.

(2)–ينظر أيضا: الألوسي: المصدر السابق، ج30، ص292. الفخر الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، ج28، ص147.

(3)–حسين نصّار: القسم في القرآن، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2001، ص14.

(4)–ينظر: الطوسي، المصدر السّابق، ج8، ص441.

(5)–ينظر: مفاتيح الغيب، ج31، ص150–171.

(6)–سورة الليل: الآيتان 1–2.

«الفجر شقّ الليل شقّا... قيل للصبح فجرٌ لكونه فجر اللّيل»[1]، ولا يبتعد المسار الدلالي لسورة الضّحى عن المضمون السابق، وتلي هذه السور الثلاث سورة العصر التي كانت الزّمن الختامي لهذا التسلسل، حيث وقعت الأخيرة في ترتيب المصحف وكذا في ترتيب النزول.

إنّ هذه الأزمنة ما هي إلاّ تعاقب لتطور وازدهار هذا الدّين الإسلامي، ومباركة الرّسالة المحمّدية، وما هذا القسم بهذه العناوين، إلاّ إشارة إلى عظمة هذه الأسماء وموقعها في حياة النّاس فـــ «(الليل) كان بانتظار دين الحقّ، و(الفجر) أذن له و(الضحّى) بيّنه وأظهره، و(العصر) مدّة بقائه إلى أنّ تغرب شمس الحياة»[2]، وهي جميعها أزمنة متصلة بعضها ببعض لا يمكن فصلها.

فكلمة "الضحى" مثلا مشتقة من الضّحو والضّحوة والضّحية على مثال العشية، بمعنى ارتفاع النّهار[3] ،وقيل (الضحى) من طلوع الشّمس إلى أن يرتفع النّهار وتبيضّ الشمس جدا، وفسّر "الفرّاء" (والضّحى) بمعنى النّهار كله، ومهما يكن الاختلاف الحاصل بين المفسّرين في تحديد المدّة الزّمنية لهذا الميقات هل هي النّهار كلّه أو جزء منه، فإنّهم يتّفقون بأنّه يحمل معنى الصّفاء، والنور، وارتفاع الشمس. وهو آية من آيات الرّحمن فيها الخير الكثير؛ فيها يكون الرّزق ومعاشهم، وفيها تكون النّافلة التي تفتح أبواب الجِنان، وفيها تكون الحياة الهنيّة.

وتستمر مظاهر العظمة مع هذه العناوين كلما سرنا مع حركة هذه الدائرة النّصية، حيث نجد القسم ينتقل من الإفراد في العناوين الزمنية السابقة إلى الجمع في عناوين أخرى مقسم بها، من ذلك مثلا: الصّافات، الذّاريات، المرسلات، والنّازعات، ثم العاديات بحسب ترتيب المصحف، وهذا التسلسل يدل على التلاؤم والتآلف بين هذه السور.

---

[1]–الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص375.

[2]–مقبول علي بشير النّعمة: الاتساع في المعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011، ط1، ص189.

[3]–محمد فريد عبد الله: الصّوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص164.

فالمفسرون أقرّوا بأنّ (النازعات) مثلا هي الملائكة، وزادوها تحديدا فقالوا: ملائكة الموت، وهي التي تنزع روح الميّت من جسده، ورأى بعض اللغويين أنّ الكلمة تستعمل في المحسوس والمعنوي[1]، أما لفظة (غرقا) التابعة لها فقد جاءت بمعنى تجاوز الحد في الشيء، فقد فسّر نزع الأرواح بأنّه يكون إغراقا في النّزع؛ أي تنزعها من أقاصي الأجساد والتشبيه واضح هنا بين غرق الجسد في البحر وغرق الروح في الجسد، إنها رسم فنّي لصورة بديعة عظيمة وبليغة، لا يمكن الوصول إليها إلاّ بالتّعمق في أسرار الروح وقيمتها وعظمتها، ومن ثمّ عظمة الملائكة التي تنزعها من هذا الجسد الميّت الذي تشبّه بالبحر في إغراقه، أي في امتداده واتساعه في امتلاك هذه الروح، التي سرعان ما ستهجره، حيث يريد المولى عز وجل ذلك، أليست هذه عظمة؟

وعدل بعض المفسرين عن هذا الرأي قائلين بأنّ (النّازعات) هي النّجوم، وقد أورد حسين نصار رأيا لطنطاوي جوهري في تفسيره إذ يقول: «وأقسم بالنّازعات غرقا، وهي النّجوم التي ترمي شُهبا عن دوائرها المشبهات القوس، فكأنّ النّجم إنسان، والدائرة قوس، والشهاب الساقط سهم»[2].

ومهما اختلفت وجهات نظر المفسّرين، فإنّ المتفق عليه أنّ هذه المخلوقات، ملائكة كانت أو نجوما، هي عظيمة عظمة الخالق، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنّ كل هذه العناوين التي ابتدأت بها السور الكريمة، إنمّا افتتحت (بالواو) التي يؤتى بها للقسم، مع الباء، إذ يقول عن الأولى سيبويه: «والواو لازمة لكل اسم يقسم به، والباء»[3]، وأشارت عائشة عبد الرحمن إلى أن القسم بالواو أكثر ما يجيء مع السور المكيّة دون المدنية[4]. وقد ورد هذا القسم مع فاتحة هذه السور القرآنية المستشهد بها، وقد كانت جميعها عناوين لها.

---

[1]–ينظر: لسان العرب، المصدر السابق، مادة (نزع)، ج3، ص 619 . والقاموس المحيط، ج3، ص90.

[2]–طنطاوي جوهري: كتاب التاج، ص97. نقلا عن: حسين نصّار: المرجع السابق، ص45.

[3]–سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ج3، ص499.

[4]–ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني، المرجع السابق، ج1، ص227.

و في مقابل هذه السور المذكورة العناوين واتصالها بالعظمة، كذلك يتحقق الأمر في باقي السور المذكورة في هذه الدائرة النّصية، كما في (الطور، والسماء، والتين..) وغيرهما.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ بعض العناوين في السور القرآنية جاءت مقسَما بها، ولكنّها لم تفتتح بالواو الدّالة على القسم، كما في بعض الحروف المقطعة مثل (ص، طه، يس، ق)، أو أسماء مثل (الحاقة، القارعة...)، وهذين النموذجين أيضا يدخلان في باب التّعظيم، حيث يدلاّن على التوالي، إما على حروف دخلت باب التعظيم وصعب معرفة مغاليقها الغامضة التي صعب إيجاد حلّ لدلالتها، أو لأسماء القيامة التي فسّرت تفاسير مختلفة، ولم تصل بعد الدراسات إلى تحديد جليّ لأهم خصائصها ومميّزاتها، وفي كل الحالات جاءت هذه الاعتراضات تعظيما لشأن المقسم به، وتأكيدا لإجلاله في النفوس.

فعن سورة (قاف) مثلا قيل إنّه اسم من أسماء القرآن، بحسب رواية ابن عباس وقيل اسم من أسمائه تعالى، وهو اسم السورة، وقيل قف عند أمرنا، وقيل المعنى قهر هؤلاء الكفرة وغيرها من الآراء، ولكنّ المتّفق عليه إنّه مقسم به وبالقرآن المجيد، كما يرى ابن عطيّة[1]، ويرى السّلمي (ت660هـ) أنه «اسم الله –تعالى– أقسم به، أو اسم للقرآن»[2]، وفي روايات أخرى هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد والسماء مقبية عليه[3] . ومهما اختلفت الآراء في دلالة هذا العنوان فسيبقى حرفا معجزا لا يمكن الوصول إلى دلالته، وهنا تكمن عظمته، فيكون عنصرا من العناصر المشار إليها في الجملة المعترضة .

---

[1]–ينظر: ابن عطيّة الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، ط1، 2002، ص1748.

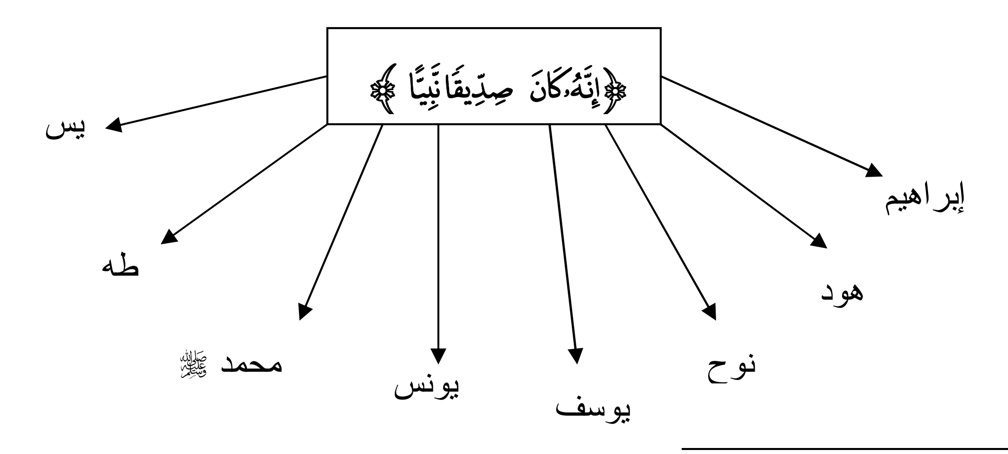
[2]–السّلمي الدّمشقي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام: تفسير القرآن، اختصار النّكت للماوردي (ت450هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص545.

[3]–الشوكاني: محمد بن علي محمد (ت1255هـ): فتح القدير– الجامع بين فنّي الرواية والدّراية من علم التّفسير، تحقيق: سيّد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2007، ج5، ص86.

ولم تكن الجملة المعترضة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾،الوحيدة التي تعددت فيها العناوين المشار إليها، إنمّا نجد أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[1]، هذه الجملة الاسمية المعترضة جاءت تذكيرا بصفات أحد الأنبياء المكرَّمين وهو إبراهيم عليه السلام، حيث وصف بأنّه صديق ونبيّ، فمن خصائص هذا النبيّ هاتين الصفتين وهما تطلقان على كل الرسل والأنبياء عبر تاريخ نزول الوحي، وقد وصفت هذه الفئة بالصّدق لأنّ: «الصدق خلاف الكذب»[2]، وهو من مكارم الأخلاق، ورأسها في المعاملات بين النّاس، وقد وصف الرسول ﷺ بأنّه الصّادق الأمين.

وهي صفة قارّة يتحلّى بها كلّ الرّسل والأنبياء، وهذا ينسحب على صفة النبيّ، المشتقة من الأنباء، أي الإتيان بالنّبأ، وهي الخصوصية التي يتميّز بها الرّسل، حيث يحملون الرّسالة الدينية عن المولى عز وجل عن طريق وسيط هو الوحي، ثمّ ينشرون تعاليمها على أقوامهم دون تزييف أو تحريف أو تصحيف، وعليه،فإنّ هاتين الصّفتين تكونان متّصلتين؛ لأنّ النّبي غير الصّادق لا يمكن أن يحمل هذه الأمانة، وهو محور هذه الآية الكريمة التي سنحلّلها بعد حين.

توجد إذن روابط قوية بين هذه الآية الكريمة المعترضة وبين عناوين السور القرآنية التي جاءت أسماء للأنبياء والرّسل، ونذكر منهم (هود، نوح، يوسف، يونس، محمد، طه، يس، إبراهيم)، ويمكننا تحليل ذلك وفق الخطاطة الآتية:



---

[1]–سورة مريم، الآية: 41.

[2]–ابن فارس: مجمل اللغة، المصدر السابق، ص386.

الخطاطة رقم 22: أسماء الأنبياء والنص الاعتراضي

أوّل ملاحظة يمكن تسجيلها هو اتّصاف هؤلاء الأنبياء –المذكورة أسماؤهم في الخطاطة– بصفة الصّدق وكل من وصف بهذا فهو طاهر، أمين، هادي إلى الخير، لهذا جاءت الآية الكريمة محورا رئيسا تدور في فلكه كلّ اسماء الأنبياء الواردة في السورة، وهو قاسم مشترك بينها حتى أن بعض دلالات الحروف المقطعة لا تخرج عن سياق هذه الآية؛ ف(طه) مثلا فسّرت بمعنى (طاهر)، وفسّرت (يس) بمعنى سيّد البشر[1]، والسيّد لا يكون كذلك إلاّ إذا توفّرت فيه هذه الخصال، أما لفظة (النّبي) فقد صنّفها "الفيروز آبادي" ضمن ما أسماه بخطاب الكرامة[2]، الذي يوجهه المولى عزّ وجل لأنبيائه بقوله: يا أيها الرسول، يا أيها النبيّ، وهذه خاصيّة المكرّمين من عباده، وتنسحب هذه الصفات على بقية الأنبياء والرسل، فالرسُل هم من يبلّغون عن الله القرآن الكريم، أمّا النّبي فهي مشتقة من «نبأ تنبئة و تنبيئا فلانا الخبر وبالخبر: خبّره»[3].

والإخبار هو الوظيفة المنوطة بهؤلاء الموكّلين بحمل الرسالة الإلاهية –عليهم السلام– ونشرها في كل أرجاء العالم، وهذه المهمّة لا تكون إلاّ لمن كان صادقا، وبهذا يتحقق الانسجام بين هذه الأسماء المعنون بها وبين الاعتراض السابق الذّكر.

إنّ القرآن الكريم المعجز بلفظه وتراكيبه كثيرا ما يخرجنا من حقل تركيبي إلى حقل تركيبي آخر، تترابط فيه المعاني، وتنسجم فيه الأشكال، ومن الاختيارات الاعتراضية التي اتصلت دلاليا بتعدد المشار إليه نجد قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[4]، حيث تحيلنا الآية إلى سورة قرآنية تتحدّث عن هذا الحق المنزّل وهو القرآن الكريم؛ وعليه فقد كان الاتصال بعنوانين اثنين، أحدهما اسم هو (الفرقان) وثانيهما فعل

---

[1]–الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز، المصدر السابق، ج1، ص106.

[2]–قسّم الفيروزآبادي الخطابات في القرآن إلى خمسة عشر وجها، ينظر: بصائر ذوي التّمييز، المصدر نفسه، ج1، ص108–109.

[3]–المنجد في اللغة والأعلام، مادة (نبأ)، ص784.

[4]–سورة محمد، الآية: 02.

مبنيٌّ للمجهول وهو (فصّلت)، والسؤال المطروح ههنا لماذا هذا التّنوع في الانتقال من الاسمية (وهو الشائع في العناوين) إلى الفعلية (وهو النّاذر القليل فيها)؟

عرفنا في مبحث دراسة العناوين أنّ (الفرقان) اسم من أسماء القرآن الكريم، وقد سمّي بهذا الاسم لأنّه يفرّق بين الحق والباطل؛ والآية المعترضة جاءت تجسيدا للحقيقة، التي مؤداها أنّه الحق وليس الباطل دفعا لتشكيك الكافرين، ومن العجيب أن نجد هذا الانسجام بين هذه الجملة ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، وبين العنوان (الفرقان) الذي لم يأت بألفاظ أخرى (كالقرآن، أو الكتاب)، وهذا يدخل ضمن خارطة عجائب النظم القرآني، إلاّ أنّ كلمة (الفرق) بمعنى الفصل بين شيئين نراها تتكررّ في الخطاب القرآني في آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾[1]، بمعنى فلقناه[2]، وقسمناه إلى قسمين أو شطرين.

لقد تحقّق الانسجام النّصي إذن حيث جاء «الكلام متحدّرا كتحدّر الماء المنسجم بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلاسة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النّفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره وإن خلا من البديع، وبعد عن التّصنيع»[3].وهذا السّبك جسّدته العلاقة القائمة بين الجملة المعترضة والعناوين المشار إليها.

فلفظة (الفرقان) قد دلّت على النّصر أو ما له علاقة قوّية به كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾[4]، بمعنى نصر موسى وأهله على عدوّه، كما تدل في مواقف أخرى بمعنى (المخرج) ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[5]، وهي هنا

[1]–سورة البقرة، الآية: 50.

[2]–القليبي: المرجع السابق، ص179.

[3]–ابن أبي الأصبع المصري: المرجع السابق، باب الانسجام، ص227.

[4]– سورة البقرة، الآية :53.

[5]–سورة البقرة،الآية :185.

بمعنى «المخرج في الدّين من الشبهة والضلالة»[1]، ولكن رغم هذا التعدد الدّلالي، فإنّ علاقة الاعتراض تصل بدال (الفرقان) للدلالة على (القرآن) مصداقا لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [2]، ويبقى هذا اللفظ مطلقا يمكن أن يحمل جميع الفروق الحاصلة بين المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة[3]، ومنها التفرقة بين الباطل والحق، والتفرقة بين الإيمان والكفر.

ومن صور الاعتراض في هذا الحقل قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4]، حيث وردت هذه الجملة معترضة مرتين، وهي في سياق تعدّد المتعلّق بها من العناوين؛ حيث تجيء هذه الجملة الاستفهامية كخطاب موجّه لكلّ من كفر بهذه الآلاء، وكان من المنافقين في الاعتراف بقدرة الواحد الأحد، من هنا فإنّ المشار إليه يكون إما سورة (الكافرون)، أو سورة (المنافقون)، وسبب هذا تكرار هذه الجملة الاعتراضية، حيث يعدّد سبحانه وتعالى: «لعباده أنواع نعمه عليهم، وكلّما ذكر واحدة منها طلب إقرارهم بها وشكرهم لها...»[5].

و نسيج الخطاب القرآني في هذه موجّه للثقلين المدلول عليهما من خلال الآية الكريمة وهما (الإنسان) و(الجنّ)، لهذا ستكون العلاقة الاتصالية بين هذه الأقطاب الثلاثة منطقية؛ لأنّ الاستفهام في هذه الآية موجّه توجيهين؛ التوجيه الأول عام إلى كلّ الكافرين بنعم الله، والمنافقين الذين يقولون بنعمه ظاهرا ويبخسونها حقّها باطنا، أما التوجيه الثّاني فهو خاص بفئة محددة إمّا أن تكون الإنسان، وإما أن تكون الجنّ، وهذا الاعتراض جاء «تنبيها على أنّ تكذيب كل من الموصوف والصّفة موجب للإنكار

---

[1]–عماد عبد يحيى: ألفاظ الثواب في القرآن الكريم– دراسة دلالية، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص272.

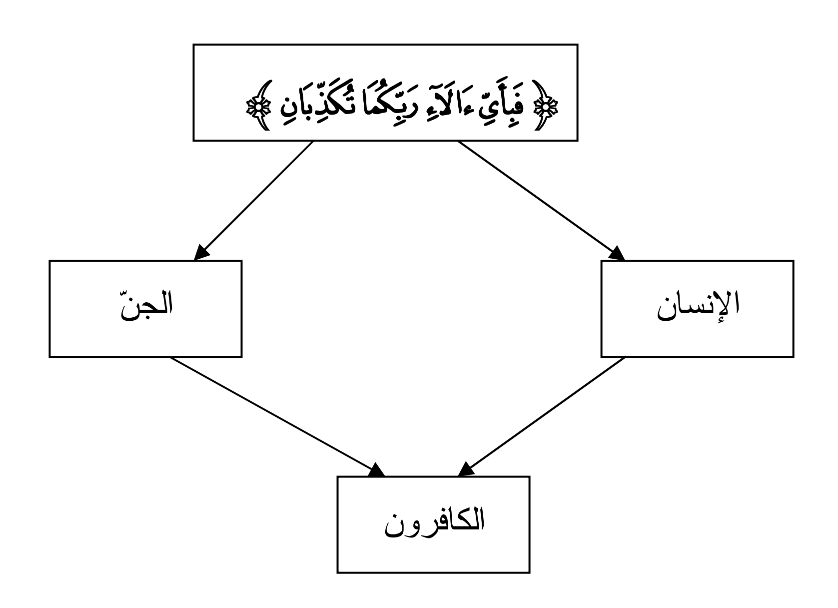
[2]–سورة الفرقان، الآية :01.

[3]–المرجع نفسه، ص272–273.

[4]– سورة الرحمان، الآيتان: 47–63.

[5]–محمد عبد الباسط عيد: النّص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص150.

والتّوبيخ...»[1]، ومن هنا فالاستفهام موجه لفئتين كبيرتين مضمنتين لفئتين صغيرتين توصفان بالكفر والنّفاق، ويمكن لنا توضيح ذلك من خلال الخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 24: الاعتراض الاستفهامي

إنّ الخطاب القرآني –من خلال هذه الخطاطة ينتقل بنا من العناوين العامة، الدّالة على العموم، الفئة الإنسانية التي فيها المؤمن والكافر، وفئة الجنّ التي فيها من النّمطين أيضا، وهذا القاسم المشترك بينهما جعل الخطاب يضيق بعد أن كان متّسعا ليشمل زمرة واحدة فقط، وهي فئة الكافرين، فهم قلّة احتقرهم وأذلّهم القرآن بقوله تعالى على لسان نبيّه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[2].

ولمّا كانت هذه الآية الكريمة هي الوحدة الدّلالية الصّغرى في هذا الخطاب القرآني، فقد اتّصلت دلاليا بعنوانين يحيلان على فئتين مختلفتين في الخلق والهيئة، ولكنهما تلتقيان في الإيمان والكفر؛ فعندما يوجّه لهما الاستفهام<< فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان>>، فهذه دعوة إلى قيمة خُلقية تكون نورا لهما، وهي عدم التّكذيب بأمر خلق

---

[1]–البروسوي إسماعيل حقّي: تفسير روح البيان، المصدر السابق، ج9، ص343.

[2]–سورة الكافرون، الآية :06.

الكون والأشياء خلقا منظّما تعجز الجبابرة على الإتيان بمثله، فالله هو الذي خلق القمر والشمس بحسبان، والنّجم والشّجر يسجدان، فهل بعد هذا يكون النّكران؟

إنّ المتفحّص لهذا الاستفهام يجده لا يخرج عن دلالتين؛ فهو جملة استفهامية في شكلها، وتعبير إخباري في مضمونه، فهذه الوحدة النّسجية تجري «مجرى إنشائيا في أسلوبها، ولكنّها قد تكون قابلة للخبرية في دلالتها العميقة حيث إنّ الكلام لا يمتنع في سياقه من أن يتحوّل من شكل الاستفهام، إلى وظيفة تقريرية. وكأنّ تقديره في الأسلوب المباشر البسيط: ما كان ينبغي لكما أن تنكرا أياديّ الله عليكما، أيّها الثّقلان»[1] علامة تعجب. فهذا جانب تحوّليّ لهذا الخطاب الذي خرج من سياق الإنشائية إلى سياق الإخبارية، موجّها كلامه إلى فئة الكافرين المكذّبة بهذه النّعم، والآلاء، والمخلوقات، وردعها بهذا الأسلوب، فينتقل معنى الجملة من عدم الإقرار بالنّعم، إلى الإقرار بها؛ أي من التّكذيب إلى عدمه، بعد أن يقدّم لنا الخطاب دلالة ذلك عبر تفاصيل سورة الرّحمن.

وينتقل بنا الخطاب إلى مظاهر يوم القيامة، فيصف لنا العذاب ثم يؤكده بصيغة الأمر المبيّنة في الجملة المعترضة ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾[2]، أي العذاب، حيث ترتبط هذه الآية الكريمة بمجموعة من العناوين التي تحكي أهوال يوم القيامة وما يحدث فيها من عذاب للمشركين بالواحد الأحد وهي: (الحاقة، الواقعة، الغاشية، القيامة، الحشر، القارعة والجاثية)، حيث عبّرت جميعها على سياق الألم الذي يعانيه الكافر مباشرة.

إنّه عند وقوع الواقعة سيكون من الأهوال مالا يفي به المقال؛ هي اسم من أسماء القيامة، وكذلك لفظ الحاقّة «من حق يحقُّ بالكسر إذا وجب وثبت لأنها يحث – أي يجب– مجيئها ويثبت وقوعها»[3]. أما الغاشية فمتصلة أيضا بالعذاب كما مرّ في

---

[1]– عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص 200–201.

[2]–سورة ص، الآية: 57.

[3]–البروسوي: المرجع السابق، ج10، ص150.

العنوانين السابقين، حيث يعنى بها (الغاشية) «الدّاهية الشديدة التي تغشى النّاس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها»[1]، فهي تغطي الكفّار وتحيط بهم من كل جانب فيتذوقون طعم العذاب مرّة بعد مرّة، لأنّ دلالة غشّاه بمعنى غطّاه.

وإذا كانت الغاشية والحاقة والواقعة قد ارتبطت بدلالاتها على تذوّق العذاب بشكله الملموس، فإنّ القارعة ارتبطت بدلالتها على العذاب المعنوي، فهي القيامة «التي مبدأها النّفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميّت بها لأنّها تقرع والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال...» [2]. فقد فسرت بأنّها العذاب، وهذا لأنّ من خصائصه أنّه يقرع أهل النّار[3]، ويستمر الخوف النّفسي، والتوتر، والقلق عند انتظار الحساب في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[4]، حيث عبّر لفظ (الجاثية) على الجلوس على الركب، في حالة نفسية مرتبكة تعايشها كل أمة من الأمم، وهنا يتحقق الجزاء بالخير أو بالشر.

أما الواقعة فهو اسم من أسماء يوم القيامة أيضا «وسميّت واقعة لأنّها كائنة لا محالة، أو لقرب وقوعها، أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد»[5]، واختلف المفسرون من تحديد دلالة الحشر، حيث ارتبطت بفعل الإخراج من الحصون إلى خيبر، وهذا حديث عن بني النّضير، وقيل: «آخر الحشر هو حشر جميع النّاس إلى أرض المحشر، وهي الشام»[6].

ومن أمثلة السياقات الاعتراضية التي يكون فيها المشير واحدا، موجّها إلى مشار إليه متعدد قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[7]، وقد وجّه هذا الخطاب إلى الأعراب،

---

(1)–المرجع نفسه، ج10، ص478.

(2)–البروسوي: المرجع السابق، ج10، ص584.

(3)–السّلمي: المرجع السابق، ص663.

(4)– سورة الجاثية،الآية :28.

(5)–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص176.

(6)–المصدر نفسه، ج5، ص233.

(7)– سورة التوبة، الآية: 98.

الفئة السيئة منهم، التي يمكن أن تنتمي إلى زمرة المنافقين أو المطفّفين أو غيرهم، لهذا فإنّنا نرى أن هناك علاقة اتصالية بين هذه الجملة والسور الآتية: (المنافقون، المطففين، الفيل، الماعون، التكاثر، الهمزة) حيث تحيلنا كلّ سورة على طائفة تختلف عن الأخرى وتتباين عنها.

يرى أهل اللغة أنّ "المطففين" مأخوذة من (الطّفف) بمعنى القليل، والمطفّف هو الذي ينقص، «وحقيقته الأخذ في الكيل أو الوزن شيئا طفيفا، أي نزرا حقيرا»[1]، وهو في ذلك سيل عن الحقّ في كيل أو وزن عن عمد وليس عن سهو، وهذه الفئة معاقبة بشدة العذاب والخسران المبين، ولهذا جاءت الجملة المعترضة متناسبة وهذا العنوان، لأنّ دائرة السّوء هي العقاب الشديد، لهذا دعا عليهم المولى عز وجل في فاتحة السورة بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾[2]، والويل فسّر تفاسير كثيرة جمعها الألوسي (ت127هـ) في قوله: «الويل شدة الشرّ، وقيل: الحزن والهلاك، وقيل: العذاب الأليم، وقيل: جبل في جهنّم»[3]، ومهما كانت دلالة دلالة الويل، فهي مرتبطة بالعقاب الشديد الذي سيلحق هذه الفئة من المغضوب عليهم من النّاس.

ويستمر الخطاب القرآني في ذمّ هؤلاء النّاس الذين يرتكبون الأخطاء المنهي عنها، ويدعو عليهم بالويل أيضا، كما جاء في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[4]، «فالهمزة بالعين والشدق واليد، واللّمز باللّسان»[5]، وهي من المنبوذات للدلالة على الاغتياب؛ «الهمزة الذي يغتاب الرّجل في وجهه واللّمزة الذي يغتابه من خلفه»[6]،

---

[1]–الشوكاني:المصدر السابق، ج5، ص470.

[2]–سورة المطففين، الآيتان: 1-3.

[3]–الألوسي: المصدر السابق، ج30، ص95.

[4]– سورة الهمزة، الآية: 1.

[5]–الألوسي: المصدر نفسه، ج30، ص314.

[6]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص589.

فالويل لهؤلاء يعني الهلاك والخزي والعذاب لهم، وعليه فإنّ السوء قد أحاط بهم من كلّ الجوانب.

أمّا تهديد المصلين الذين يسهون عن صلاتهم، فقد خاطبهم المولى عز وجل في سورة (الماعون) ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴾[1]، كما نبذ القرآن فئة المكذّبين بالدين، الذين يمنعون الطعام على النّاس، فهم يدخلون في قائمة المنتمين إلى دائرة السوء، لأنهم يمنعون الماعون، والماعون «المشتغل من منافع الأموال، مأخوذ من المَعْنْ، وهو القليل»[2].بمعنى يمنعون القليل من الطعام والمال كما يمنعون الكثير منه.

وترتبط دلالات ومظاهر الغضب من المولى ﷻ على عباده في سورة الفيل أيضا، حين غضب على" أبرهة الأشرم بن الصباح الحبشي" الذي جاء إلى مكة من أجل تهديمها فأرسل الله عليه وعلى منى معه طيرا ترميهم بالحجارة، فلا تصيب أحدا منهم إلاّ هلكته مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴾،أي: «كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكله حبّة فبقي صفرا منه»[3]؛ بمعنى لم يبق هذا الطّير شيئا شيئا حيّا.

وينهانا الخطاب القرآني في موقف آخر على التفاخر بالأولاد والقبائل والعشائر، وهذا في سورة التكاثر، حيث يوجّه إلى هذه الفئة من النّاس وعيد بعد الوعيد، وفي الآية ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ دليل على أنّ الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة[4]، ما يبعدهم عن الاشتغال بطاعة الله عز وجل، وتحضير العدّة للآخرة، وسيعلمون عاقبة ذلك في يوم القيامة، وقد هدّدوا بالجحيم والعياذ بالله.

---

[1]– سورة الماعون، الآية :4.

[2]–الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص598.

[3]–الألوسي: المصدر السابق، ج30، ص324.

[4]–ينظر: الشوكاني: المصدر السابق، ج5، ص583.

ثالثا: المشير واحد والمشار إليه واحد:

تجسدت لنا هذه الظاهرة الإحالية في جملة اعتراضية يقول فيها المولى ﷻ: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، يحيلنا محور هذه الآية الكريمة إلى عنصر واحد في العتبات العنوانية، وهو العنوان "غافر"، فقد جاءت الجملة المعترضة استفهامية من خلال ابتدائها بـــ(من) إذ يقول تعالى: من يغفر الذنوب؟ لتجيء الإجابة يسيرة بسيطة: الله غافر الذنب؛ فنحن إذن ننتقل من خطاب هو جملة استفهامية إلى خطاب مفرد هو عنوان سورة (غافر) وهنا فقط قد تحقق التماسك النّصي، من خلال استدعاء نصّي ثان يبتعد عنه من حيث المساحة المكانية، حيث جاءت الجملة المعترضة في سورة آل عمران، وجاء العنوان في سورة من الرّبع الأخير.

فالتماسك جاء باستحضار خطاب مكتمل هو عنوان سورة وضّحت فكرة المغفرة وهي تحمل معنى الستر، لأنّ المولى عز وجل وحده من يغفر ذنوب العباد، إذ رضي عنهم فلا يكشفها للخلائق[2]، ولهذا من أسمائه تعالى: (الغفور، الغفّار،الغافر)، فالوصف الأول ورد إحدى وتسعين مرة، وجاءت الغفّار لكثرة مغفرة ذنوب عباده مرة بعد مرة خمس مرات[3]، في حين وردت غافر مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[4]، كما جاءت في عنوان هذه السورة، والكلمة جاءت على وزن (فاعل) مخففّة وخرجت في ذلك عن صيغة الكلمتين السابقتين، ودلالتها لا تبتعد عن الفكرة المشتركة للمغفرة، فالله غفور للذنوب «يسترها، ويتجاوز عنها، لأنّه إذا سترها فقد صفح عنها وعفا..، وهو متعلّق بالمفعول، لأنّه لا يقع الستر إلا بمستوى يُستر ويغطى، وليست من أوصاف المبالغة في الذات إنما هي من أوصاف المبالغة في الفعل»[5].

---

[1]– سورة آل عمران، الآية: 135 .

[2]–عماد عبد يحيى: المرجع السابق، ص131.

[3]–ينظر: طه: 82، ص: 66، الزمر: 5، المؤمن: 42، نوح: 10.

[4]– سورة غافر، الآية: 2.

[5]–اشتقاق أسماء الله الحسنى، ص151.

وهنا كناية عن الصّفح والمغفرة، وستر ذنوب العباد وعدم التّشهير بها.

ومن مثل هذا النموذج نجد قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]، حيث تحيلنا هذه الآية إلى عنوان قرآني هو (التوبة)، فالتوبة مظهر من مظاهر العودة إلى الله بعد ارتكاب المعاصي، وهو خلق محبّبٌ إلى الله عز وجل، جاء في الكثير من الخطابات القرآنية، وقد حملت الآية الكريمة في سورة البقرة معنى تاما كاملا، لا يحتاج إلى مشاركة الآيات المجاورة لها في بيان معناها[2]، وقد ارتبطت دلاليا بهذا العنوان تتبعا لحركية المعنى، فالتائب من الذّنب كمن لا ذنب له.

وهو مثاب بالأجر على صبره، إذ ترك هذه المعصية إلى ما هو خير له، وقد وصف المولى عزّ وجل بأنّه تواب رحيم، لهذا فهو يحبّ التّوابين من عباده، وقد وردت لفظة التّواب في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة[3]، واقترنت في مواضع منه بلفظة رحيم، كما اقترنت بلفظ حكيم في مواضع أخرى.

إنّ التوبة في عرف اللّغويين لا تخرج عن دلالة الإنابة إلى الله، والعودة إليه بعد ارتكاب المعاصي، وطلب المغفرة منه «وتوبة الله على عبده هو أن يرزقه الله ذلك، ويؤوب من غضبه عليه إلى الرّضا عنه والعقوبة إلى العفر والصّفح عنه»[4]، وقد أشار الهمداني (ت320هـ) إلى هذه الفكرة في قوله: «يقال: تاب الرّجل من ذنبه، وأناب ينيب إنابة وفاء يعني فئة»[5]. فالقصد من الكلمة في هذا السياق هو الرجوع عن

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 222.

[2]–هذا نوع من السياق يسمى سياق الآية، حيث ينظر إلى آيات الذكر الحكيم باعتبارها الانفرادي، حيث تستقل الآية بمعناها التام، ولكن هذا لا يبعدها دلاليا عن بقية الآيات السابقة لها واللاحقة، وهناك صنف آخر من الآيات يكون فيه الاتصال أقوى من هذا النوع، حيث لا يتحقق معناها إلا باشتراك الآيات المجاورة. انظر: المثنى، عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني- دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل، عمان، ط1، 2008، ص ص96-97.

[3]–ينظر: البقرة: 37، 54، 128، 118. الحجرات: 12، النساء: 16-64، النور: 10، النصر: 03.

[4]–جامع البيان: ج1، ص195.

[5]–الألفاظ الكتابية: ص8.

عن الذّنب»[1]، وهذا الرّجوع يرتبط بمغفرة المولى عز وجل لعباده المتطّهرين، لهذا قال عزّ وجل في محكم تنزيله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[2]، فالمغفرة والتواب يقترنان دلاليا، وترتيبيا؛ فالمولى عز وجل لا يقبل التوبة إلاّ من الذين غفر لهم ورضي عنهم لأنهم أقلعوا عن فعل المنكرات والتزموا بالطّاعات فيحبّهم المولى عز وجل لأنّهم تابوا وتطهّروا.

إنّ هذه العلاقة الوثيقة بين التوبة والتطهّر في الجملة الاعتراضية تقودنا إلى ذلك الارتباط الوثيق بالعنوان (التوبة) بمعنى الدّعوة إلى «الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة»[3]، وهذا بدوره سيولّد التوبة من المولى عز وجل، وهذا من الأخلاق الحميدة المحبّبة إليه؛ لأنّ فيه من طهارة العبد ما يكفّر عنه كلّ الذنوب.

ومن الاختيارات العديدة للجمل الاعتراضية في الخطاب القرآني يواجهنا قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[4]، وهي الآية التي جاءت على لسان أحد المنافقين الذي غاب عن الجهاد، ثم جعل من التّمنّي الساخر وجهته في التخلي عن هذا الواجب المقدّس، مستشعرا في ذلك مودّة كاذبة، وهذه حال كلّ من أظهر عكس مالا يبطن، لهذا وقف تحليلنا على ربط هذه الآية بسورة المنافقين، لأنها من السور التي قدّمت لنا صورة تهكية تنبئنا بضعف إيمان هذه الزّمرة من النّاس.

تستجيب دلالة (النّفاق) إذن من خلال هذا العرض المفصل لاستهزاء هؤلاء الفئة الإنسانية مع حالة النّفاق كظاهرة مذمومة سميّت سورة قرآنية بها.

ومن السور القرآنية التي ارتبطت الجملة الاعتراضية فيها بالعنوان، قوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾[5]، حيث جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن المشقّة

---

[1]-ينظر: عماد عبد يحيى: المرجع السابق،ص126.

[2]- سورة غافر، الآية: 3.

[3]-الشريف الجرجاني: التعريفات، ص62.

[4]- سورة النساء، الآية: 73.

[5]- سورة لقمان، الآية: 14.

المشقّة التي تكابدها الأم أثناء حملها لولدها، حيث حملت ولدها ضعفا على ضعف، وجهدا على جهد[1]، والآية الكريمة تدخل في سياق الحديث عن بداية الخلق الإنساني، ويتناسب مع هذا المضمون سورة (العلق)، والعلَق « جمع علقة وهي الدّم الجامد»[2]، وهو جمع علقة، وهي مبدأ خلق الإنسان من خصائصها أنها ضعيفة ومهينة، هي الطور الثاني من أطوار تخلّق الإنسان، وهذه نعمة ربّانية منّها المولى سبحانه على عباده، وكلّف هذه الأم تحمّل هذه المسؤولية المشرّفة لها.

إنّ هذا الاعتراض هو في أصله تعظيم لهذه الأم، ومقدارا لمشقّة التي تكابدها من أجل ميلاد هذا الإنسان، لهذا كانت أول سورة تنزل على الرسول ﷺ هي سورة (العلق) حيث يقول تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ﴾[3].

فخلق الإنسان يتصل اتصالا وثيقا بالضعف والوهن، وهذا مقياس حياته فيما بعد؛ لأنّه يخلق من علقة ضعيفة، وأم ضعيفة، وعند ميلاده يكون ضعيفا في المراحل الأولى، ثم سرعان ما يكبر ويشدّ عضده بالقوة في مرحلة الشباب، ثم يعود أدراجه إلى مرحلة الضّعف بعد الكبر والتّعب ويصل إلى الموت، وهذا يتناسب تماما مع هذا الاعتراض، الذي يعظّم الأمومة، وفي الآن ذاته يحكي بداية الخلق التي كانت محورا لأول سورة تنزل من السماء إلى الأرض وهي العلق.

---

[1]–كامل محمد الجزّار: المرجع السابق، ص529.

[2]–محمد عتريس: المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006، ص613.

[3]–سورة العلق، الآيتان: 1-2.

المبحث الثاني

عتبة العنوان والفاصلة القرآنية
الإيقاع والدّلالة

مدخل

مما لا شك فيه أنّ الخطاب القرآني متميّز؛ يتميّز بأنّه كل موحدٌ متجانس متراص مرتب ومنتظم، منسجم ومتجانس، وهذا بشهادة الدارسين القدماء، وكذا بما توصلت إليه ما جادت به قريحة المحدثين فكيف تراه تحقق هذا؟ إنّ هذا الانسجام والاتساق ما كان ليتحقق لولا وجود علاقات داخلية وأخرى خارجية –على اختلافها– تدفع بعجلة الانبهار بجمالية النّص القرآني قدما، وهذا من خلال العلاقات المرصودة في هذه الدراسة بشكلها العام، وهذا المبحث بشكل خاص، وسؤالنا هنا ما طبيعة العلاقة القائمة بين العناوين والفواصل في القرآن الكريم؟

إنّ هذا التساؤل الإشكالي لم نجد له اهتماما في حلقة القدماء ولا في حلقة المحدثين، وإنها أوّل إشارة منّا للخوض في هذا القطاع اللغوي المكوّن من ثنائيتين تبدوان منفصلتين، إلاّ أن هذا لا ينفي وجود بعض الدراسات التي اهتمت بطبيعة العلاقات القائمة بين الآيات المتجاورة أو الآيات المتباعدة، فقد حدثونا عن علاقة (البيان والتفسير)[1]. (الإجمال والتفصيل)[2]، (العموم والخصوص)، (الإطلاق والتقييد)[3]، إلاّ أنّ كل هذه الاجتهادات كانت تصب في سياق العلاقات الأفقية الخطيّة، مهملين بذلك العلاقات العمودية التي تنتقل بين حقل نصي وآخر، بحيث يصبح النّص القرآني وحدة متكاملة البناء، تتصل مقاطعة بعضها ببعض على الرغم من وجود علاقات الانفصال فيما بينها، وفي هذا المقام يمكن أن نتساءل كيف تتماسك وحدات النّص؟ وما هي آليات هذا التماسك؟ ما هي طبيعة العلاقة القائمة بين العناوين والفواصل القرآنية؟ وإلى أيّ مدى تتواصل أو تتنافر؟

---

[1]–ينظر في هذا السياق الزمخشري الذي تطرق إلى البيان والتفسير بين الكلمات والجمل، الكشاف، ج1، ص279 وما بعدها. ينظر أيضا: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج2، ص115.

[2]–ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، ج3، ص47.

[3]–ينظر: تفصيل هذه العلاقات، خلود العموش: الخطاب القرآني– دراسة في العلاقة بين النّص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2008، ط1، ص268.

ننطلق في الإجابة عن هذه الإشكالات إلى أنّ هناك انسجاما وتناسقا بين عناوين السور وبين مقاطعها ومفاصلها، وقد ألمع إلى هذه الفكرة البيضاوي الذي رأى أهمية تقطيع السور واستقلال كل منها بعنوان خاص إذ يقول: «والحكمة في تقطيع القرآن سورا: إفراد الأنواع، وتلاحق الأشكال، وتجاوب النّظم»[1]، وهذا لأنّ القرآن الكريم توخّى التّدريج في نشر تعاليمه وأفكاره، لهذا بدأ بالكلّ وتدرّج إلى الجزء، بدْءا بالسورة فالآية فالفاصلة، وهذه طريقة ميسّرة لتسهيل الفهم على قارئه، وفتح شهيته في التّواصل مع معانيه.

هذه إشارة صريحة من البيضاوي إلى أهمية تقسيم عناصر النّص إلى وحدات، كي تفرد كل وحدة بمضمونها وبأشكالها التي تميّزها عن الوحدة الأخرى، فضلا عن اختلاف وتمايز أنظمتها البلاغية والإيقاعية والدلالية، وهذا له تأثير في تلقي النّص من طرف القارئ.

أولا: المفارقة بين العنوان والفاصلة:

إنّ تواصلنا مع بعض السور القرآنية أحالنا على تلك الوشائج الدلالية التي تربط هذه السورة بغيرها، ثم هذا العنوان الذي وسمت به وعلاقته بالفاصلة القرآنية التي تنتهي عندها الآيات القرآنية، سورة (الكهف) واحدة من السور التي ارتبطت بحقل المكان، فهذا العنوان مكوّن نصّي يحيل متصفحة على دلالة الاتساع والامتداد والغموض والخفاء، جمعه كهوف، وهو «كالبيت المنقور في الجبل»[2]، من سماته الاتساع كما قال الزبيدي: «فإذا صغر فغارٌ»[3]، وقد وظّف مجازا بمعنى الملجأ «يقال: هو كهف قومه: أي ملجؤهم، وأولئك معاقلهم وكهوفهم، وإليه يأوي ملهوفهم...» [4].

---

[1]–البيضاوي، عبد الله بن عمر: أنور التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، لبنان، دار صادر، ج1، ص112.

[2]–الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر بك، دار الفكر، (د.ط)، 1981، ص581.

[3]–الزّبيدي: السيّد محمد مرتضى بن محمد الحسيني (ت1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيّد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، مادة "ك هـ ف"، ج24، ص189.

[4]–الزبيدي: المصدر نفسه، ج24، ص189.

وجاء عن ابن دريد قولهم: «تكهّفت البئر، وتلجّفت، وتلقّفت: إذا أكل الماء أسفلها فسمعت للماء في أسفلها اضطرابا»[1]،وهذه الدلالة الحسيّة الأخيرة التي وصف فيها الماء بالاضطراب إنما تنسحب على فتية الكهف الذين عايشوا اضطرابا نفسيا جزاء ما حدث لهم من طغيان في مدينتهم، والفراء إلى الكهف هو الخلاص من هذه الحالة الشعورية التي يعيشونها، حفاظا على دينهم الجديد...

لم يكن العنوان في هذه السورة مصاحبا نصيّا فحسب، بل كان محورا رئيسا من محاور بناء السورة، وهذا لأنّه يتقاطع في دلالته مع بعض الفواصل القرآنية الواردة في السورة، حيث دلّت بعضها على المكان، ودلّت بعضها على الملجأ.

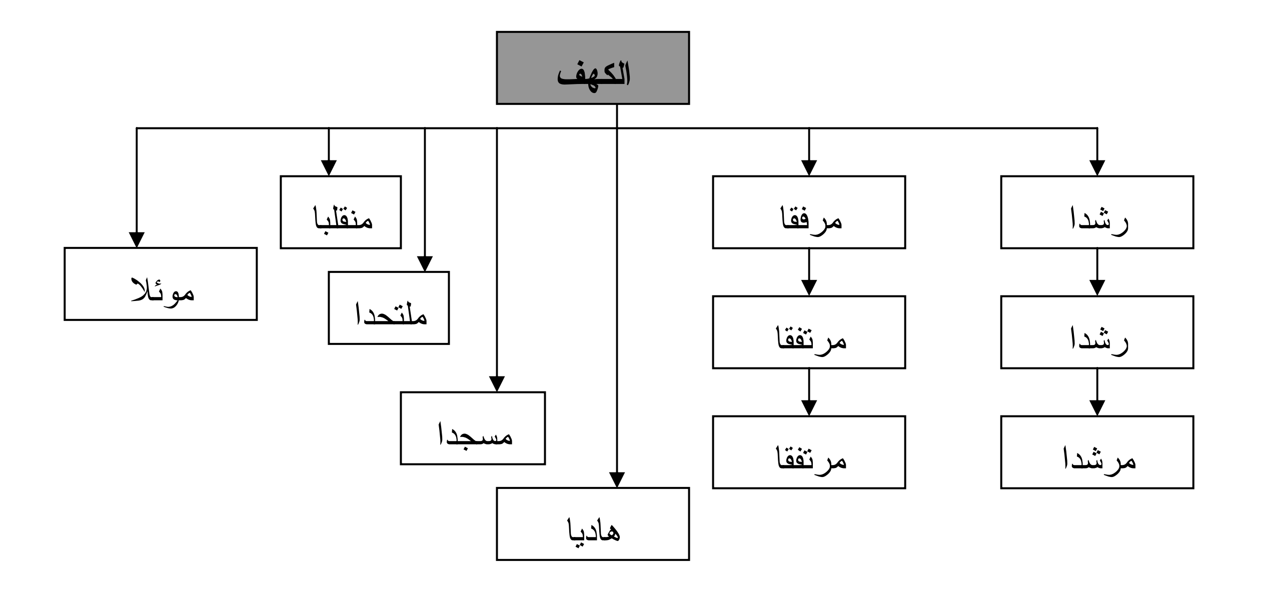
و لمعرفة وتحديد وظيفة هذا العنوان، كان حريّ بنا الوقوف عند وظائف (شارل غريفيل) الذي استعاد اقتراحات (ليوهوك)، إذ قام بصياغة ثلاثة وظائف للعنوان من خلال تعريفه الآتي: «هو مجموعة من الدلائل اللغوية (...) التي يمكن أن توضع على رأس نصّ لأجل تعيينه، وتحديد مضمونه العام، وأيضا لأجل جذب الجمهور المستهدف»[2]، لقد تحققت هذه الوظائف في هذه العتبة، ذلك لأنّ كلمة الكهف جاءت لتعيين مضمون هذه السورة من خلال تمييزها عن سور أخرى.

وكذا حدّد هذا العنوان موضوع السورة وهو الحديث عن فكرة اللّجوء إلى الله من خلال العزلة في هذا المكان، أما جذب الجمهور فقد تحققت هذه الوظيفة من خلال تواصل هذا العنوان مع الفواصل القرآنية الدالة عليه وهي: (مرفقا، رشدا، هاديا، مسجدا، ملتحدا، منقلبا، موئلا) وسيتم توضيحها في الخطاطة الآتية:

---

(1)–الزبيدي: المصدر السابق، ج24، ص190.

(2)–نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2007م، ص45.



الخطاطة رقم 24: المفارقة بين العنوان والاعتراض

إنّ قراءة عمودية لهذه الخطاطة تستوقفنا عند نمطين من الفاصلة القرآنية، نمط يقوم على مبدأ التشابه على مستوى الدّوال مثل: (رشدا، رشدا، مرشدا)، و(مرفقا– مرتفقا، مرتفقا)، ونمط ثان يتميّز بالاختلاف الشكلي مثل: (منقلبا، موئلا، ملتحدا، مسجدا، هاديا)، والسؤال المطروح ما علاقة هذه الثنائية بالعتبة العنوانية (الكهف).

يبدو من خلال هذه المقاطع الفاصلة أن ثمة علاقة دلالية بينها وبين العنوان، ذلك أن مفاهيم هذه الفواصل القرآنية تحيلنا على الستر، واللجوء، والأمان. في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾[1]، جاءت لفظة (رشدا) بفتح الراء والشين للدلالة على معنى الاهتداء إلى الدّين الحقّ والثبات عليه والسداد في العمل[2]. وقد جاءت دلالة هذه الكلمة بالفتحتين أخصّ من الرّشد بالضمة والسكون وذلك «لأنّ الرّشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية ورشد يقال في الأمور

[1]– سورة الكهف، الآية: 10.

[2]–أبو حيان: البحر المحيط، المصدر السابق، ج7، ص144.

الأخروية لا غير»[1]، وفي تفسير الطّبري (ت310هـ) جاءت الكلمة بمعنى سدادا إلى العمل بالذي يحبه المولى عز وجل [2].

وقد سبقت هذه الفاصلة بالفعل (هيّأ) «وأصل التهيئة إحداث الهيئة وهي الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة أو معقولة»[3]، وارتباط الهيئة بالرشد يمكن أن يكون من الرئتين، زاوية محسوسة وهي تهيئة الكهف، فيكون (الرشد) رديفا له، أو معقولة ترتبط بالطريق الموصلة إلى الدين الحق والاهتداء إليه، وهو طلب الفتية عند فرارهم من دين الغيّ إلى الدين الحق.

وهو السياق ذاته للفظة (مرشدا)، فهي تقترب من دلالة الهداية، لأنّ المعنى «فلن تجد يا محمد خليلا وحليفا يرشده لإصابتها، لأنّ التوفيق والخذلان بيد الله، يوفّق من يشاء من عباده، ويخذل من أراد...» [4].

ففي كلا الحالتين تحمل كلمة (رشدا) مساحة دلالية من اللجوء، وتجسده لفظة أخرى وهي (مَرْفَقا)[*] التي جاءت فاصلة في قوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[5]، "المرفق" مصدر كالرّفق، بفتح الميم وكسر الفاء، أو بكسر الميم وفتح الفاء.

واستعمل حسّيا في الجارحة، ومعنويا في الأمر الذي يرتفق به وينتفع[6]، اشتقت من (الرّفق) بكسر الرّاء بمعنى اللّطف وهو ضد العنف، ومنه الحديث: «ما كان الرّفق

---

[1]–ينظر: الألوسي (ت127هـ): أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم – والسبّع المثاني، ضبط وتصحيح: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج15، ص202.

[2]–ينظر: الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1984، ج15، ص200.

[3]–الألوسي: المصدر السابق، ج15، ص202.

[4]–الطبري: المصدر السابق، ج15، ص212.

[*]–مرفقا: بقراءة عامة قراءة العراق، أمّا مرفقا فقرأته عامة قراء المدينة (الطبري، ج15، ص209). وقد اختار الطبري قراءة العراق لفصاحتها وشهرتها.

[5]– سورة الكهف، الآية: 16.

[6]–أبو حيان: البحر المحيط، ج7، ص144.

في شيء إلاّ زانه»[1]، وسياق هذه اللفظة مرتبط بـــ«صفة لما اتفق به الفتية في أمر عيشهم من رفق الله ولطفه وتيسيره»[2]، أي ما يرتفقون وينتفعون به، وهذا فيه من دلالة اللجوء إلى المولى عزّ وجل للخروج من كيد الأمر الصّعب، الذي يعيشه هؤلاء الفتية، رغبة منهم بالحفاظ على دينهم وأنفسهم.

أما الفاصلة القرآنية (مسجدا)، فقد جاءت بمعنى «موضع السّجود نفسه»[3]، للدلالة على المكان، والكهف عند هؤلاء الفتية مرادف للمسجد، لأنّ هذا الأخير هو ملجأ كل محتاج للرحمة الإلهية، والمغفرة والسداد، وفي كتاب الفروق لابن برّي، فالمسجد يجيء بدلالتين بحسب حركة الجيم فالمسجد «البيت التي يسجد فيه، وبالفتح: موضع الجبهة»[4]، فالمكان مكان صلاة ولجوء للمولى عز وجل، فهو ملجأ يشبه الكهف، يعبّر على دلالة العبادة والرّجوع إلى المولى عزّ وجل.

وهذا التّصور المكاني هو مصدر قصّة أهل الكهف، التي تقوم على محورين اثنين: محور الفضاء المكاني كمنطلق اللّجوء، ثم محور الفضاء الشعوري كمنطلق اللّجوء أيضا، والاختلاف بينهما أنّ المحور الأول ماديّ محسوس، والمحور الثاني معنوي غير محسوس، ولأنّ الكهف باعتباره مكانا يمثل الظاهرة، فإنّه من حيث وظيفته الدالة على التخفّي والاستتار، واللجوء يمثل الباطن أيضا، لهذا ركّزت قصة هؤلاء الفتية على «طلب الهداية القلبية بعد هدايتهم الظاهرية»[5]، وهذه الهداية لا تتحقق إلاّ باجتماع الفضاءين، فضاء المكان وفضاء الروح.

هكذا تترابط الحلقات الدلالية لهذه الفواصل مع العنوان (الكهف)، وكذا يقف

---

[1]–الزبيدي: المصدر السابق، مادة (ر ف ق)، ج25، ص198.

[2]–جميلة زيّان: مفهوم الأمر في القرآن الكريم–دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ج1، ص275.

[3]–الزبيدي: المصدر السابق، ج8، ص100.

[4]–المصدر السابق، ج8، ص100.

[5]–القليني، سامح: الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم، تحقيق: علي النّحاس، مكتبة وهبة، القاهرة، 2010، ط3، ص205.

القارئ مع بقية الفواصل (ملتحدا) تعني «الملتجأ الذي تميل إليه وتعدل»[1]. فكلّ ما أوى الإنسان يدخل تحت هذا الباب.

أما (مرفقا): «قال ابن عباس: المنزل، وقال عطاء: المقرّ، وقال القتبي: المجلس»[2]، فالمنزل والمقرّ والمجلس جميعها للدلالة على المكان؛ أي مكان الارتفاق، فأصل الارتفاق الاتكاء على مرفق اليد (...) وقيل: نصب المرفق تحت الخد فمرتفقا اسم مكان[3].

أما في تفسير كلمة (ملتحدا) في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[4]، فقد جاءت بمعنى «الملتجأ الذي تميل إليه وتعدل»[5]، قال ابن مجاهد الملتحد هو: الملجأ[6]. الملجأ[6].

وجاءت الفاصلة (منقلبا) بمعنى: «مرجعا وعاتبه، أي منقلب الآخرة لبقائها خير من منقلب الدّنيا لزوالها»[7]، فسّر الطّبري قوله تعالى: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾، بقوله: «لأجدنّ خيرا من جنّتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردّا»[8]، ولا نبتعد نبتعد عن دلالة المرجع في الفاصلة القرآنية (موئلا) قال مجاهد بمعنى «المحرز، وقال الضّحاك، المخلص»[9]، وفسّر الفراء –موئلا) بمعنى (منجى) أي موضعا للنجاة، يقال وألت نفس فلان نحتْ، وعليه قول الأعشى:

---

(1)–أبو حيان: المصدر السابق، ج6، ص113.

(2)–المصدر نفسه، ج6، ص116.

(3)–الألوسي: المصدر السابق، ج15، ص256.

(4)– سورة الكهف، الآية :27.

(5)–أبو حيان: المصدر السابق، ج6، ص113.

(6)–ينظر: الطبري: المصدر السابق، ج15، ص233.

(7)–أبو حيان: المصدر السابق،ج6، ص120.

(8)–الطبري: المصدر السابق، ج15، ص247.

(9)–أبو حيان:المصدر السابق، ج6، ص133.

وقَدْ أُخَالِسُ ربَّ الدَّارِ غَفْلَتَهُ *** وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَ مَا يَئِلُ[(1)]

وقال ابن قتيبة بأنّه الملجأ، ولكنّه الملجأ السيء لأنّ لا خلاص لهؤلاء الكفرة، فمن يكون ملجأه العذاب، لن يجد له خلاصا أو رحمة أو نجاة.

وبعيدا عن سياق الخطاطة التي أحالتنا على فواصل دلّت بطريق مباشر أو غير مباشر على الملجأ، والمرفق، ومكان اللجوء، فإننا نجد على النقيض من ذلك لفظة (موبقا) فهي اسم مكان في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾وهي «وبق وبوقا كوثب وثوبا أو وبقَ كفرح فرحا إذا هلك أي مهلكا يشتركون فيه وهو النّار»[(2)]، وهو المعنى نفسه الذي وجدناه في (موئلا) التي عبّرت عن هلاك المشركين.

ثانيا: المطابقة بين العنوان والفاصلة:

المقصود بهذا أن يكون عنوان السورة هو نفسه الفواصل القرآنية لها، وهذا النّمط لم نجده إلاّ في سورة واحدة وهي سورة النّاس، حيث نجد هذه العتبة العنوانية (النّاس) تتكرر خمس مرات في فواصل السورة، وقد عدلت الفاصلة من لفظة الناس المكررة في الآيات الثلاث الأولى بلفظة (الخناس) فاصلة، ثم عاد السياق القرآني إلى الكلمة المركزية السابقة في الآيتين الأخيرتين بينما نجد بقية السور تقل عدد تكرارات العناوين فيها.

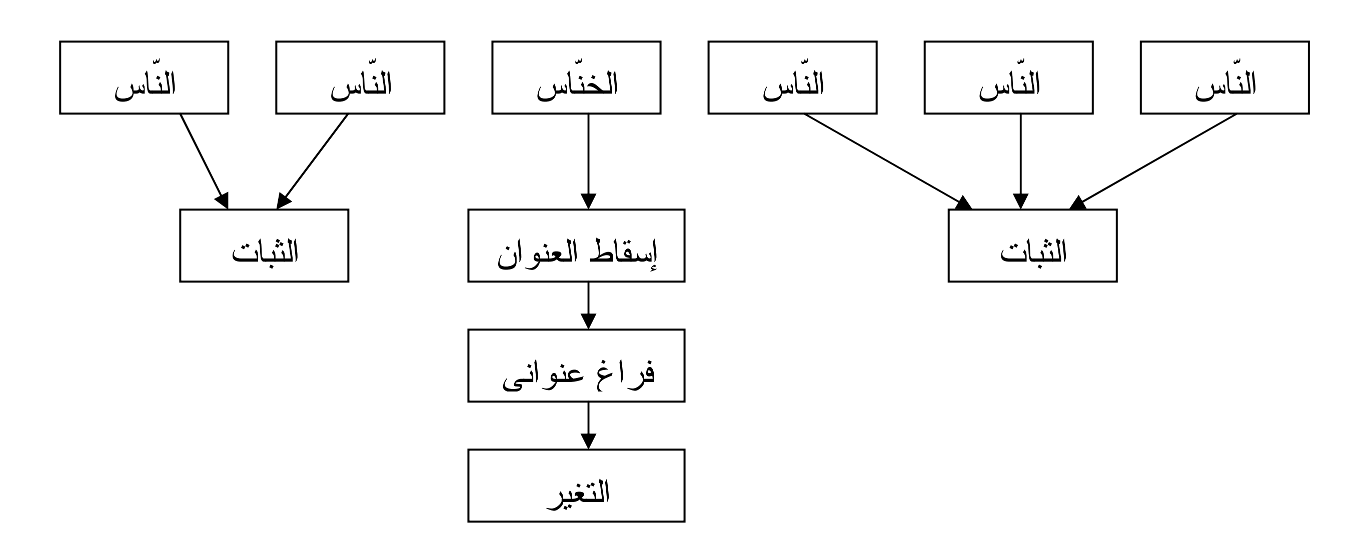
وتبعا لهذا التسلسل في تكرارية العنوان، يتبدى لنا بوضوح الطابع العلائقي بين الفاصلة القرآنية والعنوان حيث «تتحدّد علاقة العنوان بالنّص بوصفها علاقة تضمن متبادل؛ حيث يتضمن العنوان النّص ويتضمّن النّص العنون»[(3)]، وهنا نتساءل لماذا علاقة التضّمن بين هذين العنصرين اللغويين؟

[(1)]–ديوان الأعشى الأكبر: ميمون بن قيس، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص149.

[(2)]–الألوسي:المصدر السابق، ج15، ص282.

[(3)]–يوسف الإدريسي: عتبات النّص: بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، منشورات مقاربات، ط1، ط1، 2008م، ص34.

الإجابة ببساطة لأنّ العنوان هو عتبة ثابتة في هذه الآيات، وليس عتبة متغيّرة؛ وتجسد لنا هذا الثبات في تكرار محوري للعنوان، الذي لم يتغيّر منذ الآية الأولى للسورة، عدا ما لمسناه من إسقاط لهذا العنوان في الآية الرابعة من السورة، ويمكننا تمثيل ذلك بالخطاطة الآتية:



الخطاطة رقم 25: المطابقة بين العنوان والفاصلة القرآنية

إنّ سورة النّاس من خلال هذه الخطاطة تسير في خط محورين مختلفين، محور الثبات وتمثله الوحدة المعجمية العنوانية (الناس) وهو المتعلق بمضمون السورة التي ترفع الإنسان إلى مكانة عالية، وتنزل الشيطان (الخناس) إلى الدّركات السُّفلى، وعليه جاءت كلمة (الخنّاس) بديلا معجميا متحركا، هو مركز السورة؛ لأنّ الاستعاذة من هذا المخلوق تجسدت منذ بداية السورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾[1].

نلاحظ أنّ التماسك النّصي قد تحقق في هذه السورة من خلال ظاهرة التكرار، ويقصد بها الإعادة المباشرة للكلمات، أو ما أطلق عليه هاليداي ورقية حسن التكرار

[1]–سورة الناس، الآيات: 1–6.

المباشر للعنصر المعجمي (The Direct répétition)؛ وهذا العنصر المعجمي (الناس) هو المساعد على استمرار فكرة الترابط بين عناصر النّص، فالمعنى فيها قار غير متحوّل، وهذا ما يجعل النّص خاضعا لمقياس أساسي وهو الخروج من حالة الثبات، إلى حالة التحوّل ثم إلى حالة الثبات.

فالمرجع في النّص هو العنوان الذي تتابع في آيات السورة «وهذا يعني أنّه يستمر لكي يرسم نفس الوجود في عالم النّص (الخطاب) وعندئذ يتدعم ثبات النّص بقوة هذا الاستمرار الواضح»[1]. والغرض منه في هذا المقام هو التأكيد على رفعة الإنسان ودناءة الشيطان، لهذا اعتمد النّص تكرارية لفظة (الناس)، التي سجلت نسبة ورود عالية (خمس مرات) تميّزها عن نظيرتها (الوسواس) التي وردت مرة واحدة.

لقد تحقق الامتداد النّصي من خلال هذا العنوان المكرّر، لتكون هذه العتبة هي منطلق النّص ومنتهاه مع الاحتفاظ بالمدلول نفسه، وهذا ما يسمى بالتكرار المعجمي المفهومي، وهو مغاير للتكرار المعجمي فقد، الذي يقوم على تكرار الكلمة، ولكنها تكون حاملة لمدلولات مختلفة، وهو سياق المشترك اللفظي.ويشترط للتكرار اللفظي وحدة المحيل إليه، وهذا حسب مبدأي الثبات والاقتصاد التي قال بهما دي بوجرافد[2]، فالتكرار له تأثيرات بنائية ودلالية على النّص، فهناك دائما موضوعا محوريا يتمم توسيعه عبر عناصر متشابهة للحفاظ على الخيط الرابط بينها، وهذا ما لمسناه في سورة الناس، وهنا يتحقق الترابط بين العنوان والفاصلة القرآنية، ولا يكون في ذلك العنوان عتبة زائدة «وإنمّا هو عتبة أولى من عتبات النّص، وعنصر مهم في تشكيل الدّلالة، وتفكيك الدّوال الرّمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الدّاخل...» [3].

ومن السور التي تكرر فيها العنوان بنسبة أقل نوضحها في الجدول الآتي:

---

[1]-Robert de Beaugrande and Dressler : Introduction to text linguistics, P.56.

نقلا عن: حسام أحمد فرج: نظرية علم النّص (رؤية منهجية في بناء النّص النّثري)، تقديم: سليمان العطار ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص106.

[2]–روبرت دي بوجراند: النّص والخطاب والإجراء، ترجمة:تمام حسان، ص303.

[3]–بسّام قطوّس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص53.

الجدول رقم (41): تكرارية العناوين في السور القرآنية

السورة	تكرارات العنوان	السورة	تكرارات العنوان	السورة	تكرارات العنوان
القارعة	03	العصر	01	الفلق	01
العلق	01	الفيل	01	الكافرون	01
الضحى	01	التكاثر	01	قريش	01
البلد	02	البيّنة	02	الماعون	01
الغاشية	01	القدر	02	الكوثر	01
الأعلى	01	الفجر	01	الطارق	02
المطففين	01	المعارج	01	الواقعة	01
البروج	01	القيامة	01	الحاقة	03
الطور	01	المدثر	01	الرحمن	01
		المزمّل	01	القمر	01

تسع وعشرون سورة في القرآن الكريم اختتمت بفواصل هي في أصلها عناوين لهذه السور، وهذا الخلق انسجام بين الفاتحة العنوانية وبين أواخر وخواتيم الآيات من جهة الإيقاع المرافق لهما، بحيث نجد الإيقاع يتطابق بينهما، ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾فهذه التكرارية العنوانية ليست إلاّ تكرارية للبنية الشكلية والبنية المضمونية لكلمة (القارعة) بشكل متساو، حيث ظهرت ثلاث مرات في حركة قوية يُظهر مدا في قوّة هذه القارعة وجبروتها، وهذا المدّ تحقّق من خلال الاستفهام الذي جسدَه المورفيم (ما) بغرض الاستنكار على المشركين جهلهم لهذا اليوم العظيم، وهو السياق نفسه الذي نجده في سورة الحاقة وهذا في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾.

لقد تحققت الرّشاقة والفصاحة من خلال ظاهرة التكرار التي تزيد في مقدار تذوّق النّص القرآني، كما عبّر عن ذلك الزركشي بقوله: «اعلم أنّ معرفة الفصيح

والأصفح، والرّشيق والأرشق، والجليّ والأجلى، والعليّ والأعلى من الكلام، أمر لا يردك إلاّ بالذّوق ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه»[1]، هذا التذوق الذي أسهم في الربط بين هذه الآيات عن طريق إعادة وحدة لغوية ثلاث مرات، فهو في حقيقته يقوم على مبدأ التشابه أو التماثل الذي يحيلنا على أهمية المتكرر وسلطته الدلالية.

إن لفظتي (القارعة والحاقّة) كلاهما جاءت بمعنى يوم القيامة، ولشدة هول هذا اليوم فقد سمّي (القارعة)، وهي «القيامة نفسها، لأنها تقرع القلوب بهولها، وقيل: صيحة النّفخة في الصور، لأنها تقرع الأسماع وفي ضمن ذلك القلوب»[2]، والكلمة مشتقة من قرعت الشيء، بمعنى ضربته،لهذا جاء المعنى بأن «الدّاهية: تقرع النّاس وتصيبهم بأصناف الهلاك، من القتل والأسر والجذب»[3].

في سورة القدر أيضا يتحقق التكرار مرّتين عندما يقول عزّ وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾﴾، حيث تكررت هذه الوحدة المعجمية مرتين، ويحصل هذا أيضا مع سورتي البيّنة، والبلد وكذا سورة الطارق، ليصبح عدد السور أربعة في هذا التحوّل الدّلالي.

فالقدر «مصدر قدرت أقدر قدرا، والمراد به ما يمضيه الله من الأمور»[4]، وقد سميّت هذه الليلة بهذا الاسم، لأنّها ليلة تقدير الأمور والأحكام، وقيل هي ليلة العظمة والشرف، وقيل لأنّه نزل فيها كتاب ذو وقدر، على لسان ملك ذي قدر، على أمة لها قدر[5]؛ وهذا التكرار إنمّا جاء تعظيما لهذه الفاصلة التي وسم بها العنوان، وموقع هذه الليلة هو العشر الأواخر من شهر رمضان، واختلف المفسرون فيها، منهم من جعلها إما ليلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين

---

[1]-ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص124.

[2]-أبو حيان الأندلسي: المصدر السابق، ج8، ص502.

[3]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص266.

[4]-الرازي، فخر الدين (ت604هـ): التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج32، ص28.

[5]-ينظر: المصدر نفسه، ج32، ص28.

أو تسع وعشرين[1].

أمّا عن سورة البيّنة، فقد تكرّر العنوان مرتين، والبيّنة هي الحجّة الظاهرة التي يتميّز بها الحق عن الباطل، وقد فسرت هذه الكلمة للدلالة على الرسول ﷺ، لأنّ ذاته كانت بيّنة على نبوّته، وهناك من أقرّ بأنّها لفظ يطلق على كل الرسل الذين جاءوا برسالة دينية من المولى عز وجل، وقد تكون بمعنى القرآن[2]، «فالنبي ﷺ حجّة وبيّنة، وإقامة الشهادة العادلة بيّنة، وكل برهان ودلالة فهو بيّنة»[3].

إنّ هذه الدلالات على الرّغم من تباينها، تصبّ في مجال واحد هو التفرقة بيّن الباطل والحق، وقد تم تكرارها لتعظيم قدر القرآن الكريم، وتعظيم الرسول ﷺ الذي أنزل إليه، وإلى كل الرسل الذين جاءوا قبله.

ويقسم المولى عز وجل في سورة البلد بهذا (البلد) الذي جاء عنوانا مكانيا لمكة المكرمة.

ثالثا: المبادلة الاشتقاقية بين العنوان والفاصلة:

خروجا من حدود التكرار الذي تحدثنا عنه في المجالات السابقة، نجد بعض النماذج القرآنية تخرج عن مجال التكرار الجزئي أو ما يسمى بالاشتقاقي، «إذ تتكرر مادة معينة بأشكال مختلفة»[4]، ويشير "دريسلر" إلى أن هذا النوع من التكرار «يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر»[5].

هذا ما يؤدي إلى تماسك النص في الخطاب القرآني، حيث رصدت الدراسة

---

[1]–الطّوسي: المصدر السابق، ج10، ص385.

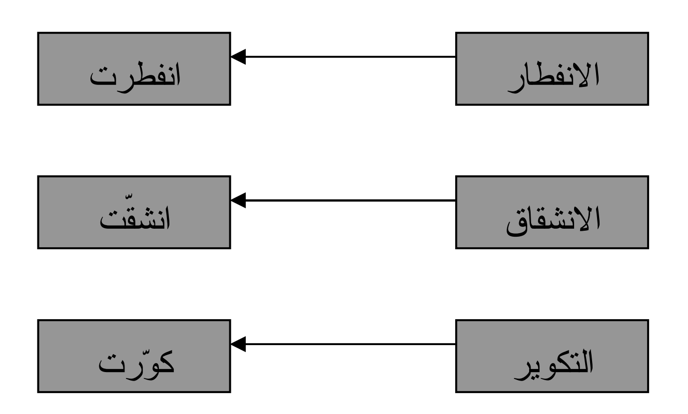
[2]–الفخر الرّازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج32، ص41-42.

[3]–الطوسي: المصدر السابق، ج10، ص389.

[4]–البطّاشي، خليل بن ياسر: التّرابط النّصي في ضوء التحليل اللّساني للخطاب، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص201.

[5]–دي بوجراند: النّص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص306.

تكرارا للعناوين بصيغة اشتقاقية مختلفة، مع الحفاظ على الأصل الاشتقاقي؛ من ذلك سور هي (الانفطار، الانشقاق، التكوير)، حيث ينتقل بنا السياق القرآني من العنوان باعتباره صنيعة مصدرية، إلى الفعل في خواتيم الآيات، مما يحافظ على العلاقات القوية بين العناوين والفواصل القرآنية نوضحها في الخطاطة الآتية:



<u>الخطاطة رقم26: التشابه الاشتقاقي بين العنوان والفاصلة</u>

نستنتج من خلال هذه الخطاطة النّقاط الآتية:

-التكرار الوارد هو تكرار اشتقاقي، انتقلت فيه الكلمة من الصيغة المصدرية في (الانفطار، الانشقاق، التكوير) إلى صيغة فعلية ماضوية، اثنتان منها جاءتا على صيغة المبني للمعلوم، وصيغة واحدة دلت على المبنى للمجهول وهي متتالية كالآتي (انفطرت، انشقت، كوّرت).

رابعا: الاتّصال الدلالي بين العنوان والفاصلة:

جاءت عناوين بعض السور القرآنية بفواصلها، ولكن هذا ليس من ناحية تكرارها الشكلي والمضموني على السواء، أو من خلال تكرارها الاشتقاقي فقط، بل تعدتهما إلى الاتصال الدّلالي، حيث ترتبط العتبة العنوانية بفواصل قرآنية تدلّل على وجود العنوان وتحيل إليه.

من الأمثلة في هذا النّمط ارتباط سورة (الواقعة) التي تصوّر أهوال يوم القيامة ببعض الفواصل القرآنية الفعلية، التي تنسج تفاصيل ما يحدث من عذاب، في هذا الصّدد نجد الفصل (يُنزِفُون) الذي يؤشر على أنّ هذا الشراب لا ينفد ولا ينقطع وأنّهم لا يسكرون عنه، وهذا في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا ﴾جاء في لسان العرب (المنزوف) السكران، أي المنزوع العقل، وقد نزف[1].

فكلمة نزف تحمل معنيين «فإنّ معنى (أنزف يُنزف) نفد شرابه، ومعناه أيضا: ذهب عقله وسكر»[2]، وهذا المعنى الثاني هو سياق الآية الكريمة وهو المعنى نفسه الوارد في سورة الصّافات، إذ يقول عز وجل: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[3].

فعظمة هذا اليوم الذي يمثل النفخة في الصّور يتطلب أن تتحد به أفعال للدلالة على عظم شأنه مثلها مثل: القيامة، والصّافة، والطّامة، والأزفة[4]، فهي جميعا مدعاة للدهشة والاستغراب والتوتر والسكر، إنها كناية عن الغيبوبة التي تصيب النّاس في هذا اليوم المتميّز بأهواله وغرائبه وعجائبه.

إذا انتقل بنا المقام إلى سورة "العصر" سنجد أيضا علاقة دلالية بين عنوان هذه السورة والفواصل الواردة فيها، وهذه وسيلة نصّية لتحقيق الانسجام بين داخل النّص وخارجه.

---

[1]–ابن منظور: المصدر السابق، ص

[2]–سامح القليني: المرجع السابق، ص161.

[3]– سورة الصّافات، الآية: 47.

[4]–ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج27، ص96. وزاد المسير، المصدر السابق، ج8، ص130. البحر المحيط، المصدر السابق، ج8، ص202.

سورة العصر من السور المكّية القصار، تتكوّن من ثلاث آيات جاءت فواصلها متتالية (العصر، خسر، الصّبر)، قال عنها ابن عباس في تفسير لفظة العصر الواردة في الآية الأولى «هو الدّهر يقال فيه عصر وعصر وعصر، أقسم به تعالى، لما في مروره من أصناف العجائب»[1]، كما فسّرت اللفظة بالدلالات الآتية[2]:

*الدّهر.

*وقت الأصيل إلى غروب الشمس عصرا (بعد الزّوال إلى الغروب).

*البكرة.

*صلاة العصر –الصلاة الوسطى.

يمكننا تصنيف هذه الوحدات الدلالية الدالة على لفظة (عصر) إلى تصنيف زمني يرتبط بتحديد وقت وقوع هذه الكلمة، أو تصنيفا أخرويا يرتبط بدلالته على الدّهر، والسؤال المطروح هو هل توجد علاقة دلالية بين عنوان السورة وهذه الفواصل المدرجة؟

دلاليا تتقارب هذه الفواصل القرآنية مع مضمون لفظة (العصر)؛ حيث إن هذه الكلمة انتقلت من معناها اللّغوي الأصلي، وهو الضّغط لاستخلاص العصارة وظّفته العرب للدلالة على عصارة العنب، ثم «استعمل العصر مجازيا في الحبس ملحظ من الضّغط»[3]، ومنه فقد سمّي الدّهر عصرا لأنّ الإنسان يستخلص عصارة حكمه بالضّغط والتجربة والمعاناة.

أما كلمة (خُسْر)، فقد جاءت من الخسران كالكفر والكفران، قرأت بضم السين عن عاصم، وقرئت بإسكانها عند الجمهور[4]، مشتقة من خسر بمعنى: ضلّ[5]. يقول

---

[1]–أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص507.

[2]–ينظر: الشنقيطي: المرجع السابق، ص208. ينظر أيضا: أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص507.

[3]–عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق، ج1، ص75.

[4]–أبو حيان: المصدر السابق، ج8، ص508.

[5]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص67.

عز وجل في محكم تنزيله: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾[1].

جاءت لفظة (خُسْر) نكرة، وهذا «لأنّ التنكير يفيد التهويل تارة والتحفير أخرى»[2]، وقد جاء في سياق الآية بمعنى الضلالة والهلاك، فالكافر يهلك لأنّه يترك لنفسه الحرية في ارتكاب المعاصي، أما المؤمن فيحبس نفسه عنها ويفتح الباب على مصراعيه على سعادة أبدية هي ربح الدّنيا والآخرة.

من هنا تأكّدت دلالة حبس النّفس عن المعاصي، وهذا يمتد بصلة إلى دلالة لفظة (العصر)؛ لأنّ الخسر هو تضييع رأس مال المرء، ورأس ماله هو عمره، وهو قلّما ينفك عن تضييع عمره، لأنّه يتجه نحو الملذات، وينسى دروب الآخرة، وذلك لأنّ كل ساعة تمرّ بالإنسان إما أن تكون في سبيل الخير، وإما أن تكون مصروفة إلى المعصية؛ فإنّ كانت مصروفة إلى المعصية فالخسران هو نتيجتها، وينسحب هذا أيضا على شغلها بالمُباحات لأنّ الخسران أيضا حاصل في هذه الحالة، وبالتالي فإنّ الخسر مرتبط بعمر الإنسان وعمره مرتبط بالدّهر، والدّهر مرتبط بالعصر؛ إنها العلاقة الجدلية التي تتعانق فيها دلالات هذه الفواصل القرآنية لتنتقل من رتبة إلى رتبة حتى الوصول إلى القمّة والقمّة هي العصر.

لا يمكننا بعد هذا التحليل أن نفسّر كلمة (الصبر) الواقعة فاصلة في الآية الأخيرة، بمعزل عن الفاصلتين السابقتين، لأنّ فيها من دلالتهما ما يجعل الرّبط قويا فيما بينها، والصّبر فسر بأنّه: «حبس النّفس عما تنازع إليه من الأمر حتى يكون الدّاعي إلى الفعل»[3]، أو هو«حبس النّفس على أحكام الله الشرعية، سلبا وإيجابا»[4]،

---

[1]– سورة النساء، الآية: 119.

[2]–الفخر الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج32، ص87.

[3]–الطوسي: تفسير التّبيان، المصدر السابق، ص405.

[4]–الشنقيطي: المرجع السابق، ص154.

ويقول تعالى في هذا المقام: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[1].

فالصبر من الأخلاق الحميدة التي تدفع صاحبها إلى برّ الأمان، فالتواصي بالصبر: «يدخل فيه حمل النّفس على مشقّة التّكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم إذ الإقدام على المكروه، والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد»[2].

هذه المشقّة هي القاسم المشترك بين هذه الفواصل، وكلها تتعانق لتحقيق البناء الدلالي الكلّي للسورة، حيث يكون (العصر) هو محورها، والخسر والصبر جانباها، فالإنسان يعيش هذا الزّمن اللاّمنتهي، وهو في رحلته تلك قد يصبر ويحبس نفسه فتكون الخاتمة طيّبة، وقد يتركها للهوى فيخسر الخسران المبين، فهو مخيّر بين طريقين: طريق الصابرين وطريق الخاسرين، ورأى الطّاهر بن عاشور أن «الخسر متفاوت فأعظمه وخالده الخسر المنجّر عن انتفاء الإيمان بوحدانية الله وصدق الرسول ﷺ، ودون ذلك تكون مراتب الخسر متفاوتة بحسب كثرة الأعمال السيئة ظاهرها وباطنها»[3]، فسوء العاقبة هي العذاب لكل متجبّر خرج عن حدود التوحيد.

وفي سورة الأنعام يتعانق عنوان السورة بمضامين فواصلها، "فالعنوان" "الأنعام" قام بوظيفة الإعلان عن النّص من خلال ذلك التواتر للفواصل التي تدور، إما في فلك شكر النعمة أو فلك نكرانها، فهذه السورة لم تعرف إلاّ هذا العنوان وهي السورة التي ضمت كل قواعد التّوحيد، وعليه جاءت فواصلها موجّهة للمنكرين الذين شككوا فيخلق الله عز وجل، وحاولوا نفي قدرته الخارقة، وتجاوزهم للحدّ بالافتراء عليه، لهذا السبب جاءت الفواصل فعلية في الرّد عليهم ونمثل لذلك ببعض النماذج:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[4]، جاءت هذه الآية في سياق التوبيخ لمن أنكر إعادة الخلق، وقدرة المولى

---

[1]– سورة المؤمنون: الآية 111.

[2]–الفخر الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج32، ص89.

[3]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص531.

[4]– سورة الأنعام، الآية: 2.

عز وجل على الإحياء والامتراء هو «الشكّ والتردد في الأمر، وهو بوزن الافتعال، فتشق من المِرتة –بكسر الميم– اسم للسك، ولم يرد فعله إلاّ بزيادة التاء، ولم يسمع له فعل مجرّد»[1]، وقد جاءت هذه الصفة موجهة للكافرين في صيغة فعلية، كما نجد ذلك في آيات أخرى من السورة نفسها من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَاهُم مُّبۡلِسُونَ ﴾[2]. فكلمة مبلسون وقعت فاصلة اسمية بصيغة اسم الفاعل للدلالة على عدم قدرتهم على الرّد وتقديم جواب شاف كاف لمن يسألهم، «والملبس: اليائس المنقطع رجاؤه. ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجّته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس...» [3]. وهذا من فرط تشكيكهم للقدرة الإلهية، وكذلك نجد القرآن الكريم ينعت هؤلاء الكافرين بالكذب في قوله تعالى: ﴿ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [4].

ويستمر الخطاب القرآني في تعداد المخلوقات من سلالات كثيرة، وألوان وأشكال، وفي كل مرّة تجيء الفاصلة لتأكيد هذا الخلق والإبداع ممّن آمن وفقه عظمة الخالق، من ذلك قوله تعالى:

-﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾[5].

-﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [6]

يرد الوصف ممتدّا من جهة أخرى في سورة التوبة؛ حيث يتعانق العنوان مع الفواصل القرآنية الواردة في هذه السورة من خلال تعدد الأوصاف بين الصفات السلبية والصفات الإيجابية، وكلما كشفت الفاصلة عن ملمح إيجابي، كلما اقترنت بالتوبة، وكلما سارت في الخطّ السلبي كلما تناءت عنها.

---

[1]–ابن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص132.

[2]– سورة الأنعام، الآية: 44.

[3]–الفراء (ت207)، أبو زكريا يحي بن زياد: معاني القرآن، تح: فاتن محمّد خليل اللّبون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، لبنان، 2003، ط1، ج1، ص244.

[4]– سورة الأنعام، الآية: 114.

[5]– سورة الأنعام، الآية: 98.

[6]– سورة الأنعام، الآية: 99.

إذا وقفنا عند هذين الضّدين سنلمس اتجاهين متعاكسين، اتجاه ضمّ قائمة بالفواصل الدّالة على الصفات السلبية، وقائمة أخرى تخص الصّفات الإيجابية، وقد أحصيناها في الجدول الآتي:

الجدول رقم (42): علاقة العنوان بالفاصلة الوصفية

الصفات السلبية	الآيات	الصفات الإيجابية	الآيات
المشركون	1-33	المتّقين	4، 7، 36، 44، 132
الكافرون	2،26، 37، 49، 55، 125	مؤمنين	13، 14، 51، 62
الفاسقون	8، 24، 53، 67، 80	مهتدين	18
المعتدون	10	المطّهرين	108
الظالمون	23، 19، 47، 107	المفلحون	88
صاغرون	29	الصادقين	119
كاذبون	42، 43، 107	المحسنين	128
قاعدين	46، 86	الفائزون	20
مجرمين	66	صالحين	75
متربصون	52		
خالفين	83		
فرحون	68		
معرضون	83		

من خلال هذا الجدول يمكننا تصفح ذلك التواتر المتزايد للصفات السلبية، وبعكسه نجد تواترا متناقصا للصفات الإيجابية، حيث تمّ إحصاء ثلاثين فاصلة من النّوع الأول، وستّ عشرة صفة من الصّنف الثاني، وهذا لأنّ الفئات الإنسانية المعنية بالتوبة أقل عددا من تلك التي لن يتوب الله عليها، وشملت الحلقة الإيجابية العناصر الآتية: (التّقوى، الإيمان، الهداية، التطهّر، الفلاح، الصّدق، الإحسان، الصلح، الفوز)، بينما شملت الحلقة السلبية الصفات الآتية: (الشرك، الكفر، الفسق، الاعتداء، الظلم، الإدبار، الصّغر، الكذب، القعود، الإجرام، التربّص، الخلوف، الفرح، الإعراض).

إنّ لوحة التشكيل الدّلالي للصّفات السلبية يدعونا لتأمل بعض الفواصل الواردة في سورة التّوبة، وقد اخترنا منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في الآيات: (19، 24، 37) على التوالي:

-﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾[1].

-﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾[2].

-﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾[3].

الناظر لدلالات هذه الفواصل القرآنية يجدها متغايرة متباينة متنّوعة، رغم انسجامها الإيقاعي، ورغم التشابه الذي ألفيناه من حيث تركيب الآيات الكريمات؛ حيث دلّت جميعها على نفي ونكران الهداية من المولى عز وجل هؤلاء الأقوام الذين يتمايزون، فهذه الفواصل الثلاث «تتناظر في الهيئة والصيغة والوزن والرّوي غير أنّ كلاًّ من (الظالمين، الفاسقين، الكافرين) على الرغم من انتمائها إلى حقل دلالي واحد هو حقل الأوصاف السلبية، إلاّ أنّ كل واحدة منها لا تقبل أن تتبدّل بالأخرى وأن تتعاور موقعها معها اقتضاء للسياق والمقصد الكلامي»[4].

فالظلم يأتي بمعنى الكفر، وقد تأتي بدلالات أخرى[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾[6]، فهنا جاءت بمعنى الكفر، وقد تأتي بمعنى الجور أو النّقص كما في قوله تعالى: ﴿ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾[7]، أما كلمة الفسق في

---

(1)– سورة البقرة، الآية: 258.

(2)– سورة المائدة، الآية: 108.

(3)– سورة البقرة، الآية:264.

(4)–فخرية غريب قادر: تجليات الدّلالات الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللّسانيات المعاصرة، سورة التوبة التوبة أنموذجا، عالم الكتب، إربد، 2011، ص88.

(5)–القليبي، موسى بن محمّد بن موسى بن يوسف: معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها المسمّى التّحفة القلبية في حلّ الألفاظ القرآنية، تح: محمد محمد داود، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002، ط1، ص158.

(6)– سورة الكهف، الآية: 35.

(7)– سورة الكهف، الآية: 33.

الآية الثانية فهي بمعنى الخروج عن الطّاعة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾[1].

إنّ هذه الفواصل تنتقل بنا من صفة سلبية إلى صفة سلبية أخرى عبر خيط العقاب، وهذا تلبية لدواعي مقامية وسياقية، فالكافرون هم المشركون الذين يحلّون القتال في الأشهر الحرم، ويحرّمون في الأشهر الحلّ، فحرموا من التّوبة، أما الفاسقون فهم القاعدون عن الجهاد بإيثارهم للدّنيا عن الآخرة، وأما الظالمون فهم المشركون الذين يطمعون في الثواب عن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وهم عابدون لآلهتهم فحرمت عليهم التوبة كما حدث مع الصّنفين السابقين.

ويستمر بنا سياق عدم التوبة مع أفعال مضارعة استمرارية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[2]، جاءت الفاصلة (يفرقون) بمعنى الخوف الشديد الذي يفرّق الشّمل ويشتّته[3]، فالفعل جاء بمعنى «تصور حالة الذعر والخوف الشّديد المفرّق للهموم والملجأ الإنسان للكذب»[4].

أما لفظة (جمع) بمعنى الإسراع فقد وردت في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [5]، حيث «تصوّر بجرس أصواتها مشهد المنافق الخائف الذي سلبه ذعره تماسكه، والذي يتمنّى أن يجد الملاذ الآمن ليلج إليه مسرعا..» [6].

أمّا مقام الصّفات الإيجابية فهو ضيّق إذا ما قورن بالصّفات السلبية، ويحتاج إلى إمعان النّظر في دالته على التوبة، ونمثّل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 282.

[2]– سورة التوبة، الآية: 56.

[3]–البقاعي: المصدر السابق، ج3، ص334.

[4]–تمام حسان: البيان في روائع القرآن، المصدر السابق، ج1، ص197.

[5]–سورة الهمزة، الآية: 2.

[6]–فخرية غريب قادر: المرجع السابق، ص35.

ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]، فقد ارتبطت الفاصلة القرآنية (المطهرين) بمحبّة المولى عزّ جل ورضاه، وهذه الكلمة مصدرها الطّهارة بمعنى «النظافة والخلوص من الأدناس»[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [3]، وأصل (المطّهر) المتطّهر «ونلحظ أنّ اللفظة متمكّنة في موقعها، وتدل وفق مبدأ المساترة والخفاء (إحدى آليات الإدغام)، على حرص المؤمنين على تطهير بواطنهم وتخليصها من الشّرك، فمن طهارة القلب تنبثق طهارة البدن، لذا ابتعدوا عن الرّياء وحبّ الإعلان والظّهور»[4]. فهذا التّشديد هو صورة من صور الدلالة على تكرار جهدهم، وبذلهم لأقصى ما يمتلكون من اجتهاد قصد بلوغ مرامهم وهو تحقيق التوبة ل محالة.

ويسير بنا الخطاب القرآني نحو سورة (النّعم) وهي سورة (النحل)، حيث يم تصوير هذه المخلوقات ووظائفها من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[5].

فكلمة (الشاربين) تتصل دلاليا مع (العسل) ومع كلمة (النّحل) التي تؤتي العسل، على الرغم من أنّ دلالة الآية تقصد إلى السقيا من اللّبن، وفي كلا الحالتين تدور الآيات حول واسع عطاء الله وفضله، وتعدد هذا العطاء وتنوع منابته ومنابعه، ودقة وإحكام صنعه عز وجل.

يشكل امتداد البنية الشكلية والمعنوية للعناوين في الخطاب القرآني إحدى أهم الأسس لتحقيق نصيّة النّص، حيث يجعل القارئ أو المتلقّي أشدّ تفاعلا وتقبّلا للمضامين الفاصلية في الخطاب القرآني، من خلال السلاسل اللغوية المتشابهة أو المتقاربة دلاليا المختلفة في بنيتها التركيبية.

---

[1]– سورة التوبة: الآية 108.

[2]–القليبي: المصدر السابق، ص156.

[3]– سورة المدّثر، الآية: 04.

[4]–فخرية غريب قادر: المرجع السابق، ص99.

[5]– سورة النحل، الآية: 66.

نمثل لهذا النّمط من العلاقات بسورة (الرحمن) التي كثر اتصالها بالفواصل القرآنية التي تنتمي إلى حقل الرحمة، حيث وصف سبحانه وتعالى في الكثير من الآيات بأنّه (رحمن رحيم)، لقد مّر معنا في مباحث سابقة دلالة المادة اللّغوية (رحم) واتصالها بالعطاء والإنعام بالنّعم على العباد، ونجد هذا في فاتحة هذه السورة إذ يقول عزّ وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥﴾[1]، إنّها رحلة الآلاء والمخلوقات التي سخّرها الله عز وجل للإنسان، وجعلها مبدأ لحياته ومنتهى لها.

وإذا كان هذا العنوان (الرحمن) يحيلنا على عظيم النّعم والفضائل، فإنّ الرّاغب الأصفهاني، وضح هذا المفهوم الرّباني وفرّق بيّنه وبين الرّحمة الإنسانية قائلا: «إن الرحمة منطوية على معنيين: الرّقة والإحسان فركز تعالى في طبائع النّاس السرقة، وتفرّد بالإحسان»[2]، لهذا نجد لكلمة الرحمان انتشارا واسعا، حيث وردت في القرآن (57) سبعا وخمسين مرة، منها اثنتان وخمسون مرة في آيات مكيّة، وخمس مرات في آيات مدنية، بينما نجد لفظ (الرحيم) أكثر انتشارا لوقوعه فاصلة، حيث ورد مائة وخمس عشرة مرة (115) [3]، وهذه نسبة عالية تحيلنا على الأهمية البالغة لهذا الاسم الرّبّاني.

نمثل لذلك بالآيات الآتية:

-﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4].

-﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾[5].

---

[1]- سورة الرحمن، الآيات: 1-5.

[2]-الأصفهاني: المفردات، المصدر السابق، ص191.

[3]-ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (رحم)، ص307-309.

[4]-سورة المائدة، الآية: 98.

[5]-سورة الأنعام، الآية: 165.

-﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1].

-﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

-﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

-﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

-﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

نلاحظ من خلال هذه النماذج أنّ المغفرة اتصلت بالرحمة، وهذا نظرا للتّقارب الدّلالي بين اللفظين، فكلاهما يرتبط سياقيا بالدلالة على العظمة، والاستكثار من العطاء؛ لأنّ الذي يغفر الذّنوب ويستر عباده إنّما هو ربٌّ رحمان رحيم، وعليه فقد كان التتابع بين الكلمتين يشكل الهيكل العام للفواصل القرآنية، التي تتسم بقبولها لعلاقات في شبكة التواصل النّصية مع الكلمات السابقة لها.

لقد خضعت الكلمتان (السابقة واللاحقة) –(المغفرة والرحمة) للتدرّج والتتابع الدّلاليين في المستوى التركيبي، كما خضعت لمقياس الاستدعاء الدّلالي من خلال ارتباطها بعنوان السورة (الرّحمن)، وهذه التكرارية في المادة اللّغوية وسيلة لتدعيم المعنى وتوكيده «والتكرار من العلاقات الدّلالية التي تظهر من خلال قضايا كبرى، فهو لا يكرّر قضية صغرى، بل إنّ القضايا الصّغرى لديه تتحوّل إلى كبرى عبر علاقات الاستقصاء والارتقاء الدلالي...» [6]، وهو ما حدث بالضّبط مع المتلقي الذي لا يجد مفارقة نصّية في الكشف عن المحاور الكبرى لبناء النّص القرآني، وعلاقاته بالعناوين التي تمثّل مركز هذا البناء، رغم هذه المسافات المتباينة بين الفواصل

---

[1]–سورة النساء:، الآية: 43.

[2]–سورة لأحزاب، الآية: 59.

[3]–سورة النساء، الآية: 100.

[4]–سورة الأنفال، الآية: 70.

[5]–ينظر: سورة المزمل، الآية: 20 والبقرة، الآية: 192.

[6]–حسام أحمد فرج: المرجع السابق، ص140.

المنتشرة في كلّ أرجاء الخطاب القرآني، وبين العنوان الوارد في الرّبع الأخير منه.

ويدّعم هذا الطّرح وقوفنا مع مثال آخر وهو سورة "التوبة"، حيث يستوقف قارئ هذا العنوان تكراريته من النّاحية الدلالية والشكلية على السواء في فواصل القرآن الكريم، ولكن قد تغيب هذه الصّيغة المصدرية وتعوّض بصيغ مبالغة، أو أسماء فاعلين تدور في فلك المادة اللّغوية نفسها.

فسّرت (التوبة) بمعنى الرّجوع عن الذّنب[1]، أو الرّجوع عن المعصية، وقد عدّد الفيروز آبادي دلالات التّوبة وحصرها في ثلاثة أوجه[2]، تبعا لقيدها الإعرابي، ناظرا إليها نظرة تركيبية كالآتي:

أولا: بمعنى التجاوز والعفو، وهذا مقيّد بعلى ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾[3].

ثانيا: بمعنى الرّجوع والإنابة، وهذا مقيّد بـــ"إلى": ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾[4].

ثالثا: بمعنى النّدامة على الزّلّة، وهذا غير مقيّد لا بـــ"إلى" ولا بـــ"على"، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾[5].

وربط أحد المحدثين (التوبة) بالثّواب، وفسّر ذلك بأنّ قبول التوبة يكون بوجهين: حيث فيها يثيب المولى عزّ وجل عباده الثّواب العظيم، وبها يغفر ذنوب عباده[6]، فهي مصدر للمغفرة والثّواب على السواء.

من النماذج القرآنية في هذا السيّاق قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ

(1)–ينظر: الجوهري: المصدر السابق، ج1، ص91.

(2)–ينظر: بصائر ذوي التّمييز، المصدر السابق، ج2، ص1308.

(3)–سورة التوبة، الآية: 15.

(4)–سورة البقرة، الآية: 54.

(5)–سورة التوبة، الآية: 03.

(6)–عماد عبد يحي: المرجع السابق، ص128.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [1]، فصيغة المبالغة (توّابا) في موقعها الفاصلي اتصلت بـــ(كان) المتجرّدة من الزّمن، وهذا لإسنادها للفظ الجلالة، فهي تدلّ على أمر إلهي متجدّد متحقّق به معنى التّقدير، و(كان) في هذا السياق بمعنى (ما زال) وهي تفيد معنى أزلية الصّفة، لأنّ الله أزليٌّ سرمدي[2]، يستمر بتوبته غير المنتهية في كل مكان وزمان إلى نهاية هذا العالم.

وندرج في هذا السياق مجموعة من الأمثلة للسور القرآنية، ينوّع فيها الأسلوب القرآني طرائق توسيع المعنى من خلال تلك العلاقة التي تكون بين عنوان السورة، والفاصلة التي تظهر مرّة واحدة في السورة نفسها، وعليه تتحقق نصيّة النّص من خلال الإحالة أو استدعاء عنصر متقدّم في الخطاب كله وهو العنوان عن طريق الفاصلة التي تختلف أماكن تموقعها في بداية السورة أو نهايتها، ولكنّها رغم ذلك تمثل عنصرا مهما في بناء النّص.

من السور القصار التي تكرر فيها العنوان بلفظه ومعناه في فواصل الذكر الحكيم منها: التكاثر، الحاقة، القارعة، الكوثر، الماعون، الكافرون، العصر، الفيل، قريش...) وسنحاول تحليل نماذج منها فقط، إنّ كلمة (الماعون) من الفواصل المختلفة فيها دلاليا، حيث يجئ لها بأكثر من تفسير واحد، فقيل زكاة الأموال، وقيل المال بلسان قريش، أو المعروف، قيل أيضا هو اسم جامع لمنافع البيت، أو هو الماء فقط، وقد يكون معه الكلأ فقط، أو معه الملح والنّار، كما فسّر خارج حدود هذه الأطعمة أو الأشربة بمعنى الطاعة والانقياد[3]، وقد أجمل ابن عبّاس معاني هذه الكلمة في قوله: «اختلف النّاس في ذلك [يمنعون الماعون] فمنهم من قال يمنعون الزّكاة، ومنهم من قال الطّاعة، ومنهم من قال يمنعون العارية»[4]، وقال الزمخشري (ت538هـ) «الماعون

---

[1]–سورة النّصر، الآية: 03.

[2]–العيداني: جلال الدّين يوسف: دلالة البنية الصّرفية في السورة القرآنية القصار، دار الرّاية، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص184.

[3]–مقبول علي بشير النّعمة: المرجع السابق، ص102.

[4]–ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص782.

الزكاة) [1]، وزاد عليها الفرّاء المعروف كلّه والماء[2].

ودلّت الكلمة على هذه المعاني أيضا وزيد عليها دلالتها على المطر[3]، والسرّ في هذا التّنوع الدّلالي أن له علاقة مباشرة باشتقاق الكلمة من المادة اللغوية (معنَ) الشيء معُونا الدّالة على جريان الماء جريانا سهلا، كما أنّ (المعين) صفة للماء أي جار، كما أن الكلمة من الأضداد بمعنى القلّة وبمعنى الكثرة، وقد يقال معن النّعمة أي كفرها.

تبعا لهذه السلسلة الدّلالية التي تميّز الكلمة يمكننا القول أنّ معناها يتّسع لكل شيء يمكن للإنسان أن يعطيه لمن تجب فيه الزكاة من جهة، ولمن تجب فيهم الصّدقة من جهة ثانية، فاتساع الكلمة دلاليا، وأهميتها في هذا السورة جعلها مبتدأ لها كعنوان وخاتمة لها كفاصلة ومن هنا تحقق الانسجام النّصي في هذا الخطاب.

أما في سورة (الكافرون) فقد تكرّرت الكلمة مرة واحدة فاصلة في الآية الأولى من هذه السورة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾فارتبطت سياقيا بالعنوان الذي يمثّل محورا مهما في بناء تفاصيل مضمون الآيات، وما يقدّمه النّص من معطيات حول الكفر، وهذا المصدر مشتق من «كفر كُفْرًا وكُفُورًا وكُفْرانًا: ضدّ آمن، وكفر بالخالق: نفاه وعطّله، وكفر كُفُورا وكُفْرانًا نعم الله وبنعم الله: جحدها وتناساها وذلك ضد الشّكر»[4].

والكافرون في هذه السورة كفرة مخصوصون قد علم الله أنّهم لا يؤمنون ولن يؤمنوا[5]، لهذا ارتبطت صيغة اسم الفاعل (الكافرون) بالشّرك وعدم الإيمان، وقد جيء بها في فاصلة الآية الأولى، لأنّ الآيات بعدها تفسّر هذه الكلمة من خلال ارتباطها

---

[1]–الزّمخشري: المصدر السابق، ج4، ص290.

[2]–ينظر: معاني القرآن، المصدر السابق، ج3، ص295.

[3]–ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، مادة (معن)، ص768.

[4]–المرجع نفسه، مادة (كفر)، ص690.

[5]–الزّمخشري: المصدر السابق، ج4، ص292.

بالعبادة، لتختتم بقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾،أي: «لكم شرككم ولي توحيدي»[1].

وخروجا عن حدود السورة نفسها تستوقفنا آيات كثيرة في كل الخطاب القرآني تنتهي بصيغة الجمع كما هي حال هذا العنوان، ولكن قد يكون هذا الجمع مرفوعا بالواو أو منصوبا أو مجرورا بحسب الموقع الإعرابي للكلمة، وهي جميعها قد وقفنا عندها في مبحث سابق[2]، تتصل دلاليا بهذه الكلمة، وقد ترد فاصلة أيضا، ولكن بصيغة المبالغة مثل (كفّارا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[3]، نلاحظ أن هذه الفاصلة في الآية الكريمة قد قرنت بصيغة الفاعل (فاجرا) وصفا ملازما للوصف السابق، وهي كلمة مشتقة من (فَجَرَ)، يقال فجَر فجورًا عن الحق بمعنى عدل[4]، وابتعد عن طريق الحقّ بالكذب والخداع والنّفاق والزّيف، وهذا يؤدي لا محالة إلى الكفر.

أيّد الزّركشي هذا الطرح في باب أسماه: «تسمية الشيء بما يؤول إليه» وفسّر الآية الكريمة بقوله: «صائرا إلى الفجور والكفر»[5]، وفي هذا شيء من النّبوءة بمستقبل العقيدة الإسلامية من حيث إنها ستسمر وسيضيء اسمها العالم أجمع عبر الأجيال القادمة، في حين أنّ مصير الدّيانات الأخرى الموت والانطفاء، رغم أنّ الظاهر يقول غير ذلك.

أما انتقالنا إلى سورة (الكوثر) يجدنا لا نبتعد عن سورة (الكافرون)، حيث تظهر لفظة الكوثر مرة واحد في الآية الأولى من السورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾، والكوثر جاءت على زنة (فوعل)، اشتقت من الكثرة نقيض القلّة[6]، يقال رجل (كيثرٌ) لمن كان

(1)–المصدر نفسه، ج4، ص239.

(2)–ينظر: المبحث الثاني من هذا البحث، البنية الصرفية للفواصل القرآنية التشكيل والدلالة، ص461 وما بعدها.

(3)– سورة نوح، الآية: 27.

(4)–المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص569.

(5)–الزركشي: المصدر السابق، ج2، ص278.

(6)–ينظر: الجوهري: المصدر السابق، ج2، ص802.

كثير الخير والمعطاء[1]، وقد فسّرت الكلمة بمعنى نهر في الجنّة، والمعنى خطاب موجه لرسول الله ﷺ أنه أعطي ما لا غاية لكثرته من خير الدّارين، الذي لم يعط أحد مثله.

وفي مقامات سياقية أخرى نجد العنوان (النصر) الذي ترتبط دلالاته بالفوز والنصر على الأعداء، ويتجسد هذا في خواتيم الآيات التي تنتهي بالنّاصرين أو الفائزين، من ذلك قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[2].

إن كلمة (النّصر) الواردة في هذا السياق تعمل بشكل إيجابي كبنية عليا، وكموجّه للعنوان الذي وسمت به هذه السورة وجسّدت دلالته الآية في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾[3]. فالله وحده من يهدي النصر والفتح، لأنّه هو المولى العزيز القدير، وقد فرق الزمخشري بين اللفظين في قوله: «النّصر الإغاثة والإظهار على العدوّ ومنه نصر الله الأرض أغاثها، والفتح البلاد، والمعنى: نصر رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكّة»[4].

---

[1]-المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص674.

[2]- سورة آل عمران: الآيتان 149-150.

[3]- سورة النّصر: الآية 01.

[4]-الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص294.

المبحث الثالث

بين الاعتراض والفاصلة

التّوافق والتّنافر

مدخل:

إنّ إبراز الجوانب الجمالية والفنّية في القرآن الكريم لا يتجلّى إلاّ من خلال رؤية نصيّة شاملة، وقفنا في المبحثين السابقين عن بعض تجلّياتها، وسنحال في هذا المبحث أن نقف عند متانة النّظم، وقوّة القرآن واتّساقه وفق ما سنكشف عنه من علاقات بين الجمل المعترضة والفواصل القرآنية.

أولا: الاعتراض والانتشار الدّلالي في الفواصل القرآنية:

نصبّ فكرة هذا العنصر في محور الانتشار الدّلالي للكلمة المفتاحية الواردة في الجملة المعترضة، ومدى اتّصالها، وهذا عن طريق العنصر الإيقاعي المحكم في تنغيمه الوارد في أواخر الآيات، وتلك العلاقة الشكلية الواردة، من حيث التلاقي في المادة المعجمية، وكذا التّلاقي في المضمون الدّلالي. ويمكن الوقوف في هذا مع مجموعة من الكلمات شكلت خيطا تواصليا بين الاعتراض والفواصل القرآنية.

1-المغفرة: عندما يقف الدّارس عند هذه المادة المعجمية، يجد في السور التي تتعانق مع هذا الدّال سورة (غافر) كما رأينا في المبحث السابق، أما هنا فسيتم تحليل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾حيث تدور الآية في رحى فكرة أنّ المغفرة بيد الله وحده، ولا يشاركه فيها أحد، واسترسلت هذه الفكرة في الكثير من الآيات القرآنية التي ذُيّلت بلفظ (غافر، أو غفور، أو غفّار)، والمادة اللغوية (غفر) تعني السّتر والتّغطية، يقال: «غَفَرَ الشّيب بالخضاب، غطّاه، وغفر الله له ذنبه يغفرهُ غَفْرًا»[1]، والغفّار والغفور صيغتا مبالغة من صفات الله تعالى، و(غافر) اسم فاعل.

جاءت فاصلة قرآنية بصيغة (فعول)، (غفور) بمعنى السّتر والعفو على المخطئين من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[2]،﴿ الْغَفُورُ ﴾[3]، بمعنى «السّتور

---

[1]-كامل محمد الجزّار: المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1، 2006م، ج1، ص752.

[2]-سورة المجادلة، الآية: 2.

[3]- سورة البروج، الآية: 85.

لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها»[1]، فيه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[2]، تتصل دلالة الجملة المعترضة السابقة اتصالا وثيقا بالمغفرة الربّانية المحصورة فيه، فهو يغفر ذنوب عباده ما مضى منها وما هو آت في المستقبل، فهو التائب عليهم، الراضي عنهم.

ولأنّ المغفرة والتوبة صنوان، فقد اتصلت بهما الرحمة في بعض المواضع من الذكر الحكيم ليتحقق الانتشار الدلالي من الجملة المعترضة نحو الفواصل القرآنية، يقول عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[3]، وقال في آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[4]،﴿ٱللَّهَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5].

أخذنا سورة النّساء كنموذج لهذا التواصل الدّلالي بين المغفرة والرّحمة؛ فمادامت الرّحمة تتصل بالرّقة والعطف والرأفة[6]، فإنّ المغفرة أيضا لا تبتعد عنها، فهي تغني التجاوز عما يقتضي مقصد الشريعة تحريمه من أخطاء العباد بمسامحتهم وفتح باب التوبة على مصراعيه لهم، فالرحمة في هذه الآيات جاءت امتدادا لدلالة المغفرة.

وهو شأن اتصال العفو بالمغفرة في آية عدم قرب الصلاة عند الشكر أو الجنب، وهي من أحكام الشريعة حيث ذكر التّيمم عند غياب الماء للوضوء، وهو من باب الإشفاق على الأمة المحمّدية، إذ يقول عزّ مقامة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا

---

[1]– محمد عتريس: المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006، ص634.

[2]– سورة النساء، الآية: 99.

[3]– سورة النساء، الآية: 64.

[4]– سورة النساء، الآية: 64. ينظر أيضا: الآية: 16.

[5]– سورة النساء، الآيات: 96- 99.

[6]– سورة النساء، الآية: 109. ينظر أيضا اختتام الفاصلة بـــ"غفورا رحيما" في النساء: 129، 23، 25.

فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [1].

لقد اقترن العفو بالمغفرة نظرا للتقارب الدلالي بينهما؛ فالعفوّ بناء للمبالغة بمعنى «الصّفح عن الذّنوب، وترك مجازاة المسيء»[2]، كما فسرها ابن الجوزي (ت596هـ)؛ فالمولى عزّ وجل يمحو لعباده أخطاءهم من خلال الصّفح عنهم، وهذا الصّفح هو المغفرة التي تدل على رحمة المولى عز وجل بعباده.

نلاحظ إذن كيف أنّ هذا الامتداد والانتشار الدلاليين ينتقل بنا من المغفرة في الآية المعترضة لينتشر في خواتيم الآيات، إما بالرحمة أو العفو، أو التوبة وجميعها تتصل بالمغفرة.

2-الهداية: يطلعنا الخطاب القرآني في مواقف أخرى بجملة اعتراضية تتحدث عن فكرة الهداية في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾[3]، هدى يهدي هدًى وهَدْيًا وهِداية: أرشده، وهو ضدُّ أضلهُ، يقال: «هداه الطّريق وهداه إلى الطّريق وللطّريق» أي بيّنه له وعرّفه به. وهداه الله إلى الإيمان وللإيمان: أرشده إليه»[4]، إلاّ أنّ هذا الإرشاد لا يوجّه لكل النّاس، إنّما لفئة مخصوصة، ولهذا نجد الخطاب القرآني نافيا هداية من لا يرغب بالاهتداء، كما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[5]، وهو خطاب موجّه لفئة المنافقين الذين يدّعون الإيمان ويبطلون الكفر.

ونرى في سياق قرآني آخر تجيء الفاصلة القرآنية فعلا مضارعا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[6]؛ فالهداية هنا بمعنى العودة إلى

---

[1]-سورة النساء، الآية: 42.

[2]- سورة النساء، الآية: 43.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 73.

[4]-المنجد في اللّغة والأعلام: مادة (هدي)، ص859.

[5]- سورة البقرة، الآية: 16.

[6]- سورة البقرة، الآية: 53.

الله، وقد تعني في مقام آخر الإرشاد إلى الطريق أو السبيل كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1]، ورغم هذا الاستثناء للكلمة الفاصلة التي دلّت على الإرشاد إلى السبيل، فإنها في أغلب السيّاقات تتحدّث عن الإرشاد إلى الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2]، والمعنيون بهذا الخطاب هم الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبخلاف هذه الفئة الخيّرة، نجد زمرة من البشر يقتلون أولادهم وحرّموا ما رزقهم الله وصفوا بمجانبة الهداية من ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[3]، ويقول عن الذين ساروا في سبيل الشيطان ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4].

إنّ العلاقة الجامعة بين الجملة المعترضة وهذه الفواصل القرآنية هو التتابع النّصي القائم على تكرار لفظة (الهدى) مرتين؛ فأما الهدى الأولى فتتسم بدلالتها على الإرشاد بصيغته العامة، أما (هدى) الثانية فقد خصّصت بالاهتداء إلى طريق الإيمان دون غيره من الطرق، وهو طريق الله؛ فعلى الرّغم من أن تكرار العنصر لم يخضع لتغيير دلالي ولا معجمي، إلاّ أنّه سار من مجال العموم إلى مجال الخصوص، وهذا فيه من البلاغة ما يجعل هذه الكلمة محورية في بناء الخطاب القرآني، وتبعا لذلك فإنّ التكرار إذا «طاقة وظيفية مهمة تتمثّل في الدّعم الدّلالي لمفردات محدّدة في النّص، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير ظاهرة للقارئ. وتكرار هذه المفردات بعينها دون غيرها يؤكد على أهميتها في بناء المعنى، كما يؤكد على محوريتها»[5].

---

(1)– سورة الأنبياء، الآية: 31.

(2)– سورة البقرة، الآية: 157.

(3)– سورة الأنعام، الآية: 140.

(4)– سورة الأعراف، الآية: 30.

(5)–حسام أحمد فرج: المرجع السابق، ص108.

لهذا عند تصفّح الفواصل القرآنية نجدها تتسع بالدلالات الدالة على الهداية أو التي تقترب منها، ويتجلّى هذا في ورود الفاصلتين (المهتدين، المرشدين)؛ وهذا لأنّ الهداية ترادف في بعض زواياها الإرشاد.

ذكر ابن فارس (ت395هـ) دلالتين لمادة (هدى) إذ يقول: «الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان [أحدهما] التقدّم للإرشاد، والآخر بعثة لطفٍ»[1]، والذي يهمنا في هذه الدراسة هو المعنى الأول الإرشاد، فنقول هديته الطريق بمعنى أرشدته إليه والمصدر هو الهُدى وهو خلاف الضلالة، وقد سميّت العصا (هادية) لأنّها تتقدّم ممسكها كأنها ترشده[2]، بينما الشطر الثاني من الدلالة من أهديتُ أهدي إهداء أي قدّمت هدية إلى ذي مودّة.

أما الرُّشد والرَّشد فهو خلاف الغيّ، أي الضلالة، وهذا ينسحب على المعنى الأول الذي أورده ابن فارس، حيث رأى أنّ «الرّاء والشين والدال أصل واحدٌ يدل على استقامة الطريق»[3]، والهداية والاستقامة هي الدلالة المباشرة التي تم استكشافها من خلال الفواصل القرآنية الواردة في خواتيم الآيات، ونمثل ببعض الآيات من سورة الكهف..

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[5]. وأيضا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[6]، قال له موسى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن

---

[1]–ابن فارس: مقاييس اللغة، المصدر السابق، ج6، ص42.

[2]–المصدر نفسه، ج6، ص42.

[3]–المصدر نفسه، ج2، ص398.

[4]–سورة الكهف، الآية: 10.

[5]–سورة الكهف، الآية: 17.

[6]–سورة الكهف،الآية: 24.

تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[1]، فعلى الرغم من الاختلاف في أبنية هذه الفواصل إلاّ أنّ دلالتها لا تبتعد عن معنى الهداية وطلبها.

فـ(رشدا) في سورة الكهف هي ضد الضلال؛ فسّرت بطريقتين عند الفخر الرّازي (ت604هـ)، فهي إما تعني هيّء لنا أمرًا ذا رشد حتى تكون بسببه راشدين مهتدين، أو أن يجعل الله عز وجل كلّ أمرهم رشدا[2]. أمّا (مرشدا) فتتصل بالمولى عز وجل فهي صفة له.

3-<u>القدرة</u>: جاءت الجملة المعترضة ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ ﴾[3]، اعتراضا في سورة الروم، وقد دلّت على فكرة محورية هي (القدرة)، اشتقت من «قدرة الله تعالى الشيء يقدّره، من باب ضرب ونصر: قضاه وحكم به، قدّره تقديرا»[4].

وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية مذيلة بهذا اللفظ تثبيتا لقدرة المولى عز وجل حكمته في سير الأمور، إذ يقول عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقۡدُورًا ﴾[5]، أي قضاء مقضيا به، قال الرازي (ت604هـ) «فالقضاء ما كان مقصودا في الأصل والقدر ما يكون تابعا له»[6]، فالمولى عز وجل قد قضى تزويج زينب رضي الله عنها بالرسول ﷺ ثم حقق ذلك، فهذا الأمر مقصود مراعى لا يمكن ردّه، فهو حاصل لا محالة.

وينتقل بنا مقام الخطاب إلى موقف آخر في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴾ [7]، [7]، جاءت هذه الآية الكريمة في حكاية خلق الإنسان من ماء مهين، ثم جعله في قرار مكين إلى قدر معلوم، ثم قدّر مراحل بقاء الإنسان في بطن أمّه إلى أن يجيء إلى هذا

---

[1]-سورة الكهف، الآية: 66.

[2]-ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج21، ص84.

[3]-سورة الروم، الآية: 4.

[4]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص258.

[5]-سورة الأحزاب، الآية: 38.

[6]-الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج25، ص214.

[7]-سورة المرسلات، الآية: 23.

العالم بعد الولادة، وذلك الوقت معلوم للمولى عز وجل، وسواء أقرأت (قدّرنا) بالتّشديد أو (قدرنا) بالتخفيف ففي كلا الحالتين ترتبط بالقدرة ومبلغ الشيء وكنهه ونهايته[1]، «وقدرة الله تعالى على خليقته: إيتاؤهم بالمبلغ الذي يشاؤه ويريده»[2]، ويقول في هذا السياق ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[3]، وأطلق على سورة بأكملها تسمية سورة (القدر)، وهو مصدر قدرت أقدر قدرا، يراد بها ما يمضيه الله من الأمور، لهذا قيل عن ليلة القدر بأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، وقيل ليلة العظمة والشرف[4].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (القدير، المقتدر)، تسمية له في خواتيم الآيات وهذا من باب القيمة الدلالية لهذا الاسم، الذي يرتبط حينا بالقدرة والمقدرة، ويرتبط بتقدير الأمور حينا آخر، كما يتجلى ذلك في قوله تعالى واصفا اللّقاء بين ماء السماء وماء الأرض: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[5]، إشارة إلى عظمة الطوفان، وأنّ الله عز وجل قد قدّر ذلك[6]، أو كقوله تعالى: ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[7]. ويمكننا ويمكننا إدراج هذه الآيات التي ضمنت صورة من صوره في الجدول الموالي:

---

(1)–ابن فارس: المرجع السابق، ج5، ص62.

(2)–المرجع نفسه، ج5، ص63.

(3)–سورة الفرقان، الآية: 2.

(4)–الفخر الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج32، ص28.

(5)–سورة القمر، الآية: 12.

(6)–ينظر: الفخر الرازي: المصدر نفسه، ج29، ص39.

(7)–سورة الإنسان، الآية: 16.

الجدول رقم (43): لفظة "قدير" فاصلة قرآنية

الفاصلة	الشاهد	السورة	الآية
قدير	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	البقرة	20
	﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	البقرة	105
	﴿ وَدَّ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	البقرة	109
	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	البقرة	148
	﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	البقرة	259
	﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	البقرة	284
	﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	آل عمران	26
	﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	آل عمران	29
	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	آل عمران	165
	﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	آل عمران	189
	﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾	النساء	149
	﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	المائدة	19
	﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	المائدة	40
	﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾	المائدة	120
	﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	الأنعام	17
	﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي	الأنفال	41

	ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾		
	﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	التوبة	39
	﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	التوبة	04
	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	النحل	77
	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الحج	6
	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	الحج	39
	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	النور	45

ثانيا: الاعتراض بالفاصلة المخالفة

1-الألوهية:

تتجلّى فكرة الألوهية في الجملة المعترضة "لا إله إلا هو" في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [1]، وهي كلمة مشتقة من أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَاهَةَ بمعنى يعبد عبادة والإله هو المعبود وهو المولى عز وجل[2].

جاءت جملة (لا إله إلا هو) للدلالة على أن الله واحد، لا نظير ولا شبيه له، وفي هذا السياق قال أبو حيان الأندلسي (745هـ): «توكيد لمعنى الوحدانية ونفي الإلاهية عن غيره، وهي جملة جاءت لنفي كل فرد من الآلهة، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك وتعالى»[3]، وهذا من باب الإقرار وتقديم الدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه[4]، كما نجد أنّ هذه الجملة قد أتبعت بـ[الحيّ القيّوم] وهذا تثبيتا للألوهية لأنّ «كلّ من كان حيّا قيّوما يمتنع أن يكون له ولد (...) لأنّه واجب الوجود لذاته، وكل ما سواه فإنّه ممكن لذاته محدث حصل تكوينه وتخليقه وإيجاده»[5].

ففكرة الألوهية ضد التّعدد، وضد التّشابه، إنها فكرة العبادة، عبادة الله دون غيره، لهذا نجد الارتباط وثيقا بين هذا المضمون وبين خواتيم بعض السور القرآنية، وسنكتفي هنا بتحليل فواصل سورة (الكافرون) على سبيل المثال لا الحصر؛ لأنّ فواصلها تنتهي بلفظ العبادة.

يقول عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[6]،

---

[1]-سورة آل عمران، الآية :02.

[2]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص16.

[3]-أبو حيان: المصدر السابق، ج1، ص637.

[4]-الألوسي: المصدر السابق، ج3، ص74.

[5]-الفخر الرّازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج7، ص168.

[1]، إننّا من خلال مجرى الآيات الكريمات نخرج من حدود التوحيد في الآية المعترضة إلى النقيض وهو الكفر؛ والكفر صفة شنيعة تطلق على من خالف فكرة التوحيد، إنّه خطاب موجّه لبعض النّاس أو الأقوام المخصوصين الذين قالوا نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة، وهنا يبدأ الصّراع بين التّوحيد والشرك؛ إنّ التّوحيد منهج، والشّرك منهج آخر، لا يلتقيان؛ فالتوحيد «منهج يتجه بالإنسان -مع الوجود كله- إلى الله وحده لا شريك له، ويحدّد الجهة التي يتلقّى منها الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمة وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوّراته كلّها عن الحياة وعن الوجود»[2]، أما الشرك فهو جعل هذا العالم ملكا لأكثر من خالق فتتعدد العقائد والشرائع والآداب والأخلاق، فتضيع البشرية بين أنياب التّشتت وعدم الاستقرار في كل مناحي الحياة.

نلاحظ من خلال هذا الخطاب الموجّه للرسول ﷺ، تكرارية الفعل (عبد) فاصلة ولكن بصيغ مختلفة، فوردت ثلاث مرات للزّمن الاستقبالي في (تعبدون، أعبد، أعبد) وللزّمن الماضي (عبدتم)، ففي الفاصلة الأولى في الآية الكريمة (لا أعبد ما تعبدون)، هو نفي للعبادة في المستقبل للطّرفين؛ فلا المشركون سيعبدون الله، ولا الرسول ﷺ سيعبد آلهتهم وهذا فيه من الزّمن المطلق ما يجعل النّفي محققا لا محالة، فهي نظرة استشرافية للمستقبل مع الحال.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾فهي نفي للحال ثم الاستقبال عكس الأولى، وهي المراد منها الصّفة «كأنّه قال لاَ أعبد الباطل وأنتم لا تعبدون الحق»[3]، ثم يتكرر الفعل أعبد بصيغة أخرى «ولا أنا عابد ما عبدتم»، وهي صيغة اسم الفاعل، حيث انتقلت الكلمة ببنائها من وضع السكون في المعجم إلى وضع الحركة الذي يجسّده الامتداد الزّمني نحو المستقبل، مع وجوب حضور فاعل يقوم بالفعل (العباد)، فالفاعل هو (أنا) الرسول ﷺ الذي يؤّكد نفي هذه العبادة الضالّة، وعدم رغبته المطلقة في استبدال عبادة المولى عزّ وجل بعبادة الأصنام أو شيء آخر.

---

[1]-سورة الكافرون، الآيات: 1-6.

[2]-سيّد قطب: في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط7، 1971، ج30، مج8، ص689.

[3]-الفخر الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج32، ص146.

ومن جهة ثانية جاءت الفاصلة (عبدتم) فعلا ماضيا، مضمنا للفاعل (أنتم) وهم قوم معلومون للرسول ﷺ لتزيد في بناء البعد الدلالي لهذا التّركيب، فهذا يقتضي أنها ليست معزولة عن الخطاب، بل هي جزء منه، استدعت دلالة النّفي المطلق التي سبقتها في جملة (ولا أنا عابد)؛ لأنّ السؤال سيكون: عابد ماذا؟ فتجيء الإجابة في جملة (ما عبدتم)؛ وعليه ليس بالإمكان قطع العلاقة بين الصيغة الأولى (عابد) والصّيغة الثانية (عبدتم) فهما متلازمان دلاليا، لا ينعزلان تركيبيا بمادتيهما الصّرفية والمعجمية على السواء.

إنّ فكرة المخالفة بين ما يعبده الرسول ﷺ وما يعبده الكافرون، هي محور هذه السورة القرآنية، وقد جسّدت الفواصل القرآنية فكرة الألوهية، أيّما تجسد عندما أعلنت عن هذا التحدّي في عبادة الله من النبي الكريم، فهو يعبد «إلها لا مثيل له ولا ندّ، وليس له ولد ولا صاحبة، ولا يحلُّ في جسم، ولا تدرك كنهه العقول، ولا تحويه الأمكنة، ولا تمرُّ به الأزمنة، ولا يتقرب إليه بالشفعاء، ولا تقدّم إليه الوسائل»[1]، وهنا يتجسّد لنا الاختلاف التّام في المعبود والاختلاف التام في العبادة، وهي صورة مركّبة تجسد فكرة الجملة المعترضة (لا إله إلا هو)، أي الألوهية المطلقة لله تعالى دون غيره.

وشرح الطاهر بن عاشور هذه الآية من منظور تركيبي، واعتبر العطف على الجملة السابقة ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[2] من باب التأكيد، كما أنّ افتتاح الجملة باسم الفاعل (عابد) وهو خبر (أنا) من باب الدلالة على الثبات، ويكون الخبر هنا كلا على الحال لنفي هذه العبادة، وأرجع سبب هذا الاختيار في المكوّنات اللغوية «لأنّ المقام يقتضي مزيد البيان، فأقتضى الاعتماد على دلالة المنطوق إطنابا في الكلام، لتأييسهم مما راودوه عليه ولمقابلة كلامهم المردود بمثله في إفادة الثبات»[3]، أما ورود الفعل الماضي في الفاصلة (عبدتم)، فهي دلالة على رسوخهم في عبادة غير الله منذ

---

[1]-المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1946م، ج30، ص255-256.

[2]-سورة الكافرون، الآيتان: 3، 5.

[3]-ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج30، ص582.

أجيال وأزمنة مضت، كما أنّ هذه الصّيغة فيها من دلالة التّنزيه ما يوحي ضمنيا إلى أنّ الرّسول ﷺ منزّه كلّيا عن عبادة ما يعبدون، لأنهم لم يضموه إليهم في سياق الخطاب.

وترتبط الألوهية بالإيمان من زاوية أخرى فجاءت الكثير من الآيات القرآنية منتهية بلفظ (المؤمنين،و المؤمنون)، وأصل الأمن طمأنينة النّفس وزوال الخوف[1]، وآمن إمّا أن يجيء متعدّيا بنفسه فيقال أمّنته، أي جعلت له الأمن، أو أن يكون غير متعدّ ومعناه صار ذا أمن.

وكلمة الإيمان ذات دلالتين، فهي اسم للشريعة التي جاء بها محمّد ﷺ يجسّده قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾[2]، بدلالة العموم، وقد تختص الكلمة كوصف لكلّ من دخل الإسلام مقرّا بالله، وبنبّوة رسوله ﷺ[3]، ونمثل لهذا ببعض الآيات القرآنية:

– ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾[4]، ويقول أيضا: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[5].

2–<u>الصدق:</u> مظهر آخر من مظاهر التواصل الدّلالي بين الفواصل القرآنية والجمل الاعتراضية، تجسّده الآية الكريمة المعترضة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾[6]، التي تدور حول فكرة رئيسية هي الصّدق، وهذه الحروف الثلاثة (ص، د، ق) تدلّ «على قوّة في الشيء قولا وغيره، من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمّي لقوته في نفسه،

[1]–الأصفهاني: المرجع السابق، ص ص51–52.

[2]– سورة المائدة، الآية :69.

[3]–الأصفهاني: المرجع نفسه، ص52.

[4]– سورة الأنعام، الآية: 154.

[5]– سورة الأعراف، الآية: 02.

[6]– سورة المائدة، الآية :41.

ولأنّ الكذب لا قوة له، هو باطل»[1]، وهذا من باب تشريف الصّادقين من الأنبياء والرّسل الذين تميّزوا بهذا الخلق، حيث يرفعهم حيثما كانوا، عكس الكافرين الذين طوّقهم الكذب ففقدوا مصداقية أقوالهم، وفي القرآن الكريم أكثر من إشارة على نعتهم بالكون، فقد تحدّاهم القرآن عندما عجزوا عن الإتيان بمثله قائلا: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

ويستمر الخطاب القرآني بتوزيع فكرة الصّدق وأهمتها، ورفض الكذب في الكثير من الفواصل القرآنية، سندرج بعض الأمثلة حولها، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

تسجّل الآية الكريمة مدى فرط هؤلاء الكافرين في الكذب على رسلهم من قبل، وكذلك افتراءهم الآن أمام الرسول ﷺ، فهم لم يصدّقوا من جاء قبله، ولن يصدّقوه هو، لأنّه «ظاهر في أن ما زعموه من العهد لهم بذلك كذب ومعاذير باطلة»[4]، وهي صورة واقعية تصف تلك المجابهة القوية؛ حيث تكشف عن كذبهم والتوائهم وإصرارهم على الكفر، وتبجحهم بعد ذلك وافترائهم على الله[5]، لهذا أعقب الخطاب القرآني هذا التطاول منهم بقوله: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾[6]، تسلية ومواساة للرسول ﷺ عمّا يلقاه من الكافرين.

وفي آية أخرى يتمّ تكذيب الكفّار أيضا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟

[1]– ابن فارس: المصدر السابق، ج3، ص339.

[2]– سورة الطور، الآية: 34.

[3]– سورة آل عمران، الآية :183.

[4]–الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج4، ص186.

[5]–ينظر: سيّد قطب: المرجع السابق، ج4، ص178.

[6]– سورة آل عمران، الآية: 184.

لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1]، إنّها صورة أخرى من صور التحدّي لأسطورة الكذب التي يتغنّى بها الكفّار، فطلب منهم إبعاد الموت بمعنى «ادرأوه عند حلوله، فإنّ لم يمت بالسيف مات بغيره أي: إن كنتم صادقين في أنّ سبب موت إخوانكم هو عصيان أمركم»[2].

تأسّست فكرة الصّدق إذن من خلال نفي الكذب الذي جيء به تثبيطا لمعنويات الرسول ﷺ لهذا نجد بعض السور القرآنية تنتهي بلفظ الكاذبين...

لقد جاء الفعل (صدق) بصيغة المبالغة (صدّيقا) في الجملة المعترضة السابقة، وهي تثبيت للرسل الذين يبلّغون الرسالة عن المولى عزّ وجلّ، وهي من جهة ثانية تحمل دلالة التكذيب للكافرين في الجهة النّقيضة، لهذا نلمس اختتاما بلفظ (كذّابا) المصدري في خواتيم الآيات القرآنية للدّلالة على نقيض الصّدق، أو (كاذبة) مصدر شبيه بالعافية والعاقبة[*].

يقول تعالى: ﴿ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[3]، أي ليس لها مردود ولا ردٌّ، وقال الزّجاج: أي ليس يردّها شيء[4]، فهي آتية لا محالة، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾[5]، [5]، فسّر الفراء (كذّابا) هنا أي لا يكذّب بعضهم بعضا[6]، ويقول تعالى في السورة نفسها ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾[7].

فالكذب إذن من خلال هذه الأمثلة صفة نقيضة (الصّدق) التي آتاها اللّه عز وجل

---

[1]– سورة آل عمران، الآية: 168.

[2]–الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج4، ص164.

[*] –قال الجوهري: أن كذّابا أحد مصادر المشدّد لأنّ مصدره قد يجيء على التفعيل مثل التكذيب، وعلى فعّال مثل: توصية.

[3]–سورة الواقعة، الآية: 02.

[4]–انظر: كامل محمّد الجزار: المرجع السابق، ج2، ص145.

[5]–سورة النبأ، الآية :35.

[6]–كامل محمد الجزار: المرجع نفسه، ج1، ص146.

[7]–سورة النبأ، الآية: 28.

عباده من الرسل والأنبياء والصالحين، جاء في التنزيل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾[1]، فـــ(الصّديق) هو الإنسان الذي يبالغ في الصدّق نقول: «رجل صدْقٌ: نقيض رجُل سوْء، ويقال: رجل صِدْقٍ وامرأة صِدْقٍ بكسر الصاد»[2]، وأشار الرّاغب إلى أنّ الصدق والكذب لا يكونان في القول إلاّ في الخبر دون غيره من أصناف الكلام[3].

ومن الآيات القرآنية التي اختتمت بلفظ (الصّدق) بصيغة المختلفة هو كالآتي:

ثالثا: التشابه اللفظي بين الفاصلة والاعتراض

1-التعذيب: من المعلوم أنّ البشر كثيرا ما يقعون في المعاصي، وهي خلاف الطاعة، حيث يترك هؤلاء الناس المأمورات ويتبعون المحضورات، فيخرجون بذلك عن طريق الصّواب، فيكون العذاب هو عقابهم المستحق، من هذا المنطلق جاءت الآية الكريمة ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾[4]، معترضة تعبيرا عن الأواصر القوية التي تربطها بفواصل الآيات القرآنية التي جسّدت هذه الفكرة وهي التّعذيب.

إن هذه الكلمة مشتقة من عذّبة تعذيبا أي عاقبه عقابا مؤلما[5]. تجسّدت في الكثير من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى:﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾[6]، وقوله أيضا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[7]، وأيضا: ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾[8]، ففي هذه الآيات وصف العذاب العذاب بالشدّة والألم، وهذا يرتبط من الناحية الدلالية مع (الذوق) في (فليند وقوة).

---

[1]-سورة الحديد، الآية: 19.

[2]-كامل محمد الجزار: المرجع السابق، ج1، ص570.

[3]-الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص280.

[4]-سورة ص، الآية :57.

[5]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص116.

[6]-سورة الفجر، 25 :الآية.

[7]-سورة الفتح، الآية: 17.

[8]-سورة الإسراء، الآية: 58.

ارتبط التذوّق بالعذاب من فرط الشدّة التي يعانيها المعذّب، لأنّه يقال عذّبه تعذيبا بمعنى «أكثر حبسه في العذاب»[1]، وجرى وصف العذاب كثيرا في القرآن الكريم وهو ليس مجالنا هنا، إنمّا ستكون وقفتنا مع الفواصل القرآنية التي جاءت بهذه الدّلالة مع صيغ اشتقاقية مختلفة من ذلك قوله تعالى في الآيات الكريمات:

-﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[2].

-﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[3].

-﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[4].

-﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[5].

يقال عذّبته تعذيبا بمعنى عاقبته والاسم العذاب، وأصله في كلام العرب الضرب، ثم استعمل في كل عقوبة مؤلمة، كما عبّر عن المشقة فقيل: السفر قطعة من العذاب.

فالقالب التعبيري لهذه الآيات يقف مع اسم المفعول المجموع، حيث يصبح العذاب ظاهرة محورية للتعبير عن المبالغة في الوعيد الموجّه لفئة كافرة أو ظالمة، كما تحمل عنصرا تحذيريا في سياق هذه الآيات، لأنّ انتظار العذاب هو أشد وطأة على المرء من عيشه وتمثله، لهذا نجد القرآن في أغلب المواطن لا يحدّد متى يكون هذا العذاب، ولكنّه حاصل لا محالة، ففي الآية الأولى يتحدّى الكفار نبيّهم بأنّ العذاب لن يصيبهم إلا أنّ المولى عز وجل أذاقهم هذا العذاب بإهلاكهم، إذ جسّدته الآية في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[6]، ويتحدونه بالمال والولد في

---

[1]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تح: مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة، ط1، 2009، ص415.

[2]-سورة الشعراء، الآية :138.

[3]-سورة سبأ، الآية :35.

[4]-سورة الصافات، الآيتان: 58-59.

[5]-سورة الشعراء، الآية: 213.

[6]- سورة الشعراء، الآية: 139.

الآية الثانية ويجيبهم بأنهم في العذاب محضرون وهكذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾[1].

2-التّسبيح: يمثل التسبيح مظهرا من مظاهر الإيمان بالله تعالى، نجده حاضرا بصيغ كثيرة في القرآن الكريم، ولعلّ أكثرها عمقا من ناحية دلالتها هي وصفه تعالى بقولنا (سبحانه)، وقد جاءت هذه الكلمة جملة اعتراضية في قوله تعال: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[2]، هي كلمة مشتقة من «السبح: المرُّ السريغ في الماء، وفي الهواء، يقال: سبحَ سبحًا وسباحة»[3]، ويقال: «سبّح الله وسبّح له تسبيحا: نزّهه عن جميع ما لا يليق به»[4]، وقد أشار الراغب الأصفهاني إلى أنّ التسبيح يكون عاما في كل العبادات قولا كان أو فعلا، أو نيّة[5]، فقد جاءت هذه المعاني في آيات متفرقات من الذّكر الحكي

أما كلمة (سبحانه) موضوعنا فهي مصدر نحو غفران، قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾[6]، وقوله أيضا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ﴾[7]، فهو علم للتسبيح [8]، منصوب على المصدر بمعنى التنزيه وهو المعنى نفسه الوارد في الجملة المعترضة، كما أنّه قد يأتي بمعنى التعجب الذي هو أحد معنيي التّسبيح، لأنّ من مجاز العرب القول سبحانه من كذا تعجبا منه[9]، وهاتين الدلالتين يمكن ظهورهما في قوله تعالى:

---

[1]- سورة سبأ، الآية: 38.

[2]- سورة النحل، الآية:57.

[3]-الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، المرجع السابق، ص288.

[4]-الشنقيطي: المرجع السابق، ص216.

[5]- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص288.

[6]-سورة الروم، الآية :17.

[7]-سورة البقرة، الآية: 32.

[8]-زكريا الأنصاري (ت 926هــ): إعراب القرآن العظيم، تح: موسى على موسى مسعود، دار النشر للجامعات، د.ط، 2010، ص293.

[9]-عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام: فوائد في مشكل القرآن (ت660هــ)، تح: سيد رضوان علي (الندوي)، دار الهلال، بيروت، لبنان، دار الشروق، جدة، 2008، ص157.

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾، وفسّر الطبري (ت310هـ) هذه الآية الكريمة في مفتتح الإسراء بقوله: «تنزيها للّذي أسرى بعبده وتبرئة له ممّا يقول فيه المشركون، من أنّ له من خلقه شريكا، وأنّ له صاحبة وولدا، وعلّوا له وتعظيما عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ اقوالهم»[1].

ونظرا لأهميّة هذا التنزيه والتعظيم تنتشر هذه الكلمة في بعض المواقف القرآنية مختتما في نهاية الآيات، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[2]، حيث فسّرت (المسبّحين) بمعنى المصلّين، وتسبّحون بمعنى تعبدون، حيث ارتبطت دلالة كل منهما بالعبادة، فالكلمة التي جاءت على صيغة اسم الفاعل عبّرت عن الصلاة وهي جزء من العبادة، بينما تفردّت الكلمة تسبّحون بصيغة الفعل بالدلالة على مطلق العبادة[3].

3-التّكذيب:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [4]، جاءت هذه الآية الكريمة معترضة مرّتين في سورة الرحمن، هذه السورة التي صوّرت لنا طرفي نفيض الجنّة بنعيمها، والنّار بمكارمها محدّدة ذلك التّقابل النّصي بين هذين المجالين، وصفها أحد الدّارسين بقوله أنها: «لغة تنتمي إلى عالم الوجدان –ابتداء- فتثير مشاعر المتلقّي وتهيجها من مرابضها، ثم تتحرّك في تدرّج عقلي بديع لتخاطبه في أسلوب تقابلي بزجره مرّة بصورة مرعبة بجهنّم وأهلها، ويرغبه مرّة أخرى في نعيم الجنّة الذي لا ينفذ»[5].

تتعانق الصورتان في تشكيل تركيبي بديع إلى أن يأتي السياق القرآني بهذا

---

(1)-الطّبري: المصدر السابق، ج15، ص5.

(2)-سورة الصافات، الآية:143.

(3)-سورة القلم، الآية: 28.

(4)-سورة الرحمن، الآية: 13.

(5)-حسين جمعة: التّقابل الجمالي في النّص القرآني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، ط1، 2005، ص114.

الاعتراض بين ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[1]، ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾[2]، وكأنّه قيل «لكلّ خائفين منكما جنّتان: جنّة للخائف الإنسي، وجنّة للخائف الجنّي، ويجوز أن يقال: جنّة لفعل الطاعات، وجنّة لترك المعاصي لأنّ التكليف دائر عليهما»[3].

فالآية الأولى تتحدّث عن الإنسان الذي يذنب ذنبا فيذكر مقام ربّه، فيتركه مخافة عقابه، وقيل أنّ «المؤمنين خافوا ذلكم المقام فجملوا له، ودانوا له، وتعبّدوا باللّيل والنّهار»[4]، أما في تفسير ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾،فقد قيل ذواتا ألوان[5]،وقيل ذواتا أغصان، وقيل كثرة الأنواع والألوان والفروع المشتبكة والأغصان[6]، وهذا تصويرا لآيات الجمال وكمال الزّينة، وروعة المناظر التي أكرم بها المولى عزّ وجل عباده المخلصين، فهل بعد هذا يكذّب الإنسان وتكذّب الجنّ كلّ هذه النّعم؟

وتبعا لهذه الدّلالات يختم الخطاب القرآني الكثير من الفواصل القرآنية بلفظ "الكاذبين" في عدّة مواضع نمثل لبعضها في الآتي:

-﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[7].

-وقوله أيضا: ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[8].وقوله أيضا: ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[9]، فاسم الفاعل (الكاذبون) في الآية الأولى اتّصل بالكذب في اعتقادهم لا في مقالهم، لأنّ مقالهم كان صدقا[10].

---

[1]–سورة الرحمن، الآية:46.

[2]–سورة الرحمن ،الآية:48.

[3]–الزمخشري: الكشاف، ج4، ص49.

[4]–الطّبري: المرجع السابق، ج27، ص181.

[5]–الطّبري: المرجع نفسه، ج27، ص182.

[6]–البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر: نظر الدّرر فيتناسب الآيات والسور، تحقيق" عبد الرّزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ج5، ص393.

[7]– سورة المنافقين، الآية: 1.

[8]– سورة الواقعة، الآية: 2.

[9]– سورة العلق، الآية: 16.

[10]–ينظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، المرجع السابق، ص429.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [1]، والكذّاب بمعنى التكذيب؛ «فنفي التّكذيب عن الجنّة يقتضي نفي الكذب عنها؛ لأنّ فيها النّاس لا يتكاذبون بينهم كما كانوا يفعلون في الدّار الدنيا، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [2].

4-العلم: تتجسّد العلمية في الجملة المعترضة ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [3]، قال ابن فارس عن مادة (علم): «العين واللام والميم أصل صحيح واحدي دلٌّ على على أثر بالشيء يتميّز به عن غيره»[4]، والعلم نقيض الجهل، لأنّ العالم يكون علما مميّزا بين قومه، والكلمة مشتقة من "عَلَمَ عِلْمًا، وعَلُم هو نفسه، ورجلٌ عالم وعليم من قوم علماء فيها جميعا»[5]، ومنه علِم الأمر وتعلّمه بمعنى أتقنه.

فالعلم بالشيء يتصل بإدراك حقيقته، قسّمه الرّاغب الأصفهاني (ت502هـ) إلى ضربين: «نظريّ وعلميّ، فالنّظري ما إذا عُلِمَ فقد كَمَلَ نحوُ العِلْم بموجودات العالم، والعملي ما لا يتمُّ إلاّ يعمل كالعِلم بالعبادات»[6]، والعالم وصف للمولى عزّ وجل دليل على أنّه لا تخفى عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء.

ويتجسّد لنا فعل (العلم) عن طريق خواتيم الآيات القرآنية، ونعني به العلم العملي من خلال قوله تعالى مثلا: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [7]، فالعلم في هذه الآية الكريمة يرتبط بالعبادات، حيث قرنت الصلاة والزكاة بالعلم؛ فالإنسان المؤمن التّائب لا يكون عالما بدينه في حالة

---

[1]- سورة النبأ، الآية: 35.

[2]- سورة النبأ، الآية: 35.

[3]- سورة النحل، الآية: 43.

[4]-مقاييس اللغة، المرجع السابق، ج4، ص109.

[5]-ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ج2، ص174.

[6]-الرّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص347.

[7]-سورة التوبة، الآية: 11.

إسقاط عبادة من هذه العبادات، «قال ابن عباس: حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة»[1]، وهذا تعيينا وتبيينا لهذه الفئة العالمة.

وفي سياق آخر يحدثنا الخطاب القرآني عن فئة المنافقين الذين يتجاهلون الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ففي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾فيه تشبيه بمن لا يعلم، ففعلهم هذا فعل جاهل تعمّد الجهل، وهي دلالة كفرهم على علم ودراية، وهذا أعظم عند الله من الجاهل حقيقة.

وفي سورة البقرة نفسها يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[3]، فالإيمان والتّقوى من جالبا الثواب، عبّر عنها الخطاب بصيغة (مفعلة) بقوله: "لمثوبة"، من الثواب وهو الجزاء بالخير مصداقا لقوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[4]وهو من باب الاستبشار بكل ما هو خير، ثم قال تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾وهو يحتمل نفي العلم عنهم ما داموا يعملون جاهدين على تضييع ثوابه عزّ وجل.

وفُسّر العلم بأنّه «اليقين الثّابت عن طريق الوحي والحجج الساطعة والبراهين القاطعة»[5]، من ذلك قوله تعالى: وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[6].

كما جاء بمعنى الجهل في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ

[1]–ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت546هـ): المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج3، ص11.

[2]–سورة البقرة، الآية 101:.

[3]–سورة البقرة، الآية: 103.

[4]–سورة آل عمران، الآية :195.

[5]–سورة لقمان،لآية: 25.

[6]–محمد عتريس: المرجع السابق، ص614.

بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، فيعقوب عليه السلام كان منتظرا لتأويل الرّؤيا وقد تحققت، بينما يجهل أبناؤه فحواها والحكمة منها.

وفي سياق هذه الدلالة يجئ قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

كما ورد في الخطاب القرآني الكثير من الآيات القرآنية التي تنتهي بفواصل من مثل: (عليم، العليم)، من ذلك مثلا قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[3]، حيث ركزّت سورة النّمل على الحديث عن علم الله المطلق بالظاهر والباطن في آيات الكون وغيرها، فالله عز وجل: «يصنع كل شيء بحكمة أي بإتقان وفي موضعه الصّحيح، ويدبّر كلّ أمر بعلم، وتتجلّى حكمته وعلمه في هذا القرآن»[4].

ومن الآيات التي تصب في هذا المعين أيضا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5]، بمعنى يضمرون الحسد والغلّ والله عالم به ومعاقبهم عليه، وقوله أيضا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[6]، فـ(عليم) من أبنية المبالغة للدلالة على أنّه الأعلى، حيث يضع رسالته «وقد شاءت إرادته أن يجعل الرّسالة والكتاب في غير اليهود والنّصارى بعدما خاسوا بعهدهم مع الله، وتركوا أحكام كتابهم وشريعة دينهم»[7].

وتخالف كلمة (عليم) الدلالة السابقة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ

---

[1]-سورة الرّعد، الآية: 37.

[2]-سورة يوسف، الآية: 96.

[3]-سورة النمل، الآية: 06.

[4]-محمد عتريس: المرجع نفسه، ص617.

[5]- سورة البقرة، الآية: 137.

[6]- ينظر: سورة آل عمران، الآية : 73. وأيضا: سورة يس: 79، سورة الحديد: 3، سورة التغابن: 11.

[7]-محمد عتريس: المرجع السابق، ص617.

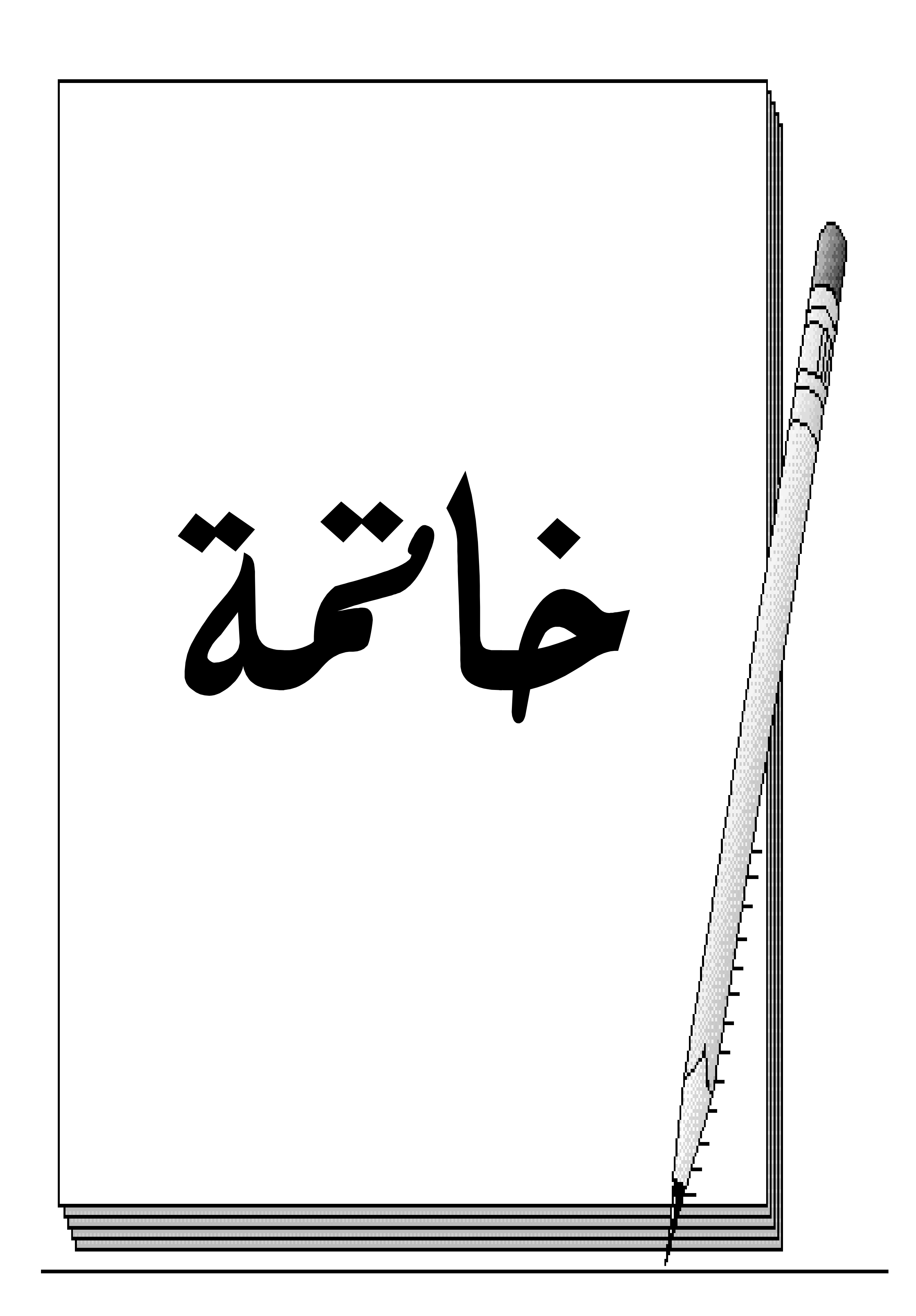
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]، بمعنى ماهر عظيم العلم في سحره يأتي بالغريب العجيب ليبهر النّاس، ومثله قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [2] للدلالة على أنّه عارف بمجال السحر وكل ما له علاقة به.

ويبقى الخطاب القرآني بعد هذه الدراسة كتابا مفتوحا لتفسيرات وتحليلات لسانية ونصية أخرى، تقف عند زواياه الخبيئة المعجزة، التي لم ترتحل إليها أقلام الباحثين.

---

(1)–سورة الأعراف، الآية: 109.

(2)– سورة الأعراف، الآية: 112.


خاتمة

إنّه بعد هذا الطواف في ربوع الخطاب القرآني من خلال أروقته الثلاثة (العنوان والاعتراض والفاصلة القرآنية)، آن لنا أن نسجل أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة في شقيها النظري والتطبيقي نفصّلها في النقاط الآتية:

أولا: الجانب النظري

1-توزعت دلالات مصطلح (العنوان) بحسب الأصل اللغوي الذي تنتمي إليه، وقد اتفق اللغويون على دلالة القصد والبروز والاستدلال على الشيء، أما اصطلاحا فهو نظام لغوي سيميائي إحاليّ ييسر للقارئ فهم النّص، وهو لافتة دلالية مهمة جدا في توجيه دلالاته.

2-يختلف العنوان عن الاسم في دراسات المحدثين بينما كان ملتبسا عند القدماء وقد توصلنا إلى أن "العنوان" مصطلح أعم من "الاسم"، وهو الأصلح لإطلاقه على أسماء السور وهذا لأن العنوان في تركيبه اللّغوي يشمل الأسماء والحروف والأفعال والجمل والعبارات على السواء، بينما الاسم ما دلّ على مسمّى فحسب.

3-مثّل الاعتراض ظاهرة تركيبية وبلاغية في تراثنا العربي؛ إذ يقوم هذا النّمط على مبدأ المغايرة للنمط المألوف في تركيب الجملة، وهذا عن طريق إقحامها في جملة ما تنفصل فيها عناصرها غير القابلة للانفصال، وهذا يؤثر ويعمل على تنبيه المتلقي الذي تعوّد على التضام والتّركيب النّحوي الجاهز.

4-التبس مصطلح الاعتراض مع مصطلحات أخرى منها: الحشو، الالتفات، والتذييل. وقد توصّل البحث إلى أن الاعتراض يفيد زيادة دلالية في السياق الذي يعيش فيه، بينما يزاد الحشو لإقامة الوزن فحسب. أما الالتفات فهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وهو لون من ألوان الأساليب الانزياحية عكس الاعتراض الذي لا يعدّ انزياحا. أما مصطلح التذييل فظاهرة بلاغية وظيفتها التأكيد يؤتى به في آخر الكلام بينما يكون الكلام المعترض متوسطا بين كلامين، وإن اتفق مجيء التذييل متوسطا فهو يعد جزءا من الكلام الذي يسبقه أو ذلك الذي يلحق به.

5-كثيرا ما تشتبه الجملة الحالية بالجملة المعترضة، وقد توصل البحث إلى وجود فروق بينهما؛ فبينما الأولى لها محل من الإعراب، فالثانية لا محل لها، وبينما تكون الأولى خبرية دائما، فالثانية تتراوح بين الإخبار والإنشاء، كما أن وظيفة الجملتين تختلفان وإن بدا اتفاقهما في بعض الوظائف.

6-توصّل البحث في حدود التفرقة بين الجمل المعترضة والجمل الاستئنافية إلى أن الأولى تتصل دلاليا بما قبلها، بينما يكون الكلام تاما عند ظهور الاستئناف في تركيب ما.

7-سجّل البحث تضاربا بين اللّغويين في ضبط مصطلح الفاصلة الذي دلّ على مساحة من التوقف بين آيتين، كما دلّ على البون ما بين الشيئين، أو تبيين الشيء وتوضيحه، أما في المستوى الاصطلاحي فقد تمّ الاتفاق على أنها حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني.

8-شَهِد مصطلح "الفاصلة" التباسا بمصطلح "السجع" وقد توصّل البحث إلى أن الأول منهما أكثر تعميما من الثاني، لأن المعاني تابعة للأسجاع بينما الفواصل تابعة للمعاني.

9-التبس من جهة ثانية مصطلح "الوقف" بمصطلح "الفاصلة" عند بعض الدارسين، وقد توصلنا إلى اختلافهما البيّن؛ حيث يمثل الوقف قطعا للصوت في آخر الكلمة سواء أكانت هذه الكلمة في وسط الآية أو في بدايتها وهذا بغرض تحديد نهاية مقطع ما أو لفظ ما وبداية آخر، بينما يتوقف على الفاصلة القرآنية في آخر الآيات.

10-"القافية" ظاهرة إيقاعية شعرية، بينما الفاصلة ظاهرة إيقاعية قرآنية، الأولى منهما تعتمد الوزن دائما، بينما الفاصلة إيقاع غير موزون تارة وموزون تارة أخرى وهي سمة تفرد للقرآن، حيث تعتمد الفواصل على عنصر المفارقة في الصيغة والبناء مع حملها لشحنة من المعنى متممة لما قبلها .

11-تتموقع "الفاصلة القرآنية" دائما في ذيل الآية، ولا يمكن تقديمها أو تأخيرها، بينما تتموقع "رؤوس الآي" في خواتيم الآيات أو في ثناياها. أمّا "التعقيب" فهو جملة مكتملة البناء دلاليا والفاصلة جزء منه؛ والعلاقة بينهما هي علاقة عموم وخصوص.

ثانيا: الجانب التطبيقي

1- كشف البحث عن قصور الدّراسات السّابقة في ربط عنوان السّورة بمضمونها، فهي لم تُؤسّس على منهج تحليلي دقيق، وقد توصلنا إلى أنّ السّور القرآنية ذات العنوان الواحد قد تتحدث عن موضوع واحد فقط، وقد تتجاوزه إلى أكثر من موضوع، أمّا السّور متعددة الأسماء فموضوعاتها متعدّدة حتى ولو كانت محدودة الطّول.

2-بلغ عدد السّور ذات العنوان الواحد 52 سورة، وعدد السور التي تعدّدت تسمياتها 62 سورة.

3-بغية تحديد الحقول الدّلالية المختلفة للعناوين الواردة في الخطاب القرآني توصّل البحث إلى وجود تفاوت في عدد المفردات الدّاخلة تحت كلّ مجال؛ من ذلك **حقل أسماء الأعلام** وقد ضم أسماء أعلام الأنبياء العربية منها والأعجمية مثل:(يوسف، هود، يونس، إبراهيم، محمد ﷺ...).و **حقل الكون والطبيعة** وضم التغيرات الكونية وما فيها من عظمة المخلوقات مثل:(الرعد، النور، الذاريات، القمر، البروج، الشمس، الدخان...)، و**حقل الأزمنة** والمواقيت من مثل(العصر، الفجر، الليل، الفلق، الضحى، القدر، الجمعة).

4-توصلت الدّراسة من جهة ثانية إلى تحديد عناوين السّور والوقوف على علاقاتها الدلالية؛ حيث وظف "الترادف" كوسيلة ربط نصية قويّة بين العناوين، كما هي الحال بين سورتي (الانفطار، الانشقاق) أو بين (المدثر، المزمل). كما ظهرت علاقات التضاد والاشتراك والتقابل بنسب أقل.

5-وقف البحث على أنّ العناوين قد حققت جملة من الوظائف داخل الخطاب القرآني؛ منها وظيفة التّسمية حيث تمايزت السورة القرآنية عن أخواتها، كما استحضر

الوظيفة الإشارية حيث كانت العناوين القرآنية كاشفة للنّص وحاجبة له في الآن ذاته.

6-تتكشف جمالية الخطاب القرآني من خلال الخصائص التي ميزت عناوين سوره؛ فقد سجل البحث بساطتها من حيث تركيبها البنائي من جهة، وتنوّع صيغها بين الاسمية والفعلية من جهة ثانية، وكذلك من حيث إفرادها وجمعها، فبعض السور جاءت عناوينها بصيغة الجمع مثل:(الأنعام، الأعراف، الأنفال، الأنبياء)، وبعضها بصيغة الإفراد تذكيرا وتأنيثا مثل: (الفرقان، العنكبوت، فاطر، البقرة، الرحمن، الواقعة...) وهذا التنوع إنما جيء به لغاية وهي إبعاد الملل عن المتلقي، والحفاظ على الاتساق العام للخطاب القرآني.

7-تعددت أنماط الجمل المعترضة في الخطاب القرآني؛ فأكبر نسبة لها تنتمي إلى القسم الاسمي؛ فبعض هذه الجمل صدّر بلفظ الجلالة للدلالة على عظمة الخالق وإحاطته بمخلوقاته، وصدّر البعض الآخر منها بـــ"إنّ وأخواتها" للدلالة على التوكيد، ونراها بدئت أحيانا باستفهام بغرض الإنكار إذا صدّرت بـــ(من)، أو للدّلالة على التقرير في حال تصديرها بـــ(أيّ)، وتوزعت جمل أخرى بافتتاحية هي الضمير المنفصل في حالتي الإفراد أو الجمع، وأحيانا باسم إشارة للدلالة على أهمية المشار إليه، أو باسم ظاهر بغرض الاختصاص أو الجار والمجرور بغرض الحصر، أو للدلالة على التنزيه في الجملة المصدرية.

8-جاء القسم الثاني من الجمل الاعتراضية فعليا، وقد صُنّف في خط دلالّ مخالف لما سبق ذكره، حيث أحصينا جملا فعلية وأخرى أمرية وأخرى مضارعية؛ فالأمرية منها جاءت مصدرة بـــ(قل) بغرض الإنكار تارة وبغرض التوكيد أخرى. وقد دلّت في المقابل الجمل الماضوية على الزمن الاستمراري، كما دلّت على النفي حينما تبتدئ بالفعل الماضي الجامد، ودلّت الجمل المستفتحة بالمضارع على المستقبل دائما، واستنتجنا أخيرا إلى أنّ الغالب في الجمل المعترضة تشكيلها الاسمي.

9-شهد التحليل الدلالي للجمل المعترضة جملة من المدارات الدلالية نوردها في الآتي:

– المدار الحجاجي: وفيه جاءت الجمل الاعتراضية أسلوبا إقناعيا بغرض استمالة المتلقي كلون من ألوان الحجاج غير المباشر.

– مدار الإخبار للدلالة على إعلام من جهل بالخبر أو التوكيد لمن علم به.

– مدار نفي الشك: جاءت هذه الجمل بنية الاستفزاز.

– مدار الدعاء: ظهر الدعاء في شكلين؛ فتارة دعاء بالخير، ومرة دعاء بالشر وهذا في مواقف متباينة.

– مدار التوبيخ: جاء لتأنيب الذات تارة، ولتأنيب المشركين تارة أخرى.

– مدار التوكيد: بغرض المبالغة في الصدق.

– مدار التنزيه: جاء تنزيها للمولى عزّ وجل وإبعاد للشك.

– مدار التعظيم: للدلالة على تجسيد فكرة الاحترام للمعظم ولعلو شأنه.

– مدار الاختصاص: لتبيان خصوصية المنزل وهو الكتاب.

– مدار التحذير: توجيها لتوبيخ النصارى واليهود.

– مدار الشرح والتفسير: لغرض توضيحي يوحي بأهمية الشيء المفسّر.

10–مثّل إيقاع الفاصلة القرآنية أحد أبرز أشكال الأداء الصوتي التي ميزت الخطاب القرآني، فقد تم ترتيبها على نسق نظامي، ووفق طريقة فنية متميزة، حيث حققت مرونتها من خلال التنوع والتعدد الصوتي لرويها في آيات السور، وكذا من حيث بناؤها الصرفي والدلالي.

11–شكّل لنا النّبر في الفواصل القرآنية باعتباره كيانا فوق–لساني مظهرا إيقاعيا تجلّت وظيفته الأساسية في إظهار مقاطع دون أخرى؛ فالنبر في السور القصار ظهر في المقطع الأول، كما في سورتي الناس والإخلاص أو في المقطع الثالث أو الرابع في سورتي الزلزلة والكافرون، وهذا تبعا لدرجة الإسماع، أو شدة الصوت أو مدّه.

12–لوحظ كثرة بيّنة في اختتام الفواصل القرآنية بحروف المدّ واللّين وإلحاق

النون، ممّا أسهم في كثافة دلالية قوية في النموذج الثاني وهو السور الطّوال، حيث سجل البحث ترددا مستمرا لأشباه الحركات التي تتسم بقدر كبير من الوضوح السمعي، فأغلب السور قفّيت فواصلها على (وم) أو (ين) أو (يم)أو (ون).

13-كان للتنغيم حضوره الإيقاعي أيضا حيث توزع بين النغمات الهابطة والنغمات الصاعدة وهذا بحسب طبيعة السياق الذي ترد فيه الفاصلة القرآنية.

14-أسفر البحث من ناحية التشكيل الصرفي للفواصل القرآنية أنها أكثر ما جاءت اشتقاقية، حيث سُجّلت أكبر نسبة لأسماء الفاعلين الواقعة فاصلة في خواتيم الآيات، وهكذا كان الحضور الاسمي للفواصل أكبر من الحضور الفعلي فيها.

15-كان حضور المصادر بأنواعها قويا حيث سجل البحث تردّد 149 مصدرا جاء على أوزان عدة أحصيناها بست عشرة 16صيغة، أكثرها حضورا (فَعْلٌ) بست وأربعين46 تكرارا وصيغة (تفعيل) بــ35 تكرارا و(فَعِلٌ) بــ14 تكرارا ، ثم باقي الصيغ بنسب أقل مثل: (فَعَلٌ، فِعْلٌ، فعول، فِعال، منفعل...).

16-أحصت الدراسة تكرار صيغة (مفعول) على اختلاف دلالاتها حيث تكررت 120مائة وعشرين مرة، ودلّت في أغلب الفواصل على الوصفية أو على المبالغة، كما احتلت صيغة (مُفْعَلْ) الرتبة الثانية بــ 76 مرة للدلالة على الترديد والإعادة.

17-إثباتا لزيادة الفضل للموصوف على غيره وردت بعض الفواصل القرآنية بصيغة (أفعل) للتفضيل في الربع الأخير من القرآن الكريم دون غيره ، وهذا بخمس وعشرين 25 صيغة، منها ما جاء محلّى بالألف واللام ومنها دون ذلك، جاءت أغلبها للدلالة على شرف الموصوف وقدره حيث منها ما كان اسما من أسمائه عزّ وجل أو صفة من صفاته مثل(الأكرم، الأعلى).

18-اختلفت صيغ اسمي الزمان والمكان بين (مَفْعِل) و(مُفْتَعِل) و(مَفْعَلْ)، و(فُعُلْ)، و(مِفْعَال)؛ اتلّت صيغة (مَفْعِل) الصّدارة، أكثر ما جاءت للدلالة على الزمان أو المكان، بينما دلّت(مَفْعَلْ) على المكان وكذلك (فُعُلْ).

19-جاءت صيغ المبالغة (فعّال، مفعال، فعول، فعيل، فعِلٌ) موزعة على آيات الذكر الحكيم، منها صيغة (فعيل) التي جاءت اسما من أسمائه عز وجل أو صفة من صفاته، تكررت بشكل لافت للنظر مثل: (العليم، الحكيم، العزيز، حليم، الكريم) كما وردت هذه الصيغة في وصف الأنبياء والرسل وكذا في وصف الماء والطعام، ووصف القرآن تعظيما ووصف الأمكنة والعذاب وحقوله.و عبّرت صيغة (فعّال) على المبالغة في الوصف وثبوته مثل: (القهّار، التواب، الغفّار...) أما صيغة (فعُول) جاءت للمبالغة في المشاعر السلبية مثال ذلك (منوعا، هلوعا، جزوعا...).

20-احتلت صيغة (فاعل) الدالة على اسم الفاعل الصدارة من حيث عددها، حيث بلغت (683) صيغة وهي أكبر نسبة في كل المشتقات، بعد ذلك تأتي صيغتا (مَفْعِلْ ومُفْعِّلْ)؛ فالأولى منهما تكرّرت(326) مرة، وقد سُجلت أعلى نسبة بسورة الأعراف حيث تكررت 24 مرة وجاءت صيغة (مُفَعِّلْ) بنسبة أقل للدلالة على التكثير والتعدية، وأحصت الدراسة تكرارا لصيغة (مفتعل) حيث بلغ عددها 85 تكرار.

21-توزعت الفواصل الفعلية في القرآن الكريم بين الماضي والمضارع والأمر، وقد دلّت جميعها على اختلافات زمنية بيّنة؛ كما جاءت بدلالات الرّهبة تارة والدّعوة إلى التقوى تارة أخرى. وقد كانت صيغة (انفعل) أكثر الصيغ المضارعة حضورا في المدوّنة القرآنية للدلالة على الفناء والتلاشي.

22-النمط الثالث من الفواصل القرآنية كان مشكّلا من بنية مركّبة من جار ومجرور وهو ما يطلق عليه "أشباه الجمل"، من نماذجه (إلى حين، حتى حين) ارتبط بدلالاته على الزمن، وقد احتلّ آخر نسبة في الظهور في ذيل الآيات القرآنية.

23-سجّلت الدراسة تحوّلات على مستوى الحركة الإعرابية والموقع الإعرابي في الفواصل القرآنية بدءا بآلية استبدال الحركة بالحركة المغايرة بطريقة تناوبية بغرض التنويع من جهة في إيقاعاتها، وبغرض تحديد مواقعها الإعرابية التي تؤثر في دلالاتها من جهة ثانية.

24-عُرفت أغلب الفواصل القرآنية بوقفها على السكون خاصة في الأفعال.

25-احتلت أغلب الفواصل القرآنية موقع الحال وهذا لدلالتها على التخصيص في أغلب المواطن، ووقعت فواصل أخرى موقع الخبر، وثالثة وقعت صفة، ورابعة وقعت اسما مجرورا. كما أحصى البحث عدة ظواهر تركيبية ميّزت هذه الفواصل وأسهمت في اتساق النص وانسجامه، أكثرها حضورا: الحذف، الزيادة، التقديم والتأخير وهذا لغايات بلاغية.

26-قُسّمت الفواصل القرآنية إلى حقول دلالية، فكان أكثرها حضورا حقل الحواس (أبصر، رأى، نظر، سمع) كذلك حقل العقل بفواصل من مثل(علم، فقه، ذكر، فكر)، أما حقل الحركة فعبر عن حدث الانتقال من إلى مثل(جمع، سبح، سرح)، وحقل الخُلُق في فواصل عبّرت عن (التقوى، الإحسان، الصبر، الغفران، الاستهزاء...)، وما هذا التنوع إلا خاصّية اتساقية لخلق انسجام مضموني بين وحدات النص القرآني، حيث توصلنا إلى أنّ النص الحكيم سار في حركة انتقالية من المحسوسات إلى المجرّدات؛ لقد انطلق من فهم العالم عن طريق الحواس إلى حركة الإنسان التفاعلية مع العالم الخارجيّ عن طريق التعقل والشعور، وصولا إلى اختياراته بين الخُلق الحسن والخُلق السيّء ليصل إلى مبتغاه.

27-إنّه في سياق البحث عن العلاقة القائمة بين الجملة الاعتراضية والعنوان في القرآن الكريم توصلت الدراسة إلى وجود علاقة إحالية؛ حيث لا توجد عناصر لغوية تكتفي بذاتها إنما هي بحاجة إلى ما تشير إليه من أجل استنطاق دلالتها، فوجدنا تماسكا متينا حقق الاتساق النصي، وقد كانت هذه الإحالة موجهة في ثلاثة طرق اختلافية وهي:

-المشير واحد والمشار إليه متعدد.

-المشير متعدد والمشار إليه واحد.

-المشير واحد والمشار إليه واحد.

وقد تحقق الاتساق النصي وانسجامه بين الجمل المعترضة وعناوين السور من

خلال استحضار الوحدات اللغوية الرابطة بين الفئتين.

28-علاقة العنوان بالفواصل القرآنية كانت قوية أيضا، حيث تحققت المطابقة بين العنصرين في بعض المواطن مما جعل الدراسة تسجل أن التكرار المباشر للعنصر المعجمي مظهر نصّي ضروري لتحقيق الاتساق، ليكون لإعادة الدّوال دوره البنائي والدّلالي في النص الحكيم، فهناك دائما موضوع محوري يتم توسيعه عبر عناصر متشابهة للحفاظ على الخيط الرابط بينها.

29-من جهة ثانية تحققت المفارقة بين العنوان والفواصل عن طريق الحفاظ على الأصل الاشتقاقي للوحدتين المعجميتين، حيث يتم الانتقال من صيغة اسمية (مصدرية) هي العنوان، إلى صيغة فعلية هي الفاصلة.

30-حقق الاعتراض مع الفواصل القرآنية تواصلا دلاليا تجلّت لنا معالمه في توسيع مجال بعض المصطلحات الواردة أو تضييقها بدءا من الجمل المعترضة وانتهاء بالفواصل أو العكس، من أمثلتها المغفرة، الهداية، القدرة.

والنتيجة العامة التي توصل إليها البحث هو وجود علاقتين متضادتين بين هذه الأقطاب الثلاثة (العنوان، الاعتراض، الفاصلة)؛ أولها: علاقة اتصال تجلت لنا مظاهرها الاتساقية من خلال التكرار، والاشتقاق، وعلاقة انفصال من خلال مبدأ المخالفة السائد فيما تبقى من السور القرآنية التي لم نلحظ لها أي اتصال مباشر أو غير مباشر بين هذه الأقطاب النّصّية لتحقيق البنية الكلية للخطاب القرآني.

ويبقى الخطاب القرآني بعد هذا نصّا متّسقا ومنسجما، هو مَعْبَرٌ لأسئلة لسانية ونصّية وفكرية أخرى سيفكّ ألغازها باحثون آخرون قد وضعنا لهم الحجر الأساس، ونحن بانتظار جديدهم لنفتح باب الحوار والنّقاش موسّعا.

وأخيرا، فإنّ هذا الجهد لم يكن إلّا قطرة من بحر لم ترو الظمأ.

ونسأل الله التوفيق والحمد للّه ربّ العالمين.


الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث النّبوية الشّريفة

ثالثا: فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	الشاعر	الصفحة
اللام		
وقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتُهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَ مَا يَئِلُ	**الأعشى الأكبر**	632
أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمُ لأَمْيَلُ	**الشنفرى**	39
إِنَّا إِذَا احْمَرَّ الوَغَى نُرْوِي القَنَا وَنَعِفُّ عِنْدِ مَقَاسَمِ الأَنْفَالِ	**عنترة بن شداد**	120
الميم		
رَأَيْتُ قُدُورَ الصَّاد حَوْلَ بُيُوتِنَا قَبَائِلَ سُحْمًا فِي المَجِلَة صُيَّمَا	**حسان بن ثابت**	190

رابعا: فهرس الخطاطات

خامسا: فهرس الجداول

سادسا: فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: العنوان في الخطاب القرآني مقاربة دلالية نصية

الفصل الثالث: الاعتراض في الخطاب القرآني – البنية والدلالة

الفصل الرابع: الفواصل القرآنية مقاربة في البنية اللغوية

الفصل الخامس: التشكيل النصي للخطاب القرآني – قراءة في العلاقات النصية والدلالية

الفهارس

ملخّص الأطروحة

لقد شكّل النّص القرآني، ولا يزال، أحد أهمّ المدوّنات اللّغوية التي تحظى بالدراسة والبحث، وهذا نظرا لما يتميّز به من خصائص نظمية تجعل منه نصا يمتلك قدرات تواصلية فائقة تتّسع مع اتساع دلالاته. إنّ هذا النّظم كان منطلقي الأوّل لفاتحة أطروحة الدكتوراه، التي عنونتها بـــ"**البنية اللّغوية في القرآن الكريم من خلال العنوان والاعتراض والفاصلة دراسة دلالية نصيّة**"، وكانت غايتي هي تقديم قراءة لغوية جادّة يتم فيها توثيق العلاقة بين المتنافرات –ظاهريا– من خلال البحث عن آليات الربط التي يمكن تحقّقها من خلال الاتّساق والانسجام النّصّيين.

واقتضت خطّة البحث تقسيم هذه الدّراسة إلى خمسة فصول مبدوءة بمقدمة وذيّلت بخاتمة ضمّت أهم النتائج التي توصّلت إليها.خُصّ الفصل الأوّل بالجانب النّظري، فبما أنّ المصطلح يمثل أولى المنطلقات المنهجية في أي بناء معرفي في حقل العلوم اللّسانية والإنسانية عموما، فقد جعلته للضبط المفاهيمي للمصطلحات الثلاثة قيد الدّراسة (العنوان، الاعتراض، الفاصلة) حيث رأيت أنها تمثّل المفاتيح التي يحتاجها المتلقي لتوثيق علاقته مع النّص.

ولم يكن هذا البحث عرضا نظريا فحسب، بل كان للفصول الأربعة الموالية حضورا قويّا عبر تقديم النمّاذج التطبيقية؛ خُصّ الثّاني منها للخطاب العنوانيّ في القرآن الكريم، وأنماطه، وحقوله الدّلالية، وأما الفصل الثالث فكانللجمل المعترضةحيثوقفت على المدارات الدلالية لهذه الجمل المعترضة من ذلك مدار الحجاج، مدار الإخبار، مدار التّوبيخ، مدار التنزيه، التعظيم، الاختصاص، والتحذير والتفسير والشرح، التوكيد.

وأما الفصلالرابعفكان للفواصل القرآنيةالتي تطرّقنا إلى بنيتها الصوتية والصّرفية والتّركيبية والدّلالية.واختتم هذا البحث بالفصل الخامس المعنون بـــ"التشكيل النّصي للخطاب القرآني– قراءة في العلاقات النّصية"، وفيه حاولت استنطاق طبيعة العلاقات القائمة بين المثلث النّصي المدروس في الفصول السابقةبالوقوف على العلاقات الدّلالية والنّصّية التي تربط هذه الثلاثية بعضها ببعض محققة التماسك النّصي بطرق شتى، إمّا عن طريق التكرار، أوعن طريق المصاحبة الشكلية، أو عن طريق الإحالة.

ومن نتائج هذه الدّراسةتسجيل وجود علاقة إحالية بين النّص الاعتراضي والنّص العنواني،كماتحققت علاقة النّص العنواني بالنّص الفاصليّ من خلال التكرار المباشر للعنصر المعجمي، وهنا تمّ إثبات تحقق الانسجام الدّلالي والنّصّي بين هذه الوحدات اللّسانية الثلاث في القرآن الكريم.

<u>الكلمات المفتاحية :</u> البنية اللغوية -الخطاب القرآني- العنوان- الجملة الاعتراضية- الفاصلة القرآنية -العلاقات النّصّية.

Résumé

Le texte coranique présente toujours l'un linguistiques essentielles qui font

l'objet d'une étude et de recherche, vu ses caractéristiques systémiques qui le renden des nomenclatures t un texte ayant de grandes capacités communicatives s'élargissent selon l'élargissement de ses sémantiques. Ce système était mon début comme une liminaire pour la thèse de doctorat que j'ai intitulé « la structure linguistique dans le Coran à partir du titre, la phrase incise et la fin d'un verset dans le Coran une étude sémantique textuelle», mon objectif était la présentation d'une lecture linguistique sérieuse en renforçant la relation entre les dissonants superficiels à travers la recherche des mécanismes de liaison qui peuvent être réalisés par la cohérence et l'harmonie textuelles.

Le plan de la recherche a nécessité la division de la présente étude en cinq chapitres, en commençant par une introduction et finissant par une conclusion comportant les résultats les plus importants que j'ai obtenus. Le premier chapitre porte sur l'aspect théorique, Etant donné que le terme représente les premiers principes systématiques de toute structure cognitive dans le domaine des sciences de la linguistique et de l'humanité en général, je l'ai consacré pour la détermination conceptuelle des trois termes objet de cette étude (le titre, la phrase incise, la fin d'un verset dans le Coran), où j'ai vu qu'ils représentent les clés nécessaires dont le récepteur a besoin afin de soutenir sa relation avec le texte.

Cette recherche n'était pas incidemment théorique, mais les quatre chapitres suivants ont eu une forte présence à travers la présentation des types appliqués ; le deuxième chapitre porte sur le titre dans le Saint Coran, ses types, ses champs sémantiques, alors que le troisième chapitre aborde les phrases incises, attendu que j'ai concentré sur les champs sémantique des phrases incises, savoir : le champ des arguments, le champ d'information, le champ d'objurgation, la transcendance, la glorification, la compétence, l'avertissement et l'interprétation, l'explication et l'affirmation.

Quant au quatrième chapitre, il est consacré pour les fins des versets du Coran dont nous avons traité la structure acoustique, grammaticale, synthétique et sémantique. Je conclue ma recherche par le cinquième chapitre intitulé de « la composition textuelle du discours coranique – lecture dans les relations textuelles » dans lequel j'ai essayé de comprendre la nature des liens établis entre le triangle textuel étudié dans les précédents chapitres en concentrant sur les relations sémantiques et textuelles qui relient cette trilogie les uns aux autres en réalisant la cohérence textuelle par différentes manières, soit par la répétition, soit par la concomitance formelle, ou par le renvoi.

Parmi les résultats de la présente étude c'est l'existence d'une relation référentielle entre la phrase incise et le titre, ainsi que la relation du titre est établie par le texte de la fin d'un verset dans le Coran à travers la répétition directe de l'élément lexical, en conséquence, la cohérence sémantique et textuelle a été établie entre ces trois unités linguistiques dans le Saint Coran.

Mots clefs : La structure linguistique- Le texte coranique- Le titre- La phrase incise- la fin d'un verset- Les relations -textuelles

SUMMARY

The Qur'anic text always presents one of the most linguistic nomenclatures that are the subject of the study and the research, due to its systemic characteristics who make it a text having great communication skills which enlarge according to the expansion of its semantics. This system was my beginning as an introductory to the doctoral thesis which I titled "linguistic structure in the Qur'an from the title, incise sentence and the end of a verse in the Qur'an textual semantic study" my purpose was to present a serious linguistic reading by strengthening the relationship between the superficial dissonant through research of linking mechanisms that can be achieved by the textual coherence and harmony.

The plan of the research involved the division of the study into five chapters, beginning with an introduction and ending with a conclusion containing the most important results which I obtained. The first chapter focuses on the theoretical side, Since the term represents the first systematic principles of a cognitive structure in the science of linguistics and humanity in general, I have devoted it to the conceptual determination of three terms in this study (title, incise sentence, the end of a verse in the Quran), I saw that they represent the necessary keys that the receiver needs to support its relationship with the text.

This research was not incidentally theoretical, but the following four chapters have had a strong presence through the presentation the applied types , the second chapter deals with the title in the Qur'an, its types, its semantic field, while the third chapter discusses the paraphrases, whereas I have focused on the semantic fields paraphrase, which are the arguments field, information field, the field of objurgating, transcendence, glorification, the competence, warning and interpretation, explanation and affirmation.

As for the fourth chapter is devoted to the ends of the verses of the Qur'an which we have treated the acoustic, synthetic grammatical and semantic structure. I concluded my search through the fifth chapter entitled textual composition of the Qur'anic discourse - reading in the textual relations" in which I tried to understand the nature of the links between the textual triangle studied in previous chapters focusing on semantic and textual relationships that connect this trilogy to each other by performing textual coherence by different ways, either by repetition or by the formal concomitance, or reference.

Among the results of this study is the existence of a referential relationship between the paraphrase and the title, furthermore the relationship of the title is determined by the text of the end of a verse in the Qur'an through the direct repeat of the lexical item, therefore, the semantic and textual coherence has been established between these three linguistic units in the Holy Quran.
Key words : Linguistic structure- The quranic discourse- The title- Incise sentence- The end of a verse- Textual relationship.